

سلسلة الحقيقة الصّعبة ٧

حَمزة بن علي
إسماعيل التميمي
بهاء الدين السّموقي

رسائل الحكمة

LIVRE SAINT DES DRUZES

الطبعة السابعة

دار "لأجل المعرفة"
ديار عقل - لبنان
١٩٨٦

سلسلة " الحقيقة الصعبة "

دار من أجل المعرفة، ديار عقل-لبنان. قياس (٢٤×١٧)

- (١) قسّ ونبيّ، بحث في نشأة الإسلام، أبو موسى الحريري، ٢٠٠١، ٣١٤ ص.
- (٢) نبيّ الرحمة ، بحث في مجتمع مكّة، أبو موسى الحريري، ١٩٨٥، ٢٠٨ ص.
- (٣) عالم المعجزات بحث في تاريخ القرآن، أ. موسى الحريري، ١٩٨٦، ٢٥٠ ص
- (٤) أعربيّ هو؟ بحث في عروبة الإسلام، أبو موسى الحريري، ١٩٩٠، ٢٥٤ ص
- (٥) العلويّون النصيريّون، بحث في العقيدة والتاريخ، أ.م. الحريري، ٢٧٢ ص
- (٦) بين العقل والنبيّ، بحث في العقيدة الدرزيّة، أنور ياسين، ١٩٨١، ٤٦٤ ص.
- (٧) رسائل الحكمة، (كتاب الدروز المقدّس)، حمزة بن عليّ، إسماعيل التميمي، بهاء الدين المقتنّي، طبعة ٧، ٢٠٠٢، ٨١٦ صفحة.
- (٨) مصادر العقيدة الدرزيّة، حامد بن سيرين، ١٩٨٥، ٥٧٦ صفحة.
- (٩) السلوك الدرزي، أنور ياسين، ١٩٨٦، ٢١٨ صفحة.
- (١٠) مذبحة الجبل، (حسر اللّثام عن نكبات الشام، تاريخ الحرب الأهليّة الدامية في لبنان سنة ١٨٦٠)، شاهين مكاريوس، ١٩٨٣، ٣١٠ صفحات.
- (١١) المسيحيّة في ميزان المسلمين، (ردّ على كتاب "الإسلام والمسيحيّة في الميزان" لـ شريف محمّد هاشم)، أبو موسى الحريري، ١٩٨٩، ٢٥٦ ص.
- (١٢) نَزَعْنَا الْقَنَاعَ، (ردّ على كتاب "أنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح"، لـ أحمد زكي)، ١٩٩٧، ٣٦٠ ص
- (١٣) رغبات النفس والجسد. (ألحياة الجنسيّة في الإسلام)، أبو موسى الحريري، ٢٠٠٠، ٢٨٨ ص
- (١٤) موازين «الحقيقة الصعبة»، (ردّ الحريري على ردود مسلمين)، ٢٠٠٠، ٢٣٦ صفحة.

مقدمة عامة

١ . في مواجهة سرّ الحكمة

نعالج، في الكشف عن "رسائل الحكمة"، كتاب الدروز المقدّس، سرّاً استمرّ مكتوماً دهوراً. وفي معالجتنا هذه، نقدر موقف جماعةٍ يعتبرون السريّة عقيدةً أساسيّةً عندهم. ويصرّون على أنّ كشف الحقيقة يُعرضها إلى إساءة فهمها والهزء بها، وهذا الهزء، على ما يقول كمال جنبلاط، أحد زعماء الدرزيّة المعاصرين (ت ١٩٧٧/٣/١٦)، يجرّهم إلى التهلكة. فيجب أن نتجنّب مثل هذه الكارثة مهما كلفنا الأمر^(١).

وكم وقفنا متسائلين: هل يحقّ لنا أن نطلع على سرّ أرادته أهله أن يبقى مَصُوناً؟ هل لنا أن نُعلنَ لعامة الناس سرّاً دفيناً لا تحقّ معرفته إلاّ للخاصّة منهم؟... وزاد قلقنا معرفتنا بأنّ ألف سنةٍ ونيف مضتُ والسّرّ في هالة من القدسيّة تحمي منعتُهُ... ولكنّ السؤال يحمل في ثناياه موقفين من السّرّ متناقضين: موقفاً يفرض علينا إجلاله كتماناً؛ وموقفاً تلحّ علينا معرفته إشراك الناس، كلّ الناسٍ بخيرها. ونحن ممّن يُجلّ الموقفين معاً...

نُجلّ السّرّ ونُحيطه بهالةٍ قدسيّةٍ من قدس أقداس الله؛ ونعمل على نشر المعرفة ليكون العلم والحقّ والخير في متناول جميع البشر. عادلاً بين الموقفين، واستقصينا الحجج والبراهين، واستشرنا الأصدقاء، فكان لنا، لراحة البال والضمير، اعتباراتٌ عشرة:

(١) ورد هذا القول في مقدّمة للاستاذ كمال جنبلاط على كتاب «أضواء على مسالك التوحيد الدرزيّة»، للدكتور سامي نسيب مكارم، دار صادر ١٩٦٦، ص ١٦.

أولاً - لئن حاولنا الخوض في سرّ الحكمة الدرزيّة فإنّنا على يقين بأنّ السرّ يبقى سرّاً لا ينال كنهه إنسانٌ، لأنّ السرّ الحقيقيّ يبقى ملك أصحابه، ويستعصي على كلّ متطاولٍ عليه. فالسرّ، مهما حاولنا سبر أغواره، يبقى دونه. والمؤمن الذي نشأ على السرّ واعتاده، ومارس رموزه، وفكّ ألغازه، يتخطّى قدرة أيّ طارئٍ عليه من خارج. فلا خوف على هتك حرمة السرّ إنذاً. وادعأؤنا معرفته يبقى رغبةً فحسب؛ ومعرفتنا له تبقى محاولة لا غير.

ثانياً - سرّ الحكمة الدرزيّة هو سرّ توحيد الله. وعلى الجميع أن يعملوا لهذا التوحيد، ويعترفوا به، وينتفعوا منه، ويصبحوا من أهله. وكلّ الخير أن يتعاون البشر كلّهم على اكتشاف سرّ وحدانيّة الله... والبحث عن التوحيد كان همّ العالم منذ سحيق الأيّام ولا يزال. وعلى من وجد سرّه أن يفيد غيره. بذلك تهون المصاعب، وتنقّر سعادة البشر، وتعم المعرفة، وتتحقّق المحبة، ويكتمل الخلاص.

ثالثاً - من مهمّات الانسان الكبرى في هذا الوجود أن يسعى الى اكتشاف أسرار هذا الكون. وقد توصّل بالفعل إلى التّنعّم بما اكتشف. إلّا أنّ المهمة العظمى هي في أن يسعى الإنسان إلى اكتشاف سرّ نفسه واكتناه سرّ الآخرين. بهذا، وبهذا فقط، تكون المشاركة والمحبة، ويكون التفاهم والتعاون، وتكون السعادة، ويعمّ الخير. فلنا مطمع في أن نعرف سرّ الآخرين لنحبهم أكثر، ونتعاون وإياهم إلى آخر حدود التعاون، ونفتّح عليهم لينفتحوا هم علينا.

رابعاً - خصال الحكمة التوحيدية سبع: «أولها وأعظمها السّدق»^(٢). «فمن كان يزعم أنّه مؤمن موحد.... ولا يكون سادقاً... كان

(٢) كلمة "سّدق" ومشتقاتها تُكتب بالـ "س" لا بالـ "ص"، وذلك ليكون مجموع

مدَّعي التَّوْحِيد، مستعملُ الشُّرْكَ والتَّحْيِد»^(٣). «فمن لم يكن سَادِقًا بلسانه فهو بالقلب أكثر نفاقاً»^(٤). «واعلموا أنَّ السَّدُقَ هو التَّوْحِيدُ بِكَمَالِهِ، وَالكَذِبُ هو الشُّرْكَ وَالضَّلَالَةُ»^(٥). ... فَمِنْ وَاجِبِ أَصْحَابِ الْحِكْمَةِ، إِذَا، أَنْ يُقِيمُوا الصَّدَقَ مَعَ جَمِيعِ النَّاسِ لَتَعْمَ الثِّقَةُ الْمُتَبَادِلَةُ، وَيَتَعَاوَنَ الْجَمِيعُ لِأَجْلِ الْخَيْرِ وَشُمُولِ الْمَعْرِفَةِ. وَمِنْ حَقِّ الْجَمِيعِ أَنْ يَنْعَمُوا بِثِقَةِ الْمُوَحِّدِينَ وَصَدَقَهُمْ. وَفِي الصَّدَقِ مِشَارَكَةٌ فِي السِّرِّ أَفْعَلُ.

خامساً - مِنْ شَأْنِ الْحِكْمَةِ التَّوْحِيدِيَّةِ أَنْ تَضَعَ نَفْسَهَا فِي خِدْمَةِ الْجَمِيعِ وَلِصَالِحِ الْجَمِيعِ، لَا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى قِسْمٍ مِنْهُمْ وَتَمْنَعَ الْقِسْمَ الْآخَرَ مِنْ خَيْرِهَا. وَمَنْ وَاجِبُهَا أَيْضاً أَنْ تَدْعُو الْجَمِيعَ إِلَيْهَا، وَتَصْنَعَ مِنْهُمْ كُلَّهُمْ أَهْلَهَا وَمُسْتَحَقِّيَّهَا، لَا أَنْ تَتَّبَنَّى بَعْضَهُمْ وَتَرْذَلَ بَعْضَهُمْ الْآخَرَ. وَالْكَلُّ يُمْكِنُهُمْ، إِذَا مَا تَوَفَّرَتْ لَهُمُ الْحِكْمَةُ، أَنْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا. فَالطَّبِيقَةُ بَيْنَ الْبَشَرِ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى قَبُولِ الْحِكْمَةِ، غَيْرُ جَائِزَةٍ. وَالْحِكْمَةُ نَفْسُهَا تَحَارِبُ مِثْلَ هَذِهِ الطَّبِيقَةِ، وَتَرْغَبُ فِي أَنْ يَكُونَ الْجَمِيعُ فِي مَسْتَوَاهَا وَمِنْ مُسْتَحَقِّيَّهَا.

سادساً - مِنْ شَأْنِ كُلِّ دِينٍ أَنْ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الدَّخُولِ فِيهِ، وَإِلَى نَيْلِ الْخِلَاصِ بِاتِّبَاعِ مَسَالِكِهِ. وَقَدْ تَخْتَلَفَ دَعْوَةُ كُلِّ دِينٍ عَنْ سِوَاهِ. وَلَكِنَّ الْأَدْيَانَ كُلَّهَا تَرِيدُ مِنْ كُلِّ الْبَشَرِ أَنْ يَكُونُوا مُسْتَجِيبِي دَعْوَتِهَا. أَمَّا أَنْ يُغْلَقَ الْبَابُ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ، فَهَذَا، بِالْفِعْلِ، طَعْنَةٌ فِي صَمِيمِ الدِّينِ، وَهَزْءٌ بِحَرِيَّةِ الْإِنْسَانِ، وَظُلْمٌ جَسِيمٌ فِي حَقِّ السَّاعِينَ إِلَى الْخِلَاصِ. وَمَنْ مَنَعَ عَنِ الْإِنْسَانِ خِلَاصَهُ تَعَمَّدَ الشَّرَّ فِي ذَاتِهِ. وَمَنْ هَزَأَ بِحَرِيَّةِ الْإِنْسَانِ أَنْكَرَ عَلَى الْإِنْسَانِ هَوِيَّتَهُ وَكَرَامَتَهُ.

حروفها، بحسب حساب الجمل، ١٦٤، أي بعدد أنبياء الصدق الذين يعترف الدورز بهم، بمقابل أنبياء الكذب الـ ٢٦، بعدد حروف كلمة "كذب".

(٣) الرسالة ٤١ من الجزء الثالث.

(٤) المرجع نفسه.

(٥) المرجع نفسه.

سابعاً - أي حكمة في قول أصحاب الحكمة هذا: «أنتم ترونهم من حيث لا يرونكم. أنتم بما في أيديهم عارفون، وهم عما في أيديكم غافلون، وعما اقتبستموه من نور الحكمة محجوبون. لقد أخرجسوا ونطقتهم، وأبكموا وسمعتهم، وعموا وأبصرتهم، وجعلوا وعرفتم»^(٦) ... هل هي بالفعل حكمة أن يكون أصحاب الحكمة مغلقين على غيرهم، ويريدون من غيرهم أن يكونوا منفتحين عليهم !!! هل هي حكمة أن تستنير بنور الناس، وتبادلهم من عندك الظلمة؟؟؟ تربأ الحكمة بأصحابها أن يمنعوها عن سائر البشر، ويوصدوا أبوابها عليهم، فيحجزوها في كتبهم.

ثامناً - أي حكمة أم تدليس في أن تُظهر عكس ما تُبطن، وتُعلن غير ما تكتُم؟ أي حكمة في أن يُعلن أصحاب الحكمة إسلامهم مثلاً، فيما هم يسبون الإسلام، ويشتمون المسلمين ونبيهم، ويلعنون الكعبة والحجر الأسود؟! إسمع نصيحة أصحاب الحكمة: «عليكم بالاستتار بالمألوف عند أهله»^(٧). والمألوف عند المسلمين أن يُقيموا الدين ويُتموا فرائضه. أما أصحاب الحكمة فيتسترون بهذا المألوف، ويقصدون غرضاً آخر أعلنت حقيقته في «كتاب النقض الخفي»^(٨)، الذي أبطل كل أركان الإسلام ونقضها ركناً ركناً.

تاسعاً - إن السر في جوهره وحقيقته مجموعة عقائد ومعارف تكشف خفاياها فتبدو لك خفايا أخرى. وكلما عالجت مظهرها منها بانت لك مظاهر أخرى كثيرة. فالسر في تحديده، وفي مفهومه الديني، غني لا يفتقر. وكلما عالجتُه، وتُت في ثناياه، زدتُه غنى، وزادك من غناه. وليس ككتمانِه

(٦) رسالة التحذير والتنبيه، ٣٣، الجزء الثاني.

(٧) المرجع نفسه.

(٨) الرسالة رقم ٦ من الجزء الأول.

ما يُفَقِّرُ مَعْنَاهُ، وَيُحَدُّ مِنْ أُبْعَادِهِ. وَغْنَى السِّرِّ أَوْجَبَ الْوَحْيَ، بَنُوْعُ أَنَّهُ لَا قِيَمَةَ لِلْوَحْيِ، وَلَا فَائِدَةً مِنْهُ إِنْ لَمْ يَنْطُ مَبَاشَرَةً بِإِعْلَانِ اللَّهِ عَنْ سِرِّهِ.

عاشراً - إِنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ تَقُومُ عَلَى إِعْلَانِ سِرِّ الْخِلَاصِ. وَسِرُّ الْخِلَاصِ هَذَا هُوَ سِرُّ الْحِكْمَةِ. وَالْحِكْمَةُ عَلَى نَوْعَيْنِ: حِكْمَةُ اللَّهِ وَحِكْمَةُ الْبَشَرِ. الْأُولَى تُعْلَنُ وَلَا يُفَقَّرُ إِعْلَانُهَا غِنَاهَا، وَالثَّانِيَةُ يُمْنَعُ إِعْلَانُهَا لِیُوهِمَ كَتْمَانُهَا غِنَاهَا. تَسْمَعُ مِنْ سَجَلَاتِ الْحِكْمَةِ: «إِنَّ هُنَاكَ حِكْمَةً نَتَكَلَّمُ عَلَيْهَا بَيْنَ الْكَامِلِينَ، وَلَيْسَتْ بِحِكْمَةِ هَذِهِ الدُّنْيَا، وَلَا بِحِكْمَةِ رُؤَسَاءِ هَذِهِ الدُّنْيَا، وَمَصِيرُهُمْ لِلزَّوَالِ. بَلْ نَتَكَلَّمُ عَلَى حِكْمَةِ اللَّهِ السَّرِّيَّةِ الْخَفِيَّةِ، الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لَنَا قَبْلَ الدَّهْورِ... إِنَّهَا حِكْمَةٌ لَمْ يَعْرِفْهَا أَحَدٌ مِنْ رُؤَسَاءِ هَذِهِ الدُّنْيَا... وَإِنَّا لَا نَتَكَلَّمُ عَلَيْهَا بِكَلَامٍ مَأْخُوذٍ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَشَرِيَّةِ، بَلْ بِكَلَامٍ مَأْخُوذٍ عَنِ الرُّوحِ»^(٩).

هَذِهِ الْإِعْتِبَارَاتُ الْعَشْرُ جَعَلْتُنَا نَقَرُّ إِعْلَانَ سِرِّ الْحِكْمَةِ. وَفَضِيلَةُ إِعْلَانِهِ تُعَادِلُ فَضِيلَةَ كَتْمَانِهِ. وَقَدْ يَكُونُ إِعْلَانُهُ أَقْلَّ خَطَرًا مِنْ كَتْمَانِهِ، لِأَنَّ الْخَيْرَ الْعَظِيمَ يَكْمُنُ فِي أَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ غْنَى اللَّهِ وَسِرَّهُ اللَّهِ، وَأَنْ يَتَبَادَلُوا الْمَعْرِفَةَ، وَيَتَعَاوَنُوا عَلَى مَعْضَلَاتِ الْبَشَرِ وَحَلِّهَا، وَيُحَطِّمُوا الْحَوَاجِزَ وَالْعَوَاقِقَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ... بِذَلِكَ يَعْمُ الْخَيْرُ، وَتُرْجَى السَّعَادَةُ، وَتُبْنَى الْمَجْتَمَعَاتُ الْفَاضِلَةُ وَالْأَوْطَانُ الثَّابِتَةُ، وَتَتَأَسَّسُ الْفَضِيلَةُ، وَتَشْمَلُ الْمَحَبَّةُ، وَيَتِمُّ التَّفَاهُْمُ وَالتَّعَاوُنُ وَالسَّلَامُ...

يَكْفِينَا مِنْ هَذِهِ الْحُجَجِ أَنَّنا نَرِيدُ أَنْ نَعْرِفَ، وَنَرِيدُ أَنْ نُعْلِنَ مَا نَعْرِفُ، وَنَرِيدُ أَنْ نَشْرِكَ سَوَانَا بِمَا نَعْرِفُ. مِنْ حَقِّ الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ، وَمَنْ عَرَفَ

واقتنع من حقّه أن يسعى إلى تحقيق ما اقتنع به ورغب فيه. وإذا ما كانت القناعة والرغبة في المعرفة تتعلّقان بالخلاص والمصير الأخير، وجب السعي والتضحية في سبيل ذلك. ومن منع عن البشر خلاصهم فلأنّه قصد هلاكهم. لهذا نريد ولوج سرّ الحكمة مهما كلف الأمر. ونريد من أصحاب "الحكمة" أن يساعدونا على معرفة الخير الذي في "حكمتهم". ولا أحد في الكون يستطيع أن يمنعنا عمّا نحن عازمون عليه. إننا نريد أن نعالج كلّ سرّ، فإمّا تنهار حرمتُه فيفتقر، وإمّا يصمد عند ولوجنا فيه فيفيدنا من غناه. وفي كلا الحالين نستحقّ شكر أهله.

٢ . في مواجهة مخطوطات الحكمة

توجد كتب الحكمة في مجموعة اسمها «رسائل الحكمة». وهي كتاب الموحدين الدروز المقدّس. فيها عقيدتهم، ونظرتهم إلى الكون والإنسان. وعليها معتمدتهم في تحديد قيمهم ومبادئهم. ومنها تعاليمهم وآدابهم. وفيها قوانينهم الدينيّة والاجتماعيّة...

تحتوي «رسائل الحكمة» على مجموعة من ١١١ رسالة، «جمّعها المغفور له الأمير عيسى التتّوخي»^(١٠) في ستّة كتب. وقد جمع إليها الأمير عبد الله جمال الدين التتّوخي (١٤١٧-١٤٧٩) السجّلات الأربعة في أوّل الكتاب..

هذه الكتب الستّة هي التالية:

(١٠) هو الجدّ الخامس للأمير عيسى التتّوخي المعاصر للأمير السيّد. لم يذكره الأشرفاني في كتابه الشهير "عمدة العارفين".

مقدمة عامة ١١

الكتاب الأول، ويسمى "السَّيَر". عدد رسائله ١٤ رسالة. أولها "السَّجَل"، وآخرها "رسالة السبب". عدد كلماته: ٢٩ ٤٠٠ كلمة.

الكتاب الثاني، ويسمى "الرد". فيه ٢٦ رسالة. أولها "الرسالة الدامغة"، وآخرها "شعر النفس". عدد كلماته: ٢٣ ٨٠٠ كلمة.

الكتاب الثالث، ويسمى "الجزء". فيه ١٥ رسالة. أولها رسالة "الجزء"، وآخرها رسالة "التعقب". عدد كلماته: ٢٢ ٥٠٠ كلمة.

الكتاب الرابع، ويسمى "الإيقاظ". فيه ١٣ رسالة. أولها رسالة "الإيقاظ"، وآخرها رسالة "السفر". عدد كلماته ٢٠ ٢٠٠ كلمة.

الكتاب الخامس، ويسمى "المعراج". فيه ٧ رسائل. أولها رسالة "المعراج"، وآخرها "الرد على أهل التأويل". عدد كلماته ١٩ ١٠٠ كلمة.

الكتاب السادس، ويسمى "التوبيخ". فيه ٣٦ رسالة. أولها "التوبيخ لابن البربرية"، وآخرها "منشور الغيبة". عدد كلماته ٢٥ ٠٠٠ كلمة^(١١).

أما المكتبات التي تحتوي على مخطوطات الرسائل الدرزية فكثيرة في العالم. نذكر أهمها لمن يريد الحصول عليها، علماً بأن مخطوطات الرسائل كثيرة في الخلوات وعند المشايخ، ومع كثيرين من غير الدروز، في مكتبات وطنية، خاصة وعامة، نخشى من ذكرها، وفي مكتبات عالمية، نذكر منها:

المتحف البريطاني لندن: الجزء الأول ١١٤٣، الجزء الثاني ١١٤٤،
الجزء الرابع ١١٤٧، الجزء الخامس والسادس ١٣٨. مكتبة كمبردج:

(١١) راجع توفيق سليمان، أضواء على تاريخ مذهب التوحيد، بيروت، كانون الأول سنة ١٩٦٣، دار ألف ليلة وليلة، ص ٢٩-٣٢.

الأرقام: ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦، ١٣٦٥. مكتبة مانسستر ريلند:
 ١١٢، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١. مكتبة برنستون-جاريت: ١٦١٣،
 ١٦١٥، ١٦١٦. أكسفورد: ٤٢٠-٤٢٨، ٤٢٩-٤٣٢. المكتبة الوطنية
 باريس: ١٤٠٨-١٤٣٦. ألفاتيكانية: ٩٠٩، ١٣٤٠، ٣٧٩، ٧٢١، ٩١٠،
 ٩٣٣، ١٣٣٢، ١٣٣٥، ١٣٣٧، ١٣٤٨، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣: الأجزاء الستة.
 منشن: ٢١٧-٢٢٤. لِيْدِن: ١٩٧٨، ٢٠١. برلين: ١٨٧٠، ١٥٥٠، ١٤٠٣-
 ١٤٠٧، ٢٠٩٩، ١٤٠٨، ١٤٠٩: الأجزاء الستة. ثم ٨١٩، ٨١٥، ٨١٤:
 الأجزاء الستة أيضاً. جمعية المستشرقين الألمانية: ١٢٧ و ١٢٨، أي: الجزءان
 الأوّل والثاني فقط. ليننجراد المتحف الآسيوي: ٩٦-١٠٠: الأجزاء الستة.
 أبسال (نورنبرج): ٥٠١-٥٠٤: الأجزاء جميعها ما عدا السادس. مكتبة
 فيينا: ١٥٧٣ كاملة. المكتبة البودليينية: ٤١٦-٤١٨ وفيها الثالث والرابع
 والخامس والسادس. المكتبة التيمورية (دار الكتب المصرية): ٢٧٦ عقائد،
 ٦٧١ ويحتوي على ٣٤ رسالة، ٦٦٢ عقائد. دار الكتب المصرية بالقاهرة،
 قسم عقائد النحل: ٢٠ و ٣٥ و ٣٧ و ٣٩ و ٥٤ و ١٣٣ و ١٣٨.

هذه الرسائل عدّها أيضاً الدكتور محمد كامل حسين^(١٢)، والدكتور
 عبد الرحمن بدوي^(١٣). أمّا سلفستردى سَاسِي^(١٤)، فيزيد عليها رسالتين
 يعترف بعدم أصالتها، وهما: «الرسالة الموسومة بالأسرار ومجالس
 الرحمة للأولياء والأبرار»، و «الرسالة الموسومة بمجالس الرحمة».

وإنّا، تقديراً لفائدتها التاريخية، ولعقيدها الدينية، ولنظرتها
 الكونية، عمدنا إلى تيسيرها ونشرها، حريصين كلّ الحرص على الأمانة

(١٢) طائفة الدروز، تاريخها وعقائدها، دار المعارف بمصر، ص ٩٢-١٠٣.

(١٣) مذاهب الإسلاميين، الجزء الثاني، دار العلم للملايين، ص ٥١٤-٥٤٨.

(١٤) S. de Sacy, Religion des Druzes I, p. CCCCXCV (١٤)

والدقة في نقلها، آخذين بنصيحة «السجل الذي وجد معلقاً على المشاهد»، والذي يقول: «لا يُمنع أحدٌ من نسخها وقراءتها... حرامٌ حرامٌ على مَنْ لا ينسخها ويقراها على التّوابين... حرامٌ حرامٌ على مَنْ قدر على نسخها وقصّر»^(١٥).

٣ . كيفية تصنيف الرسائل

يعود تاريخ تصنيف الرسائل الى الفترة الممتدة ما بين سنة ٤٠٨ وسنة ٤٣٤ هجرية، أي من بدء الدّعوة الدرزية حتى إقفالها. وقد يكون هناك رسائل من غير هذا التاريخ، كما أنّ هناك رسائل غير مؤرّخة؛ لذا عليها ملاحظات تجيء في كلامنا على كلّ رسالة بمفردها. وقد يكون أيضاً اختلاف في ترتيب الرسائل: فبعضها يتقدّم على بعض، من الوجهة التاريخية، إلّا أنّنا احتفظنا بالترتيب المتبع، حفظاً منّا لقدسيّة المؤلف.

والذين ألفوا الرسائل ثلاثة. الأوّل: حمزة بن علي بن أحمد من مدينة زوزن في خراسان، وهو مؤسس الدّين، الملقّب بـ «العقل»، وبـ «قائم الزمان»، و «هادي المستجيبين». والثاني: إسماعيل بن محمد بن حامد التميمي، الملقّب بـ «النفس»، وبـ «صفوة المستجيبين»، وهو صهر حمزة ووكيله في الدّين. والثالث: بهاء الدين أبو الحسن علي بن أحمد السموقي، الملقّب بـ «التالي» وبـ «المقتنى»، وبـ «الجناح الأيسر»، الذي وضع ثلثي الرّسائل؛ وهو آخر «الحدود الخمسة» الذي به أغلقت الدّعوة التوحيدية.

و «رسائل الحكمة» على أنواع:

(١٥) نسخة السجل الذي وجد معلقاً على المشاهد، الجزء الاول، رقم ١.

منها ما هو سجلات، وُضعت في أيام الحاكم، قبل بدء الدعوة؛ وهي لا تمت إلى عقيدة التوحيد بأية صلة؛ بل هي أقرب إلى العقيدة الفاطمية الإسماعيلية؛ وهي الرسائل الأربع الأول. احتفظ بها الدروز في بدء «المعلوم الشريف»، وهو إسم آخر لرسائل الحكمة، ابتغاءً للتمويه وتبريراً لانتمائهم ظاهرياً إلى الإسلام.

ومنما ما هو رسائل بُعثت إلى أشخاص كانوا على مكانة عالية في الدولة، أو إلى أشخاص ساهموا في نشر الدعوة، أو أيضاً إلى أشخاص ارتدوا عن الدعوة. ومنها ما هو ردٌّ على الخصوم والمرتدين، بأسلوب توبيخ وتأنيب وتحذير وإنذار. ومنها ما هو موثيق وعهود ونصائح وتعاليم في العقيدة. ومنها ما هو مناجاة ودعاء وتقديس، بأسلوب صوفي روحاني رائع. ومنها ما هو تعريف بالدعوة وكشف لعقيدها وحقيقتها.

ومنما ما هو في سيرة الحاكم وحياة حمزة وعلاقته بمعاندي الدعوة وخونتها، وتكليف الدعاة في نشر المذهب وتقليدهم مقاماتهم وألقابهم وأدوارهم. ومنها ما هو رسائل إلى البلدان وأهل المدن والقرى والقبائل في مصر والجزيرة العربية وسوريا ولبنان والعراقين وبلاد الهند واليمن والعرب.. وغيرها.

وأسلوب الرسائل عربيٌّ بليغ، قرآنيٌّ الوقع، متين العبارة: منه النثر ومنه الشعر؛ ومعظمه سجع. مليٌّ بالرموز والألغاز. حافلٌ بالتشابيه والصور. جلّه صعب المنال، عسير الفهم، غريب اللفظ والعبارة. توخّى أصحابه المعاني الباطنية التي لا يدركها إلا مَنْ تمرّس عليها؛ فأعطوا الكلمات مدلولات مجازية بعيدة كلَّ البعد عن مدلولاتها الحقيقية. ومارسوا بأسلوبهم وعباراتهم «التقية»، التي هي التستر والكتمان والتمويه والتدليس، ابتغاءً السرية؛ وذلك صوناً «للحكمة» من غير أهلها، كما يقولون.

وقد لا يفهم كلُّ النَّاسِ أسلوبَ رسائلِ الحكمة إن لم يتزود له بالمعاجم الدرزيَّة المتخصَّصة، وإن لم يكن بارعاً ضليعاً في فنِّ التأويل الباطني.

أضف إلى معميَّات الأسلوب استعمالَ الألوان ورمزيَّتها، وهي خمسة ألوان: الأخضر، والأزرق، والأحمر، والأصفر، والبنفسجي. وترمز إلى «الحدود الخمسة»: العقل، والنفْس، والكلمة، والسابق، والتالي. وهي اليوم تؤلّف ألوان العلم الدرزي.

ثم نجد في النصِّ، فوقَ بعض الكلمات، نقطاً سوداءَ وحمراءَ، يختلف عددها بين الخمسة أو السبعة أو التسعة أو الإثني عشرة، أو الثمانية والعشرين، أو الثلاثين. وهي تدلُّ على حدود دعوة التوحيد والحجج والدعاة والنَّذر..

ثم نرى أيضاً بعض الكلمات الهامَّة المألوفة المختصرة، مثل: تو: توحيد، عق: عقل أي حمزة، نف: أَلنفس أي التميمي، ل: لاهوت، ن: ناسوت. وغير ذلك. وكثيراً ما نرى أيضاً تفسيراً للأرقام، وحروف اللُّغة، ومدلولاتها، واستعمال بعض الالفاظ الأعجميَّة، وغير ذلك...

تُكتب «رسائل الحكمة» باليد، وتُنسخُ نسخاً. ولا تُطبع. والخطُّ فيها جميل رائع. كلُّها مشكَّلة بحيث يسهل على القارئ قراءتها، من دون صعوبة، ولكن أيضاً من دون إدراك معانيها بسهولة.

ويزيد في تعقيد فهمها كيفيَّة تأليفها: فالرسالة الواحدة تؤلّف مقطعاً واحداً، لا عودة فيه إلى مقطعٍ جديد إلاّ بعنوان رسالة جديدة. والرسالة الواحدة تتضمن جملة موضوعات ونظريَّات في الدِّين والفلسفة والأخلاق والاجتماع، ممَّا اضطرَّنا إلى تقطيعها فقرات فقرات، ليسهل على القارئ بعضُ الفهم. وتتراوح الرسائل في الطول ما بين الصفحة والخمسين صفحة.

ولكثرة ما نُقِلَتِ الرسائلُ ونُسِخَتْ على أيدي نساخٍ غيرِ جديرين، وَقَعَ فيها أخطاء لغوية كثيرة جداً، وأخطاء في التنقيط والتشكيل وتبديل بعض الحروف المتقاربة، مثل الذ والد، الش والس، الر والز وغيرها...

وكثيراً ما نرى أيضاً فاعلين لفعل واحد، وهو المؤلف في الرسائل، كما نرى الهمزة في غير مكانها الصحيح. والخلط بين الـة والـه والألف الممدودة والألف المقصورة كثير جداً... ولم نحاول تصحيحها ولا الإشارة إليها، لكثرتها، ولعلمنا بأنها لا تخفى على القارئ، ثم تحاشياً للحواشي الكثيرة في أسفل الصفحات؛ إلا أننا أشرنا مراراً إلى آيات القرآن ومراجعها، وآيات الأناجيل التي وردت في الرسائل، قاصدين التلميح إلى ما للقرآن والأناجيل في تأليفها من دور... ولكن، ليفهم القارئ، منذ الآن، أن كل ما أخذ عن القرآن والأناجيل يخضع للتأويل الباطني والمفهوم الدرزي الخاص.

٤ . عقيدة الحكمة الدرزية

تتضمن «رسائل الحكمة» تعاليم الدروز في الله ووحدانيته، وتجليه الإلهي عبر الدهور، وتعاليمهم في بدء الكون والخلق والإنسان والتقمص والمعاد والحساب واليوم الأخير... إنها نظرة كاملة شاملة متماسكة، تؤلف العقيدة والشرعة والدين بتمامه.

وهي تختلف اختلافاً عميقاً وجوهرياً عن الإسلام، مع أنها نشأت في ظله، واعتمدت على كتابه. وتختلف عن اليهودية والنصرانية، وتقف منهما موقفاً مضاداً. ومع هذا يؤلف القرآن والإنجيل والتوراة مصدراً مهماً للعقيدة الدرزية.

غير أنَّها تجلّ الفلسفة اليونانيّة، وتقَدّس حكماءها كفيتاغورس وأفلاطون وأرسطو وأفلوطين، وسواهم. ولها قرابة من صوفيّة الهند وروحانيّة أديانها، كما لها من فلاسفة المسلمين، كالفارابي وإخوان الصفاء، ومع أهل الصوفيّة أيضاً، أكثر من أثر. ومع عدائها للنصيريّة، فإنّها تتشابه وأياها الى حدّ بعيد جداً.



بوسعنا أن نلخّص العقيدة الدرزيّة الكونيّة بما يلي: لقد مرّت الخليقة، منذ وجودها، في اثنين وسبعين دوراً. ونحن، اليوم، في الدور الأخير منها. وكان الله، في كلّ دور، يتجلّى للعالم، ويكشف عن نفسه، ويظهر في صورة إنسان. فكان ظهوره الأخير في شخص «الحاكم بأمر الله»، الخليفة الفاطمي السادس (٣٨٦-٤١١ هـ/ ٩٩٦-١٠٢١ م). أمّا في الدور الأوّل فكان ظهوره باسم «العليّ الأعلى»، الذي لا نعرف عنه شيئاً.

وكان «العقل الأوّل» أوّل ما «وُجِدَ»، أو «ظَهَرَ» مع العليّ الأعلى. وبيّزاء «العقل» «وُجِدَ» «الضدّ». ثمّ تلا العقل «حدود» أربعة هم: «النفس» و«الكلمة» و«السابق» و«التالي». وفي كلّ دور من الأدوار الإثنين والسبعين تمثّلت هذه الحدود الروحانيّة بصورٍ بشريّة وأشخاصٍ جسمانيّين.

في دور «الحاكم بأمر الله»، تمثّل «العقل» بحمزة بن علي، و«النفس» بإسماعيل التميمي، و«الكلمة» بمحمّد بن وهب القرشي، و«السابق» بسلامة بن عبد الوهّاب السامري، و«التالي» ببهاء الدّين علي بن أحمد السموقي.

على أكتاف هؤلاء الحدود قامت الدّعوة الدرزيّة التوحيدية في الدور الأخير منها، وانكشفت للعالم، وانتشرت في البلاد. وهي مستمرة إلى اليوم في لبنان وسوريا وفلسطين، وبعض بلدان الاغتراب.

وفي العقيدة الدرزيّة أيضاً، جاء العالم «أنبياء سبعة»، هم «النطقاء» الذين نطقوا بشريعة، وأتوا بـ «نواميس تكليفية»، كلّفوا بها الناس بما يفوق طاقاتهم؛ فأبعدوهم، بسبب ذلك، عن الدّين الحقيقي، أي دين التّوحيد؛ كما كان لكلّ «ناطقٍ» «أساس»، أو وكيل، كانت شرائعه أكثرَ وقيعاً بأهل التّوحيد من شريعة الناطق.

فكان أوّل ناطق آدم وأساسه شيث. ولكن لم يكن لهما عزمٌ حتى يأتيّا بشريعة. ثمّ جاء نوح بشريعة جديدة نقض بها تعاليم آدم، وكان أساسه سام. ثمّ جاء إبراهيم وأساسه اسمعيل. ثمّ موسى وأساسه هارون، وبعده يشوع بن نون. ثمّ جاء عيسى وكان أساسه شمعون. ثمّ جاء محمّد وكان أساسه عليّ بن أبي طالب. وجاء أخيراً سعيد بن أحمد المهدي مؤسس الدولة الفاطمية، وكان أساسه القدّاح.

ولمّا «ظهر الحاكم»، كان حمزة، نبيّه وأساسه وإمامه ووزيره ووصيه. بهما ابتدأ دورٌ جديدٌ وشريعة جديدة، نقضت كلّ شريعة قبلها، سُمّيت شريعة «التوحيد»، و«المسلك الثالث». وعاون حمزة حدودٌ أربعة ورَدَ ذكرهم سابقاً.

ثم تستفيض «رسائل الحكمة» في الكلام على ألوهيّة الحاكم وإثباتها بشنّى الطرق، فترى في تصرفاته وأعماله، الشاذّة منها والجديّة، معنى إلهاً وحكمةً سامية تعلو مدارك البشر: فإنّ ليسَ الحاكمُ الصوفَ سبعَ سنين، أو سجنَ النساء في بيوتهنّ سبعَ سنين أيضاً، أو اقتلع أشجار الكرم من كلّ مصر، أو هدّم الأديار والبيع والمساجد، أو نظرَ إلى أصحابه يتقاتلون، أو قتلَ بيده ألوفَ وجهاء الدولة، أو بدّلَ في رأيه وموقفه بين لحظة ولحظة من دون سبب... كلّ هذه أشارات واضحة إلى أنّه ليس من طينة البشر.

ثم تركّز «رسائل الحكمة» على "ظهور" الله في الخلق، فتستفيض في الكلام على أنّ الله لا يعرفه إنسانٌ إلاّ متجلّياً: "ظهر للبشر من حيث هم وكما هم، في صورتهم ومقامهم، طمأنينة لقلوبهم ورأفة بهم" (١٦). وتعتبر الحكمة ان آخر صورة بشرية تجلّى الله فيها كانت صورة الحاكم. هذا هو «المقام» الأخير و«الكشف» الذي لا كشف بعده. به انتهت أدوار الخليقة كلّها. وبه كان تمام الشرائع ونقضها. ومعه ستكون دينونة هذا العالم و«كشف عوار أنبيائه» الذين أضلّوا البشرية، وأزاغوها عن التوحيد الحقيقي.

هذا "الحاكم" سيرجع في آخر الأزمان، ليدين البشر، ويبدّد أعداءه من أمام وجهه، ويبسط ملكه على العالم. وتسبق رجعته رجعة قائم الزمان حمزة، الذي يُعدّ لمجيء الإله الحاكم، ويحطّم «الأضداد» و«الأبالسة» و«المرتدين»، ويكسر الصلبان، ويهدم مكّة «مقطرة الكفر» و«مقيل الأبالسة والشياطين»، وينصر مستجبيه في الدين بعساكره الجرّارة، فيمسي كلّ البشر تحت رايته، ويدخلون جميعهم في ملك لا يزول. ويشمل دين التوحيد، عندئذٍ، الخليقة كلّها.

في «رسائل الحكمة» مواقف صريحة من الأديان والمذاهب المعروفة. وهي مواقف معادية وناقضة لها بالتمام. فهي تبطل نواميسها، وتنقض تعاليمها، وتطعن بأنبيائها، وتسبّ القيمين عليها، وتشتم مراكز عبادتها، وتهزأ بطقوسها، وتعلم بطلان عقيدتها. وهي تؤوّل كل ما في التوراة والأنجيل والقرآن، وترى لها معانٍ تختلف عن الأصل اختلافاً جوهرياً، وتفسّر كلّ ما فيها بما يناسب عقيدة التوحيد. فالمسيح الحقّ هو حمزة، والجنّة هي التوحيد، والنار هو الشرك، والسّدق هم أنبياء الحقّ، والكذب هم أنبياء الضلال، و"بسم الله الرحمن الرحيم" هم حدود حمزة،

(١٦) أنظر في كتاب "بين العقل والنبي"، فصل "التجلّي الإلهي"، ص ١٠١-١٢٦.

وإبليس هو محمد، وهو العجل أيضاً، والشياصبان علي بن أبي طالب، ومسيح النصارى هم "المسيح"...

وفي «رسائل الحكمة» أيضاً دعوة إلى التستّر والتقّيّة وصون الحكمة عن عامّة الناس. وهذا يستوجب استعمال الرموز والألغاز والصّور والتشابه التي لا يفقه معانيها إلا المطلعون على أسرار التأويل والمتمرسون في الباطنيّة: فلحروف اللّغة معانٍ، وللأرقام الحسابيّة معانٍ، ولبعض الكلمات مدلول غير المدلول العادي، وللنقط، بحسب لونها، أوعدها، مدلول، وللألوان أيضاً، ولمخارج الأصوات واستعمال بعض الحروف، كالعين والحاء، مداليل ومعانٍ، بيّنّا تفاسيرها في كتاب "بين العقل والنبي"، رقم ٦ من هذه السلسلة.

أمّا عن أحوال المَعاد فالدرزيّة تؤمن باليوم الأخير، وبرجعة الحاكم وحمزة، وبدينونة عامّة، وحساب عام لجميع البشر، وبثواب وعقاب، وجنّة وعذاب، يستحقّهما كلُّ إنسان بحسب أعماله. ولكنّهما روحانيتان لا مادّيتان كما يعلم القرآن.

ويسبق مصير الإنسان الأخير هذا، أكان في الجنة أو في النار، تقمّص فيه امتحانٌ متعدّد في أجساد بشريّة، إلى أن تتطهّر النّفس وتخلص. وعقيدة التقمّص هذه تحتلّ مكانةً جلييلة في العقيدة الدرزيّة، إذ عليها تبنى شموليّة التوحيد، وشموليّة الأخوة بين البشر، واستمراريّة التاريخ البشري عبر الدهور، وفي أدوار الخليقة المتعاقبة.

والنفوس، في الدرزيّة، محدودة العدد، لا تزيد ولا تنقص، منذ نشأة العالم حتى آخر الدهر. والنفوس، عند خلاصها النّهائي، ستكون كلّها، كما كانت في البدء، على دين التّوحيد. ثمّ إنّ نفوس أكثر من ثلثي البشريّة، هي، اليوم، بحسب العقيدة الدرزيّة، درزيّة. ولئن هي الآن في جسم مسيحيٍّ أو بوذيٍّ أو مسلم...، فإنّها كذلك لأنّها تُمتَحَن، وتُعاقَب، وتتطهّر،

لتخلص وتعود إلى جسم درزيٍّ بارٍّ.. ينتج عن ذلك أمرٌ خطيرٌ للغاية، ألا وهو حقُّ الدرزيِّ على حياة كلِّ إنسانٍ صالحٍ، غيرِ درزيٍّ، ليخلصَ منه نفسه ويعتقها من جسدها الكافر.

وتتناول رسائل الحكمة أخيراً أمورَ الحياة الاجتماعية وأحوال الإنسان الخاصة، فتحدّد مكارم الأخلاق، وتبالغ في السّدقِ مع الموحّدين، وفي الكذب مع غير الموحّدين، وتفرض على الموحّدين الامتناع عن التمتع بما أباحه القرآن من ملذّات الدّنيا الحسّيّة والجنسيّة، وتوجب صون المرأة واحترامها، وتقيد الطلاق، وتشدّد على محبة الإخوان، وتتكلّم على كيفة توزيع الميراث، وتنظيم أحوال الأسرة والزواج... وغير ذلك.



هذه الموضوعات جميعها، وغيرها، تتناولها رسائل الحكمة بإسهاب وتوسّع. وهي متفرّقة هنا وهناك، وموزّعة في أمكنة عديدة منها. وسنتوقّف عندها في بحث شامل في المجلّد المشار إليه. وقد بيّنا فيه تقصيرَ مَنْ كتبوا عن الدرزيّة. وأشرنا إلى الذين أضلّوا الناس، عن قصد ووعي، عن فهم العقيدة الدرزيّة. ومعتمدنا في ذلك، كان أولاً وآخرًا، المصادر الدرزيّة الأساسيّة. وقد رفضنا قولاً شائعاً، تمسّك به المتدينون تمسّكاً سيئاً، وهو: أنّ الحقيقة تتأدّى من جراء شيوعها.

فصون الحقيقة عندنا ليس بكتمانها وسّرها وباعتماد التمويه والتدليس؛ بل بأعلانها وتأييدها كما هي، آخذين بعين الاعتبار كرامة أهل الحكمة واحترامهم ومحبتهم. لهذا، فإنّنا، إنّ كنّا نقصد معرفة الحقيقة وإعلانها وإشراك الناس بها، فإنّنا لا نتحدّى، بحالٍ من الأحوال، كرامة أهلها. لأنّ كرامة الإنسان، عندنا، أوجبُّ علينا من معرفة الحقيقة وكشف الأسرار؛ ولأنّ حقيقة المحبة تفوقُ محبة الحقيقة بدرجات.

بيد أن الإسهام في نشر المعرفة يُثبت، لا محالة، نشر المحبة. لهذا، نبغي طلب الحق ومعرفة الحقيقة وإعلانها. فنوسع، بذلك، مجال الخير والمحبة منشودينا على الدوام. وشمول الحقيقة يوجب دقة في المعرفة.

ولمعرفة الحكمة الدرزية أساليب تختلف عما اعتدناه في كتبنا العادية، وكلمات تحمل معانٍ ورموزاً مغايرة للعرف والمعاجم اللغوية. لهذا، لا بد من ثبوت بأهم الكلمات التي لها مداليل باطنية، أو سرّية، كما لا بد من تفسير بعضها في حواشي الصفحات. واعتمدنا في إثبات ذلك على كتاب «الدرر المضيئة واللمع النورانية». وهذه أهمها:

إبليس: كلمة مؤلفة من: «أب» و «ليس»؛ أي: من ليس له أب؛ أي: ابن زنا. سُمي كذلك لأنّ العقل الكلّي أبدعه من غير مراده. فهو، إذاً، «الضدّ». والضدّ هو الذي يقف أو يعلم الشُّركَ والكفر؛ أي هو ضدّ التوحيد. فمحمّد هو إبليس، وابن زنا، والضدّ. وجميع الأنبياء هم كذلك. ونواميسهم إبليسيّة تكليفية لا فائدة فيها. وكلّهم جاءوا ليهدموا التّوحيد الذي بيّنه حمزة من جديد.

أساس: لكلّ نبيّ ناطقٍ بشريعةٍ أساس، أو وصيّ، أو باب، أو حجة، أو إمام... وعادة ما تقصد رسائل الحكمة بالأساس، علياً بن أبي طالب، الذي هو أساسُ محمّد. وقد سُمي أساساً لأنّه يقوّي النّاطق ويُسندّه في تعاليمه، كما يُسند الأساسُ البناية. وعملُ الأساس خفيّ، تماماً كأساس البناية. لهذا فهو، عادةً، أخطر من عمل النّاطق.

إمام: تُطلق كلمة «إمام» على سبعة وجوه: ١. حقيقة، لإمام الزمان حمزة؛ ٢. مجازية، للمولى تعالى أي الحاكم؛ ٣. إغتصابية، لأئمة الأديان التكليفية؛ ٤. ضرورية، لحدود التوحيد الأربعة؛ ٥. نيابة، للحدود الأربعة

في حضور الإمام الحقيقي حمزة؛ ٦. خلفه، للمقتنى رابع الحدود؛ ٧. قدرة، للخلق أجمعين أي إنَّ رئيس كلِّ قوم يكون عليهم إمامهم.

بسم الله الرحمن الرحيم: عدد حروفها ١٩ تمثل حدود الإمام حمزة، وهم دعاة الجرائر والأقاليم، وحدوده، وصفات قائم الزمان. فكما أنَّ «البسملة» تحتوي هذه الحروف كذلك حمزة يحتويها في معانيها وممثولاتها. وعادة ما تبدئ الرسائل بمثل هذا القول: «حروف بسم الله الرحمن الرحيم دعاة عبده الإمام»، أو «... حدود عبده الإمام»، أو «... صفات عبده الامام»...

باب: هو الإمام، حجة العالم، ومعلمهم، ومدخلهم إلى دعوة التوحيد. وقد أمر الباري أن لا يُفتح خُلفَ الإمام أيُّ بابٍ بعد غلقه، لأنَّه ليس بعدَ دعوة التوحيد دعوةً أخرى. والذين استجابوا نَجَّوا. والذين لم يستجيبوا هلكوا.

البار أو الباري: هو اسم المقام الإلهي الذي ظهر في بداية خُلق البشر. كان اسم «العقل»، في وقته، آدم الصافي، أو شطنيل؛ واسم «الضد» حارت، واسم «الميثاق» العهد، واسم الفرقة الناجية «البن»، واسم فريق الضلال «الجن»..

الباطن والظاهر: أهل الباطن هم أصحاب المذاهب التأويلية. وهم، في الإسلام، الشيعة. وأهل الظاهر هم أهل السنة. أو أيضاً: الظاهر هو التنزيل، والباطن هو التأويل. صاحب الظاهر هو محمد، وصاحب الباطن عليّ.

تنزيل وتأويل: هما كالظاهر والباطن. التنزيل هو الترتيب ومنه سمِّي القرآن تنزيلاً، لأنَّه مرتَّب ومنزَّل من المحلِّ الرفيع إلى جبريل الذي هو سلمان الفارسي، ولا حقيقيَّة في التنزيل ولا خلاص، بل هو مجموعة

شرائع إبليسيّة تكليفيّة لا منفعة فيها؛ والتأويل هو ردّ المرموزات والحقائق المستورة في الشريعة إلى ما كانت عليه أولاً حتى تصير مكشوفة عارية...

التقيّة: يقول الأمير السيّد، أحد أعظم أركان الدرزيّة: «إنّ الأمر في دور الستر بما يطابق الشريعة (الإسلاميّة) جائز، ولو كان تدليساً. والتدليس هو ستر الحقيقة وإظهار ضدّها، كالأمر أنّ محمّد بن عبد الله هو الرّسول الحقيقي. كلّ ذلك غير الحقيقة وتدليس من إمام الزّمان (حمزة) بأمر باريه (الحاكم)»^(١٧). وعلى الدرزيّ أن يمارس التقيّة بإتقان عملاً بتعليم حمزة: «عليكم بحفظها (الحكمة) وصيانتها عن غير أهلها، والاستتار بالمألوف عند أهلها. ولا تنكشفوا عند من غلبت عليه شقوّته وجهله. فانتم ترونهم من حيث لا يرونكم. وأنتم بما في أيديهم عارفون، وعلى ما ألفوه من زخرف قولهم مطّلعون. وهم عمّا في أيديكم غافلون»^(١٨).

الجِدّ: هو من دعاة التّوحيد. سميّ الدّاعي جدّاً لأنّه يجِدّ في طلب العلم من الإمام. وهو لا يستطيع شيئاً من دون إشارة من الإمام.

الحجّة: هو الدّليل السّادق على التّوحيد والبرهان عليه، هو آية البيان والبرهان. مهمّته تقوم على تثبيت الموحّدين في إيمانهم، وإعطائهم الدليل بعد الدليل على إيمانهم الذي اعتنقه أجدادهم في بدء الدّعوة.

الحَدّ: هو الغاية والنّهاية في معرفة علوم الدّين. أَلحدود الرّوحانيّة خمسة، وتتمثّل في أشخاص بشريّة. وهناك أيضاً حدود التّوحيد وعددهم سبعون. وحدود قائم الزمان وعددهم بعدد حروف "بسم الله الرحمن الرحيم"، أي ١٩ حدّاً.

(١٧) أنظر تفسير كشف الحقائق للأمير السيّد التّوّخي، مخطوط، ص ٤٢.

(١٨) أنظر "رسائل الحكمة"، رسالة التحذير والتنبيه، رقم ٣٣.

الحكمة: هي حكمة اللاهوت التي ظهرت في الناسوت، هي حكمة التجسد والظهور، حكمة توحيد الله، وحكمة الكشف والاستتار. من هنا يقال «سرّ الحكمة»...

الحاكم: هو إسم المقام الإلهي الذي ظهر في الدور الثاني والسبعين والأخير للخلقة. وليس بعده إلاّ الجزاء والقيامة. إسم الإمام في وقته: حمزة، واسم الميثاق: الدعوة والميثاق، واسم الفرقة الناجية: الأنس، واسم الضدّ: عبد الرحيم بن الياس. أعيد دين التوحيد في أيام الحاكم كما كان عليه في البدء، ونقض النواميس كلها.

الدور والكور: الدور هو زمن الكشف. والكور هو زمن السّتر. في الدور يتجلّى الله ويكشف عن نفسه، ويعرّف الناسَ عن ذاته. وفي الكور يعود إلى السّتر، وذلك امتحاناً للنّاس، إذ لو بقي ظاهراً مكشوفاً لهم لما كانوا يستحقّون أجراً.

الشريعتان: هما شريعة التنزيل وشريعة التأويل، أي شريعة الناطق محمّد، وشريعة الأساس عليّ. يكتنّى عنهما بـ «الفحشاء والمنكر»، وبـ «الإلحاد والشرك».

الضدّ: كلّ من عاند دعوة التّوحيد، أو خانها، أو حاربها، أو لم يدخل فيها في حينها، هو ضدّ. والضدّ الأعظم هو النّبيّ محمّد. والأضداد الكبار هم الأنبياء الذين "نطقوا" بشريعة سترت دعوة "التوحيد".

الطّم والرّم والحِنّ والخِنّ والجِنّ واليّن: هم أهل شرائع كانوا قبل مقام الباري، أي قبل آدم والخلقة التي ابتدأت به... ولمّا ظهر الباري كان عصر «اليّن»، أي الذين «بانوا»، أي حادوا وابتعدوا عن الضلال الذي لحق بالأمم السالفة.

ظهر: تجلّى، وتجسّد، وكشف عن نفسه. لقد ظهر الله لخلقه بخلقه كخلقه، أي تصوّر لهم بصورتهم النَّاسوتِيَّة. والظهورات هي الكشوفات الإلهيَّة.

العجل: ألعجل هو الضدّ. سُمّي الضدّ عجلاً لأنّه عجول في أمره، أي ناقص العقل، وله خوار كالعجل. كلُّ الأنبياء عجول لأنهم أصداد التّوحيد، والعجل الأعظم محمّد.

العزّيز: إسمه الجسماني نزار، لقبه العزيز بالله، كنيته أبو المنصور، صفته إمام، حقيقته إله. هو الخليفة الخامس في الدولة الفاطميَّة، وهو المقام الإلهي المستتر الذي «ظهر»، في المقام التالي، بالحاكم. كان حكمه ٣٦٥-٣٨٦ هـ/ ٩٧٥-٩٩٦ م.

العرفان: هو العلم الإشرافي الذي يوحيه الله إلى عباده الورعين.
المعرفة: هي ما شوهد من اللاهوت في صورة النَّاسوت.
المعروف: هو التوحيد الذي عُرف في صورة النَّاسوت.
بنو معروف: هم الذين حظّوا بمعرفة اللاهوت في صورة النَّاسوت.

العليّ الأعلى: هو المقام الإلهي الذي ظهر في الدنيا. حدوده الخمسة: العقل، النفس، الكلمة، السابق، التالي. إسم الفرقة الناجية: ألبين أو الموحدون، إسم الميثاق: الجنَّة، إسم الضدّ: إبليس. إنّهُ الظهور الأوّل لله في الكون. بينهُ وبين ظهور الله في «الباري» ٣٤٣ مليون سنة من قول حمزة: «... من وقت إبداعه العقل الكلّي إلى حين ظهور آدم الصفا وسجود الملائكة له، وهو تمام سبعين دوراً، بين كلّ دورٍ ودور سبعون أسبوعاً، بين كلّ أسبوع وأسبوع سبعون عاماً. والعام ألف سنة ممّا تعدّون»^(١٩).

(١٩) أنظر رسائل الحكمة، السيرة المستقيمة، رقم ١٢؛ ورسالة كشف الحقائق، رقم ١٣.

الغيبة: هي على أنواع: غيبة الحاكم الأولى سنة ٤٠٩ هـ، والثانية ٤١١ هـ. وغيبة حمزة الأولى والثانية في التاريخ نفسه. وتسمى هذه الغيبات غيبات امتحان واختبار. ثم غيبة بهاء الدين المقتنى سنة ٤٣٥ هـ، فيها تم إغلاق باب دعوة التوحيد. قيل فيها: «كانت محنة عظيمة على الموحدّين بانقطاع الدّعوة وإبطال نصّ الحكمة». وأخيراً غيبة اللاهوت في الناسوت.

الفترة: هي الوقت الذي اختفى فيه كلُّ ظهورٍ إلهي.

القائم: إسمه الجسماني محمد، لقبه القائم بأمر الله، كنيته أبو القاسم، صفته إمام، حقيقته إله. وفي التاريخ هو الخليفة الفاطمي الثاني، حكم سنة ٣٢٢-٣٣٤ هـ / ٩٣٤-٩٤٥ م.

قائم الزّمان: هو الإمام حمزة بن عليّ، الوسيط الأوحدي في معرفة سرّ الله المكشوف للعالم. وهو "العقل الكلّي"، أوّل الحدود، الذي ظهر مع الله، والذي به كانت الحدود الأربعة المتعلّقة به.

لا إله إلاّ الله: ١٢ حرفاً دليل على ١٢ حجة، و ٧ مقاطع دليل على ٧ نطقاء. ومعناها في الباطن غير معناها في الظاهر الذي هو في الإسلام كفرٌ وتضليل.

الكشف: هو إظهار الشيء عمّا يغطّيه. من ذلك كشف التوحيد لأنّه كان مغطّى بالشرائع ومستوراً بها، وقد كشفه حمزة على رؤوس الأشهاد سنة ٤٠٨ هـ. عندما أعلن دعوة التوحيد.

مأذون: هو الداعي الذي أذن له قائم الزّمان في الكسر والجبر وفكّ الرقاب.

مستجيب: سمّي بذلك لأنّه استجاب إلى دعوة التوحيد.

مكاسِر: هو الذي أصرف فريق الهدى من دعوة التلحيد إلى دعوة التوحيد.

المُعزّ: إسمه الجسماني معد ، لقبه المعزّ لدين الله، كنيته أبو تميم، صفته إمام، حقيقته إله، وهو رابع الخلفاء الفاطميين، حكم سنة ٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٢-٩٧٥م.

المقام: هو صورة الناسوت الذي نراه ونشاهده، هو المكان الذي حلّ فيه اللاهوت عبر الأكوار والأدوار. هو الشخص البشري الذي حظي بحلول اللاهوت.

الموحّدون: هم فريق الهدى الفائزون، هم الذين آمنوا بتوحيد الباري ، وتركوا كلّ شريعة، ظاهرة كانت أم باطنة. يُسمّون خطأ بالدروز.

الميثاق: هو العهد، ويعني حِجّة ورباط على الخلق. به يُصبح الإنسان موحّداً. والميثاق هو في حقيقته "ميثاق وليّ الزمان" الذي كتبه الموحّدون على أنفسهم في بدء الدّعوة، وأخفّوه في مكان مجهول في أحد أهرام القاهرة. وقد يُكشف عنه في آخر الزمان، عندما يعود حمزة بعساكره ليُعيد الحكم للحاكم.

النّاطق: هو «الذي نطق بشريعة». عدد النطقاء سبعة. والنّاطق الذي لعب دور الضدّ العنيد هو النّبّيّ محمّد الذي «أظهر اليبوسة» وهي الشريعة النّاموسيّة، وهي دين التلحيد، وهي سموم ونار محرّقة، لا ضياء فيها ولا نور، ولا شفاف ولا هدى».

الوصيّ: هو الأساس. والأوصياء سبعة جاؤوا بشريعة الباطن الشرّكيّة. وهي أخطر من شريعة الظاهر، نظراً لما لها من قرابة بالتوحيد.

وَلِيُّ الزَّمَانِ: هو أيضاً حمزة بن عليّ.

من الواضح أنّ هذه الكلمات والتعابير ليست كلّ ما في المعجم الدرزيّ. بل اخترنا أهمّها. آملين العودة إليها وإلى غيرها في حواشي "رسائل الحكمة"، وفي كتاب "بين العقل والنّبي"، الذي هو عرضٌ لنشأة الدرزيّة، وتاريخ الدروز، وتفسيرٌ للعقيدة الدرزيّة وتعاليمها.

رسائل الحكمة

الجزء الأول

ولم يكذب بيوم الدين^(٤)، وكان بالغيب من المسدقين به^(٥) والموقنين، واعتقد أن الساعة آتية بغتة لا ريب فيها^(٦)، وأن الله لا يضيع أجر المحسنين^(٧)، ولا عدوان إلا على الظالمين، المردة الشياطين، الفسقة المارقين، وكل حلاف مهين، الناكثين الباغين، المفسدين الطاغين، أهل الخلاف والمنافقين، المكذبين بيوم الدين، المغضوب عليهم والضالين^(٨). والحمد لله حمد الشاكرين، حمداً لا نفاد لآخره أبد الأبدين.

وصلّى الله على سيّد المرسلين، محمد المبعوث بالقرآن إلى الخلق أجمعين، ومبشراً ونذيراً بأئمة من ذريته هادين مهديين، كراماً كاتبين، شهداء على العالمين، ليبينوا للناس ما هم فيه يختلفون، وعنه يتساءلون، ويرشدونهم إلى النبا العظيم والصراط المستقيم، سلام الله السني السامي عليهم إلى يوم الدين.

أما بعد أيها الناس فقد سبق إليكم من الوعد والوعظ من ولي أمركم وإمام عصركم وخلف أنبيائكم وحجة بارئكم وخليفته الشاهد عليكم بموَبقاتكم^(٩)، وجميع ما اقترفتُم فيه من الإغذار والإنذار ما فيه بلاغ لمن سمع وأطاع واهتدى، وجاهد نفسه عن الهوى، وآثر الآخرة على الدنيا. وأنتم مع ذلك في وادي الجهالة تسبحون، وفي تيه الضلالة تخوضون وتلعبون، حتى تُلاقوا يومكم الذي كنتم به

(٤) سورة الماعون ١/١٠٧، أنظر أيضاً ٧/٩٥، ١١/٨٣ وغيرها

(٥) ورد في المقدمة العامة تفسيراً للفظ «السدق» وكتابتها بحرف الـ «س».

(٦) يرد هذا التعبير في القرآن حوالي الـ ٤٨ مرة.

(٧) القرآن: ٩/١٢٠، ١١/١١٥، ١٢/٩٠؛ أنظر أيضاً: ٣/١٧١، ٧/١٧٠...

(٨) سورة الفاتحة. هذه التعبيرات ومثولاتها كثيرة جداً في الرسائل.

(٩) الموبقات هي الذنوب. واقترب تعني اكتسب....

تَوَعَّدُونَ. كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ
عِلْمَ الْيَقِينِ^(١٠).

وقد علمتم معشر الكافة أن جميع ما ورثه الله تعالى لوليه
وخليفته في أرضه أمير المؤمنين، سلام الله عليه، من النعم الظاهرة
والباطنة، قد خول إمام عصركم لشريفكم ومشروفكم من خاصتكم
وعامتكم من ظاهر ذلك وباطنه على الإكثار والإمكان بفضلته وكرمه
حسب ما رأى، سلام الله عليه، ولم يبخل بجزيل عطائه. وهناك، منه
منه مع ذلك ما أوجب الله تعالى له عليكم في كتابه من الحق، فيما
ملكته أيمانكم، ولم يشاركنكم في شيء من أحوال هذه الدنيا نزاهة
عنها، ورفضاً منه لها، على مقداره ومكنته، لأمر سبق في حكمته. وهو
سلام الله عليه أعلم به.

فأصبحتم، وقد حُرِّزْتُمْ من فضله وجزيل عطائه، ما لم ينل مثله
بشر من الماضيين من أسلافكم، ولا أدرك قوة أنبياء منه أحد من الأمم
الذين خلوا من قبلكم، من المهاجرين والأنصار، في متقدم الأزمان
والأعصار. ولم تتالوا ذلك من ولي الله باستحقاق ولا بعمل عامل منكم
من ذكر وأنثى، بل منه عليكم، ولطفاً بكم، ورأفة ورحمة واختباراً
ليبلوكم أيكم أحسن عملاً، ولتعرفوا قدر ما خصصكم به في عصره
من نعمته وحسن منته وجميل لطفه وعظم فضله وأحسانه دون من قد
سلف من قبلكم.

فاشكروا الله ووليّه كثيراً على ما خولكم من فضله. ولعلكم
تشكرون وتعملون عملاً يرضي ويضاهي أعمال الأمم السالفين
أضعافاً حسب ما ضاعفه لكم ولي الله في عصره، من نعمه الظاهرة

الجليلة من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام، إلى غير ذلك من الأرزاق والأقطاع والضبياع وغيره من أغراض الدنيا على اختلاف أصناف إحسانه. وَرَقًا (كذا) خاصَّتكم وعامَّتكم إلى الدرجات العالية والرتب السانية لتقفوا مسالك أولي الأبواب. وأمركم وشرفكم بأحسن الألقاب. ومولكم في الأرض مشرقاً ومغرباً وسهلاً وجبالاً وبراً وبحراً. فأنتم ملوكها وسلطينها وجباة أموالها تُفكُّ لكم بمادة ولي الله الرقاب، وتنقاد إليكم الوفود والأحزاب. وإن تعدوا نعمة الله لا تُحصوها فَعِشْتُمْ في فضل أمير المؤمنين، سلام الله عليه، رغداً بغير عمل وترجون من بعد ذلك حُسْنَ مآب.

ومن نعمة الباطنة عليكم تمسُّكم في ظاهر أمركم بموالاته تعتزُّون بها في دُنْيَاتِكُمْ، وترجؤون بها نجاتكم، والفوز في آخرتكم، فقد تمنَّون على الله وعلى وليه بإيمانكم، بل الله يمنَّ عليكم أن هداكم إلى الإيمان^(١١). فأنتم متظاهرون بالطاعة متمسكون بالمعصية، ولو استقمتم على الطريقة الوسطى لأسقيتم ماءً غدقاً^(١٢).

ثم من نعمة الباطنة عليكم إحياءه لسنن الإسلام والإيمان التي هي الدين عند الله^(١٣). وبه شُرِّفْتُمْ وطُهِرْتُمْ في عصره على جميع المذاهب والأديان، وميَّزكم من عبدة الأوثان، وأبانهم عنكم بالزلة والحرمان، وهدم كنائسهم ومعالم أديانهم وقد كانت قديمة من قدم الأزمان، وانقادت الذمَّة إليكم طوعاً وكرهاً، فدخلوا في دين الله

(١١) راجع: سورة الحجرات ٤٩/١٧.

(١٢) الطريقة الوسطى هي طريق الهدى. الماء الغدق، أي الصافي.

(١٣) سورة آل عمران ٣/١٩.

أَفْوَاجاً^(١٤). وَبَنَّا (كَذَا) الْجَوَامِعَ وَشَيْدَهَا، وَعَمَّرَ الْمَسَاجِدَ وَزَخَرَفَهَا. وَأَقَامَ الصَّلَاةَ فِي أَوْقَاتِهَا، وَالزَّكَاةَ فِي حَقِّهَا وَوَاجِبَاتِهَا. وَأَقَامَ الْحَجَّ وَالْجِهَادَ. وَعَمَّرَ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامَ، وَأَقَامَ دَعَائِمَ الْإِسْلَامِ. وَفَتَحَ بِيوتَ أُمُومَالِهِ، وَأَنْفَقَ فِي سَبِيلِهِ، وَخَفَّرَ الْحَاجَّ بَعْسَاكِرَهُ، وَحَفَرَ الْآبَارَ، وَأَمَّنَ السَّبِيلَ وَالْأَقْطَارَ، وَعَمَّرَ السَّقَايَاتِ، وَأَخْرَجَ عَلَى الْكَافَّةِ السَّدَقَاتِ، وَسَتَرَ الْعُورَاتِ، وَتَرَكَ الظُّلَامَاتِ، وَرَفَعَ عَنْ خَاصَّتِكُمْ وَعَامَّتِكُمُ الرُّسُومَ وَالْوَاجِبَاتِ، الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَفْتَرَضَاتِ.

وَقَسَمَ الْأَرْضَ عَلَى الْكَافَّةِ شَبْرًا شَبْرًا، وَدَاوَلَهَا بَيْنَ النَّاسِ أَحْيَانًا وَدَهْرًا، وَفَتَحَ لَكُمْ أَبْوَابَ دَعْوَتِهِ، وَأَيَّدَكُمْ بِمَا خَصَّهُ اللَّهُ مِنْ حِكْمَتِهِ، لِيَهْدِيَكُمْ بِهَا إِلَى رَحْمَتِهِ، وَيَحْكُمَكُمْ بِهَا عَلَى طَاعَتِهِ، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لَتَبْلُغُوا مَبَالِغَ الصَّالِحِينَ.

فَشَنَيْتُمْ^(١٥) الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ، وَكَفَرْتُمْ الْفَضْلَ وَالنَّعْمَةَ، وَنَبَذْتُمْ ذَلِكَ وَرَاءَ ظَهْوَرِكُمْ، وَأَثَرْتُمْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا كَمَا آثَرُوهُ قَبْلَكُمْ بَنُوتًا (كَذَا) إِسْرَائِيلَ فِي قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمْ يَجْبِرْكُمْ وَلِيُّ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَغَلَقَ بَابَ دَعْوَتِهِ، وَأَظْهَرَ لَكُمْ الْحِكْمَةَ، وَفَتَحَ لَكُمْ خَارِجَ قَصْرِهِ، دَارَ عِلْمٍ، حَوَتْ مِنْ جَمِيعِ عُلُومِ الدِّينِ وَآدَابِهِ، وَفَقَّهِ الْكِتَابِ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْقَضَايَا وَالْأَحْكَامِ مِمَّا هُوَ فِي صَحْفِ الْأَوَّلِينَ، صَحْفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى^(١٦)، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وَأَمَدَّكُمْ بِالْأَوْرَاقِ وَالْأَرْزَاقِ، وَالْحَبْرِ وَالْأَقْلَامِ، لَتَدْرِكُوا بِذَلِكَ مَا تَحْضُونَ بِهِ وَتَسْتَبْصِرُونَ. وَبِهِ مِنَ الْجَهْلِ تَفُوزُونَ. وَقَدْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ

(١٤) سورة النصر ١١٠/٢.

(١٥) من «الشين» تعني: أبيضتم.

(١٦) أنظر القرآن: ٢٠/١٣٣؛ ١٨/٨٧؛ ٥٣/٣٦؛ ٨٧/١٩.

ذلك في طلب بعضه تجهدون، فرفضتموه وقصّرتم، وعن جميعه أعرضتم إعراض المضلّين، ولم يزدكم ذلك إلّا فراراً، ومال بكم الهوى إلى الموبقات، ومكّنّتم من اكتساب السيئات، ورفضتم العلم، وأظهرتم الجهل، وكثّر بغيّكم ومرحكم على الأرض، حتى كاد لها أن تضجّ إلى الله تعالى فيكم من كثرة جوركم ومرحكم عليها.

ووليّ الله، سلام الله عليه، مكافحٌ لها فيكم رجاءً أن تتيقّظ خاصّتكم، أو تستفيق من السكر والجهل عامّتكم. فما ازددتم إلّا طغياناً وعصياناً واختلافاً. تتناجون بالإفك والعدوان ومعصية الرسول. وعدوّ الله وعدوّ أمير المؤمنين قد قصر عن الفساد يده مخافةً من سطوات وليّ الله، ورَضِي منه بالمسألة والمهادنة حتى ليس لأمير المؤمنين، سلام الله عليه، عدوّ يجاهده، ولا ضدّ يعانده. والكلُّ من هيبته خائف ووجلّ.

وأنتم معشر الخاصّ والعامّ بحضرته تضمّمكم دولته، وتشملكم ولايته، وتلزمكم طاعته. وأنتم مع ما تقدّم ذكره من تعديد مساويكم متحاذقين متعاندين متزاحفين، يجاهد بعضكم بعضاً كالروم والخزَر^(١٧)، جراءةً على الله بغير مخافةٍ منه ولا ترقّب، ولا ينهاكم عن سفك الدماء وهتك الحريم دينّ من الله ولا وقار من إمامكم ولا يقين.

قد غلب عليكم الجهل فلن ترجوا لله وقاراً، ولن تقولوا إنّ إمام عصركم واحد، وإنّ الإسلام والإيمان قد شملكم وجمعكم تحت طاعة الله وطاعة رسوله ووليّه أمير المؤمنين سلام الله عليه، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون^(١٨). فأَيُّ نازلة هي أكبر منها، وأيُّ شماتة للعدوّ يليكم أعظم

(١٧) جيل من الناس متمرّد لم تقرّ بأمامة الحاكم ولا بالوهيته وتوحيده...

(١٨) سورة البقرة ١٥٦/٢.

من مثلها. لقد أصبتم معشرَ الناس في أنفسكم وأديانكم وأصيب فيكم وليُّ الله أميرُ المؤمنين، سلام الله عليه. فلا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم.

أَفَأَمِنْتُمْ أَيُّهَا الْغَافِلُونَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْأَيْكَةِ وَقَوْمِ تُبَّعٍ^(١٩). أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ، أَرَمَ ذَاتَ الْعِمَادِ، الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ. إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ»^(٢٠). وقوله تعالى: «أَلَمْ نَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخَرِينَ. كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ»^(٢١). ومثل هذا كثير في كتاب الله عزَّ وجلَّ ممَّا أَصَابَ أَهْلَ الْعِنَادِ وَالْخِلَافِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ. فَقَدْ غَضِبَ اللَّهُ تَعَالَى وَوَلَّيَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ، مِنْ عَظَمِ إِسْرَافِ الْكَافَّةِ أَجْمَعِينَ. وَلِذَلِكَ خَرَجَ مِنْ أَوْسَاطِكُمْ. قَالَ اللَّهُ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ: «وَمَا كَانَ اللَّهُ يَعْذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ»^(٢٢).

وعلامة سخط وليِّ الله تدلُّ على سخط الربِّ تبارك وتعالى. فَمِنْ دَلَائِلِ غَضَبِ الْإِمَامِ: غَلَقُ بَابِ دَعْوَتِهِ، وَرَفْعُ مَجَالِسِ حُكْمَتِهِ، وَنَقْلُ جَمِيعِ دَوَاوِينِ أَوْلِيَائِهِ وَعَبِيدِهِ مِنْ قَصْرِهِ، وَمَنْعُهُ عَنِ الْكَافَّةِ سَلَامَهُ، وَقَدْ كَانَ يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ مِنْ حَضْرَتِهِ، وَمَنْعُهُ لَهُمْ عَنِ الْجُلُوسِ عَلَى مَصَاطِبِ سِقَائِفِ حَرَمِهِ، وَامْتِنَاعُهُ عَنِ الصَّلَاةِ بِهِمْ فِي الْأَعْيَادِ وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَمَنْعُهُ الْمُؤَذِّنِينَ أَنْ يَسْلَمُوا عَلَيْهِ وَقْتَ الْأَذَانِ وَلَا يَذْكُرُونَهُ، وَمَنْعُهُ جَمِيعَ النَّاسِ أَنْ يَقُولُوا مَوْلَانَا، وَلَا يَقْبَلُوا لَهُ التَّرَابَ، وَذَلِكَ

(١٩) القرآن، سورة ٥٠/١٤؛ انظر أيضاً: ٧٨/١٥؛ ١٧٦/٢٦؛ ١٣/٣٨.

(٢٠) سورة الفجر ٨٩/٧.

(٢١) سورة المرسلات ٧٧/١٦ - ١٨.

(٢٢) سورة الانفال ٨/٣٣.

مفترضٌ له على جميع أهل طاعته، وإنهاؤه جميعهم عن الترجل له من ظهور الدواب، ثم لباسه الصوف على أصناف ألوانه، وركوبه الأتان، ومنعه أوليائه وعبيده الركوب معه حسب العادة في موكبه، وامتناعه إقامة الحدود على أهل عصره^(٢٣). وأشياء كثيرة خفيت عن العالم، وهم عن جميع ذلك في غمرة ساهون. استحوز عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله. أولئك حزب الشيطان. ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون^(٢٤).

فقد ترك ولي الله أمير المؤمنين، سلام الله عليه، الخلق أجمعين سدى، يخوضون ويلعبون في التيه والعمى الذي آثروه على الهدى، كما ترك موسى قومه حتى آن الهلاك أن يهجم عليهم وهم لا يعلمون. فخرج عنهم وهم في شك منه مختلفون مذنبون بين ذلك، لا إلى الحق يطيعون ولا إلى ولي الله يرجعون. قال الله تعالى: «ولو ردّوه إلى الله والرسول وأولي الأمر منهم لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُ»^(٢٥).

أيها الناس! كلام الله تعالى أوعظ وأعظم. وبين منه وعظكم بهذه الموعظة من الفقر والحاجة إلى عفو الله تعالى وعفو وليه أمير المؤمنين سلام الله عليه أعظم منكم. فبالنسيان تكون الغفلة، وبالغفلة تكون الفتنة، وبالفتنة تكون الهلكة. وقد قال الله تبارك وتعالى: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول

(٢٣) هذه مظاهر حدثت للحاكم في حياته، وهي غريبة للغاية، ولغرابتها ستكون دليلاً على ألوهيته. والغريب حشر هذه الأمور في "السجل" هذا وهو مباح لكافة الناس. انظر فيما بعد «كتاب فيه حقائق ما يظهر قدام مولانا».

(٢٤) سورة المجادلة ١٩/٥٨.

(٢٥) سورة النساء ٨٣/٤.

لوجدوا الله غفوراً رحيماً^(٢٦). وقال عز من قائل: إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً. إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين^(٢٧). وقال الله تبارك وتعالى: فإذا سألَكَ عبادي عني فإنني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني^(٢٨).

فالبدارَ البدارَ معشرَ الناس أنْ وَقَفْتُمْ عَلَى بَرَّاحٍ مِنَ الْأَرْضِ يَكُونُ أَوَّلَ طَرِيقٍ سَلَكُهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ أَنْ اسْتَرْتُمْ نَضَبُوا أَعْيُنَكُمْ^(٢٩). وَتَجْتَمِعُوا فِيهَا بِأَنْفُسِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ. وَطَهَّرُوا قُلُوبَكُمْ، وَأَخْلَصُوا نِيَّاتَكُمْ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَتَوَبُوا إِلَيْهِ تَوْبَةً نَصُوحاً، وَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ بِأَوَجِّهِ الْوَسَائِلِ بِالْصَّفْحِ عَنْكُمْ، وَالْمَغْفِرَةِ لَكُمْ، وَأَنْ يَرْحَمَكُمْ بِعَوْدَةِ وَلِيِّهِ إِلَيْكُمْ، وَيُعْطِفَ بِقَلْبِهِ عَلَيْكُمْ. فَهُوَ رَحْمَةٌ عَلَيْكُمْ وَعَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ. كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ^(٣٠).

فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ أَنْ يَقْفُو أَحَدٌ مِنْكُمْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَثَرًا. وَلَا تَكْشِفُوا لَهُ خَبْرًا^(٣١). وَلَا تَبْرَحُوا فِي أَوَّلِ طَرِيقٍ يَتَوَسَّلُ جَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ آرَأُونَا. فَإِذَا أَطْلَلْتُمْ عَلَيْكُمْ الرَّحْمَةَ خَرَجَ وَلِيُّ اللَّهِ أَمَامَكُمْ

(٢٦) سورة النساء ٤/ ٦٤ بتصرف.

(٢٧) سورة البقرة ٢/ ٢٢٢.

(٢٨) سورة البقرة ٢/ ١٨٦.

(٢٩) معناه: عندما استتر أمام أعين الجميع.

(٣٠) سورة الأنبياء ٢١/ ١٠٧.

(٣١) من المعروف أن الحاكم غاب، أو اختفى، دون أن يُترك له أثر أو خبر. يروى عنه أنه ركب حماراً، وخرج بأصحابه إلى الجبل ليلاً، فتوارى عن أعينهم، ثم رآوا له قميصاً مزررة، لم تُفك أزرارها، وقد انسل منها وانسحب وغاب. والموحدون لا يزالون منتظرين رجوعه.

باختياره راضياً عنكم، ظاهراً في أوساطكم. فواظبوا على ذلك ليلاً ونهاراً قبل أن تحقّ الحاقّة^(٣٢) وتقرع القارعة^(٣٣)، ويُغلق بابُ الرحمة، وتحلّ بأهل الخلاف والعناد النقمة. وقد أعذّر مَنْ أذَرَّ. ونصح مَنْ قبلكم نفسَه وحذّر. والخطاب لأولي الألباب منكم والتّعيين عليهم. والمشية لله تبارك وتعالى، والتوفيق به، والسلام على مَنْ اتّبع الهدى وخشي عواقب الرّدَى، وسدّق بكلمات ربّه الحسنَى.

وكتب مولي دولة أمير المؤمنين سلام الله عليه في شهر ذي القعدة سنة إحدى عشرة وأربع مائة. وصلى الله على محمد سيّد المرسلين، وخاتم النبيّين، وسلّم على آله الطاهرين وحسبنا الله ونعم الوكيل^(٣٤).

تحتفظ أصحاب العمل بهذه الموعظة من المتّقين. ولا يمنع أحد من نسخها وقراءتها نفّع الله مَنْ وُقِّق للعمل بما فيها من طاعة الله وطاعة وليّه أمير المؤمنين سلام الله عليه.

حرام حرام على من لا ينسخها ويقرأها على التّوابين في جامع أسفل. وحرام حرام على من قدر على نسخها وقصّر. والحمد لله وحده^(٣٥).

(٣٢) انظر سورة الحاقّة ٦٩/١-٣.

(٣٣) انظر سورة القارعة ١٠١/١-٣. راجع أيضاً: ٦٩/٤.

(٣٤) يلاحظ أن هذه الرسالة أو «الموعظة»، وإن كانت الأولى في مجموعة الرسائل، فهي من تاريخ متأخر بالنسبة الى سواها. فمنها ما كتب سنة ٤٠٠هـ ومعظمها يبتدئ سنة ٤٠٨هـ.

(٣٥) الدّعوة إلى نسخ الرسالة ونشرها فريدة في رسائل الحكمة والكتب الدرزية كافّة. والمفروض السريّة التّامة عليها، حتّى على الجهال من الموحّدين.

السجل المنهي فيه عن الخمر

كُتِبَ هذا السجل سنة ٤٠٠ هـ فهو، إذاً، سابق على الدعوة الدرزية، ولا يمتّ إلى عقيدتها بصلّة؛ لأنّه، بخلاف مجموعة الرسائل، يصلي على محمّد، ويقول: «إنّ أحسنّ الأمور عائدة على الإسلام». ثمّ يقدّس فرائض الدين الاسلامي، فينهي عن الخمر، ثمّ يوجب قرائته على الخاصّة والعامة من الرعيّة، فيما سائر الكتب تحتفظ بسرّيّة تامّة، ويمنع قراءتها ويحذّر الاطلاع عليها. ثمّ إنّ الحاكم ليس معبوداً، بل هو، هنا، أمير المؤمنين، وليس لحمزة، قائم الزّمان، أي ذكر، فيما هو في سائر الرسائل مالى الدنيا.

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي أعزّ الإسلام بأوليائه المتّقين، وخصّ حدوده لمن استحقّظه من أئمة دينه وأمنائه الميامين، وصلى الله على جدّنا محمّد خاتم النبيّين، وسيّد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

إنّ أمير المؤمنين، بما قلّده الله ووجّل إليه من أمور الدين والدنيا وجعل كلمته فيها السامية العليا، مصروف الهمة والرأي والروية إلى المحاماة عنهما والمراعاة لنفي خلل يدخل فيهما، والرغبة في إعلا معالهما، والتوقّر على ما شيد دعائهما، والإيثار لما حفظ نظامهما، والعناية بما صار من التغيير والانتقاض لكما لهما وتماهما. والله جلّ وعزّ معين أمير المؤمنين

على ما يرضيه، وموفقاً لما يُزلفه^(١) عنده ويحظيه بمنه وقدرته.

إن أحسن الأمور عائدة على الإسلام والمسلمين. وأجمعهم إصلاحاً في حراسة أصول الدين. نهي الكافة عن الإلمام بالمسكر واستحسان المناكر من الإصرار على المسكر الذي هو مُجمّع السيئات، والقائد إلى قبائح الأفعال والسوءات.

وقد أمر أمير المؤمنين، وبالله توفيقه، بكتب هذا المنشور ليقرأ على الخاص والعام من الأولياء والرعية بالنهي عن التعرض لشرب شيء من المسكر على اختلاف أصنافه وأسمائه وألوانه وطعومه. وكل شراب متاؤل فيه ممّا يسكر قليله وكثيره، وترك التعرض لشربه والأقوال والفتاوى، والنهي عما يتمسك به الرعاع من التأويلات والدعاوى، فإن أمير المؤمنين قد حضر ذلك جملة وأخبره، ونهى عن المسكر واقتنائه واندخاره والتعرض لعمله واعتصاره، حتى تطهر الممالك من سوء آثاره.

وجعل ذلك أمانة في أعناق المخلصين من أوليائه، وبيعته عن أهل طاعته ونصحائه. ووكل إليهم الفحص عنه وإنهاء ما يقفون عليه من أمره. وبراء أمير المؤمنين إلى الله عز وجل من تبعة ذلك وغائلته عاجلاً وآجلاً.

فيعلم ذلك من أمير المؤمنين، ويعمل عليه سائر الأولياء والمؤمنين، ومن شملته دعوة الحق من كافة الناس أجمعين. وليسارعوا لامتناله والحدز من تجاوزه. فقد قرب أمير المؤمنين بأعداء المرسوم أليم العقاب والتنكل، وقبيح النكلة والتبدل. والله حسب أمير المؤمنين ونعم الوكيل.

وكتب في شهر ذي القعدة سنة أربع مائة. والحمد لله وحده، وصلواته على رسوله خاتم النبيين وآله الطاهرين، وسلامه.

(١) يزلفه من «الزلفى» أي يقربه.

خبر اليهود والنصارى

وسؤالهم لمولانا الإمام الحاكم بأمر الله، أمير المؤمنين، صلوات الله عليه، عن شيء من أمر دينهم باعتراضٍ اعترضوه فيه، وإنكارٍ أنكروه عليه. والجوابُ على ذلك بما اختصمهم من القول، وأسكتهم، وانصرفوا مهودرين. والحمد لله رب العالمين^(١).

بسم الله الرحمن الرحيم. حَدَّثَ مَنْ وَثِقَ بِهِ وَسَكَنَ إِلَى قَوْلِهِ مَعَ إِشْهَارِ الْحَدِيثِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، أَنَّهُ حَضَرَ فِي مَوَاقِفِ الدَّهْرِ وَصَاحِبِ الْعَصْرِ، مَوْلَانَا الْإِمَامُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ، إِذْ وَقَفَ، بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْقَرَأَةِ فِي مَقَابِرَ تُعْرَفُ بِقُبَابِ الطَّيْرِ، نَفَرٌ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ. فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ حَسَبَ مَا كَانَ يَقِفُ عَلَى مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ. فَذَكَرُوا أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، وَأَنَّ لَهُمْ حَاجَةً، وَأَنَّهُمْ يَهُودٌ وَنَصَارَى.

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قُولُوا حَاجَتَكُمْ.

فَقَالُوا: نَسْأَلُ حَاجَتَنَا إِذَا أَمْنَتْنَا عَلَى نَفُوسِنَا.

فَقَالَ: إِنَّ طَلِبَةَ الْحَوَائِجِ لَا تَحْتَاجُ إِلَى أَمَانٍ.

فَقَالُوا: هِيَ حَاجَةٌ صَعْبَةٌ وَسُؤَالٌ عَظِيمٌ.

(١) هذا المقطع يؤلف عنوان «الخبر». هذه الرواية هي الأخرى لا تَمُتُ إِلَى عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ بِصَلَةِ. فَالْحَاكِمُ هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَيْسَ مَعْبُودًا، وَالْإِسْلَامُ هُوَ الدِّينُ الْحَقِيقِيُّ، وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَالْبَسْمَلَةُ لَا تَعْنِي «صِفَاتِ مَوْلَانَا»، كَمَا هِيَ فِي رِسَائِلِ الْحِكْمَةِ.

فقال عليه السلام : إسألوا فيما عسى أن تسألوا، ولو كان في الملك.

قالوا: يا أمير المؤمنين! ما هو شيء يتعلّق بأمر الدنيا، وإنّما هو شيء يتعلّق بأمر الدين، و(هو)^(٢) خطرٌ عظيم. فإنْ أَمْنَتْنَا على أنفسنا ذكرناه وسألناك عنه، وإنْ لَمْ تَأْمُنَّا سألناك العفوَ وانصرفنا آمِنين. فعدلك وأمنك قد ملكيا الغربَ والشرقَ، وعطاؤك وجودك قد غمرا جميع الخلق.

قال عليه السلام: إسألوا عما أردتم، وأنتم آمنون بأمان الله تعالى، وأمان جدنا محمد. وأماننا لا منكوثٌ عليكم في ذلك ولا متأوّل.

قالوا: يا أمير المؤمنين! إنّ الذي نسألك عنه خطرٌ عظيمٌ وأمرٌ جسيمٌ. وأنت صاحب السيف والملك، ولا نشكّ في أمانك، ولكننا نخشى من سفهاء الأمة.

قال عليه السلام: قولوا وأنتم آمنون من جميع الناس والأمة.

قالوا: يا أمير المؤمنين! أنت تعلم أنّ صاحب الشريعة الذي هو محمد بن عبد الله، الرسول المبعوث إلى العرب، الذي لهجرته كذا وكذا سنة. — وذكروا عدد السنين التي لهجرته إلى تلك السنة التي خاطبوه فيها—؛ إنّه، حين بُعثَ إلى العرب وجاهد سائر الأمم، لم يسمُنّا الدخولَ في شريعته إلّا إن اخترنا ذلك بلا إكراه وأداء الجزية. ولمْ يكلفنا إلّا هذا. وكذلك كلّ واحد من أئمة دينه، وخلفاء مذهبه، ومتفقّهي شريعته، لم يسمُنّا ما سمّتنا أنت إياه من هدم بيعة وأديارنا وتمزيق كتبنا المنزلة على رسلنا من عند ربنا، فيها حكمة بالحلل والحرام والقصاص، حتى إنك أبحت التوراة والإنجيل، يشدّ فيها الدلوك والصابون، وتباع في الأسواق بسعر القراطيس الفارغة. وقد أخبر صاحب الملة والشريعة عن ربه، فيما نزل عليه أنّ التوراة فيها حكمة الله.

(٢) ما هو بين هلالين إضافة توضيحية من الناشر.

ثم إنّه ذكر في غير موضع في الكتاب المنزل عليه تفخيم أمر رسلنا، والأفاضل من تبايعهم مثل ما هو موجود في كتبنا. وأكثر القرآن المنزل عليه فيه ذكر موسى وعيسى ويوشع وإسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وزكرياء ويحنا. وهؤلاء كلّهم أنبيأونا وأئمّة شرائعنا؛ ومثل ما ذكرنا الفضلاء منّا، مثل بقايا موسى وحواريي عيسى. وما حكاه أيضا في الكتاب المنزل عليه من تفضيل قُسُسنا ورهباننا، بقوله: إنّ فيهم قُسُسا ورهبانا، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول تفيض أعينهم بالدّمع ممّا عرفوه من الحق^(٣). ولو استقصينا كلّما جاء في الكتاب المنزل عليه من تفضيل رسلنا وتفخيم كتبنا، لكان أكثر ما نزل عليه في هذا المعنى.

ثم قد كان من خلفاء الملة وأئمّة الشريعة من المحمودين آبائك والمذمومين أعدائهم وأعدائك، مثل بني أميّة وبني العباس ممّن عتا في الأرض، وملكها طولا وعرض، مع اتّساع ملكهم وعظم سلطانهم، وكان يخطب لهم في كلّ بقعة بلغت إليها دعوة رسولهم وصاحب شريعتهم، ولم يُحدثوا علينا رسما، ولا نقضوا لنا شرطا، اقتداء منهم بصاحب ملّتهم وشريعتهم، ولعلمهم بتفضيل رسلنا وتعظيم كتبنا وملّتنا وشريعتنا المذكورة على لسان نبيّهم.

فمن أين جاز لك أنت يا أمير المؤمنين أن تتعدّا حكم صاحب الملة والشريعة، وفعل الخلفاء والأئمّة الذين ملكوا قبلك البلاد والأمة! وليس أنت صاحب الشريعة! بل أنت أحد أئمّة صاحب الشريعة وأحد خلفائه، والقائم في شريعته، لتتمّمها وتشدّ أركانها وبنيانها. وبذلك نطقت في كلامك في غير موضع من مواقفك التي خاطبت بها. وأشهر ذلك عنك أقرب الناس إليك

من أوليائك وأنت تفعل معنا ما لم يفعله الناطق^(٤) معنا، ولا أحد من أئمتته وخلفائه، كما ذكرناه.

وهذه حاجتنا التي سألناها، وأمرنا الذي قصدناه، وطلبنا الأمان عليه. ونريد الجواب عنه. فإن يكن حقاً وعدلاً آمناً به وسدقناه^(٥)، وإن يكن متعلقاً بالملك والدولة والسلطان بقينا على أدياننا، غير شاكين في مذاهبنا، وأزلنا الشبهة عن قلوب المستضعفين من أهل ملتنا. وما جئناك إلا مستفهمين غير شاكين في عدلك ورحمتك وإنصافك. وعلى هذا أخذنا أمانك، وقد قلنا الذي عندنا وأخرجناه من أعناقنا، كما تقتضيه أدياننا. والأمر إليك. فإن تقل لنا سمعنا وأطعنا وأجبنا. وإن أذنت لنا ولم تقل، انصرفنا ونحن آمنون بأمانك الذي أمنتنا.

فقال عليه السلام: أمّا الأمان فباقٍ عليكم، وأمّا سؤالكم فما سألتكم إلا عما يجب لمثلكم أن يسأل مثله. وأمّا نحن فنُجيبكم بإنشاء الله. ولكن امضوا وعودوا إليّ هاهنا ليلة غد، وليأت كل واحدٍ منكم، يعني من اليهود والنصارى، بأفقه من يقدر عليه من أهل ملته في هذا البلد ليكون الجواب لهم، والكلام معهم.

ولما كان في ليلة غد حضروا^(٦) القوم في المكان بعينه، ووقفوا وسلموا، وقالوا: قد أتينا بمن طلبه أمير المؤمنين منا. وقدموا أحد عشر

(٤) الناطق هو محمد بن عبد الله صاحب الشريعة الإسلامية الظاهرة.

(٥) عادة ما يكتب الموحّدون الدروز كلمة «صدق» ومشتقاتها بحرف «السين»؛ وذلك

لتتوافق، بحسب حساب الجمل، مع عدد الأنبياء الـ ١٦٤: س=٦٠؛ د=٤؛ ق=١٠٠؛

فيما عدد أنبياء الكذب ٢٦: ك=٢٠؛ د=٤؛ ب=٢.

(٦) عادة ما نجد في رسائل الحكمة فاعلين لفعل واحد. ولن نشير إلى ذلك مرة أخرى.

رجلاً ومن قبلُ سبعة.

فقال لهم أمير المؤمنين، صلوات الله عليه: لهؤلاء اخترتم، ولهم قدّمتم؟

قالوا بأجمعهم: نعم. يا أمير المؤمنين.

قال للنّفر: وأنتم رضيتم أن تكونوا متكلّمين عن أهل ملّتكم نائبين عنهم؟

قالوا: نعم.

قال: فهل تعلموا في هذه البلدة من أهل ملّتكم من هو أفقّه منكم؟

قالوا: لا.

قال عليه السلام: وأنتم تحفظون التّوراة والإنجيل وأخبار الأنبياء؟ قالوا: نعم.

قال عليه السلام: عارفون بمبعث صاحب الشريعة، الذي أنا قائم بملّته، وذاب عن شريعته وسيرته وأخباره، وما جرى بينه وبين رؤساء ملّتكم ومتقدّميكم من اليهود والنّصارى من الجدل والمسائل والاحتجاجات ومن سلّم لأمره منهم ومن لم يسلم من مبعثه إلى حين وفاته؟

قالوا: لم نُحِطْ بذلك كلّهُ، بل أحطنا بأكثره ممّا يلزمنا حفظه وعلمه ممّا جرى بينه وبين علمائنا، تصحيحاً لمذهبنا وشريعتنا، وذلك عندنا محفوظ مدوّن مكتوب تتوارثه أبحارنا، وأخبار عن الأوّلين من قبلنا، حتى وصل ذلك إلينا، ويتصلّ ذلك بغيرنا، كما وصل إلينا، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال عليه السلام: إنّ أصحابكم سألوني البارحة عن سؤالٍ بعد أن أخذوا أمانتي على نفوسهم، وأوعدتهم أن أجيبهم عن سؤالهم إذا حضروا علماؤهم. وقد حضرتم، واعترفوا لكم بالعلم والفضل، وسدّقتموهم أنتم على ذلك، واعترفتم عندي به لما قلت لكم أتعرفون في هذه البلدة من هو أعلم

منكم من أهل ملتكم بأخبار صاحب شريعة الإسلام ونسبته وشيعته وعلمه وشريعته. قلتُم لا.

وأنا أسألكم. وفي آخر السؤال أُجيبكم وأخبركم بما سألوني عنه أصحابكم. وأما نبي فباق عليكم وعليهم، على شرط، وهو أني، كلما سألتكم عن شيء يقتضيه مذهبكم وشريعَتكم ومذهبُ صاحبِ ملّة الإسلام وشريعته، فتجيبوني عنه بما هو مأثور في كتبكم المنزلة على أنبيائكم، ومدون في كتب رؤسائكم وعلمائكم وأخباركم. وما لم يكن عندكم، ولا تعرفونه، ولا تؤثرونه في كتاب منزل ولا قول حكيم مرسل، فردّوه عليّ وادفعوه بحججكم التي عسى أن تدفعوا بها سواي، وما عرفتموه وتفهمتموه فلا تنكروني إياه لقيام الحجة عليكم به وفيه.

قالوا: نعم.

قال لهم: إن صدقتم فأما نبي يعمكم. وإن كذبتُم انفسخ أمانى عنكم. وعاقبتكم. وكانت عقوبتكم جزاءً لكذبكم. أرضيتُم؟

قالوا: نعم.

قال: أبلاغكم أنّه لما كان في كذا وكذا من هجرة الرّسول، صاحب شريعة الإسلام، أتاه رؤساءُ شريعتكم وعلمائكم من الملتين اليهود والنصارى، وهم فلان وفلان وفلان. وسمّى لهم رجالاً من أخبارهم ورهبانهم وأمسك.

فقالوا: نعم. يا أمير المؤمنين، وفلان وفلان وفلان. وسمّوا له بقيّة أسماء الرجال حتّى أتوا على آخرهم.

قال عليه السلام: قد صحّ عندي أنكم صدقتم لما تمّمتم أسماء الرجال الباقيين الذين بدأت أنا بذكرهم. أفي ذلك عندكم شك تشكون فيه أو ريبة ترتابون بها؟

قالوا: لا.

قال لهم: لما استحضركم، ما قال لهم؟

قالوا: يقول أمير المؤمنين. فمنه القول ونحن سامعون. فما عرفناه
أقررنا به وسلمنا فيه. وما لم نعرفه ولم يكن مأثوراً عندنا ذكرناه لأمر
المؤمنين.

قال عليه السلام : قال لهم صاحبُ الملة والشريعة: ألم تكونوا
منتظرين لزماني متوقعين لشخصي ترجون الفرَجَ مع ظهوري؟ فلما أن
ظهرتُ فيكم وأعلنتُ دعوتي وشهرتُ أمر ربي كذبتموني وجحدتموني
ونافقتم عليّ. فطائفة منكم قاتلونني، وطائفة منكم رحلوا من جواري حسداً
لي وبغضةً، حسبما تفعله الأممُ الباغية في الأزمان المتقدمة، إذا ظهر مثلي
سنة أسنتها الظالمون أولهم إبليس اللعين مع آدم الكريم. فهل كان ذلك منه
إليهم؟

قالوا: نعم.

قال: فإذا علمتم أن ذلك قد كان منه، فما كان جوابهم له عن ذلك بعد
استماعهم كلامه؟

قالوا: قد قلنا: أولى لأمر المؤمنين أن يقول، ولنا أن نسمع، ونحن
محمولون على الشرط الأول الذي شرطه أمير المؤمنين علينا. أمّا ما عرفناه
أقررنا به، وما لم نعرفه أنكرناه، فنربح في ذلك سلامة أدياننا بالتسديق
بالحق وسلامة أنفسنا من القتل بالتزام الشرط.

قال لهم أمير المؤمنين عليه السلام : كان جوابهم أنهم قالوا: ما أنت
الذي كنّا منتظرين لزمانه متوقعين لشخصه، ولا الذي نرجو الفرَجَ مع
ظهوره.

قال لهم: ما دليلكم على صحة ذلك أنني ما أنا هو؟

قالوا: ما هو ماثورٌ عندنا وموجود في كتبنا وبشّرت به أنبيأؤنا لأممهم.

قال لهم: ما هو؟ بيّنوه.

قالوا: ثلاث خصال:

أحدها: ليس اسمه كاسمك، وقد نطق بذلك لسائك في نبوتك، وجهرت به لأصحابك، وجعلت ذلك فضيلةً لك. فممنه أخذناك لما قلتَ ما حكيتَه عن المسيح: ومُبشراً برسولٍ يأتي بعدي إسمه أحمد^(٧)، يحلّ لكم الطيبات، ويحرّم عليكم الخبائث، ويضع عنكم ضرّكم والأغلال التي كانت عليكم^(٨). فهو كما قلنا ما أنت المسمّى إذ إسمُك محمّد. والذي بشّرت به، باتّفاقٍ منّا ومنك، إسمه أحمد.

والثانية: مدّته قد بقي لها أربع مائة سنة من يوم مبعثك إلى حين ظهور هذا المنتظر، فقد خالفته أيضاً في الاسم والمدة.

والثالثة: المنتظر. إنّما يدعو إلى توحيد ربّه بلا تعطيل ولا تشبيه ولا كلفة تلحق نفوسنا حسب ما ذكرته في تنزيلك من تحليل الطيبات، وتحريم الخبائث، ووضعه عنا ضرّاً والأغلال التي كانت علينا.

فأيّ حجة بقيت لك علينا، وليس اسمك اسم من يُنتظر بقولك، ولا فعلك فعله، ولا المدة مدّته. فقد خالفته كما قلنا في الإسم والمدة والفعل. وإذا كنتَ إنّما تدعوننا إلى شريعة، فبقياؤنا في شريعتنا أثرٌ وخيرٌ لنا. وصفة المنتظر عندنا رفع التكليفات وانقضاء الشرور ورفع المصائب والشكوك، وأن لا يتجاوزَه في عصره كافرٌ ولا منافق. وأنتَ، أكثرُ أصحابك يُظهرون

(٧) سورة الصفّ ٦١/٦؛ بتصرّف.

(٨) سورة الاعراف ٧/١٥٧؛ بتصرّف: "إصر" لا "ضر"، كما ورد في المتن. والكلام في القرآن يتوجّه إلى غائبين لا مخاطبين.

النِّفَاقَ عَلَيْكَ. وَإِنَّمَا بِغَلَبَةِ سَيْفِكَ عَلَيْهِمْ سَلَمُوا لِأَمْرِكَ. وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلِمَ تَلُومُنَا عَلَى قِتَالِكَ وَتُنَاقِلُنَا عَلَى طَاعَتِكَ وَالدَّخُولِ فِي شَرِيعَتِكَ؟

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَكْذَا كَانَ؟

قَالُوا: نَعَمْ. كَذَلِكَ كَانَ وَكُلُّ قَوْلِكَ حَقٌّ وَسَدَقٌ.

قَالَ: فَمَا كَانَ جَوَابُهُ لَهُمْ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ؟

قَالُوا: يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، حَسَبَ مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ، وَنَسْمَعُ وَنَعْتَرِفُ بِالْجَوَابِ إِذَا عَلِمْنَاهُ، وَنَنْكَرُهُ إِذَا جَهِلْنَاهُ.

قَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَمَّا إِذَا عَرَفْتُمْ ذَلِكَ وَعَلِمْتُمُوهُ فَلَا شَكَّ أَنَّكُمْ تَعْرِفُونَ صِفَةَ الْحَالِ كَمَا جَرَتْ إِنْشَاءُ اللَّهِ.

ثُمَّ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَانَ جَوَابُهُ لَهُمْ: لَا أَقَاتِلُكُمْ عَلَى الدَّخُولِ فِي مِلَّتِي وَلِتَكْذِيبِي وَالصَّدُوفِ عَنْ أَمْرِي، لِأَنَّكُمْ أَصْحَابُ شُرَائِعَ وَكُتُبَ، مَتَمَسِّكُونَ بِأَمْرِهَا، نَاطِقُونَ. وَلَيْسَ أَقَاتِلُ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ، وَلَا أَنَا رَافِعُ الشُّرَائِعَ، وَلَا ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَيَّ؛ بَلْ كُلُّمَا مَلَكَتُ بِلْدًا بِسَيْفِي مِمَّنْ فِيهِ عَبْدَةٌ الْأَوْثَانِ وَالتَّنَادِرِ، فَلِي أَنْ أُلْزِمَهُم الدَّخُولَ فِي مِلَّتِي وَأَقْتُلُهُمْ. وَمَنْ كَانَ فِي الْبَلَدَةِ مِنْكُمْ أَعْرَضْتُ عَلَيْهِ: إِمَّا الدَّخُولَ فِي مِلَّتِي وَاتِّبَاعَ أَمْرِي وَشَرِيعَتِي، أَوْ أَدَاءَ الْجِزْيَةِ. فَإِذَا كَرِهَ الْوَطْنَ الَّذِي مَلَكَتُهُ وَبَسِيفِي فَتَحْتَهُ، فَمَنْ وَزَنَ الْجِزْيَةَ مِنْهُمْ أَقَرَّرْتُهُ فِي مَكَانِهِ، وَمَنْ انْتَقَلَ عَنِّي تَرَكْتَهُ. وَمَنْ قَاتَلَنِي مِنْهُمْ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ قَاتَلْتَهُ، وَانْتَظَرْتُ فِيكُمْ حُكْمَ رَبِّي.

قَالُوا: لَكَ ذَلِكَ. فَمَا قُلْتَ إِلَّا حَقًّا، وَلَا نَرَا (كَذَا) مِنْكَ إِلَّا سَدَقًا.

قَالَ لَهُمْ: إِذَا اسْتَقَرَّ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَقَدْ تَأَوَّلْتُمْ عَلَيَّ وَدَفَعْتُمْ مِنْزِلَتِي وَفَضْلِي الَّذِي قَدْ أَتَانِي مِنْ عِنْدِ رَبِّي، وَزَعَمْتُمْ أَنَّ الَّذِي تَنْتَظِرُونَهُ، لَهُ اسْمٌ تَعْرِفُونَهُ، وَفَعَلَ تَعْلُمُونَهُ، وَمَدَّةٌ تَنْتَظِرُونَهَا، وَهِيَ مِنْ مَبْعَثِي إِلَى حِينِ ظُهُورِ هَذَا الْمُنْتَظَرِ، بَقِيَ لَهُ أَرْبَعُمِائَةِ سَنَةٍ، فَاصْبِرُوا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مَوَاصِفَةً

تتضمن كل ذلك وذكره، وعلى أنكم تدفعون إليّ الجزية طول تلك المدة التي ذكرت أن المبعوث إليكم فيها يأتي غيري.

فإن كنت من جملة المخترصين الكذابين، فأنتم تكفون مؤونتي ويرجع إليكم الملك إذا ظهر من تنتظرونه. وإن لم يظهر، ومدّتي قائمة، وشريعتي ماضية، وحكمي لازم، ولم يأتكم في هذه المدة من تنتظرونه، فلصاحب ملّتي والقائم بدعوتي والإمام الذي يكون في ذلك العصر أن يدعوكم إلى ما دعوتكم إليه اليوم.

فإن أجبتموه وسلمتم لأمره ودخلتم في شريعتي وطاعته، فقد سلمتم وسلمتم. وإن أبيتم عليه كما أبيتم عليّ وصددتم عنه واستكبرتم، فله أن يأخذكم بالشرط الذي شرطتموه على أنفسكم ويقاثلكم. فإن قاتلتموه قتلكم، ولا يقبل لكم عذراً، ويستبيح ملّكم، ويهدم شريعتكم بهدمه لبيعكم، ويعطل كتبكم، ويكون ما بقي لكم عذراً تحتجون به، ولا محال تركنون إليه، ولا إبليس تعولون عليه. وهو المنصور عليكم، يقطع شأفتكم وشأفة كلّ الظالمين. فهذا نصّ المواصفة أهكاذاً هو؟

قالوا : نعم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: والمواصفة لم تزل تنتقل من بعد صاحب الشريعة والملة من وصي^(٩) سادق إلى إمام فاضل حتى وصلت إليّ وهي عندي.

فلم يكن له عليه السلام أن ينقض شرطاً أسّسه، وحكماً بيّنه، وهو معروف وقت أن نشأ في الجاهلية محمّد الأمين. فكيف ينقض ما أنعم به عليكم، ولم يُجز لأحد من أئمة دينه وخلفاء شريعته أن ينقض ما أمر به من قبل انقضاء المدة أتباعاً وتسليماً لحكمه.

(٩) «الوصي» هو الإمام. وكان لكلّ نبيّ من الأنبياء وصي؛ ووصي محمّد عليّ.

فلما وصل الأمر إليه وانقضت تلك السنون المذكورة في المواصفة في عصري، وعند تمامها أمري، أخذت منكم بحقه، ودعوتكم إلى شرطكم وشرطه، حسب ما تقتضيه الأمانة وحكم المعاهدة. أذكلكم بلغكم أنه صفة الحال؟

قالوا: نعم . كذلك كان.

قال: فأَيَّ حجة بقيت لكم عليه وعليّ بعدما أوضحناه؟ وأيّ أمر تعدّيت فيه، بزعمكم، عليكم إذا كنتم بشرطكم أخذتكم؟ وما كنتم تنتظرونه أقمته عليكم. وقد أوسعتكم حلماً وعدلاً، إذ أبقيت نفوسكم على أجسامكم ونعمكم عليكم إمهالاً لتتنبهوا بعد الغفلة، وتسلموا بعد المعاهدة. فأَيَّ حجة لكم بعد ما وصفناه؟ وأيّ حقّ معكم بعد ما قلناه! وأيّ عذر يقوم لكم بعدما شرحناه؟ قولوا واسألوا تجابوا وتُنصفوا. ولا يكون لكم قولٌ ولا حجة.

فانصرفوا محجوجين كاذبين نادمين شاكين خائبين.

قال: ماذا تقولون؟

قالوا بأجمعهم: هذا والله كلّهُ حقٌّ وسدقٌ، لا نشكّ فيه ونرتاب به. قد سمعنا وفهمنا. والله الحجة البالغة ربّ العالمين. وصلى الله على نبيّه وآله الطاهرين.

تمّ الكلام في هذا الفصل. وحسبنا الله ونعم الوكيل. والحمد لله وحده، وبه أستعين.

٤

نسخة ما كتبه القرمطي

إلى مولانا الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين

عند وصوله إلى مصر.

كتب هذه الرسالة أحد حكام القرامطة الذين كانوا على عداوى سياسي مع الفاطميين. كتبها إلى الحاكم بأمر الله يتوعده ويهدده إن لم يسلم له البلاد... ليس لهذه النسخة أية علاقة مباشرة بالعقيدة الدرزية. وهي لا تمت إليها بصلة.

بسم الله الرحمن الرحيم.

أما بعد فقد وصلنا بالترك الخراسانية، والخيال العربية، والسيوف الهندية، والدروع الداودية، والدرك التنبئية، والرماح الخطية. وقد خف الركاب فتسلم البلد، وتكون آمنة على النفس والمال والأهل والولد. والسلام^(١).

فأجابه سلامه علينا:

(١) كل هذه التعابير، تعابير قوة وشدة، للتهويل والتخويف، مما يدل على بأس القرامطة.

أما ما ذكرته من خفة ركايبك، فذلك من قلة صوابك. وذلك لأمرٍ محتوم، في كتابٍ معلوم، لأننا قد نظرنا في الكتاب المكنون، والعلم المخزون، أن أرضنا هذه لأجسادكم أجداثاً، وأموالكم وأماكنكم لنا ميراثاً، فيجب أن تعلم أن قد أحاط بك البلاء، ونزل بك الفناء. فما أنت جئت بل الله جاء بك ليظهر معجزةً فيك وفي أصحابك.

وأنا حامد الله على ما منحني به من أخذكم على مضي ثمان ساعات من نهار يوم الاثنين حتى لا تنفع الظالمين معذرتهم، ولهم اللعنة وسوء الدار.

والسلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى، وخاف الله في الآخرة والأولى. وهو حسينا وكفى. وإليه يشير كل من دعا^(٢).

(٢) لجواب الحاكم مثيل عند الخليفة المعز، وهو ما يجعل الشكوك تثار حول كاتبه. أهو الحاكم أم المعز؟ ومن هو القرمطي هذا؟ وأية سنة كان ذلك؟

ميثاق ولي الزمان

هذا الميثاق هو العهد أو القَسَم الذي به يُصبح الدرزيُّ درزيًّا. يتضمَّن الاعترافَ الصريحَ بالوَهِيَّة الحاكم، وبإمامة حمزة، والرَفَضَ الظاهر لجميع الأديان والمذاهب، والتبرِّي منها. يختلف هذا الميثاق عن الرسائل السابقة اختلافًا جوهريًّا. وقد يكون من تأليف حمزة نفسه. لا بسملة في بدايته، ولا تاريخ لتأليفه.

توكَّلتُ على مولانا الحاكم الأحد الفرد الصَّمد. المنزَّه عن الأزواج والعدد^(١). أقرَّ فلانُ ابنُ فلانٍ إقراراً أوْجِبَه على نفسه، وأشهدَ به على روحه، في صحَّةٍ مِن عقله وبدنه، وجوازِ أمرٍ طائِعاً غير مكره ولا مجبر. أنَّه قد تبرَّأ من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات كلَّها على أصناف اختلافاتها. وأنَّه لا يعرف شيئاً غير طاعة مولانا الحاكم جلَّ ذكره. والطاعة هي العبادة. وأنَّه لا يُشرك في عبادته أحداً مضى أو حضر أو يُنتظر. وأنَّه قد سلَّم روحه وجسمه وماله وولده وجميع ما يملكه لمولانا الحاكم جلَّ ذكره. ورضي بجميع أحكامه له وعليه غير معترض ولا منكر لشيء من أفعاله ساءه ذلك أم سره.

(١) أنظر التعابير القرآنية المستعملة لتوحيد الله في الاسلام، تستعمل لتوحيد الحاكم هنا. مثل: الاحد، الفرد، الصمد، المنزه، جلَّ ذكره، الباري، المعبود، وغيرها ممَّا سيرد ذكره.

ميثاقُ ولي الزَّمان ٥٩

ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم جل ذكره الذي كتبَه على نفسه،
وأشهد به على روحه، أو أشار به إلى غيره، أو خالف شيئاً من أوامره، كان
بريئاً من الباري المعبود، واحترم الإفادة من جميع الحدود ، واستحقَّ
العقوبة من البارِ العليّ جلّ ذكره^(٢).

ومن أقرَّ أن ليس له في السماء ألهٌ معبود، ولا في الارض إمام
موجود، إلّا مولانا الحاكم جلّ ذكره، كان من الموحّدين الفائزين.

وكتب في شهر كذا وكذا، من سنة عبد مولانا، جلّ ذكره، ومملوكه
حمزة ابن عليّ ابن أحمد، هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين والمرتدين،
بسيف مولانا جلّ ذكره، وشدة سلطانه وحده. تمّ^(٣).

(٢) أَلبارِ العليّ، أو البارِ والعلي، هما مقامان إلهيان ظهرا في دورين مختلفين من أدوار
الخلقة. وهما، مع دور الحاكم، ما يجب أن يعرفه الموحّدون.

(٣) «الموحدين، والمستجيبين» لفظتان تعنيان الدروز. يلاحظ أوصاف حمزة، مثل :
«عبد مولانا»، «ومملوكه»، و«هادي»، أو «هادي المستجيبين»، و «المنتقم... بسيف
مولانا...». هذه التعبيرات تدلّ على حمزة، وإن لم يسمّ باسمه. بها يُعرف ويتميّز عن
سواه من الحدود. ويلاحظ أن «المشركين» هم أصحاب الأديان والمذاهب والمعتقدات
كلّها، من دون استثناء، وأن «المرتدين» هم الذين استجابوا أوّلاً للدعوة التوحيدية، ثم
رجعوا عنها إلى غيرها. ويلاحظ أيضاً أن «الميثاق» الذي يبرمه الدرزي للدخول في
دين التوحيد، أمّا يكون لـ «وليّ الزَّمان» حمزة، لا للحاكم. ويلاحظ أخيراً التاريخ:
«من سنين عبد مولانا»، أي من سنين حمزة: السنة الأولى كانت سنة ٤٠٨ هـ.
والثانية سنة ٤١٠ هـ، إلخ.. أمّا سنة ٤٠٩ هـ. فهي سنة الغيبة؛ ولا تُحسب في عداد
السنين التوحيدية. فيها اختفى كلّ من الحاكم وحمزة وسائر الحدود.

٦

الكتاب المعروف بالنقض الخفي

وقد رُفِعَ إلى الحضرة اللاهوتية

في هذا الكتاب المهم جدًا نقضٌ وهدمٌ لأركان الإسلام جميعها. وهي: الشهادتان، والصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، والجهاد، والولاية، أي الإمامة. في معانيها الظاهرة والباطنة... وفي هذا الكتاب أيضاً إثباتٌ لعقيدة التوحيد، والوهية الحاكم وإمامة حمزة. وفيه كذلك كشفٌ عن المعاني الباطنية السرية لآيات القرآن. وفيه أخيراً نظرية العدد وأهميته ومحاولة بناء الكون عليه. وُضِعَ الكتاب سنة ٤٠٨ هـ لم يذكر مؤلفه. وقد يكون حمزة بواسطة أحد تلامذته.

توكلتُ على مولانا البار بالعلام، العليّ الأعلى حاكم الحكّام. مَنْ لا يدخل في الخواطر والأوهام. حروف بسم الله الرحمن الرحيم. دعاة عبده الإمام^(١).

كتابي أليكم معاشرَ الموحّدين لمولانا سبحانه وحده. المستجيبين لحقائق الجواهر الحقيقية. الناظرين من نور الأنوار الشعشعانية. المتبرّئين

(١) لاحظ هذه الصيغة: «حروف بسم الله الرحمن الرحيم. دعاة عبده الإمام»: إن عدد الحروف ١٩ حرفاً. ودعاة الإمام ١٩ أيضاً. وهذا هو معنى البسملة الحقيقي في الدرزية. وعندما يقولها الدروز فهم يعنون بها حدود الإمام الـ ١٩؛ لا البسملة بمعناها الإسلامي.

من العلوم المحال الحشوية. العارفين بالأبالسة الغوية. العابدين للمعبود إله البرية. الحاكم بذاته، المنفرد عن مبدعاته. والذات هو لاهوته، والمبدعات هم النطقاء والأسس واللواحق والدعاة، سبحانه عن الازدواج، وتعالى عما يقولون الظالمون علواً كبيراً.

أما بعد، فقد سمعتم، قبل هذه الرسالة، نسخ الشريعة بإسقاط الزكاة عنكم، وأن الزكاة هي الشريعة بكمالها. وقد بينت لكم في هذه الرسالة نقضها دعامة دعامة، ظاهرها وباطنها. وأن المراد في النجاة في غير هذين جميعاً. وقد سمعتم بأن يصير هذا الباطن المكنون الذي في أيديكم ظاهراً، والظاهر يتلاشأ، ويظهر معنى حقيقيّة الباطن المحض. وهذا وقته وأوانه وتصريح بيانه للموحدين لا للمشركين، إلى أن يظهر السيف فيكون ظاهراً مكشوفاً، طوعاً وكرهاً. وتؤخذ الجزية من المسلمين والمشركين، كما تؤخذ من الذمة. وقد قرب إن شاء مولانا وبه التوفيق^(٣).

١. شرح الشهادتين^(٣) :

فأول البناء وقبة النهاء شهادة: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. التي حقن بها الدماء وصين بها الفروج والأموال. وهي كلمتان^(٤) دليل على السابق والتالي^(٥). وهي أربعة فصول^(٦) دليل على الأصلين والأساسين^(٧).

(٢) سيأتي يوم، وهو يوم السيف والقيامة، حيث يصبح الباطن أي دين التوحيد ظاهراً، والظاهر، دين المسلمين يتلاشى. وقد ابتدأ ذلك اليوم بالكشف.

(٣) العناوين في صلب الرسالة من وضع الناشر.

(٤) الكلمتان هما: «لا إله / إلا الله». الأولى ايجابية والثانية سلبية.

(٥) السابق والتالي، بحسب المفهوم الإسماعيلي الفاطمي، هما العقل والنفس.

(٦) أربعة فصول أعني أربع كلمات: لا / إله / إلا / الله.

(٧) لأصلين هما العقل والنفس، والأساسين هما الكلمة والتالي.

وهي سبع قطع^(٨) دليلٌ على النطقاء السبعة، وعلى الأوصياء السبعة، وسبعة أيام، وسبع سموات، وسبع أرضين، وسبعة جبال، وسبعة أفلاك. وأمثال هذه أسابيع كثيرة. وهي إثنعشر حرفاً^(٩) دليل على إثنعشر حجةً الأساسية.

وثانيه بالمعرفة: محمد رسول الله: ثلث كلمات دليل على ثلاثة حدود: الناطق والتالي فوقه، والسابق فوق الكل^(١٠). وهي ست قطع^(١١) دليل على ستة نطقاء^(١٢). وهي إثنعشر حرفاً دليل على إثنعشر حجةً له بإزاء الأساسية. وكذلك السماء إثنعشر برجاً، وسبع مدبرات، والأرضون سبع وسبعة أقاليم، وإثنعشر جزيرة^(١٣).

وأصل العالمين جميعاً واحداً، وهو علّة العلل، وهو عندهم السابق^(١٤)، وهو أصل السكونة والبرودة، والتالي وهو أصل الحرارة والحركة. وأبليس اللعين ظهر من السابق قبل التالي، وهو لطيفٌ روحانيٌّ. وكان طائعاً لباريه. إلا أنه أظهر المنافسة. وطلب اللعين الرئاسة. وأنشأ روحانيته شخصاً قائماً بإزاء السابق. وأظهر الضدية، وجادل باريه، واسمهُ حارت. فحينئذ ظهر من تاليه، فصار السابق والتالي أصل العالمين جميعاً. ومنهما ظهر الناطق

(٨) أي سبع كلمات: لا/إله/إلا/الله/محمد/رسول/الله.

(٩) أي يوجد في كلا الشهادتين ١٢ حرفاً: ١٢ في «لا إله إلا الله»؛ و١٢ في «محمد رسول الله».

(١٠) هذا ترتيب إسماعيلي فاطمي؛ أما الترتيب الدرزي فهو: العقل والنفس والكلمة.

(١١) أي ست مقاطع: مُ/حَ/مَد/ر/سَو/لُ/اللَّه/.

(١٢) النطقاء سبعة وليسوا ستة كما هو الحال هنا. وذلك يعود إلى أن آدم، أولهم، لم يكن له مثلهم شريعة ظاهرة. فتارة يحسب معهم وطوراً لا يُحسب.

(١٣) ثمة خلط في النص، نظراً فيه خطأ في النسخ. ومع ذلك فالمعنى المقصود مفهوم.

(١٤) أي عند الإسماعيليين الفاطميين. أما عند الدرزيين فهو العقل، أي علّة العلل. ويُسمى تارة «السابق» لأنه سبق الكل في الوجود.

والأساس. فأظهر السابق برودته وسكونته. وأظهر التالي حرارته وحركته. وأظهر الناطق اليبوسة. وأظهر الأساس الحركة. فكملت الطبائع الأربعة، وتكوّنت الأفلاك السبعة والبروج الإثني عشر. وكذلك البروج: لكل ثلاثة بروج طبعٌ غير طبع الثلاثة الأخرى لتدبير العالم بأربع طبائع. وكذلك الطبائع الدينية أربعة، كما تقدّم ذكرها، والباري سبحانه منزّه عن الكل سبحانه وتعالى عما يصفون.

وكلُّ سبعة في الأفلاك حروفها ثمانية وعشرون حرفاً، ليبين للعارفين أنّ الأسابيع كلّها دليلٌ على معنى واحد وإشارة واحدة. وهي: زحل. مشترى. مريخ. شمس. زهرة. عطارد. قمر: حروفهم ثمانية وعشرون حرفاً.

ومن أوّل بروج السنة، وهو: الحمل وهو السابق إلى البرج الذي يليه، وهو الميزان وهو الناطق، سبعة بروج. وهو: حمل. ثور. جوزاء. سرطان. أسد. سنبله. ميزان. عدد حروفهم ثمانية وعشرون حرفاً.

وتدبير العالم وسعودهم ونحوسهم من القمر. والقمر فلا يقدر يسير إلا في ثمانية وعشرين منزلة. ومن المحرّم إلى رجب الذي يشاكل المحرّم في الفضيلة سبعة شهور. والمحرّم دليل على السابق، وهو أوّل السنة وأوّل الشهور. وكذلك رجب وهو التالي متّصل بشعبان ورمضان، وشعبان ورمضان دليلان على الناطق والأساس. والمحرّم الذي هو السابق صار فرداً عن الشهور. ورجب متّصل بالشهرين كما أنّ التالي متّصل بالناطق والأساس. ومن المحرّم إلى رجب سبعة شهور.

كذلك للسابق سبعة حدود، أولهم: السابق. التالي. الجدّ. الفتح. الخيال. الناطق. الأساس. حروفهم ثمانية وعشرون حرفاً^(١٥).

(١٥) ثمة خلط في عدد الحروف. ولكن المعنى المقصود مفهوم؛ وقد لا تحسب «أل»

وكذلك الشهور: محرّم. صفر. ربيع. ربيع. جمادى. جمادى. رجب،
 وهم ثمانية وعشرون حرفاً.
 والأيام السبعة: أحد. إثنين. ثلثاء. أربعاء. خميس. جمعة. سبت،
 حروفها ثمانية وعشرون حرفاً.
 وكذلك النطقاء السبعة: آدم. نوح. إبراهيم. موسى. عيسى. محمد.
 سعيد، حروفهم ثمانية وعشرون حرفاً.
 والأوصياء السبعة: شيث. سام. إسماعيل. يوشع. شمعون. علي.
 قداح، حروفهم ثمانية وعشرون حرفاً.
 والقرآن أنزل على سبعة صنوف، فمنه: ناسخ، ومنسوخ، ومُحَكَّم،
 ومتشابه، وقصص، وحكايات، وأمثال. وقرئ بسبعة أحرف.
 والطواف حول الكعبة سبعة.
 وطول الإنسان سبعة أشبار بشبره، وعرضه أيضاً بشبره سبعة
 أشبار. وفي وجه الإنسان سبعة خروق.
 وأمثال هذه أسابيع كثيرة لا تحتمله الرسالة. كلّها دليل على سبعة
 أئمة وسبعة نطقاء وسبعة أوصياء. وبداية الكلّ من واحد، وذلك الواحد
 أيضاً عبدٌ غيرُ معبود.
 وكذلك قال: ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة^(١٦)، وهو السابق.
 فجعل الناطق دليلاً على الداعي إذ كان هو من قبل الإمام. وكذلك اللأم^(١٧)
 (في: لا) راجع إلى الألف. والألف الذي في اللأم دليل على الإمام. والألف
 الثاني (في: إله) دليل على التالي، واللأم دليل على الناطق، إذ كان الناطق
 من التالي انبعث، ومنه كانت مادّته.

التعريف في بعض الأسماء واجبة.

(١٦) سورة لقمان ٢٨/٣١.

(١٧) يفسّر في هذا المقطع معاني كلّ حرفٍ من حروف: «لا إله إلا الله».

والآلف الثالث من **إلا** بمنزلة السابق إذ هو بمنزلة رابع الحدود دليل على الحجّة والدّاعي والمأذون. والآلف الذي في اللّام ليس له غير حدّ واحد تاليه. وكذلك الدّاعي يرجع إلى الإمام لا غير، والناطق إلى التالي يقوم بالحدود كلّها. كذلك الآلف الذي في الله، واللّامان المتّصلان به بحدّ الناطق والتالي. والهاء التي هي ختامتهم ربّبت بمنزلة أساسه.

فقال: **لا إله إلا الله**، أنفى عن الكلّ المعنوية وأشار إلى أساسه، وألزمهم بأن يقولوا: **محمد رسول الله**. وهي ثلاث كلمات لأنّه ثالث السابق. وهي ست قطع دليل على أنّه سادس النطقاء. وهي إثنت عشر حرفاً دليل على إثنت عشر حجّة له ظاهرة كما للأساس إثنت عشر حجّة باطنة. فنظرنا إلى السابق والتالي والناطق والأساس والإمام والحجّة، فرآيناها كلّهم عبداً مزدوجين، فعرّفنا بأنّ المعبود سواهم.

وعلمنا، بتوفيق مولانا جلّ ذكره، أنّ الهاء المشار إليها التي هي خاتمة الله وتمامه، واللّامين والآلف خلف تاليه، وهو آخرهم ورابعهم وتمام القدرة به، لأنّ لا يقال لأحد من الحدود ما قيل له، وهو المهدي الذي وقع عليه هذا الاسم الأعظم بقوله أبو القائم، ولا يجوز أن يقع هذا الاسم إلاّ على أعظم الحدود ونهايتهم، كما أنّ الهاء نهاية لا إله إلاّ الله.

ولم يظهر المولى جلّ ذكره ذلك المهدي إلى تمام دور محمد وانقضائه، لأنّه آخر دور الأربعة المستورين الذي ختم الله أمورهم به أي انقضائه. وتجلّي للعالم بالملك والبشريّة. وأشار إلى نفسه بنفسه لا بالمهدي ومنه أظهر الحقيقة. ولم يكن الأساس نهاية الحدود، ولم يكن له من القدرة اللاهوتيّة ما كان للمهدي بإظهار مولانا القائم الحاكم جلّ ذكره منه وفي زمانه.

وقد علمتم بأنّ علي ابن أبي طالب بايع أبا بكر وعمر وعثمان وتردّد إلى معاوية مراراً بكثرة. وآخر الأمر لم يتمكّن من معاوية، بل تمكّن معاوية

منه ومن أولاده وأصحابه، وكان علي ابن أبي طالب أكثر عشائر في ذلك الوقت وأكثر مالاً وأعظم عشيرة في ظاهر الأمر من المهدي. وقد أظهر المهدي من المعجزات والغلبة بلا مال ولا رجال ما لم يقدر عليه عليّ.

ومولانا القائم الحاكم بذاته، المنفرد عن مبدعاته جلّ ذكره، أورا (كذا) العالمَ قدرةً لاهوتيةً ما لم يقدر عليه ناطقٌ في عصره، ولا أساسٌ في دهره. وقد ظهر أبو يزيد، وهو حارّت، إبليس الأبالسة في ذلك الوقت، وجلبَ بخيله ورجله كما قال في القرآن، وصبر مولانا جلّ ذكره إلى أن مات مَنْ مات من شيعة المحال، وكَفَرَ مَنْ كَفَرَ، وارتدَّ مَنْ ارتدَّ وامتنحهم. كما قال: ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات. وبشّر الصابرين^(١٨).

وقد أصاب عسكرُ مولانا جلّ ذكره هذا كله. ثم إنّه جلّ ذكره خرج إلى إبليس وجنوده بشخصه المرثية وناسوته البشرية، وأظهر للعارفين بعضَ قدرة لاهوته. وأولياء مولانا حينئذٍ في ظاهر الأمر قليلون ضعفاء ممّا أصابهم من البلاء. وإبليس في مائة ألف بيت من جنوده، في كلّ بيتٍ رجالٌ بكثرة. فلم يكن غير ساعة واحدة إلّا وهم كأعجازٍ نخلٍ خاوية.

وأبو يزيد، لعنه المولى، هو إبليس. وإبليس أقام روحه مقام باريه وجادلّه، وهو الفيل الذي جاء في المجلس بأنّه مُسَخَّ لأنّه تشبّه بعين الزمان. وعينُ الزمان هو السابق. وكذلك إبليس أقام روحه مقام السابق وجادلّه، فعرفنا أنّه أعنا (كذا) بذلك أبا يزيد. كما قال لمحمد: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ، يعني أبا يزيد. أَلَمْ يَجْعَلْ يَعْني القائم كيدهم في تضليل. وأرسل عليهم طيراً أبابيل، وهم عبيد مولانا القائم جلّ ذكره، ترميهم

بحجارةٍ مِنْ سَجِيلٍ، يعني تأييد مولانا القائم جلّ ذكره مع حسن يقينهم، فجعلهم كعصفٍ مأكول^(١٩).

فهذه معجزات لم يختلف فيها مخالف ولا مؤلف، مِنْ ناطقٍ ولا أساس. وله معجزات ودلائل ما يحتمل الموضع الشرح فيه. وأنا أبين لكم ذلك في كتاب السيرة^(٢٠) من ناسوت مولانا جلّ ذكره في كلّ عصرٍ وزمان إن شاء مولانا، وبه التوفيق في جميع الأمور. فصَحَّ عند العارف المُخلص بأنّ الإشارة والمراد في النهاية، من محمّد بن عبد الله إلى المهدي، وهو الهاء تمام الله، وهو عبد مولانا القائم الحاكم بذاته المنفرد عن مبدعاته، سبحانه وتعالى عما يصفون علواً كبيراً.

٢. الصلاة :

ثم أقام بعد الشهادتين به وبأساسه، الصلاة في خمسة أوقات. وقد روى كثير من المسلمين عن الناطق أنّه قال: مَنْ ترك صلاته ثلث متعمداً فقد كفر. وقال: مَنْ ترك الصلاة ثلث متعمداً فليمتْ على أيّ دينٍ شاء. وقد رأينا كثيراً من المسلمين يتركون الصلاة. ومنهم مَنْ لم يصل قطّ. ولم يقع عليه اسم الكفر. فعلمنا أنّه بخلاف ما جاء في الخبر. وقد اجتمعوا كافّة المسلمين بأنّ المصلّي بالناس صلاته صلاة الجماعة، وفعله فعلهم، وقراءته قراءتهم، حتّى إنّ سها في الفرض الذي لا تجوز الصلاة إلّا به، كان عليه الإعادة مثل ما عليه.

فإذا كان رجل مصلّ بالناس يقوم مقام أمته وتكون صلاته مقام صلواتهم، فكيف مولانا سبحانه الذي لا يدخل في عدد التشبيه وله سنين

(١٩) هنا تفسير درزي لسورة الفيل ١٠٥.

(٢٠) أي رسالة «السيرة المستقيمة»، رقم ١٢ من هذا الجزء.

بكثرة ما صلى بناس، ولا صلى على جنازة، ولا نحر في العيد الذي هو مقرون بالصلاة، بقوله: فصلٌ لربك وأنحر. إنَّ شانَكَ هُوَ الأَبْتَرُ^(٢١)، فصار فرضاً لازماً.

فلما تركه مولانا جلّ ذكره علمنا بأنّه قد نقضَ الحالَتين جميعاً: الصلاة والنَّحر. وأنّه يهلك عدوّه بغير هذين الخصلتين، وأنّ لعبيده رخصة في تركهما، إذ كان إليه المنتهى ومنه الابتداء في جميع الأمور. فبان لنا نقضه. وقد بطل صلاة العيد وصلاة يوم الجمعة بالجامع الأزهر، وهو أوّل جامع بُني بالقاهرة. وكذلك أوّل ما بطل هو.

فهذا ظاهر الصلاة ونقضها. وأمّا الباطن فقد سمعتم في المجالس بأنّ الصلاة هي العهد المألوف. وسمّي صلاة لأنّه صلة بين المستجيبين وبين الإمام، يعني عليّ ابن أبي طالب. واستدلّوا بقوله: إنّ الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر^(٢٢)، فمن اتّصل بعهد عليّ ابن أبي طالب انتهى عن محبة أبي بكر وعمر. وقد رأينا كثيراً من الناس اتّصلوا بعهد عليّ ابن أبي طالب، وكانوا محبّين لأبي بكر وعمر، وكانوا يمضون إلى معاوية، ويتركون عليّ ابن أبي طالب. وقالوا إنّ العهد في وقتنا هذا هو الصلاة، لأنّه صلة بينهم وبين مولانا جلّ ذكره. والفحشاء والمنكر أبو بكر وعمر. وقد اتّصل بعهد مولانا جلّ ذكره في عصرنا هذا خلقٌ كثير لا يحصيهم غير الذي أخذ عليهم. ولم يرجعوا عن محبة أبي بكر وعمر، ولا عن خلاف مولانا جلّ ذكره وعصيان أوامره.

فقد صحّ عندنا أنّه بخلاف ما سمعنا في المجالس ورأينا مولانا جلّ ذكره قد نقض الباطن الذي سمعناه لأنّه أباح لسائر النواصب^(٢٣) إظهار

(٢١) سورة الكوثر ١٠٨/٣...

(٢٢) سورة العنكبوت ٢٩/٤٥؛ أنظر: ٩٠/١٦.

(٢٣) النواصب من النصب والمناصب أي المعادة. وأهل النصب والنواصب هم أهل

محبة أبي بكر وعمر. وقرئ بذلك سجلٌ على رؤوس الأشهاد: مَنْ أراد أن يتختم في اليمين أو في الشمال فلا اعتراض عليه، فإنه عند مولانا في الحدّ سوا. وقد سمعتم في المجالس بأن اليمين والشمال هما الظاهر والباطن. وقد جعلهما مولانا جلّ ذكره في الحدّ سوا.

فعلمنا بأنه، علينا سلامه ورحمته، قد أسقط الباطن مثلما أسقط الظاهر. فنظرنا إلى ما ينجينا من العذابين جميعاً. ويخلصنا من الشريعتين سريعاً. ويدخلنا جنّة النعيم^(١٤) التي وعدنا بها، وهي حجة القائم التي جنت على سائر الحدود.

فعلمنا بأن الصلاة، التي هي لازمة في خمسة أوقات فإن تركها أحدٌ من سائر الناس كافةً ثلثٌ فقد كفر، هي صلة قلوبكم بتوحيد مولانا جلّ ذكره، لا شريك له، على يد خمسة حدود: السابق والتالي والجَدّ والفتح والخيال. وهم موجودون في وقتنا هذا.

وهذه هي الصلاة الحقيقية دون الصلاتين: الظاهر والباطن.

ومن مات ولم يعرف إمام زمانه وهو حيّ مات موتة جاهلية وهو معرفة توحيد مولانا جلّ ذكره. وقوله حيّ يعني دائماً أبداً في كلّ عصرٍ وزمان.

والفحشاء والمنكر هما الشريعتان: الظاهر والباطن.

ومن وحد مولانا جلّ ذكره ينهاه توحيد مولانا جلّ ذكره عن التفاته إلى ورائه وانتظاره العدم المفقود. وقال مَنْ ترك الصلاة ثلثٌ متعمداً فقد

التنزيل. سموا نواصب لانهم ناصبوا علياً وذريته ومن تبعه بالعداوة.
(١٤) جنّة النعيم تعني دين التوحيد.

كفر. يعني توحيد مولانا جل ذكره على يد ثلاثة حدود، وهم: ذو معة، وذو مصّة والجناح^(١٥)، الحاضرون في وقتنا هذا، موجودين ظاهرين للموحدين لا للمشركين. وأنا أبين لكم أشخاص مع أشخاص حدودهم وأشخاص لا إله إلا الله، وأشخاص الحمد لله رب العالمين في غير هذا الكتاب بتوفيق مولانا جل ذكره.

وقد قال مولانا المعز، سلام الله على ذكره: أنا سابع الأسبوعين، والواقف على البيعتين، ولا أسبوع بعدي. يعني أنني وقفت وحضرت على بيعة الناطق والأساس. وسابع أسبوعين هو الظاهر والباطن، دورين (كذا) الشريعتين. ولا أسبوع بعدي يعني لا تقيم الشريعة بعدي لعلّي سبعة أخرى. والأمر مردود إلى صاحبه وهو مولانا الحاكم بذاته المنفرد عن مبدعاته، سبحانه وتعالى عما يقولون المشركون علواً كبيراً.

٣. الزكاة :

تتلوه الزكاة. وقد أسقطها مولانا جل ذكره عنكم بالكلفة. وقد سمعتم في مجالس الحكمة الباطنية، بأن الزكاة ولاية علي ابن أبي طالب والأئمة من ذريته والتبرّي من أعدائه: أبي بكر وعمر وعثمان. وقد منع مولانا جل ذكره عن أذية أحد من النواصب. وقُرئ بذلك سجل على رؤوس الأشهاد بأن لا يلعن أحد أباً بكر وعمر. وقد قُرئ في المجلس بأن اليمين والشمال على الناطق والأساس.

(١٥) ذو معة، كناية عن حمزة الذي وعى توحيد مولانا، وكان معه؛ وذو مصّة هو إسماعيل التميمي، ثاني الحدود، الذي امتص العلم من حمزة؛ والجناح جناحان، الجناح الأيمن والجناح الأيسر. والمقصود هنا الجناح الأيسر الذي هو بهاء الدين المقتنى صاحب أكبر قسم من رسائل الحكمة، وقد حمل على عاتقه الدعوة التوحيدية بكاملها. فهؤلاء الثلاثة هم، بذلك، أصحاب التوحيد الحقيقيون.

ثم جاء بعد هذا أيضاً في المجلس بأنَّ الطريقَيْن اليمين والشمال مضلَّتان، وأنَّ الوسطى هي المنهج والغاية هي الطريق الوسطى تغنيكم عنها. فبانَ لنا بأنَّ مولانا جلَّ ذكره، بطلَّ باطنَ الزَّكاة الذي في علي ابن أبي طالب، كما بطلَّ ظاهرها، وأنَّ الزَّكاة غير ما أشاروا إليه في المجلس جميعاً. وترك ما كنتم عليه قديماً. وذلك قوله: وَلَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ^(١٦). والبرُّ فهو توحيد مولانا جلَّ ذكره، ونفقة ما تحبُّون الظاهر والباطن. ومعنى نفقة الشيء تركه، لأنَّ النفقة لا ترجع إلى صاحبها أبداً. وقالوا أهلُ الظاهر الحشويَّة^(١٧) بأنَّ النفقة ما كان من الدنانير والدرهم، وهما جميعاً دليلان على ما قلنا الناطق والأساس. فمَن لم يتركْ عدمَ الناطقِ وازدواجَ الأساس لم يبلغ إلى توحيد مولانا جلَّ ذكره، الحاكم بذاته المنفرد عن مبدعاته، جلَّ ذكره.

٤. الصوم :

الصوم عند أهل الظاهر وكافة المسلمين يعتقدون بأنَّ الناطق قال لهم: صوموا لرؤيته، وافطروا لرؤيته^(١٨). ويرون في اعتقاداتهم أنَّ مَنْ أفطر يوماً واحداً من شهر رمضان وهو يعتقد أنَّه قد أخطأ وجب عليه صومُ شهرين وعشرة أيام كفَّارة ذلك اليوم^(١٩). وإنَّ اعتقد أنَّ إفطاره ذلك اليوم حلال له فقد هدم الصومَ بكماله. ومولانا جلَّ ذكره هدم الصومَ بكماله مدَّة سنين بكثرة، بتكذيب هذا الخبر: صُومُوا لرؤيته، وافطروا لرؤيته. وأمَرنا بالإفطار في ذلك اليوم الذي يعتقدون المسلمون كلُّهم بأنَّه خاتم الصوم، ولا

(١٦) سورة آل عمران ٩٢/٣.

(١٧) الحشوية هم أهل التنزيل الذين «حشوا الحق بالباطل».

(١٨) من الاحاديث النبوية الشارحة للقرآن وتعني: صوموا عند رؤية الهلال وافطروا عند رؤيته أيضاً.

(١٩) انظر سورة المجادلة ٥٨/٤، سورة النساء ٩٤/٤ بتصرّف

يقبل منهم الشهر إلا بصيامه. ولا يكون في نقض الصوم أعظم من هذا ولا أبين منه لمن نظر وتفكر وتدبر.

وباطن الصوم فقد قالوا فيه الشيوخ بأن الصوم هو الصمت بقوله لمريم وهي حجة صاحب زمانه: كُلِّي واشْرَبِي وقرِّي عَيْنًا^(٢٠). يعني الأكل علم الظاهر والشرب علم الباطن. وقرِّي عَيْنًا لمزيدة. فما ترين أحداً من البشر يعني أهل الظاهر فقولِي إِنِّي نذرتُ للرحمن، يعني الإمام، صوماً، أي السكوت، فلن أكلّم اليوم أنسياً، يعني فلن أخاطب أحداً من أصحاب الشريعة الظاهرة.

وقوله: فَمَنْ شهد منكم الشهرَ فليصمه^(٢١)، يعني عليّ ابن أبي طالب والشهر ثلاثون يوماً. كذلك لعلّي ثلاثون حذاً. فَمَنْ عرفه وعرف حدوده وجب عليه السكوت عند سائر العالمين كافة إلا عند إخوانه الثقات.

وقد كان قرئ في المجالس من أوصاف علي ابن أبي طالب ما لم تقبله قلوب المخالفين. وكان كثير من المعاهدين المنافقين يخرجون من المجلس ويظهرون سائر ما يسمعون في المجلس للنواصب والإمامية والزيدية والقطعية وغيرهم من المخالفين^(٢٢).

فبان لنا نقض ما كان في المجلس وما وصفوه الشيوخ من باطن الصوم وسكوته. وإنّ مولانا جلّ ذكره فطر الناس في ظاهر الصوم وفطرهم في باطنه. وهو بالحقيقة غير الصومين المعروفين من الشريعتين، وهو صيانة قلوبكم بتوحيد مولانا جلّ ذكره.

(٢٠) سورة البقرة ٢/١٨٥

(٢١) سورة مريم ١٩/٢٦

(٢٢) النواصب هم أهل التنزيل. الإمامية هم القائلون بالإمامة لعلّي وذريته. الزيدية هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. والقطعية هم الاثنا عشرية الذين قطعوا بإمامة موسى الكاظم بدل إسماعيل بن جعفر.

ولا يصلُّ أحدٌ إلى توحيدِهِ إلاّ بتمييز ثلاثين حدًّا ومعرفتهم. روحانيًّا وجسمانيًّا. وهي الكلمة والسابق والتالي والحدّ والفتح والخيال والناطق والأساس والتمم والحجّة والدّاعي والأئمة السبعة والحجج الاثنعشر. فصاروا الجميع ثلاثين حدًّا. وكذلك مَنْ عرف هؤلاء الحدود وعرف رموزاتهم وتلويحاتهم وعرف بأنّهم كلّهم عبيد مستخدمون لمولانا جلّ ذكره وأنّ مولانا جلّ ذكره مبدعهم ومالكهم منزّه عنهم، داخل فيهم خارج منهم. ما منهم أحدٌ إلاّ وفيه مِنْ قوله جلّ سلطانه. وهو المنفرد عنهم بذاته سبحانه.

ومن وجهٍ آخر، أحسن منه وأعلاه، بأنّ التوحيد، إذا عقدته من حساب الجُمْل الصغير وجدته اثنتين وثلاثين سوا: ت: أربعة. و: ستة. ح: ثمانية. ي: عشرة. د: أربعة^(٢٣). وكذلك الإرادة والمشية، وهما أعلا الدّرج الخفية. والكلمة والسابق والتالي والجدّ والفتح والخيال وسبعة نطقاء وسبعة أسس وسبعة أئمة وثلاثة خلفاء. فكمّلت اثنتين وثلاثين حدًّا كاملة. فعند ذلك أظهر المولى جلّ ذكره حجابهُ الأعظم وهو رابع الخلفاء وهو سَعِيد ابن أحمد. فمَنْ عرف هؤلاء الحدود روحانيًّا وجسمانيًّا وعرف درجة كلّ واحدٍ منهم بأنّ له توحيد مولانا القائم الحاكم بذاته. المنفرد عن مبدعاته. جلّ ذكره.

٥. الحجّ:

الحجّ. قال: ولله على النَّاسِ حجُّ البيتِ مَنْ استطاعَ إليه سَبِيلًا^(٢٤). قالوا أهل الظاهر عن الناطق: إنّ الحجّ هو المجيء إلى مكّة والوقوف بعرفات وإقامة شروطه. ورأيتُ بخلاف قوله: مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا. قالوا: الحَرَمُ بمكّة

(٢٣) يلاحظ : ت : أربعة . ود : أربعة. والحقيقة ان «ت» تساوي أربعمئة...

(٢٤) سورة آل عمران ٩٧/٣

والحرم أثنعشر ميلاً من كل جانب . وقد شاهدنا في هذا الحرم قتل الأنفس ونهب الأموال . وداخل الكعبة أيضاً السرقة . وهذا من الخلاف والمحال .

وجميع ما يعملون به من شروط الحجّ فهو ضرب من ضروب الجنون : من كشف الرؤوس ، وتعرية الأبدان ، ورمي الجِمار ، والتلبية من غير أن يدعوهم أحد . وهذا من الجنون .

ومولانا جلّ ذكره قد قطع الحجّ سنين كثيرة وقطع عن الكعبة كسوتها وقطع كسوة الشيء كشفه وهتكه ليبين للعالم بأنّ المراد في غيرها وليس فيها منفعة .

وقالوا الشيوخ في الباطن بأنّ الحرم هي الدعوة وهو أثنعشر ميلاً من كل جانب . وكذلك للدعوة أثنعشر حجة . والبيت دليل على الناطق ، والحجر دليل على الأساس ، والطواف به سبعة هو الإقرار به في سبعة أدوار ، والوقوف بعرفات معرفتهم بعلم الناطق ، ومنى^(٢٥) ما كان يتمنى الرّأغب من الوصول إلى الناطق والأساس وحدودهما ممّا يطول الشرح فيه ، وإشاراتهم إلى الناطق والأساس وحدودهما . وإنّ ابتداء الطواف من عند الحجر الأسود وختمها عنده . كذلك الأساس استقى من الناطق .

وقد رأينا مولانا جلّ ذكره بطل الحجّ بإظهار محبة أبي بكر وعمر وخمود ذكر علي ابن أبي طالب . وقد سمعنا في المجلس بأنّ الشمال على الناطق واليمين على الأساس . وقد روي في المجالس : لا تستقبلوا القبلة ، وهو الإمام ، بالبول والغيط ، وهو علم الظاهر والباطن . فنقض ما سمعناه في المجالس فعلمنا بأنّ الحجّ غير هذا الذي كانوا يعتقدونه ظاهراً وباطناً .

كما قال مولانا المنصور :

(٢٥) هي وادي منى ، منسك من مناسك الحجّ عند المسلمين .

هَلَمْ أُرِيكَ الْبَيْتَ تُوقِنُ أَنَّه هُوَ الْبَيْتُ بَيْتُ اللَّهِ لَا مَا تَوَهَّمْنَا.
أَبَيْتُ مِنَ الْأَحْجَارِ أَعْظَمَ حَرَمَةً أَمْ الْمَصْطَفَى الْهَادِي الَّذِي نَصَبَ الْبَيْتَ

والبيت هو توحيد مولانا جلّ ذكره موضع السكنى والمأوى الذي يُطلبُ المعبود فيه. كذلك الموحّدون أولياء مولانا جلّ ذكره سكنت أرواحهم فيه. وَرَبُّ الْبَيْتِ هُوَ مَوْلَانَا جَلَّ ذِكْرُهُ فِي كُلِّ عَصْرِ وَزَمَانٍ. كما قال: فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، يعني مولانا جلّ ذكره، الذي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جَوْعٍ، يعني الظَّاهِرَ، وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ، يعني خَوْفَ الشُّكُوكِ مِنَ الْوُقُوفِ عِنْدَ الْأَسَاسِ كَمَا يَزْعُمُونَ الْمُؤْمِنُونَ الْمُشْرِكُونَ^(٢٦).

كما قال: وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون^(٢٧)، لقولهم بأنّ علي ابن أبي طالب هو مولانا الحاكم جلّ ذكره في عصرنا هذا. فنعوذ بمولانا جلّ ذكره من الشكّ فيه والشرك به والازدواج معه، سبحانه وتعالى عن سائر الحدود.

٦. الجهاد:

الجهاد. وبه قام محمّد وأظهر الإسلام وجعله فرضاً على سائر المسلمين كافّة. وقد رفعه مولانا جلّ ذكره عن سائر الذمّة، إذ كانت الذمّة لا تُطلب إلاّ جبراً. والمسلمون الجاحدون والمؤمنون المشركون يقاتلونك في بيتك وهم أذية لأهل التّوحيد.

وكلُّ جهاد لا يجاهد فيه إمامُ الزمان فهو مسقوطٌ عن الناس. وما قرئ في المجلس وألفوه الشيوخ في كتبهم بأنّ الجهاد الباطن هو الجهاد للنواصب الحشويّة الغاوية لهم. وقد منع مولانا جلّ ذكره عداوتهم والكلام

(٢٦) سورة قرش ١٠٦/٤. يلاحظ ان المؤمنين المشركين هم أهل التاويل.

(٢٧) سورة يوسف ١٢/١٠٦

معهم. فعلمنا بأنه قد نقض باطنَ الجهاد وظاهره، وأنَّ الجهاد الحقيقي هو الطلبة والجهد في توحيد مولانا جلَّ ذكره ومعرفته، ولا يشكُّ به أحدٌ من سائر الحدود والتبرُّي من العدم المفقود.

٧. الولاية:

الولاية. قال: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم^(٢٨). قالوا أهلُ الظاهر وسائر المسلمين كافةً بأنَّ الولاية لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي. وكانت في بني أميَّة، ثمَّ إنَّها رجعت إلى بني العباس. وكلُّ واحدٍ منهم، إذا جلس في الخلافة، كانت ولايته واجبةً على المسلمين كافةً. وقد نقضها مولانا جلَّ ذكره، وكتبَ لعنة الأولين والآخرين على كلِّ باب، ونبشهم من قبورهم.

وأما باطن الولاية ومعرفة حقيقتها التي جاءت في المجلس وكتبَ الشيوخ بأنها إظهار محبة علي ابن أبي طالب والبراءة من أعدائه. واستدلوا بقوله: اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي، يعني علم الباطن، ورضيتُ لكم الإسلام ديناً، يعني تسليم الأمر إلى علي ابن أبي طالب^(٢٩). وقد نقضها مولانا جلَّ ذكره بقراءة سجلِّ على رؤوس الأشهاد: لا تسجدوا للشمس ولا للقمر. وهما الناطق والاساس. واسجدوا لله الذي خلقهنَّ، يعني الحجة العظمى الذي هو المشيَّة، إن كنتم إياه تعبدون، يعني الإمام الأعظم. والعبادة هي الطاعة^(٣٠).

فبان لنا بأنه جلَّ ذكره نقض باطنَ الولاية التي في علي ابن أبي طالب، وظاهرها. والإمام هو عبد مولانا جلَّتْ قدرته بقوله: كلُّ شيءٍ

(٢٨) سورة النساء ٤/٥٩

(٢٩) سورة المائدة ٥/٣

(٣٠) سورة فصلت ٤١/٣٧

أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ^(٣١). والذي أَحْصَى الأشياءَ في الإمام هو مولانا جَلَّ ذَكَرُهُ.

وَأَمَّا الرُّتَبُ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ الَّتِي كَانَتْ لِلنَّاطِقِ وَالْأَسَاسِ فَقَدْ جَعَلَهَا مَوْلَانَا جَلَّ ذَكَرُهُ لِعَبِيدِهِ وَمَمَالِكِهِ، مِثْلَ ذِي الرِّئَاسَتَيْنِ وَذِي الْكَفَالَتَيْنِ وَذِي الْجَلَالَتَيْنِ وَذِي الْفَضِيلَتَيْنِ وَذِي الْحَدِّينِ. وَأَمْثَالُ هَذَا كُلِّهِ أَشَارَةٌ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ جَلَّ ذَكَرُهُ أَرَادَ أَنْ يَبَيِّنَ لِلْعَاقِلِ الْفَاضِلِ بِأَنَّ جَمِيعَ الْمَرَاتِبِ الَّتِي كَانَتْ لِلنَّاطِقِ وَالْأَسَاسِ قَدْ أُعْطَاهَا لِعَبِيدِهِ وَأَنَّهُ مَنْزَعٌ عَنِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

وَكُلَّمَا يُقَالُ فِيهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ مِثْلُ الْإِمَامِ، وَصَاحِبِ الزَّمَانِ، وَآمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَوْلَانَا، كُلُّهَا لِعَبِيدِهِ. وَهُوَ أَعْلَى وَأَجَلُّ مِمَّا يُقَاسُ أَوْ يُحَدُّ أَوْ يُوصَفُ. لَكِنْ بِالْمَجَازِ لَا بِالْحَقِيقَةِ ضَرُورَةٌ لَا إِثْبَاتًا.

نَقُولُ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ جَلَّ ذَكَرُهُ، مِنْ حَيْثُ جَرَتْ الرِّسُومُ وَالتَّرَاتِيبُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ. وَلَوْ قُلْنَا غَيْرَ هَذَا لَمْ يَعْرِفُوا لِمَنِ الْمَعْنَى وَالْمُرَادُ. وَتَعْمَى قُلُوبُهُمْ عَنْهُ وَهُوَ سَبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.

فَعَلَيْكُمْ مَعَاشِرَ الْمُسْتَجِيبِينَ الْمُوَحِّدِينَ لِمَوْلَانَا جَلَّ ذَكَرُهُ بِمَعْرِفَةِ مَوْلَانَا وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، عَلَيْنَا سَلَامُهُ وَرَحْمَتُهُ. ثُمَّ مَعْرِفَةِ حُدُودِهِ وَطَلَبُ وَجُودِهِ لَهُ سَبْحَانَهُ لَا لِلْعَدَمِ الْمَفْقُودِ الَّذِي مَعْرِفَتُهُ لَا تَنْفَعُ، وَالْاِمْتِسَاكُ بِهِ لَا يَنْفَعُ. لَكِنْ الْعَالَمُ قَدْ اسْتَمَرَّوْا عَلَى الشُّرْكِ وَالضَّلَالَةِ، وَالْعَجَبُ وَالْجَهَالَةُ. يَنْظُرُونَ وَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ، وَيَسْمَعُونَ وَلَا يَوْعُونَ. قَاتَلَهُمُ الْمَوْلَى سَبْحَانَهُ وَمِنْ عَذَابِهِ لَا يَنْفَكُونَ.

وَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ لِمَوْلَانَا وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ سَبْحَانَهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْنَا،

وتحيّاته لدينا، وبركاته علينا، وعلى جميع عباده الصالحين. وهو حسبنا ونعم الوكيل والحمد لمولانا في السرّاء والضّرّاء.

ورُفِعَ هذا الكتاب إلى الحضرة اللاهوتية في شهر صفر سنة ثمان وأربعمائة من الهجرة، وهي أوّل سني ظهور عبد مولانا ومملوكه هادي المستجيبين المنتقم من المشركين بسيف مولانا جلّ ذكره، لا شريك له، ولا معبود سواه. وحسبنا مولانا وحده. قوبل بها وصحّت (٣٠).

(٣٠) هناك اضطراب حقيقي في مَنْ هو مؤلّف هذا الكتاب. يظهر من المقطع الأخير بأنّه ليس حمزة إذ يُورّخ الكاتب بسني حمزة نفسه «عبد مولانا» ، ولكن قد يكون المقطع الأخير مضافاً بواسطة أحد النسخ أو أحد تلاميذ حمزة، لقوله : قوبل بها، أي بالرسالة الأصل، وصحّت، أي صحّحت... ثمّ إنّ ذكر بعض الرسائل في متن هذا الكتاب يشير إلى صحّة نسبتها إلى حمزة، وبالتالي إلى صحّة نسبة هذا الكتاب.

٧

الرسالة الموسومة ببدء التوحيد لرعوة الحق

قد يكون حمزة أو أحد الحدود واضع هذه الرسالة. فالأمر مضطرب لكن لها علاقة بالكتاب السابق. فهي تكمله، إذ، بعد نقض الدعائم الإسلامية السبع، تستبدلها بسبع خصال توحيدية هامة. في هذه الرسالة وضوح أمرين آخرين: نسخ شريعة محمد بالتنام، والقول بتجلي الله كعقيدة أساسية في الدرزية. وفيها أيضاً كلام على كيفية انتقام الموحدين من علوج الضلال بسيف حمزة قائم القيامة. كتبت هذه الرسالة سنة ٤٠٨ هـ

توكلت على مولانا البار العالم. ألقى الأعلى حاكم الحكام. من لا يدخل في الخواطر والأوهام. جل ذكره عن وصف الواصفين وإدراك الأنام. حروف بسم الله الرحمن الرحيم: حدود عبد مولانا الإمام.

كتابي إليكم معاشر الإخوان المستجيبين إلى دعوة مولانا الحاكم الأحَد الفرد الصمد جل ذكره عن صاحبة والولد. العابدين له لا لغيره. التاجيين من شبكة إبليس اللعين، والضد المهين، وجواسيسه الملاعين، وأنصاره الغاويين، وحزبه الشياطين. ليس لإبليس عليكم سلطان، ولا لجنوده لديكم مكان، ولا لزخرفه عندكم شأن. بل أنتم الملائكة المقربين، الذين ملكوا أنفسهم عن أفعال المشركين. وأنتم حملة عرش مولانا جل ذكره، والعرش ها هنا علمه الحقيقي الذي هو صعبٌ مستصعب، لا يحمله إلا نبيُّ

مرسل أو ملكٌ مقربٌ أو مؤمنٌ امتحن المولى قلبه بالإيمان له وحده، سبحانه وتعالى عما يصفون.

﴿أما بعد، فإني أحمد إليكم مولانا الذي لا مولى لنا سواه. وأمركم وأياي بالشكر لنعمه وآلاه. حمدٌ من استوجب الزيادة في أولاه وأخراه. وأوصيكم بما أيدني به مولانا جلّ ذكره، وأمرني من أسقاط ما لا يلزمكم اعتقاده، وترك ما لا يضرّكم افتقاده، من الأدوار الماضية الخادمة، والشرائع الدارسة الجامدة.﴾

وما منهم ناطق إلا وقد نسخ شريعة من كان قبله من المتقدمين. ومحمد ابن عبد الله الناطق السادس لما ظهر بالنطق، نسخ الشرائع كلّها وسدّ الطرق. وقال: فمن لم يترك ما كان عليه قديماً من دين آبائه وأجداده قُتل، وسُمّي كافراً. ومن ترك الشريعة التي بيده، ولم يلتفت إليها وقع عليه اسم الإسلام. وكان في سلّمه غير مُلام. وضمن لهم محمدُ الجنّة على الدوام. فبان للعاقل الشافي والمخلص الكافي أنّ الإشارة والمراد هاهنا في عبادة الوجود، لا للعدم المفقود. والإنسان ابنُ يومه وساعته، وفي الوجود راحته، وله عبادته، وبه حياته، وإليه أشارته. ومولانا الحاكم البارّ العلام قد نسخ شريعة محمد بالكمال، ظاهرًا للمؤمنين ذوي الأفضال، وباطناً للموحّدين أولي الألباب.

وأما من نورّه في قلبه زاهر، وفي معاني أموره للخلق قاهر، وغير منافق بالكفر شاهر، لا يلتفت إلى اشتعال الناموس وعلوّه وزخرف القول وسموّه، ويعلم أنّه استدراج للكافرين وتمييز للمؤمنين الموحّدين. كما قال: وليميّز الله الخبيث من الطيّب^(١)، وإن كان لا يخفى عن مولانا جلّ ذكره

الخبِيثُ من الطَّيِّبِ، يعني المشرك من الموحد، لكنَّه أراد أن يبيِّن للموحِّدين من يرجع منهم على عقبيه ومولانا جَلَّ ذكره عالمٌ بما في الصدور وما هو كائن.

والدليل على ذلك زوالُ الشريعة على الاختصار في شيءٍ واحد، إذ لم تحتل هذه الرسالة طول الشرح. وقد بيَّنت لكم في الكتاب المعروف بالنَّقْضِ الخفي نسخَ السبع دعائم ظاهرها وباطنها، وذلك بقوة مولانا جَلَّ ذكره وتأييده، ولا حول ولا قوة إلا به. وكيف، وفي رفع الزَّكاة وإسقاطها مقنعٌ للسائلين عن غيرها وهي مقرونة بالصلاة، وقد غزا عبدُ اللَّاتِ ابنُ عثمان المكنَّى بأبي بكر إلى بني حنيف ومعه جميعُ المهاجرين والأنصار، فقتل رجالَ بني حنيف ونهبَ أموالهم وسبى حريمهم. وقد اشترى علي ابن أبي طالب، وهو أساس الناطق، من جملة السبي، امرأة تُعرف بالحنفية واسمها تحفة وهي أمُّ ولده محمد. فقليل له يا عليَّ كيف تستحلُّ لنفسك أن تشتري امرأة مسلمة تشهد أن لا إله إلا الله، وتشهد أن محمد رسول الله، وتصلِّي الخمس، وتصوم شهر رمضان؟! فقال علي: ما ينفعها ولا لقومها الشهادتين، ولا سائر أعمال الشريعتين. إذ لم يؤدوا الزَّكاة وأنَّ الزَّكاة هي الشريعة بكمالها. فمن لم يؤدّها وجبَ عليه القتلُ وأُحِلَّ لنا ماله وأهلُه. لقوله: فويل للمشرِّكين الذين لا يؤدُّون الزَّكاة فقد أخرجهم الله من الإسلام وجعلهم مشرِّكين.

وأنتم معاشر المؤمنين الموحِّدين، قد علمتم وسمعتُم السجِّلَ الذي أمرَ مولانا جَلَّ ذكره بقراءته عليكم. وأسقطُ عنكم الزَّكاة والأعشار والأخماس وسائر السدقات إلى أبد الأبد. ولم يُسقط عنكم محافظة بعضكم بعضاً. ولا يكون في نسخ الشريعة حجةً عقليةً واضحة مرئية أعظم من هذا. وسوف تسمعون بيان نسخ الدعائم كلّها والحجج الواضحة عليها إن شاء مولانا وبه التوفيق في جميع الأمور سبحانه وتعالى عما يصفون.

واعلموا أنَّ مولانا جل ذكره قد أسقط عنكم سبع دعائم تكليفية ناموسية. وفرض عليكم سبع خصال توحيدية دينية: أولها وأعظمها سدق اللسان. وثانيها حفظ الإخوان. وثالثها ترك ما كنتم عليه وتعتقده من عبادة العدم والبهتان. ورابعها البراءة من الأبالسة والطغيان. وخامسها التوحيد لمولانا جل ذكره في كل عصر وزمان ودهر وأوان. وسادسها الرضى بفعله كيفما كان. وسابعها التسليم لأمره في السر والحدّثان.

ويعلم كل واحد منكم بأنّ مولانا جل ذكره يراكم من حيث لا ترونه. فالحذر الحذر أن تخالف قلوبكم ما تنطق به ألسنتكم لإخوانكم. فإنّه نفس الشّرك. وإنّ الشّرك لظلم عظيم. ومولانا جل ذكره يجازيكم في جميع أموركم. فاعملوا بالخير وأمروا بالمعروف. ومولانا لا يضيع أجر المحسنين.

واعلموا أنَّ جميع الأسماء التي في القرآن تقع على السابق والتالي والجَدّ والفتح والخيال والناطق والأساس والإمام والحجّة والداعي. فتلك عشرة كاملة كلّهم كانوا يشيرون إلى علي ابن أبي طالب، وهو علي ابن عبد مناف، وهو أساس الناطق. فأشاروا إليه بالمعنوية^(٢). وعلي ابن أبي طالب أشار إلى غايته ونهايته المهدي بالله، وهو سعيد ابن أحمد. والمهدي نطق بلسانه، وأقر في عصره وزمانه أنّه عبد مملوك لمولانا القائم العالم الحاكم علينا سلامه ورحمته.

(٢) علي بن أبي طالب، عند العلويين النصيرين، هو الله، هو «المعنى»، أو «المعنوية»؛ فيما محمّد هو الاسم، وسكمان الفارسي هو الباب، ويختصر العلويون ذلك بـ «عمس»، وهو الثالوث الإلهي عندهم. وقد عاش العلويون والدروز متخفين ضمن الدولة الفاطمية، متأثرين بالإسماعيلية. لهذا جاء الكثير من تعاليمهم متقارباً مشتركاً؛ لا يميّز بينها إلاّ خبير.

وإنَّهٗ ^(٣) كان آلةً للدعوة الحقيقية ووعاءً لها. وكان فيه شيءٌ مستودعٌ ^(٤)، فأخذه منه المولى الأعظم المتجلى لخلقه كخلقه من حيث خلقه، كيما يُدركون العالمَ بعضَ قُدرةٍ مُقامِهِ. ويسمعون من ناسوتِ الصورةِ كلامَهُ. وأمَّا لاهوتُ مولانا جلَّ ذكره وحقيقتهُ كنهه، فهو معلٌ علَّةُ العلل، القديمُ الأزَل، لا يُدركُ بوهَمٍ ولا يُعرفُ بفهمٍ ولا يَدْخُلُ في الخواطر والأوهام، ولا في النثر والنظام، سبحانه وتعالى عما يصفون ^(٥).

واعلموا أنَّ جميعَ الحدود التي رتَّبوها الشيوخُ المتقدمون في كتبهم وقالوا بأنَّهم روحانيون وجسمانيون، أرادوا بها أهلَ الظاهر والباطن، وقالوا علويةً وسفليةً. أرادوا بالعلوية مَنْ علا بعلمه على غيره، والسفلية مَنْ لم يبلغ حدَّ الكمال في علم الحقيقة. وكلُّهم أشخاص معروفون موجودون في عصرنا هذا مستخدمون تحت ملكِ مولانا، مقرَّون بربوبيَّته، عابدون لقدرته طوعاً وكرهاً. كما قال: وللهُ يَسجد مَنْ في السموات والأرض طوعاً وكرهاً ^(٦). والسموات والأرض هاهنا النطاق والأسس.

أراد بأنَّ جميعَ شيعتهم يُقرَّون بمولانا جلَّ ذكره. فمنهم طائِع مؤمن موافق، ومنهم كافرٌ مشرك منافق. لمن الملك والحكمة اليوم وفي كلِّ يوم؟ فيقال لمولانا الحاكم جلَّ ذكره وعزَّ اسمه ولا معبود سواه. فَمَنْ قَبْلَ من هادي العالم، وعبدَ مولانا العليَّ الحاكم، كان من الفائزين الذين فازوا

(٣) أنَّه يرجع الضمير الى المهدي أول خلفاء الدولة الفاطمية والمقام الاول الذي فيه استودعت حقيقة لاهوت مولانا الحاكم.

(٤) هي لفظة جليلة على أصحاب المذاهب الباطنية الذين أطلقوها على أئمة دور الستر، فسموهم الأئمة المستورين أو المستودعين. أي الذين استودع التوحيد عندهم.

(٥) أسلوب هذا المقطع في التجلي الالهي شبيه جداً بأسلوب رسائل بهاء الدين التي تأتي في الثلاثين الأخيرين من رسائل الحكمة.

(٦) سورة الرعد ١٣/١٥

بالتوحيد، وتخلّصوا من التلحيد، الذين لا خوف عليهم من الظاهر، ولا هم يحزنون بشرك الباطن، وعلموا أسرار ما كان في الأبوار وما هو كائن. ومن تردى بالكبرياء، وكان له نفس الأشقياء، وغلب عليه جهل البهيمية والخنا، وقال إننا وجدنا آباءنا على ملّة وإنّا على آثارهم مقتدون^(٥)، لم يحصل لهم إلاّ العدم المفقود، ولم يُقرّوا بالوجود، ولا لهم معرفة بالأحد المعبود، مذبذبين بين الأنام، ليس لهم في السماء إله معبود، ولا في الأرض إمام موجود. عبدوا الأوثان والأصنام، فاستحقوا العذاب المُدام من المولى البارّ العلّام، سبحانه وتعالى عما يصفون.

معاشرَ الموحّدين لمولانا جلّ ذكره، قد حان ظهورُ الحقائق، وهتك الشّرْك والبوائق، ونسخُ الشرائع والطرائق. فاستعِدّوا لقتل علوج الضلال^(٦)، وقودِ الزّنج في الأغلال، وسبي النساء والأطفال، وذبح رجالهم بالكمال، بسيفِ مولانا العليّ المتعال، ذي الإفضال والإجلال، سبحانه وتعالى عما يقولون المشركون والجهال، كشفاً شافياً على يد عبده قائم الزمان، الناطق بالبيان، والهادي إلى حقيقة الإيمان، المنتقم من المشركين والطغيان، بسيف مولانا وشدة سلطانه وحده، لا نستعين بغيره، ولا نتكل على سواه.

والحمد والشكر لمولانا وحده، وهو حسبي ونعم النصير المعين. عملت هذه الرسالة في شهر رمضان أوّل سنين قائم الزمان، وهي سنة ثمان وأربعمئة للهجرة. تمّت والحمد لمولانا وحده وهو حسبنا، وبه في كلّ الأمور نستعين.

(٥) سورة الزخرف ٤٣/٢٣. الاصل «أمة» وليس «ملّة»

(٦) عليّ وعلوج وأعلاج: الرجل الضخم من كفار العجم والعرب. تطلق على كل كافر.

٨

ميثاق النساء

ليست هذه الرسالة ميثاقاً بالمعنى الدرزي. بل هي رسالة فيها من النصائح والوصايا والتوجيهات بما يلزم النساء الموحدات حفظها والعمل بموجبها. وفيها أيضاً كيفية إعطاء الدين للمرأة، وتعليمها قراءة الرسائل ببالغ الحشمة والاحتراز والصيانة. كتبت هذه الرسالة من دون تاريخ. وقد يكون واضعها حمزة، أو أحد مستشاريه المقربين.

توكلتُ على مولانا الحاكم سبحانه عزَّ عن حكومة الأوهام سلطانه، ولا معبود سواه. لما نظرتُ معاشرَ الحدودِ الروحانيين بنوره التمام، ونصبتني لدعوته مولانا جلَّ ذكره ولعبيده إمام، نظرتُ إلى قوله: لولا رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمناتٌ لم تعلموهم أن تطوؤهم فتصيبكم منهم معرةٌ بغير علمٍ ليدخلَ الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً^(١).

والنطقاء، فيما تقدّم، هم الرجال، والأسس نساؤهم. وفي وجه آخر: الأسس هم الرجال، والحجج نساؤهم. وفي وجه آخر: الحجج هم الرجال، والدعاة نساؤهم. وفي وجه آخر: الدعاة هم الرجال، والمأذونون نساؤهم. وفي وجه آخر: المأذونون هم الرجال، والمكاسرون نساؤهم. وهم كلّهم عبيدٌ موجودون في عصرنا هذا مستخدمون لمولانا جلَّ ذكره.

والوظءة هاهنا هو المفاتحة بالعلم الحقيقى؁ لأنه لولا تعليم الرجال الحقيقىة للنساء الدينىة؁ لما خرج منهم مستجيب؁ وصاروا فى جملة أهل الشرائع الناموسىة؁ وأصاب الناطق منهم معرةً بغير علم. فبتعليم الرجال الحقيقىة للنساء الدينىة انتقلوا من الجهل إلى العلم؁ وحصلوا من جملة الملائكة المقربين الذين ملكوا أنفسهم عن أفعال المشركين وحملة العرش الكروبيين. والعرش هاهنا علم التوحيد لمولانا جل ذكره الذى هو صعب مستصعب؁ لا يحملة إلا نبيٌ مرسل أو ملكٌ مقرب.

وهو معنى قوله للحدود: لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرةً بغير علم. يعنى لو لم تفاتحوهم بعلم الحقيقة الذى هو توحيد مولانا جل ذكره؁ لوقفوا عند شرع التأويل؁ ولم يهتدوا إلى التوحيد؁ وكان وقوفهم عند شرع التأويل معرةً على دعائهم ليدخل الله فى رحمته من يشاء؁ يعنى داعى الحق فى هدايته من يشاء. ذلك وعلم أنه من أهله.

وقوله: ولو تزيّلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً؁ يعنى: الدعاة لو رتبوا أنفسهم فى غير توحيد مولانا جل ذكره؁ أو غيروا الدعوة إليه؁ أو تعدوا إلى غير مراتبهم؁ أو نطقوا بغير ما أمروا به من المنهى عنه؁ لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً؁ أى: الذين سترّوا كلمة التوحيد بغيرها. والعذاب الأليم: تجديد الظاهر فى قلوبهم وإسقاطهم عن منازلهم.

فكما وجب على الرجال الحقيقىة والنساء الدينىة التبرى من كل عيب ودنس؁ كذلك يجب على الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات الطاهرات التبرى من كل دنس ونجس وعيب ورجس. والطاعة لقائم الزمان وحدوده الروحانيين من الحجج والدعاة المطلقين؁ والقبول من الماذننين والمكاسرين فيما يقرب إلى توحيد مولانا جل ذكره ويوصل إلى رحمته وعبادته وأن يتجنبن قول الكافرات بمولانا جل ذكره؁ الجاحدات لله؁ ويجتنبن أنفسهن عن

الشهوات والشبهات وارتكاب الفواحش والمنكرات، لينتفعن بإيمانهن، ويظهر حسن أفعالهن على سائر النساء اللاتي هن مشركات بمولانا جلّ ذكره، ويتبرّين ممّا يدخل الفساد عليهنّ في أديانهنّ، ويوقع التهمة بهنّ وبأخوانهنّ. ويجب على سائر النساء المؤمنات أن لا يشغلنّ قلوبهنّ بغير توحيد مولانا جلّ ذكره والطاعة لحدود دينه الطاهرين، الذين نصبهم للطالبين. ولا يطلبن لنفوسهنّ الشهوات وبلوغ مناء الفاسقين.

وكتبت هذه الرسالة لتقرّونها على سائر النساء المؤمنات إذا كنّ من الموحّدات لمولانا جلّ ذكره، المقرّات بوحدانيّته، العارفات بصمدانيّته، الحافظات لما فُرض عليهنّ، المحصّات لفوجهنّ إلّا لبعولهنّ، الطائعات العابديات لمولانا ومولاهنّ، الحاكم بذاته، المنفرد عن مبدعاته. والذات هو لاهوته، والمبدعات هم النطقاء والأسس والأئمة والحجج واللّواحق بهم إذ كانوا كلّهم عبيداً مستخدمين في عصرنا هذا ملك مولانا جلّ ذكره، لا إله إلّا هو، وهو المنفرد عنهم سبحانه.

ولا يقرأ الدّاعي والمأذون المطلق هذه الرسالة على امرأة حتّى يكشف عن اعتقادها ودينها، وبعد أن يكتب الميثاق عليها. ولا يقرأها على امرأة وحدها، ولا في بيت ليس فيه غيرها، لئلاّ يقعان في الخلوة بالتهمة عند الوحدة، ولو كانا مؤمنين ثقات. فليرفع الدّاعي والمأذون من الشكّ فيه والظنّ السوء به، ويحسم امتداد الألسن إليه. ولا يقرأها على امرأة وحدها حتّى تجتمع نساء كثيرة، وأقلهنّ ثلاث، وتكون النساء من وراء حجاب، أو منقّبات غير مسفّرات. وليحضر مع المرأة بعلمها إن كان موحّداً، أو أبوها، أو ابنها، أو أخوها، أو من تحقّ له الولاية عليها إن كان موحّداً.

وليكن نظر الدّاعي والمأذون عند القراءة إلى الكتاب الذي يقرأه. ولا يكن نظره إليهنّ. ولا يلتفت نحوهنّ. ولا يتسمّع عليهنّ. ولا تتكلّم المرأة

عند القراءة عليها. ولا تضحك من الفرح. ولا تبكي من الهيبة والجزع، إذ كان ضحكها وبكاؤها وكلامها ممّا يُحرّك الشهوات بالرجال. ولتُصغين المرأة إلى القراءة بأذنها. وتدبره بقلبها. وتميّز معانيه بعقلها، ليتبين حقيقة ما تسمعه لها. فإنّ انعجم بعضه عليها تسأل الداعي عنه، فإن كان عنده علم منه أجابها. وإلا وعدّها إلى أن يسأل مَنْ هو أعلى منه، فإن وجد برهاناً أفادها، وإلا سأل قائم الزمان، إن كان له وصولٌ إليه، وإن لم يصل إليه يسأل خليفته الذي نصبه ليقوم للعالم مقامه. فإذا عرف الجواب أفادها إن رآها أهلاً لذلك.

ويجب على سائر الموحّدات أن يعلمن أن أول المفترضات عليهن معرفة مولانا جلّ ذكره، وتنزيهه عن جميع المخلوقات. ثم معرفة قائم الزمان وتمييزه عن سائر الحدود الروحانيّين. ثم معرفة الحدود الروحانيّين بأسمائهم ومراتبهم وألقابهم، الذي قائم الزمان أولهم، وهو الذي نصبهم، وهم له مطيعون، ومنه سامعون، وعمّا نهى عنه منتهون. فإذا علمن ذلك وجب أن يعلمن أن مولانا جلّ ذكره قد أسقط عنهنّ السبع دعائم التكليفية الناموسية، وفرض عليهنّ سبع خصالٍ توحيدية دينية: أولها وأعظمها سدق اللسان. وثانيها حفظ الإخوان. وترك ما كنتم عليه وتعتقدوه من عبادة العدم والبهتان. ثم البراءة من الأبالسة والطغيان. ثم التوحيد لمولانا جلّ ذكره في كلّ عصر وزمان ودهر وأوان. ثم الرضى بفعله كيفما كان. ثم التسليم لأمره في السرّ والحدّثان^(٢).

ويجب على سائر الموحّدين والموحّدات حفظ هذه السبع خصال، والعمل بها، وسترها عمّن لم يكن من أهلها، بعد المعرفة بما قدّمت ذكره، واجتناب الشك فيه. فإذا فعلن ذلك بما فرض عليهنّ واحتفظنّ منه، وتجنّبن

(٢) وردت هذه الخصال السبع في الموسومة ببدء التوحيد لدعوة الحق، رقم ٧.

ميثاق النساء ٨٩

ارتكأبَ مَا نُهَيْنَ عَنْهُ، وَشَكَرْنَا مَوْلَانَا وَمَوْلَاهُنَّ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِنَّ مِنْ
بَلُوغِ تَوْحِيدِهِ وَمَعْرِفَةِ حُدُودِهِ الرُّوحَانِيِّينَ وَالطَّاعَةِ لَهُمْ أَجْمَعِينَ، وَالْبَرَاءَةِ مِنْ
الْأَبَالِسَةِ الْغَوِيَّةِ، وَلِحَقْنِ بِالصَّالِحِينَ وَكَانَ لَهُنَّ ثَوَابُ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ
وَالْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ، وَتَخَلَّصُنَّ مِنْ شَبَكَةِ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ.

وَالْحَمْدُ لِمَوْلَانَا حَمْدَ الشَّاكِرِينَ. وَهُوَ حَسْبِي وَنَعْمَ النَّصِيرُ الْمَعِينُ.

تَمَّتْ.

رسالة البلاغ والنهاية في التوحيد

إلى كافة الموحدين المتبرئين من التلحيد

مقدمة الرسالة وخاتمتها ليستا من وضع حمزة . كتبت سنة ٤١٠ هـ في الرسالة كلام عميق المعنى على التجلي الالهي وضرورته . وكلام على الكذب والصدق . فيها يتبرأ الحاكم من نسبته البشرية ، من الأب والإبن . وفيها يظهر تجلي الإلهي بصورة بشرية ليعرف الناس سر لاهوته . وفيها أخيراً كلام على العجل الذي هو الضد أي الدرزي الذي استعجل في إعلان الدعوة وكشفها قبل أوانها .

تأليف عبد مولانا جل ذكره هادي المستجيبين المنتقم من المشركين بسيف مولانا جل ذكره . رفع نسختها إلى الحضرة اللاهوتية بيده في شهر المحرم ، الثاني من سنينه المباركة . نسخت عن خط قائم الزمان بغير تحريف ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان^(١) .

توكلت على مولانا عال كل العلل ومبدع القديم والأزل وناسخ الشرائع والمثل سبحانه وتعالى عن مقالات السفلى . قد سمعتم معاشر الموحدين لمولانا سبحانه العابدين له وحده دون غيره ، الطالبين رحمته

(١) واضح أن هذه المقدمة ليست من حمزة ، فيما بقية الرسالة من وضعه .

البلاغ والنهاية ٩١

سبحانه، ما تلوث عليكم من نسخ الشرائع وانفراد مولانا جلّ ذكره وتنزيهه عن البدائع، إذ كان جميع الموصوفات والمخلوقات والمصنوعات مزدوجات حتماً لزماً، لا بدّ لبعضهم من بعض، وجميع الصفات وسائر اللغات والأسماء المستحسنات، واقعة بالأشخاص الجسمانيّين والجرمانيّين والروحانيّين والنفسانيّين والنورانيّين.

وأجلّ إسم عندهم في القرآن، باجتماع أهل الشرائع والأديان، إسمان هما: الله والرحمن. وهما دليلان على داع التنزيل وداع التأويل. وهما اليوم صامتان دليل على نسخ الشريعتين وتبطل الطائفتين^(٧)، وإظهار الحقيقة ومحض الإمامة مرثية للمسلك الثالث الذي أشارت إليه جميع النطقاء والأسس والأوصياء والأئمة واللواحق بهم، وهو توحيد مولانا جلّ ذكره، وهو غاية لا تدرك. بل كل واحد منكم يوحدّه من حيث مبلغ عقله. وما تنبسط فيه استطاعته، وتتسع فيه همته وخاطره.

والآن فقد بلغ الباطل نهايته وأن خموده، وتبطل دعائمه، وكسر عموده. ويكون التوحيد ظاهراً أبداً على جميع الأديان، وعبادة مولانا جلّ ذكره في السرّ والإعلان.

فالحذر الحذر معاشر المؤمنين من الشكّ في مولانا جلّ ذكره، أو جحود حدوده، أو الكفر به، أو معادات أعلامه الدينيّة وبنوده، أو الشكّ به غيره، سبحانه لا شريك له ولا معبود سواه.

واعلموا أنّ الشكّ خفيّ المدخل، دقيق الستر والمسبل. وليس منكم أحدٌ إلّا وهو يُشرك ولا يدري، ويكفر وهو يسري، ويجحد وهو يزدري. وذلك قول القائل منكم بأنّ مولانا سبحانه صاحب الزمان، أو إمام الزمان،

(٢) هما أهل السنة وأهل الشيعة، وشرعية الظاهر وشرعية الباطن.

أو قائمُ الزمان، أو وليُّ الله، أو خليفةُ الله، أو ما شاكل ذلك من قولكم: الحاكمُ بأمرِ الله، أو سلام الله عليه، أو صلوات الله عليه، أو رَفَعَ رَقْعَةً^(٣) بغيرِ أن يعرف معناها بالحقيقيَّة إلى الحضرة اللاهوتيَّة، أو طلبه مالٍ بغيرِ اضطرارٍ إليه، أو زيادةً في رزق وهو في كفاية عنه، أو تعريضَ للكلام، أو تعريفَ خبرٍ لم يُجعلْ له ذلك. فهو الشُّرك به، واتِّباع العادة، وما في الصدور من غلٍّ متماد.

وقد سمعتم معاشر المؤمنين ما افترضه عليكم مولانا جلَّ ذكره في رسالة الميثاق^(٤)، وهي سبع خصال: أولها وأعظمها صدق اللسان. فلا تكونوا من الكاذبين، ولا تكونوا ممَّن قالوا سمعنا وأطعنا، وشربوا في قلوبهم العجلَ بكفرهم. والعجلُ هو ضدُّ وليِّ الزمان الذي هو القائم بجميع الحدود وهو عبد مولانا جلَّ ذكره. وسميَّ الضدَّ عَجلاً لأنَّه ناقص العقل عَجولٌ في أمره، له خوار. وهو يتشبه بقائم الزمان بلا حقيقيَّة ولا برهان. فإياكم أن تظنوا بأنَّ الضديَّة لمولانا سبحانه لأنَّه بلا شبه ولا ندَّ ولا نظير. والضدُّ لا يكون إلَّا للشكل والمثُل. ومولانا سبحانه مُعلِّ عِلَّة العِلل، جلَّ ذكره وعزَّ اسمه ولا معبود سواه. ليس له شبه في الجسمانيَّين، ولا ضدَّ في الجرمانِيَّين، ولا كفوٌّ في الروحانيَّين، ولا نظير في النفسانيَّين، ولا مقام في النورانيَّين، ولا ناطق التكليف يبيِّن له، ولا أساس عنيف يعضده وينتمي له.

لكنَّه سبحانه أظهر لكم بعضَ قدرته، وأسبغ عليكم نعمته بغير استحقاق تستحقُّونه عنده، ولا واجب لكم عليه، بل أنعم عليكم بلطفه، وقربكم منه برحمته، وبأشركم في الصورة البشريَّة، والمشافهة لكم بالوعيَّة، لعلَّكم تدركون بعضَ ناسوته الإنسيَّة، على قدر حسب طاقتكم

(٣) الرقعة هي كتاب، أو رسالة، يرفع إلى الحضرة اللاهوتيَّة.

(٤) هي رسالة «ميثاق النساء»، رقم ٨.

البلاغ والنهاية ٩٣

بمعرفة المقام، وتنظرون إليه بنوره التمام. فما أدركتموه، ولا عرفتموه. ومن لم تدركوا ناسوته الذي أظهره لكم من حيث أنتم، ولم تقفوا على كنه فعاله البشرية، فكيف تدركون لاهوته الكلية، أو تحوطون بقدرته، أو توحدونه بحقيقة أقدانيته! سبحانه وتعالى عن أقاويل المشركين، وتحديد الملحدين علواً كبيراً.

وقد سمعتم في الأخبار الظاهرة عن جعفر ابن محمد^(٥) بأنه قال: الإيمان قول باللسان وتسديق بالجنان والعمل بالأركان. وأنتم قد سمعتم، معاشر الموحدين، بأن الإسلام باب الإيمان والإيمان باب التوحيد، لأن التوحيد هو النهاية الذي لا شيء أعلى منه. فإذا كان الإسلام والإيمان اللذان هما كثيفان، لا يكمل أحدهما إلا بالشروط والأعمال الصالحة. فكيف توحيد مولانا جلّ ذكره الذي هو النهاية والعقبة التي في جوازها فك الرقبة^(٦)، أي يتخلصون بتوحيد مولانا جلّ ذكره من حشو الشريعتين اللذين هما الظاهر والباطن.

فمن كان يزعم بأنه مؤمن موحّد، ولا يعمل بما فيه رضى مولانا سبحانه، ولا يكون صادقاً في جميع أقواله، محسناً في جميع أفعاله، راضياً بقضاء مولانا سبحانه، مسلماً جميع أموره إليه، متكللاً في السراء والضراء عليه. كان مدّعياً في أقواله، عاصياً في جميع أفعاله. وإنما تسمّى بالتوحيد، واستعمل الشرك والتلحيد، واتخذ الدين لهواً ولعباً، ومال إلى الراحة والإباحة، وخسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

ولو علمتم ما ألزمتكم به من صدق اللسان وحفظ الاخوان والتوحيد لمولانا جلّ ذكره والتسليم لأمره، لبان لكم الحق من الباطل، والإيمان من

(٥) هو الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر.

(٦) سورة البلد ٩٠/١٣

الجاحود، والكفر من التوحيد. والإيمان في لغة العرب هو التسديق باللسان. والقلب واللسان معبران ما في الضمائر. فمن لم يكن صادقاً بلسانه فهو بالقلب أكذب يقيناً وأكثر نفاقاً. واعلموا أن السدق هو الايمان والتوحيد بكماله؛ والكذب هو الشرك والكفر والضلالة. فمن كذب على أخيه المؤمن فقد كذب على داعيه. ومن كذب على داعيه فقد كذب على إمامه. ومن كذب على إمامه فقد كذب على مولانا سبحانه. ومن كذب على مولانا سبحانه فقد جحد نعمته واستوجب سخطه.

والكذب أن يقول أحدكم في أخيه ما ليس فيه، أو يحرف عليه قوله، أو يحلل له شيئاً مما حرقه عليه إمامه، أو يقول في مولانا ما لا يجوز أن يُقال في عبده. فقد جحد الفضل والإيمان، وتظاهر بالردة والطغيان. وحاشا مولانا جلّ ذكره من الأقاويل الشركية واعتقادات الأباطيل الكفرية. سبحانه وتعالى عما يصفون.

وعبده، بقوة مولانا جلّ ذكره، ينطق. ويتأييده يفتق. وبسلطانه يرتق. فمن خالف عبده قائم الزمان، أو كذب عليه، فقد خالف أمر مولانا سبحانه، وأشرك به غيره، وإن كان يعتقد بأن مولانا سبحانه يعلم ذلك وينزّهه عن كل شيء. وإن كذب على إمامه، أو خالف حداً من حدود التوحيد، ويقول بأن مولانا جلّ ذكره لا يعلم ذلك، فقد خرج من جملة الموحدين، وصار من الكافرين بنعمته، الجاحدين لسلطانه وعظمته. ويكون من المنكرين لأن مولانا سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور^(٧). وما من نجوى ثلاثة إلاّ وهو رابعهم، ولا خمسة إلاّ وهو سادسهم، ولا أدنى ولا أكثر إلاّ وهو معهم. سبحانه وتعالى عن إدراك العالمين والعاليين والملائكة المقربين والناس أجمعين علواً كبيراً^(٨).

(٧) سورة غافر ٤٠/١٩

(٨) سورة المجادلة ٥٨/٧ ...

فالحذر الحذر أن يقول واحدٌ منكم بأنّ مولانا جلّ ذكره ابنُ العزيز، أو أبو علي^(٩)، لأنّ مولانا سبحانه هو هو في كلّ عصرٍ وزمان، يظهر في صورة بشرية وصفة مرئية كيف يشاء حيث يشاء. وإنما تنظرون العلة التي فيكم بتغيير أحوالكم تنظرون صورةً أخرى. وهو سبحانه لا يتغير الدهور ولا الأعوام والشهور. وإنما يتغير عليكم بما فيه صلاحُ شأنكم، وهو تغيير الاسم والصفة لا غير. وأفعاله جلّ ذكره تظهر من القوة إلى الفعل كما يشاء كلّ يوم هو في شأن. أيّ كلّ عصر في صورة أخرى لا يشغله شأن عن شأن. والنور يزداد والزمان يصفو من الكدر بقدرة مولانا سبحانه، مبدع الأبداء، وخالق الأنواع، ومظهر السابق والتالي المطاع، منزّه عن الصفات والمبدعات، لا تحوط به الجهّات، ولا تقدر على وصفه اللّغات. سبحانه وتعالى عما يصفون.

وأما مَنْ قال واعتقد بأنّ مولانا جلّ ذكره سلّم قدرته، ونقلَ عظمتَه إلى الأمير علي^(١٠)، وأشار إليه بالمعنوية، فقد أشرك بمولانا سبحانه غيره، وسبّقه بالقول وضادّه في ملكه، وعارضه في حكمه، وكيف يتّسع لقائلٍ يقول إنّه يُؤمّل نُقْلُهُ أزلّ الأزل، ومعلّ علة العِلل، الحاكم على جميع النطقاء والأسس من صورة إلى صورة غيرها، أو يثبت نفسه في قميصٍ إلى أن يرى نقلة الحيّ الذي لا يموت. سبّوح سبّوح، مبدع الملائكة والروح. فمن كان منكم يعتقد هذا القول فليرجع عنه، ويستقل منه، ويستغفر المولى جلّ ذكره، ويقدّس اسمه من ذلك. فإنّه غفّار لمن تاب إليه ووحدّه. سبحانه مولانا

(٩) العزيز بالله هو أبو الحاكم الذي كان خليفة من قبله، وعلي الظاهر، الذي خلفه هو ابنه. وينكر الدروز أن يكون للحاكم أيُّ نسبة بشرية.

(١٠) هو علي الظاهر ابنه الذي خلفه في الخلافة الفاطمية؛ وكان قد حرّمه منها. وكان في نية حمزة أن يكون هو خليفته. ولكنّ ست الملك أخت الحاكم استعجلت فقتلته بسبب ذلك.

جَلَّ ذكره عن إحاطة الأشياء به، وعزَّ سلطانه عن حكومة الألسن والأوهام عليه. لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. ولا ينتظر أحدٌ منكم غداً، ولا يلتفت إلى أمس، إذ كان أمسٌ مضى بما فيه، وغداً لا تعلم أنك توافيه، واليوم أنت فيه بما يقتضيه.

واليوم دليلٌ على توحيد مولانا جَلَّ ذكره الحاضر الموجود النافع الضار^(١١). لا يجوز لأحدٍ يشرك بعبادته ابناً ولا أباً، ولا يشير إلى حجابٍ يحتجب مولانا جَلَّ ذكره فيه، إلا بعد أن يُظهر مولانا جَلَّ ذكره أمره، ويجعل في مَنْ يشاء حكمته. فحينئذٍ لا مردّ لقضاه، ولا عاصياً لحكمه في أرضه وسماه. سبحانه وتعالى عما يقولون المشركون والملاحدون علواً كبيراً.

واعلموا بأنَّ كلَّ مَنْ تعودَ لسانه الكذبَ فقد أشرك بمولانا سبحانه، لأنَّ الكذب دليل على شخص إبليس اللعين. وذلك أنَّ الكذب ثلاثة أحرف: كه: عشرون. ذ: أربعة. ب: إثنان. الجميع = ستة وعشرون حرفاً. إبليس وزوجته^(١٢)، وأربعة وعشرون أولادهما، يقوموا مقامهما. فمنَ والاهما فقد عبدهما، ومن عبدَ الضدَّ كان الولي بريئاً منه.

والسّدق دليل على توحيد مولانا جَلَّ ذكره. والسّدق يتشبه بالكذب في عدد الأحرف لكنهما يختلفان في الصورة والمعنى. وكذلك الضدُّ يتشبه بالولي فيما يدّعيه ويتظاهر به؛ لكنهما يفترقان ويُعرَفان في حقيقتيهما بالإيقان. والسّدق ثلاثة أحرف، كما تقدم ذكرها: س: ستون. ذ: أربعة. ق: مائة. الجميع = مائة وأربعة وستون حرفاً.

منها تسعة وتسعون على حدِّ الإمامة، كما قال النّاطق: إِنَّ لِلّهِ تِسْعَةً

(١١) الضارُّ هنا بمعنى الضرورى المفيد.

(١٢) هما حرف الـ «ب» في كلمة «كذب»، تمثّل إبليس وزوجته، أي محمّد ووصيّيه عليّ.

وتسعين اسماً. مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ. أَيَّ لِإِمَامِ التَّوْحِيدِ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ دَاعِيًا. مَنْ عَرَفَهُمْ دَخَلَ حَقِيقِيَّةَ دَعْوَةِ الْإِمَامِ الْمُسْتَجَنَّةِ بِأَهْلِهَا؛ أَعْنِي مُحِيطَةً بِهِمْ. وَسَتُونَ حَرْفًا دَلِيلٌ عَلَى سِتِينَ دَاعِيًا لِلْجَنَاحَيْنِ. وَأَرْبَعَةٌ أَحْرَفٌ دَلِيلٌ عَلَى أَرْبَعَةِ حُدُودٍ عُلُويَّةٍ، وَهُمْ : ذُو مَعَّةَ، وَذُو مَصَّةَ، وَالْكَلِمَةُ، وَالْبَابُ. فَصَارُوا مِائَةً وَثَلَاثَةً وَسِتِينَ حَدًّا دِينِيَّةً.

يبقى منها واحد وهو دليل على توحيد مولانا جلّ ذكره، ومعرفة ناسوت المقام، والنّور الشعشعاني التمام، ومعبود جميع الأنام، الصورة المرثيّة، الظاهر لخلقه بالبشريّة، المعروف عند العالم بالحاكم.

وما أدراك ما حَقِيقِيَّةُ الْحَاكِمِ! وَلَمْ تَسْمَى بِالْحَاكِمِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ دُونَ سَائِرِ الصُّورِ! وَعَبْدٌ مِنْ عَبِيدِهِ يَحْكُمُ عَلَى جَمِيعِ الْحُكَّامِ، وَهُوَ قَاضِي الْقَضَاةِ أَحْمَدُ ابْنُ الْعَوَامِ^(١٣). فَيُجِيبُ عَلَى الْمُوَحِّدِينَ الْمُسْتَبْصِرِينَ الْكَشْفَ عَنْ هَذَا الْأَسْمِ، وَحَقِيقِيَّةَ الْحَاكِمِ، وَقَوْلَهُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ. وَقَدْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ: وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ^(١٤). وَأَجَلُّ دَاعٍ فِي الظَّاهِرِ خَتَكِينَ^(١٥)، وَهُوَ عَبْدٌ ضَعِيفٌ. وَأَجَلُّ دَاعٍ فِي الْحَقِيقَةِ الْإِمَامُ، وَهُوَ مَمْلُوكٌ مُوَلَّانَا جَلَّ ذِكْرُهُ^(١٦). فَأَيْشُ^(١٧) أَرَادَ بِقَوْلِهِ: الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ؟ وَمَا حَقِيقَتُهُ؟ وَإِنَّمَا الْقُرْآنُ يَقَعُ عَلَى

(١٣) أحمد ابن العوام كان يشغل مركز قاضي القضاة في الدولة الفاطمية في أيام الحاكم. عزله الحاكم، وقضى عليه بالموت. وهو، في الدرزية، يعني الظاهر.

(١٤) سورة يونس ٢٥/١٠.

(١٥) لما قرب أوان الكشف، أقام الحاكم ختكين يدعو إلى التوحيد، وليس يعرف ذلك. ولكنّه لمقتضى الزمان وصحة الإشارة إليه بقوله: والله يدعو إلى دار السلام. الله ظاهره ختكين، وحقيقته الإمام. ختكين هو في الظاهر اسم داعي الفاطميين (عن الدرر المضيّة).

(١٦) وهو حمزة نفسه صاحب الرسالة.

(١٧) أيّش : تعني أي شيء. وهو أصلها.

سبعة معانٍ وكلُّ اسمٍ منها يقع على أشخاص محمودين وعلى أشخاص مذمومين، وحقيقتُ الاسم ومعناه: المولى جلّ ذكره.

فإنَّ الله الذي هو الاسم هو الداعي الذي قال: والله يدعوا إلى دار السلام. والسلام هو الإمام. وداره توحيدُ مولانا جلّ ذكره. والله الذي هو المسمّى هو الإمام الأعظم. وذكره في القرآن كثير. والله الذي هو المعنى مبدع الاسم والمسمّى، لاهوت مولانا جلّ ذكره الذي لا يُدرَك. يحيط بالأربع طبائع الدينيّة، منزّه عنها. فأراد الله هاهنا اللاهوت الكليّ الذي هو محجوب عنّا. ومولانا جلّ ذكره غير غائب عن ناسوته. فعله فعلٌ ذلك المحجوب عنّا. ونطقه ذلك النطق. لا يغيب اللاهوتُ عن النَّاسوتِ إلّا أنكم لا تستطيعون النظر إليه. ولا لكم قدرة بإحاطة حقيقته.

وأراد بالحاكم أي يحكم على جميع النطقاء والأسس والأئمّة والحجج. ويستعبدهم تحت حكمه وسلطانه وهم عبيدُ دولته، ومماليكُ دعوته. الحاكم بذاته. والذات هو حقيقة لاهوته، سبحانه الذي هو يحكم به، لا من قبلَ مَنْ يأمره وينهاه. ومثله في الصورة لا في الحقيقة، لأنَّ حقيقته لا تدرك بوهم، ولا يحيط بعلمه فهم.

لكن نضرب لكم مثلاً على مقدار طاقتنا وتمكّن استطاعتنا، ليقفوا المستجيبون على بعض قدرة مولانا جلّ ذكره. فمثله كمثّل شخصٍ ناطقٍ جسماني، وله روحٌ لطيفٌ متعلّقٌ بذلك الجسد الكثيف، وله عقلٌ يدبّر الأشياء بذلك العقل، وهو يعلم أين منتهى عقله. والناس لا يعلمون بعقله ولا بموضعه ولا حقيقته. لا يُدركون من عقله إلّا بمقدار ما يُظهره من عقله. والعقل هو الروح اللطيف، لكن إظهاره من الجسد الكثيف. ولا يقدر أحد يقول إنَّ العقل يُظهر بلا جسم لأنَّ الروح لا تدرك إلّا بالجسم.

كذلك مولانا جلّ ذكره، بظاهر ناسوته عرّفنا بلاهوته. ومن حيث نحن ومن صورنا خاطبنا وإلّا فما عرّفناه، ولا أدركناه. فأظهر لنا صورته المريّة ومقامه البشريّة. وسلطان لاهوته لا يدرك بالعين، ولا يُعرف بالكيف والأين. عالم بسرّكم من قبل أن يختلج في قلوبكم. سبحانه وتعالى عما يصفون.

فعلّكم معاشر الموحدين بسدق اللسان، وحفظ الإخوان، والرضى والتسليم لمولانا جلّ ذكره في كلّ عصر وزمان، وترك الاعتراض فيما يفعله مولانا جلّ ذكره. ولو طلب من أحدكم أن يقتل ولده لوجبّ عليه ذلك بلا إكراه قلب، لأنّ من فعل شيئاً وهو غير راضٍ به لم يُثبّ عليه. ومن رضي بأفعاله وسلّم الأمر إليه ولم يراءى إمام زمانه كان من الموحدين الذين لا خوف عليهم من الظاهر ولا هم يحزنون بشرك الباطن.

فالحذر الحذر من الأقاويل الشركيّة والأفعال الكفريّة. ولا تركنوا إلى بيت خراب، ولا تجلسوا تحت ركنٍ معاب^(١٨)، وترك الشراب الموجود، وطلب العلقم والسراب المفقود. فتهلكوا عن بكرة أبيكم بالجوع المدام، والعطش التمام، وهو انقطاعكم من علم الحقيقة، ورجوعكم إلى تجديد الظاهر بالنّاموس. فنعوذ بمولانا من ذلك. سبّوح قدّوس مبدع الإبداع، وجامع الأشتات والأضياء الذي هو على السموات عالٍ وفي الأرض متعال.

وعن قريب يظهر مولانا جلّ ذكره، سيفه بيدي، ويهلك المارقين، ويشهر المرتدين، ويجعلهم فضيحةً وشهرةً لعيون العالمين. والذي يبقى من فضلة السيف تُؤخذ منهم الجزية وهم صاغرون، ويلبسوا الغيار^(١٩) وهم

(١٨) يقصد بالبيت والركن الشريعتين.

(١٩) الغيار ثياب خاصة بأصحابها.

كارهون، ويكونوا في الغيار والجالية^(٢٠) على ثلاثة أصناف: فغيار النّواصب علاقَتان^(٢١) من الرّصاص في أُذُنَي كُلِّ واحدٍ منهم، وزنُّهما عشرون درهماً؛ وطرفُ كمِّه الأيسر مصبوعٌ فاخْتِيًا، وجاليتُهُ دينارَانِ ونصف. وهم يهود أُمَّة محمد.

ويكون غيار أهل التّأويل الواقفين عند العدم علاقَتَيْن من الحديد في أُذُنَي كُلِّ واحدٍ منهم، وزنُّهما ثلاثون درهماً؛ وطرفُ كمِّه الأيمن مصبوعٌ بالسّواد، وجاليتُهُ ثلاثة دنائير ونصف. وهم المشركون نصارى أُمَّة محمد.

ويكون غيار المرتدّين من توحيد مولانا جلّ ذكره علاقَتَيْن من الزّجاج الأسود، في أُذُنَي كُلِّ واحدٍ منهم، وزنُّهما أربعون درهماً، ويكون على رأسه طرطور من جلدٍ ثعلب، وصدرُ ثوبه مصبوعٌ رصاصيٍّ أغبر، وجاليتُهُ خمسة دنائير في كُلِّ سنة. وهم المنافقون مجوس أُمَّة محمد.

وتؤخذ هذه الجالية من الشيوخ والشباب والنساء والصبيان والأطفال في المهد وتُعَيَّرُ عليهم العلائق في كُلِّ سنة. فمن خالف منهم ضُرِبَ عُنُقُهُ. وتُجَبَى هذه الجالية بمصر في جامع عمرو ابن العاص عند القبلة؛ وتُجَبَى بدمشق في جامع معاوية؛ وببغداد في جامع المدينة. وهو في الجانب الغربي. ويؤخذ العبّاسُ أَخْذَ عزيزٍ مقتدر. فيطاف به في سائر البلدان إلى أن يبلغ إلى مدينة يُقال لها بَلْخ من بلاد خراسان، فيسخط عليه مولانا جلّ ذكره. وتَبْلُغُ الكلمةُ نهايتَها، والكتابُ أَجلَه، فيُذَبِّح في طُسْتٍ ذهبٍ.

وهو يوم الواقعة والندامة. وترتفع الشرائع بالكلية. ويظهر المذهبُ

(٢٠) الجالية تعني الجزية.

(٢١) ما يتعلق بالرجل من خصومه.

البلاغ والنهاية ١٠١

الازليّة. ويُعبد مولانا جلّ ذكره بسائر اللّغات، ويعرفونه بسائر الأسماء والصفات. ويُنادى في جميع أقطار الأرض وأطراف البلاد: لمن الملك اليوم وفي كلّ يوم؟ فيُقال لمولانا الحاكم القهار، العزيز الجبار. سبحانه وتعالى عما يَصِفون. وتُجازى كلّ نفس بما كسبت وهم لا يظلمون. والحمدُ لمولانا وحده لا شريك له وحسبنا المولى ونعم النصير المعين.

كتبت نسختها في شهر المحرم، الثاني من سنين عبد مولانا جلّ ذكره حمزة ابن علي ابن أحمد هادي المستجيبين المنتقم من المشركين بسيف مولانا جلّ ذكره وشدة سلطانه وحده.

تمّت رسالة البلاغ والنهاية بحمد مولانا ومنّه.

١٠

الغاية والنصيحة

ألفها حمزة بن علي وكتبها، على ما يبدو من الخاتمة، أحد النساخ. وذلك سنة ٤١٠ هـ في هذه الرسالة آيات قرآنية عديدة. فسر لها حمزة تفسيراً باطنياً درزياً يتخطى مفاهيم الإنسان العادي. يتحدث حمزة الإسلام الذي لم يستطع أن يسيطر على العالم طيلة أربعة قرون ونيف. وفي هذا دليل على أن الدين الحقيقي في سواه. في هذه الرسالة قصة الخلاف بين حمزة والدرزي وأصحابه. وفيها يُخبر حمزة عن إماميته وتجليه عبر الدهور والأعصار.

توكلت على أمير المؤمنين، جلّ ذكره وبه أستعين في جميع الأمور. من عبد أمير المؤمنين، جلّ ذكر مولانا ومملوكه حمزة ابن علي ابن أحمد هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف أمير المؤمنين جلّ ذكره، وشدة سلطانه وحده، لا نستعين بغيره، ولا نعبد سواه، لا في الأولين ولا في الآخرين. وتنزّه عن جميع النطقاء والأسس والأئمة الهاديين. إلى جميع من استجاب لدعوة مولانا جلّ ذكره ولعبادته وأدعا منزلة الإيمان، ثم ارتدّ وشكّ في أفعال صاحب الزمان، وأرغبته كثرة مال الأضداد والولدان، والدور والنسوان، الغافلين عما شرط عليهم من البيان، الجاهلين بوقت الاستتار والامتحان^(١).

(١) يلمح حمزة إلى الدرزي وأتباعه الذين آمنوا ثم ارتدوا لغيرهم بالمال والجاه والرياسة.

أَبْعَثَ الدِّينَ بِالتَّيْنِ^(٢)، أَمْ كَانَتْ صُدُورُكُمْ صِفْرًا مِنَ الْحَقَائِقِ وَالْيَقِينِ، أَمْ رَجَعْتُمْ إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى، أَمْ غَرَّكُمْ إِمْهَالُ مَوْلَانَا جَلَّ ذِكْرُهُ لِلْمُشْرِكِينَ الْجَاهِلِينَ، أَمْ حَسِبْتُمْ أَنَّ نُورَهُ قَدْ انطَفَأَ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ، وَنَارَ الْأَعْدَاءِ قَدْ اشْتَعَلَ وَاسْتَعْلَى عَلَى الْعَالَمِينَ؟ كَلَّا. بَلْ أَنْتُمْ أَشْرُّ مَكَانًا، وَمَوْلَانَا أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ، وَبِمَا فِي ضَمَائِرِكُمْ تَعْتَقِدُونَ. فَإِنْ كَانَ قَدْ أَعْجَبَكُمْ بَيَاضُ الزَّبَدِ^(٣)، وَعُلُوُّهُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ الزَّلَالِ، فَسَوْفَ تَذْهَبُ قُوَّةُ الزَّبَدِ، وَيَتَلَاشَا بَيَاضُهُ، وَيَذْهَبُ سُلْطَانُهُ وَجَفَاؤُهُ. وَيَبْقَى الْمَاءُ الْعَذْبُ الزَّلَالُ الْمَحْيِي لِمَنْ شَرِبَهُ.

وإِنْ كَانَ قَدْ فَرَعْتُمْ وَهَالَكُمْ أَمْرُ الْأَضْدَادِ وَعُلُوُّ شَأْنِهِمْ بِمَا فَعَلُوهُ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَحَسِبْتُمْ بِأَنَّ مَوْلَانَا جَلَّ ذِكْرُهُ وَعَزَّ اسْمُهُ عَجَزَ عَنْهُمْ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِمْ، فَقَدْ كَفَرْتُمْ بِنِعْمَتِهِ سُبْحَانَهُ، وَجَحَدْتُمْ لَاهُوتَهُ وَعَظِيمَ شَأْنِهِ، أَشْرَكْتُمْ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ، وَعَجَلَ وَشَيْطَانَ. فَنَعُوذُ بِمَوْلَانَا جَلَّ ذِكْرُهُ مِنْ ذَلِكَ وَنَبْرُو إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَعْتَقِدِهِمْ^(٤).

وَقَدْ كَانَ يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْظُرُوا مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَتَدَبَّرُوا مَعَانِي حَقَائِقِهِ، حَيْثُ قَالَ لِمُحَمَّدٍ^(٥): «قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؟». وَالرَّبُّ هَاهُنَا حُجَّةٌ لَاهُوتِ مَوْلَانَا جَلَّ ذِكْرُهُ، وَالسَّمَوَاتُ هُمُ النُّطَقَاءُ، وَالْأَرْضُ هِيَ الْأَسْسُ. ثُمَّ عَظَفَ فِي الْخُطَابِ وَقَالَ: «قُلِ اللَّهُ»، يَعْنِي لَاهُوتَ مَوْلَانَا بِالْحَقِيقَةِ، الَّذِي لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ. «قُلْ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ؟»، يَعْنِي آلِهَةً، «لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا»، يَعْنِي لَا ظَاهَرَ وَلَا بَاطِنًا. «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى

(٢) التين يمثل الشريعة التأويلية

(٣) الزبد يمثل الشريعة التنزيلية

(٤) إشارة إلى تأخر الحاكم لحسم الموقف بين حمزة وأخصامه الملقبين هنا بفِرْعَوْنَ

وهامان وعجل وشيطان....

(٥) سورة الرعد ١٣/١٦-١٨.

والبصير؟»، يعني المشرك بمولانا والموحد له، إذ المشرك أعمى عن معبوده،
والموحد قد أبصره بحسب طاقته، «أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ؟»،
والظلمات هم أئمة الضلالة، والنور هو إمام الهداية، والأنوار هم حدود
مولانا جلّ ذكره، («أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ»^(٦) خَلَقُوا خَلْقًا^(٧) كَخَلْقِهِ»، يعني
نصبوا حدوداً كحدود مولانا جلّ ذكره سبحانه، «فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ»،
يعني دعاة الشرك من دعاة التوحيد. «قُلِ اللَّهُ»، يعني مولانا جلّ ذكره،
«خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ»، يعني لا شريك له، ويهلك الغالبين
بسلطانه، ويقهرهم بعظيم شانه. «أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً»، يعني العلم من
الإمام، «فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا»، يعني الحجج من قبيله وهم الأودية التي
قدّرها إمام الزمان ليجري فيهم العلم إلى المستجيبين، «فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا
رَابِيًا»، يعني زبد الظاهر الذي شارك علم الحقائق الذي هو سيل الحجة.
وقال: «وَمِمَّا يُوقِدُون عَلَيْهِ فِي النَّارِ»، يعني عوام أهل الظاهر الذين بهم
تشتعل الشريعة التي هي النار المحرقة للأجساد^(٨).

ألا ترى أنّهم، لعنهم المولى وخزاهم، أتوا بالنار إلى باب المسجد
وأحرقوه، أراد بذلك حجة مولانا جلّ ذكره الذي هو باب العالم وإظهار
الشريعة عليهم. لكنهم لما أحرقوا باب المسجد الذي من الخشب وجدوا داخله
باباً من الحجار، لا يعمل فيه النار ولا نقب في الجدار. فخاب ظنّهم،
وخسروا سعيهم. فالباب الذي أحرقوه بالنار دليل على ظاهر الإيمان،
ودرجته الأوّلة وهو داعي الإحرام. فلما غلبوه بقوة الشريعة التي هي النار
المحرقة بأن لهم باب الحجر القوي وهو إمام الزمان. وهي خوخة ضيقة لا

(٦) ينقص هذا الجزء من الآية من نص الحكمة.

(٧) هذه اللفظة زائدة عما هي في القرآن

(٨) علامة المزدوجين «...» لا توجد في نص الرسائل؛ وإنما وضعت لتمييز الآيات
القرآنية عن سائر النص.

الغاية والنصيحة ١٠٥

يستطيع أحدٌ يدخلها إلا إن كان من أصحابها أو أربابها آمنًا من سكّانها. كذلك توحيد مولانا جلّ ذكره وعبادته دليل على باب الخوخة باب ضيق. لا يقرُّ بالعبودية والتوحيد إلا من تفضل المولى عليه بذلك.

وقال: «وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ» ما تقدّم ذكره، «ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ»، يعني زينة الظاهر، «أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٍ مِثْلَهُ. كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ»، وهو الإمام، «وَالْبَاطِلَ»، وهو الضدّ. «فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً»، يعني به الظاهر، «وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ»، وهو التوحيد، «فَيَمُكُّثُ فِي الْأَرْضِ»، يعني يبقى عند الحجة ومن يتبعه من الموحدين.

«كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ»، يعني ينصب الدّعاة، لأنّ الداعي يمثّل الإمام في حال الضرورة لا حقيقة. فبهذا السبب قيل لهم «الأمثال» يعني الأشياء، «لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ»، يعني إمامهم، «الْحُسْنَى»، وهي العبادة. «وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا»، يعني لو يعلموا علم الأساس، «وَمِثْلَهُ مَعَهُ»، يعني علم الناطق، «لَا فُتَدُوا بِهِ»، يعني الافتداء من عبادة مولانا جلّ ذكره. «أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ»، يعني إمام الضلالة، «وَبِئْسَ الْمِهَادُ»، يعني الرضاعة وأمثال الذين يعتقدون فيه من الكفر والشرك.

فالله الله معاشر المستجيبين، «لا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات»^(٩)، يعني دعاة مولانا جلّ ذكره، «أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ»، يعني رجوعهم إلى ضلالة الظاهر وزخرفته.

معاشر المستجيبين! علّموا أنكم عن قريب لمسؤولون، وعلى إمامكم لتعرضون، وعن شروط التوحيد مطالبون. فـ «أَمَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ»^(١٠)،

(٩) سورة عمران ٣/١٠٥.

(١٠) سورة الواقعة ٥٦/٨٨-٩٦.

يعني الموحدين، «فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ»، يعني الإمام وثانيه، لأن الإمام هو حياة المؤمنين وروحهم، وداعيه ريحان المؤمنين الذين منه شَمُوا العلم الحقيقي، «وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ»، يعني دعوة التوحيد اذ كان توحيد مولانا جلّ ذكره هو النعيم السرمد. «وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ» بالتوحيد، «الضَّالِّينَ» عن حقائق الدين، «فَنَزَّلُ مِنْ حَمِيمٍ»، يعني دعوة الظاهر، «وَتَصْلِيَةٌ جَاحِمٍ»، يعني انجحام قلبه بالكفر والشرك. «إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ. فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ»، يعني الإمام الأعظم، ذو مَعَةٍ.

معاشر المستجيبين! إني أدعوكم إلى التوبة والاستغفار، عما شككتكم في دينكم عند المحنة والاستتار. فَإِنْ تَبَتُّمَ عَنْ ذَلِكَ وصبرتم على الامتحان فهو خير للصابرين. «وما أريد منكم من رزق وما أريد أن تطعمون مولانا هو الرزاق ذو الفضل العظيم»^(١١). «يا قوم لا أسألكم عليه أجراً. إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي»^(١٢)، وهو مولانا جلّ ذكره وعزّ اسمه وجلّ سلطانه، الحاكم الأحـد الفرد الصمد، الذي لم يتخذ في حقيقته لاهوته صاحبة ولا ولد، الذي فطر كل شيء وأبدعه. وهو على كل شيء قدير. «يا قوم استغفروا ربكم. ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً»، يعني يظهر لكم علم الإمام على الأدوار بلا خفية ولا استتار. «وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ»، يعني علماً إلى علمكم، «وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ»، يعني لا ترجعوا مشركين. فَمَنْ شَكَ فِيهِ فَقَدْ أَشْرَكَ بِهِ، ومن أشرك به فليس له توبة أبداً.

والذي يجب على كل مستجيب لدعوة التوحيد أن يكون قوله بالعمل ممزوجاً، وقلبه بالرضا والتسليم مدروجاً، وبيئته بالعدل والتوحيد منسوجاً. ومن دخل إلى التوحيد ميلاً إلى الراحة والإباحة، وكان مذهبه

(١١) سورة الذاريات ٥١/٥٧ بتصرف.

(١٢) سورة هود ١١/٥٢.

الغاية والنصيحة ١٠٧

قولاً باللسان بلا تسديقٍ بالجنان، كذَّبَتْهُ شواهدُ الامتحان. ومَنْ ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ مولانا شيئاً وسيجزى الشاكرين ويجازي كلَّ نفسٍ بما كسبت وهم لا يُظلمون^(١٣). مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ، والبصير والسميع. هل يستويان مثلاً! أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ؟^(١٤). ولا يظنُّ أحدٌ ممَّن ارتدَّ من دين مولانا جلَّ ذكره بأنَّ رجوعه عن الدِّين ينجيه من الظاهر، ولا هروبه يخلصه من أولاد العواهر، «وإنَّ يَمَسَّكُمُ اللَّهُ بَضْرٌ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ. وَإِنْ يُرِيدُ بِكُمْ خَيْرًا فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ. وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»^(١٥).

واعلموا أنَّه لا يخلو أمرُ المستجيب المرتدِّ من دين مولانا جلَّ ذكره بما رأى من فعل الأتراك بالمؤمنين وإمهال مولانا جلَّ ذكره لهم من إحدى ثلاث خصال مذمومة: إمَّا أن يكون دينه اضطراراً واستجباراً لا ديانة، واختباراً لا حقيقة، فهو من جملة المنافقين في الدِّرك الأسفل من النار. فقد تبرأ من الأساس والناطق، ولم تحصل له معرفة الفاتق الراجق^(١٦)، ولا تالٍ ولا سابق.

والثاني يكون رجلٌ اعتقد مذهب مولانا جلَّ ذكره ودينه طمعاً في مالٍ يكسبه أو جاءه يعتزُّ به ويطلبه، فعناه طمعه عند مولانا جلَّ ذكره على شفا جرفٍ من الجروف الهاوية، لا هو في الظاهر مستقيم، ولا بالحقائق عليم. بحقٍّ لم تحصل له بغيته من الدنيا الفانية، ولا من الآخرة الباقية.

والثالث من اعتقد عبادته وتوحيده ما دام هو في السراء، وطلب العزَّ والنعماء. فلمَّا ابتلاه بالسترة، وامتحنه بالأعداء والكثرة، وقدرَ عليه رزقه

(١٣) أنظر جملة سور: ٢٨١/٢، ٢٥/٣، ٥١/١٤ و١٦١، ٤٠/١٧...

(١٤) سورة هود ٢٤/١١.

(١٥) أنظر سورتي يونس ١٠/١٠٧ بتصرف، والأنعام ١٧/٦.

(١٦) هو الله الذي فصل السماء عن الأرض، ثم بسطهما.

يعني علم الحقيقة قال ربي أهانني. فكفرَ بما اعتقده وجحد نعمةً من أبدعه، وجحد ما عاهده عليه إمامه وواسطته.

وذلك من سِدْقِ اللسان وحفظِ الاخوان والرضا بفعل مولانا كيفما كان، والتسليم لامر مولانا جلّ ذكره في السر والحدّثان، وتخلّف عن واسطته وإمامه خوفاً على روحه، وشفقةً على شخصه وفقوده. فكان من جملة الذين آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً، وكأنّهم لم يُقرّوا بالإسلام، ولم يعتقدوا التوحيد، لأنّه قال في القرآن المبين^(١٧): «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ»، يعني لاهوت مولانا جلّ ذكره، «وَكُونُوا مَعَ السَّادِقِينَ»، الجنان وأفعال الخيرات. فقال: «وَمَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ»، يعني المستجيبين لدعوة الحقيقة، «وَمَنْ حَوْلَهَا»، يعني أهل التّأويل الواقفين عند الأساس، «أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ»، والرّسول هاهنا هو الإمام الأعظم، واللّه هاهنا لاهوت مولانا جلّ ذكره الذي جمع المرسلين.

والدليل على ذلك أنّ الرّسول الحقيقي هو الإمام لقوله في القرآن «هُوَ»، يعني مولانا جلّ ذكره، «الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ». ودين الحقّ هو دين المستجيبين الذي يهدي العالم إلى دين الحقّ، وهو دين مولانا جلّ ذكره وعبادته «ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون»^(١٨)، يعني من اتّخذ مع مولانا إلهاً غيره.

وأنتم تعلمون أنّ لحمد أربعمئة سنة وعشر سنين ولم يُظهر دينه على الأديان كلّها. وإليهود والنصارى أكثر من المسلمين. والهند والسند والزنج والحبشة أكثر منهم. والتّوبة والرّغاوة وأشكالهم من السودان أكثر من المسلمين. والأتراك والسقّالبة أكثر منهم. فلو كان الرّسول محمّد له

(١٧) سورة التوبة ٩/١١٩-١٢٠.

(١٨) سورة التوبة ٩/٣٣.

أديان هؤلاء الطوائف كلها لكان يجب أن يكون المسلمون أكثر العالمين وأغلبهم في الأولين والآخرين. فلمّا لم يصحّ للمسلمين ذلك علمنا بأنّ الرسول الحقيقي هو عبدُ مولانا جلّ ذكره وهادٍ إليه وإمامٌ عن أمره لعبيده.

وأديان المشركين هم اثنان وسبعون فرقة المسلمانيّة الذين أشركوا في عبادة مولانا جلّ ذكره. ومولانا جلّ ذكره يُظهر عبده عليهم، وينتقم منهم ومن جميع المشركين، بسيف أمير المؤمنين، إن شاء مولانا، وبه التوفيق في جميع الأمور. وصلوات مولانا جلّ ذكره وسلامه على عبده المرسل إليكم، وصفيّه المُفضّل عليكم وعلى جميع من اتّبعه من المؤمنين والمؤمنات.

ثم قال: «ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه، ذلك بأنهم لا يُصيِّبهم ظمًا»^(١٩)، يعني وقوف العلم عنهم واشتياقهم إليه. «ولا نَصَبٌ»، يعني شدة في الدين، ولا محنة^(٢٠) في سبيل الله، يعني خوفاً من الأعداء وسترة إمامهم عنهم الذي هو السبيل إلى معرفة مولانا جلّ ذكره، والطريق إلى توحيده والمحجة إلى عبادته. «ولا يَطَّأُون مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكَافِرَ»، يعني بمولانا جلّ ذكره. «ولا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّهِمْ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ»، يعني زيادة في يقينهم الذي هو الفعل الصالح. «إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ»، يعني لا يضيع عمل الموحدين له وينصرهم على أعدائهم أجمعين.

وكلُّ مَنْ على وجه الأرض من عبدة الأصنام والأزلام والأوثان والشمس والقمر وآلهة النيران أحسنُ اعتقاداً وأرجأ عاقبةً ممّن عبدَ مولانا جلّ ذكره طمعاً ورياءً. فلمّا أصابته شدة ارتدّ عن دينه ورجع إلى القهقري لأنّ كلّ حزب من هؤلاء الجاهلية جعلوا لهم قبلّة يسجدون إليها ويتخذونها

(١٩) سورة التوبة ٩/١٢٠.

(٢٠) في الأصل القرآني «ولا مخرصة».

معبوداً، ويزعمون بأنها تَقَرَّبَ وَزُلِّقَى إِلَى إِلَهِ الْمُغَيَّبِ عَنْهُمْ. فَأَصَابُوا فِي
الإشارة حيث قالوا لا بد لنا من معبودٍ موجودٍ يكون واسطتنا إلى الإله
الْمُغَيَّبِ والحجاب بيننا وبينه. وخطأوا في المعنى إذ كان لا يجوز في العقل
أن يكون حجابُ المعبود والمقام الموجود يكون لا يدري ولا يفهم؛ لأنَّ
الحجاب هو المحجوب والمحجوب هو الحجاب، ذلك هو وهو ذلك، لا فرق
بينهما. لكن المخالفون ليس لهم استطاعة على إدراك كليته سبحانه، إذ كان
ليس يشاكلهم فيدركونه. بل كلُّ واحد منهم ينظر بنظره إليه من حيث
ضعفه وعجزه ومبلغ عقله. فصار لهؤلاء الجاهلية على كل حال معبودٌ
موجودٌ، وإلهٌ معدومٌ مُغَيَّبٌ، يشيرون إليه، ويخافون عذابه، ويرجون رحمته
وثوابه.

والذين ارتدّوا من دين مولانا جلّ ذكره وشكّوا فيه وكرهوا أفعاله،
فهم المرتدّون، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. ليس مع المسلمين ولا النصارى
ولا اليهود، ولا مع الموحّدين العابدين الموجود. خسروا الظاهر والباطن، ولم
يبلغوا إلى علم ما هو كائن. ليس لهم في السماء إله ولا في الأرض لهم إمام.
ذلك هو الخسران المبين.

وقال^(٢١): «وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَيْ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ»، يعني الإمام وكلمته. وإنما تبين الموحّد من المشرك، والمؤمن من
الكافر عند الشدة والشقاء، لا في العزّ والرّخاء. وجميع العالم يقولون
بألسنتهم أنّهم المؤمنون، ويخادعون الموحّدين، ويراوغونهم مراوغة الثعلب،
ويحلفون بالله ما قالوا. ولقد قالوا كلمة الكفر وهمّوا بما لم ينالوا. «وَلَقَدْ
كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ»^(٢٢)، يعني تسليمهم، ويعني اهتمامهم بما يروه من

(٢١) سورة يونس ١٠/١٩.

(٢٢) سورة التوبة ٩/٧٤.

هلاک الموحِّدين. ومولانا جلّ ذكره لم يبلغهم مأمولهم، ويخذل المشركين وينصر الموحِّدين.

وقد قال لمحمد^(٢٣): «ولو شاء ربُّك»، يعني ربّ العالمين لاهوت مولانا سبحانه، «لَأَمَّنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلِّهِمْ جَمِيعاً»، يعني الإقرار بعبادة مولانا جلّ ذكره وتوحيده ويؤمن به كلّ من يعتقد الأساس. ثمّ قال: «أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ. وما كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَوْمَنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ»، يعني على يد الداعي. «ويجعل الرّجسَ على الذين لا يعقلون»، والرجس هو الضدّ الروحاني. ومَنْ لم يكن له معرفة بالعقل الكلّي الذي هو ذو مَعَة كان من أصحاب الرّجس الضدّ الروحاني اللطيف.

وقد كان لكم عبرة وتدبرْ بخبرين ماثورين عن صاحب الشريعة محمّد. حين قال: "ما زج حبّي دماء أمّتي ولحومهم. فهم يؤثرونني على الآباء والأمّهات". وقال إبليسُ نظير ذلك حيث قال: "إبليس لطيف روحاني يدخل سلطانه مجاري الدم حتى يبلغ صدورهم". فإذا كان صاحب الشريعة لطيفاً يمازج حبه دماء الناس ولحومهم، وإبليسُ لطيفاً روحانياً يمازج بقوة الحبّ دماء العالم ويوسوس في صدورهم، فأين الفرق بين الوليّ وبين الضدّ، وكلاهما في القوة واحد! فلو ميّزتم معاني الكلام وتدبرتموها لبان لكم نطق الرسول من نطق إبليس، وفعل الإمام من فعل غطريس^(٢٤)، ولعرفتم السبب والخميس، وتبرّيتُم من فرعون وهامان الرّجيس، ولتصوّر لكم ارتفاع مكان إدريس، وعبدتم مولانا جلّ ذكره باري الحنّ والجنّ والبنّ والأنيس.

(٢٣) سورة يونس ١٠/٩٩-١٠٠.

(٢٤) الغطريس هو المتكبر المتبختر والمتعسف. وهو لقب الدّرزي وفعله؛ وإدريس هو إسماعيل التميمي، كما سيذكر في الرسالة التي نحن في صدها.

والرسول هاهنا هو الإمام المفترض الطاعة، هو دون الإمام الأعظم. وإبليس هو المتشبه بالمولى سبحانه، ويزعم بأنه جنس ويدّعي عهد المسلمين. والإمام الأعظم ذو معة. وسمّي ذو معة لأنه وعّا توحيد مولانا جلّ ذكره بلا واسطة.

وغطريس هو نشكين الدرزي الذي تغطرس على الكشف بلا علم ولا يقين. وهو الضدّ الذي سمعتم بأنه يظهر من تحت ثوب الإمام، ويدّعي منزلته، ويكون له خوار، جولة بلا دولة. ثم تنطفي ناره. وكذلك الدرزي كان من جملة المستجيبين حتى تغطرس وتجبّر وخرج من تحت الثوب. والثوب هو الداعي والسترة التي أمره بها إمامه حمزة ابن علي ابن أحمد الهادي إلى توحيد مولانا جلّ ذكره سبحانه وتعالى، وادّعى منزلته حسداً له وإعجاباً بروحه وقال قول إبليس.

وكذلك الدرزي سمّى روحه في الأوّل سيف الإيمان، فلما أنكرت عليه ذلك وبيّنت له أنّ هذا الاسم محالّ وكذب، لأنّ الإيمان لا يحتاج إلى سيفٍ يُعينه، بل المؤمنون محتاجون إلى قوّة السيف وإعزازه. فلم يرجع عن ذلك الاسم. وزاد في عصيانه. وأظهر فعل الضديّة في شأنه، وتسمّى باسم الشُّرك. وقال: أنا سيّد الهاديين، يعني أنا خير من إمامي الهادي. وغرّه ما كان يضربه من زغل الدنانير والدراهم^(٢٥). وحسب أنّ أمر التوحيد مثله يحتمل التدليس. وأبّا أن يسجد لمن نصبه المولى جلّ ذكره وقلّده واختاره، وجعله خليفته في دينه، وأمينه على سرّه، وهادياً إلى توحيده وعبادته. فتغطرس على الدين، وأظهر سيف الناطق والأساس أجمعين، طلباً للرئاسة والاسم اللطيف بإظهار الشريعة في عالم البسيط والكثيف.

(٢٥) كان الدرزي قيماً على بيت المال عند الحاكم وكان يضرب السكة.

وفرعون البرذعي^(٢٦) وهامان علي ابن الحبال^(٢٧)، لأن فرعون كان داعي وقته، فلما أبطأ الناطق قال: أنا ربُّكم الأعلى، يعني إمامكم الأعظم^(٢٨). وهامان الذي فتح له باب المعصية. وإدريس^(٢٩) هو الذي رُفع مكاناً علياً، وهو ارتفاع درجته في العلوم حتّى صار إماماً، دون الإمام الأعظم، الذي مصّ العلم من ذي معة، وهو قائم الزمان هادي المستجيبين، عبد مولانا جلّ ذكره، وصفه بلا واسطة جسماني. فإذا عرفتم هذا عبدتم مولانا جلّ ذكره باري الجنّ وهم الدعاة، والجنّ وهم المأذونون، والبنّ وهم المكاسرون، والإنس وهم المستجيبون هاهنا في هذا المعنى. والسبت دليل على السابق وهو علي ابن عبد الله اللواتي^(٣٠). الداعي والخميس دليل على التالي، وهو مبارك ابن علي الداعي^(٣١).

وأهل التأويل يزعمون بأن الكلمة هو السابق، والسابق هو الكلمة، لا فرق بينهما. ولا يعرفون فوقهما شيئاً إذ كانت الثلاثة حدود الذين هم: ذو معة وذو مصّة والجناح غائبين عن عيون قلوبهم، ينظرون إليهم وهم لا يبصرون.

معاشر المستجيبين لمولانا جلّ ذكره، قد بلغت لكم الهداية ودعوتكم

(٢٦) أبو منصور البرذعي الذي دُعي إلى التوحيد فأبى الدخول على يد حمزة، لكنّه عاد فدخل على يد الدرزي قائلاً له: إن كنت أنت الإمام فانا أستجيب على يدك. وهكذا ادّعى الدرزي مرتبة الإمام وفتح للبرذعي أبواب البلايا.

(٢٧) كان مأذوناً للإمام في الثامنة، متظاهراً بالديانة. اعترف بإمامة الدرزي.

(٢٨) فرعون ادّعى الإمامة بزمن موسى. هامان كان وزيراً لفرعون. الناطق هو موسى.

(٢٩) إدريس الأدارسة هو لقب الحدّ الثاني «النفس»، أي إسماعيل التميمي، صهر حمزة.

(٣٠) نسبة إلى «لوات» بلد بالصعيد في مصر. سمّي السبت لأنّه كان يقيم مجلسه يوم السبت.

(٣١) مبارك هو أحد الدعاة الذين كانوا يُقيمون مجلسهم نهار الخميس.

إلى توحيد مولانا جلّ ذكره في سبعين عصرًا، ما منها عصر إلا ويظهرني مولانا جلّ ذكره فيكم بصورةٍ أخرى وإسمٍ آخر ولغةٍ أخرى. أعرفكم ولا تعرفوني ولا تعرفوا نفوسكم. والآن قد استدارت الأدوار، وكأنكم بإظهار توحيد مولانا جلّ ذكره ونور الانوار، وأظهر لكم ما كان مدفوناً تحت الجدار. فلمولانا الحمد والشكر وحده. فلا تنكروا معجزات مولانا جلّ ذكره وآياته، ولا تلتفتوا إلى أمسٍ فأمسٌ مضى بما فيه، وغداً فلا تعلم أنك تُوافيه، واليوم أنت فيه بما يقتضيه. وكلّما غاب عن العالم أسقطوه. فلو كان للعالمين عقولٌ لميّزُوا معجزاتي التي أيّدي بها مولانا جلّ ذكره يومَ الجامع:

وقد أرسلتُ إلى القاضي عشرين رجلاً ومعهم رسالة رفعتُ نسختها إلى الحضرة اللاهوتية، فأبى القاضي واستكبر وكان من الكافرين. واجتمعتُ على غلmani ورسلي الموحدين لمولانا جلّ ذكره زهاءً عن مائتين من العسكرية والرعية. وما منهم رجلٌ إلا ومعه شيءٌ من السلاح. فلم يُقتل من أصحابي إلا ثلثَةٌ نفرٍ وسبعة عشر رجلاً من الموحدين في وسطِ مائتين من الكافرين. فلم يكن لهم إليهم سبيلٌ دونَ رَأوهم بعيونهم حتّى رجّعوا إلى عندي سالمين، ولم يُمكنْ منهم المارقين.

وقد سمعتم ما جاء في الدار، وجعلتها آيةً معجزةً لأصحابي، فقال^(٣٢): لَ «قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ النَّفَقَاتِ. فَهُنَّ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، يعني المجاهدين في توحيد مولانا جلّ ذكره وعبادته، «وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِيهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ». «وَاللَّهُ»، أي مولانا جلّ ذكره «يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ»، أي الإيمان. فإذا كان القرآن قد نطق بتأييد رجلٍ مؤمنٍ يقاتل رجلين كافرين فكيف عشرة. وقد مدح أصحابه وحرّضهم على القتال. فقال: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ! حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ. إِنْ يَكُنْ مِنْهُمْ

عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُونَ مَائَتَيْنِ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِإِيمَانِهِمْ فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ» (٣٣).

فصح قوله في القرآن إنَّ المعجز المتوسط رجلٌ يجاهد رجلين. والمعجز الأعظم رجلٌ يقاتل عشرة. وقال: «إنَّ في ذلك عبرة لأولي الأبصار». فأنا أحقُّ بالمعجزات الكاملة الحقيقية التي يجب على المؤمنين أن يعتبروا منها ويتفكروا فيها. وقد اجتمعت عند المسجد سائر الأتراك بالجواشين والزرد والخوذ والتجافيف، ومن جميع العساكر والرعية زائد عن عشرين ألف رجل، وقد نصبوا على القتال بالنفط والنار، ورماة النشاب والحجار، والتسلق إلى الحيطان بالسلام يوماً كاملاً. وجميع من كان معي في ذلك اليوم اثنتي عشر نفساً، منهم خمسة شيوخ كبار وصبيان صغار لم يُقاتلوا. فقتلنا من المشركين ثلاثة أنفس، وجرحنا منهم خلقاً عظيماً لا يحصى، حتى طال على الفئة القليلة الموحدة القتال.

وكادت الأرواح تتلاشى وتبلغ التراق. وخافوا كثرة الأضداد والمراق، وغلبة المنافقين الفساق، فناديتهُم: معاشرَ الموحدين: اليوم أكملت لكم دينكم بالجهاد، وأتممت عليكم نعمته والسداد، وأرضى لكم التسليم لأمره بالجهاد. وما يُصيبنا إلا ما كتبته الله علينا. هو مولانا وعليه فليتوكل المؤمنون.

معاشرَ الموحدين! «قاتلوا أئمة الكفر. إنهم لا إيمانَ لهم لعلهم ينتهون. قاتلوا قوماً نكثوا أيمانهم»، يعني عهدهم، «وهمُّوا بإخراج الرسول»، وهو قائم الزمان، «وهم بدؤوكم أول مرة»، يعني دفعة الجامع، «فلا تخشونهم. (قاله، أي)، فمولانا جل ذكره، أحقُّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين. قاتلوه»

يَعْدِبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ. وَيُخْزِهِمْ. وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ. وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ»^(٣٤).

فما اسْتَتَمَّيْتُ كلامي لهم حتى جاء أمرُ مولانا جلّ ذكره وتجلّاه للعالمين بقدرته سبحانه «فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»^(٣٥)، فأنْقَلَبُوا المنافقين على أعقابهم ناكسين خائنين. فلمولانا الحمد والشكر أبد الآبدين.

فَاللَّهُ اللَّهُ معاشِرَ المستجيبين! أصبروا وصابروا في البأساء والضراء، والشدة والرّخاء، ويقظوا بعضكم بعضاً، وتوبوا إليه توبة لا تشكون فيه بعدها أبداً. واسألوه أن لا يؤخذكم بسوء نيّاتكم وأن يسمح لكم بما سلف من ذنوبكم، وأن يثبتكم على عبادته وتوحيده. والزموا ما أمرتكم به في كُتُبِي، من سِدْق اللسان، وحفظ الإخوان، والرضى بفعل مولانا كيفما كان، والتسليم لأمره في السرّ والإعلان. فتكونوا من عباده الصالحين الذين لا خوفَ عليهم من الظاهر، ولا هم يحزنون بشركِ الباطن. ويرحمنا وإياكم، ولجميع المؤمنين به، والموحّدين له. والحمد والشكر لمولانا جلّ ذكره في السراء والضراء، والشدة والرّخاء. وهو المعين وعليه التوكّل غاية القصد والرجاء.

وكتبتُ في شهر ربيع الآخر. الثاني من سنة عبد مولانا ومملكوه حمزة ابن علي ابن أحمد هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف أمير المؤمنين، وشدة سلطانه وحده، لا شريك له. تمّت بحمد مولانا وحده.

(٣٤) سورة التوبة ٩/١١-١٤.

(٣٥) سورة الزمر ٣٩/٦٨.

كِتَابُ فِيهِ حَقَائِقُ

مَا يَظْهَرُ قَدَامَ مَوْلَانَا جَلَّ ذِكْرُهُ مِنَ الْهَزْلِ
وَذَلِكَ بِالتَّايِيدِ لِقَائِمِ الزَّمَانِ، مَظْهَرِ الْكَلِمَةِ وَالْبَيَانِ،
عَلَى ذِكْرِهِ السَّلَامِ. الْحَمْدُ لِمَوْلَانَا وَحْدَهُ وَشِدَّةِ سُلْطَانِهِ.

كُلُّ مَا عِنْدَ الْحَاكِمِ مِنْ أَعْمَالٍ وَتَصَرُّفَاتٍ، جَدِيَّةٌ كَانَ أَمْ هَزْلِيَّةً، لَهَا مَعَانٍ وَتَأْوِيلَاتٌ تَوْحِيدِيَّةٌ. كُلُّهَا رَمُوزٌ وَإِشَارَاتٌ إِلَى هَدْمِ الشَّرِيعَتَيْنِ، وَبِنَاءِ شَرِيعَةِ التَّوْحِيدِ. فَمِنْ رُكُوبِهِ الْحِمَارَ بِغَيْرِ سَرَجٍ، إِلَى تَرْبِيَةِ شَعْرِهِ، إِلَى لِبَاسِ الصُّوفِ، إِلَى الْخُرُوجِ فِي الصَّحَرَاءِ، وَإِلَى خُرُوجِهِ مِنَ السَّرْدَابِ إِلَى الْبَسْتَانِ، وَإِلَى أَسْمَاءِ الْبَسَاتِينِ وَأَبْوَابِهَا وَجَوَامِعِهَا وَالْمَسَاجِدِ وَقُبُوبِهَا... كُلُّهَا تَشْيِيرٌ إِلَى هَدْمِ الشَّرِيعَتَيْنِ. وَيَشِيرُ أَيْضاً إِلَى ذَلِكَ: وَقَوْهُ فِي الصُّوفِيَّةِ، وَاسْتِمَاعُهُ إِلَى أَغَانِيهِمْ، وَالنَّظَرُ إِلَى رَقَصِهِمْ، وَلَعِبُ الرِّكَابِيَّةِ بِالْعَصِيِّ وَالْمِقَارِعِ، وَصَرَاعُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَذِكْرُ فُرُوجِهِمْ وَأَحَالِيلِهِمْ، وَحَرْقُ فُرُوجٍ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَاللَّعِبُ بِعَوْرَاتِهِمْ... كُلُّهَا تَشْيِيرٌ إِلَى مَعَانٍ بَاطِنِيَّةٍ دُرْزِيَّةٍ، وَإِلَى الْوَهْيَةِ الْحَاكِمِ... هَذَا الْكِتَابُ مِنْ وَضْعِ حَمْزَةٍ، مِنْ سَنَةِ ٤١١ هـ. وَهُوَ كِتَابٌ مَهْمٌ جَنَّا لِفَهْمِ تَصَرُّفَاتِ الْحَاكِمِ الَّتِي هِيَ، بِنَظَرِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، حِكْمَةٌ مَا بَعْدَهَا حِكْمَةٌ، وَبِنَظَرِ سَوَاهِمِ، جَهَالَةٌ مَا بَعْدَهَا جَهَالَةٌ.

تَوَكَّلْتُ عَلَى مَوْلَانَا الْبَارِّ الْعَلَامِ، الْعَلِيِّ الْأَعْلَى حَاكِمِ الْحَكَامِ، مَنْ لَا يَدْخُلُ فِي الْخَوَاطِرِ وَالْأَوْهَامِ، جَلَّ ذِكْرُهُ عَنْ وَصْفِ الْوَاصِفِينَ وَإِدْرَاكِ الْأَنَامِ. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. صِفَاتُ عَبْدِهِ الْإِمَامِ. الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ لِمَوْلَانَا جَلَّ ذِكْرُهُ وَبِهِ أَسْتَعِينُ فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا وَإِلَيْهِ الْمَعَادِ. الَّذِي يُحْيِي

ويميت وهو الحيّ الذي لا يموت، الذي هو في السماء عالٍ، وفي الأرض متعالٍ حاكماً. عليه توكلتُ، وبه أستعين وإليه المصير وهو المعين. وصلواتُ مولانا جلّ ذكره وسلامُهُ على الذي اصطفاه من خلقه، واختاره من عبيده، وجعلهم الوارثين لديار أعدائهم بقوته وسلطانه، الحاكم القادر، العزيز القاهر، وهو على كلّ شيء قدير.

أما بعد معاشرَ الإخوان الموحّدين، أعانكم المولى على طاعته. إنّه وصل إليّ من بعض الإخوان الموحّدين، كثر المولى عددهم وزكّى أعمالهم وحسّن نيّاتهم، رِقعةٌ يذكرون فيها ما يتكلّمون به المارقون من الدّين، الجاحدون لحقائق التنزيه، ويطلقون ألسنتهم بما يشاكل أفعالهم الرديّة، وما تميل إليه أديانهم الدنيّة، فيما يظهر لهم من أفعال مولانا جلّ ذكره ونطقه، وما يجري قدّامه من الأفعال التي فيها حكمةٌ بالغة شتّى. فما تغني النذر، وتميّزُ العالم الغبي الذين من أعمالهم الهزل، واقوالٍ فيها صعوبة وعدل. ولم يعرفوا بأنّ أفعال مولانا جلّ ذكره كلّها حكمةٌ بالغة، جدّاً كان أم هزلاً. يُخرج حكمته ويظهرها بعد حين. ولو تدبّروا ما سمعوه من الأخبار الماثورة عن جعفر ابن محمد ابن علي ابن الحسين ابن علي ابن عبد مناف ابن عبد المطلب!

إياكم الشرك بالله والجحود له بما يختلج في قلوبكم من الشكّ في أفعاله كيفما كان. ولا تنكروا على الإمام فعله ولو رأيتموه ركباً قصبةً، وقد عقدَ ذيلَه خُلفَ ثوبه وهو يلعبُ مع الصبيان بالكعب، فإنّ تحتَ ذلك حكمةٌ بالغةٌ للعالم وتميّزاً للمظلوم من الظالم. فإذا كان هذا القول في جعفر ابن محمد وجعفر، وآباؤه وأجداده كلّهم عبيدٌ لمولانا جلّ ذكره، فكيف أفعالُ مَنْ لا تُدرّكه الأوهام والخواطر بالكلّيّة، وحكمته اللاهوتيّة التي هي رموزات وإشارات لبطلان النواميس، وهلاك الجواميس، وتميّز الطواويس!

فلمولانا الحمد على ما أنعم به علينا بغير استحقاقٍ نستحقّه
عنده. وله الشكر على ما أظهر لنا من قدرته خصوصاً دون سائر
العالمين إنعاماً وتفضلاً. ونسأله العفو والمغفرة بما يجري منّا من قبائح
الأعمال، وسوء المقال، ونعوذ به من الشرك والضلال. إنّه وليّ ذلك
والقادر عليه وهو العليّ المتعال.

ولو نظروا إلى أفعال مولانا جلّت قدرته بالعين الحقيقية،
وتدبّروا إشاراته بالنور الشعشعاني، لبانت لهم الألوهية والقدرة
الازلية، والسلطان الأبدية. وتخلّصوا من شبكة إبليس وجنوده الغوية،
ولتصوّر لهم حكمة ركوب مولانا جلّ ذكره وأفعاله، وعلموا حقيقة
المحض في جدّه وهزله، ووقفوا على مراتب حدوده، وما تدلّ عليه
ظواهر أموره، جلّ ذكره وعز اسمه. ولا معبود سواه.

فأول ما أظهر من حكمته ما لم يُعرف له في كلّ عصر وزمان
ودهرٍ وأوان، وهو ما يُنكرونه العامة من أفعال الملوك من تربية الشعر،
ولباس الصوف، وركوب الحمار بسروج غير محلات، لا ذهب ولا
فضة. والثلاث خصال معنّاه واحد في الحقيقة، لأنّ الشعر دليل على
ظواهر التنزيل، والصوف دليل على ظواهر التأويل، والحمير دليل على
الانقطاع، بقوله لمحمد: «يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ، وَأَتِ الزَّكَاةَ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ،
وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ. إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ. وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ، وَلَا
تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً. إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ. وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً.
كُلُّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ رَبِّكَ شَيْئاً مَحْذُوراً. وَانْقِصْ مِنْ مِشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ
صَوْتِكَ. إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ»^(١).

(١) سورة لقمان ٣١/١٧-١٨ ببعض التصرف، متداخلة مع سورة الإسراء ١٧/

والعامّة يروون أنّ هذه الآية حكاية عن لقمان الحكيم لولده. فكذبوا وحرّفوا القول. وإنّما هو قول السابق، وهو سلمان^(٢). وإنّما سمّى الناطق ولده لحدّ التعليم والمادّة، إذ كانوا سائر النطقاء والأوصياء أولاد السابق المبدع الأوّل هو سلمان^(٣).

فقال لمحمد: «أقم الصلاة»، إشارة إلى توحيد مولانا جلّ ذكره ولحدوده ودعائه. «وأمر بالمعروف»، وهو توحيد مولانا جلّ ذكره. «وأنّه عن المنكر»، يعني شريعته وما جاء به من الناموس والتكليف. «إنّ ذلك من عزم الأمور»، يعني الحقائق وما فيه من نجات الأرواح من نطق الناطق. «ولا تصعّر خدك للناس»، وخدّه وجه السابق وتصعيره سترة فضيلته. «ولا تمش في الأرض مرحاً»، والمرح هو التقصير واللّعب في الدّين، والأرض هاهنا هو الجّناح الأيمن الدّاعي إلى التوحيد المحض. «إنّك لن تخرق الأرض»، يعني بذلك لن تقدر على تبطيل دعوة التوحيد. «ولن تبلغ الجبال طُولاً»، والجبال هم الحجج الثلاثة الحُرّم ورابعهم السابق الذي يعبدوه العالم دون الثلاثة. وأجلّهم الحجّة العظمى واسمّه في الحقيقة ذو معة لأنّ قلبه وعى التوحيد والقدرة من مولانا جلّ ذكره بلا واسطة بشريّة.

(٢) هو سلمان الفارسي، إنّه، في رأي المسلمين، من «خواص أحباب النبيّ وأعظم أنصاره. قال عنه محمد: إنّ الجنة أشوق إلى سلمان منه إليها». كان سلمان، في رأي الدروز، يعلم النبيّ ويمدّه بالقرآن، كما سيأتي ذلك في رسالة خاصّة. وسلمان أيضاً، في رأي التّصيّريين، أحد الثالوث الإلهي المؤلّف من علي ومحمد وسلمان، أي: ع.م.س.

(٣) المقصود هنا: لقمان الذي أعطى هذه الحكّم لولده، هو كـ «الناطق» محمّد الذي أعطى التعليم لأولاده الأوصياء والأئمّة؛ فيما الحقيقة إنّه تعليم أعطاه السابق سلمان للجميع، أي للنطقاء والأوصياء كلّهم. وسلمان هو نفسه حمزة، وكان قد اتّخذ هذا الاسم في عهد محمّد.

«وَانْقُصْ مِنْ مَشْيِكَ»، يعني اخفض من دعوتك في الظاهر الذي هو يمشي في العالم مثل دَبِيبِ النملة السوداء على المسح الأسود في اللبلة الظلماء، وهو الشرك بذاته، مثل النار إذا وقع في التبن، لا يُشعر بضوئه إلا بعد هلاكه. كذلك محبة الشريعة والإصغاء إلى زخرفه، والتعلق بناموسه، يعمل في الأعضاء ويجري في العروق كما قال بلسانه. وقوة بلسه وسلطانه ولطافته تجري في العروق مجاري الدم حتى يتمكن في القلب ويقوي سائر العالمين.

وقال الناطق: "مَا زَجَّ حُبِّي دَمَاءَ أُمَّتِي وَلَحُومَهُمْ. فهم يؤثرونني على الآباء والأمهات؛" فرأينا الخبرين واحد معناهما. وقد قال في القرآن^(٤): «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»، ورب الناس هاهنا هو التالي، وهو في عصر محمد المقداد^(٥)، «مَلِكِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ»، يعني زخرف الناطق الذي يوسوس في صدور الناس، يعني الدعاة والمأذونين والمكاسرين حتى يردهم عن توحيد مولانا الحاكم بذاته المنفرد عن مبدعاته جل ذكره. والذات هو لاهوته الحقيقي الذي لا يدرك ولا يحس. سبحانه وتعالى.

«وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ»، يعني بذلك اخفض وانقص واستر نطقك بالشريعة. «إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ»، يعني دعوة الظاهر، «لَصَوْتُ الْحَمِيرِ»، يعني بذلك أشر كلاماً وأفحشه وأنكره نطق الشرائع المذمومة في كل عصر وزمان. فمنهم تظهر الشكليات والضديّة والجنسيّة.

فأظهر مولانا جل ذكره لبس الصوف وتربية الشعر، وهو

(٤) سورة الناس ١١٤/٤.

(٥) هو المقداد بن بن الأسود (ت ٣٣هـ/ ٦٥٣م)، صحابي، أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام. قاتل في بدر وأحُد. له اعتبار كبير عند الشيعة.

دليل على ما ظهر من استعمال الناموس الظاهر وتعلق أهل التأويل بعلي ابن أبي طالب وعبادته، وركوب الحمار دليل على إظهار الحقيقة على شرائع النطقاء. وأما السروج بلا ذهب ولا فضة دليل على بطلان الشريعتين الناطق والاساس. واستعمال حلى الحديد على السروج دليل على إظهار السيف على سائر أصحاب الشرائع وبطلانهم. واستعمال الصحراء في ظاهر الأمر، وخروج مولانا جل ذكره في ذلك اليوم من السرداب إلى البستان، ومن البستان إلى العالم دون سائر الأبواب. والسرداب والبستان الذي يخرج مولانا جل ذكره منهما ليس لأحد إليهما وصول، ولا له بهما معرفة، إلا أن يكون لمن يخدمهما أو خواصهما. وهو دليل على ابتداء ظهور مولانا سبحانه بالوحدانية ومباشرته بالصمدانية بالحددين اللذين كانا خفيين عن سائر العالمين إلا لمن يعرفهما بالرموز والإشارات. وهما الإرادة والمشية^(٦).

كما قال^(٧): «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ». والإرادة هو ذو معة. والمشية تاليه. كما قال^(٨): «وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ». فليس يعرفهما إلا الموحِّدون لمولانا جل ذكره.

ومن السرداب يخرج إلى البستان. كذلك العلم يخرج من ذي معة إلى ذي مصة الذي هو بمنزلة الجنة صاحب الأشجار والأنهار. ثم يخرج منهما إلى المقس. فأول ما يلقي بستان برجوان، وهو المعروف بالحجازي، فلا يدخله ولا يدور حوله في مضيئه. وهو دليل على الكلمة

(٦) الإرادة والمشية كناية عن حمزه وإسماعيل صهره.

(٧) سورة يس ٣٦/٨٢-٨٣.

(٨) سورتا الإنسان ٧٦/٣٠ والتكوير ٨١/٢٩.

الأزليّة. ثم يمضي إلى البستان المعروف بالدكّة، وهو دليل على السابق، وهو دكّة العالم، وعلومهم منه إذ كانوا لا يعزفون فوقه شيئاً أعلى منه. وهذا البستان المعروف بالدكّة على شاطئ البحر، كذلك علم التأويل ممثوله البحر. والمستجيب للعهد، إذا بلغ علّم السابق ومعرفته، حسب أنه قد بلغ الغاية والنهاية في العبادة.

وبستان الدكّة مع جلالته ملاصقٌ لموضع الفحشاء والمنكر دون سائر البساتين، دليلٌ على أن علّم السابق واصلٌ بالنطقاء الذين هم معادن النواميس الفانية الحشويّة، والأعمال الفاحشة الدنيّة. والمقسّ دليل على الناطق. وما في المقسّ من الفحشاء والمنكر دليل على شريعته. والنساء الفاسدات اللّواتي فيه دليلٌ على دعاة ظواهر شريعته، وارتكابهم الشهوات البهيميّة في طاعته.

ثم إنّ علينا سلامه ورحمته يخرج إلى الصناعة، ويدخل من بابها، ويخرج من الآخر. والصناعة دليل على صاحب الشريعة. والصناعة ممنوعة من دخول العالم فيها والخروج لإضاعة الشريعة. فدخل مولانا جلّ ذكره فيها من باب وخروجه من باب دليل على تحريم الشريعة وتعطيلها.

ثم إنّ علينا سلامه ورحمته يدور حول البستان المعروف بالحجازي، وهو دليل على الكلمة الأزليّة. والدوار حوله بلوغٌ إلى الكشف بلا سترة تحوط بالدين.

ثم إنّ جلّ وعز سلطانه يبلغ إلى القصور، وهما قصران عظيمان خرابان، دليل على بطلان الشريعتين وخرابهما.

ثم إنّ علينا سلامه ورحمته يدخل من باب البستان المعروف بالمختص، وهو دليل على التالي إذ كان التالي مختصاً بعلمه الأساس والتأويل. وأكثر العالم يميلون إليه، وهو هيولى العالم الجرمانى. ومن

الشيعة مَنْ يعتقد ويعبد التالي، وَمِن الشيعة مَنْ يقول بأنَّ التالي مولانا. وهذا هو الكفر والشُّرك. وإنما هو التالي الذي عجزوا الناسُ عن معرفته، وهو الجنةُ المعروفة بالمختصِّ، متَّصلةٌ بالجنةِ المعروفة بالعصَّار، دليلٌ على الناطق لأنَّه يعصر علمَ التالي فيُخرج منه الحقيقةَ والتوحيدَ، فيكتُمه على العالمِ الغيبيِّ، ويُظهر لهم النَّقْلَ، وهو الكُسْبُ الذي لا ينتفع به غير البهائم.

كذلك البستانُ المعروف بالعصَّار، وهو خرابٌ من الفواكه والأشجار، والرياحين والأثمار. وبستانُ المختصِّ عامرٌ بالفاكهة والأزهار، والرياحين والأشجار. ومنه يخرج الماءُ إلى الحوض الذي يشربون منه البهائم. والماء هو العلم، والحوض هو المادَّة الجارية من التالي، والدواب هم النطقاء والأسس. كذلك العلمُ يَخْرُجُ مِنَ التالي إلى الأساس في كلِّ عصر وزمان. والسابق ممَّدُ الناطق، ومن الفاتق إلى الراتق، ومن السابق الشهيد إلى الطالب الطارق.

وهذين البستانَيْنِ بين المسجدَيْنِ المعروفَيْنِ بمسجد تَبَرٍّ ومسجد رَيْدان. فمسجد رَيْدان محاذي بستانِ العصَّار، ومسجد تبر محاذي بستانِ المختصِّ. ومسجد تبر دليل على الناطق، والتبر دليل على الذهب، والذهب دليل على إذهاب شريعته. وهذا المسجد لم يُصَلِّ فيه صلاة جماعة قطُّ دليل على أن ليس للناطق، ولا لمن تبعه، اتِّصالٌ بالتوحيد. ومسجد رَيْدان دليل على حجة الكشف، القائم بالسيف والعنف، الدَّاعي إلى التوحيد المنكر عند سائر العالمين.

كما نطق عبد مولانا جلَّ ذكره في القرآن على لسان السادس^(٩):
«يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِيَ إِلَى شَيْءٍ نَكُرٍ»، وهو عبادة مولانا جلَّ ذكره وتوحيده الذي أنكره سائرُ النطقاء والأسس وأئمة الكفر. كما قال عبد مولانا جلَّ

ذكره في كتابه: «قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ»^(١٠). أراد «لا أيمان» لهم بمعرفة مولانا جلّ ذكره. والأيمان هو التسديق وتوحيد مولانا جلّ ذكره صعبٌ مستصعب لا يحمله نبيٌّ مرسل ولا وصيٌّ مُكَمَّل، ولا إمامٌ مُعَدِل، ولا ملكٌ مُفَضَّل؛ بل يحمله قلبٌ صافٍ لبيبٌ، أو موحدٌ راغبٌ مستجيب، لا يَعبَد غيرَ مولانا جلّ ذكره بحقيقة الحقائق، وترك ما كان عليه من الأديان والطرائق. وعبدٌ مولى الأساس والناطق، ومبدعُ التالي والسابق، الحاكمُ على جميع النطقاء والشرائع، المنفرد عن جميع المخلوقات والبدائع، ولكلِّ شيءٍ ضدٌّ بين يديه.

فبإزاء الباطل الذي هو جَنَّةُ الْعَصَارِ، وهو دليل على الناطق حَقٌّ يرفعُ، وهو مسجد ريدان وهو ذو مَعَة. وبإزاء الحق الذي هو جَنَّةُ الْمُخْتَصِّ وهو التالي بَاطِلٌ يَطْلُبُ فسادَه، وهو مسجد تبر، وهو الناطق. والمولى جلّ ذكره يَنْصُرُ أوليائه ويُهْلِك أعداءه، ويَتِمُّ نورَه ولو كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ المتعلّقون بعلي ابن عبد مناف، والكافرون المتعلّقون بالناطق وعدمه.

فَرِيدَانِ خَمْسَةَ أَحْرَفٍ، دليل على خمسة حدود النفسانيين والنورانيين والروحانيين والجرمانيين والجسمانيين: وهو ذو مَعَة، الْعَقْلُ الْكَلِّيُّ النَّفْسَانِي، وذو مَصَّةِ النَّفْسِ الْروْحَانِي، والجناح الرَّبَّانِي، والأيمن الباب الأعظم، وهو السَّابِقُ والتالي معدن العلوم ومنه ابتناؤها.

فَرِيدَانِ كَلِمَتَانِ: رَيِّ وَدَان. فَرَيِّ: الأشياء، وهم الحجج والدعاة والمأذونين والمكاسرين. كما قال عبد مولانا جلّ ذكره^(١١): «وكلُّ شيءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ». والأشياء الحقيقية والدين الأزلي، والتوحيد الأبدي، على يد رِيدَانِ يَوْمِ الدِّينِ، وهو عبد مولانا ومولى الخلق أجمعين، جلّ

(١٠) سورة التوبة ١٢/٩

(١١) سورة يس ١٢/٣٦

ذكر وعزَّ اسمُه ولا معبود سواه. سبحانه جلّ وعلا أن يكون دياناً أو سلطاناً أو برهاناً أو الله أو الرحمن، إذ كان الكلُّ عبيدَه في سائر الأدوار، المستغفرين له في الليالي والأسحار، العابدين له طوعاً وكرهاً في العيان، سبحانه عن إدراك الأوهام والخواطر، أو يُعرف في الإعلان والسرائر، أو بباطن أو بظاهر، إذ كان لا يدرك بعض ناسوته، وقدرة مقام جبروته، وعظم جلال لاهوته.

وما من المساجد مسجد سقطت قُبَّتُه وهوى المسجد بكماله غيرُ مسجد ريدان. فأمرَ مولانا سبحانه وتعالى بإنشاء قُبَّتِه، وزاد في طوله وعرضه وسموه. دليل على هدم الشريعة الظاهرة على يد عبده الساكن فيه، وإنشاء توحيد مولانا جلّ ذكره فيه، بالحقبة ظاهرة مكشوفة، وابتداء الشريعة الروحانية في عالم بسيط روحاني توحيدي لاهوتي حاكمي، لا يعبدون غيره وحده، ولا يشركون به أحداً في السرّ والإعلانية، سبحانه وتعالى عما يقولون المشركون علواً كبيراً.

ثم إنَّ مولانا علينا سلامه ورحمته ظهر لنا في الناسوت البشرية، ونزوله عن الحمار إلى الأرض وركوبه آخر محاذي باب المسجد، دليل على تغيير الشريعة، وإثبات التوحيد، وإظهار الشريعة الروحانية على يد عبده حمزة ابن علي ابن أحمد، ومملوكه هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا وشدة سلطانه وحده لا شريك له.

ووقوفه في ظاهر الأمر، وحاشاه من الوقوف والسير والجلوس والنوم واليقظة، «لا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ. لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ»^(١٢)، يعني النطقاء والأسس، «مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ»، يعني مَنْ ذَا الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى إِطْلَاقِ دَاعٍ أَوْ مَأْذُونٍ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ، «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ

أَيْدِيَهُمْ وَمَا خَلَقَهُمْ»، يعني من آدم إلى محمد ابن إسماعيل، «وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ»، يعني حَجَّتْهُ، «إِلَّا بِمَا شَاءَ»، وهو المشيئة أعظم الدرجات. «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»، والكرسي هو التأييد الذي يصل إلى الحدود العاليتين، «وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا»، وهما الجناح الأيمن والجناح الأيسر، «وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ»، العالي على كلِّ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ وَمَنْ تَأَخَّرَ مِمَّنْ يَنْظُرُونَهُمُ الشَّيْعَةُ الْمَشْرُوكُونَ.

وكان وقوفه عند الميل، والميل دليل على التأييد، إذ كانت الأميال يستدلون بها على الطريق، كذلك التأييد يطرق العبد من المعبود ويعود إلى الوجود. ونزوله إلى الأرض محاذي باب المسجد إشارة منه إلى عبده باب حجابته على خلقه، والداعي إليه بتأييده وأمره، إذ كان التأييد هو الأمر العالي الذي يكون بلا واسطة بشرية. والباب دليل على الحجة. ونزوله عن الحمار وركوبه آخر كان في نفس آذان الزوال. وصلاة الزوال دليل على إزالة الظاهر.

ويكون اعتمادكم من موضع تغييره، وهو يسمّى المقام المحمود، والمشهد الموجود، والمنهل العذب المورد، إلى قصر مولانا الحاكم بذاته، وهو المقام المحمود محاذي باب شريعة روحانية وعلوم حاكمية. وأنا ذاكرها لكم في غير هذا الكتاب، إن شاء مولانا. وبه التوفيق في جميع الأمور. ولا حول ولا قوة إلا به وهو حسبي ونعم النصير المعين.

ثم إن مولانا علينا سلامه ورحمته لا بدّ له في كل ركبة من الإعادة إلى البستانين المعروفين بالقدس، دليل على إظهار النشوء الثالث الخارج من الكفر والشرك، وهما الظاهر والباطن، وهو توحيد مولانا جلّ ذكره.

ودخوله إلى القصر من الباب الذي يخرج منه والسرداب بعينه، دليل على إثبات الأمر وكشف الطرائق بكتب الوثائق، ورجوع الأمر إلى منه

بَدَأَ رُوحَانِيَّةً غَيْرَ تَكْلِيْفِيَّةٍ، وَلَا نَامُوسِيَّةٍ شَيْطَانِيَّةٍ، وَلَا زَخْرَفَ هَامَانِيَّةٍ. أَعَاذَنَا
الْمَوْلَى وَأَيَّاكُمْ مِنَ الشُّكِّ فِيهِ وَالشَّرِكِ بِهِ بِمَنْتِهِ وَفَضْلِهِ. إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ.

وَأَمَّا نَزُولُهُ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ إِلَى مِصْرَ وَمَا شَاهَدَنَاهُ، فَفِيهَا تَمَكَّنَ
الشَّيْطَانُ الْغَوِيُّ، لَعَنَهُ الْمَوْلَى، مِنْ قُلُوبِ الْعَامَّةِ الْحَشَوِيَّةِ، وَالْعُقُولِ السَّخْفَةِ
الشَّرْعِيَّةِ مِمَّا يَسْمَعُونَهُ مِنَ أَلْسِنِ الرُّكَابِيَّةِ قَدَامَ مَوْلَانَا جَلَّ ذِكْرُهُ بِمَا يَسْتَقَرُّ
فِي عُقُولِهِمُ السَّخْفَةِ مِنْ كَلَامِ الْهَزْلِ وَالْمَزَاحِ، وَلَمْ يَعْرِفُوا أَنَّ فِيهِ حِكْمَةً بَالِغَةً
فَمَا تُغْنِي النَّذْرَ. فَأَوَّلُ مَسِيرِهِ إِلَى الْمَشَاهِدِ الثَّلَاثَةِ وَلَيْسَ فِيهَا آذَانٌ وَلَا إِقَامَةٌ
وَلَا صَلَاةُ جَمَاعَةٍ إِلَّا فِي الْأَوْسَطِ الَّذِي هُوَ الْمَنْهَجُ الْأَقْوَمُ وَالطَّرِيقُ الْأَسْلَمُ
الَّتِي مَنْ سَلَكَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ وَغَوَى.

ثُمَّ إِنَّهُ عَلَيْنَا سَلَامَهُ وَرَحْمَتَهُ يَسِيرُ إِلَى رَاشِدَةٍ وَهِيَ أَيْضًا ثَلَاثَةٌ
مَسَاجِدُ مُتَفَاوِتَاتٍ بَبْنِيَانَهَا. وَأَحْسَنُ مَا فِيهِمْ وَأَعْلَاهُمْ وَأَفْضَلُهُمُ الَّذِي يَصَلِّي
الْخُطِيبُ فِيهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ. وَتُصَلَّى فِيهِ خَمْسُ صَلَوَاتٍ عَلَى دَعَائِمِ الْأَيَّامِ،
وَهُوَ الْوُسْطَانِي، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى تَوْحِيدِ مَوْلَانَا جَلَّ ذِكْرُهُ. وَإِثْبَاتُ خَمْسَةِ
حُدُودٍ عُلُويَّةٍ فِيهِ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى حُجَّةِ الْكَشْفِ. وَالْمَسْجِدَانِ اللَّذَانِ مَعَهُ
مُتَفَاوِتَانِ فِي الْبِنَاءِ دَلِيلٌ عَلَى النَّاطِقِ وَالْأَسَاسِ. وَكَذَلِكَ النَّاطِقُ فِي تَرْتِيبِ
حُدُودِهِ أَفْضَلُ مِنَ الْأَسَاسِ. وَالْأَسَاسُ أَعْظَمُ شَأْنًا فِي تَرْتِيبِ الْبَاطِنِ وَرُمُوزِهِ
مِنَ النَّاطِقِ فِي الْمَعْقُولَاتِ وَالْبَيَانِ. فَلَمَّا ظَهَرَ التَّوْحِيدُ زَالَتْ قَدَرْتُهُمَا جَمِيعًا.
وَسَمَّيْتُ رَاشِدَةً لِأَنَّ، بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ وَهَدَايَتِهِ وَالْأَخْذِ مِنْهُ، يَرْشُدُونَ
الْمُسْتَجِيبُونَ، وَيَبْلُغُونَ نَهَايَةَ تَوْحِيدِ مَوْلَانَا جَلَّ ذِكْرُهُ.

ثُمَّ إِنَّهُ عَلَيْنَا سَلَامَهُ وَرَحْمَتَهُ يَدُورُ حَوْلَ هَذَا الْمَسْجِدِ الْوُسْطَانِي فِي
ظَاهِرِ الْأَمْرِ دَلِيلٌ عَلَى التَّأْيِيدِ لِعَبْدِهِ. وَقَدَامَ الْمَسْجِدِ عَقْبَةٌ صَعْبَةٌ الصُّعُودِ لِمَنْ
يَسْلُكُهَا وَلَيْسَ إِلَى الْقِرَافَةِ مُحِجَّةٌ إِلَّا عَلَى هَذِهِ الْعَقْبَةِ، دَلِيلٌ عَلَى الْبِرَاءَةِ مِنَ
الْأَبَالِسَةِ أَصْحَابِ الزَّخْرَفِ وَالنَّامُوسِ، وَلَيْسَ لِلْعَالَمِ نَجَاةٌ إِلَّا بِالْبِرَاءَةِ مِنْهُمْ.

كما أنَّ المحجَّة على هذه العقبة وهي صعبة مستصعبة، لكنَّ فيها افتكاكُ الرقبة، وهو التخلُّص من الشريعتين الظاهر والباطن.

وأما ما يرونه من وقوفه في الصوفيَّة، واستماعه لأغانيهم، والنظر إلى رقصهم، فهو دليل على ما استُعمل من الشريعة التي هي الزخرف واللَّهو واللَّعب. وقد دنا هلاكهم.

وأما بئرُ الزبيق، فهو دليل على الناطق. من فوقه واسعٌ، ومن أسفله ضيقٌ، كذلك الشريعة دخولها سهلٌ واسع، والخروجُ منها صعبٌ ضيقٌ. لكن من يقفز في هذا البئر ويعرف سرَّهُ، ويقف على معناه، ويريدُ المولى نجاته، خرج من بابِه، وهو دليل على أساسه. والوقوع في الشريعة لا بدَّ منه حتماً لزماً لكلِّ أحد. ويخلصُ المولى من يشاء برحمته منها. كما قال الناطق في القرآن^(١٣): «إِنَّ مِنْكُمْ إِنْ أَرَادُهَا»، يعني الشريعة. «كَانَ عَلَى رَبِّكَ»، يعني السابق، «حُتْمًا مَقْضِيًّا». ثُمَّ تُنَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا» من الناطق، «وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ»، يعني أهل الظاهر، «فِيهَا جَنَّتًا»، يعني حيراناً حزيناً دائماً.

ومن خرج من هذا البئر سالماً أَخَذَ مِنَ الحطامِ ما يَسْتَنْفَعُ به، كذلك مَنْ كان تحتَ الشريعةِ وعلمَ التَّأْوِلَ ورموزَه، وتخلَّصَ من شبكتيهما جميعاً، وعَلِمَ ما يُرادُ منه، وصل إلى التوحيد، واستنفع بدينه ودنياه. ومن قفز فيهما بغير معرفة ولا قوَّة، وهما السابق والتالي، انكسرتُ رجلاه وأندقَّ عنقه، دليلٌ على أنَّ من انقطع من السابق والتالي اللذين هما الأصلين المحمودين وخالفهما، خسر الدنيا والآخرة. ذلك هو الخسران المبين.

وأما بئرُ الحفرة، فهو دليل على الأساس، وهو أشدَّ عذاباً من بئر الزبيق وأتعبُ خروجاً، لأنَّ من اعتقد الظاهر، وهي الشريعة، إذا بلغ الباطن،

اعتقد أن ليس فوق الأساس شيء، وأنه الغاية والمعبود، فيبقى في العذاب الأبدى. إلا أن يريد المولى نجاته فيحتاج الداعي يتعب معه من قبل أن يكسره ويَجبره ويُخرجه مما هو عليه من الكفر والشرك.

وأما لعب الركابية بالعصي والمقارع قدام مولانا جل ذكره، فهو دليل على مكاسرة أهل الشرك والعامّة. وتشويههم بين العالم وإظهار أديانهم المعاشم. ويكشف زيفهم باستجرائهم على المخاطبة بحضرته.

وأما الصراع، فهو دليل على مفاتحة الدعاة بعضهم لبعض. وقد كان للعالم في قتل سويد والحمّام^(١٤) عبرة لمن اعتبر، ونجاة من الشرك لمن تدبّر، لأنّهما كانا رئيسين في الصراع. ولكل واحد منهما عشيرة تحميه وأتباع. وهما دليلان على الناطق والأساس. وقتلّهما دليل على تعطيل الشريعتين، التّنزيل والتأويل، والهوان بالطائفتين، أهل الكفر والتلحيد.

وأما ما ذكره الركابية من ذكر الفُروج والأحالي^(١٥)، فهما دليلان على الناطق والأساس. وقوله: "أورني قمرَك"، يعني إكشف عن أساسك، وهو موضع يخرج منه القدر، دليل على الشرك. فإذا كشف عن أساسه، وأخرج قلبه، أي عبادة أساسه، نجا من العذاب والزّيف في اعتقاده. ومن شكّ هلك كما أن الإنسان إذا لم يبّل ولا يتغوّط أخذه القولنج فيهلك.

والنار هاهنا علم الحقيقة وتأبيده جل ذكره فيحرق ما أتيا به الشريعتان كما أنّهم يحرقون فروج بعضهم بعضاً بالنار، دليل على احتراق

(١٤) رجلان من الركابية كان الحاكم يقف عليهما لأنّهما كانا رئيسين في الصراع. ممثلهما الناطق والأساس. قتلها المولى وقضى عليهما.

(١٥) الفرج والفروج مخرج البول عند المرأة. والإحليل والأحالي مخرج البول عند الرجل. القمر، أو الأساس، هو عضو الرجل التناسلي.

دولتهما وانقضاء مدتهما وإظهار توحيد مولانا جلّ ذكره بغير شك فيه ولا
مشارك به، ولا ناطق جسماني ولا أساس جرماني، ولا سابق روحاني ولا
تالٍ نفساني. ولا يبقى لمناقضٍ جولة، ولا لمشاركٍ دولة. ويكونوا أولو الأمر
منكم، وأهل الحساب منكم. ويكونوا الموحدون لمولانا جلّ ذكره في نعيم
دائم، وإحسان غانم، ومُلك قائم، كما قال عبد مولانا جلّ ذكره وعزّ اسمه ولا
معبود سواه^(١٦): «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِكُمْ مِنْ غِلٍّ»، وهو التنزيل والتأويل،
«إِخْوَانًا»، التوحيد، «عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ»، يعني مراتب الدين الحقيقية، وهو
توحيد مولانا جلّ ذكره والعبادة له وحده لا شريك له.

جَعَلْنَا المولى جلّ ذكره وإياكم مَمَّنْ نَظَرُ وَأَبْصَرَ، وتدبر في أفعال
مولانا جلّ ذكره وتفكر. كما قال^(١٧): «وَالَّذِينَ (...) يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»، يعني النطقاء والأسس، «رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا،
سُبْحَانَكَ! فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»، يعني حاشاك أن تدعنا في جهالة الظاهر
وشرك الباطن. «وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»، يعني التخلص من الشريعتين جميعاً.

فعلیکم معاشر الإخوان الموحدين لمولانا جلّ ذكره، العابدين له
وحده دون غيره، بالحفظ لإخوانكم، والتسليم لمولانا جلّ ذكره، والرضا
بقضائه في السراء والضراء، تنجوا من عذاب الدين وشقوة الدنيا بمئة
مولانا وقوته. والحمد والشكر لمولانا وحده في السراء والضراء، وهو
حسبنا ونعم النصير المعين.

تمّت الرسالة بحمد مولانا وحده. قبول بها وصحت.

(١٦) سورتا الحجر ٤٧/١٥ والأعراف ٤٣/٧.

(١٧) سورة آل عمران ١٩١/٣.

السيرة المستقيمة

من وضع حمزة سنة ٤١٠ هـ فيها كلام على أصل الأدوار والأكوار
الستة التي سبقت دورَ الحاكم. وفيها عن آدم وأنواعه وحججه وكيفية
خلقه. إن كل دور كان يتبع الدور السابق وينقضه. ودور الحاكم نقض
دور محمد وشريعته بالتمام. في الرسالة أيضاً أن حمزة توالى عليه
عدة ظهورات عبر الأدوار. فهو العقل الكلي، وهو آدم، وهو قائم الزمان.
وإن لما يُعرف من سيرة الحاكم معانٍ لا يفقهها إلا الموحدون.

توكلت على مولنا البار العلام، العلي الأعلى حاكم الحكام، من لا يدخل
في الخواطر والأوهام. جل ذكره عن وصف الواصفين وإدراك الأنام. بسم
الله الرحمن الرحيم: صفات عبده الإمام، رسوم النطقاء الحشوية، ومذاهب
الظواهر الناموسية، والزخارف الشركية.

١. دور آدم :

قالوا بأن الباري سبحانه خلق آدم من التراب، وتولى خلقته وصورته
بيده على مثال نفسه، ويحتجون بذلك من القرآن. واليهود يقولون من
التوراة بأن خلق آدم وصورته على صورة إله بني إسرائيل سواً. وهذا ما لا
يليق في المعقولات والحقائق ولا يجوز لأحد أن يستحلّه لأن الصورة هي
جسم. ومن كان جسم فهو مجتمعة الآلة. فيكون آدم وأولاده يُشبهون

الباري سبحانه وتعالى عن ذلك. فأين الفرق بين العبد والمعبود، والخالق والمخلوق، الرازق والمرزوق. وهذا محال، ونفس الشرك والضلال. وقد بين القرآن تكذيبهم بقوله^(١): «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ». «لكنهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه»^(٢).

وأما قولهم إنه بلا أب ولا أم فهو من المحال أن يكون جسم ناطق إلا من جسم مثله، ذكر وأنثى. وأما التراب الطبيعي فما يظهر منه خلق غير الدود والحيات والعقارب والخنافس وما شاكل ذلك. وأما بشر فلا يجوز أن يكون من التراب. ولو كان كما قالوا بأنها فضيلة لآدم حيث لا يخرج من ظهر، ولا يدخل في رحم، ولا يتدنس بدم، فقد كان يجب أن يخلق محمداً من التراب، ولم يخرج من ظهر كافر، ولم يدنس بدم جاهلة كافرة.

والمسلمون كلهم يعتقدون بأن والدي محمد كانا كافرين، وماتا كافرين، وأن محمداً لا يقدر يشفع في أمته إلا بعد أن يترك أمه وأباه ويتبرأ منهما ويختار أمته على والديه ويتركهما في جهنم. وهذا كلام قبيح ظاهره، وضيع باطنه، لا يليق بالعقل، ولا يقبله عاقل.

وآدم هم ثلاثة: آدم الصفاء الكلي، ومن قبله آدم العاصي الجزئي، ومن دونه آدم الناسي الجرمانى. وجميعهم من ذكر وأنثى. لا كما قالوا أهل الزخاريف الحشوية بأنهم من التراب. وحاشا الباري سبحانه عز سلطانه أن يخلق صفية وخليفته من التراب. وهو من أهون الأشياء. فإذا أخذنا الأمور على ظواهرها فكان يجب أن يخلق صفية من أعز الأشياء وأجلها وهي الجواهر واليوافيت والزمرد. وإن أخذنا القول على ما قالت الحشوية الشركية إن الباري سبحانه خلقه من التراب لطهارة التراب، فالحجارة أظهر

(١) سورة الشورى ٤٢/١١.

(٢) سورتا البقرة ٢/٨٥، والنساء ٤/١٥٠.

منه لأنَّ الترابَ يمتزج بالنجاسة؛ والأحجار لا يدخلها نجسٌ. والماء أظهرُ من التراب الذي يُطهر ولا يتطهر. فلما رأيناه لم يذكر غيرَ التراب علمنا أنه أراد به حقيقةً غيرَ ما ذهب العالمُ إليه واعتقدوه.

وقالت الحشويةُ المشركة بأنَّ الباري سبحانه سمّاه آدمَ لأنَّه أَدَمَ الأرض، أي وجه الأرض. فجميع الدود والحيات والعقارب والخنافس وما شاكل ذلك خلق من وجه الأرض وأدمتها. ولم يتسمَّي بآدمَ غير هؤلاء الثلاثة. وقالت طائفة منهم بأنَّ الباري سبحانه سمّاه آدمَ لأنَّه مغيّر اللون. وهذا طعن في سلطان الباري سبحانه ونقصٌ في صفّيه. وكيف يجوزُ أنَّهُ اصطفى شيئاً، وجعل صورته مغيّرة وهو عيب عند العالم إذا كان الرجلُ أسودَ سبحان باري البرايا عن نقص الخلق؛ بل رفع درجةً صفّيه عن العيب لكنّهم عموا عن ذلك واستكبروا عن السؤال . فهم لا يهتدون إلا بالسيف.

وقالت طائفة من الشيعة الإسماعيلية المقصرة بأنَّ الباري سبحانه سمّى الضدَّ إبليس، لأنَّه بلا أب ولا أمّ. ولم يميّزوا ما قالوا، وقد شهدوا بأنَّ آدمَ بلا أبٍ ديني ولا أمّ دينيّة، وأنَّ المسيح بلا أبٍ، فكان يجب أن يقال لكلِّ واحدٍ منهما إبليس حيث لم يكن لكلِّ واحدٍ منهما أبٌ، ولم يكن لهم فرقٌ بين الضدَّ والوليّ. وهذا محال وزخرف لا يليق بالعقل، ولا يقبله عاقل.

وأنا أذكر لكم في هذه السيرة ما تحتاجون إليه من معرفة آدمَ واسمه، واسم أبيه وبلده، واسم إبليس، واسم أبيه وبلده، وحدود آدمَ بكمالها إن شاء مولانا جلّ ذكره، عليه توكلتُ وبتأييده نطقت وبقوّته فتقت وبعلمه رتقت، وهو العليّ الخبير العظيم .

إعلموا أيّدكم المولى بطاعته أن آدمَ الصفا الكلّيّ فهو ذو معة، وقد خدم في دعوة التوحيد والعبادة لمولانا العليّ الخبير في الأعصار الماضية قبل هذا الدور الذي لقّب فيه بآدم. لكنّه ظهر في ذلك الدور في عالمٍ يقال لهم الجنّ وكانوا يعبدون العدم.

وكان أصلُ ولادة آدم الصفا ببلاد الهند، بمدينة يقال لها أدمينية، وكان اسمه شطنيل واسم أبيه دأنيل. وكان في ظاهر الأمر طبيباً الأجسام، وهو في حقيقة الأمر طبيبُ الأرواح بالعلوم التوحيدية. فخرج من بلده إلى أن وصل إلى بلاد اليمن، إلى مدينة كانت تعرف بِصُرْنَة. وتفسيرُها بالعربي المعجزة. فلما دخل إليها ورأى أهلها مشركين، دعاهم إلى توحيد مولانا جلّ ذكره وإلى عبادته سبحانه، فاستجابوا على يده فصار البلد حزبين: موحدين ومشركين. فقال شطنيل الحكيم للموحدين: يئثوا عن المشركين، أي أبعدوا منهم. فقبلوا منه، وبأنوا عن المشركين، فوقع عليهم اسمُ البين.

وكان إبليس داعياً في الجنّ، وكان طائعاً للباري سبحانه، وكان اسمه حَارَت، واسمُ أبيه تَرْمَاح، وكان أصله من مدينة إصبهان، وهو ساكن بالمعجزة. واسم إصبهان باليونانية دَمِير. ولم يكن في ذلك الوقت إمامٌ ظاهر ولا حجةٌ للخلق ماهر إلا الأنوار كانت قد اجتمعت في شطنيل ابن دأنيل. فقليل إنّه بلا أب ولا أمّ لأنّه إمامٌ بذاته. وقيل إنّه من التراب لأنّه كان ظهوره من أوساط المؤمنين. وهم بمنزلة التراب. وقيل إنّ الباري سبحانه خلقه بيده لأنّه أبدعه من النور المحض، وأيده بالتأييد الكليّ.

ومثل النور والتأييد كمثّل اليدين، لأنّ النور الشعشعاني والحكمة الكلية هما محرّكان الحدود، وبهما يتخلّصون من الشكّ والشرك، كما أنّ اليدين محرّكين الأجساد وبهما يتطهّرون من نجاسة البول والغيط.

فلما أطلقه مولانا البار سبحانه أمر الملائكة، وهم الدعاة، بأن يسجدوا لآدم^(٣)، أي يطيعوه، فأطاعوه جميعاً الحدود والدعاة، غير حارت ابن ترماح الاصبهاني، فإنّه أبى واستكبر ونظر إلى شطنيل ابن دأنيل بعين الاستجابة، وأظهر لنفسه قدمة الخدمة في الدعوة، وقال: أنا خيرٌ منه، أي أعلا منه

(٣) سورة الأعراف ٧/ ١١-١٢، سورة ص ٣٨/ ٧٦.

منزلة، خلقتني من نار، أي من علم الحقائق ونور الدعوة، وخلقته من طين، أي من مذاكرة المستجيبين الذين هم تربة المحجة البيضاء^(٤)

والماء هو العلم الحقيقي. والماء، إذا اجتمع مع التراب، صار طيناً يصلح للبناء. كذلك المستجيب، إذا وقف على علم الحقائق، صار بالغاً يصلح للدعوة. فبهذا السبب قال حارت: خلقتني من طين. وأما قولهم إن الباري سبحانه خلق آدم كصورته، أي فرض طاعته على جميع العالمين كطاعته، من أطاعه فقد أطاع الباري سبحانه، ومن عصاه فقد عصى المولى جل ذكره، لأنه خليفته ومنه الوصول إليه. فأطاعوه جميع الحدود والدعاة غير حارت ابن ترماح الاصبهاني. فأخرج من الدعوة وهي الجنة، وأسقط من جملة الحدود.

فجلس شطنيل بصرنة، وأطلق الحجج والدعاة، وهم أثنعشر. فلُقّب بأدم أي سيّد الحدود وإمامهم. وقيل أبو البشر لأن البشر هاهنا هم الموحّدون لأنهم بشّروا بأدم وقبلوا منه التوحيد، فصار أبوهم في الدين. وكذلك زوجته حوّاء، وهي حجّته لقبت بحوّاء لأنها احتوت على جميع المؤمنين. وقيل إنّها أم البشر لأنه منصوب لرضاعتهم بالعلم الحقيقي وتربيتهم وترقيتهم من درجة إلى درجة إلى أن يبلغوا حدّ البلاغ.

فلما كملت حدود آدم وبثّ دعائه، وكثر المؤمنون، وتظاهر حارت ابن ترماح بضديّته، وصار البلد حزّين، موحّدين ومشرّكين، أمرهم شطنيل بالتبري منهم، أي من إبليس وحزبه الجنّ. فإذا التقى رجل من الموحّدين بأخيه يقول له: اهجّر إبليس وحزبه، فيقول: قد هجرته. فبذلك تسمّى مدينة صرنة هجراً، أي أهلها هجروا إبليس وصحبه.

(٤) المحجة البيضاء هي طريق التوحيد.

وكانوا أهل الإحساء يسافروا إليها بالبيع والشراء، فدخل إليها رجلٌ من علماء الإحساء يُقال له صرصر، فكاسره بعضُ الدعاة، وأخذ عليه العهد من وقته وساعته، وأتا به إلى عند آدم وهو شطنيل، فأطلقه داعياً بالإحساء وأعمالها. فخرج الرجلُ من وقته وساعته إلى الإحساء وأعمالها. وأخذ العهد بها على خلقٍ كثير، وأوصاهم بتوحيد مولانا جلّ ذكره وعبادته، والإقرار بشطنيل وإمامته، والتبرّي من إبليس وصحبته، وقال لهم: إذا دخلتم هجراً فعبسوا وجوهكم وقرمطوا أنافكم^(٥) على أهلها، فإن فيها رجلاً يقال له حارت ابن ترماح الاصبهاني وله أصحاب كثيرة، وكلهم قد خالفوا أمر مولانا البار العلّام، وجحدوا فضيلة الإمام. فلا تخاطبوا أهلها بشيء من العلم إلا لمن يحضر معكم مجلس شطنيل الحكيم. فقبلوا من الداعي صرصر، وفعلوا ما أمرهم به من العبسة والقرمطة، فلقبوهم بالقرامطة إلى وقتنا هذا. وصار ذلك اسماً في بلاد الفرس وأرض خراسان. إذا عرفوا رجلاً بالتوحيد قالوا: هذا قرمطي، ويسمّون مذهب الإسماعيلية القرامطة بهذا السبب.

وكان أبو طاهر وأبو سعيد وغيرهم من القرامطة دعاة لمولانا البار، سبحانه يعبدونه ويوحّدونه ويسجدون لهيبته وعظمته، وينزّهونه عن جميع بريته. فلقبهم المولى جلّت قدرته بالسادّة، وعملوا في الكشف ما لم يعمله أحد من الدعاة. وقتلوا من المشركين ما لم يقدر عليه أحد من الدعاة. ولم يسهل المولى سبحانه ظهور الكشف على أيديهم لما علم جلّت قدرته، وعزّت عظمته ومشيتّه، ما يكون من الخلف بعدهم من إضاعة التوحيد والضلالات، وأتباع بني العباس بالشهوات، ووقوعهم في الغي والغمرات.

وقد آن وقت الكشف، وأزف أوانُ السيف والخسف، وقتلُ المنافقين وهلاكُهم بالعنف. ولا بدّ من رجوع أهل الإحساء وهجر ديار الفرس إلى

(٥) أنافكم تعني أنوفكم. قرمط الأنف : جدعه، قصّره.

ما كانوا عليه من توحيد مولانا جلّ ذكره وعبادته. ويسجدون له ولهيبته ولعظمته. وينزهونه عن جميع بريّته، ويكونوا أنصار التوحيد كما كانت قديماً أسلافهم. وأبثّ فيه دعاة التوحيد، وأجمع شمل الأولياء والعبيد. وأقهر بسيف مولانا جلّ ذكره كلّ جبّار عنيد، حتى لا يبقى بالحرّمين مشركٌ بمولانا جلّ ذكره ولا كافرٌ به ولا منافق عليه. ويكون الدين واحداً بلا ضدّ ولا معاند، وذلك بقدره مولانا الحاكم الأحد الفرد الصمد، المنزه عن صاحبة والولد، وشدة سلطانه ولا حول ولا قوة إلاّ له وبه. عليه توكلت وبه استعنتُ وإليه المصير. وهو حسبي ونعم المعين النصير.

وعدنا إلى آدم وحدوده. فولادة آدم الصفا ببلاد الهند وهي أدمينية، وظهوره من صرنة. وأوّل حجّته من البصرة، واسمه أخنوخ. وثاني حجّته من مدينة يقال لها سرّمنّا، واسمه شرّخ. فلما التقى به آدم وأخذ عليه العهد، ووجده كما يجب، قال له: أريد أن أجعلك أساساً لحدودي فتختار ذلك. فقال له شرّخ: إنّ شئتَ أنتَ شئتُ أنا. فجعله أساس الحدود، وسماه شئتاً. فكان وكداً دينياً لا طبيعياً. وثالث حجّته يوشع ابن عمران. والرابع داوود ابن هرمس. والخامس عيسى ابن لمّخ. والسادس عابد ابن سرحان. والسابع عزرويل ابن سلّموا. والثامن هابيل ابن بادس. والتاسع دانيال ابن هرّعطاف. والعاشر عيّاش ابن هابيل. والحادي عشر أفلاطون ابن قيسون. والثاني عشر قيّدار ابن لمّك.

فهؤلاء الإثنتعشر حدود شريعته، وملائكة دعوته. ولم يكن في شريعته تكليف الناموس، ولا عبادة العجل والجاموس، ولا رباط العابوس، ولا شرك الكابوس. بل كانت شريعة لطيفة لتوحيدية.

ثم رجعنا في وقتنا هذا على يد آدم زمانكم حمزة ابن علي ابن أحمد، الصفاء، كما بدأنا أوّل خلق نعيده. إنّ مولانا جلّ ذكره الفاعل ذلك وهو القادر القهار.

وأما آدم الثاني الذي نطق القرآنُ به «أَنَّهُ عَصَى رَبَّهُ»^(٦) فهو أخنوخ وهو حَجَّةُ آدم الصفاء. وآدم الذي قيل «إِنَّهُ نَسِيَ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عِزْماً»^(٧) فهو شرخ المسمَّى بشيت. فاختارهما شطنيل من جميع حدوده، وجعلهما مقامه في الدعوة. وكلُّ واحدٍ منهما يلقَّب بآدم، لأنَّه جعلهما أبوين الموحَّدين وإمامين لمن دونهما، وهو الذي أسكنهما الجنة. فصار أخنوخ بمنزلة الذكر، وشيت بمنزلة الأنثى. وأوصا أخنوخُ بلسانه وأخذ العهد على شيت من جديد بأن لا يعبدوا غير مولانا البار العلَّام جلَّ ذكره، ولا يشركان به أحداً غيره، ولا يعصيان إمامهما شطنيل الذي هو الوسيلة إلى البار جلَّ ذكره.

ومولانا علينا سلامه ورحمته في وقت شطنيل كان في ظاهر الأمر يسمِّي ناسوتَه من حيث العالم البشري بالبار. ومن هذا الموضع يقولون الفرسُ بَارْخُذَاي، أي عندهم بارخذاي الله. فقالوا لمولانا الحاكم جلَّ ذكره: بَارْخُذَاي، يعنون بذلك الله عبد مولانا جلَّ ذكره. وأيضاً تفسير بَارْخُذَاي الإله الأعظم وإله الآلهة وهم يكفرون ويتكلمون بهذا القول وهم لا يدرون. ومنهم من يعرف هذا ويعتقد بأنَّه الكفر وهو يتكلم به إن شاء، أو أباً، كما جرى على لسانه بالعادة. كما قال: «وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً»^(٨).

فقال مولانا البار سبحانه لأخنوخ: أسكن أنت وزوجتك شرخ الجنة^(٩)، أي الدعوة التوحيدية. وكلاً منها، أي تنالا المنزلة الرفيعة، ولا تقرباً هذه الشجرة فتكوناً من الظالمين، أي لا تدعياً منزلة شطنيل وفضيلته فتكونا

(٦) سورة طه ٢٠/١٢١.

(٧) سورة طه ٢٠/١١٥.

(٨) سورة الرعد ١٣/١٥.

(٩) سورة البقرة ٢/٣٥، أنظر أيضاً سورة الأعراف ٧/١٩.

من الناكثين العهد. فَأَرْلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا، أَي عَنْ الْعَهْد، وَأُخْرِجَهُمَا مِمَّا كَانَا عَلَيْهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُ.

والشَّيْطَانُ غَيْرُ إِبْلِيسَ وَهُوَ كَانَ مَأْذُونًا مِنْ قَبْلِ إِبْلِيسَ، وَنَافَقَ مَعَهُ عَلَى شَطْنِيلَ، وَكَانَ اسْمُهُ هُبْلٌ. وَبِهَذَا السَّبَبِ تَقُولُ الْعَرَبُ لِلصَّنَمِ هُبْلٌ. وَيُقَالُ فَلَانٌ هُبْلٌ عَظِيمٌ.

وَالْحَيَّةُ كَانَ دَاعِيًا مِنْ قَبْلِ أَخْنُوخَ وَاسْمُهُ آنِيلٌ.
وَالطَّائِوُسُ كَانَ مَأْذُونًا فِي الدَّعْوَةِ وَاسْمُهُ طَائِوُخٌ.

فَلَمْ يَزَلِ الْهَبَالُ يَتَرَدَّدُ إِلَى آنِيلِ الدَّاعِي وَالطَّائِوُخِ وَيَقُولُ لَهُمَا: عِنْدِي نَصِيحَةٌ لِسَيِّدِنَا أَخْنُوخَ وَأَخِيهِ شَرَحَ. وَلَكَمَا فِيهَا صَلاَحٌ؛ حَتَّى أَوْصَاهُ إِلَى أَخْنُوخَ وَشَرِيكَهُ شَرَحَ. فَلَمَّا دَخَلَ إِلَيْهِ، وَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ، خَرَّ لَهُ سَاجِدًا؛ فَقَالَ لَهُ أَخْنُوخُ، وَهُوَ آدَمُ الثَّانِي، عَسَاكَ رَجَعْتَ عَنْ كُفْرِكَ وَمَا كُنْتَ عَلَيْهِ مِنْ نِفَاقِكَ عَلَى الْإِمَامِ وَمَعَاوَنَتِكَ لِإِبْلِيسَ وَحَزْبِهِ، وَبَيَّنْتَ عَنْهُمَا. فَقَالَ لَهُ الْهَبَالُ: لَا. وَحَقُّكَ وَحَقُّ الْبَارِ مَا جِئْتَ إِلَّا نَاصِحًا لَكُمَا وَغَيْرَةً مِنِّي عَلَيْكُمَا بِمَا ظَلَمَكُمَا شَطْنِيلُ وَغَضَبَكُمَا عَلَيْهِ. وَقَدْ سَمِعْتُ مُوَلَانَا الْبَارِ سَبْحَانَهُ يَقُولُ بِأَنَّ الْإِمَامَةَ لِأَخْنُوخَ، وَشَرَحَ خَلِيفَتَهُ فِي الدَّعْوَةِ. فَاسْتَحْلَفَهُ أَخْنُوخَ فَحَلَفَ لَهُ أَنَّهُ سَادِقٌ فِي مَقَالِهِ، نَاصِحٌ فِي فِعَالِهِ.

فَحَمَلَهُ شَرُّهُ النَّفْسِ، وَرَجَّعَهُ إِلَى الْقَهْقَرَى وَالتَّعَسُّ، وَنَسِيَ شَرَحَ مَا أُخِذَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَهْدِ، وَادَّعَا أَخْنُوخَ مَنْزِلَةً لَيْسَتْ لَهُ بِحَقٍّ، فَبَدَتْ لَهُمَا سُوءُ أَتْهَمَا وَهُوَ مَا أَظْهَرَاهُ مِنْ زُخْرَفِ الْكَلَامِ النَّامُوسِ مِنَ الشَّرِيعَتَيْنِ اللَّذَيْنِ هُمَا بِمَنْزِلَةِ الْبُولِ وَالْغَائِطِ، وَصَاحِبِيهِمَا بِمَنْزِلَةِ الْقُبُلِ وَالْدُبُرِ. فَطَفَقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ، أَي لَمَّا عَرَفَا الْحِيلَةَ الْوَاقِعَةَ بِهِمَا، يَسْتَرَانِ بِالْمُوحِدِينَ ظَوَاهِرَهُمَا، فَلَمْ يَنْفَعَهُمَا ذَلِكَ. وَتُوْدِي بَيْنَ الْمُسْتَجِيبِينَ: أَخْنُوخُ عَصَى آدَمَ إِمَامَهُ، وَأَغْوَاهُ الْهَبَالُ وَالشَّيْطَانُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي كَانَا فِيهَا.

فأقاما سنين بكثرة يبكيان على ما فعلا ويسألان الإمام في العفو عنهما. وهو ما قال في القرآن^(١٠): رَبَّنَا إِنَّا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا. وَإِنْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَنَا مَوْلَانَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ فِي الدِّينِ. فرحمهما شطنيل وسأل البار جلّ ذكره بأنْ يَعْفُ عنهما، فعفى عنهما بعد الوسيلة إليه بحدّ إمامته، وعظيم منزلته. وهو قوله: فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ^(١١). «كلمات» خمسة أجرف، وشطنيل خمسة أحرف. كذلك اجتمعت في الإمام خمس منازل: حدّ الجسمانيّين، وحدّ الجرمانيّين، وحدّ الروحانيّين، وحدّ النفسانيّين، وحدّ النورانيّين. وردّهما إلى المنزلة التي كانا فيها وقربهما إليه.

٢. أدوار نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى :

فلم يزل البار سبحانه يرحم أهل ذلك الزمان حتّى تغيّرت نياتهم، ومالوا إلى المشركين، فغضب البار جلّ ذكره عليهم، ونزع نعمته عنهم، وأظهر لهم نوح ابن لك بشريعة غير ما كانوا عليه، ودعاهم إلى عبادة العدم، وتوحيد الصنم؛ فَمَنْ قَبْلَ مِنْهُ وَدَخَلَ فِي شَرِيعَتِهِ سَمَاءَ ظَافِرًا، وَمَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ سَمَاءَ كَافِرًا. وتشبّه بما كان فيه آدم الصفاء من نَصَبِ الحدود وإقامة الدعوة. وكان أساسه سام واثنت عشر حجة بين يديه، يدعون الناس إلى عبادة العدم وإليه.

فلم تزل شريعة نوح قائمة هكذا إلى أن ظهر إبراهيم ابن آزر واسم آزر آخنوخ فغيّر شريعة نوح بشريعته، وأقام أسمعيل أساساً لدعوته واثنت عشر حجة وثلاثين داعياً يدعون الناس إلى عبادة العدم وتوحيد الصنم وإلى طاعة إبراهيم. فمن قبل منه سَمَاءَ مُؤْمِنًا، ومن لم يقبل منه سَمَاءَ كَافِرًا.

(١٠) سورة الأعراف ٢٣/٧ بتصرّف.

(١١) سورة البقرة ٢/٣٧.

فلم تزل دعوته قائمة بأئمتِّه إلى أن ظهر موسى ابن عمران، فغيرَ شريعة إبراهيم بشريعته، ونصب هارون أساسه واثن عشر حجة يدعون الناس إلى عبادة من لا يشاهد، وتوحيد من لا يُعرَف وإلى طاعة موسى.

فلم تزل دعوته قائمة بعده إلى أن ظهر عيسى ابن يوسف فغيرَ شريعة موسى بشريعته، وأظهر دعوته، ونصب شمعون الصفا أساسه، واثن عشر حجة بين يديه، وهم الحواريون يدعون الناس إلى عبادة العدم وتوحيده، وإلى طاعة عيسى، وأنه الولد من الوالد الكلي أي حجة القائم جلّ ذكره، لكنهم لم يفهموا منه كلامه ورموزه. فمن قبل منه سمّاه مؤمناً، ومن لم يقبل منه سمّاه كافراً.

٣. دور محمد بن عبدالله :

فلم تزل شريعته قائمة في جميع البلدان إلى أن ظهر محمد ابن عبد الله بسيفه، وقام على العالمين بعنفه، ونسخ جميع الشرائع كافة بشريعته، وهدم بنيانهم ببنيته، وبَدَّل دعواتهم بدعوته، ونصب أساسه عليّ ابن عبد مناف واثن عشر حجة، وهو المكتنى بأبي بكر واسمه عبد اللّات وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن ابن عوف الزهري وعبيد الله ابن جراح الأنصاري. وكان معاوية ابن صخر حجته من قبل أن ينصب عليّ أساسه. فلما نصب عليّ أساسه عزل معاوية ابن صخر. فبهذا السبب ادعى معاوية الخلافة بعد عثمان لأنه كان رابعهم في الأوّل. فلما نصب أساسه عليّ ابن عبد مناف لم يقبل منه معاوية. وقال: أنا نصبني محمد من قبل أن ينصبك في الدعوة.

فمن قبل من محمد شريعته وترك ما كان عليه من دين آبائه وأجداده سمّاه مسلماً مؤمناً تقيّاً، ومن لم يقبل منه ويترك ما كان عليه من دين آبائه وأجداده سمّاه كافراً منافقاً شقيّاً.

وبذلَ فيهم السيف، وسبا ذراريهم وأولادهم، وأباعهم في الأسواق والشوارع، ولم ينفعهم ما كانوا عليه من دين آبائهم وأجدادهم. وما منهم أمة إلا ولها رسول أخذوا الدين عنه وكلهم يقرّون بأنّ لهم إلهاً. فلم يقبل منهم ما كانوا عليه. وطلب الإقرارَ به والطاعةَ له، وألزمهم بالجزية وهم صاغرون.

وهذا القول لا يجوز إلا لصاحب القيامة، عبد مولانا الحاكم جلّ ذكره، لأنّه يُنكر عليهم أديانهم، ويعتقد بأنّها شرائعُ شركيّة كُفريّة، فيقوم عليهم بالسيف والقدرة لمولانا جلّ ذكره. وإلا فأصحاب الشرائع التكليفيّة كلّهم يقرّون بفعل بعضهم بعضاً، ويقول الحاضر منهم بأنّ الماضي أخوه، وإنّه من عند الله بُعث، وبأمر الله نطق. فلم يُنكر كلُّ واحدٍ منهم شريعة أخيه، وقد شهد لها بأنّها من عند الله. ولم يقتل (محمّد) أصحابها، وسبا ذراريهم، وسماهم كافرين؟ وما يجب هذا الفعل إلا على من تعدّا وكفرَ ونطقَ بغير رضى الله.

فلما رأينا أمورهم متناقضة وأفعالهم للعقول والحق رافضة، علمنا بأنّهم تشبّهوا بقائم القيامة، وطلبوا لأنفسهم الأخبار والعلامة. وكلّهم شيء واحد في القول والعور، مختلفون في الصوّر.

٤. دور محمّد بن إسماعيل :

فلم تزل شريعة محمّد ابن عبد الله تتناسخ في أيدي أئمّته إلى أن انقضى دوره، وظهر ناطقٌ غيره. وهو محمّد ابن إسماعيل الذي ختم الشرائع وتمّها. كما قال جعفر ابن محمّد: أولّنا جرّاً في آخرنا. وبه ختم الله أمرنا. أي لا يكون بعدها شريعةٌ تكليفيّة. وكانوا الثلاثة الذي رابعهم سعيد ابن أحمد المهدي في دور محمّد ابن إسماعيل. وثلاث خلفاء من قبلهم، فصاروا سبعة تمام دور محمّد ابن إسماعيل. وكان آخرهم عبد الله المهدي. وكان عبد مولانا جلّ ذكره.

٥. أدوار القائم والمنصور والمعزّ والعزیز :

ثمّ تسمّى المولى جلّ ذكره بالقائم وهو اسم عبده. لكنّه سبحانه تسمّى بالقائم لقول عبده في القرآن^(١٢): «شهد الله»، أي شهد محمد «أنّه» إشارة إلى مولانا جلّ ذكره، «لا إله إلاّ هو»، أي لاهوت مولانا جلّ ذكره، «والملائكة»، أي الحجج، «وأولوا العلم»، أي الدعاة، «قائماً بالقسط»، أي عالياً علياً على جميع النطقاء والأوصياء والأئمة بالتوحيد، وهو القسط، «لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم»، هو الحاكم جلّ ذكره نطق بأنّ مولانا جلّ ذكره هو القائم على كلّ نفسٍ بما كسبت، وهو المعزّ وهو العزيز وهو الحاكم جلّ ذكره. يظهر لنا في أيّ صورة شاء. كيف يشاء. «إنّ الدّين عند الله الإسلام»^(١٣)، أي سلّموا أمورهم إلى المولى سبحانه، ورضوا بقضائه. فهم المسلمون له حقاً والمؤمنون به والموحّدون له تأليهاً وسدقاً.

وتسمّى مولانا جلّ ذكره بالقائم لأنّه أوّل ما ظهر للعالم بالملك والبشريّة في أيّام النطقاء الناموسيّة الشريكيّة. فقام على العالمين بالقوّة والقدرة. وأقام للموحّدين قسطه أي عدله في هذا الموضع. وأقام قواعد توحيده التي هي تمام البناء في وقتنا هذا بمشيّته.

فإنّ قال قائل فلم تسمّى المولى سبحانه باسم عبده، وما الحكمة فيه، قلنا له بتوفيق مولانا جلّ ذكره وتأبيده: إنّ جميع ما يُسمّون البارّي جلّ ذكره به في القرآن وغيره فهو لعبيده وحدوده. وأجلّ إسم عندهم في القرآن: الله، وظاهره خطوط مخلوقة، وباطنه حدود مرئيّة مرزوقة، وظاهره إسمٌ، وباطنه مسمّى. والمعبود غيرهما. وهو المعنى الحقيقي. وهو لاهوت مولانا سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

(١٢) سورة آل عمران ٣/١٨.

(١٣) سورة آل عمران ٣/١٩.

فلما كانت العبيد عاجزين عن النظر إلى توحيد باريهم إلا من حيث هم وفي صُورهم البشريّة، أوجبت الحكمة والعدل أن يتسمّى بأسمائهم حتى يدركون بعض حقائقه. لكن، في هذا الاسم المعروف بالقائم معنى دقيق عميت أبصار العالم عنه، لأنّه لا يجوز لأحد من الموحّدين أن يقول لمولانا: قائم الزمان؛ لأنّ اسم القائم بالآلف واللام. ولا يجوز أيضاً أن يقول لعبده: القائم؛ بل ينقض منه الالف واللام؛ ويقول قائم الزمان؛ لأنّ قائم أربعة أحرف وهم حروف الله. والله هو الداعي. والله أعني بالحقيقة هو الإمام. وإمام أربعة أحرف. والداعي والإمام والله كلّهم عبيد لمولانا القائم العالم الحاكم جلّ ذكره. والآلف واللام الزائد في اسم مولانا جلّ ذكره الذي لا يجب أن تزيد في اسم العبد فهي نفي التشبيه عنه لأنّ الآلف واللام هما: لا ، أي لا شبه له في المخلوقين ولا شريك له في القدرة والكمال. وعنده يقال له قائم، أي قائم بحدود التوحيد؛ وليس له قدرة ولا كمال بل هو محتاج إلى تأييد مولانا جلّ ذكره، وإلى قوّة كماله سبحانه وتعالى عما يصفون.

فالقائم ستة أحرف، وهو معبود. وقائم أربعة أحرف، وهو عبد. وبين العبد والمعبود أيضاً في الكتابة حرفين؛ لأنّ عبد ثلاثة أحرف ومعبود خمسة أحرف، والحرفان الزائدة هي م و. والميم في الحساب أربعون، والواو ستة، دليل على أنّ جميع الحدود الذين هم ستة وأربعون، وهم حدود الإمامة والتوحيد لمولانا القائم العالم الحاكم جلّ ذكره، لا لعبده الذي هو القائم بهؤلاء الحدود. وهم العقل والنفس والكلمة والسابق واثنعشر حجة، والتالي من جملة الاثنعشر، وثلاثون داعياً. فذلك ستة وأربعون حدّاً لمولانا القائم الحاكم العليّ جلّ ذكره، وهو الذي أقام القوّة لقائم هؤلاء الحدود، أي إمامهم. فبهذا السبب والحكمة تسمّى مولانا جلّ ذكره بالقائم سبحانه وتعالى ذكره عن الأسماء والصفات علواً كبيراً.

٦. دور الحاكم :

والآن فقد دارت الأدوار، وبطل ما كان في جفيع الأعصار، ولم يبق من نار الشريعة الشركيّة غير لهيبها والشرار، وسوف يخمد حرّها ويضمحلّ العوار، وقد بدأت ظهور نقطة البيكار^(١٤)، بتوحيد مولانا البار، الملك الجبار، العزيز الغفار، المعزّ القهار، الحاكم الأحّد، الفرد الصّمد، المنزّه عن الصّاحبة والولد، جلّ ذكره وعزّ اسمه ولا معبود سواه.

فلمولانا الحمد والشكر على ظهور نور الأنوار، وخروج ما كان مدفوناً تحت الجدار. فقد أنعم علينا وعليكم بمباشرتة في البشريّة، وظهوره لكم في الصورة المرئيّة، كيما تدركون بعض ناسوته الإنسيّة. ولا أقول ذاته أو نفسه أو صورته أو معناه أو صفاته أو حجابّه أو مقامه أو وجهه، إلّا ضرورة على قدر استطاعة المستجيبين، وما يفهموه المستمعين، وتوّعيه عقولهم ويدخل في خواطرهم.

ولو قلنا غير هذا لما فهموا الكلام، ولا تمعنى لهم النظام، وإلّا فمولانا جلّ ذكره لا يدخل في الأوهام والخواطر، ولا يمتزج بباطن ولا بظاهر، بل منه بدأ كلُّ شيء، وإليه يعود كلُّ شيء. كلُّ يوم هو في شأن، لا يشغله شأن عن شأن. سبحانه وتعالى عن إحاطة الدهور به والأزمان. لا يقف أحد من المخلوقين على أفعال مولانا جلّ ذكره، ولا يدرك غاية سلطانه، ولا يستطيع الوقوف على كنه عشرٍ عشيرٍ معشار سيرته وبرهانه.

ولو تدبّروا العالمين ما يروونه من آياته، وبيان علاماته مشاهدة العيان لكان لهم كفاية عن طلبه العدم بالخبر، وعن كتبة التواريخ والسير. وذلك ما

(١٤) نقطة البيكار هي حمزة، الذي يدور حوله كل شيء. وكل شيء يأخذ منه وجوده. ولا دائرة تكون موجودة وصحيحة من دون نقطة البيكار...

يشاهدون منه ما لا يجوز أن يكون من أفعال أحد من البشر، ولا سمع به في التواريخ والسير.

ولو جئتُ أذكركم عيانَ جميع ما أظهر مولانا جلّ ذكره من آياته، وبيانَ علاماته، لما حواه قرطاسٌ ولا كتبه قلم، كما قال في القرآن^(١٥): «ولو أن ما في الأرض من شجرٍ أقلامٌ والبحرُ يمُدُّه ومن بعده سبعةُ أبهر، لما نفدتُ كلماتُ الله». والله في هذا الموضع ناسوت مولانا سبحانه.

٧. سيرة الحاكم ومعنى أفعاله :

لكنّي أذكركم في هذه السيرة وجوهاً قليلة العدد، كثيرة المنفعة لمن تفكّر فيها، ووحده وعبد مولانا سبحانه، وعزّ عن حكومة الأوهام سلطانه. فأول ما أختصر في القول ما فعله المولى سبحانه مع برجوان وابن عمّار. وهو يومئذ ظاهر ما يروونه العامة على قدر عقولهم، ويقولون: صبي السنّ وملك المشاركة كافّة مع برجوان، وابن عمّار ملك المغاربة كافّة^(١٦).

فأمر مولانا سبحانه بقتلهم، فقتلوا قتل الكلاب. ولم يخش من تشويش العساكر والاضطراب. وأمّا أمر ملوك الأرض فما يستجري أحد منهم على مثل ذلك. ثم أمر بقتل ملوك كتامة وجبابرتها بلا خوف من نسلهم وأصحابهم. ويمشي أنصاف الليالي في أوساط ذرائعهم بلا سيف ولا سكّين.

(١٥) سورة لقمان ٢٧/٣١ بتصرف.

(١٦) أبو عمّار هو زعيم الكتاميين. أسند إليه الحاكم الوساطة، فبالغ في حبه للكتاميين على حساب الأتراك. لذلك نافسه برجوان الذي كان الأتراك يناصرونه. فعزل الحاكم أبا عمّار وقتله، وسلم برجوان مكانه. ولما شعر بأن سلطته مسلوبة أيضاً مع برجوان عمل على التخلص منه فقتله.

وقد شاهدتموه في وقت أبي ركة الوليد ابن هشام الملعون^(١٧)، وقد أضرم ناره، وكانت قلوب العساكر تجزع في مضاجعهم ممّا رأوه من كسر الجيوش وقتل الرجال.

وكان المولى جلت قدرته يخرج أنصاف الليالي إلى صحراء الجب ويلتقي به حسان ابن عليّان الكلبي^(١٨) في خمس مائة فارس. ويقف معهم بلا سلاح ولا عدة، حتى يسأل كلّ واحد منهما عن حاجته.

ثمّ إنّّه يدخل في ظاهر الأمر إلى صحراء الجب وليس معه غير الركابية والمؤذنين. وكذلك في وقت نفاق مفرج ابن دغفل ابن جراح^(١٩) وإخوته وأولاده، وبدر ابن ربيعة^(٢٠) وجميع العرب كافة. وكانوا أهل الحجاز مع سلطانهم حسين ابن جعفر الحسيني^(٢١) الذي نافق بمكة ومجيئه إلى الرملة^(٢٢) واجتماعه مع ابن جراح وأولاده.

وما بالحضرة أحد من العسكرية ولا من الرعية إلاّ وهو كان يعتقد في كلّ يوم وليلة بأنّ حسين ابن جعفر الحسيني يجيء مع مفرج ابن دغفل وأولاده ويكبسون القاهرة. وكان المولى جلّ ذكره يركب كلّ يوم وليلة، ويخرج في العتمة من القاهرة، ويدخل صحراء الجب ناحية موضع يزعمون

(١٧) لقّب بأبي ركة لأنّه كان يحمل ركة في سفره. قاوم الحاكم فقتله. أصله من الملتثمة وهم فرقة من بني أميّة التثمتوا بزيّ النساء وسافروا في بحر صيدا إلى بلاد المغرب سنة ٣٩٥ هـ. ادّعى أبو ركة الإمامة وتبعه خلق كثير فقتل الحاكم، وقبض عليه، وأخرجه خارج القاهرة، ثمّ دقّ عنقه.

(١٨) أحد قوّاد عساكر كتامة الموجودين في مصر، قتله الحاكم مع أبي ركة.

(١٩) اسم رجل من أكابر العرب الذي نافق على الحاكم.

(٢٠) من زعماء العرب المنافقين على الحاكم.

(٢١) سلطان اهل الحجاز وزعيم مكة نافق على الحاكم مع ابن جراح.

(٢٢) الرملة مدينة بالشام بالغرب من بيت المقدس.

العالم بأن مفرّج ابن جرّاح يجيء من ذلك الموضع. ولم يرجع الحسيني إلى مكة حتّى وقعت العداوة بينه وبين ابن جرّاح. وأراد ابن جراح أن يقتله. ثمّ هلك بعد ذلك مفرّج ابن دغفل ابن جرّاح. وملوك الأرض كافة قد عجزوا عن هذا.

ثمّ إنّ عجيب البرهان، وعظيم القدرة والسلطان، إنكم ترون من أمور تحدث بما شاهدتموها من المولى سبحانه ما لا يجوز أن تكون من أفعال أحد من البشر، لا ناطق ولا أساس، ولا إمام ولا حجة. فلم تزدادوا بذلك إلا عمى وقلّة بصيرة. وذلك أنّ الشمس حارّة يابسة بالطبع لا بالتكليف. وهي من الجمادات التي لا عقل لها ولا تمييز. ومن طبعها تجفيف الأشياء وتغيير الألوان. ومن رسوم مولانا جلّ ذكره الركوب في الهاجرة، والمسير في الرّمضاء وفي الشتاء. إذا كان يوم ريح جنوب صعب وغبار عظيم، يتأذّن الناس في بيوتهم من ذلك الريح والغبار.

ثمّ يركب المولى سبحانه في ظاهر الأمر إلى صحراء الجب، ويرجع وما في الموكب أحدٌ إلا وقد دمعت عيناه من الغبار والريح، وكلّت ألسنتهم عن النطق الفصيح، ونالهم من المشقة والتعب ما لا يقدر عليه أحد. ومولانا سبحانه على حالته التي خرج بها من الحرم المقدّس. ولم يره أحد قطّ في وقت الهاجرة الهائلة، والسموم القاتلة، قد اسودّ له وجه في ظاهر الأمر، ولا لحقه شيء من تعب. ولا يقدر أحد منهم يقول بأنّه قد لحقه شيء من ذلك. بل إنّ وجوههم تسودّ، وتجفّ منهم الألسن، وتكاد نفوسهم تبلغ التّراق من شدّة التعب والنّصب. ولا يقدر أحد منهم يقول بأنّه شرب ماءً ولا أكل طعاماً، ولا رآه أحدٌ عند بول ولا غائط. حاشاه سبحانه من ذلك. ومع هذا فقد ترك خلق كثير ممّن هو معه في المواكب وكدهم بالنظر إليه لمثل هذه الأمور فلم يروا منها شيئاً.

ولا يقدر أحد يقول ممّن حضر مع مولانا سبحانه في ظاهر الأمر في مواضع لا يحضرها كلّ الناس أنّه شاهده يفعل شيئاً ممّا ذكرناه، من تعبٍ أو أكلٍ أو شربٍ. حاشاه سبحانه من ذلك وتعالى عما يقولون المشركون علواً كبيراً. وهذا ما لا يقدر عليه أحد من الملوك ولا غيرهم.

وأيضاً ما يزعمون المشركون به ممّا أوراها من علّة جسمه من حيث إعلال قلوبهم، وهو في ظاهر الأمر يركب في محفّة^(٢٣)، تحملها أربعة من الأضداد المشركين، وتشقّ به في أوساط المارقين الناكثين والمنافقين. وما من العساكر قبيلة إلا وقد قتل ساداتهم والرعية كلّها أعداؤه في الدين، إلا شردمة يسيرة، موحدّين له مؤمنين به، راضيين بقضائه.

ومن رسوم الملوك أنّهم لا يثقوا بأحد من عساكرهم، ولا من أولادهم، خوفاً من غدّهم. فكيف من يزعمون أنّه مريض، وليس يقدر يمشي، وقد قتل جبابرة الأرض وملوكها، ويمشي بينهم في محفّة.

٨. خاتمة : هذه «السيرة المستقيمة» عبرة لمن يعتبر :

وهذا الذي ذكرته لكم في هذه السيرة وأصناف هذه الأفعال ليس هي فعل أحد من البشر. وما هو شيء يُستعظم للمولى سبحانه. وإنّما ذكرته لكم لتعتبروا وتفتكروا. وبيان هذه الأفعال ليس هو فعل أحد من البشر. وإنّما هو فعل أحد قادر على الأشياء كلّها وخالقها، العالم بما خفي، والحاكم على أهل الأرض والسماء؛ بل هو أجلّ وأعظم سبحانه وتعالى عما يقولون المالحدون، ويصفون المشركون علواً كبيراً. وفي أقلّ من هذا عبرة لمن اعتبر، وفكرة لمن تفكّر. ومن ترك ما كان عليه قديماً من دين آبائه وأجداده واتّبع السيرة المستقيمة، التي من شاهدها عياناً فقد نجا، وبلغ المنتهى، وصار من

(٢٣) المحفّة هي مركب كالهودج لا تقبّب. يركبها الحاكم محمولا من أربعة.

الملائكة العليا. ومَن وقف عند الناموس، وما شرَّعاه العجلُ والجاموس، لم يحصل له من الدِّين غيرُ الكُتَّاسه، ولم ينفعه ناطقُه ولا أساسه، وأهلكَ روحه ونفسه وحواسه.

فاسمعوا معاشَرَ المؤمنين ما أمرتُكم به، واستعملوا السدقَ وحفظَ الإخوان، وأمروا بالمعروف، وهو التوحيد، وأنْهوا عن المنكر، وهو الشرك بمولانا جلَّ ذكره، وصَلُّوا الأرحامَ الدينيَّة، وغَضُّوا الطرفَ واحفظوا الفرَج، وكونوا راضيين بأفعال مولانا جلَّ ذكره، وسلِّموا أموركم إليه تسلموا من عذابِ الظاهر، وتَنَجَّوا من شرك الباطن، وتَنالوا المنزلةَ العليا. وإذا عبدتموه فَلأنفسيكم مهْدَتُم، وإنْ كفرتم بلاهوته فعليكم الخزي والعذاب عاجلاً وآجلاً. ومولانا سبحانه ليس بظلامٍ العبيد.

والحمد والشكر لمولانا وحده في السراء والضراء، والشدة والرخاء، وهو حسبنا ونعم المعين النصير.

وكان فراغ تأليف هذه السيرة بتأييد مولانا سبحانه وجلَّت قدرته في جمادى الأولى، الثاني من ظهور سنين عبد مولانا جلَّ ذكره، ومملوكة حمزة ابن علي ابن أحمد هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا جلَّ ذكره وشدة سلطانه، وهو نعم النصير المعين. والحمد والشكر لمولانا وحده. تمَّت.

الموسومة بكشف الحقائق

من تأليف حمزة سنة. تبين حدود دين التوحيد الخمسة وصفاتهم ومميزاتهم عما هم في الدعوة الفاطمية. وهم: العقل والنفس والكلمة والسابق والتالي. في الرسالة كلام على تجلي الله في الحاكم، وإظهار حقيقة لاهوته. وفيها تفسير لحروف الأبجدية ورموزها بما يوافق نظرية دعوة التوحيد.

توكلت على مولانا البار العالم، من لا يدخل في الخواطر والأوهام، ولا تحوط به الشهور والأعوام، المنزه عن الناطق والأساس والإمام، حاكماً يُجَلَّ وَصْفُهُ عن الحكام. الحمدُ لمعنى المعاني ربَّ المسمَّى والاسم. والشكرُ للعليِّ الأعلى خالق الروح والجسم. مبدع الآحاد والأزواج في القدم، وباعث الأرزاق ومظهر القسَم، ربَّ المشرقين والمغربين، وإله الأصليين والفرعين، ومن صليَّ له إلى القبلتين، وأخذت له الدعوة في العالمين، ومن أشارت إليه حدود الدعوتين، وعبدوه جميعاً الموحدين في الحاليتين. سبحانه وتعالى عن تشبيه المخلوقين والعبدین علواً كبيراً.

إعلموا معاشر الموحدين، رحمكم البار العزيز الجبار بأن جميع المؤمنين والشيوخ المتقدمين^(١) تحيروا في أمر السابق وضده، والتالي ونده.

(١) يعني شيوخ الفاطميين الذين فسروا الدعوة الباطنية على غير ما فسرها حمزة.

فبعضهم قالوا بأن السابق هو الغاية والنهاية والعبادة له وحده دون غيره في كل عصر وزمان. وهذا نفس الكفر.

وقالت طائفة منهم بأن السابق نور الباري لكنّه نورٌ لا تُدرّكه الأوهام والخواطر. وهذا نفس الشُّرك بأن يكون الباري سبحانه لا يُدرّك، وعبدّه لا يدرك. فأين الفرق بين العبد والمعبود. وهذا محال ونفس الشرك والضلال.

وبعضهم قالوا إنّ الكلمة فوق السابق لكنّها هي هو، وهو هي، لا فرق بينهما. وهذا ما لا يليق في المعقول بأن يكون ذكر أنثى، وأنثى ذكر، أو يكون أميرٌ حاجباً أو حاجبٌ أميرٌ. أو يكون شمسٌ قمرأً وقمرٌ شمسٌ. أو يكون ليلٌ نهاراً أو نهارٌ ليلاً. أو يكون سماءٌ أرضاً أو أرضٌ سماءً. وهذا محال.

ثم إنّهم كلّهم مجتمعون على أنّ السابق أصل السكونة والبرودة، والتالي أصل الحرارة والحركة. فجعلوا عالمَ العدم، الذي لا يرى، السابق؛ وعالمَ الوجود التالي. وهذا نقضٌ لقولهم بأن السابق هو المعبود. فكيف يكون ذلك جائزاً وقد جعلوا التالي العالمَ الأكبر. بل يجب من حجّتهم واستشهادهم هذا بأن يكون التالي أفضل من السابق؛ لأنّ التالي صاحب الحرارة والحركة، وهو طبع الحياة والوجود؛ والسابق صاحب السكونة والبرودة، وهو طبع الموت والعدم. والحياة والوجود أفضل من الموت والعدم. وهذا ما لا يليق بالعقل بأن يكون المسبوق أفضل من السابق، أو المرزوق أفضل من الرازق، أو المفتوق أعلا من الفائق. سبحانه مولانا العليّ الأعلى وتعالى عمّا يصفون.

لكنّهم بحسب طاقتهم ومبلغ مادّتهم من الزمان تكلموا. وعلى مقدار المكان والإمكان تعلّقوا ونطقوا.

والآن فقد دارت الأدوار، وظهر ما كان مخفياً من مذهب الأبرار، وبأنّ للعالمين ما جعلوه تحت الجدار، وعادت الدائرة إلى نقطة البيكار، فألفت هذا

الكتاب بتأييد مولانا البار، الحاكم القهار، العليّ الجبار، سبحانه وتعالى عن مقالات الكفار. وسمّيته كَشَفَ الحَقَائِق. وسنذكر لكم فيه ما يوفّقه البار سبحانه ويرزقني من تأييده على مقدار ما أوجبه الزمان، لا على مقدار ما تستحقونه، ولا بعمل سبق لأحد منكم تستوجبونه. بل تفضّل منه ورحمة عليكم وإنجاز ما أوعدكم به على ألسن حدود دعوته، وعبيد دولة وحدانيته. فله الحمد والشكر وحده.

أقول بمشيّة مولانا جلّ ذكره وتأييده بأنّ البارّي سبحانه أظهر من نوره الشعشعاني صورةً كاملة صافية وهي الإرادة، وهو هيو لا كلّ شيء وبه تكوينهم لقوله: «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»^(٢). وسمّى تلك الصورة عقلاً، فكان العقل كاملاً بالنور والقوّة، تاماً بالفعل والصورة. قد اجتمعت فيه الطبائع الخمسة وأحصى فيه جميع ما هو كائن إلى ما لا نهاية له.

وجعله إمام الأئمّة موجوداً في كلّ عصر وزمان، وهو السابق الحقيقي. وإنّما سمّي سابقاً لأنّ خلقته وصورته سبقت جميع الحدود إلى توحيد البارّي سبحانه وهو مدرك محسوس، يأكل ويشرب، لا كما قالوا إنّّه لا يدرك بوهم ولا بخاطر. وكان أوّل ما أبدعه العليّ الأعلى سبحانه سمّاه علّة العِلل. فكان عقلاً كاملاً بالقوّة، تاماً بالفعل حليماً بالسكون قادراً بالحركة، أصل نقطة البيكار، هيو لا الطبائع الخمسة لطيفاً شفافاً مدبراً جميع العالمين والعاليين. وجعل فخر العالمين وعزّهم به في الدين والدنيا. وجعل منازلهم على مقدار ما يقتبسون من نوره، ويستقون من بحر العذب الزلال.

فقال مولانا العليُّ الأعلى سبحانه وتعالى لعلَّ الإبداع، الذي هو العقل الكليُّ: أَقْبِلْ. يعني أَقْبِلْ على عبادتي وتوحيدي. فَأَقْبِلْ إليهما بالسمع والطاعة. وقال له: أَذْبِرْ. أي تَوَلَّى عن جميع مَنْ يُشْرِك بي غيري وَيَعْبُد سواي. فأدبر عنهما. فقال مولانا العليُّ الأعلى سبحانه وعزَّتِي وجلالي وارتفاعي في أعلا علوِّ مكاني. لَا دَخَلَ أَحَدٌ جَنَّتِي، أي ميثاقي إِلَّا بِكَ وبمحبَّتِكَ. وَلَا احْتَرَقَ بِنَارِي، يعني ظاهر الشرائع الناموسية التي هي الحرارة اليابسة، أَحَدٌ إِلَّا بِتَخَلُّفِهِمْ عَنْكَ ونفاقهم عليك. مَنْ أَطَاعَكَ فَقَدْ أَطَاعَنِي. وَمَنْ عَصَاكَ فَقَدْ عَصَانِي. بِكَ تُبْلَغُ المنازل العالية. وقد جعلتُكَ الوسيلةَ إلى رحمتي لجميع عبيدي وأهل طاعتي.

فلَمَّا سمع العقلُ ذلك من البارِ العليِّ سبحانه، نظر إلى شخصه فرآه بلا نظير يشاكله، ولا ضدَّ يُقاومه، ولا ندَّ يعادله، وإنَّه يقوم في جميع الأدوار وحده بلا ضدَّ. فأبدع مولانا العليُّ سبحانه من طاعته معصيةً، ومن نوره ظلمةً، ومن تواضعه استكباراً، ومن حلمه جهلاً. فصارت أربع طبائع مذمومة، بإزاء الأربع الطباع المحمودة التي هي العقل وطبائعه، وهي: حرارة العقل، وقوَّة النور، وسكون التواضع، وبرودة الحلم وليونة الهيولي الداخل في الطبائع الخارج منهم. فقام، بإزاء كلِّ آلة منها دينيةً، آلةٌ ضديةٌ معاندةٌ للعقل عاصيةٌ لأمره ونهيهِ، يرى روحه مثله وشكله، وإنَّ أبداعه منه بغير واسطة بينهما^(٣).

فعلم العقل أنَّها محنة ابتلاه بها مبدعه العليُّ الأعلى سبحانه حيث رأى روحه بالكمال والقدرة. فأقرَّ عند ذلك بالعجز والضعف، واستغفر من ذنبه، وتضرَّع إلى مولانا العليِّ الأعلى، سبحانه وتعالى في معاونته على الضدِّ.

(٣) المقصود أنَّ العقلَ نظر إلى نفسه فوجدها تشابه العليِّ الأعلى، ولا واسطة بينهما. فتكبر وتجبّر، وشاء أن يكون مكان العليِّ؛ فخلق له العليُّ الضدَّ.

وقال : لا إله إلا مولانا أعني بذلك أنه لا إله كامل بالقدرة والسلطان إلا العليّ الأعلى، إله الآلهة تبارك وتعالى الذي لا ضدّ له ولا ندّ ولا شبه سبحانه وتعالى.

وسأله بأن يجعل له مُعيناً على الضدّ المخالف، وخليفةً ينوب عنه عند المؤالف، ليستغني به عن مخاطبة الضدّ ومشاكلة الندّ، فأبدع العليّ سبحانه من ذلك الشوق والتضرّع نفس الحدود، وجعله ذا مصّة وتالياً لخدمته، سامعاً له مطيعاً لأمره. وجعل له نصف الحركة والفعل. فصار بمنزلة الأنثى، والعقل بمنزلة الذكّر. وبهذا السبب جعل للذكر مثل حظّ الأنثيين. وجميع الحدود أولادهما. فأراد بالذكر العقل، والأنثى هي النفس.

والكلمة فوق السابق الذي عرفوه الشيوخ، والنفس فوق الكلمة، والعقل فوق الكلّ، وهو روحهم بالحقيقة، وهو السابق في القدم ونور في الظلام.

وإنّما قالوا الشيوخ المتقدّمون لرابع الحدود سابق، لأنّه سبق إلى الشرائع الروحانية وأظهرها. ومن ذلك قالوا لكلّ ناطقٍ شريعة، وإنّه يقوم مقام السابق، أي تقوم الشريعة الناموسيّة مقام الشريعة الروحانية التي هي شريعة سابق الحدود السفليّة، وإلاّ فالسابق الحقيقي هو العقل، سابق السوابق الروحانية والجسمانيّة الذي سبق خلقه ونوره كلّ شيء.

وسنذكر لكم في غير هذا الكتاب أسماء مولانا سبحانه التي سمّي بها ناسوته وتظاهره للعالم من وقت إبداعه العقل الكليّ إلى حين ظهور آدم الصفاء وسجود الملائكة له، وهو تمام سبعين دوراً، بين كلّ دور ودور سبعون أسبوعاً، بين كلّ أسبوع وأسبوع سبعون عاماً. والعام ألف سنة ممّا تعدّون^(٤).

(٤) يبلغ عمر العالم إذاً من نشأته حتى دور العقل الذي ظهر في آدم الصفاء : ٣٤٣

وأذكرُ إسمَ العقلِ واسمَ الضدِّ في كلِّ دورٍ منها، وما تسمَّوا به أصحابُ الأدوار كما قيل لأهل دورنا هذا أنس. ونشرح لكم فيه ما تحتاجون إليه إن شاء مولانا وبه التوفيق في جميع الأمور^(٥).

ولكننا نذكر لكم في هذا الكتاب الدَّورَ الأوَّلَ، وهو ظور العقل، لتقفوا على حقائقه، وتعتقدوا محضَ التوحيد، وتعلموا بأنَّ مولانا سبحانه لا يُغَيِّب عن العالم نورَه وحجابه، وأنَّ جميعَ حدودِ دينه موجودون في كلِّ عصرٍ وزمانٍ ودهرٍ وأوانٍ لمن طلب نجاةَ روحه، ولم يعبدِ العدم، ولم يسجد للوثان والصنم.

ثمَّ رجعنا إلى الضدِّ الروحاني وظهوره من نور العقل الكلي، وظهور النفس من بين نور العقل وظلمة الضدِّ. فعلى مقدار ما فيه من نور العقل يفهم منه كلامه ويستفيد من نظامه. وبمقدار ما فيه من ظلمة الضدِّ يقدر على مكاسرة جنوده وشيعته، ويعرف مكره ودقائق حيله ومداخلته، لأنَّ الضدَّ الذي هو حارت لطيف شفاف، تجري قوته مجاري الدم، لأنَّ بدوَه وأصله من نور العقل. وهو ظلمة عند نور العقل، نور عند غيره، جسماني عند روحانية العقل، روحاني عند غيره، كثيف عند لطافة العقل، لطيف شفاف عند كثافة العالمين.

ومثلَّ العقل مثلُ نارٍ لطيف تطرحه في الحطب فيحرقه ويعودُ النارُ إلى عنصره، ويصير الحطب جمرًا. فالجمر كثيف عند لطافة النار، لطيف عند كثافة الحطب؛ لأنَّك إذا تركتَ الجمرَ ساعةً واحدةً أو رآكَ ظلمةَ الجسد وكِبَاءَ اللون؛ حتَّى إذا طرحتَ عليه الحطب يرجع يشتعل ويعودُ كاللون الأوَّل، لا يقدر أحدٌ يطفئه إلَّا أن ينطفي وحده ويُطفئه بالماء العظيم.

مليون سنة.

(٥) لم يفِ حمزة بما وعد؛ فلن نجد رسالةً من رسائله تتكلَّم على جميع الأدوار والأكوار

وكذلك الضدّ الروحاني لطيفٌ شفافٌ بسبب بدايته من العقل، ظلمةٌ كثيفٌ حيث عصى أمرَ العقل. فإذا استولى على أفئدة المؤمنين أفسدهم بلطافته التي هي من بداية العقل كلطافة النار المتكّن في الجمر. فإن كان المستجيب ضعيفاً بلا قوّة، التي هي قوّة العلم، لم يزل الضدّ يعمل في فسادهِ كما يعملُ الجمرُ في الحطب حتى يصيرهُ مثله، ويصيراً جميعاً رَماداً لا يُنتَفَعُ بهما. وإن كان المستجيبُ صحيحَ اليقين قويَّ الحجج في الدّين أطفا نارَ الضدّ بماء الحقائق، ولم يكن للضدّ عليه سبيلٌ بوجهٍ ولا بسببٍ.

فقام العقل من خلف الضدّ، وقام النفسُ قدّامه، فراغ الضدّ عنهما يميناً وشمالاً، فاحتاجَ العقلُ إلى مُعينٍ يكون له على يمينه، واحتاجَ النفسُ إلى مُعينٍ يكون له على شماله لينحصر الضدّ بينهم.

فانبعث من العقل الكلمة، ومن النفس السابق. فقام الكلمة على اليمين، وقام السابق على الشمال. فحار الضدّ بين العقل والنفس والكلمة والسابق، فراغ الضدّ من تحتهم، فسمي حارّت عندما حار في نفسه. وسمي بعد ذلك إبليس لأنّ بدايته من العقل بغير مراده. بل ظهر منه كرهاً، إذ ليس له أب. لأنّ الابن لا يظهر من صلب الرجل إلى بطن المرأة إلّا بإرادة الرجل وتحريكه. وإن كان أيضاً ولداً دينياً لا يظهر إلّا بالدّاعي وتحريكه. فلمّا لم يكن للعقل في تكوينه إرادةً دينيّة ولا شهوةً طبيعيّة، قيل إنّهُ بلا أب، أي ولد زناً، ضدّ^(٦)؛ لأنّ ولد الزنا ضدّ أولاد الحلال وعدوهم. وكذلك أولاد الزنا ضدّ أولاد الحلال وهم الموحّدون الذين هم أولاد العقل والنفس. وقد شهد لهم جعفر ابن محمّد وقال: ألوّمن أخو المؤمن، من أمّه وأبيه. أبوهما النور أي العقل، وأمهما الرحمة أي النفس.

وظهورات العقل وسائر الحدود. وقد يكون فعل، ولكن لم يصل إلينا منه شيء.

(٦) قد يكون المقصود «إبليس» وليس العقل. لأنّ إبليس هو مَنْ «ليس له أب»، أي ابن

وقد ذكرنا لكم في «السيرة المستقيمة» بأن آدم الصفا هو العقل، وكان اسمه شطنيل، واسم إبليس حارت. وإنما ذكرناهما في وقت ظهور الصورة البشرية، وهو تمام سبعين دوراً. وكذلك قلنا حارت أربعة أحرف: ح ثمانية، ا واحد، رت ستمائة ساقط. يبقى من جملة الاسم تسعة. والتسعة، إذا كتبتها كانت أربعة أحرف: ت س ع ة. والأسمين حارت و إبليس، إذا حسبتهما يبقى منهما أربعة أحرف، لأن بقية اسم حارت تسعة، وبقية اسم إبليس سبعة. تسقط اثنا عشر يبقى أربعة أحرف سوا.

فقد حسبنا اسمه بالطول والعرض ومزدوجاً وفرد، فوجدناه أربعة أحرف، ووجدنا التاء التي في آخر اسم حارت أول حروف التسعة. دليل على ناموس الناطق وزخرفته في كل عصر وزمان، وأن أول النطق هو آخرهم. وإنما يتصور في الأقمصة بال تكرار كما أن الولي قائم في كل عصر وزمان.

فبهذا السبب، أهل الشرائع يرون محبة الأعداء كافة، ولا يرون محبة رجلٍ موحد. ولا يكون في الحجة أوضح من هذا ولا أبين منه.

ثم رجعنا إلى العقل، فوجدناه ثلاثة أحرف، وال نفس ثلاثة أحرف. لكنهما يفترقان في حساب الجمل الكبير. وكذلك جهال الشيعة ينظرون إلى العقل والنفس بعين الدعوة لا غير. وهما يتفاضلان في المنزلة، لأن العقل هو الذكر والنفس بمنزلة الأنثى. والذكر هو المفيد والأنثى هو المستفيد. والعقل، إذا حسبناه في حساب الجمل الكبير، وجدناه مائتين، والنفس مائة وثلاثين. فوجدنا اسم العقل زائداً عن اسم النفس سبعين درجة^(٧). وهم حدود الإمامة والتوحيد.

زنا، لا العقل، كما هو في النص.

(٧) في الحقيقة النفس تساوي: ن = ٥٠، ف = ٨٠، س = ٧٠. فيكون المجموع = ٢٠٠

وأنا أعدّهم لكم بمشيّة مولانا سبحانه حتى لا تُشركون به أحداً من خلقه.

فأولهم النفس واثنعشر حجة له في الجزائر وسبعة دعاة للأقاليم السبعة. كما قال عليها تسعة عشر.

والكلمة واثنعشر حجة لا غير وسبعة دعاة للأقاليم السبعة، لأنّ الكلمة نظير النفس.

والسابق واثنعشر حجة لا غير.

والتالي واثنعشر حجة لا غير، لأنّ له مثل ما للسابق.

والداعي المطلق وله مأذون ومكاسران.

فصاروا الجميع سبعين حدّاً. منهم تفرّعت جميع الحدود العلوية والسفلية. وهم كلّهم من قبّل العقل، وهو الإمام المؤيّد من قبّل مولانا سبحانه وتعالى. يُسقط منهم من يريد ويرفع درجة من يريد بتأييد مولانا العليّ الأعلى سبحانه وإرادته. كما قال في القرآن: «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون». فسبحان الذي بيده ملكوت كلّ شيء وإليه تُرجعون»^(٨).

فهؤلاء الحدود السبعون التي ذكرناهم هم أذرُع السلسلة الذي قال في القرآن^(٩): «خُذُوهُ فَغُلُّوهُ»، أي ضدّ الإمام إذا بلغ غايته وتمّت نظرتة، خذوه بالحجج العقلية، وغلّوه بالعهد، وهو الذبح الذي قالوا بأنّ القائم يذبح إبليس الأبالسّة. «ثمّ الجحيم صلّوه»، أي غوامض علوم قائم الزمان الذي تتجسّم العلماء والفهاء عند علمه، أي يصمتوا ويتحيّروا. «ثمّ في سلسلة درعها سبعون ذراعاً فاسلّكوهُ»، أي ميثاق قائم الزمان الذي هو سلسلة

. ولكي يصبح ١٣٠ علينا أن نسقط س، أي ١٧٠!!

(٨) سورة يس ٣٦/٨٣.

بعضها في بعض، وهم سبعون رجلاً في دعوة التوحيد. «إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ»، أي الضد الروحاني، ما كان يقر بإمامة شطنيل وفضيلته.

فمثل حدود قائم الزمان التوحيدية بالسلسلة لأن دعوتهم منتظمة بعضها ببعض. والسلسلة، إذا حركها الإنسان من أولها تحرك وسطها وآخرها؛ وإذا حركها من آخرها تحرك وسطها وأولها؛ وإذا حركها من وسطها تحركا طرفيها. وكذلك المستجيب، إذا دخل في التوحيد علي يد المأذون، يقوم ذلك مقام من دخل على يد الحجة؛ لأنهم كلهم يدعون إلى شيء واحد، هو توحيد مولانا العلي الأعلى وعبادته سبحانه وتعالى عما يصفون.

ثم إن جميع أهل الظاهر من جميع أهل الشرائع يروون في أخبارهم بأن كانت السلسلة معلقة من السماء إلى مسجد بيت المقدس؛ وإذا كان بين خصمين حكومة أتيا إلى السلسلة، ورام الجاحد التعلق بهال. فإن كان سادقا في قوله، دنت السلسلة إليه، وإن كان كاذبا تباعدت السلسلة عنه. فلم تزل هكذا حتى احتال رجل على رجل وتعلق بها، فارتفعت السلسلة من وقتها وساعتها إلى السماء. ولم يروها بعد ذلك الوقت. فهم يروون ظاهرها ولم يعرفوا معانيها، ولم يسألوا أرباب الحقائق عنها، فضلوا الطريق، وعميت بصائرهم عن النور الحقيقي، فعاشوا وهم أموات، واجتمعوا وهم أشتات. خسروا الظاهر والباطن ولم يصلوا إلى مكنون السرائر. ذلك هو الخسران المبين. فيه يذهب قولهم.

إعلموا هداكم المولى إليه بأن السماء الحقيقية هو العقل، والأرض هي النفس. والسلسلة هو علم العقل، والإفادة للنفس على الدوام والظهور، واليد هاهنا هو الداعي. والخصمين هما المستجيب وضده. فباتوا الموحدون من المشركين بعلم الإمام وإشاراته وعلاماته. فمن ادعى أنه مستجيب طالبوه بمعرفة الحدود وعلومهم. فمن شهد له داعيه أنه عالم حفظوه وأوصلوه إلى

غوامض العلوم. فلم يزل الأمر هكذا إلى أن احتال رجلٌ منافق واتّصل على يد الداعي وعرف جميع الحدود وعلومهم. ثم رجع إلى نفاقه وكفره، وتبين للمستجيبين زيغه ومكره. فرفع العقل علمه إليه، وستره عن جميع المنافقين عليه.

فهذه السلسلة الحقيقية ومعانيها، لا كما ذكروه الجهالُ الحشوية. ولو كان كما قالوا أهلُ الظاهر لم يكن قولهم حكمة، لأن من كان في غلٍّ، وهو في جهنم وعليه متوكلون الزبانية، لا يحتاج إلى سلسلةٍ لأنه لا يستطيع الخروج من النار ولو كان مسبيًا فكيف وقد غلّوه!

فإن قالوا بأن الله أراد بالسلسلة تهديد أهل النار والتعظيم عليهم فقد بطلت حجّتهم هاهنا، لأنه قال سبعون ذراعاً. ولو كان بسبب التعظيم لكان يجب أن يقول ألف ذراع. فلمّا لم يذكر غير سبعين ذراعاً، علمنا أنه أراد بذلك أشخاصاً معروفة دينية توحيدية، لا يجوز لأحد أن يتجاوز حدّهم ولا يزيد فيهم ولا ينقص منهم. وهم سبعون سوا.

ثم رجعنا إلى كلام العقل وبدايته، لأن مولانا العليّ الأعلى البار سبحانه أبدع العقل، وهو الإمام.

ولم يكن سماءً	نطقيةً ولا سماءً أستاذيةً
ولا أرضٌ نفسيةً	ولا أرضٌ طبيعيةً
ولا عرشٌ نورانيةً	ولا عرشٌ جسمانيةً
ولا كرسيٌ توحيديةً	ولا كرسيٌ لملك مبنيةً
ولا ملائكة في الدعوة علويةً	ولا ملائكة بالوهم وصفيةً
ولا لوح للحفظ كليةً	ولا لوح من الأشجار صنعيةً
ولا قلم بقدره الجبار مجريةً	ولا قلم بيد المخلوقين مبريةً
ولا شمس من الأفلاك دينيةً	ولا شمس من الطبائع كونيةً

ولا قمر زاهر حقيقية ولا قمر طالع هلالية
 ولا كواكب للعالمين مَهْدِيَّة ولا كواكب في الجوَّ نارية
 ولا جبال سائرات سَحْبِيَّة ولا جباب جامدات أرضية
 ولا بحار بالعلوم مملية ولا بحار زاخرات طبيعية
 ولا جنَّة بالعهود مرضية ولا جنَّة للناظرين مرئية
 ولا نار نورها في القلوب عقلية ولا نار نورها في الأمهات جزئية
 ولا أرواح في القَدَم أزلية ولا أرواح في العالمين غريزية.

فلم يكن عند ظهوره أيَّامٌ ولا أنام، ولا شهور ولا أعوام، ولا ناقص ولا تمام، ولا حواس ولا أوهام، ولا زمان ولا مكان، ولا دهر ولا أوان، ولا ليل ولا نهار، ولا غامر ولا عمار، ولا بحار ولا قفار، ولا فلك دوَّار، غير مولانا البار العليَّ الجبَّار. سبحانه وتعالى عما يصفون.

مَعَمَّا أَنِّي أَقُولُ بِتَوْفِيقِ مَوْلَانَا سُبْحَانَهُ وَتَأْيِيدِهِ إِنَّ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَاللَّغَاتِ. وَلَا أَقْوَالُ بِأَنَّهُ قَدِيمٌ وَلَا أَزَلٌ، لِأَنَّ الْقَدِيمَ وَالْأَزَلَ مَخْلُوقَيْنِ جَمِيعًا، وَالْبَارِ الْعَلِيِّ جَلَّ ذِكْرُهُ خَالِقَهُمَا وَمَكُونَهُمَا. حَقِيقِيَّةٌ لَاهُوتِهِ لَا تَدْرِكُ بِالْأَوْهَامِ وَالْحَوَاسِ، وَلَا تُعْرَفُ بِالرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ، وَلَا لَهُ مَكَانٌ مَعْرُوفٌ فَيَكُونُ مُحْصُورًا فِيهِ وَتَخْلُوهُ بَاقِيَةُ الْأَمَكَةِ مِنْهُ، وَلَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ فَيَكُونُ عَاجِزَ الْقُدْرَةِ، وَلَا هُوَ بِأَوَّلٍ فَيَحْتَاجُ إِلَى آخِرٍ، وَلَا بِآخِرٍ فَيَكُونُ لَهُ أَوَّلٌ، وَلَا بظَاهِرٍ فَيَحْتَاجُ إِلَى بَاطِنٍ حَتْمًا، وَلَا بِبَاطِنٍ فَيَكُونُ يَسْتَتِرُ بِظَاهِرٍ جِزْمًا، لِأَنَّ كُلَّ اسْمٍ مِنْهَا يَحْتَاجُ إِلَى شَكْلِهِ ضَرُورَةً.

وَلَا أَقُولُ أَيْضًا بِأَنَّهُ لَهْ نَفْسًا وَلَا رُوحًا، فَيَكُونُ يَشْبَهُ الْمَخْلُوقِينَ، وَيَدْخُلُ تَحْتَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ. وَلَا أَقُولُ إِنَّ لَهُ شَخْصًا وَلَا جِسْمًا وَشَبْحًا، وَلَا صُورَةً وَلَا جَوَاهِرًا وَلَا عَرْضًا، لِأَنَّ كُلَّ اسْمٍ مِنْهَا لَا بَدْلَ لَهُ ضَرُورَةً مِنْ شَبْهِ سِتِّ حُدُودٍ، وَهِيَ: فَوْقَ وَتَحْتَ وَيَمِينٌ وَشِمَالٌ وَخَلْفٌ وَقَدَامٌ. وَكُلُّ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ الشَّبْهِ يَحْتَاجُ إِلَى شَبْهِهِ. وَهَذِهِ السِّتَّةُ مُحْتَاجَةٌ إِلَى سِتَّةٍ. وَهَكَذَا إِلَى

ما لا نهاية له في العدد. والبار العليّ سبحانه يُجلّ عن الأعداد والأزواج والأفراد.

ولا أقول إنّه شيء فيقع به الهلاك. ولا أقول إنّه لا شيء فيكون معدوماً مفقوداً. ولا هو على شيء فيكون محمولا عليه. ولا هو في شيء فيكون محاطاً به. ولا متعلّق بشيء فيكون قد التجأ إليه. ولا هو قائم ولا جالس ولا نائم ولا ساهر. ولا له شبه ولا ذاهب ولا جآي ولا مارّ. ولا لطيف ولا كتيّف، ولا قويّ ولا ضعيف. بل مولانا سبحانه منزّه عن جميع الأسماء والصفات والأجناس واللغات والأشياء كلّها.

بل أقول ضرورة لا حقيقة بأنّه سبحانه باري كلّ شيء ومكوّن كلّ شيء ومصوّرهم. من نوره أبداع الأشياء الكليّة والجزؤيّة، وإلى عظمته وسلطانه يعود كلّ شيء. حقيقة لا هوته لا تدرك إلّا صورة وهميّة، لا حقيقة مرئيّة.

لكنّه سبحانه أظهر لنا حجابّه الذي هو محتجب فيه، ومقامه الذي ينطق منه ليعبّد موجوداً ظاهراً، رحمةً منه لهم، ورأفةً عليهم. والعبادة في كلّ عصرٍ وزمان لذلك المقام الذي نراه ونشاهده. ونسمع كلامه ونُخاطبه. فإنّ قال قائل كيف يجوز أن نسمع كلام الباري سبحانه من بشر، أو نرى حقيقته في الصُّور، قلنا له بتوفيق مولانا جلّ ذكره وتأييده: أنتم جميع المسلمين واليهود والنصارى تعتقدون بأنّ الله عزّ وجلّ خاطب موسى ابن عمران من شجرة يابسة، وخاطبه من جبل جامد أصمّ، وسمّيته كليم الله لما كان يسمع من الشجرة والجبل. ولم يُنكر بعضكم على بعض.

وأنتم تقولون بأنّ مولانا جلّ ذكره ملكٌ من ملوك الأرض ومن وُلّي على عددٍ رجالٍ كان له عقل الكلّ. ومولانا جلّ ذكره يملك أرباب ألف كثيرة ما لا يحصى. ولا تقاس فضيلته بفضيلة شجرة أو حجر. وهو أحقّ بأن

ينطق الباري سبحانه على لسانه، ويظهر للعالمين قدرته منه، ويحتجب عنهم فيه. فإذا سمعنا كلام مولانا جلّ ذكره قلنا: قال الباري سبحانه كذا وكذا. لا كما كان موسى يسمع من الشجرة هفياً، فيقول سمعتُ من الله كذا وكذا. وهذه حجة عقلية لا يقدر أحدكم ينكرها.

وقد اجتمع في القول بأنّ لمولانا جلّ ذكره عقول الأمة، وأنّ الشجرة والحجر لا تفهم وتعقل عن الله. ومن يفهم ويعقل عن الله أحقّ بكلام الله وفعله ممن لا يعقل عنه. وإنّ كانت الشجرة حجاباً فالذي يعقل ويفهم أحقّ أن يكون حجاباً لله ممن لا يعقل ولا يفهم. وكيف يجوز للباري سبحانه أن يحتجب في شجرة ويخاطب كليمه منها، ثمّ تحرق الشجرة ويتلاشا حجاباً! سبحان الإله المعبود، وتعالى عما يصفون المشركون. لا يدرك ولا يوصف مولانا الحاكم جلّ ذكره وحجاباً في كلّ عصرٍ وزمان باختلاف الصور والأسماء.

كما نطق القرآن: «كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ. لَا يُشْغِلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ. وَهُوَ الْقَادِرُ الْقَهَّارُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ»^(١).

ثمّ إنّي أقول بتأييد مولانا سبحانه بأنّ الله الذي يتصور من الكاتب بالقلم في اللوح، هو مخلوق غير خالق، لأنّ الله لا يتصور في شيء إلاّ بأربع آلات: دواة ومداد وقلم وقرطاس. وخامسهم الكاتب. والله أربعة أحرف. فإذا تهجّيت حروفه وجدتها أحد عشر حرفاً: ألف ثلاثة، لامين ستة، ها حرفين. والكاتب تمام الإثني عشر حرفاً.

والكاتب لا يكتب الله إلاّ بعد أن يكمل له عقل، وتمييز، وحواس، وخمس أصابع يكتب بها، ودواة، ومداد، وقلم، وقرطاس، وأربع طبائع الأمهات التي تتكوّن الأشياء منها، وهيولا الطبائع الذي هو داخل فيهم

خارج منهم بغير تجسيد. فذلك تسعة وعشرون آلة من قَبْلُ أن يتصورَ الله في اللّوح. والألف الذي في اللّام خفيٌّ فيه وثمانية وعشرون حرفاً ظاهرة وهم حروف المعجم.

كما قال إنَّ ثمانية وعشرون آلة ظاهرة غير العقل الذي عجزوا العالمين عنه.

والألف والباء والتاء والتاء يتشابهون بعضهم ببعض، غير أنَّ الألف يُكتب بالطول، والباء والتاء والتاء تُكتب بالعرض. **فالألف** دليلٌ على العقل وهو الإمام، والألف قائم بلا نقطة فوقه ولا علامة تحته. **والباء** دليلٌ على النفس، وهي الحجة وتحته نقطة واحدة، لأنَّ بينه وبين العقل حدّاً واحداً هو الضدُّ الروحاني، فصارت نقطة الباء من تحت حيث عصَى الضدُّ أمرَ باريه، وناققَ على إمامه وهاديه. ولو كان الضدُّ طائعاً لكانت نقطة الباء من فوق. فلما سبق الضدُّ صار حزبُه أكثر من حزبِ النفس. **والتاء** دليل على الكلمة وفوقها نقطتين دليل على الحديين اللذين فوقه. **والتاء** دليل على الجناح الأيمن وهو السابق رابع الحدود. ونقطه دليل على الثلاث حدود الذين فوقه في المرتبة.

وكتبتهم بالعرض دليل على طاعتهم للإمام الذي هو العقل وقبولهم منه. والثلاثة الذين فوق السابق لهم أسماء كثيرة يقولوها العامة ولم يعرفوا معانيها، مثل القدر والقدير والقدرة، والإرادة والمشية والكلمة، والعزّة والسلطان والعظمة. وجميع الشيوخ المتقدمين لم يعرفوا فوق السابق غير الكلمة. وقالوا بأنّها هي هو، وهو هي، كما ذكرناه في أوّل الكتاب. أسأل المولى جلّ ذكره أن لا يؤاخذهم بما قصّروا عن بيان الحقائق. وأسأله التمام بفضله ورحمته.

ثمَّ نرجع إلى الحروف ومعانيها على الترتيب:

فالجيم والحاء والخاء في الصورة شيء واحد، لكن بينهم فرق كثير في الحقيقة. لأنّ **الجيم** دليل على شريعة الناطق الظاهرة. والنقطة التي تحتها دليل على شريعة الأساس التي هي تحت الظاهر مستورة فيه.

والحاء دليل على شريعة الأساس وهو التأويل. والنقطة التي فوقها دليل على شريعة الناطق التي هي عالية على شريعة الأساس. والجيم والحاء هما يمين وشمال كما قال في المجلس: اليمين والشمال مضلّتان والنجاة فهي المحجة الوسطى.

والحاء دليل على شريعة قائم الزمان وهي شريعة روحانية بغير تكليف. وحجة قائم الزمان تنطق وتقوم بالشرعية قبل ظهور القائم. وحروف اسم حجته في وقت ظهوره ثلاثة أحرف. واسم قائم الزمان أربعة أحرف. وأوّل الإسمين: ح فسَمّي إبليس حارت لانه تحيّر في الحايّين اللّذين هما حرفين قائم الزمان وحجّته. وسَمّي أيضا حارت، لأنّه تشبّه بقائم الزمان وحجّته وادّعا منزلتهما. والجيم سَمّي جيما لأنّه جمّع نواميس النطقاء وزخرفهم أجمعين. وسَمّي خاء لأنّه خليفة الناطق وحليفه. وسَمّي حاء لأنّه احتوى على علم الجيم والحاء اللذين هما الناطق والأساس. والحاء في حساب الجمل ثمانية. وكذلك قائم الزمان احتوى على علم الثمانية الذين هم حملة العرش. كما قال: «وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ»^(١١)، وهو توحيد مولانا العلي الأعلى سبحانه وعبادته.

كذلك **الميم والواو والراء والزّاي والنون** شيء واحد. وهذه صورتهم عند نزولهم: **مرو رزن** لكن الميم شكّلته من خلفه مدوّرة، والواو شكّلته من قدّامه. وهذه صورتها: **مرو**. والنون يبقى على حاله لكن فوقه نقطة. والميم

دليل على محمّد، والواو دليل وصيّيه وشكلتيهما دليل على شريعتيهما. وشكلة الميم من خلفه مدوّرة كذلك شريعة الناطق ظاهرة. وشكلة الواو قدّامه كذلك شريعة الأساس باطنة. ولولا الشكلتان اللذان على الميم والواو لما كانا يعرفان، وكذلك محمّد وعلي، لولا ظاهر الشريعة وباطن التأويل، لما كان يقع عليهما اسم الناطق والأساس. والنون دليل على شريعة قائم الزمان، ليس لها ظاهر ولا باطن. والنقطة التي فوقها دليل على ظهور قائم الزمان بالقوّة والسيف.

والهاء دليل على اسم الهادي. والهاء تكتب في آخر حروف الله، كذلك الهادي ظهر في آخر الأدوار وتمامها. والألف دليل على ظهوره بالتأييد والسيف، لأنّ الألف دليل على العقل، واللّام دليل على النفس.

والياء لدليل على استجابة العالمين. والهاء دليل على اسم الهادي. ويعبدون مولانا الحاكم سبحانه وينادونه: يا إله الأوّلين والآخرين.

فعند ذلك يصير العالم بسيطاً روحانياً، والمذهب لاهوتياً شعشعانياً. وجميع من ذكرتهم عبيدٌ لمولانا الحاكم جلّ ذكره، وهو المعبود الموجود، لا يوصف باللسان، ولا يُدرك بالجنان، الواحد الأحد لا كالأحاد، الفرد الصّمد لا كالأفراد، مبدئ كلّ شيء ومعيد كلّ شيء. سبحانه وتعالى عمّا يصفون. والحمد لمولانا وحده. وهو حسبنا ونعم المعين النصير.

وكتب في شهر رمضان. الثاني من سنين هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا وحده وشدّة سلطانه.

تمّت الرسالة بحمد مولانا ومنّه.

الرسالة الموسومة بسبب الاسباب والكنز لمن أيقن واستجاب

من وضع حمزة ومن دون تاريخ. فيها كلام على الدعاة ومراتبهم، وفيها رسالة حمزة إلى الناس من قبل أن يكون العالم. فهو نفسه سبب الاسباب وعلة العلل، فيما المولى تعالى هو مسبب سبب الاسباب، ومعل علة العلل. به أوجد الله كل شيء، ومنه فاض كل موجود. وفي الرسالة أيضاً أجوبة على أسئلة تخص وضع حمزة، وتشرح مضمون دعوته. وفيها أخيراً تفسير وتاويل توحيدى للبسملة: «بسم الله الرحمن الرحيم».

توكلت على مولانا البار العالم، العلي الأعلى حاكم الحكام، من لا يدخل في الخواطر والأوهام، جل ذكره عن وصف الواصفين وإدراك الأنام، حدود دعوته حروف بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لمولانا الذي ليس له في السماء نظير، ولا في الأرض من هو به خبير، ولا له مشير، ولا في العالمين له قهير، ولا في العظمة من هو عليه قدير.

أبدع من نوره الشعشعاني الكامل العقل الكلي، وأبدع من نور العقل النفس الحقيقي، وأبدع من نور النفس الكلمة، وأبدع من نور الكلمة السابق، وأبدع من نور السابق التالي، وأبدع من نور التالي الأرض وما عليها، والأفلاك الدائرات، والبروج الإثني عشر، والطبائع الأربعة، والهيولى الذي هو الطبع الخامس.

فجميع ما في الخلق الذي يسمونه العامة سماء، هم الأفلاك يخدمون الأرض وما عليها بسبب النور الذي فيها، وإظهار ناسوت مولانا العلي الأعلى منها، ومعجزات لاهوته عليها. وهو المنزه عن الصفات واللغات. سبحانه وتعالى عما يصفون علواً كبيراً.

أما بعد فقد وصلنا أيها الأخ الشقيق، ما كتبته من لدننا في طلب العلم الحقيقي، وما يتقوله الفاسقُ الفسيق. وليس علم التوحيد، كعلم الفلاسفة والتلحيد، ولا كما رتبوه الدعاة والعبيد، ولا الدرّة اليتيمة كالحجر الجليد، ولا الأحاديّة كالواحد المفيد، ولا العالُّ الذي لا يدرك كعلّة علم تعادلاً، بل الحقائق تأييد من المعلّ الأزل إلى عبده علّة العلل، والمعلّ هو الأحد، والعلّة هو الواحد الذي يُفيد جميع العالمين. وهم الدعاة والمأذونين، والمكاسرين والمستجيبين بعلمه، وبما أيده المولى سبحانه من رحمته وحكمته، وهو الواحد في كل عصر وزمان، الذي هو العلّة معلّم العالمين ومؤدّبهم.

وسائر الناس بمنزلة الصبيان الذين في المكتب، وما منهم صبيٌّ إلاَّ ويجب عليه طاعة أبيه أكثر من طاعة المعلّم، وهو يحبه أكثر منه، لكنّه يفزع من المعلم أكثر من أبيه، لأنّ الأب قد فوّض أمره إلى معلّمه، ونزّه روحه عن مخاطبة ولده. فالأمر الحقيقي الكلّي للأب. ولكن المعلّم الذي يضربه ويعلمه الخير وينهاه عن الشرّ. فمعلّم الكتاب علّة الصبيان وعذابهم ورحمتهم، يضرب مَنْ يشاء منهم ويحسن إلى مَنْ يشاء منهم. غير أنّ ليس للمعلّم أن يعمل مع الصبيّ أربع خصالٍ مذمومة: لا يسبّه بالفاحشة، ولا يضربه ضرباً يكسر له عضواً، ولا يفسق به، ولا يقتله. فمتى فعل خصلة من الأربع خصال كان الأب خصمه.

وللمعلم أن يعتذر إذا جرى منه هفوّ في السبّ، ولا يعود إليه، وله أيضاً أن يعتذر إذا غلظ في الشرب، وإن كسر للصبيّ عضواً يجبر ذلك

العضو، ويُنفق على الصبيِّ من ماله إلى أن يبرأ. وليس للمعلم أن يعتذر من فسقه بالصبي، ولا يحتج إذا قتله إلا أن يُريد أبوه يعفو عنه بفضله.

كذلك إمام الزمان، وهو عبد مولانا جلّ ذكره، وهو مؤدّب العالم ومربيهم بالعلم الحقيقي، قد فوّض المولى سبحانه جميع أمور عبّيدِهِ الدينيّة إليه، وجعله علّة لهم، وبه ثوابهم وعقابهم. والمولى سبحانه المعبود الموجود لكّنه منزّه عن المشاكلة والمشافهة والمخاطبة، وعن التربيّة والإفادة. فجميع أمور الدعاة والمأذونين والمكاسرين والمستجيبين راجعة إلى الإمام في كلّ عصر وزمان. يعزلُ منهم مَنْ يُريد، وينصب مَنْ يُريد، ويُعطي كلّ ذي حقّ حقّه من العلم الحقيقي، بمقدار ما يوفّقه المولى سبحانه.

وليس له أن يدّلس على المستجيب دينه ويستتره عنه، وإن دّلس عليه وستّره عنه ضرورة فيكشف له وقتاً آخر، ويبلغه الغاية والنهاية. وليس له أيضاً أن يردّ أمره وتربيته إلى داعٍ مقصّر فيكسر عضوه، فإن فعل ذلك من قبل أن يكشف أمر ذلك الدّاعي، ثمّ بَانَ له تقصيرُ ذلك الدّاعي فله أن يعزل الدّاعي وينصب غيره، حتّى يجبر كسر المستجيب. وليس له أن يدعوه إلى نفسه في العبادة، وهو بمنزلة الفسق بالصبي، وليس له منه توبة. وليس له أن يحيد بالمستجيب إلى عبادة أحد من المخلوقين، ولا يدعوه إلى توحيد أحد من العالمين، وهو القتل بالحقيقة، وليس له منه توبة إلا أن يشاء مولانا جلّ ذكره.

والإمام هو الأمير، وسائر الحدود بمنزلة العسكريّة، والمستجيبين بمنزلة الرعيّة. وفرضت طاعته عليهم ووجبت حيث جعله المولى سبحانه قبلة لهم وإماماً حتّى يصلون به إلى معرفة باري البرايا معلّ الكلّ، ومبدعهم، سبحانه وتعالى عما يصفون.

وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتُهُ عَنْ نَفْسِكَ بِأَنَّكَ تُرِيدُ جَمَالِي بِخَاصَّةٍ جَمَالَ الخِدْمَةِ
وإِصْلَاحِ المنطقِ فِيهِ. وَقُلْتَ بِأَنِّي كَتَبْتُ فِي صَدُورِ رِقَاعِي: مَعْلَ عِلَّةِ العِلَلِ،
صِفَاتِ العِلَّةِ، وَطَلَبْتُ مَعَانِيهِ. وَذَكَرْتُ: أَنَّ عِلَّةَ العِلَلِ إِشَارَةٌ إِلَى السَّابِقِ فِي
كُلِّ عَصْرِ وَزَمَانٍ وَهُوَ مَوْجُودٌ فِي الْعَالَمِ. وَطَلَبْتُ فِيهِ خَرَافَاتٍ لِشَيْوِخٍ. وَقُلْتُ
بِأَنَّ هَذِهِ العِلَّةَ، وَهُوَ السَّابِقُ لَا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ بِالتَّفْكِيرِ، وَلَا تَخْتَلِفُ عَلَيْهِ
الْأَزْمَنَةُ بِالتَّغْيِيرِ، وَلَا تَصِفُهُ الْأَلْسُنُ بِالتَّعْبِيرِ، مُبْدَعٌ مِنَ الْعَقْلِ وَالْحَسِّ
وَالْوَهْمِ.

وَالَّذِي جَمَعَ ذَلِكَ إِعْلَمُ أَنَّ هُنَاكَ عِلَّةٌ عِلْمٌ لَا غَيْرَ، لَا ذَاتَ نُطْقٍ وَلَا سَمْعٍ،
كَمَا ادَّعَاهُ مَنْ ادَّعَاهُ، وَلَا شَخْصٌ وَقَعَ عَلَيْهِ عِيَانٌ، كَمَا حَكَاهُ مَنْ حَكَاهُ، وَلَا
إِحَاطَةٌ بِتَحْقِيقِ مَكَانٍ كَمَا سَطَّرَهُ مَنْ سَطَّرَهُ. وَذَكَرْتُ عَنِّي مَا لَمْ أَقْلُهُ. أَسْأَلُ
الْمَوْلَى أَنْ لَا يُوَافِقَ ذَلِكَ. وَقُلْتَ بِأَنِّي ذَكَرْتُ فِي صَدُورِ رِقَاعِي أَنَّ هُنَاكَ عِلَّةُ العِلَلِ
وَعِلَّةٌ أُخْرَى فَوْقَهَا، وَمَوْلَانَا الْحَاكِمُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ مَعْلُهَا وَصَانِعُهَا. وَقُلْتَ إِنَّ
قَالَ ضِدُّ فَضُولِي، أَوْ نَدُّ وَلَدُ زَنَا، حَقَّقَ لِي عِلَّةَ العِلَلِ وَالْعِلَّةَ الَّتِي فَوْقَهَا
وَالصِّفَةَ الَّتِي لَهَا وَهَذَا كَلَامٌ فَاسِدٌ.

وَأَنَا بِمَشْيَةِ الْمَوْلَى أُبَيِّنُ لَكَ جَوَاباً يُوَقِّفُكَ عَلَى الْحَقَائِقِ بِحَسَبِ مَا
أَوْجَبَهُ الزَّمَانُ، لَا بِاسْتِحْقَاقٍ تَسْتَحِقُّهُ أَنْتَ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ كَافَّةً،
إِلَّا تَفَضَّلَ مِنَ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَرَأْفَةً.

وَذَكَرْتَ بِأَنَّكَ طَلَبْتَ بِهَذِهِ الْمَكَاتِبَةِ حَالَيْنَ: أَحَدُهُمَا قَهْرُ الضَّدِّ، وَالثَّانِي لَا
تَنْفَرُ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ. وَذَكَرْتَ بِأَنَّ الْغَرَضَ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَمِنْ جَمِيعِ
الْعَالَمِينَ بِأَنْ يُوَحِّدُوا الْمَوْلَى جَلَّ ذِكْرُهُ لَا غَيْرَ. وَذَكَرْتَ بِأَنَّ عِنْدَكَ آلَةً كَثِيرَةً
وَاضِحَةٌ عَقْلِيَّةٌ وَشَرْعِيَّةٌ تَقْهَرُ بِهَا مَنْ يَتَكَلَّمُ، وَتُحَقِّقُ وَتُصَحِّحُ بِأَنَّ مَوْلَانَا جَلَّ
ذِكْرُهُ إِلَهُ مُنِيعٌ قَادِرٌ قَاهِرٌ مُعْطٍ مُنَاعٍ. وَذَكَرْتَ بِأَنَّ الضَّدَّ يَقُولُ إِنَّ صَحَّاحَتَهُ
لَنَا بِأَنَّ الْعِلَّةَ غَيْرُ مَدْرُوكَةٍ وَلَا مَوْصُوفَةٍ وَلَا مُحَاطَةٍ بِعِيَانٍ وَلَا بِمَكَانٍ، فَقَدْ
بَطَلَ قَوْلُكُمْ بِالْقُرْبِ وَالِدُنُوِّ وَالْخُطَابِ. وَإِنْ اعْتَرَفْتُمْ بِالتَّحْدِيدِ وَالصِّفَاتِ

وتحقيق النظر والإحاطة، فقد بطل ما اعتقدتم أو حصَلتم تعبدون المخلوقين، لأن ذلك واقع بالمخلوقين.

وسألتني بأن أعرِّفَكَ ما تَبني عليه مذهبَكَ فإنَّ كان أصلُ البناية أنَّكَ تقول أنَّ في السماء علَّةً، ومولانا الحاكم جَلَّت قدرته صانع تلك العلَّة فاسمع وأطع ولا تتجاوز، وإن كان لها مَعْنًا قد خفي عنكَ فأنا أعرِّفَكَ به لأنَّكَ بلغت بروحك في تأليف الرسائل والكتب ونسبَتها إليَّ وطلبتَ بذلك جَمال الخدمة. وأنا أبين لك ما سألتَ عنه وأجاوبك عليه بابًا بابًا بمشيئة مولانا جلَّ ذكره وتأييده. والروح القدس واصل إليَّ في طرفة عَيْن بغير واسطة روحاني ولا جسماني. فله الحمد والشكر وحده.

إعلم أيُّدكَ المولى بطاعته، وجَنَّبكَ عن معصيته، وأعانكَ على حقائق دعوته، أني ما أردت أن أجاوبكَ عنها ولا أكلِّمكَ عليها، لأنَّكَ ما سألتني سؤالَ داعٍ يسأل إمامه، بل أظهرتَ لنفسكَ العلمَ والإفضالَ بالحقيقة. وهذا نفس الخطأ. فرجعتُ إلى ما أيَّدني به مولانا البار العالِم العليُّ الأعلى الجبَّار جلَّ ذكره من علمه، وما ألبسني من حلمه، وما فوَّضه إليَّ من تعليم العالم وتأديبهم. فعلمتُ بأنَّه خطأ منك بغير تعمُّدٍ، وهفوةٌ بدرتُ؛ فكتبتُ هذا الكتاب بتوفيق مولانا جلَّ ذكره باري الأرباب، وبَيَّنتُ فيه جميعَ الفنون والآداب، وجعلته كنزاً لأهل التوحيد ومن استجاب، وسمَّيته بِسَبَبِ الأسباب.

فإذا قرأتَ ما فيه فميِّزْ بعقلك معانيه، وارْتَقِ في دقائق الحكمة أبوابه ومراقبه، ونزّه مولانا الحاكم الأحد الفرد الصمد عن جميع الأسماء والصفات والأجناس واللغات، واشكرهُ حقَّ ما يجب عليك من كمال الشكر وأصناف حدوده بحسب استطاعتك، ولا تَنطِقْ بالرأي والقياس، فأولُّ من

نطق برأيه وقاس العلم بهوائه إبليس، فأخرج من الدعوة وأُسْقِطَ من جملة الحدود، أعانك المولى سبحانه من ذلك وجميع المؤمنين الموحدين المخلصين.

فأول باب ذكرته، أيّذك المولى بالثبات، أنك تريد جمالي بخاصة جمال الخدمة. أعلم أيّذك المولى بطاعته أن ليس لك من الأمر لا ظاهر ولا باطن ولا لأحد من جميع العالمين كافة. لأن جمال الظاهر ما تريده لي من المال، والخيل والجمال، والعزة والمقال، واليد الباسطة على أهل الغي والضلال، فما لك عليه استطاعة ولا بفعله طاقة غير ما تتكلم بلسانك لا غير.

وكذلك جميع العالمين لا يقدرّون على جمال أنفسهم، فكيف يقدرّون على جمال من هو فوقهم ظاهراً وباطناً، وإنما يجب أن يقول هذا رجل عالي الأمر لرجل هو دونه في المرتبة. ولا يجوز أن يقول هذا لمن هو فوقه الباتّة.

وأما جمال الباطن ما تريده لي من إظهار العلوم الحقيقيّة، ومادّة الحكمة العلويّة، والغلبة لأهل الشرائع الحشويّة، فليس لك فيه مرام، ولا لأحد فيه كلام، إلا بتأييد مولانا سبحانه وتعالى إليّ في كلّ عصر وزمان، بغير واسطة جسماني ولا روحاني ولا نفساني.

ولي أن أنكر على الناس مذاهبهم، وأصحّ أقوالهم، وليس لأحد من جميع العالمين أن يُنكر عليّ لأن المولى سبحانه اصطفاني، وأبدعني من نوره الشعشعاني من قبل أن يكون مكان ولا إمكان، ولا إنس ولا جان، وهو من قبل أن يخلق آدم العاصي وادم الناسي بسبعين دوراً، بين كلّ دور ودور سبعون أسبوعاً، بين كلّ أسبوع وأسبوع سبعون عاماً. والعام ألف سنة ممّا تعدّون.

ما منها عصر إلا وقد دعوت العالمين إلى توحيد مولانا العليّ الأعلى سبحانه وإلى عبادته، بصور مختلفة، ولغات مختلفة. فمن العالم من استجاب إلى توحيد عبادته؛ ومنهم من نفر عن بيعته وكفر بنعمته، وعبد

الصنم وأشرك في ربوبيّته، فاستحقُّوا العذابَ الأليم والعقابَ بما كانوا يُشركون.

وأنا أبين لك في آخر هذا الكتاب أسماءَ مولانا العليّ الأعلى سبحانه وتعالى في كلّ دور منها. وهو ما كان يتظاهر به للعالم من حيث هم في الجسمانيّة، ولاهوته منزّه عن الأسماء والصفات والأجناس واللغات. وإسمي في كلّ دورٍ منها وما كانوا يُعرفون به أصحابُ الأدوار. وأذكرُ إسمَ الضدِّ الروحانيّ في كلّ دورٍ منها المعروف بإبليس، لتقفَ على ما لا يقفُ عليه أحدٌ من المسلمين، ولا من جميع أصحاب الشرائع المتقدِّمين، وتقفَ على ما يَهديك إلى الحقائق، ويمنعُك عن طرقات البوائق. وتعلمُ أنّي أقدر على جمالك وجمالِ غيرك في ظاهر الدنيا وباطن الدّين. وأنتم لا تقدرون على جمالي إلا باللسان، أو نيّة القلب فقط.

وهاهنا بابٌ ثانٍ مذموم أعاذك المولى سبحانه منه. وذلك قولٌ من يقول من كافّة الناس بأنّي اخترعتُ هذا الأمر من رُوحِي، أو صنّفتُ العلم من ذاتي وقوّتي. ومولانا الحاكم جلّت قدرته لا يعلم بذلك ولا يرضاه، فينظر من حيث هو إلى كلامٍ لم يدركه عقله ولم يقفَ على معناه، فيقول قد رأيتُ وإنّ رأيي أحسنُ من رأيه، وأصنّفُ كلاماً أنظم من كلامه، فيجب عليّ أن أعرفه ما ليس عنده حتى يشكرني عليه. وهذا نفسُ الشّرك في الإمامة.

وأنا أعيدك من ذلك وجميع الموحدين المخلصين، بل يجب عليك وعلى غيرك إذا قرأ لي كتاباً، أو سمع لي كلاماً أنكره عقله، فليسأل عنه سؤالَ العاجز المستفيد المتعلّم الراغب، ويُقرّ بأنّه لا يفهم ذلك الكلام. فيكون محموداً في سؤاله، مشكوراً في مقاله، ويستفيد منّي في جميع أحواله، فأجيبه عن ذلك بمشيّة المولى سبحانه.

وأما قولك بأني كتبتُ في صدور رقاعي: "معلّ علّة العلل صفات
العلّة"، فقد ذكرتَ بعضَ الكُتُبَةِ بغير أن تفهّمه، ونسيتَ بعضَ الكُتُبَةِ ولم
تُدركه، ولم تنظر ترتيبَ الكُتُبَةِ وما رسمته في سطورها. وذلك لحدودِ
معروفة، لا يجوز للكاتب أن ينقصَ من سطرٍ أو يزيدَ في سطر. ولو أنني
أردتُ أن لا تخفى معانيها على أحد، لكتبتُها في سطرٍ واحدٍ من أوّل الرقعة
إلى آخرها، لكنني جعلتها في الوسط لأنها ليست من الظاهر ولا من الباطن،
لأنّ اليمين والشمال مضلّتان، والوسطى هي الطريق إلى النجاة، والوصول
إلى غاية الغايات، ونهاية النهايات، وهي عبادة مولانا جلّ ذكره وتوحيده
سبحانه.

فأول أسطر الكُتُبَةِ كان
«تَوَكَّلْتُ عَلَى مَوْلَانَا جَلِّ ذِكْرُهُ»

والثاني

«وَبِهِ أَسْتَعِينُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ»

والثالث

«مُعِلُّ عِلَّةِ الْعِلَلِ»

والرابع

«صِفَاتُ الْعِلَّةِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

فَقُولِي: «تَوَكَّلْتُ عَلَى مَوْلَانَا جَلِّ ذِكْرُهُ»، أردتُ به لاهوتَ مولانا الذي
لا يدرك بوهم، ولا يدخل في الخواطر والفهم؛ ما من العالمين أحد إلا وهو
معهم وهم لا يبصرون. «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ»^(١). وهو
جلّ ذكره أعظم من أن يوصفَ أو يدرك. مَنْ اتَّكَلَ عليه فهو يكفيه جميع
مهمّاته. ولا يقول أحد من جميع العالمين إنّه توكلّ عليه ولم يكفه. ما همّه

سبحانه وتعالى عن أقاويل المشركين وأباطيل الملحدين علواً كبيراً. فلو اتَّكَل عليه حسب توكله لكفاه جميع مهمَّاته، وجبَرَ العالمين على مرضاته، لكنَّه يتوكَّل عليه بلسانه، وقلْبُه يحذر المشركين، ويوري العالم عبادةً، وهو عابد الصنم اللعين. فبهذه الأفعال استحقُّوا العذاب وهم لا يعقلون.

وفي السطر الثاني: «وَبِهِ أَسْتَعِينُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ»، أردتُ به ناسوت الحجاب الذي احتجب عنَّا فيه، والمقام الذي ينطق منه، وهو ما نراه من صورةٍ بشريَّة. فَإِنْ قال قائل: كيف يجوز للباري سبحانه أن يحتجب في بشرٍ وينطق منه، وقد قلتُ إنَّه لا يُدرك، قلنا له: قد اجتمع سائرُ أهل المِلَّة والذِمَّة بأنَّ باري البرايا سبحانه لا يُدرك. وقالوا إنَّه ساكن في السماء، وقد استوى على كرسيِّ العرش، وإنَّه احتجب في شجرةٍ لا تُعقل ولا تفهم، وينطق منها مع موسى ابن عمران، وإنَّه كان يسمع الصوت من الشجرة يقول: يا موسى! ادْنُ مِنِّي واعرفْ قدرِي، فَإِنِّي أنا الله. وكان أيضاً، إذا سمع كلاماً من الشجرة، يقول: قال الله لي كذا وكذا. وإذا سمع كلاماً من الجبل يقول: قال الله لي كذا وكذا. ولم يُنكروا عليه قوله. فنحن أحقُّ وأولى بإجازة الحجة والنطق والقول بأنَّه سبحانه احتجب في شخصٍ ناطقٍ عالمٍ صفيٍّ من أصفِيائِه، وأنَّ خليفته وصفيُّه أحقُّ وأولى بإجازة الحجة والنطق من شجرةٍ يابسةٍ أو حجرٍ أو صنم. فهذه حجة واضحة عقلية لا يقدر الضدُّ على ردِّها بوجهٍ ولا بسبب.

وفي السطر الثالث: «مُعِلُّ عِلَّةِ الْعِلَلِ»، عطفاً على القول «توكَّلت على مولانا جلَّ ذكره». ونحن نبين عنها بالمعلِّ حتى لا تخفى على أحد من العالمين، أو يذهب ذهنُه إلى غير المعنى كما ذهب ذهَنُك إليه. ومثل ذلك قولك توكَّلت على الأمير في حاجتك، والأمير فهو كلام مبهم، لكنَّك ترجع وتفصح عن قولك، وتقول: أمير الأمر؛ فيعلم جميعُ العالمين لمن أعنيت بذلك. وعِلَّة العِلل فهو عبد مولانا جلَّ ذكره، وهو القائم بأمور الحدود لأنَّ الحدود هو

إعلال العالم لأنَّ العالم تحيَّروا فيهم: فأقوام جحدوهم، وأقوام تغالوا في مراتبهم. فجميعهم مرضى القلوب. والحدود أيضاً محيرون في إمام الزمان، فبعضهم يشكُّون فيه وينقصون من منزلته، وبعضهم يتغالوا فيه ويجعلوه المعبودَ الكلِّي. فصار هو علَّتْهم حيث تحيَّروا فيه، واعتلَّتْ أديانهم بسببه. ومن أعطاه حقَّه وأقرَّ له بالإمامة، وجعله عبد مولانا جلَّ ذكره، وأن ليس له حولٌ ولا قوَّةٌ إلا بمولانا جلَّ ذكره، زالتْ عنه الأمراضُ الدنيويَّة الحقيقية التي منها تكون الموتةُ الأبديةُ. ومولانا سبحانه معلِّ هذه العلَّة، أي مبدعُها ومبديها والقادر عليهم وعليها.

وفي السطر الرابع: «صِفَاتُ الْعِلَّةِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، وهم صفات هذه العلَّة المذكورة الذي هو الإمام، وهي في آخر الكتبة، لأنَّ «بسم الله» سبعة أحرف، دليل على سبعة دعاة أصحاب الأقاليم السبعة. و«الرحمن الرحيم» إثنتشر حرفاً، دليل على إثنتشر داعياً أصحاب الإثنتشر جزيرة، وأيضاً دليل على سبعة أفلاك، وإثنتشر برجاً. وهم كلُّهم موجودون في عصر مولانا جلَّ ذكره مستخدمون تحت أمر هذا الإمام ومن قبله، فصاروا صفاته، حيث يُقال: هذا داعي فلان، ومن أصحاب فلان، فصاروا صفاته بهذا السبب، وهم حروف بسم الله الرحم الرحيم. فبهذا الوجه قلتُ في رابع السطور «صفات العلَّة»، أي حدود الإمام بسم الله الرحمن الرحيم. أي هؤلاء الدعاة إلى توحيد مولانا جلَّتْ قدرته، معلِّ الكلِّ ومبدعهم ومبديهم بلا شبه ولا شكل ولا نظير. يفعل ما يشاء كيف يشاء متى يشاء، بلا اعتراضٍ عليه، وهو العليُّ الأعلى بلا بداية ولا نهاية. سبحانه وتعالى عما يصفون.

ألباب الثالث: أمّا قولك: وما سطرته في رقعتك بأنّ العلة إشارة إلى السابق في كلّ عصر وزمان، وهو موجود في العالم، وهو علة لا تدركها الأوهام بالتفكير، ولا تختلف عليه الأزمنة بالتغيير، ولا تصفه الألسن بالتعبير، مبدع من العقل والحسّ والوهم. والذي جمع ذلك! أعلم أنّ هناك علة علم لا غير، لا ذات نطق ولا سمع، كما ادّعاها من ادّعاها، ولا شخص وقع عليه عيان، كما حكاها من حكاها، ولا أحاطة بتحقيق مكان كما سطره من سطره.

إعلم أيّدك المولى بمعاونته أنّ جميع ما ذكرته فهو من خرافات الشيوخ المتقدمين، وما دلّسوه على المستجيبين وستروه عن الموحدين، وبنيت قولك على ما رأيت في كتب الفلاسفة الملحدة، والمنطقيّة المشتركة، لأنّهم لم يعرفوا العلة، وما معلّها، فأشاروا إلى الأفلاك والطبائع، وجعلوا علة الأشياء ومكوّنها خامس الطبائع، الذي هو داخل فيهم خارج منهم، لأنّ الطبائع كلّها من قوّة الخامس تكوّنت، وهو هيولي الكلّ، وأصلهم خارج من عددهم، داخل في جميع أفعالهم، لا يقع عليه حرارة ولا برودة ولا يبوسة ولا رطوبة.

فبهذا السبب جعلوا له القدرة والخلق وقالوا بأنّ العلة التي لا نهاية لها وهو على كلّ شيء قدير. وهذا إيمان ممزوّج بالكفر، وتوحيد موشّع بالشرك، وحكمة قد علاها الجهل، لأنّ كلّ شيء وقع عليه إسم العلة لا بدّ لها من عالٍ يُعلّها ويكوّنها. فإنّ كانوا أصابوا بقولهم إنّها علة، فقد أخطأوا بقولهم إنّها علة العلل، وأشركوا بالمولى جلّ ذكره؛ لأنّ خامس الطبائع الذي هو هيولى الطبائع الأربعة التي منها تكوّنت الأفلاك السبعة.

والأمّهات والإستقصاصات من الأرض صعودها، ومنها مادّتها، فصارت الأرض علة لتيّك العلة التي أشاروا إليها كلّهم. فالقرار الأكبر ومعدن كلّ فخر الأرض، والأرض زبد الماء، والماء حياتها وحياة من عليها،

والماء فهو مُنْبَعٌ من جبل المشيئة، والمشيئة انبجست من الإرادة. كما قال: «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كُنْ فيكون». فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء، وإليه تُرجعون»^(٢).

والإرادة فهو علة العلل، هو العقل الكلّي، وهو القلم، وهو القاف، وهو القضاء، وهو الألف بالابتداء، وهو الألف بالانتهاء. فقد بطل ما قالته الفلاسفة وما اعتقدوه في هؤلاء الجمادات التي لا عقل لها ولا تمييز.

ومثل الأفلاك كمثل الطواحين والنواعير التي لا عقل لها ولا تمييز. تطرح قُدَّامَ الطاحونِ الدقيقَ كُلَّهُ ولا تدري، وإلى حوالها الغبار ولا تدري. وكذلك الناعورة تُروى موضعاً من الأرض ولا تدري، وتشرق موضعاً من الأرض وهي لا تدري. فلا للدابة عقل، ولا للآلة عقل. والبقارُ خامس الطبائع، لأن البقار ليس هو من الدابة ولا من الآلة، وصنعتُه وتدبيرُه داخل فيهم خارج منهم. لكن البقار أيضاً قريبٌ إلى البهيمة. أو كالنعار الذي لا روح فيه، لأن عقله على قدر همته، وعلى ما تربى عليه طبعه. فهو علة هذه الناعورة، لكنّه ليس كعلة العلل. ولو أخرج البقار من تيك الصنعة التي دبّرها إلى غيرها، لما عرفها وبقي متحيراً فيها.

وكذلك الأفلاك التي طبعها السعادات لا يقدرّون على النحوس في أوقات أوقات السعود، وأصحاب النحوس لا يقدرّون على السعود في أوقات النحوس. وهو أعني الطبع الخامس لا يقدر يغيّر هؤلاء الأفلاك فيقدرّ على الذي يدور دولابياً يدور رُحَاوياً، لا الذي يصعد بالنهار يصعد بالليل، ولا الذي يصعد في الصيف يصعد في الشتاء. فقد بان عجز الكلّ منهم وأنّ لهم علةً أخرى أقوى منهم، ورأيانهم يخدمون البشر مستخدمين لهم في العلو والسفل.

فعلمنا بأن آدم الصفاء الكلي هو علّة العلل، ينتقل من صورة إلى صورة، كما يشاء معلّها، مولانا الحاكمُ الأحد، الفردُ الصمد، المنزّه عن صاحبة والولد. فعلة العلل حاضر في كلّ زمان، موجودٌ في كلّ أوان، وهو عبدٌ مأمور. فكيف يجوز لك، أو لأحدٍ من جميع العالمين أن يقول إنّه لا تدركه الأوهام بالتفكير، ولا تختلف عليه الأزمنة بالتغيير، ولا تصفه الألسن بالتعبير! وقد شهدت له بأنّه مخلوق، وهذه صفة الخالق. وكلُّ مخلوق مدروك، وكلُّ مدروك يُرى ويُشاهد بالعيان. وكيف أنّك ثبتت وأوضحت في قولك إنّه مدروك لأنك قلت إنّه خلُق من العقل والحسّ والوهم، ومن كان خلُق العقل فهو يُدرَك بالعقل. وكلُّهم مخلوقون مدروكون.

ثمّ إنك قلت: إنّ هذه العلّة هو السابق في كلّ عصر وزمان، ولا يجوز أن يقال لشيء سابق الأشياء غير من لا يكون فوقه مخلوق. وأنت قد قلت إنّ العقل فوقه. فكان العقل أحقّ بالسبق من مسبوقة؛ ثمّ بعده الحسّ؛ ثمّ بعده الوهم، كما نزلته أنت في نسق كلامك. وكيف يجوز لك أن تعتقد بأنّ السابق ليس بذاتٍ نطقٍ ولا سمعٍ ولا شخصٍ يقع عليه العيان! وقد شهدت له بالسبق. فإن كنت شهدت له بالسبق على غير عيان فقد شهدت بما لا تعرف. وهي شهادة زور. وإن شهدت بغير إحاطة فهو من المحال، لأنّه لا يجوز لك الشهادة على ما لا تحوط به. وإن شهدت له بعقلك فقد أدركته وحاط به قلبك، فهو مخلوق مدروك. وإن قلت بأنّي شهدت بما رأيت من علاماته للعالم ضرورة لا إثبات حقيقة، فقد أشركته بالعال لها وباريها الذي كونهها. وكيف إنك لا تقدر تقول هذا بعد أن جعلت فوقها العقل والحسّ والوهم، والكلّ خلُق العالّ العليّ الأعلى الحاكم على أهل الأرض والسماء. سبحانه وتعالى عن الضدّ والندّ والشبه علواً كبيراً.

إعلم أيّدك المولى بطاعته أنّ الأفلاك السبعة وهم حروف «بسم الله» دليل على سبعة دعاة أصحاب الأقاليم السبعة، والبروج الإثني عشر وهم

«الرحمن الرحيم» دليل على أصحاب الإثنت عشر جزيرة. هم حقائق الطبائع الأربعة لأن في أيديهن الطبائع الدينية، وهم علم الناطق والأساس والإمام والحجة. والطبع الخامس الذي هو الهولي دليل على التالي. والكل من الأرض، والأرض دليل على السابق. والأرض زبد الماء، والماء دليل على الكلمة العليا. والماء انبعث من المشية والمشيّة دليل على النفس الكلية. والمشيّة خلق العقل وهو الإرادة، وهو علّة العلل. وكل واحد منهم علّة لصاحبه. فبعض الناس ينقصون من درجاتهم، وبعضهم يزيدون في فضيلتهم. فيعتلّ دينهم بسبب هؤلاء الحدود.

وشطنيل الحكيم هو الإمام العظيم، ظاهراً في كلّ زمان، هادياً في كلّ أوان. وهو علّتهم لأنهم إن شكّوا فيه فقد كفّروا واعتلّت أديانهم إلى الأبد إلا أن يتوب عليهم فهو الغفّار الرحيم.

وجميع هؤلاء الحدود الذين ذكرتهم مشخّصون في وقتنا هذا في حضرة مولانا الحاكم سبحانه وتعالى، عالّ الكلّ ومبدعهم ومصوّرهم. وهو سبحانه منزّه عن الكلّ.

وجميع ما في القرآن والصحف وما نزّله على قلبي من البيان ومن الأسماء الرفيعة فهو يقع على عبده الإمام، لكن بحسب طاقة العالم وما يتّسع في خواطرهم، وتستطيع عليه ألسنتهم، قلنا إنّه المولى العليّ، لأنهم لم يعرفوا شيئاً أعلا منه، ونحن لا ندرك بعض ناسوته. ولا هوته لا يدخل في الأوهام والخواطر، ولا يُعرف بالباطن والظاهر، الحاكم الأحد، ألفرد الصمد، المنزّه عن الصاحبة والولد. سبحانه وتعالى عمّا يصفون ويعتقدون فيه الملحدون، ويتقولون المشركون علواً كبيراً.

رسائل المحكمة

الجزء الثاني

الرسالة الدامغة للناسق

الرد على النصيري
لعنة المولى في كل كُود ودود

من وضع حمزة من دون تاريخ. يرد فيها على كتاب «الحقائق وكشف المحجوب»، ألفه أحد النصيرية، ونسبه إلى الدروز الموحدين. في رد حمزة، تعاليم واضحة في شرف المرأة، وفي التقمص، والتقية، والتجلي الإلهي. وهي موضوعات طعن النصيري فيها بالدرزية. ومن الرد نتعرف على بعض تعاليم النصيرية السرية الخطيرة.

توكلت على مولانا البارّ العليّ سبحانه.

أما بعد أيّدكم المولى بتأييده، إنه ورد إليّ كتاب ألفه بعض النصيرية الكافرين بمولانا جلّ ذكره، المشركين به الكاذبين عليه، الغاوي للمؤمنين والمؤمنات، الطالب الشهوات البهيمية، وبرازة الطبيعية، ودينه دين النصيرية الدنية. فعليه وعليهم لعنة مولانا سبحانه ولعنة الخنازير العابدين لإبليس وحزبه. وسماه: كتاب الحقائق وكشف المحجوب. فمن قبل كتابه عبد إبليس واعتقد التناسخ وحلّ الفروج واستحلّ الكذب والبهتان. ونسبه إلى الموحدين الحقيقية.

وحاشا دينُ مولانا جلَّ وعزَّ من المنكرات. وحاشا الموحدين من الفاحشات. وحاشا لعبيد مولانا سبحانه أن يُنسب إليهم شيءٌ من الشهوات البهيمية الدنيّة، والأقاويل الشّركيّة. فمولانا سبحانه «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ»^(١)، و«يُجَازِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ»^(٢). فلَمَّا قرأته وَجَبَ عليّ الاحتياطُ عليكم معشر الإخوان والحفَظُ لأديانكم، فكتبتُ هذه الرسالة ردّاً على ما ألفه هذا الفاسقُ النُصيريُّ، لعنه المولى، كيلا يدخلَ في أديانكم شبهةٌ، ولا يقع عليكم تهمةٌ.

فالحذرُ الحذرُ معشرَ المؤمنين! أن تَنظُرَ واحدةً منكم إلى رجلٍ مؤمنٍ أو مخالفٍ إلاّ بالعين التي تَنظُرُ بها إلى ابنِها أو أبيها. وتطلبُ كلُّ واحدةٍ منكم خلاصَ روحها بمعرفةِ مولانا جلَّ ذكره. وتعلّمُ كلُّ واحدةٍ منكم أن مولانا جلَّ ذكره وعزَّ اسمه ولا معبود سواه يراها حيثُ كانت، وفي أيِّ حالةٍ كانت. وأنتن تعلمن أن إحداثكن تستحي من جارتها وتفزع من جارها إذا كانت في حالةٍ منكورة، فكيف من لا تخفى عنه خافية، لا في سرٍّ ولا إعلانيّة، سبحانه وتعالى عما يقولون المشركون علواً كبيراً.

فنعوذ بمولانا من سخطه وعذابه، نتبرأ من كلِّ من خالف توحيد مولانا سبحانه وجلَّ ذكره، ولم يرو من شرّابه. فعليكن معاشر المؤمنين بمعرفة مولانا جلَّ ذكره والإقرار بوحدانيّته، والاعتراف بصمدانيّته. ولا تعبّدون غيره ولا تُقرّون بسواه في كلِّ عصر وزمان، ودهر وأوان. ولا تلتفتُ واحدةً منكم إلى ورائها، ولا تتعلّق بمن مضى في الأدوار، ولا بما اندرس من الشرائع والأعصار. وليس يلزمكن غير طاعة مولانا جلَّ ذكره وتوحيده، والقبول من حدوده، وحفظ فروجكن، إلاّ لبعولتكن.

(١) سورة غافر ٤٠/١٩.

(٢) سورة الجاثية ٤٥/٢٢.

وتعرف كل واحدة منكم بأن جميع من مضى ووقع عليه الاسم والصفة، مثل السابق والتالي والجد والفتح والخيال والناطق والأساس والإمام والحجة والداعي. كلهم عبيد لمولانا جل ذكره موجودون في عصرنا هذا مشخصون. وكذلك أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم موجودون معنا.

فعليكن بمعرفة المعبود الموجود مولانا سبحانه، والتبري من الأضداد الموجودين معنا، حتى لا تحتاج واحدة منكم تلتفت إلى ورائها لا إلى ولي ولا إلى ضد، ولا تعتقد بأن مولانا جل ذكره الإمام، بل الإمام عبده ومملوكه لا يقدر على دفع مضرة ولا جر منفعة، إلا بقوة مولانا جل ذكره. ومولانا منزّه عن الأسماء والصفات والإزدواجات سبحانه وتعالى عن أقاويل المشركين، وأباطيل الملحدين علواً كبيراً.

فأول ما قال هذا الفاسق النصيري، لعنه المولى، بأن جميع ما حرّموه من القتل والسرقة والكذب والبهتان والزنا واللياقة فهو مطلق للعارف والعارفة بمولانا جل ذكره.

فقد كذب بالتنزيل والتأويل، وحرّف وما جاز له أن يسرق مال الناس، ولا وسعة له في الدين أن يكذب إذ كان أصل دينه الكذب، وأصل الكفر والشرك. والصدق من الإيمان كالرأس من الجسد. والقتل فما يستحسنه أحد إلا أن يكون كافراً بنعمة مولانا مشركاً به غيره.

وأما قوله إنّه يجب على المؤمن أن لا يمنع أخاه من ماله ولا من جاهه، وأن يظهر لأخيه المؤمن عياله، ولا يعترض عليهم فيما يجري بينهم وإلا فلا يتم إيمانه.

فقد كذب لعنة الله وسرق الأول من مجالس الحكمة، بقوله: لا يمنع أخاه من ماله ولا من جاهه. ويستتر بذلك على كفره وكذبه. وإلا فمن لا يغار على عياله فليس بمؤمن، بل هو خرّمٍ طالب الراحة والإباحة، راكب هواه

وضلالته؛ إذ كان الجماع ليس هو من الدين ولا ينتسب إلى التوحيد، إلا أن يكون جماع الحقيقة وهو المفاتحة بالحكمة بعد أن يكون مطلقاً للكلام مؤيداً بالحكمة الحقيقية.

وأما قوله بأن يجب على المؤمنة لا تمنع أخاها فرجها وأن تبذل فرجها له مباحاً حيث يشاء، وأنه لا يتم نكاح الباطن إلا بنكاح الظاهر، ونسبه إلى توحيد مولانا جلّ ذكره.

فقد كذب على مولانا عزّ اسمه، وأشرك به وألحد فيه، وحرّف مقالة أوليائه الموحدين. فعليه وعلى من يعتقده لعنة اليهود والنصارى والمجوس. فطلب هذا الفاسق التهمة في أبدانكن، والفساد في أديانكن. ولو نظرتن معاشر الموحّدات في الأديان المضلّة لبانت لكنّ الحقائق، وامتنعتن عن الشّهوات والبوائق، وتفكرتن في المجالس الباطنية التأويلية.

وأما وسائل^(٣) مولانا جلّ ذكره فما منهم أحد طلب من النساء مناكحة الظاهر، ولا ذكر بأنه لا يتم لكنّ ما تسمعه إلا بملامسة الظاهر. فعلمنا بأنه لم يكن لهذا الفاسق النصيري، لعنة المولى عليه، بغية غير الفساد في دين مولانا جلّ ذكره ودين المؤمنين. ودين مولانا لا يفسد أبداً، لكنّه طلب الشهوة البهيمية التي لا ينتفع بها في الدين ولا في الدنيا بل تضر. وإنّما هي شهوة ركبت من الطبائع الأربعة في سائر الحيوان. فمن اختارها على دينه كان أشر من الحمار والبقر. كما قال: «إنّهم إلا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً»^(٤). فمن نهى نفسه عن الشهوات البهيمية كان أفضل من الملائكة المقربين.

(٣) الوسائل هم الحدود الخمسة.

(٤) سورة الفرقان ٢٥/٤٤.

والدليل على إبطال قول هذا الفاسق بأن الجامعة الظاهرة تزيد في الدين، وأنه لا يتم هذا إلا بهذا.

فقد كذب. فإنه لو أن رجلاً مؤمناً موحدًا عارفًا عاش مائة سنة ولم يتزوج حلالاً، ولم يعرف حراماً، لم ينقص ذلك من منزلته في الدين شيئاً. وكذلك لو أن امرأة مؤمنة موحدة عارفة بدين مولانا جل ذكره وتعبده حق عبادته وعاشت مائة سنة ولم تتزوج وماتت بكرًا لم ينقص ذلك من دينها شيئاً. ولو كان رجل كافر وامرأة كافرة، وهما جميعاً يتناكحان ليلاً ونهاراً ويتناسلان، لم ينفعهما ذلك ولا ينجيهما من العذاب. فعلمنا بأن جميع ما قاله هذا الفاسق التصيرى محال وزور.

وأما قوله: ألويل كل الويل على مؤمنة تمنع أخاها فرجها، لأن الفرج مثل أئمة الكفر؛ والإحليل إذا دخل فرج المرأة دليل على الباطن. وممثوله على مكاسرة أهل الظاهر وأئمة الكفر. والحرام على من تكلم غير المستحق فهو الزنى؛ ومن عرف الباطن فقد رفع عنه الظاهر.

فقد كذب على دين مولانا وحرّف وأغوى المؤمنين وأفسد المؤمنات المحصنات. وليس كل من عرف باطن شيء وجب عليه ترك ظاهره. وفي الأشياء ما لا يجب ترك ظاهره ولو علم تأويله على سبعين وجهاً. منها الطهارة وباطنها البراءة من الأبالسة. وطهارة قلوبكم من محبتهم والاتصال بالإمام^(٥).

ولا يجوز لأحد ولا يستحسنه عاقل إذا عرف باطن الطهارة إنه يدخل الخلاء ويبول ويتغوط، ويخرج من الخلاء ولا يغسل قبله ولا دبره، ولا يغسل وجهه، ويتمضمض ويتنشق ويقول بأنه قد عرف. فإذا ترك

(٥) المقصود من «محبتهم» محبة الحدود الخمسة التي هي سبب كل طهر.

ظاهرها يتوسخ جسمه، وتنتن رائحته، ويقع عليه اسم النجاسة. بل يجب على مَنْ عرف الباطن أن يزيد في طهره ونظافة بدنه، إذ كان هو رسماً مليحاً يستحسن ظاهرها وباطنها.

وكذلك أيُّ رجلٍ عرف باطن ثوبه ولُبْسِه -وهو التقية والسترة وإقامة الشريعة مع أهلها واللطف بهم- ثمَّ إنَّه ينزع ثوبه وسرباله ويرميها ويمشي في الأسواق عرياناً، قيل إنَّه مجنون، وقد خرج من المروءة، وترك الفتوة، برمي ثيابه وهتك عورته. وكذلك مَنْ عرف باطن الزنى لا يجوز له ارتكاب ظاهره، فيقع عليه اسم القبيح والعداوة بين الإخوان ومسيبته.

فالحذر الحذر معاشر المؤمنين أن تفسدن أديانكن بما ليس لكن فيه فائدة، لا في الدنيا ولا في الآخرة. وكلُّ رجلٍ يَنكحُ امرأةً مؤمنة بغير الشروط التي تجب عليه في الحقيقة والشريعة الروحانية كان منافقاً على مولانا جلّ ذكره، إذ كان فيه هتكُ الدين وهدمُ التوحيد. فنعوذ بمولانا جلّ ذكره من ذلك ونبرأ إليه من كلِّ مَنْ يعتقده. ومَنْ كانت لها بعلٌ فلا شروط لها إلا لبعلها، أو تَبَيَّنْ منه وترجع في الرتبة إلى غيره.

وأنا أذكر لكم الشروط التي تجب عليكم في «الكتاب الموسوم بالشريعة الروحانية في علم اللطيف والبسيط والكتيف»^(٦)، ونُبَيِّنْ لكم ولجميع المؤمنين والموحدين والموحّدات ما يجب عليكم في الشريعة من أولها إلى آخرها، والغرض فيها، إن شاء مولانا جلّ ذكره وبه أستعين في جميع الأمور، حتّى تكون جميع شروطكم وكلامكم ومخاطبة بعضكم لبعضٍ والتهنئة والتعزية وما تكتبونه في رقاعكم إلى الحضرة المقدسة بخلاف ما

(٦) كتاب لحمزة لا يزال موجوداً؛ ولكنّه لا يُحسَب من مجموعة «الحكمة».

يكون للعامّة الحشويّة الظاهريّة والمشرّكين المتعلّقين بكتب التأوليّة، العابدين للعدم بغير معرفة ولا رويّة. ثمّ إنّ لا فرق بينهم وبين من عبد الصنم والشمس والقمر، وتكونوا من العالين الموحّدين لمولانا جلّ ذكره، الموجود في كلّ عصر وزمان، سبحانه وتعالى عن إدراك الوصف علوّاً كبيراً.

وأما قوله الفاسق النّصيريّ لعنه المولى إنّّه قد كشف لكم المحجوب أعني التوحيد،

فقد كذب في قوله لأنّه كشف عن الكفر وأظهره، وبين الشرك واعتقده، واختار أشرّ الطرقات وأنّتها. ونطق بما نعيذ المولى منه سرّاً وجهراً، بقوله في كتابه بأنّ مولانا هو الرّوح الزكيّة الذي قيل في القرآن «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي»^(٧).

وإنّ مولانا جلّ وعزّ عن ذلك مصوّر الإنسان في بطن أمّه عند الجماع. وهذا ما لا يستحسنه يهوديّ في حبر من أحباره، ولا نصرانيّ في أسقفه.

وأنا أجلّ عبداً من عبيد مولانا جلّ ذكره أن يكون مصوّر الخلق في بطون الأمّهات، وأن يحصل عند الجامعة، ويُشاهد التصوير في بطون الأمّهات. والتصوير من الأفلاك وطبائعها الأربعة. والأفلاك هنّ جمادات لا عقل لها.

ومثل ما يتصوّر الإنسان في بطن أمّه ويصير له حسّ ونموّ، وتمييز الأكل والشرب، ومعرفة الأمّ والأب، وهم من آبائه، العقل الطبيعيّ. كذلك يتصوّر الكلب والقرد والخنزير وجميع الحيوان والوحش.

ومن الحيوان مَنْ يكسب من العقل أكثر من الإنسان مثل الحمام الذي تُدرّجُه من مرحلة إلى مرحلة مرّة واحدة، ثمَّ إِنَّكَ تُسَيِّبُه من مسيرة عشرين يوماً، فيرجع إلى وكرِه في يومٍ واحد. ومن بني آدم مَنْ تعلّمه كلمة واحدة تؤوّل إلى صلاحه ونجاة روحه ألف مرّة فلا يفهم. ومنهم مَنْ تتعب معه فلا يتعلّم.

ومن الحيوان مَنْ هو أكثر نموّاً وأكثر حسّاً من بني آدم، مثل الفيل والجمل والفرس والبغل. فعلمنا أنّ الصور كلّها من نُطفة الذكر وحرارة الرّحم وتأثيرات الأفلاك. والقوّة من الطبائع لتدبير الجنين. وليس التصوير في ساعة النّكاح، كما قال هذا الفاسق النّصيري ونسبه إلى مولانا جلّ ذكره. والنّطفة تُقيم في الرّحم يوماً وحداً، ثمّ تصير دماً. ولم تزل تتغيّر من حالٍ إلى حال إلى أن تصير خلُقاً سويّاً من الطبائع. وكذلك البيضة تحضنّها الدجاجة فيتكوّن من البيضة مثلُ التي تحضنّها سوى.

وهناك أعظم من هذا مثلُ الخنفس والعقرب والدّود والنمل وما شاكل ذلك من غير نُطفة ذكرٍ ولا حرارة رحم. بل تتكوّن من الطبائع والجمادات.

فعلمنا أنّ هذا الخلق والتصوير لا ينتسب إلى مولانا جلّ ذكره ولا إلى عبّيده الدينيّة. بل ينتسب إلى عبّيده التصويرات الروحانية، وخلقهم الحقيقيّة، كما قال: صنّعه الله ومَنْ أحسن من الله صنّعه^(٨). والله هاهنا هو الداعي، وصنّعه أهل الظاهر، وتغيّيرهم إلى التّأويل والباطن. ومَنْ صنع شيئاً فقد خلقه. كما قال المسيح: «مَنْ لَمْ يَلِدْ من بطنِ أمّه مرتّين، لم يبلغ ملكوت السموات ومعرفة الأرضين»^(٩)، أعني الولادة الدينيّة ومعرفة النطقاء والأسس. وكذلك قال الناطق: "أنا وعلي أبوا المؤمنين". أراد ظاهراً وباطناً.

(٨) سورة البقرة ٢/١٢٨. في الأصل: «صبغة الله ... صبغة».

(٩) إنجيل القديس يوحنا ٣/٣-٥، بتصرف كلي والمقصود هو المعنى.

وهذا الخلقُ والتصويرُ لعبيد مولانا الدعاة إلى التوحيد، ومولانا جلَّ وعزَّ لا يدخل في الأعداد، ولا يعدُّ في الأحاد. إذ كانت الأعداد والآحاد والأزواج والابتداء والانتهاه كلها منه بدتُ وإليه تعود، سبحانه وتعالى عما يشركون.

وأما قوله بأنَّ أرواحَ النواصبِ والأضداد ترجع في الكلاب والقردة والخنازير إلى أن ترجع في الحديد وتُحمى وتُضرب بالمطرقة. وبعضهم في الطير والبوم. وبعضهم ترجع إلى المرأة التي تتكل ولدها.

فقد كذب على مولانا جلَّ ذكره وأتى بالبهتان العظيم. فلا يدخل في المعقول، ولا يجب في عدل مولانا سبحانه، بأن يعصيه رجلٌ عاقل لبيب، فيعاقبه في صورة كلب أو خنزير، وهم لا يعقلون ما كانوا عليه في الصورة البشرية، ولا يعرفون ما جنَّوه، ويصير حديداً يُحمى ويضرب بالمطرقة! فأين تكون الحكمة في ذلك والعدل فيهم؟ وإنما تكون الحكمة في عذاب رجلٍ يفهم ويعرف العذاب فيكون مآدبه له وسبباً لتوبته.

وأما العذاب الواقع بالإنسان نقلته من درجة عالية إلى درجة دونها في الدِّين، وقلته معيشته، وعمى قلبه في دينه ودنياه. وكذلك نقلته من قميصٍ إلى قميصٍ على هذا الترتيب. وكذلك الجزاء في الثواب ما دام في قميصه، فهو زيادةً درجته في العلوم، وارتفاعه من درجة إلى درجة في اللّهوات^(١٠)، إلى أن يبلغ إلى حدِّ المكاسرة، ويزيد في ماله، وينبسط في الدِّين من درجة إلى درجة إلى أن يبلغ إلى حدِّ الإمامة.

فهذه أرواح الباطنية وثوابها. وما تقدّم أرواح الأضداد وعقابها. فمن اعتقد هذا كان عالماً بتوحيد مولانا جلَّ ذكره. والعمل الصالح مع

(١٠) اللّهوات جمع لهات هي الهنة المطبقة في أقصى سقف الفم. تعني هنا التكرار في الاقصة.

الإخوان يُنتفع به ويُثاب عليه عاجلاً وأجلاً. ويُخشى من عقاب مولانا جلّ ذكره عاجلاً وأجلاً. ويعمل الحسنات ويتجنّب السيئات. ومَن اعتقد التناسخ مثل النصيرية المعنوية في عليّ بن أبي طالب وعبدّه، خسر الدنيا والآخرة. ذلك هو الخسران المبين.

وأما قوله إنّ المشركين هم النّواصب الذين يُشركون بين أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ،

فقد كذب وأبطل في قوله، وإن كان هذا هو الشرك فقد رضي عليّ بذلك، وباع أبا بكر وعمر وعثمان. وهم يروون عن عليّ بأنّه ضرب على خُفّه فمات عشرون ألف رجلٍ من أهل النهروان. ومَن كانت هذه صفته لا يدخل تحت العجز، فعلمنا بأنّه رضي به ومحمّد نصّبهم معه.

وقد اتّفقت الشيوخ المتقدّمون بأنّ الأساس زوجُ الناطق وشكله وشريكه في علم الباطن. وقد قال الناطق بأنّ الشرك هو خفيّ لا يُبين، كما لا يُبين دبيب النملة السوداء على المسح الأسود في اللّيلة الظلماء. فصحّ عندنا بأنّ الشرك بخلاف ما قاله هذا الفاسق النصيريّ.

ثمّ إنّّه إذا ذكّر عليّاً يقول: عليّنا سلامه ورحمته. وإذا ذكر مولانا جلّ ذكره يقول: عليّنا سلامه. فيطلبُ الرحمة من المفقود المعدوم، ويجحد الموجود الحاكم بذاته، المنفرد عن مبدعاته. ولا يكون في الكفر أعظم من هذا. فصحّ عند الموحّد العارف بأنّ الشرك الذي لا يُغفر أبداً بأنّ يُشرك بين علي بن أبي طالب وبين مولانا جلّ ذكره.

ويقول: عليّ مولانا الموجود، ومولانا هو عليّ لا فرق بينهما.

والكفر ما اعتقده هذا الفاسق من العبادة في عليّ بن أبي طالب، والجحود لمولانا جلّ ذكره. والناطق والوصيّ والإمام والحجّة كلهم عبيدٌ

لمولانا جلّ ذكره في كلّ عصر وزمان. ومولانا مؤيّدهم سبحانه وحده لا شريك له.

وأما قوله بأنّ محمّد بن عبد الله هو الحجاب الأعظم الذي ظهر لمولانا الحاكم منه. ومن لم يصدّق بهذا الكتاب فهو من أصحاب هامان والشیطان وإبليس، وعميت بصائرهم التي في صدورهم.

فقد كذب في جميع ما قاله المنجوس النّصيريّ، فما عرف الدّین ولا الحجاب. ومحمد كان حجاب عليّ بن أبي طالب. وأما حجاب مولانا جلّ ذكره فلا. وهذا قول من عقله سخيّف، ودينه ضعيف. والحجاب هو سترة الشيء ليس إظهاره. والذي أظهر المولى جلّ اسمه نفسه منه كيف يشاء بلا اعتراض عليه، يُقال له حجة القائم وهو المهدي. وبه دعا الخلق بنفسه إلى نفسه، وباشر العبيد بالصورة المرئية، ومخاطبة البشريّة. وكنه مولانا لا تدركه الأوهام والخواطر، إذ كان العالمين لا يستطيعون النظر إلى كليّته. ولا يدركون وصفه سبحانه وتعالى عمّا يقولون المشركون علواً كبيراً.

وأما إبليس وهامان والشیطان فقد أخطأ حزره وقياسه فيهم، ونطق برأيه، وطلب الشهوة البهيمية، لأنّه أراد بإبليس وهامان والشیطان أبا بكر التيمي وعمر العدويّ وعثمان الأموي. وذكر أنّ «الخمّر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه»^(١١). وإنّما ذكر أربعة أشخاص في نسق واحد ليس ثلاثة. ثم استثنى بالخامس. ونسب هؤلاء الأربعة إليه، بقوله «رجس من عمل الشيطان». فصاروا أولئك الأربعة من قبل الشيطان. فصار هو أجلّ منهم وأعلى؛ لأنّ العمل هو الصنعة. والصانع هو المصوّر، والمصوّر هو الخالق. والخلق خلقان كما تقدّم ذكره.

فخلقَ البشريَّةَ من نُطفة الذكر وحرارة الرحم وطبائع الأفلاك.
وخلقَ الحقيقةَ الدينيَّةَ من كلام المفيد واستماع المستفيد، وقبوله بعقله،
فيصير مستجيباً بالغاً، فينصبه حذاً من حدوده، فصار خلقاً سوياً. فيقال
هذا الرجل من صنعة فلان يعني من خلقه.

فصاروا أولئك الأشخاص الأربعة شرعاً سوى. والواحد رئيسهم.
وشيطانهم الذي شاط على حقيقتيَّة التوحيد وعانده ومرق عن الحق وباعده،
وجد مولانا وضاده فعليه وعليهم سخط مولانا وأبعدهم بالاجساد. وأمَّا
القلوب فمتباعدون عنه.

فصحَّ عندكم معاشرَ المؤمنين والمؤمنات الطاهرات بأنَّ هذا الفاسق
النُّصيريَّ ما عرف مولانا جلَّ ذكره، ولا عرف إبليس ولا الشَّيطان، فعبد
إبليس ووحدَه بجهله وجد مولانا ونعمته، فنعوذ بمولانا جلَّ ذكره من
الشكِّ فيه والشرك معه والكفر به. ومولانا وحدَه لا شريك له في
الجسمانيَّين، ولا في الجرمانيَّين، ولا في الروحانيَّين، ولا في النفسانيَّين،
ولا في النورانيَّين. سبحانه وتعالى علواً كبيراً. وتنزَّه عن الصفات.

فالحذر الحذر معاشرَ المؤمنين والمؤمنات من ارتكاب الأهواء
والفواحش والشهوات البهيميَّة وأتباع المنكرات، وعليكم بمعرفة مولانا جلَّ
ذكره الحاكم بذاته، المنفرد عن مبدعاته، ومعرفة وليِّه وحدوده التوحيدية،
والقبول منهم فيما يرضاه مولانا جلَّ ذكره. وأعبُدوه عبادة كُليَّة دون غيره
من جميع مَنْ تقدَّم من النطقاء والأوصياء والأئمة والحجج والدعاة. فكلُّهم
عبده.

فاسمعوا وأطيعوا ما أمركم به عبدُ مولانا جلَّ ذكره وصفيَّه هادي
المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا سبحانه وشدة سلطانه. فقد

اقتربت الساعة وانشق القمر. ودَعَوْتُكُمْ إِلَى شَيْءٍ نُكِّرُ^(١٢)، وهو توحيد مولانا جَلَّ ذِكْرُهُ. فقد ظهر المستور، وبيَّنْتُ لَكُمْ مَا فِي الصُّدُورِ، ونَشَرْتُ لَكُمْ مَا فِي الْقُبُورِ.

ومولانا بكم لَخِير. والسلام على المؤمنين والمؤمنات والموحِّدين لمولانا جَلَّ ذِكْرُهُ والموحِّدات. والحمد والشكر لمولانا وحده. وهو حسبنا ونعم النصير المعين.

تَمَّتْ الرِّسَالَةُ وَالسَّلَامُ.

الرسالة الموسومة بالرضى والتسليم

إلى كافة الموحدين، وإلى جميع من شك في مولانا جل ذكره
وفي وليه قائم الزمان عليه السلام

وضع هذه الرسالة حمزة بن علي سنة ٤١٠ هـ. فيها يثبت الوهية الحاكم،
وأنة الإمام الأوحده، وقد جاء ليقضي على جميع النطقاء والشرائع، ليكسر
الصليب، ويقتل الخنزير، ويهدم المنازل، أي شريعتي الظاهر والباطن. في
الرسالة لمحة واضحة عن موقف حمزة من الدرزي والبرذعي اللذين تجبراً
وتكبراً ورفضاً الطاعة للإمام الأوحده الذي هو حمزة.

من عبد مولانا سبحانه قدرة مولانا وتعالى لاهوته. لما رأى من أمور
المستجيبين بخلاف ما شرطه عليهم من الوصايا في الرضى والتسليم
لمولانا جل ذكره وعز اسمه ولا معبود سواه، فكتب إلهيم كتاباً يكون
صلاحهم في قراءته إن شاء مولانا جل ذكره وبه التوفيق في جميع الأمور.
وهذه نسخته حرفاً حرفاً. فإن أراد مولانا سبحانه بهم خيراً فهم الفائزون
في الدين والدنيا، وإن أراد بهم سوءاً فلا مرد لقضائه ولا دافع لحكمه. وهو
العلي العظيم. توكلت على مولانا جل ذكره. وبه أستعين في جميع الأمور.
معلّ علّة العلل. صفات العلّة: بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد للأحد الصمد الأزل، ومعلّ علّة العلل، والعالي بلا شبه
ولامتثل، لم يلد من العقل الأوّل، ولم يولد من النفس الكامل المفضل. ولم يكن

له كفو في العوالم والمحَلّ، الحاكم بذاته، المنفرد عن مبدعاته ومصنوعاته.
أحمدُه في السراء والضراء، وأشكره في الشدة والرخاء.

وسلّمتُ جسمي الطبيعي الذي أظهره مولانا جلّ ذكره من أربع
طبائع، ونفسي الذي ينمو بها جسمي، وفؤادي وما سكن فيه من الروح
الزكيّة، والعقل الكليّة، والحكم الروحانيّة، والعلم الجرمانيّة والفهم
الجسمانيّة، والهيولى الشعشعانيّة، الذين بهم عرفتُ المولى جلّ ذكره.
ولحمي ودمي وشعري وبشري وجميع جوارحي إلى الإله الأكرم وحقيقيّة
المولى الأعظم العالي المتعالي في القَدَم.

ورضيتُ لروحي بجميع ما رضي لي به مولانا جلّ ذكره سبحانه،
ما أعظم شأنه وأجلّ سلطانه، لا يدركُ حقيقيّة لاهوته أحدٌ من البشر، ولا
يقف على كنه معرفته أحدٌ من أصحاب السّير. ويفعل ما يشاء كيف يشاء بلا
اعتراضٍ عليه في حكمه، وهو المعبود الموجود. سبحانه وتعالى عمّا يقولون
المشركون به والملاحدون فيه علواً كبيراً. «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا
يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ. وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا
يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ»^(١).

أما بعد معاشر المستجيبين فقد بلغني ما أصابكم من الضعف في
أديانكم، والشكّ في صاحب زمانكم، بما رأيتم من استتار الحقيقة^(٢)،
واشتعال الشرك في الخليقة. فظننتم بمولانا جلّ ذكره ظنّ السوء وكنتم
قوماً بوراً.

أما تعلمون بأنّ مولانا جلّ ذكره يبني ويهدم، وينقض غير ما يبني،
ويفتق الأشياء بحكمته، ثم يرتق. لكلّ فعلٍ منها حكمه لاهوتيّة، وأنتم عنها

(١) سورة البقرة ٢/٢٥٥.

(٢) كان استتار الحقيقة في السنة التاسعة، أي سنة ٤٠٩ هـ، وهي الغيبة الأولى.

غَافِلِينَ، لَا يُظْهِرُ لَكُمْ حَكَمَتَهُ إِلَّا بَعْدَ حِينٍ، وَيُبَيِّنُ لَكُمْ سَدُقَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحِّدِينَ، وَتَكْذِيبَ الْمُشْرِكِينَ، وَزَيْفَ الْمُتَبَهِّرِجِينَ، وَمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ صُدُورُ الْمَلْحِدِينَ، لِيُهْلِكَ مَنْ يَهْلِكُ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيُحْيِيَ مَنْ يَحْيِي عَنْ بَيِّنَةٍ. وَمَوْلَانَا جَلَّ ذِكْرُهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا يُطْفِئُ نَوْرَهُ، وَلَا يَكْشِفُ عَنْ أَوْلِيَائِهِ سِتْوَرَهُ، وَلَا يَنْقُضُ شَيْئًا إِلَّا وَيَبْنِي خَيْرًا مِنْهُ، وَأَقْوَى وَأَعْلَى. وَلَا يَتْرَكُ الْعَالَمَ سَدَى أَبَدًا.

وسائر الناس يقولون: لَا يَغْلِقُ اللَّهُ بَابَ الرِّزْقِ عَنْ أَحَدٍ إِلَّا وَيَفْتَحِ دُونَ الْبَابِ أَبْوَابًا. وَالْبَابُ هَاهُنَا حُجَّةُ الْعَالَمِ وَمَعْلَمُهُمُ الَّذِي مِنْهُ يَدْخُلُونَ إِلَى التَّوْحِيدِ وَمَعْرِفَةِ مَوْلَانَا جَلَّ ذِكْرُهُ. وَاللَّهُ هَاهُنَا لَاهُوتُ مَوْلَانَا سُبْحَانَهُ. وَمَوْلَانَا جَلَّ ذِكْرُهُ لَا يَسْتَرْعِبُهُ الْهَادِي إِلَى عِبَادَتِهِ عَنْ عِبِيدِهِ أَيَّامًا يَسِيرَةً إِلَّا لِمَا يَرِيدُ مِنْ إِظْهَارِهِ عَلَى سَائِرِ الْعَبِيدِ، وَيُؤَيِّدُهُ بِالْقُدْرَةِ وَالتَّأْيِيدِ، وَيَمَهِّدُ الْأَرْضَ عَلَى يَدِهِ بِالتَّسْدِيدِ، حَتَّى لَا يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ مَنَافِقٌ إِلَّا هُوَ صَرِيعُ بَطْشَةِ مَوْلَانَا جَلَّ ذِكْرُهُ، وَلَا مُشْرِكٌ إِلَّا وَهُوَ جَدِيلٌ بِسُطُوتِهِ.

وقد سَمِعْتُمْ مَعَاشَرَ الْمُسْتَجِيبِينَ فِي مَجَالِسِ الْحِكْمَةِ بِأَنَّ الْقَائِمَ بِالْحَقِّ، إِذَا ظَهَرَ، يَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخَنْزِيرَ، وَيَجْعَلُ السِّيُوفَ مَنَاجِلًا. وَيَتَّخِذُ الْبَيْوتَ مَنَازِلًا. فَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ قَطْرًا. وَتَنْبُتُ الْأَرْضُ نَبَاتًا. وَتَمْلَأُ الْأَرْضُ عَدْلًا وَقِسْطًا، كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا.

وقد أَيْدَنِي مَوْلَانَا جَلَّ ذِكْرُهُ حَتَّى فَعَلْتُ هَذَا كُلَّهُ وَقَدْ شَاهَدْتُمُوهُ عَيْنًا، لِأَنَّ الصَّلِيبَ ^(٣) دَلِيلٌ عَلَى النَّاطِقِ، لِأَنَّ لَهُ اثْنَيْ عَشَرَ حَدًّا. وَكَذَلِكَ لِكُلِّ نَاطِقٍ اثْنَا عَشَرَ حَدًّا. وَقَدْ قَالَ عِيسَى بْنُ يَوْسُفَ، وَهُوَ النَّاطِقُ الْخَامِسُ لِتَلَامِيذِهِ: أَنَا طَالَعٌ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ، فَشَدُّوا أَوْسَاطَكُمْ وَاحْمِلُوا صُلْبَانَكُمْ

(٣) الصليب دليل على عيسى، كما على كل ناطق من النطقاء السبعة.

والحقوني^(٤). وإنما أراد بالصليب نفسه وحدوده الاثنعشر. وقد كسرتُ أنا شريعتمكم الناموسية بالعلوم الحقيقية التوحيدية.

وأما الخنزير فهو الضد الروحاني المشبه روحه بمولانا جلّ ذكره وقد دعوته ورضيَ بذلك وأقرّ لي بالعبودية ضرورة لا ديانة^(٥).

وأما السيوف فهو تأييد مولانا جلّ ذكره الذي أيّديني به لحصاد المنافقين والمارقين بقدرة مولانا جلّ ذكره^(٦).

وأما البيوت فهم: السابق والتالي والناطق والأساس الذين اتخذوا العالم فيهم المعنوية. وقد بينتُ لكم ولجميع الموحدين بأنهم كلهم عبيد. وهم منازل مثل ما تقولون منازل القمر ومنازل الفلك.

وأما قطر السماء فهو العلم الحقيقي الذي أيّديني به مولانا جلّ ذكره.

ونبات الأرض استماع المستجيبين له وقبولهم منه.

وملئت الأرض، وهو الداعي، عدلاً وقسطاً، وهو توحيد مولانا جلّ ذكره وعبادته جهراً؛ كما ملئت جوراً وظلماً، وهو زخرف الشريعتين.

وقد سمعتم ما تلي عليكم في مجالس الحكمة من امتحان الإمام وخفيته ونقلته من موضع إلى موضع نقلة الخفية لا نقلة التغيير والغيبة. والإمام فهو عبد مولانا جلّ ذكره ومملوكه حمزة بن عليّ بن أحمد، هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا جلّ ذكره وشدة سلطانه.

(٤) يجمع بين يوحنا ١٧/٢٠ ومتى ٣٨/١٠ و٢٤/١٦ ولوقا ٣٥/١٢.

(٥) المقصود بالخنزير هنا أنشتكين الدرزي.

(٦) بالسيف سينتقم حمزة يوم القيامة من أبالسّة الأزمان؛ لهذا يكتفي نفسه دائماً بـ «المنتقم بسيف مولانا».

ويكون فيه محق المارقين والمخالفين. وهي محنة عاقبكم بها لأنه سبحانه أنعم عليكم ما لم يُنعم على أحدٍ في الأدوار. وأظهر لكم من توحيده وعبادته ما لم يُظَر في عصر من الأعصار. وأعزكم في وقت عبده الهادي ما لم يُعزَّ أحدًا في الأقطار. ولم يكن لصاحب الشرطة والولاية والسيارات عليكم سبيلٌ إلا بطريق الخير.

ثم إنَّ المنافقين قتلوا من أخوانكم ثلاثة أنفس. فأمرَ مولانا جلَّ ذكره بقتل مائة رجلٍ منهم. والذي قال في القرآن: «النفسُ بالنفس»^(٧) لا غير. فلم تشكروه على ذلك. ولم تعبدوه حقَّ ما يجب عليكم من عبادته. ولم تكن نيأتكم خالصة لوحدا نيته. ولم تقبلوا ما أمرتكم به في كتبني من سدق اللسان، وحفظ الإخوان، والرضى بفعل مولانا جلَّ ذكره والتسليم لأمره، بل داجيتموني في عبادته وتوحيده، وشككتكم في مواعيده، وخشيتم المخلوقين. ومولانا جلَّ ذكره أحقُّ أن تخشون عذابه وترجون رحمته وثوابه، فبدلتكم قولي غير ما قلت لكم من الهداية، وحدثتم ما كنتم فيه من النعمة والكفاية، فبدل مولانا جلَّ ذكره شربكم الزلال بماء الحميم والسراب، وغير أمتكم بالخوف والعذاب، و«ما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين»^(٨)، «إنَّ الله لا يُغيِّر ما بقوم حتَّى يغيِّروا ما بأنفسهم. وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردَّ لقضائه»^(٩).

وقد سمعتم ما جاء في المجلس بأنهم يتفقَّهون لغير الله، ويتعلَّمون العلم لغير العمل، ويكبسون جلود الضأن، وقلوبهم قلوب الذياب، وألسنتهم أحلى من العسل، وأفعالهم أمرٌ من الصبر. أبي تغثرون، أم علي تتجبرون؟

(٧) سورة المائدة ٥/٤٥.

(٨) سورة الزخرف ٤٣/٧٦.

(٩) سورة الرعد ١٣/١١.

إِنِّي أَقْسَمْتُ لِأَتِيحَنَ لَكُمْ فِتْنَةً أَتْرَكُ الْحَلِيمَ مِنْكُمْ فِيهَا حَيْرَانًا. والحليم هاهنا هو الدَّاعِي فِي وَقْتِنَا هَذَا. والخطاب كان لكم. لِأَنَّ جُلُودَ الضَّانِّ دَلِيلٌ عَلَى ظَوَاهِرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَرْيِيهِمْ بِهَا مِنْ غَيْرِ حَقِيقَةٍ وَلَا بَرَهَانٍ. والقلوب دليل على الأئمة، فقال: قلوبُ الذَّنَابِ يَعْنِي أئِمَّةُ الضَّلَالَةِ. والألسن هم الحجج. وأفعالهم أمرٌ من الصبر يعني الضد الروحاني، أبعدُه المولى من رحمته.

وهذه المحنة هي السَّبْكَ كما تسبك الفضة بالنار فَيُحْرِقُ مَا فِيهَا مِنَ النَّحَاسِ وَتَبْقَى نُقُورَةٌ صَافِيَةٌ، وَيَصِيرُ لَهَا اسْمٌ آخَرُ يُقَالُ لَهَا: "حَمَى حَرْقٌ"؛ وَلَا يُقَالُ لِلدَّرَاهِمِ حَرْقٌ. وكذلك المستجيب، إِذَا كَانَ فِيهِ شَكٌّ وَوَقَعَ فِي هَذِهِ الْمَحْنَةِ، خَرَجَ زَيْفُهُ، وَظَهَرَ مَا كَانَ فِيهِ حَقُّهُ. وَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِالْغَا فِي دِينِهِ سَادِقًا فِي قَوْلِهِ صَاحِبًا فِي فِعْلِهِ. كُلَّمَا زَادَ الزَّمَانُ امْتِحَانًا زَادَ فِي نَفْسِهِ يَقِينًا وَإِيمَانًا، كَالْفِضَّةِ الصَّافِيَةِ الْبَيْضَاءِ الَّتِي كُلَّمَا زَادَتْ عَلَيْهَا النَّارُ فِي حِمَاهَا زَادَتْ فِي جَوْهَرِهَا وَصَفَاها. كذلك المُوَحَّدُ كُلَّمَا أَرَادَ بِهِ مَوْلَانَا جَلَّ ذِكْرُهُ امْتِحَانًا فَهُوَ رَاضٍ بِهِ صَابِرٌ لِحُكْمِهِ.

ولبعضهم يقول: لو قَطَعْتُمُونِي فِي مُحِبَّتِكُمْ إِرْبًا إِرْبًا لَمَا أَزْدَدْتُ فِي مُحِبَّتِكُمْ إِلَّا حَبًّا حَبًّا. وَيَكُونُ مِنَ الْمَفْلَحِينَ. كَمَا قَالَ (١٠): «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ»، يَعْنِي فِي الدِّينِ، «وَالْجُوعِ»، يَعْنِي مَجَاعَةُ الْأَرْوَاحِ مِنَ الْعِلْمِ الْحَقِيقِيِّ، «وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ»، يَعْنِي الْكُتُبَ الْمَذْخُورَةَ. «وَالْأَنْفُسِ»، هُمُ حُدُودُ التَّوْحِيدِ، «وَالثَّمَرَاتِ»، يَعْنِي فَوَائِدَ الْعِلْمِ. «وَبَشَرِّ الصَّابِرِينَ»، يَعْنِي الْمُوَحِّدِينَ، «الَّذِينَ، إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ»، فِي الدِّينِ، «قَالُوا: إِنَّا لِلَّهِ»، يَعْنِي سَلَمْنَا أُمُورَنَا إِلَيْهِ، «وَأِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»، يَعْنِي فِي الْقُوِّ وَالنَّصْرِ حَتْمًا جَزْمًا لَزْمًا لِكُلِّ أَحَدٍ، بِمَشْيَةِ مَوْلَانَا جَلَّ ذِكْرُهُ وَقُدْرَتِهِ.

وهذه المحنة التي أصابتكم قد كنتُ أوعدْتُكم بها وحذَرْتُكم من أفعالٍ تستوجبون بها العذاب. وأوّل ما كنتُ حذَرْتُكم من نَشْتِكِينَ الدَّرْزِي والبرذعي وأصحابِهما، وما كانوا فيه من الأفعال الرديّة. وكنتُ قد بيّنتُ لكم في كتاب «البلاغ والنّهاية»^(١١) بأنّ السّدق دليلٌ على الإمام. وأنا ذلك. والكذب دليل على ضدّ الإمام. لأنّ السّدق ثلاثة أحرف والكذب ثلاثة أحرف. وهما يتشابهان في عدد الأحرف. لكنّهما يفترقان في الصورة والمعنى.

واعلموا بأنّ الدَّرْزِي والبرذعي نطقاً بغير معرفةٍ ولا علم. وعملاً بغير وجهٍ مولانا جلّ ذكره، وأعليا البناء بغير أساس. وما أصاب أحداً منهما ما أصابه إلّا باستحقاقٍ وعدل من المولى سبحانه على يدي. وقد رفعتُ اسمه^(١٢) إلى الحضرة اللّاهوتيّة في جملة أسماء كثيرة. وقد سألتني مراراً بكثرة أن أدفعَ إليه شيئاً من كتب التوحيد ممّا ألَفْتُهُ. فلم أفلِ ذلك، ممّا تفرّستُ فيه من العاقبة الرديّة.

وقد قال صاحب الشريعة: إحذروا من فِرَاسة المؤمن فيكم فإنّه ينظر بنور الله. والمؤمن هاهنا هو الإمام. وأنا ذلك. والله هاهنا لاهوتٌ مولانا سبحانه. فنظرتُ فيه بنور مولانا جلّ ذكره وتأبيده ولم أفعلُ أسلمه شيئاً ممّا طلبه، فتردّى بالكبرياء. وقال: أنا خيرٌ منه وأقوى وأعلى. ولم يعلمُ بأنّ الغالبَ من أعانه المولى جلّ ذكره. «إنّما أمرُهُ إذا أرادَ شيئاً أن يقول له كُنْ فيكون». فسبحان الذي بيده ملكوتُ كلِّ شيءٍ وإليه تُرجعون»^(١٣).

وأما البرذعي فأنا أرسلتُ إليه ودعوتهُ إلى توحيد مولانا جلّ ذكره وعبادته. فأقسم بمولانا جلّ ذكره أنّه لا يدخل في هذا المذهب إلّا بتوقيعٍ من

(١١) أي: رسالة البلاغ والنّهاية، رقم ٩ من مجموعة «الحكمة».

(١٢) أي إسم الدَّرْزِي.

(١٣) سورة يس ٣٦/٨٢-٨٣.

مولانا جلّ ذكره. فلما أرسل إليه الدرزيّ رسوله، ومعه ثلاثة دنانير، وأوعده بالركوب والخلع، فمضى إلى عنده، وفتح له أبواب البلايا والكفر.

وأما أصحابه كلّهم مكتوبون عندي وعليهم وثائق بالشهود العادلة بأنهم لا يرجعون عما سمعوه مني أبداً. ومتى ما رجع أحدهم كان بريئاً من مولانا جلّ ذكره. ومولانا جلّ ذكره بريءٌ منه يعاقبه كيف يشاء بلا اعتراض عليه. فإن أراد مولانا جلّ ذكره يعاقبهم بالقتل فله الإرادة والمشية فيهم. وقد أوصيتهم كما أوصيتكم بأنهم لا يلعنوا أحداً ممن تقدّم ذكره. ولا يستحسنوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن. فلما أسرفوا انتقم مولانا جلّ ذكره منهم، ونقلهم من القميص الذي عبدوه فيه. له الإرادة والمشية فيهم. فإن عذبهم فبسوء أعمالهم، وإن رحمهم فتفضلّ منه ورأفةً باستحقاقٍ يستحقّوه.

وكنْتُ قد كتبتُ رسالةً إلى نشكين الدرزي وعرفته بأن لكلّ ظاهر باطناً، روح وجسم لا يقوم أحدهما إلّا بصاحبه. والذي تطلبه أنت من الكشف ليس لك عليه قدرة ولا بفعله طاقة. لأنّ له روحاً وجسماً وما بيدك منهما شيء. لأنّ الروح هو العلم الحقيقي، وأنت صفرٌ منها ما تعرف ما طحاها. وقد أظهرتُ أنا من العلم الحقيقي المكنون ما تعجز أنت عنه وجميع العالمين. وذلك بتأييد مولانا جلّ ذكره، لا بحولي وقوتي. فله الحمد والشكر وحده. وجسمه هو السيف الذي أوعدني به مولانا جلّ ذكره وهو لا يخلف الميعاد.

فإن كنتَ تدّعي الإيمان فأقرّ لي بالإمامة كما أقررت في الأوّل حتى تخاطب أصحاب الزبور من زبورهم، وأصحاب التوراة من توراتهم، وأصحاب القرآن من التنزيل، وأصحاب الباطن من نفس التأويل، وأصحاب المنطق من الآفاق والأفلاك والدلائل العقلية ومن أنفسهم، حتّى يُبين لكلّ

واحد منهم عوارٌ ما في يده من دينه، وتصحَّ عبادةُ مولانا جلّ ذكره وتوحيده، والبراءةُ من إبليس وحزبه من غير أن تلعنَ أحداً ممّن تقدّم ذكره، لأنّ اللّعة لا تزيد في الدين ولا تنقص منه. وخاطبَ الناسَ بالذي هو أحسن، فإنّ مولانا جلّ ذكره يُحبّ المحسنين. فإذا فعلتَ هذا مالتْ قلوبُ العالمِ إلينا، وارتفعتْ ألسنتُهم عنّا، إلى أن يشاء مولانا جلّ ذكره بهلاكهم ويدفعَ إليّ سيفَ نِقْمَتِهِ.

فعند ذلك يجتمعُ الرّوح والجسم والزمان والمكان والإمكان والسيف والعلم والسلطان. ولم يبقَ منافقٌ إلّا وتهلك شأفته، ولا مشركٌ إلّا وتدنى وفاته. فمّن فضّلَ من السيف تُؤخذ منه الجالية كما ذكرتُ في «كتاب البلاغ والنهاية». فغيارُ النّواصبِ فردٌ كمّه الأيسر مصبوغٌ فاخْتِيًا وفي أذنيه علاقتان من الرصاص، وزنهما عشرون درهماً، وجاليتُهُ ديناران ونصف. وهم يهود أمة محمد.

وغيار الذين يتمسكون بالأساس دون مولانا جلّ ذكره في أذني كل واحد منهم علاقتان من الحديد، وزنهما ثلثون درهماً، وفردٌ كمّه الأيمن مصبوغٌ بالسواد، وجاليتُهُ ثلاثة دنانير ونصف. وهم المشركون نصارى أمة محمد.

ويكون غيار المنافين المرتدين عن توحيد مولانا جلّ ذكره في أذني كل واحد منهم علاقتين من الزجاج الأسود، وزنهما أربعون درهماً، وصدر ثوبه مصبوغٌ رصاصياً أغبر، وعلى رأسه طرطورٌ من جلد ثعلب، وجاليتُهُ خمسة دنانير في كل سنة. وهم المنافقون، مجوس أمة محمد.

فعند ذلك يتجلّى مولانا جلّ ذكره لعبيده فيقال لمن الملك اليوم وفي كل يوم، فيقال لمولانا الحاكم القهار، العزيز الجبار، سبحانه وتعالى عمّا يقولون المشركون به والمحدون فيه علواً كبيراً.

الرضى والتسليم ٢٠٧

وأنتم معاشرَ المستجيبين، إياكم أن تكرهوا شيئاً من أفعال مولانا
جلّ ذكره فيكم، أو تظنّوا به ظنّ السوء فتكونوا من الخاسرين في الدين. بل
سلّموا الأمر إليه تسلموا، وكونوا راضيين بقضائه، صابرين تحت بلائه،
شاكرين لنعمه وآلائه. فإنّ مولانا جلّ ذكره لا يخلف الميعاد، ولا يجوزه ظلمُ
العباد، وهو مُتمُّ نورَه على يديّ ولو كره المشركون. فأبشروا بوعده
واعبدوه حقَّ عبادته حتى يأتاكم اليقين.

رُفِعَتْ نسخُها إلى الحضرة الأهوئية في شهر ربيع الآخر، الثاني
من سنة عبد مولانا ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد هادي المستجيبين،
المنتقم من المشركين، بسيف مولانا جلّ ذكره. ولا معبود سواه. والحمد
لمولانا وحده في السراء والضراء، والشدة والرخاء، وهو حسبي وعليه
توكّلت وهو نعم المعين. تمّت بحمد مولانا وحده.

رسالة التنزيه إلى جماعة الموحدين

رُفِعَتْ إِلَى الْحَضْرَةِ الْأَمْوُتِيَّةِ وَأُطْلِقَتْ

كتبها حمزة سنة ٤١٠ هـ. يشرح فيها دوره ودور الحدود الدينية التوحيدية الروحانية الخمسة، بمقابل حدود الدعوة الفاطمية الخمسة. ويتكلم فيها بإسهاب على منزلة الإمام وشرفه

تَوَكَّلْتُ عَلَى مَوْلَانَا الْبَارِ الْعَلَامِ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى حَاكِمِ الْحُكَامِ، مَنْ لَا يَدْخُلُ فِي الْخَوَاطِرِ وَالْأَوْهَامِ، جَلَّ ذِكْرُهُ عَنْ وَصْفِ الْوَاصِفِينَ وَإِدْرَاكِ الْإِنَامِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: دَعَا عَبْدُهُ الْإِمَامَ.

مِنْ عَبْدٍ عَرَفَ مَوْلَانَا فِي الظُّهُورِ وَالْكَتْمَانِ، وَعَبْدَهُ فِي كُلِّ دَهْرٍ وَأَوَانٍ، وَسَجَدَ لَوَحْدَانِيَّتِهِ فِي السِّرِّ وَالْحَدَّثَانِ، الْهَادِي إِلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ، وَالنَّاهِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْبَهْتَانِ، وَمَمْلُوكِ مَوْلَانَا سُبْحَانَ قُدْرَتِهِ مَوْلَانَا وَتَعَالَى مَجْدُهُ، حَمْزَةُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ هَادِي الْمُسْتَجِيبِينَ، الْمُنْتَقِمَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، بِسَيْفِ مَوْلَانَا سُبْحَانَهُ وَشِدَّةِ سُلْطَانِهِ.

لَا يَتَّكِلُ عَبْدُهُ عَلَى مَخْلُوقٍ مِنَ الْبَشَرِ، وَلَا يَعْبُدُ شَخْصًا وَلَا صُورًا، بَلْ يَعْبُدُ لَاهُوتًا كُلِّيًّا، وَإِلَهًا أَزَلِيًّا، وَخَالِقًا مَلِيًّا، الْمَظْهَرَ نَاسُوتَهُ لِلْعَامِ، الْمُسَمَّى مَقَامُهُ بِالْحَاكِمِ، وَهُوَ الْمَنْزُوعُ عَنِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالْعِزَائِمِ، سُبْحَانَهُ عَنْ

إدراك البشر بالأوهام، وتعالى عن السابق والتالي والناطق والأساس والإمام، علواً عالياً علياً.

إلى جماعة المؤمنين بالحاكم البار العليّ، الموحّدين له عن كلّ حديث وأزلي، ثبّتكم المولى وهداكم، وأعاننا وإياكم، على ما أنعم به وأعطاكم. انه لي قادر قدير.

أمّا بعد فإنّي أحمد إليكم مولانا الذي لا مولى لنا سواه. وأمركم وإيّاي بالشكر لنعمه وآله، بما أظهر لكم من أحدانيّته، وتنزيه لاهوته عن بريّته، وعبيد دعوته، وتصحيح ما ذكرته لكم في «الكتاب المنفرد بذاته»^(١)، وتبطل قول من قال بأنّ مولانا هو الناطق أو الأساس أو الإمام.

وما من هذه الطوائف أحد إلّا وهو يزعم بأنّه مؤمن موحّد، وهو كافر مشرك ملحد. وإنّما أخذوا دينهم بالرأي والقياس، والمكابرة والاختلاس، ونظروا في كتب الأضداد والإبلاس، فضلّوا عن الطريق، وغاب عنهم النور الحقيق. فهم لا يهتدّون، ولو نظروا بعين القلوب واليقين، وميّزوا حقائق الإيمان والدين، وسلّموا الأمر إلى صاحبه، واستقاموا على الطريقة الوسطى، لاستفادوا علماً غدّقا، وكسبوا عقلاً صافياً غرقا. وسلّكوا أوضح طريق.

لكنّهم أضاعوا الصلة بالإمام، واتّبعوا شهوات الأنام، وأشركوا بين البارّ العلّام وبين الأوثان والأصنام. فهم لا يفلحون.

وقد ذكرتُ في «الكتاب المنفرد بذاته» ما يُبطل مذهب كلّ فرقة منهم. لكنّي أذكر في هذا الكتاب على اختصار الدقائق، ومحض التوحيد والحقائق،

(١) [سمه: «المصحف المنفرد بذاته»، كتاب في العقيدة الدرزيّة وممارساتها، يقع في

وهي كفاية للعقل اللبيب والموحد الأديب، لأنّ العاقل يسمع أوّل الكلام فيعرف وسطه وآخره، ويسمع آخره فيعرف وسطه وأوّلّه، ويسمع وسطه فيعرف طرفيه. والجاهل لا يعرف ظاهر النظام، ولا معاني الكلام.

إعلموا، هداكم المولى إليه، بأنّ جميع الأسماء المتعارفة بين المؤمنين، مثل السابق والتالي والجدّ والفتح والخيال والناطق والأساس والإمام والحجّة والداعي، تقع على محمودٍ وعلى مذموم، لأنّ كلّ حدٍّ في دعوة التوحيد مثله في دعوة الشّرك والتلحيد، ليكون ضدّها قائماً بإزائها وكلّهم موجودون في كل عصر وزمان. وإنّما قالوا الشيوخ المتقدّمون بأنّ السابق والتالي والجدّ والفتح والخيال روحانيّون في العلوّ لا يشاهدهم أحد. إنّما أرادوا بذلك استدراجاً للمؤمنين، والثاني تدليساً عليهم.

أما ترون في قولهم: لكلّ حدٍّ في العلوّ روحانيّ حدٍّ في السفّل جسماني يقوم مقامه. فالناطق يقوم مقام السابق. والأساس يقوم مقام التالي. والإمام يقوم مقام الجدّ. والحجّة يقوم مقام الفتح. والداعي يقوم مقام الخيال. فقد صحّ وثبت بأنّ لا ينفعكم غيرُ عبادة الموجود، وتوحيد المعبود. وجميع الأسماء المستحسنة لحدود التوحيد وإنّما تسمّوا بها أرباب الشرائع الناموسيّة تشبّهاً بهم واغتصاباً لهم ولنازلهم إلى يوم الوقت المعلوم. كما قال سلمان الفارسي، صلوات مولانا عليه، للناطق والأساس وأصحابهما: "كُرْدِيُو بِكُرْدِيُو. وَحَقِّ مِيزَةِ بَتَرْدِيُو. تَفْسِيرُهَا بِالْعَرَبِيَّةِ: عَلِّمْتُمْ فَعَلِّمْتُمْ حَتَّى غَلَبْتُمْ صَاحِبَ الْأَمْرِ وَتَشَبَّهْتُمْ بِأَوْلِيَائِهِ وَأَدْعَيْتُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِحَقِّ.

فشبّهوا الشيوخ المتقدّمون الناطقَ بالسابق، وقدّموه على جميع الحدود، خوفاً من العالم وميلاً إلى الحطام. وأجلّ المنازل وأعلاها الإمام. وهو السابق بالحقيقة الذي أبدعه الباري سبحانه قبل جميع الحدود. وهو العقل، الذين يروون العامّة بأنّ الله خلقه قبل الأشياء كلّها. فقال له: أقبل.

فَأَقْبَلَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ. فَأَدْبَرَ. فَقَالَ: وَعِزَّتِي مَا خَلَقْتُ وَلَا أَخْلُقُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْكَ. وَهُوَ الْإِمَامُ الَّذِي أَحْصَى فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ. وَالْأَشْيَاءُ الْحَقِيقِيَّةُ هُمُ الْحُدُودُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ الْأَنَامِ. وَالْإِمَامُ نُورٌ وَاحِدٌ يَنْقُلُهُ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ كَيْفَ يَشَاءُ. وَهُوَ يَعْرِفُ الْعَالَمِينَ وَلَا يَعْرِفُونَهُ.

وَمَنْ نَصَبَهُ الْإِمَامُ مِنْ قَبْلِهِ فَهُوَ التَّالِي لِأَنَّهُ يَتْلُوهُ فِي الْعِلْمِ. وَقِيلَ لَهُ أَيْضًا أَسَاسٌ لِأَنَّهُ أَسَاسُ الْمُسْتَجِيبِينَ وَأَصْلُ بِنَايَتِهِمْ عَلَيْهِ. وَيَجِبُ عَلَى الْمُسْتَجِيبِينَ طَاعَتُهُ مَا دَامَ هُوَ طَائِعًا لِلْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَلِلْإِمَامِ الَّذِي نَصَبَهُ. فَبِهَذَا السَّبَبِ سُمِّيَ الْإِمَامُ لِأَنَّهُ يَوْمٌ بِهِمْ وَيَدْلُهُمْ عَلَى عِبَادَةِ مَوْلَانَا سُبْحَانَهُ. وَسُمِّيَ الْإِمَامُ السَّابِقُ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَبَقَ إِلَى مَعْرِفَةِ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ. وَسُمِّيَ الْحَقِيقَةُ النَّاطِقُ لِأَنَّهُ يَنْطِقُ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَزَمَانٍ بِالْحَقِّ وَيَدْعُو الْعَالَمَ إِلَى تَوْحِيدِ مَوْلَانَا سُبْحَانَهُ.

وَسُمِّيَ خَلِيفَتُهُ أَسَاسًا لِأَنَّ الْمُسْتَجِيبِينَ يُبْنُونَ عَلَى كَلَامِهِ فِي الدِّينِ. وَقِيلَ إِنَّهُ التَّالِي لِأَنَّهُ يَنْوِبُ عَنِ الْإِمَامِ وَيَتْلُو عِلْمَهُ. وَسُمِّيَ الدَّاعِي الْجَدُّ لِأَنَّهُ جَدٌّ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ مِنَ الْإِمَامِ. وَالثَّانِي يَجْهَدُ فِي أُمُورِ الْمُسْتَجِيبِينَ حَتَّى يَبْلُغَهُمُ الدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةَ. وَسُمِّيَ الْمَأْذُونُ فَتَحًا لِأَنَّهُ يَفْتَحُ بَابَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ عَلَى الْمُسْتَجِيبِينَ. وَسُمِّيَ الْمَكَاسِرُ الْخِيَالُ لِأَنَّهُ يُلَوِّحُ بِعِلْمِهِ وَمَكَاسِرَتِهِ مِثْلَ الْخِيَالِ، إِذْ كَانَ لَهُ التَّلْوِيحُ بِالْكَلَامِ بِغَيْرِ كَشْفٍ وَلَا تَبْيَانٍ.

فَهَذِهِ خَمْسَةُ أَشْخَاصٍ مَحْمُودَةٌ تَوْحِيدِيَّةٌ. وَجَمِيعٌ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْأَسْمَاءِ تَقَعُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةِ. غَيْرَ أَنَّ الشُّيُوخَ سَتَرُوهُمْ وَجَعَلُوا لِأَصْحَابِ الشَّرَائِعِ الشَّرَكِيَّةِ، وَجَعَلُوا اسْمَ الْعَبْدِ فَوْقَ اسْمِ الْمَعْبُودِ. وَأَقَامُوا الْخَمْسَةَ كَيْمَا يُخْدِمُونَ نُورَهُمْ. وَمَوْلَانَا جَلَّ ذِكْرُهُ مَتَمُّ نُورِهِ عَلَى يَدَيِّ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

فقالوا بأنّ السابق والتالي والجّد والفتح والخيال روحانيّون في العلوّ، لا يشاهدوهم العالم. فقد صدقوا في قولهم في معنى واحد، لأنّ هؤلاء الخمسة هم أرواح المستجيبين، وهم مُقَيَّبُونَ عن عيون الجاهلين. لكنّهم لم يبيّنوا للعالم تشخيصهم، وأبعدوهم عن أفهامهم، وجعلوهم في العدم. وطلبوا بذلك الوقوف عند ناطق الشريعة وأساسه وحدودهما.

وأقاموا بإزاء الخمسة الروحانيّين، الذين هم حدود التوحيد، خمسة جسمانيّة حدود الناموس والتوحيد، حتى تكون الاشياء كلّها مزدوجة متضادة. وتبيّن أحنائيّة المولى جلّ ذكره وانفراده عن جميع بريّته. وهو مبدع الكلّ وعالٌ علّتهم ومصوّر صورتهم الدينيّة. لا يدخل في الأعداد ولا يقاس بالآحاد. سبحانه وتعالى عما يصفون..

والعاقل اللبيب لا يطلب العدم ويترك الموجود، لأنّ المعدوم تقع في أخباره الزيادة والنقصان، والموجود لما أنت تشاهده بالعقل والبرهان بالعيان، وتقف على تبطيل العدم، وتنفي عن مولانا جلّ ذكره جميع الأباطيل والتّهم. ومن أعظم الحجج العقليّة المرثيّة، والدلائل الواضحة الرضيّة على تنزيه مولانا جلّ ذكره عن الناطق والأساس، وإنّهما عبدان لمولانا جلّ ذكره وهما في وقتنا هذا مستخدمان ملك مولانا جلّ ذكره.

وهما عبدُ الرّحيم بن الياس، وعباس بن شعيب^(٢)، السجّلان اللذان قرئنا لهما بالألقاب الذي لا يجوز أن تكون ذلك الألقاب إلّا للناطق والأساس لا غير. والدليل على ذلك أيضاً حجة عقليّة واضحة للعين مرثيّة، باجتماع أهل الذمّة والملة بأنّ عبد الرحيم بن الياس الذي لقّب بوليّ عهد المسلمين أقرب إلى مولانا سبحانه من عباس بن شعيب الذي لقّب بوليّ عهد المؤمنين.

(٢) عبد الرحيم بن الياس عيّنه الحاكم والياً على بلاد الشام، وهو ملقّب بوليّ عهد المسلمين؛ وعباس بن شعيب لقّب أيضاً بوليّ عهد المؤمنين. وكلاهما تخطى مهمّاته الموكلة إليه، ونصّب نفسه بدلاً عن الإمام الحقيقي.

ولو لم يكن لعبد الرحيم بن الياس فضيلةً على عباس بن شعيب غير ذكره في الخطبة والسكّة والإعلان لكان فيه كفاية للعقل المتميّز.

وقد اجتمعت أهلُ الشرائع بأنّ الإيمان أفضل من الإسلام، والمؤمنين أفضل من المسلمين. فلولاً الحكمة البالغة التي أظهرها للعالمين في معرفة أشخاصهما وظهور مراتبهما لكان يجب أن يكون عبدُ الرحيم بن الياس وليّ عهد المؤمنين، وعبّاس بن شعيب يكون وليّ عهد المسلمين على مقدار قربهما وظهور مراتبهما.

فلما رأينا ألقابهما بخلاف ظواهر مراتبهما علمنا علماً يقيناً، وصحّ عندنا بأنّ عبد الرحيم بن الياس هو الناطق محمّد بن عبد الله، وعبّاس بن شعيب هو الأساس على بن عبد مناف، ومُتِمُّهُمَا خَتَكَيْنِ الدّاعي، وهو المكّي بأبي بكر، ولا حِقُّهُم جعفر الزرير، وهو عمر بن الخطّاب، ومن دونهم قاضي القضاة أحمد بن العوام، وهو عثمان ابن عفّان.

فهؤلاء الخمسة حدود الشريعة الظاهرة. وهم أشباحُ بلا أرواح. لأنّ الروح الحقيقيّة هو الإقرار بتوحيد مولانا جلّ ذكره والقيام بعبادته. وهم كلّهم جاحدون لقدرته، كافرون بنعمته، مشرّكون بعبادته، جاهلون بأصول الدّين والمعادن، غافلون عمّا مضى من الضّغائن، غير عارفين بما هو كائن، من قتل المارقين وبيع ذراريهم في سوق مازن، يوم لا ينطق فيه كاهن، ولا تنفعهم شفاعةُ مشرّك خائن. وترى المشركين مثل السكارى وما بهم سكر ولا جُمَار. بل تذهلُ عقولُهم من هيبة الملك الجبّار، وما يدّهمُهم من السيف والدمار. وتُجازي كلّ نفسٍ بما كسبت وهم لا يُرحمون.

معاشرَ الموحّدين لمولانا جلّ ذكره! قد بيّنتُ لكم الطريق، وأوسعتُ لكم في المضيق، فتجنّبوا مسالك الشرك والضلال، واتّبِعُوا طرقات الهداية والكمال. واعلموا أنّ كلّ رجلٍ يكون رئيس قوم ومقدّمًا عليهم كان إمامهم

لأنه يؤمّ بهم في الكلام والفعل، لكنهم محمودون ومذمومون، بقوله: «قاتلوا أئمة الكفر. إنهم لا إيمان لهم. لعلمهم ينتهون»^(٣)، وهم رؤساء الشريعة الناموسية.

وقد اعتقدوا المسلمون في كثير من العلماء الإمامة. مثل الشافعي وأبي حنيفة ومالك وسفيان الثوري وغيرهم، ممّا يطول به الشرح. وإنّما قالوا إنهم أئمة حيث يحرمون بقولهم الحرام، ويحلّون الحلال، واقتدوا بهم فوق عليهم اسم الإمامة. فهؤلاء الخمسة الذين ذكّرتهم كلّ واحد منهم إمام لمن طيعه ويتّبعه ويقبل منه. ووليّ عهد المسلمين كبيرهم وإمامهم الأعظم لأنّه بمنزلة الناطق محمد بن عبد الله.

فقاتلوه بقلوبكم وتبرّأوا ممّا يعتقدونه في مولانا البار العلامة، العليّ الأعلى حاكم الحكّام. سبحانه وتعالى عمّا يصفون. ويجعلونه تحت الشكليّة والبشريّة، تعالت قدره مولانا وتنزّه لاهوته عمّا يصفون.

ولهؤلاء الخمسة الجسمانيّة الموجودة الظاهرة الشرعيّة لإقامة دعوة التوحيد خمسة روحانيّة موجودة لإقامة دعوة التوحيد :

فأولهم وأعظمهم فضلاً ذو معة. وبعده ذو مصة. وبعده الكلمة والجناحان. وهما المعروفان بالسابق والتالي. لكنّ السابق الجسماني ليس هو كالسابق الروحاني النوراني، لأنّ السابق الحقيقي هو الإمام الأعظم، وهو ذو معة الذي نصبه المولى جلّ ذكره هادياً لعبيده، وباباً لعبادته وتوحيده.

والأربعة من قبّله، كلّ واحد منهم يقع عليه اسم الإمامة بما هو مقدّم على المستجيبين، وإمام لهم إلى معرفة مولانا ربّ العالمين، سبحانه بوساطة إمامهم أجمعين الذي هو العقل الكلّي ذو معة قائم بأمورهم. وهو يرّبي

(٣) سورة التوبة ٩/١٢ .

الدعاة بالمعرفة والحلم، ويُرَوِّي المستجيبين بالرّضاة والعلم. منه يأخذون العلم، وإليه يرجعون في الخوف والسلم، لأنّه الوسيلة إلى رحمة مولانا سبحانه، والباب الذي يدخلون منه إلى توحيد مولانا سبحانه، والمؤدّب الذي يتأدّبون به آداب التوحيد، وعبادة مولانا المبدئ المعيد، الفاعل ما يريد. سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

وليس لأحد من الحدود أن يؤلّف كتاب، ولا يقرأ على من استجاب، إلاّ بأمرٍ من نُدبٍ لهدايتهم، ونُصِبَ لإمامتهم. فإنّ قرأ عليهم كتاباً بغير أمر فقد عصى القارئ والمستمعون جميعاً، لأنّ الإمام ينطق بتأييد مولانا جلّ ذكره روحانياً بلا واسطة. والدعاة يتكلّمون من علمه تعليماً مشافهةً، فإذا عملوا شيئاً بغير أمر كان بالرأي والقياس.

وأوّل من عمل برأيه، وقاس العلم بهوائه، إبليس. فأسقط من مرتبته، وأخرج من دعوته ومنزلته؛ ومن أطاع إبليس كان من حزبه وشيعته، ومن كان من الحدود طائعاً لإمامه سامعاً منه جميع ما يؤيّد من تأييد مولانا سبحانه وتعالى كان من الملائكة المقرّبين العالين. وكان إمام من استجاب على يده ومعلّمهم يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحلّل لهم الطيبات ما حلّله مولانا سبحانه، ويحرّم عليهم الخبائث وعبادة المعدومات والعوائث. ويحثّهم على توحيد مولانا جلّ ذكره وعبادته التي هي نهاية كلّ نهاية.

ومثل الحدود مثل أئمة المساجد الذي كلّ واحد منهم إمام في مسجده وجارته. والهادي مثل الإمام الأعظم الذي يصلي يوم الجمعة بجميع العالمين كافة، ويجهر بالقراءة في الصلاة ما لا يقدر بجهرها أحد من أئمة المساجد. وينقص من الصلاة ركعتين ما ليس لأحد من أئمة المساجد أن يفعله. وكذلك الخطيب فكانوا أئمة المساجد متّبعين له صامتين عند خطبته مصليين ورأه، والخطيب إمامهم كلّهم. من تكلم عند خطبته أو التفت إلى ورائه لم يجد فضل الجمعة وانقطعت صلاته.

وإن صَلَّى أحدٌ في مسجده يوم الجمعة ولم يَمْضِ يَصَلِّي خلف الإمام الذي هو الخطيب كان عاصياً لله مخالفاً لما يعتقده، إذ كان بظهور الخطيب فوق المنبر تعطيلُ جميع المساجد والأئمة بها. لأنَّ له آيات بيِّنات ما ليس لأحد منهم أجمعين.

والمؤذّنون في جميع المساجد يكونوا أعلى من الإمام عند الأذان غير يوم الجمعة فإنَّ المؤذّنين يكونوا قدام الإمام صفّاً واحداً. والإمام أعلى منهم باثني عشر درجة، ويكونوا قياماً وهو جالس على المنبر ويده اليمين على قائم سيفه. كذلك جميع الدعاة أئمة من استجاب على أيديهم، حتى إذا حضروا عند قائمهم وهاديهم لا يجوز لأحد منهم ينطق في الدعوة التي ممثولها الأذان إلا من تحت أمره ونهيه، وهو جالس على المنبر. وهو ممثول على مادّته وفضيلته على الاثنعشر حجة. وهو يكون متقلداً بالسيف. وهو دليل على تأييد مولانا سبحانه ما ليس لأحد منهم. ويظهر القراءة جهراً. وهو دليل على كشفه علم الحقيقة ما لا يجوز لأحد منهم يكشفها وهو يكشفها. ويُسقط من الصلاة ركعتين، وهو دليل على ما يأتي به من إسقاط الناطق والأساس ما لا يقدر أحد من الحدود يفعله وهو يفعله. وهو فوق المنبر يكون متوجّهاً إلى العالم دليل على قيامه على جميع العالمين بالتأييد والسيف من العلى.

وإن صَلَّى يكون متوجّهاً إلى المحراب دليل على توجّهه إلى سلطان مولانا سبحانه طالباً رحمته. ولا يقرأ في كلّ جمعة غير السورتين المعروفتين بـ «المنافقين» و«الجمعة»، دليل على أنّه يكون يقوم في كلّ سبعة أدوار وتكون دعوته شيئاً واحداً.

وأوّل الدعوة التبرّي من زخرف النواميس الذي هو نفسُ النفاق والشرك. والآخر السعي إلى عبادة مولانا جلّ ذكره والاجتماع على

توحيده. وفي آخر قرآته يكون القنوت، وهو دليل على عبادة مولانا في السرّ كما يعبدونه في الجهر، كيما لا تكون عبادتهم نفاقاً ورياءً للناس. والركوع من وجه واحد، دليل على استماعه التأييد، والانحناء هو القبول والتخضع حتى يعي التأييد بكماله. ثم قيامه دليل على إقامة دعوته روحانياً بغير تكليف. والسجدتان دليل على عبادة مولانا في مقام الناسوت، وعبادته بحقيقة الألّهوت. والجلوس عند التسليم دليل على ما يظهره بين الحالتين من الوقار والسكون. والجلوس عند التسليم دليل ما يكون في وقته من راحة النفوس من التكاليفات والشرعيّات. ولا يلزم الناس في ذلك الوقت غير عبادة مولانا جلّ ذكره وتوحيده. والإقرار بقائم الزمان وحدوده الذين أيّد بهم عباده الصالحين، وملائكته الحافظين، من الشريعتين.

ثم يسلم على اليمين والشمال دليل على تسليمه جميع أموره إلى باري البرايا أجمعين. ويكثر من الحول والقوة إليه ويقرّ بأنّ جميع ما عمله بتأييد مولانا سبحانه وبقوة سلطانه، وأنّه كسائر عبيده تحت الضعف والعجز، وإنّما فضله عليهم بالإمامة والتأييد منه.

فهذه الخمسة أشكال الخمسة موجودة مزدوجة متضادة واحدة للدين ودعوة التوحيد، والأخرى للدنيا ودعوة التلحيد. ومولانا سبحانه منزّه عن حدود الدين والدنيا. لا يدخل في الأوهام والخواطر. سبحانه وتعالى عما يصفون.

والحمد والشكر له وحده هو حسبنا ونعم النصير المعين.

وكتبت مسودتها في شهر جمادى الآخر، الثاني من سنة عبد مولانا جلّ ذكره ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا وشدة سلطانه وحده لا شريك له. تمّت.

الْمَوْسُومَةُ بِرِسَالَةِ النِّسَاءِ الْكُبْرَى

رسالة غير مؤرخة. وقد لا يتعدى تاريخها سنة ٤١٠ هـ لأنها، على ما يبدو، كُتبت ولا يزال الحاكم حياً. في الرسالة إشارة واضحة إلى المجالس التي كانت تُعقد، وإلى نوعيّة تعاليمها. وتبيّن منها أنّ مجلساً خاصاً بالنساء عُقد لتعليمهنّ أصول التوحيد، كالوحيّة الحاكم، وتاويل أركان الإسلام، والدعوة إلى التزام الصدق، والأخلاق الكريمة، وغير ذلك.

توكّلت على مولانا البارّ العالم، العليّ الأعلى على جميع الأنام، جلّ ذكره عن وصف الواصفين وإدراك الأنام. حروف بسم الله الرحمن الرحيم: حدود عبده الإمام. سبحان من أظهر حكمته فأعجز بريته.

الظاهر لنا بصورنا، تأنيساً لنا وأطمأنيّة لعقولنا. فخاطبنا بنا حكمة بالغة، وآية معجزة. استتر وقت شاء، وظهر كما يشاء. لا معارضة لحكمه، ولا رادّ لقضاه، جلّ وعزّ عن ذلك، ولا معبود سواه. وسلامه وصلواته، ورضوانه وتحياته، على من أقيم للحقّ فبثّ التوحيد مطلقاً، وسدّق في القول واثقاً، وأثنى على حدوده من بعده السلام والرحمة، الأقرب بالأقرب المبلّغين عنه توحيد مولانا جلّ ذكره المترجمين عما أمروا به عن المولى جلّ اسمه ولا معبوده سواه. لما خفي الأمر أخفينا. ولما ظهر أظهرناه. لأنّ العبد مع مولاه مؤتمراً لما أمر به مُنتهٍ عما نهى عنه.

وأنتن معاشر الموحّدات لمولانا جلّ وعزّ وحدتن مولاكنّ من حيث أمركنّ، فستر توحيدده وقت شاء وأظهره كما شاء، إذ كانت له المشيئة. لا

يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، ولا يجب لكنّ معاشر الموحدّات أن تخفين ما أظهره مولاكنّ، ولا تخالفنّ ما أمركنّ به فتشركنّ به وانتنّ لا تعلمنّ.

ألم تسمعنّ في مجالسكنّ بأنّ الشراك أخفى من ديبب النملة السوداء على المسح الأسود في الليلة الظلماء. فتفكرنّ معاشر الموحدّات فيما تقدّم من مجالسكنّ تصبن فيه حديث وقتكنّ. والوصية لكنّ بالتبادر إلى ما دُعيتنّ إليه من توحيد مولاكنّ على يد من نُصِبَ لكنّ. فمن قالت منكنّ إنني وحدتُ المولى وما زلت عن توحيده، ولا حاجة لي بالواسطة، فقد خفي عنها طريق الحقّ.

ألم تسمعن في مجالسكنّ مجالس الحكمة حديث الشمعة^(١) بأنّها كاملة على التوحيد، وأنّها إذا تفرقت آلاؤها لم تقم شمعة كاملة. يقال للشمع وحده شمع، وللقطن وحده قطن، وللنار وحدها نار، وللحسكة وحدها حسكة. وزال عنها اسم الشمعة. فإذا اجتمعت آلاتها: الشمع والقطن والنار والحسكة، فحينئذ يقال لها شمعة كاملة. فاعرفنّ معاشر الموحدّات لم ضربت لكنّ هذه الأمثال بأنّ لا تقوم لكنّ معرفة بالتوحيد إلّا بجميع حدود الدين.

ألم ينطق مجلسكنّ بأنّ القرآن شخص قائم، إذا اجتمعت سورّه وأعاره وأخماسه وآياته قيل له قرآن كامل، وإذا تفرقت سورّه وآياته لا يقال له قرآن كامل. وهو على الكمال على الإمام الذي هو عبد مولا نا جلّ ذكره. وقيل إنّه كلام الله، والله هاهنا لاهوت مولا نا الذي لا يُحدّ ولا يدرك. وإنّما أظهر لنا الناسوت رفقا بنا، وأطمأنّية لقلوبنا، لأن ليس في طاقتنا مقابلة اللاهوت.

(١) أنظر «الموسومة برسالة الشمعة رقم ٣٨ وهي من وضع التميمي.

ومعنى القرآن كلام الله بمعنى أن الإمام من قبيل المولى جلّ وعزّ.
فدلّ بذلك أنه لا يصل إلى معرفة المولى جلّ ثناؤه أو يطاع ما أمر به وينتهى
عما ينهى عنه، لأن لا يجوز لنا أن نتخير على المولى جلّ وعزّ ولا نقل لا لم،
ولا كيف. وإنّما يجب علينا السمع والطاعة لما يأمرنا به. هذا واجب لنا أن
نعمله مع عبده، فلا بال مع أوامره الظاهرة. فمن ظنّ أنه يوحد مولانا جلّ
ذكره ولا يقبل من أوامره الظاهرة، فقد ظنّ عجزاً.

ونرجع إلى ما تلي علينا في المجلس لأنّه لا يجوز لنا أن نجيب
شخصاً ولا نقبل من كلامه. وأنّ تعلمن يا موحدات أن المجلس نطق قارئه
محذراً ممّا يرد بعده ومبشّراً بما يأتي من بعد ذلك. سيطلع على منبري هذا
تيس من تيس بني أمية، ويقوم من بعده فتى ثقيف، أكل أموال الأيتام
والمتبرّي من دين الرحمن. ويقوم الثالث فارغاً من الدين من غير أهل الدعوة
صفرأ من العلم. ثم تكون فترة وحيرة. ويقوم بعد ذلك الحق غريباً ويقوم به
غريب.

فنظرنا إلى قوله تيس من تيس بني أمية، فوجدناه عبد العزيز بن
محمد، ونظرنا إلى قوله فتى ثقيف أكل أموال الأيتام والمتبرّي من دين
الرحمن، فوجدناه مالك بن سعيد، ثم نظرنا إلى قوله يقوم الثالث فارغاً من
الدين متبرئاً من الدعوة صفرأ من العلم، فعلمنا أنّه أحمد ابن العوام، إذ كان
أشراط عليه مولانا جلّ اسمه أنّه لا يتكلم في الدعوة، وأنّه لا يعرف فيها
شيئاً ووجدناه صفرأ من علومها.

وانقطعت المجالس ووقعت الحيرة وانعكست الأمة واخترعوا
الأقاويل الباطلة، إلى أن بلغ الكتاب أجله، وجاء الوعد المعلوم، وظهر ما كان
مكتوم، ووحد المولى من وحدته على يد من اختاره وجعله لذلك أهلاً. فأظهره
وستره. فأظهرناه عند إظهاره، وسترناه عند استتاره، غير معارضين لشيء
من ذلك، بل طائعين مسلمين.

ثمَّ ظهر بعد ذلك فلم يكن ممَّا اعتراض ولا تأوَّل ولا ذلك برأينا ولا بقياسنا. واستدللنا بالعلم أنَّ استتار ذلك لقبح أعمالكم، وكثرة اعتراضكم، وارتكابكم الاختيارات. وليس لنا ذلك، بل تفضَّل من المولى جَلَّ وعزَّ. فأظهر لنا ذلك على يد مَنْ تقدَّم اظهاره على يده، ولم يغيِّر لنا الشَّخص، فلم نأثم بسكوتنا إذ كانت نيَّاتنا صافية والخاطر متوجَّه إلى أوامره. فوجب علينا التوجَّه حيث وجَّهنا بلا اعتراض ولا اختيار، ولا لِمَ، ولا كيف. فتدبَّرن معاشر الموحدَّات ما تسمعنه وقابلوه منكنَّ بعقل رصين، ولبَّ حصين. فما يرضى منكنَّ بالتقصير. فقد بلغتْ النِّهاية، فإياكنَّ أن تصرن آية.

ألم تسمعن آيَّها الموحدَّات أنَّ المجلس نطق قارئه بأنَّ هذا الذي تسمعه هو الباطن والذي في أيديكنَّ مثل «كتاب الدعائم مختصر الآثار والاقتصار»^(٢) هو الظاهر.. فافهمنَّ ما أشار لكنَّ به إنَّما أراد بالظاهر الناطق، وبالباطن الأساس. وقال لكنَّ سيأتي بعد ذلك وقتٌ يصير باطنكنَّ ظاهراً، ويصير له باطنٌ، هو باطن الباطن. ويضمحلُّ الظاهر الذي في أيديكنَّ.

فافهمنَّ ما قال لكنَّ. أليس قد ترك لكنَّ الباطن ظاهراً فأوراكنَّ أنَّ الأساس قد انتقضتْ مرتبته المستورة. وقد صارت في وقتنا هذا منزلته كمنزلة الناطق؟ من أجل ذلك قرئ السجِّل المكرَّم من الحضرة المقدسة: إنَّ المتختمَّ في يمينه والمتختمَّ في شماله عند مولانا بمنزلة واحدة. أليس المتختمَّ في شماله، الناطق وأصحابه، والمتختمَّ في يمينه، الأساس وأصحابه! أفترضينَّ ما خرج من الحضرة المطهرة، وتُسقطونه، ولا تقرّون به! فلا تدعوا الإيمان إنَّ كان ذلك. وأعوذ بالمولى منه.

ألم تسمعنَّ ما تُلِّي في السجِّل المكرَّم أيضاً بالنهي عن تقبيل الأرض

(٢) لا ذكر لهذا الكتاب في مجموعة رسائل الحكمة؛ ولم نجدّه في مكان.

بين يدي مولانا جلّ ذكره! ألم تعلمن أن الأرض هي الأساس وأنّ التقبيل أخذ علمه! وقد ناهكن مولاكن عن ذلك فاقبلن. وإياكن المخالفة فتهلكن.

ألم ينطق الكتاب بالأنهي عن السجود للشمس والقمر بقوله: «لا تسجدوا للشمس ولا للقمر، واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون»^(٣). أليس السجود الطاعة؟ فكيف يجوز لمن يطيع الأساس في وقتنا هذا.

ألم ينطق مجلسكن بهذا! وبذلك نطق سجلّ المولى المقرئ على رؤوس الكافة: ذهب أمس بما فيه، وجاء اليوم بما يقتضيه، وغداً فلا تظن أنك ثوابيه^(٤). والمجلس يقول لا تلتفتوا إلى أمس، ولا تنتظروا غداً، وعليكم بيومكم هذا فعنه تسألون.

ألم يقل المجلس لكن لا يجوز للمصلي أن يلتفت عن يمينه ولا عن شماله، ولا يرفع رأسه ولا يلتفت إلى وراء ظهره. ولا يكون نظره إلا موضوع سجوده. واعلموا أن الصلاة هي الصلة بالمولى، والالتفات عن يمينه هو الرجوع إلى حدّ الأساس، والتفاتة عن شماله مشيرة إلى حدّه الناطق، ورفع رأسه يرجع إلى العدم، والالتفات وراء ظهره يرجع إلى القهقري، والنظر موضع سجوده فهو ليومه وعصره وزمانه. فأيش تريدون أبين من هذا لو تدبرتموه!

ألم يقل لكن بأن الطهر حدّان: الغسل والمسح. فأما المسح فهو على الإقرار بمن تقدّم لا غير. وأما الغسل فهو دليل على الطاعة لولي عصركن وزمانكن. فتيقظن من غفلتكن وارجعن إلى حقائق دينكن. واقبلن ما قاله مولاكن. وإياكن ارتكاب الهوى. فما هلك من هلك إلا من أجل ذلك.

(٣) سورة فصلت ٤١/٣٧.

(٤) من اقوال مجالس الحكمة الشائعة.

فانظروا يا موحدّات ما كشفه المولى لكنّ شفقة عليكنّ، وحنّوا لكنّ. أفترى أنّه يريد جاهكّنّ أو مالكّنّ! «مَنْ عَمَلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا»^(٥). أليس المسلمون للناطق، والمؤمنون للأساس. أَلَمْ تَسْمَيْ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنِ الْيَاسِ وَلِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ! أَلَمْ يُبَيِّنْ لَكُنّ أَنَّهُ النّاطِقُ! أَلَمْ يُبَيِّنْ لَكُنّ أَنَّ أَبَا هِشَامٍ هُوَ الْأَسَاسُ إِذْ صَيَّرَهُ وَلِيَّ عَهْدِ الْمُؤْمِنِينَ! فَقَدْ بَيَّنَّاهُمَا لَكُنّ أَنَّهُمَا مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ. فَلَا يَجُوزُ لَكُنّ أَنْ تُطِيعَنَّ أَحَدًا مِنْهُمَا. وَقَدْ نَهَى الدِّينُ عَنْهُمَا. أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ الْمَوْلَى جَلَّ وَعَزَّ قَدْ مَلَكَهُمَا الدُّنْيَا! أَلَيْسَ أَشَارَ لَكُنّ بِأَنَّهُمَا دُنْيَا الْقَدَرِ، لِأَنَّ الدُّنْيَا سُمِّيَتْ دُنْيَا لِأَنَّهُمَا دُنْيَا. إِنَّ هَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ يَتَزَيَّانِ بِزِيِّ الْمَوْلَى جَلَّ وَعَزَّ، وَقَدْ حَصَلَ ضِدَّيْنِ. فَكَيْفَ تَجُوزُ عِبَادَتُهُمَا فِي وَقْتِنَا هَذَا! إِلَّا أَنْ يُرِيدَ الْمَوْلَى جَلَّ وَعَزَّ أَنْ يُجْعَلَ تَوْحِيدَهُ جَارِياً عَلَى يَدِ مَنْ يَشَاءُ وَيُسَمِّيهِ بِمَا يَشَاءُ. أَيْجُوزُ أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَيْهِ مَعْتَرِضٌ! فَمَنْ أَطَاعَ ذَلِكَ كَانَ مُوَحِّدًا، وَمَنْ عَصَاهُ كَانَ مُعَانِدًا. أَتَفَرُّونَ مِنْ شَيْءٍ قَضَاهُ الْمَوْلَى جَلَّ وَعَزَّ!

أَلَمْ تَسْمَعْنَ فِي مَجَالِسِكُنَّ أَنْ مَنْ صَبَرَ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ عَبَّرَ بِهَا قَضَاءَ اللَّهِ وَهُوَ مَأْجُورٌ. وَمَنْ جَزَعَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ عَبَّرَ بِهِ قَضَاءَ اللَّهِ وَهُوَ مَأْثُومٌ. فَإِذَا كَانَ وَلَا بَدَّ مِنْ عُبُورِ قَضَاءِ اللَّهِ عَلَيْهِ، رَضِيَ أَوْ سَخَطَ، فَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يُصِيرَ عَلَى عُبُورِهِ فَيَكُونُ مُحْمُودًا عَلَى ذَلِكَ.

أَلَمْ تَعْلَمْنَ يَا مُوَحِّدَاتِ أَنَّكِ كَتَبْتَنَ عَلَى أَنْفُسِكُنَّ وَثَائِقَ رُفَعْتَ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ لِعِلَامِ السَّرَائِرِ وَالضَّمَائِرِ. تَقْلُنَ فِيهَا بِأَنَّكِ سَلَّمْتَنَ أَرْوَاحَكُنَّ وَأَمْوَالَكُنَّ وَأَوْلَادَكُنَّ وَلَحْمَكُنَّ وَدَمَكُنَّ لِمَوْلَانَا الْحَاكِمِ سُبْحَانَهُ، رَاضِيَاتٍ بِحُكْمِهِ عَلَيْكِ. أَفْتَرَى أَنَّكِ أَقْرَرْتَنَ وَأَشْهَدْتَنَ عَلَى أَنْفُسِكُنَّ بِمَا لَيْسَ فِي قُلُوبِكُنَّ فَقَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّكِ أَضْمَرْتَنَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا أَخْفَيْتَنَ فِي صُدُورِكُنَّ، جَلَّ ثَنَاءُ الْمَوْلَى وَتَعَسَّ مَعْتَقِدُ ذَلِكَ. وَإِنَّكِ إِذَا عَلِمْتَنَ أَنَّهُ عَلَامُ الْغُيُوبِ، فَيَجِبُ

عليكن أن لا تخالفن لأنكن سلّمتن جميع أموركن إلى المولى الكريم. فما
اعتراضكن فيما حلّ بكن. وإياكن أن تظنّوا بمولاكن ظنّ السوء، فتدور
عليكن دائرة السوء. إلا أنه لا يخافن أحدكن إلا ذنبه. ولا يرجو إلا ربه.

ألم ينطق المجلس بالثلاث محن حين يقول المؤمن في الأوّل هذه
مهلكتي فينجو منها. ثم تأتي المحنة الثانية فيقول هذه مهلكتي لا محالة. ثم
تأتي الثالثة فتكون هنيئة. وهذا المؤمن الذي يفزع من المحن هم الذين وقع
عليهم الإيمان اسماً على المجاز لا على الحقيقة. والمؤمن الحقيقي هو الموحد.
والموحد الحقيقي فقد سلّم جميع أموره إلى مولاه. فما يخاف شيئاً من
المحن. أليس المحنة الثالثة كانت على النصارى واليهود!

ألم تعلمن أن اليهود هم المخالفون أهل الظاهر، وأن النصارى هم
أهل الباطن الواقفون مع اللعين صاحب الباطن. فتنبهن، رحمكن المولى،
وتلافين قلوبكن. والرجوع إلى الحق خير من التماذي على الباطل.

وهذه وصية أمرت بكتبتّها وإعراضها. فأعرضت وصحت وأطلقت
لمن لحقته منّي تربية في الدين حسب ما يحنّ الربّي على من رباه. وموعظة
لمن اتّعظ. فمن قبل الوصية والموعظة فلنفسه وبقي على حالته في الدين.
ومن لم يقبلها خسر آخرته. وكُتب اسمه في جملة المرتدين. ورُفع إلى المولى
في ظاهر ما أظهر لنا سبحانه. فهو عالم الخفايا والأسرار.

وللمولى بعد ذلك رسل كثيرة في الدين يرسلهم كما يشاء وإنما
قصد بذلك على يدي رفقاً بمن اتّصل إليه وجلالة لهم وشرفاً وعزاً. والحمد
والشكر للمولى وحده لا شريك له وبه أستعين في كلّ الأمور.

إلى معاند^(١) ومن معه في الاعتقال، المصابين من عالم الضلال. إعلموا هداكم المولى إلى الحقائق، وجنبكم عن الطوارق والبوائق، وعرفكم في وقتنا هذا شخصي الأساس والناطق، وصورتني التالي والسابق، ليظهر لكم توحيد مولانا الخالق الرّازق. وإن كان مولانا جلّ ذكره لا يقع عليه اسم، ولا يتشخص بجسم، بل ينظر إليه كل إنسان من حيث هو، ومبلغ منتهى عقله سبحانه لا هوته المحجوب عنا، وعزّ ناسوته المظهر لنا. ظهر لخلق كخلق بخلق من حيث خلقه. وهو لا يدخل في الوهم. ولا يعرف بالخاطر والفهم، سبحانه وتعالى عما يقولون المشركون به والملاحدون فيه علواً كبيراً.

أما بعد فإنّه قد وصل إليّ رقعة من أبي القاسم مبارك بن عليّ الداعي أيده المولى بطاعته، يشركم فيها. وذكر أنّه التقى بولد معاند وغلّامه حرسهما المولى، ومعهما رقعة بالسؤال عني، وتذكّارهم للحضرة اللاهوتية التي لا تحتاج إلى تذكرة، ولا تخفى عنها مخبرة. فكتبت إليكم هذه الأحرف لتقفوا عليها، وتسكنوا إلى دقائق معانيها، وتتحققوا من نور الإمامة وهدايتها. إنّها لا تنقسم في شخصين في وقت واحد^(٢)، إذ كانت الإمامة نوراً كلياً شعشعانياً، لا يتجزأ ولا يدنسه ندّ، ولا يغيره ضدّ، ولو كان في العالمين شيء أفضل من الإمامة لكان المولى جلّ ذكره في ظاهر الأمر تسمّى به. ولما لم يظهر في الناسوت إلا باسم الإمامة علمنا أنّه أجلّ أسماء المولى جلّت قدرته. وإن كان الإمام أفضل عبيده وأعلاهم وهو خليفته والهادي إلى عبادته.

وما منكم أحد إلا وقد نصحتّه بحسب الهداية إلى دعوته. فمنكم من استجاب ونكث، مثل عليّ بن أحمد الحبال الذي كان مأذوناً لي، وعلى يده

(١) معاند كان من أكابر شيوخ التأويل.

(٢) لا تنقسم الامامة في شخصين أي في حمزة والدرزي في وقت واحد.

الصبيحة الكائنة

كتبها حمزة سنة ٤١٠. وبعث بها إلى أصحاب الدُرْزي، يعاتبهم بعد أن كانوا من أتباعه، وبعد أن اعتقلهم المسلمون. الصبيحة الكائنة هي الوقعة التي صارت بين التنزيل والتأويل، وامتد أثرها إلى دعاة التاليف. فهرب حمزة واختبأ في خندق القصر. ولولا تدخل الحاكم لقضي عليه وعلى أتباعه. رسالة مهمة من الناحية التاريخية.

رسالة من هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا سبحانه إلى أصحاب نشتكين والمعنقلين.

توكلت على مولانا الغفور البار، حاكم الحَكَّام وهو العزيز نزار، العليّ الأعلى وهو المعزّ القهار، جلّ ذكره عن وصف كلّ ملك جبار. بسم الله الرحمن الرحيم: حدود عبده المختار.

من عبد مولانا الحاكم الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولد، المنزه عن الأزواج والعدد، ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد، هادي المستجيبين، وإمام الموحّدين، وصفيّ باري العالمين، المنتقم من الكفار والمشركين، بقدرة مولانا جلّ ذكره، وبسيف نقمته، وحوله وقوته، والأبرار من حدود دعوته، جلّ ذكره وعزّ اسمه ولا معبود سواه.

استجاب نشستكين الدّرزي؛ ومثل العَجَمي، والأحول، وخطلخ ماجان، وأشباههم ممّن كتبنا عليهم الميثاق، وأباعوا الديانة في الأسواق، ومالوا إلى الشهوات والأعواق، فأخذ مولانا جلّ ذكره منهم القصاص بالبراق. وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين.

وأما أنت، يا معاند، وأبو منصور البرذعي، وأبو جعفر الحبال، فما منكم أحد إلا وقد دعوتُهُ إلى توحيد مولانا سبحانه، فأبَيْتُمْ ذلك إلاّ أبو جعفر الحبال، فإنّه كان قد أجاب إلى مبارك بن عليّ الداعي، أيّده المولى، والذي منعه ولده عليّ قد كان ثقتي بمعرفتي ديانتته وما هو عليه، فالمولى يُعينه ويسدّده. وأما أنتم فمِلْتُمْ إلى الحطام الفانية، ولقِبْتُمُوهُ بسَيِّد الهاديين الناجية. وهذا نفس الكفر والشرك.

فأسأل المولى جلّت قدرته أن لا يؤاخذكم، ويسمع لكم بما سلف من ذنوبكم. وقد سمعت أنت، يا معاند، ومَن معك من العكاويين الغطارس، مخاطبة المولى جلّت قدرته في ظاهر الأمر: لا تزيدوا الفتن. أنا أكفيكم. فلماً جئتموني ونصحتكم فذكرت لي أنّك لا تعود إلى شيء منها لِمَا سمعته من المولى جلّ ذكره. وقلت لك ولمن حضر بأن لا يقدر قائمُ الزمان يقيم القيامة على أهل الكفر والطغيان إلاّ بسيف مولانا وقوّته في العيان. وبيّنت لكم أنّكم تُهلكون نفوسكم وتحرقوها بالنار. ويبلغ دخانكم إلى المستجيبين الأختيار.

وكانت هذه المخاطبة بيني وبينكم في الليلة التي كانت صبحتها الكائنة. فيا عجباً كلّ العجب. ولا عجب من قدرة مولانا جلّ ذكره فينا وفيكم. وقد زهق الباطل، وأمطر على العالم السحاب الهاتل، بالعلم الروحاني الكامل. وقد أعزّ من شاء وأذلّ من شاء. من بيده ملكوت كلّ شيء وهو على كلّ شيء قدير.

قد كنتم يوم الكائنة زهاء عن خمسمائة رجلٍ بالسلاح الشاك، وأنتم عند الحرم، فقتل منكم نحو أربعين رجلاً، وهرب من هرب. ولولا رحمة مولانا جلّ ذكره عليكم لم يتخلص منكم أحد. ومع هذا لم تقتلوا أحداً من الأعداء، ولم تجاهدوا في الشدة والشقاء، كما كنتم تظهرون السب عند النعمة والرخاء. وقد بلغ دخانكم إلينا كما ذكرت لكم من قبل أن يكون ذلك بتأييد مولانا جلّ ذكره. فله الحمد والشكر وحده.

فلما كان في اليوم الثاني، وهو يوم الخميس، لم يبق من العساكر مشرقي ولا مغربي ولا عجمي ولا عربي إلا وركب من كان فارساً. وشدّ عليه من كان راجلاً. كل يطلب دماءنا ومعهم النفط والنار والسّلام ونقب الجدار. ولم يكن معي في ذلك اليوم غير اثنت عشر نفراً منهم خمسة لم يصلحوا للقتال. فقتلنا من المشركين ثلاثة نفرٍ وجرحنا منهم خلقاً عظيماً ما لا يحصى بالنشأ. وما غلبناهم بقوتنا ولكن بقوة مولانا سبحانه هلكوا وبسلطانه سيهلكوا.

وقد سمعتم ما جرى من اعتزازنا في الخندق إلى حين خروجنا منه. والآن فتأييد مولانا سبحانه واصل إليّ. ورحمته وأفضاله ظاهرة وباطنة عليّ. وجميع أصحابي المستجيبين عزيزين مكرّمين. وفي الشرطة والولاية وعند أصحاب السيارات مقضيون الحوائج دون سائر العالمين.

ورسلي واصله بالرسائل والوثائق إلى الحضرة اللاهوتية التي لا تخفى عنها خافية، لا في السر ولا في العلانية. وقد أوعدني مولانا جلّت قدرته في ظاهر الأمر مضافاً إلى مواعيده الحقيقية التأييدية. وهو منجز مواعيده وقت يشاء بلا تقدير عليه. وأنا إن شاء مولانا جلّ ذكره أنذكركم للحضرة اللاهوتية، وإن كان ما يخفى عنها شيء من أحوالكم. لكن أبلغ البشرية في هذا إجابة سؤالكم. فأبشروا واعلموا أن الفرج قريب أسرع من

لمح البصر. وسيعلموا المرتدون المنافقون لئن عُقبى الدار. والسلام عليكم
أجمعين ورحمة المولى وبركاته.

وكتب في شهر شعبان، الثاني من سنة عبد مولانا جلّ ذكره
وصفيه حمزة بن علي بن أحمد، هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين،
بسيف مولانا جلّ ذكره وشدة سلطانه. والحمد لمولانا وحده في السراء
والضراء والشدة والرّخاء. وهو حسبي ونعم النصير المعين.

٢٠

سجل المجتبي

عنوان الرسالة هو «نسخة سجل المجتبي»، كتبها حمزة قاصداً تعيين صهره إسماعيل بن محمد التميمي في مرتبته الدينيّة. وهو بحسب مرتبته هذه، ثاني الحدود، أو ثاني حمزة. في الرسالة فيض من الألقاب التي يعرف بها التميمي. وتحديد لعمله. هو النفس، وذو مصّة.

توكّلت على مولانا علينا سلامة ورحمته. وبه أستعين في جميع الأمور. معلّ علّة العلل. صفات العلّة: بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد مولانا بالحقيقيّة، وإله الأزلّيّة، الواحد الصّمد، الحاكم المنفرد، جلّ ذكره وعزّ اسمه، ولا معبود سواه. ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين والمنافقين والناكثين، بسيف مولانا أمير المؤمنين، جلّ ذكره وشدة سلطانه وحده. لا نستعين بغيره ولا نرجو رحمة أحد سواه،

إلى أخيه وتاليه، وذو مصّة علمه، وثانيه، آدم الجزئي الذي أجتباه بعلمه، وهواه بحلمه، وغذاه بسلمه، أخنوخ الأوان، وإدريس الزمان، هرمس الهرامسة. أخي وصهري، أبو أبراهيم إسماعيل بن محمد التميمي، الدّاعي، أطل المولى بقاءك، وأدام عزّك وعلاك. ووقّاني فيك الأسوأ، وبلغني فيك المنى. إنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

أما بعد يا أخي أبو إبراهيم! أيّدك المولى بتأييده. إنّي نظرت إليك بنور مولانا جلّ ذكره، وبما أيّدني به مولانا علينا سلامه ورحمته، وما فيه من صلاح الموحّدين، وفساد المنافقين وشدة عضد المؤمنين.

فجعلتك خليفتي على سائر الدعاة والمأذونين، والنقباء والمكاسرين، وجميع الموحّدين بالحضرة الطاهرة وفي سائر جزائر الارض وأقاليمها.

وأسميتك بصفوة المستجيبين، وكهف الموحّدين، وذي مصة علم الأولين والآخرين، وجعلت لك الأمر والنهي على سائر الحدود. تولي من شئت، وت عزل من شئت. فما رأيت فيه من صلاح وعملته فهو أمري، وما نهيت عنه فهو نهبي. ومن خالفك فقد خالفني. ومن أطاعك فقد أطاعني. ومن أطاعني في دعوة مولانا جلّ ذكره وتوحيده، فقد بلغ النهاية والغاية القصوى، و«سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى»^(١).

فاعلم ذلك واستخر مولانا جلّ ذكره، واخدم حق ما يجب عليك من الخدمة، واعرف حق الحدود بحسب ما رسمت في كتاب «الغاية والنصيحة»^(٢). وأبعد المنافقين عنك وجاهدهم جهاداً مبيناً.

واشكر مولانا جلّ ذكره على ما أولاك من نعمه العظيمة، وآلائه السنّة، ليزيدك من فضلك ويثبتك على طاعته. إنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

تمّ تقليد المجتبي والسلام^(٣).

(١) سورة النجم ٥٣/١٤-١٥. يقصد بـ «النهاية» و«الغاية» و«جنة المأوى» التوحيد.

وبـ «سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى» العقل المتجلّي في شخص حمزة.

(٢) هي الرسالة العاشرة من الجزء الأول من رسائل الحكمة، وقد أثبتناها.

(٣) التقليد هو المرسوم الذي أصدره حمزة في تعيين كلّ من الحدود الاربعة.

تَقْدِيرُ الرُّضَى وَسَفِيرِ الْقُدْرَةِ

تقليد محمد بن وهب القرشي وتعيينه ثالث الحدود، في مرتبة الكلمة. تتضمن الرسالة، وهي من وضع حمزة، سنة ٤١٠ هـ كل الألقاب التي يتصف بها القرشي، وكل المهمات التي أنيطت به. يبدو أن هذه الوظيفة شغلها شيخ جليل قبل القرشي، توفي، وتسلم القرشي رتبته. في الرسالة توصية بحمل السلاح تحسباً لكل طارئ. وفيها إشارة إلى كيفية بعث الرسائل بين الحدود بواسطة جارية. وفيها أخيراً إشارة إلى ولدي حمزة: علي وحسين.

أحمد لمولانا وحده لا شريك له في السراء والضراء، والشدة والرخاء. من عبد مولانا ومملوكه قائم الزمان، هادي المستجيبين المنتقم من المشركين، بسيف مولانا وشدة سلطانه،

إلى الشيخ الرضى سفير القدرة، فخر الموحدين، وبشير المؤمنين، وكلمتهم العليا، أبي عبد الله محمد بن وهب القرشي الداعي، وفقه الله وسدده.

توكلت على مولانا البار العلامة، العلي الأعلى حاكم الحكام، من لا يدخل في الخواطر والأوهام، جل ذكره عن وصف الواصفين وإدراك الأنام، حروف بسم الله الرحمن الرحيم: حدود عبده الإمام.

من عبد مولانا الحاكم الأحـد، الفرد الصمد، المنزه عن الصاحبة والولد، سبحانه وتعالى عما يصفون، ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد، هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين والمارقين، بسيف مولانا سبحانه وشدة سلطانه،

إلى الشيخ الرضى سفير القدرة، فخر الموحدين، وبشير المؤمنين، وعماد المستجيبين، وكلمتهم العليا أبي عبد الله محمد بن وهب القرشي الداعي^(١). ألسلام عليك، فإنني أحمد إليك مولانا الرازق العلي الفاتق، الحاكم المنزه عن التالي والسابق، والإساس والناطق، المتجلي لخلقه بخلق من حيث خلق الخالق، سبحانه لا يدرك بالأوهام، ولا يعرف بالخواطر والأفهام، وتعالى عما يشركون به الأنـام علواً كبيراً.

أما بعد فإنني نظرت بنور مولانا جل ذكره وبما أيدني من تأييده، فكشفت عن أسرارك، وما بان لي من ظواهر أخبارك. فلم يكن لي على ممر الليالي والأيام وفي الشدائد العظام، غير التوحيد لمولى الأنـام، الحاكم على الحكام، والتبري من عبدة الأوثان والأصنام^(٢)، وسدق الـهجة في الكلام، والنثر والنظام، فعليك مني أفضل السلام.

فرفعتُ درجتك وأضفت إلى منزلتك، وهي المنزلة التي كانت للشيخ المرتضى قدس المولى روحه، وأنت تسلمت علومه وحده، وواريته في تربته ولحده، وقد سلمت إليك جميع كتبه التوحيدية، وجعلتك مقدماً على جميع الدعاة والمأذونين، والنقباء والمكاسرين، والمستجيبين الموحدين. لا فوقك أحد أعلى منك غير صفوة المستجيبين وكهف الموحدين الشيخ المجتبي

(١) يظهر أن للرسالة مقدمتين متشابهتين تماماً. لعل ذلك يعود إلى تقليدين منفصلين، وقد أشار إلى ذلك بقوله : «الذي أمرتك به في تقليدك الأول».

(٢) المقصود بـ «عبدة الاوثان والاصنام» عبدة النطقاء والأسس.

أخنوخ الأوان وإدريس الزمان وهرمس الهرامسة، أخي وصهري أبي إبراهيم إسماعيل ابن محمد التميمي الداعي، وقاه المولى الأسواء، وبلغني فيه المنى، فاستخر مولانا سبحانه، واخدم حق ما يجب عليك من مذهب مولانا جل ذكره، والطف بالدعاة وجميع الموحدين، وأمرهم بالمعروف، وانهاهم عن المنكر، واستحثهم على الخدمة اللاهوتية، وأمر النقباء بملازمة خدمتك ورفع ما يكون من الأخبار إليك، وما يتجدد بالقاهرة وأخبارها وبمصر وأعمالها.

وقد جعلت لك الأمر والنهي على سائر المستجيبين، فمن رأيت طريقه مستقيماً ومذهبه راضياً حاكماً، أحسن إليه وقرّبته منك، وعرفني حاله. فإن كان مظلوما نصرته، وإن كان ظالماً قهرته. ومن حُسّ على جنية أو خطية وسومح بها فامض به إلى بيتك واضربه بالعصي ضرباً وجيعاً حتى لا يعود إلى خطأ لا يليق بالموحدين، وذلك في بيتك موضعاً لا تكون فيه الأضداد.

واجمع شمل الموحدين، وكن لهم في نفاسهم وأعراسهم وجنائزهم على السنة التي رسمت لهم.

ومن رأيت من جميع الحدود والدعاة والمأذونين والنقباء قصر عن الخدمة وبان لك منه زلة، فأبدله بغيره بعد أن تتبين لك جارحته بشاهدين ثقتين موحدين يشهدان في وجهه بخطأه. فإن تاب فتب عليه بعد أن يقسم بمولانا جل ذكره أنه لا يعود إلى خطأ مثله.

وأوصهم بحفظ بعضهم بعضاً. ولا يمشي أحد منهم إلا ومعه شيء من السلاح وأقله سكين.

وأنت على الخدمة التي استندبتك إليها من الوقوف بالحضرة الطاهرة والانوار الزاهرة والمقامات الباهرة.

وتكون على رسمك الذي رسمتُ لك. واحذر أن تتجاوز ما رسمتُ لك. واستعملِ السدقَ واحذر من الكذب والزيادة في الألفاظ والنقصان منه. فإنَّ الكذب على أخيك المؤمن هو الكفر. فكيف الزيادة على ألفاظ المولى جلَّ ذكره!

وقل الحقَّ ولا تستحي منِّي ولا تفزع فما على الرسول إلاَّ البلاغ المبين. واستعملِ السدقَ ولو كان فيه المشقة. ولا تتقدَّم من الحضرة إلاَّ بعد أن تدعوك. ولا تتكلَّم بحرفٍ واحدٍ إلاَّ بعد أن تسألك عنه.

وتتكلَّم بالدعاء الذي أمرتُك به في تقليدك الأوَّل. وتقول في أوَّلِهِ: السلام خفياً غيرَ ظاهر، منك يا مولانا السلام، وإليك يعود السلام، وأنتَ أحقُّ السلام، ودعوتك هي دار السلام. تباركتَ وتعاليت ربُّنا الأعلى ذا الجلال والإكرام؛ وتُتمُّ لَهُ الدُّعاءُ إلى آخرِهِ. ولا تُلجَّ في السؤال، ولا ترفع صوتك، ولا تحرك يدك، ولا تشير بعينك، ولا ترفع رأسك عند الكلام، قل الحقَّ ولا تخش إلاَّ ذنبك، ولا تعبد إلاَّ ربَّكَ العليَّ الأعلى الحاكم الأوحد، الفرد الصمد، المنزه عن الصاحبة والولد.

ولا تُخفِ عني جميعَ ما أنت فيه، وما يتجدد في كلِّ يوم من أمور المستجيبين من خيرهم وشرهم. وأوصيك بهم كما أوصاني بهم مولانا جلَّ ذكره. فكن لهم أباً شقيقاً ومربياً رفيقاً. ومولانا جلَّ ذكره بنا وبهم رفيق، وكلما يتجدد من الموائيق والكتب والأخبار فتوصلها إلى الجارية الموسومة لقبض الرِّقاع^(٣)، وتوصل جواباتها، وتنفذُ إلى وَلَدِيَّ عليٍّ وحسين^(٤)، المأذونين في الدُّعوة، أيدهما المولى بوصولهما إلى الجارية، إن شاء مولانا وبه التوفيق في جميع الأمور.

(٣) جارية كانت تُستخدم في إيصال الرسائل إلى أصحابها سرّاً.

(٤) للمرة الأولى نرى ذكراً لأولاد حمزة ودخولهم في الدعوة.

واخدمُ خدمةً تستوجب بها الإنعام، وتنج بها من الشرك والانتقام.
 واشكر مولانا سبحانه وتعالى، والواسطة المنعم عليك^(٥). واحفظ الإخوان،
 واعضدهم في السرّ والإعلان. وتقرأ كتابي هذا على جميع الدعاة
 والمأذونين، والنقباء والمكاسرين والموحدين، لتُقرأ عندهم منزلتك، وعلوّ
 درجتك، إن شاء مولانا، وبه التوفيق في جميع الأمور في الدنيا والدين.
 والحمد والشكر لمولانا وحده وهو حسبنا ونعم النصير المعين.

وكتب في شهر شوال، الثاني من سنين عبد مولانا ومملوكه حمزة
 بن علي بن أحمد هادي المستجيين، المنتقم من المشركين والمارقين، بسيف
 مولانا جلّ ذكره وشدة سلطانه، عليه توكلت، وبه استعنت، ومنه الطلب وبه
 أستعين .

تمّ التقليد والحمد لمولانا وحده.

(٥) الواسطة هو حمزة بن علي.

تَقْدِيرُ الْمُقْتَنَى

العنوان الكامل هو: «ويتلوه نسخة تقليد المقتنى. تقليداً ضمن». وقد يكون المقصود من «تقليداً ضمن» أن هذه الرسالة، في تقليد المقتنى، خامس الحدود، تتضمن أيضاً تقليد رابع الحدود، أي السامري. فبهاء الدين المقتنى هو في مرتبة الجناح الأيسر، أو التالي؛ فيما السامري في مرتبة الجناح الأيمن، أو السابق. كتب هذا التقليد حمزة سنة ٤١١ هـ وضمّنها القاب بهاء الدين ومهمته وصفاته، كما ضمّنها كلاماً عن السدق والكذب والإمامة وسائر الحدود.

إعلم وفقك المولى، ومنحك سبيل الهدى، وأعاذك من الغي والهوى، وبشرك بما تحب وترضى، وبارك لك في هذه الفضيلة، وثبتك في هذه المنزلة الرفيعة والمرتبة الجليلة. العلوان^(١): من قائم الزمان هادي المتسجيين، المنتقم من المشركين والمارقين، بسيف مولانا سبحانه وشدة سلطانه، ولا معبود سواه، حمزة بن علي بن أحمد. التوقيع: إلى الشيخ المقتنى بهاء الدين، ولسان المؤمنين، وسند الموحدين، أبي الحسن علي بن أحمد السموقي، المعروف بالضيّف. وفقه المولى وسدده. الحمد لمولانا وحده في السراء والضراء، والشدة والرخاء.

(١) «العلوان... التوقيع»، أي: عنوان الكتاب وخاتمته.

يُنسخ في ديوان الموحدين إن شاء مولانا وبه التوفيق. يُنسخ في ديوان النقباء إن شاء مولانا وبه التوفيق. يُنسخ في ديوان الموحدين والحمد لمولانا على جميع الأحوال. يُنسخ في ديوان النقباء والمشية للمولى على عبيده. توكلت على مولانا الحاكم الأحـد الفرد الصمد، المنزه عن الأزواج والعدد. سبحانه وتعالى عن الاسماء والصفات.

من عبد مولانا سبحانه ومملوكه قائم الزمان، ومن أشار إليه الفرقان، عبد عرف مولاه ووحدته من قبل أن يخلق الكيان، ولا الظلمة ولا النور، ولا مكان ولا إمكان، ولا عرش ولا دخان، ولا أفلاك ولا جديـدان، ولا دعاة ولا أصـلان، ولا ظهور ولا كتمان، معرفة لا شبهة فيها، ومحض نور لا ظلمة تطفئها. ألعقل الأول، والإمام المفضل. منه مقصد التوحيد، وبه يُعرف التمجيد، وبقيامه يظهر في الناس الوعيد. هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا جلت قدرته.

إلى رابع الحدود النفسانيين، وتالي الروحانيين، تالي السابق المفضل، وصاحب القول المبجل، أعني بالسابق: الشيخ المصطفى نظام المستجيبين، وعزّ الموحدين، أبا الخير سلامه بن عبد الوهاب السامري الداعي، أعزه المولى وأسعده^(٢).

الشيخ المقتنى بهاء الدين، ولسان المؤمنين، وسند الموحدين، أبي الحسن علي بن أحمد السموقي الداعي. ألسلام عليك. فإنني أحمد إليك مولانا الذي لا مولى لنا سواه. وأشكره على سوابغ نعمه وآله، وأعبدته سرّاً وجهراً وأصبر على بلواه. فعن قريب يبلغ الكتاب أجله، والمؤمن أمله، ويرتفع الظاهر ومِـلَّه^(٣).

(٢) من المفروض أن يكون للحد الرابع، تقليد خاص به. ولكن لا أثر له في الحكمة.

(٣) يرتفع الظاهر ومِـلَّه، أي يقضي على الاسلام ومِـلَّه.

أما بعد فإنني أحمد إليك مولانا جلّ ذكره الذي أنعم عليك، أطال
المولى بقاءك، وأدام عزك وعلاك، بنعمة كنتَ عنها غافل، وأحسن إليك فيها
بما يكلّ عنه القائل، وأعطاك عزاً سانياً طائلاً، وجعلك من الملائكة المقربين،
والحدود العاليتين.

ومن إنعامه عليك، بما أيّدني به سبحانه إليك، عند سماع لفظك،
ومعجز تنميّتك، وإحكام تأليفك. فكأنني نظرتُ إليك قديماً، فعرفتُك بالذكاء
والفطنة شخصاً حليماً. فأشرقَتْ زهرةُ أفاضلك، في سماء عقلك وإضمارك،
وفكرِك وأوهامِك. وفاحَ نسيم زهرتِك عن صحيح عقيدتك، فاستحقّيت بذلك
علوَّ المنزلة ورفيع الدرجة^(٤).

ولم يُمكن الزمانُ لما تقدّمتْ مراتبُ الحدود أن تقطعها، فجعلناك
الجناحَ الأيسر، إذ كان الأيمن قد تقدّمك، وهو سلامة بن عبد الوهاب. وتلك
منزلة كانت مؤهّلة لك إلى يوم الوقت المعلوم، لأنّها مرتبة التالي. ومنه يظهر
الفعل إلى كل مستمدٍّ منه من بعد السّابق العالي. فالقوّة للسّابق مستورة
مكتومة، والفعل للتالي بأفعال صحيحة معلومة^(٥).

وليس يجري عصرنا هذا كسائر الأعصار، ولا حدوده تقاس بمن
تقدّم في الأدوار، وتالينا يقوم بها أعلى من كل حدّ قام.

فاخدم ببركة المولى في الحدّ الجليل الذي أهّلت له واستعدّ لك
كأخيك الجناح الأيمن ثلاثين حدّاً دعاء ومأذونين ونقباء ومكاسرين.

(٤) يبدو أن المقتنى، كما هو بيّن، كان أديباً حكيماً مثقفاً ثقافةً شاملة وعالية.

(٥) السّابق الذي هو رابع الحدود، يعمل بالسّر؛ فيما التالي، خامس الحدود، عليه أن
يعمل بالجهر. لهذا، فلئن جاءتْ مرتبة بهاء الدّين بعد مرتبة السامري، فله دور أعظم
ومهمّة أصعب. وهو أهل لها. بذلك يعوّض عليه حمزة بما أعطاه من دور لا بما أعطاه
من مرتبة.

واعلم أن أول السبعة المفترضات صدق اللسان. والصدق هو الولي، وضده الكذب. والصدق والكذب يتشابهان في التخطيط. كذلك الضد يتشبه بالولي، لأن الولي جل اسمه لا ضد له. وكذب ثلاثة أحرف، وصدق ثلاثة أحرف. فإذا حسبناهما في حساب الجمل افترقا، لأنك تقول: ك عشرون، ذ: أربعة، ب: إثنان. الجميع: ستة وعشرون حرفاً. وهم إبليس وزوجته وأربعة وعشرين أولادهما. فمن تبعهم خرج من التوحيد.

والصدق س: ستون، د: أربعة، ق: مائة. فذلك مائة وأربعة وستون حرفاً، دليل على مائة وستين حداً. يكون للإمام منها تسعة وتسعون حداً. كما قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً. من أحصاها دخل الجنة»، أي لإمام التوحيد تسعة وتسعون داعياً من عرفهم دخل حقيقة دعوته المستجنة بأهلها، أعني محيطة بهم. والجنح الأيمن وثلثون حداً. والجنح الأيسر وثلثون حداً. فذلك مائة وأحد وستون حداً. يبقى ثلاثة حدود وهم النفسانية، الجواهر الثلاثة المكونة التي فوق السابق، لا تنكشف ولا تتشخص إلا في عصر قائم الزمان. وهم الإرادة، والمشية، والكلمة.

نطق المصور^(٦): «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كُنْ فيكون»، وقال: «وما تشاءون إلا أن يشاء الله»^(٧)، وقال: «ولولا كلمته سبقت من ربك»^(٨).

فأما الإرادة فهو ذو معة وهو قائم الزمان هادي المستجيبين المنتقم من المشركين بسيف مولانا وشدة سلطانه.

(٦) انظر في القرآن: ١١٧/٣، ٤٧/٣، ٥٩/٦، ٧٣/٧، ١٤٤/١٥، ٩٨/١٦، ٤٠/١٩.

٦٨/٤٠، ٦٦/٢، ٨٢/٣٦، ٣٥/١٩.

(٧) سورة الانسان ٣٠/٧٦.

(٨) انظر في القرآن: ١٩/١٠، ١١٠/١١، ١٢٩/٢٠، ٤٥/٤١، ١٤/٤٢.

وأما المشيئة فهو ذو مصّة، أُنفس الكلية، الحجة الصفيّة الرضيّة،
الشيخ المجتبى، صفوة المستجيبين، وكهف الموحّدين، أخنوخ الأوان،
وإدريس الزمان، وهرمس الهرامسة، أخي وصهري أبو إبراهيم إسماعيل بن
محمدّ ابن حامد التميمي الداعي، وفقّه المولى وسدده وأعانه وبلغني فيه
المنى.

وأما الكلمة، أخي الشيخ الرضى، سفير القدرة، فخر الموحّدين،
وبشير المؤمنين، وعماد المستجيبين، وكلمتهم العليا، أبو عبد الله محمد بن
وهب القرشي، الداعي، أعانه المولى ووفقّه وسدده. فاحمد المولى جلّت
قدرته، واشكره على تواتر نعمته.

واكتب الميثاق على المستجيبين بضبط الحليّة^(٩) وإحكام الشهادة.
وكن بهم رفيقاً، وعليهم شقيقاً. فبهذا أوصاني مولانا جلّت قدرته في ظاهر
الأمر.

وانسخ الميثاق والرسالة من عبد الشيخ سفير القدرة اللاهوتيّة.
وارفع الموثيق مع من استهدف^(١٠) لك من شَيْخِي التوحيد وأوتاد التمجيد،
الأخوين المباركين المحبّين النّاصحين، جزاهما المولى عني خيراً.

واعرف حسن بن هبة الرّفاء، نقيب النقباء، ليكون هو وأصحابه
فيما يعرض لك في المدينة من المهمّات.

ولا يكون أخذك على المستجيبين خارجاً عمّا في تقليد أخيك
المصطفى أعزّه المولى^(١١).

(٩) الحليّة هي الصفة التي يميّز بها أنسان عن آخر. وعادة ما تكون في وجهه.

(١٠) استهدف : أمكن وتسهّل .

(١١) لا يوجد هذا التقليد في مجموعة رسائل الحكمة. وربّما يكون قد ضمّن في تقليد

وسلام المولى عليك سلام رضى ومحبة، وعلى سائر الموحدين.
ورحمة المولى وبركاته.

وكتب هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا وشدة
سلطانه بخطه في يوم الجمعة، الثالث عشر خلت من شعبان، الثالث من
ظهور سنينه المباركة. المولى حسبنا وبه أستعين ونعم النصير المعين.
سبحانه وحده لا شريك له.

مَكْتَبَةٌ إِلَى أَهْلِ الْكُدِّيَّةِ الْبَيْضَاءِ

الكُدِّيَّةُ، لغةً، الأرضُ الغليظة المرتفعة. وهي قرية في مصر، لا نقدر تحديدَ موقعها. هذه المكاتبَةُ، بالرَّغم من قصرها، تدلُّ على قوة منازل أهلها في الدِّين من ثلاثة وجوه: اقتصارها، وكون قائم الحقِّ كَتَبَها بخطه، وكونهم سلموا بعد محنة الشكوك. كتبها حمزة قصد الإشارة إلى حسن بن هبة الرفاء ليكون صلة بينه وبين أهل الكديّة البيضاء.

تَوَكَّلْتُ على مولانا وحده، المنجِز لعبده الإمام الهادي وعده، إلى الكُدِّيّة البيضاء، العالِيون أهلُها. سلام عليكم بحسن نيّاتكم، وحميد أفعالكم، سلمتم من المحنة إذ أنتم بين يديّ مُصَوِّرِينَ، بلطائف الأمور ومجاري الأحكام مطمئنّين. ومشية المولى نافذة فكونوا راضيين مسلمّين.

ولا تُشَرِّدُوا كتبكم عنّي. وأرسلوها إليّ على يد الشيخ سفير القدرة اللاهوتية، أعزّه المولى بي. وإن لم يعرف الرّسولُ فليسلّ المستجيبين عن حسن بن هبة الرّفاء، نقيب النقباء. تدفع إليه كتبكم، فإنّها واصله على يده.

والوصاة بترك الإصغاء إلى شناعات الأوغاد، فإنّها محنة واقعة بأهلها. والسلام. وكتب قائم الزمان بخطه. والحمد لمولانا وحده.

رسالة الانصناء

من حمزة إلى أهل أنصنا الموحدين في صعيد مصر. يدعوهم إلى
الصبر والرضى والتسليم لمشيئة المولى. كتبها سنة ٤١١

من هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا إله
العالمين. بتأييد المولى جلّ وعلا نطقْتُ، وبتوقيقه فتقتُ، وإليه في جميع
الأمور ارتجعتُ. وأنتم معاشر الموحدين بالانصناء، كثُر المولى عددكم،
وزكَّى أعمالكم. إلى توحيد مولانا دعوتُكم، الذي لا مولى لنا سواه، معلٌ علة
العلل، منزّه عن القدم والأزل. ظهر لنا فينا جلّ عن التشبيه والمثل، إنسيّة
لقولنا، وشفقةً منه علينا. سبحانه وتعالى عن الصاحبة والولد. اصطفاني
من بين عباده، وأقامني داعياً إلى توحيده في كلِّ عصر وزمان، لم أعرف
غيره، ولم أتوجه إلاّ إليه. سبحانه ما أعظم شأنه وأجلُّ سلطانه.

وأنتم المستجيبون لوحداًنيّته، المسدّقون بصمدانيّته، الرّاضيون
بقضائه ومشيتّه. وإنّ مولانا سبحانه وحده لا شريك له عالم بسرائركم،
مطلع على ما في ضمائركم، مجازٍ لكم على قدر أعمالكم.

وأنتم معاشر الموحدين، نحوكم يرنو طرفي. وما عنكم من توحيد
مولانا جلّ ذكره شيء مخفي. إلى توحيد مولانا دعوتكم، ومن خلفه
حدّرتكم، وبإنجاز وعده بشرتكم، فلكلِّ أجلِّ كتاب، ولكلِّ مقالٍ جواب.

بالصبر جاوبتكم، وبالرضى والتسليم أمرتكم. والمولى أوعدني، وهو منجز مواعيده بما يشاء كما يشاء. لا معارضة لحكمه ولا راداً لقضائه ومشيتته. فكأنني بكم وجيوش الفرج قد نزلت، وأعلامه قد نُشرت، ومستوراته قد كُشفت. فكونوا لذلك مستعدين، ولعجزاته مستبشرين، تكونوا يومئذ من الفائزين. لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وكتب هادي الستجيبين في عشرة من جمادى الآخرة، الثالث من سنيته الماركة.

والسلام عليكم ورحمة المولى وبركاته. وهو حسبي وثقتي، وبه أستعين.

تمت.

شروط الإمام صاحب الكشف

لا ذكر لاسم الكاتب ولا لتاريخ كتابتها. تتضمن شروط الزواج والطلاق وما يتعلق بهما من إرث. وهي أساس للقوانين الدرزية والاحوال الشخصية المعمول بها، عند الموحدين الدروز حتى اليوم.

توكلت على مولانا جلّ ذكره. أَلحمد لمولانا الحاكم منشئ الحقّ ومؤيِّده، وقامع الباطل بالحقّ ومذلّ أهله ومبذِّدُه، ومؤيِّد أوليائه وعبيده، وماحق الجحده الكافرين وَعَنَدَتِهِ، الذين شكّوا بنعمته الكاملة، وبركاته الشاملة، وموآده المترادفة المتواصلة. وصلواته على مَنْ اختاره من عبيده، ألقائم بكشف السرّ عن أمره ونهيه، وموضح الطريق للمستبصرين، وموهن كيد أهل الضلال الخائبين، أعني قائم الزمان وعبيده الحدود المستخدمين.

من العبد المختار إلى كافّة إخوانه الدّعاة إلى توحيد المولى الإله الحاكم الجبّار والمُعَدِّين للقضاء بين الموحّدين الأبرار، والعرفاء الأنصار.

قد وصلني، أطال المولى بقاء سادتي وإخوتي الشيوخ، أنّ الأحكام في فرائض الرّضى والتسليم في سبب زيجة الموحّدين والإلفة بين الإخوان

والأخوات، مُرْتَجَّةٌ عَلَيْهِمْ^(١)، وَأَنْ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِمَا تَوَجَّبَهُ شُرُوطُ الدِّيَانَةِ، وَكَيْفَ تَكُونُ الْمَصَاحِبَةُ بَيْنَهُمْ.

فَيَجِبُ أَنْ يَعْلَمُوا سَادَاتِي أَنَّ شُرُوطَ الرِّضَى وَالتَّسْلِيمِ لَيْسَ تَجْرَى مَجْرَى غَيْرِهَا مِنَ الزَّوْاجِ. لِأَنَّ الرِّضَى وَالتَّسْلِيمَ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ الْبَارِي سَبْحَانَهُ، فَمَنْ نَقَضَهَا فَقَدْ خَالَفَ أَمْرَ مَوْلَانَا جَلَّ ذِكْرُهُ.

وَالَّذِي تَوْحِيهِ شُرُوطُ الدِّيَانَةِ أَنَّهُ إِذَا تَسَلَّمَ أَحَدُ الْمُوَحِّدِينَ بَعْضَ أَخَوَاتِهِ الْمُوَحِّدَاتِ فَيَسَاوِيهَا بِنَفْسِهِ، وَيَنْصِفُهَا مِنْ جَمِيعِ مَا فِي يَدِهِ. فَإِنْ أُوجِبَ الْحَالُ فَرْقَةً بَيْنَهُمْ فَأَيُّهُمْ كَانَ الْمُتَعَدِّيَّ عَلَى الْآخَرِ، فَإِنْ كَانَتْ الْامْرَأَةُ خَارِجَةً عَنْ طَاعَةِ زَوْجِهَا، وَعَلِمَ أَنَّ فِيهِ الْقُوَّةَ وَالْإِنْصَافَ لَهَا، وَكَانَ لَا بَدَّ لِلْامْرَأَةِ مِنْ فَرْقَةِ الرَّجُلِ، فَلَهُ مِنْ جَمِيعِ مَا تَمْلِكُهُ النِّصْفُ، إِذَا عَرَفُوا الثَّقَاتُ تَعْدِيَّهَا عَلَيْهِ وَإِنْصَافَهُ لَهَا. وَإِنْ عَرَفُوا الثَّقَاتُ أَنَّهُ مُحِيفٌ عَلَيْهَا وَخَرَجَتْ مِنْ تَحْتِ ضَرُورَةٍ خَرَجَتْ بِجَمِيعِ مَا تَمْلِكُهُ، وَلَيْسَ لَهُ مَعَهَا شَيْءٌ فِي مَالِهَا. وَإِنْ كَانَتْ هِيَ الْمُخَالَفَةَ لَهُ وَلَيْسَتْ تَدْخُلُ مِنْ تَحْتِ طَرِيقَتِهِ، فَلَهُ النِّصْفُ مِنْ جَمِيعِ مَا تَمْلِكُهُ، وَلَوْ أَنَّهُ ثَوَّبَهَا الَّذِي فِي عُنُقِهَا. وَإِنْ اخْتَارَ الرَّجُلُ فُرْقَتَهَا بِاخْتِيَارِهِ بِلَا ذَنْبٍ لَهَا إِلَيْهِ، فَلَهَا النِّصْفُ مِنْ كُلِّ مَا يَمْلِكُهُ مِنْ ثَوْبٍ وَرَحْلٍ وَفَضَّةٍ وَذَهَبٍ وَدَوَابٍّ، وَمَا حَاطَتْهُ يَدُهُ لِمَوْضِعِ الْإِنْصَافِ وَالْعَدْلِ.

فَلْيَتَحَقَّقُوا السَّادَةُ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةَ، وَيَعْمَلُوا بِهَا وَبِهَذَا الشَّرْطِ. فَهَكَذَا يَجْرِي الْحَالُ بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَالْحَمْدُ لِمَوْلَانَا وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

(١) مُرْتَجَّةٌ، بِتَخْفِيفِ الْجِيمِ، تَعْنِي: مُغْلَقَةٌ؛ إِيَّائِ الزَّوْاجِ مُغْلَقٌ بَيْنَ الْمُوَحِّدِينَ وَالْمُوَحِّدَاتِ بَيْنَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، لَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ سِوَاهُمْ.

رسالة إلى ولي العهد عمر المسلمين

عبد الرحيم بن الياس

بعث بهذه الرسالة حمزة بن علي إلى عبد الرحيم بن الياس، ابن عم الحاكم. قرّبه الحاكم إليه وأشركه في العهد وفي الطراز والسكة، وجعله وليّ عهده. وعظم أمره وفوض إليه دمشق وأعمالها سنة ٤٠٤ هـ ف أظهر الظلم وسفك الدماء، وأباح المناكر، فخلعه الحاكم، وأرسل له حمزة هذه الرسالة، يطلب منه الإقرار بالتوحيد والكشف، والكف عن القول بأنّه نسيب الحاكم. فلم يرتدّ عن قوله. وأرسل له رسالة ثانية، وهي التالية، رقمها ٢٧، باسم «خمار بن جيش»، وعرفه فيها منزله وفساد نسبه بلا التباس.

توكلت على أمير المؤمنين جلّ ذكره، وبه أستعين في جميع الأمور. من عبد أمير المؤمنين، ومملوكه هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف أمير المؤمنين، إلى وليّ العهد عهد المسلمين وخليفة أمير المؤمنين.

أما بعد فقد حان لوليّ العهد أن يكشف القناع ويعرف لم تسمّى ابن عم أمير المؤمنين. وحاشا مولانا جلّ ذكره من الأب والابن والعم والخال. لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. إنّما سمّاك بهذا الاسم،

ولَقَّبَكَ بهذا اللقب في الزمن الماضي الذي خدمتَ فيه^(١)، وتولَّيت عهد المسلمين وتسمَّيتَ، بزعمك بالشكليَّة والقراية. فأراد مولانا جَلَّ ذكره أن يعرِّفَكَ منزلتَكَ في هذا الوقت كيما تطلب العفو عمَّا مضى.

والآن يجب على وليَّ العهد التضرَّع إلى مولانا جَلَّ ذكره بأن يعفو عنه ويَمحي اسمه من الخطِّ والمكاتبات والمخاطبات. ولا يقل ابن عمِّ أمير المؤمنين اذ كان هو سبحانه منزَّهاً عن الشبهات، ولا يقول هو أيضاً، في مخاطبة أو مكاتبة، سلام الله عليه، إذ كان الله عبده. وأنت أول حُرِّف. وسلام العبد لا يكون على المولى. بل يكون سلام المولى على العبد. وأحسان مولانا عليك قديماً وحديثاً في كل عصر وزمان. وقد قلَّدك وثبَّت الحجة عليك.

والآن فقد استدارت الأدوار، وطلع شمس الشموس وقمر الأقمار، وأوجبَ زماننا هذا كشفَ الاستتار، ومحضَ التوحيد والإظهار، وعبادة مولانا الواحد القهَّار. وقد أدَّيتُ الهداية، ونصحتُك بالكفاية، بأن تُظهر عبادة مولانا على رؤوس الأشهاد، وتقرَّ بلسانك أنَّك عبده ومملوكه، ولا تتقرَّب منه بنسب، بل شُرِّفتَ بخدمة النَّسب، إذا نصحتَ مولاك بعبادته وإن لم تنصحْ وتقرَّ له بالعبودية اذ لا حسب ولا نسب. ومن قاله خسر الدنيا والآخرة. ذلك هو الخسران المبين.

وقد أعدَّ الهادي، ونادى المنادي. وما على الرسول إلاَّ البلاغ المبين. والسلام عليك ورحمة المولى وبركاته. تمَّت الرسالة والحمد لمولانا وحده. وهو حسبي ونعم النصير المعين.

رِسَالَةٌ إِلَى خَمَارِ بْنِ جَيْشِ السَّلِيمَانِيِّ الْعُكَاوِيِّ

هي الرسالة الثانية التي بعثها حمزة إلى عبد الرحيم بن الياس، الملقَّب هنا بـ «خَمَارِ بْنِ جَيْشِ السَّلِيمَانِيِّ الْعُكَاوِيِّ»، والمسمى بـ «إِبْلِيسَ وَالنَّغْلَ اللَّعِينَ، وَالْمَسِيحَ الْحَزِينَ، وَالْمَدْعَى بِأَنَّهُ أَخَ الْحَاكِمِ لَأُمِّهِ».

توكلت على أمير المؤمنين جلّ ذكره وبه أستعين في جميع الأمور.
من عبد أمير المؤمنين جلّ ذكره مولانا سبحانه، ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف أمير المؤمنين جلّ ذكره، إلى إبليس الإبلّاس، ومعدن الشرك والوسواس، النّقل اللّعين، والمسيح الحزين، خمار بن جيش السليماني العكاوي.

أمّا بعد يا خَمَارُ، إن كان إسمُكَ في الأصل حَارَتَ، إبليس، لا يغرّك إمهالك في الدنيا، وما أنت عليه من كفرك وشركك وكذبك على مولانا العزيز، علينا سلامه ورحمته، وتشبّهك بالمولى جلّ ذكره الذي «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»^(١)، الحاكم بذاته، المنفرد عن مبدعاته، علينا سلامه.

ثمّ تزعم بلغتك أنّك أخو مَنْ لَا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ وَالْخَوَاطِرُ، وتستمرّ بذلك على شركك. وجلبت على العالم الغبيّ المعكوس بخيلك وَرَجْلَكَ.

فالحذر الحذر على نفسك مما أنت عليه. وانظر لروحك قبل قيامي
بالسيف على جميع المشركين وأنت أولهم.

فالحذر الحذر، واطلب العفو قبل السفر. واعلم حق مولانا أمير
المؤمنين جلّ ذكره وشدة سلطانه. واخش عذاب نيرانه. وارجع عما أنت عليه
من كفرك وشركك. وكن أنت عوض الجواب^(٢)، تجيء مع رسلي وغلmani
إلى معدن الدين والتوحيد بأمر أمير المؤمنين. ونعرض عليك الإيمان بمولانا
جلّ ذكره، والإقرار بوحدانيته. وتسال العفو مما جنيت من كفرك وأشركت
روحك بمولانا جلّ ذكره. ولا كرامة ولا عزازة ولا مسرة حتى تسأل
وتتضرع إلى رحمة مولانا أمير المؤمنين جلّ ذكره بأن يعفو عن عظيم كفرك
وشركك.

وإن طلبت بهذا الاسم والدعوى حطام الدنيا^(٣)، فانا أسأل مولانا
جلّ ذكره أن يعطيك ما طلبته من الحطام. وإن أبيت ذلك واستكبرت فاخرج
منها، فإنك رجيم. وعليك اللعنة إلى يوم الدين. وهو يوم قيامي بالسيف على
جميع المشركين.

ثم أمرت العبيد بضربك بالسياط وإشهارك بالقاهرة المقدسة
وشوارع مصر وأزقتها. فإن تبت ورجعت عن قولك وإلا أمرت العبيد
بسلكك، وحشوت سلكك تبناً. وصلبتك على باب زويلة وباب الفتوح
لينظروا شيعتك ومحبيك فضيحتك عند أمير المؤمنين جلّ ذكره. ونصّلح
بقتلك العباد، ونمهد البلاد. ثم نبتدي بمن هو مثلك، فنقتلهم قتل الكلاب،
وأقواماً آخرين في العذاب حتى يؤدّون الجالية وهم صاغرون. وذلك بقوة
مولانا جلّ ذكره لا شريك له. وهو حسبي ونعم النصير المعين.

(٢) أي أن خمار أرسل إلى حمزة جواباً من الشام يقول له فيه: لست ابن عم الحاكم
فقط، بل أنا أخوه لأمه وأبيه، والحاكم أخي، والعزيز أبي، وهذا نسبي.

(٣) دعوى أخوة الحاكم.

الرَّسَالَةُ الْمُنْفَرَّةُ إِلَى الْقَاضِي

رسالة حمزة الثانية - على أَنَّ الأولى مجهولة - إلى قاضي القضاة أبي العباس أحمد بن عبد الله العوَّام. وهو مَعَنَ خدموا في الملك، وقضى على جميع القضاة في مصر الفاطميين. قلده الحاكم سجلاً يحكم بموجبه ببلاد الشام سنة ٤٠٧ واستمرَّ حتى ٤١١ هـ. وهو من أهل السنة، فيما كان مَن سبقه مِنَ الشيعة. في هذه الرسالة يؤثَّب حمزة القاضي المذكور على أحكامه على الموحِّدين، ويمنَّه من الاستمرار في ذلك.

توكَّلت على أمير المؤمنين جلَّ ذكره. وبه أستعين في جميع الأمور. معلَّ علةُ العلل. صفات العلة: بسم الله الرحمن الرحيم.

من عبد أمير المؤمنين، ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف أمير المؤمنين وشدة سلطانه ولا معبود سواه، إلى أحمد بن محمد بن العوَّام الملقَّب بقاضي القضاة.

أما بعد فقد تقدَّمتُ لنا إليك رسالة نسألك عن معرفتك بنفسك، فقصَّرتَ عن الإجابة، قلَّة علم منك بالحقِّ وإهجاناً به.

وكيف يجوز لك أن تدَّعي هذا الاسم الجليل هو قاضي القضاة وليس لك علم بحقائق القضايا والأحكام! فقد صحَّ بأنك مدَّع لما أنت فيه.

فيجب عليك أن تعلم نفسك وتدرِّيها. فإن كنت قد جهلتها فأنت فرعون الزمان. وفعلك لاحقٌ بعثمان بن عفَّان. فيجب عليك أن تُقلعَ عما أنت

فيه، وتتبع سير أصحابك المتقدمين أبي بكر وعمر. وتزيل ثلثيمة البياض عن رأسك والعمامة والطيلسان. وتلبس دنية طويلة سوداء بشقائق صفر مدلاة على صدرك، وتلبس دراعة بلا جيب، بل تكون مشقوقة الصدر. وتكون مرقعة بالأحمر والأصفر والأديم الأسود الطائفي. وتكون قصيرة عليك لتلحق في الشكل بعمر بن الخطّاب. ويكون لك درة على فخذك لتقيم بها الحدود على من تجب عليه وأنت جالس في الجامع.

ويكون لك في كل سوق صاحب يتزايًا بزيك وبيده درة تقيم بها في سوقه الحدود على من وجبت عليه، مثل الزاني والسارق والقاذف وشارب الخمر، ممن هو من أهل ملتك. وتكون تتولى الخطبة بنفسك وتطلع على المنبر بلا سيف تتقلد به. ويكون ممرك ومجيكك من دارك إلى الجامع وأنت ماش حافياً لتكون في ذلك لاحقاً بأصحابك المتقدمين أبي بكر وعمر.

وإياك ثم إياك أن تنظر لموحد في حكم، لا أنت ولا عادلتك، في شهادة نكاح ولا طلاق ولا وثيقة ولا عتق ولا وصية. ومن جلس بين يديك على حكم فتسأل عنه، إن يكن موحدًا فترسله إليّ مع رجالتك، لأحكم أنا عليه بحكم الشريعة الروحانية التي أطلقها أمير المؤمنين سلامه علينا.

فانظر لنفسك فقد أعذرتك مرة بعد أخرى وأذرتك.

وكتب في شهر ربيع الأول، الثاني من سنة عبد مولانا ومملوكه هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا أمير المؤمنين، وهو حسبي ونعم النصير المعين.

الْمُنَاجَاةُ مِنْجَاةُ وَلِيِّ الْحَقِّ

صَلَاةٌ مِنْ أَجْلِ الصَّلَاةِ. يَتْلُوها حَمِزَةُ لَمَوْلَاهُ وَبَارِيهِ، بِسَدَقٍ وَمَحَبَّةٍ وَحَقٍّ. فِيهَا الْمُنَاجَاةُ السَّادِقَةُ، وَفِيهَا الْحُبُّ الْعَمِيقُ، وَفِيهَا الْإِخْلَاصُ الْحَقُّ. إِنَّهَا لَمَعَاتُ صُورِيَّةٍ تَجْمَلُ بِالْعَارِفِينَ الْمَشْرِقَةَ عَلَيْهِمْ أَنْوَارُ إِلَهِيَّةٍ خَاصَّةٍ. دَافِعُهَا إِيْمَانٌ بِاللَّهِ الْمُتَجَلِّي فِي مَقَامِ الْحَاكِمِ.

بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ سُبْحَانَكَ، الْقَدِيمَ الْأَزَلِيَّ عَرْشِكَ، الشَّدِيدَ بَطْشِكَ. نُورُ الْأَنْوَارِ فِي كُلِّ مَثْوًى وَمَكَانٍ. خَالِقَ الْأَشْيَاءِ وَبَارِيهَا، وَمَعْلَ الْعِلَلِ وَمَجْرِيهَا. قَدُّوسٌ قَدُّوسٌ، يَا مَنْ أَقَرَّتْ لَهُ النُّفُوسُ. وَشَهِدَتْ بِأَنَّهُ قَبْلَ الدَّهْورِ الدَّاهِرَةِ مَعْبُودٌ، وَفِي الْأَزْمَانِ الْغَابِرَةِ مَوْجُودٌ. رَبُّ الْأَنْوَارِ الْعُلُويَّةِ، وَالْعُنَاصِرِ الْأَزَلِيَّةِ، وَالْعِزَّةِ الْفَرْدَانِيَّةِ الصَّمَدِيَّةِ. وَاحِدِيُّ الذَّاتِ، سَرْمَدِيُّ الثَّبَاتِ، مَبَائِنٌ لِلصِّفَاتِ. بَارِي الْبِرَايَا فِي الْقَدَمِ، فَأَوْجَدَ ذَاتَهُ لَهُمْ كَمَا حَكَمَ، حَكَمَ بِالْحَقِّ فَلَمْ يَدْعُ إِلَى عَدَمٍ. فَهُوَ الظَّاهِرُ لِتَثْبِيَةِ الْحُجَّةِ عَلَى النَّاسِ، وَهُوَ الْبَاطِنُ الَّذِي لَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِ. أَقَامَ قُدْرَتَهُ فِي الْعَالَمِ الَّذِي بَرَاهُ، وَكُلُّ نَاضِرٍ إِلَيْهِ عَلَى قَدَرِ صِفَاهُ، كَالنَّاضِرِ إِلَى وَجْهِهِ فِي الْمَرَاةِ. سُبْحَانَهُ شَاءَ فَأَحْدَثَهُمْ بِلُطْفِهِ خَلْقًا، وَظَهَرَ لَهُمْ كَهُمْ لِيَقَعَ الْإِيْمَانُ بِهِ حَقًّا وَسَدَقًا. ثُمَّ تَأَنَّنَسَ إِلَيْهِمْ، فَثَبَّتَ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ. إِذْ هُمْ يَعْجُزُونَ عَنْ إدْرَاكِ كَيْفِيَّتِهِ، وَلَا يَبْلُغُونَ بِقُوَّةِ عُقُولِهِمْ مَا هَيْتِهِ.

فَحَقِيقٌ حَقِيقٌ عَلَى مَنْ لَمْ يَصَحَّ لَهُ الْوُجُودُ، وَلَا مَعْرِفَةُ الْحُدُودِ، أَنْ يُلْزَمَ الْإِنْكَارَ وَالْجُحُودَ. لَكِنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ عَدْلًا، وَأَحْسَنَ إِلَى الْخَلْقِ فِيمَا فَعَلَ.

إذ قام فيهم ظاهراً موجود، وألزمهم حفظ المواثيق والعهود، وعرفهم نفس العباد من العابد إلى المعبود، بوساطة الإمام وطاعة الحدود.

فتعالى نورك الأزل، قبل الأزل، ومزيج العلل، ومفني الدول الأول. الذي لم يزل باطناً في ظهوره، ظاهراً فيما بطن. يقوم بناسوته في كلّ عصر وزمن. ليس بمحصور في الناسوت، فيغيب عنه علم الملكوت. لكنّه يتجلى، ويتداني ولا يتدلى. ظهوره من غير زوال ولا تنقل، وغيبته من غير حركة ولا تقلقل. بل ظهوره بالشيء إقباله عليه، وغيبته به توفيةً منه إليه.

فتعالى بديع العقل والأجناس، المكوّن بأمره الهيولى والأشخاص. وخالقها وباريها، ومحرّكها إلى أغراضها ومجريها. ألقائم بالناسوت بالعجز حيناً ثمّ بالقدره، الموحى إلى كلّ معلول منه أمره. أجاعل لكلّ علّة منه مقاماً معلوماً، ورسماً مرسوماً. يسبح في دائرته، ويدور على مركز درايته. يطيعه في فعله، ويسبّحه بعقله.

سبّوح له سبّوح، منزّه عن الضدّ والأنداد سبّوح. لا يحوط به رسم، ولا ينطلق عليه اسم، ولا ينحصر في العلم، ولا يتصور في الوهم. بل ينتهي المخلوق من حيث هو إلى مثله، ويهجم به الطلب إلى جنسه وشكله. وهل يرى الناظر في النور إلّا بمثل ما يرى فيه من الكثافة، أم هل يدرك الكثيف للطيف إلّا بمادّة من اللطافة.

فاستبشروا معاشرَ الموحّدين بما أمدّكم به مولانا جلّ ذكره على يد وليّ زمانكم بتأييدٍ من لطيف حكمته، وأحمدوه على ما نشر عليكم من ظلّ رحمته، أذ أوصلكم وهداكم إلى ولايةٍ وليّه ومعرفته، فاعملوا بطاعته، وتمسّكوا بمحبّته، واعلموا أنّكم عبيده وفي قبضته. وهو ربّ العرش مولاكم، يعلم سرّكم ونجواكم، وينظر إلى أعمالكم ويراكم. فاجتنبوه في السرّ والجهر. إنّه عليم بكم ذو خير.

فقد فاز منكم مَنْ كان له وليّاً، وبعده وميثاقه وفيّاً، وبحكمه رضىّاً، أولئك يدخلون الجنّة ولا يُظلمون شيئاً. وأمّا مَنْ لا ذبحرّمه، وانفرد بكتمان سرّه، فقد فاز بنائله وبرّه. فهو صاحب العزّة والنصرة، ومالك القدرة، ومفني الفقر والعسرة، والمستولي على الكرّة، مراراً غير مرّة، ومجلي حنادس ظلمات الفترة، ومؤمّن أوليائه من الحسرة، ومعنى الحجّ والعمرة.

سابقُ الخلق وقديمه، وصاحبُ الحق ومقيمه، غاية القصد والعرض المبرئ من السقم والمرض، ومَنْ عليه في حكمه لا يعترض. الإمام الشديد، صاحب النصّ الوكيد، والأمر الرشيد، والقصر المشيد، والنور العتيد، والقوّة والتأييد، والدعاء والتمجيد، الظاهر في كلّ عصر جديد. صاحب القدس والطهارة، ومعنى الرّمز والإشارة. مولانا الإمام القائم الحاكم.

اللّهم يا مولانا بوليّك وحدودك، إجمع شملَ أوليائك الموحّدين، وكن بنا وبهم حفيظاً أمين. وأنقذهم من سقط الهلاك، واجعلهم مع الأملاك. سالمين من حرّ نارك، عزّ جارّك، وجلّ ثناؤك، ولا إله يا مولانا سوى النور المحتجب بحجابك. خلّصني يا مولاي من هذا العالم الدنيّ الفاني، وأعني بالقيام على قضاء حقوق أوليائك الموحّدين إخواني. واجعلني بينهم بالعقل متخلّقاً، وبولاء وليّك ميّقناً متحقّقاً. وبسبب أنوارك يا مولاي متعلّقاً.

يا من قَصُرَ عن دونه جدّي، وذُلّ له خدّي، وأتى إليه قصدي، وأعلنتُ له مخلصاً حمدي. ها أنا يا مولاي متوجّه إليك، ومتكلّ في النجاة عليك. فلا تُبْعِدْني من المحلّ القريب، ولا تُطِلْ سَفَرِي عن العالم النجيب. وبخني يا مولاي من الغفلة عن الحقّ القاصد، والاشتغال بالغرور البائد. إليك هربتُ من ذنوبي، وأملتُكَ لكشفِ كربّي، وسرّ عيوبي. فامننْ عليّ برضاك، وأعني على ولاك، والبراءة من أعداك، فما لي مولى سواك. لك زيارتي، إليك معني إشارتي، وحبّك طهارتي، وأنت ذخيرتي، في دنياي وآخرتي.

فَتَسَدِّقْ عَلَيَّ بِنَظَرَةٍ مِنْكَ تُحْيِيَنِي، وَتَعْطِفُكَ عَلَيَّ يُغْنِيَنِي، وَبِرِضَاكَ
تُنَجِّيَنِي، فَإِنْ مَنَعْتَنِي فَمَنْ يُعْطِيَنِي، وَإِنْ أَبْعَدْتَنِي فَمَنْ يُدْنِيَنِي. فَأَنْتَ صَاحِبُ
الْعَاجِلَةِ، وَإِلَيْكَ حُكْمُ الْأَجَلَةِ. مَنْ طَلَبَ مِنَ الدُّنْيَا أُعْطِيَتْهُ، وَمَنْ طَلَبَ مِنَ الْآخِرَةِ
دَلَّلْتَهُ وَهَدَيْتَهُ. سَمَاءُ مَجْدِكَ مُطَّلَّةٌ، وَسَحَابُ جُودِكَ مَنَهَّلَةٌ، وَأَنْتَ الْمَغْنِيَّ مِنَ
كُلِّ قَلَّةٍ، الشِّفَاءُ مِنْ كُلِّ عِلَّةٍ.

وَأَنَا عَبْدُكَ اللَّائِثُ بِحَرَمِكَ، الزَّائِرُ لكَرَمِكَ، الشَّاكِرُ لِنِعْمِكَ، الْمُسْتَغِيثُ مِنَ
نَقَمِكَ. أَلْمُسْتَجِيرُ بِكَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْحَيْرَةِ وَالْفَقْرِ، وَفِي الْآخِرَةِ مِنْ عَذَابِ
الْقَبْرِ. غَلِطَ الْخَلْقُ عَنْ ضِيَاءِ نُورِكَ بِكَ. فَاسْتَوْحَشُوا مِنْ جِهَةٍ مَا ظَهَرَ لَهُمْ مِنْ
شَبِّهِه مَجَانِسَتِهِمْ، فَشَكُّوا فَبَقُوا حَيَارَى، بِمَا تَرَاءَى لَهُمْ سُكَارَى؛ عَاجِزِينَ
شَاكِينَ جَاحِدِينَ. وَأَنْسَ بِكَ الْمُوقِنُونَ بِعَهْدِكَ، وَالْمُؤْمِنُونَ بِمِيثَاقِكَ وَعَقْدِكَ. بِمَا
أَيَّدْتَهُمْ بِلُطْفِ تَأْيِيدِكَ، إِظْهَاراً وَأَسْرَاراً.

فَظَاهَرُكَ قَبْلَةَ الْعَارِفِينَ، وَبَاطِنُكَ سِرَّ الْعَابِدِينَ. عَبْدُوكَ مِنْهُ لَمَّا عَرَفَتْهُمْ
بِنَفْسِكَ كَهْمُ. فَأَنْتَ الْمَوْجُودُ فِي الظَّاهِرِ وَلَا غَيْرِكَ، وَالْمَعْبُودُ فِي الْبَاطِنِ وَلَا
دُونَكَ. قَرِيبٌ تَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَاكَ، بَعِيدٌ عَلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْ نِدَاكَ.
نُورُكَ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِكَ يَتَلَاوُا، وَكَلَامُكَ عَلَى أَلْسِنِ حُجَّجِكَ يَتَجَارَى.

وَلِيكَ بَحْرُ الْبُحُورِ، وَنُورُ الْفُرْقَانِ وَالزُّبُورِ، وَآيَةُ الْكَرْسِيِّ فِي سَائِرِ
الدُّهُورِ. أَلَيْكَ بِكَ التَّجِينَا، وَإِلَيْكَ أَنْبَنَّا. وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ وَأَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ.
إِحْفَظْنَا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِينَ، وَمِنْ غُرُورِ الْغَاوِيِينَ. وَمَنْ بَلَسَ كُلَّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ
رَجِيمٍ.

بِسْمِ الْوَاحِدِ الْقَدِيمِ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. نُورُ بَنُورِكَ قُلُوبَ أَوْلِيَائِكَ
الْعَارِفِينَ، وَبَصَرُ أَصْفِيَائِكَ الطَّالِبِينَ، الْمُخْبِتِينَ بِنَظَرَةِ الْيَقِينِ. وَاجِلِ الرَّانِ عَنْ
قُلُوبِهِمْ، وَثَبَّتِ الْإِيمَانَ فِيهَا بِمَعْرِفَةِ التَّوْحِيدِ.

يا مَنْ له العزّة والتّمكين. أنصرتنا على أعداء الدّين، المارقين الجاحدين
الناكثين، الذين نكثوا عهدك، وجحدوا ميثاقك وعقدك. ومرقوا من دينك،
وأظهروا الفساد في أرضك. فدمّر عليهم بدمارك، كما دمّرت على قوم عاد
وئمود. ودمدم عليهم بيوتهم إنك علام الغيوب. تُؤتي الملك لمن تشاء. وتمنع
الملك ممّن تشاء. وتُعطي وتجازي وتعفو وتغفر لمن تشاء. وأنت العادل في
حكمك، الماضي لأمرك؛ رضينا وسلّمنا أمورنا إليك. إنك حميد مجيد جواد
كريم. تجاوز عما مضى، واعفُ عنّا واغفر لنا ذنوبنا. وبدّل سيئاتنا بوعدك
السّادق وإحسانك القديم. فنحن عبيدك الخاضعون الخاشعون المنتظرون
لجميل إحسانك. المسدّون بوعدك وامتنانك.

يا وليّ الصّالحين، وغاية الطالبين، وإنّس العارفين، ورجاء الموحّدين.
بك اهتدينا، وبنورك أبصرنا. وعليك اتكلنا. إنك أهل التقوى وربّ المغفرة.
فلك الحمد كما مننت يا مولانا.

والحمد لمولانا هو حسبي ونعم النصير المعين.

٣٠

الرَّحْمَنُ الْمُسْتَجَابُ

مناجاة ثانية لحمزة، فيها يسبِّح المولى على خلقه العقل والنفس، أصليين لكل موجود. فيها يسأله العفو والغفران، بأسلوب صوفي رائع، فيه نفحة من أحسن ما في التوراة والإنجيل والقرآن، من صلاة وتضرع يعبران عن انسحاق قلب عميق.

سبحانك يا مبدع الأشياء لا من شيء كان ولا من مادة ولا بألة ولا بمعين ولا بمثال صورة معلومة عنده، بل بوجوده وعلمه وإرادته أجراها وأنشأها. وأنشأ كل شيء منها بتقدير محكم وفعل متقن.

سبحانك يا مخترع العالمين بما فيها من غرائب الصنع ولطيف التدبير، وخفي الحكمة والتقدير. بأمرك الذي هو الإبداع المحض علة لجميع الأشياء الموسومة بالأيش.

سبحانك يا مبدع العقل التام، ومعدل جميع الخلقة فيه بالقوة حتى لم يخرج عنه شيء منها. وخالق النفس المنبعتة منه لإظهار ما تضمنته ذاته من الصور المبروزة فيه.

سبحانك يا من جعل النفس علة لإخراج التراكييب من الدوائر والأجرام والأُمّهات. وجعل قرار الموالييد على أشرفها وأعلاها الذي إليه انتهت صفوة العالمين وهو البشر. وجعل منتهى غاية صفوة البشر وشرفه

وَكَبَّ لَطَافَتَهُ عَلَى الْأَسَاسِينَ الَّذِينَ بِهِمَا قَامَتِ التَّدَابِيرُ فِي هَذَا الْعَالَمِ
الْجِسْمَانِيِّ. وَمِنْ جِهَتِهِمَا ظَهَرَتْ آثَارُ الْعَقْلِ وَالنَّفْسِ، وَبِهِمَا نَصَبَتِ الْحُدُودَ
وغيرها في هذا العالم وجميع ما فيه.

سبحانك يا من تعاظمتُ منته بهما على العالم، إذ كانا سبباً
لهدایتهم إلى معرفتك.

سبحانك يا من جعل قرار هداية سَكَّانِ الْعَالَمِينَ مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ
وَالْجِسْمَانِيِّينَ عَلَى تَأْيِيدِ الْأَصْلِيْنَ الْأَعْلَىينَ الْأَنْوَرِينَ اللَّذِينَ بِهِمَا اسْتَفْتَحَتْ
الْخَيْرَاتُ وَظَهَرَتْ الْبَرَكَاتُ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ مِنَ الْبَسِيطِ وَالْكَثِيفِ. وَبِهِمَا
ظَهَرَ تَجْرِيدُ تَوْحِيدِكَ الْحَقِّ وَاثْبَاتُكَ الْحُضْ الَّذِي لَا يَشُوبُهُ تَعْطِيلٌ وَلَا يَلْحَقُهُ
تَشْبِيهٌ.

سبحانك يا من جعل بقاء الكلِّ ودوامه بالإبداع المحض الذي هو
أمرُكَ الْمُقَدَّسُ عَنِ الْخَلْقَةِ.

سبحانك يا من تعزَّزَ بِالْكَبْرِيَاءِ وَالْجَبْرُوتِ.

سبحانك يا منفرداً بِالْعِظْمَةِ وَالْمُلْكُوتِ.

سبحانك يا من لم يزل دهرأً ولا زمان ولا مدَّةً ولا مكاناً.

سبحانك يا من تعاظم أن يكون كمثلُه شيء أو يلحقه وصفٌ
وإصْفٍ مِنْ خَلْقِهِ.

سبحانك يا مَنْ تَعَالَى عَنِ الْمَسَاوَاةِ وَالتَّشْبِيهِ.

سبحانك يا مَنْ لَا تَلْحَقُهُ صِفَةٌ وَلَا لَهُ صِفَةٌ.

شَهِدْتُ وَأَمَنْتُ وَأَيَقَنْتُ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَبَاطِنًا وَظَاهِرًا، بِأَنَّكَ اللَّهُ الْمُبْدِعُ
الْعَزِيزُ الْوَاحِدُ، الْأَحَدُ الَّذِي لَمْ يَتَكَثَّرْ وَلَمْ يَتَزَايِدْ وَلَا يَتَنَاسَبْ. وَإِنَّكَ بَارِئٌ لَا
بَارِئٌ لَكَ، وَخَالِقٌ لَا ضِدَّ لَكَ، وَقَادِرٌ لَا مَقْدُورَ عَلَيْكَ، وَغَالِبٌ لَا مَنْجَى وَلَا

ملتجأ منك إلا إليك. وحاكم لا محكوم عليك. تفعل ما تشاء وتحكم ما تريد.
بأمرك العالي المجدد عن مقارنة الاصوات واللغات.

أسألك يا مولانا وسيّدنا بعظيم جلال قدرتك ونور سلطانك التي
مننت بها على جميع المبدعات والمخلوقات وجعلتها سببا لبقاء هويّاتهم
بفضلك ورحمتك.

أسألك يا مولانا بأوّل شيء ظهر منها بما تحويه هويّته،
ويستخرجه قوله من توحيدك وتنزيهك ونفي التشبيه عنك. بمنّتك عليه
بتاليه المنبعث منه صورة ذاته، لإظهار مقصود حكمتك وإرادتك المنبجسة
من أمرك السالك منازل الخلقة، بما ظهر منها عند المزاوجة بالإفادة
والاستفادة من أنواع الصور الروحانيّة والجسمانيّة.

أسألك أن تمنّ عليّ بخالص معرفتك وحميد طاعتك والبلوغ إلى
مرضاتك والثبات على أمرك والتجنّب لنهيك والصبر على ما ينالني في
عبادتك من شدائد المحن والبلوى التي بها تهذبت النفوس وبها صفت.

يا أرحم الراحمين بحقّك على من لا يصرف هويّته عن تسبيحك
وتقديسك وتمجيدك إلى سواك أن تتفضّل عليّ بذلك، وأن تهب إليّ النصره
والغلبة على شهوات نفسي وخبائث وساوسها وشرورها المدخلة عليّ
النقص والتقصير في طاعتك.

يا مولانا وأنا عبدك المعترف بعظيم جرمه منيّا إليك، متذللاً لديك،
متضرّعا خاضعا لك، معترفاً بالوهيّيّتك، متكلّاً على سعة رحمتك، واثقا
بجودك، خائفاً من عقوبتك، متبرّئاً من كلّ عدوّ لك، متوسّلاً إليك بمحبّة
أوليائك، برياً من حَوْل نفسي وقوتّها، موقناً بأنّ الحَوْل والقوّة لك لا شريك
لك ولا دافع لأمرك، ولا رادّ لحكمك. تجاوز عنيّ واغفر لي ذنبي، واجعل
معرفتكَ التي مننت بها عليّ مخلّدة في نفسي لا ترائلها ولا تفارقها كيف ما

دار بها الحال برحمتك وفضلك الشامل لجميع أوليائك وأحبائك. لا إله غيرك ولا معبود سواك.

أنت العزيز الحكيم تقبلُ سعْيي، واجعلْ ما لَمَع في نفسي، وعبرَه لساني بمقدار قوّتي واستطاعتي، ومبلغ جهدي من هذا القول كَفّارة لعجزِي وتقصيري، وتخلّفي عَمَّا يلزمني من حمدك وشكرك. وإنْ كان تسبيحك وتقديسك وتمجيدك ممَّا لا سعة للمنطق بعبارته، ولا توهّم للنفس لدركه، بل هو أعظم وأجلّ من أن يكون للعقول المهذّبة نحو دركه امتداد ولا احاطة.

أسألك يا مولانا برأفتك وإحسانك، أن ترزقني قوّة بصيرة تتّسع بها نفسي في معرفة توحيدك. ويطول بها لساني في تلاوة حكمتك، ويشتدّ بها شوقُ هويّتي إلى نعمتك، إذا فاضتْ من تَأَقِّي أوليائك، حتى لا تسكن عن المسافرة في درجات التعاليم التي بها يُوقَف على تعظيمك.

يا ذا الحقّ لا إشارة تُلْزِمُكَ ولا أَيْنِيَّة، ولا كَيْفِيَّة ولا مَائِيَّة.

تعاليتَ تعاليتَ عمَّا يقولون الجاحدون، ويتوهّم الجاهلون، المقصّرة التّائّهون، مِن نَفْي ألوهيّتك عند الإثبات المحض اللائق بعظمتك وجلالك، علوّاً كبيراً.

تمّ الدعاء والحمد لمولانا وحده.

التقريش وعا، السارقين

دُعَاءُ لِنَجَاةِ الْمُوحِّدِينَ الْعَارِفِينَ

دعاء الحدود العلوية الخمسة للطبيعة الإلهية المقدسة، لأجل خلاص نفوس جميع الموحدين العارفين. كتبها حمزة بن علي. من دون تاريخ.

توكلت على مولانا الحاكم المعبود وحده، المنجز لعبده الإمام الهادي وعده. توكلت على مولانا حاكم العقل، ومعلّ الأصل، المنزه عن الممثل والمثل، والمتعالي عن الجنس والشكل، ومولى الكل. ألعقل إبداعه، والفكر إحداثه، والقديم سُلْطَانَه، والأسماء لحدوده، والصفات لعبيده. فكلُّ عقلٍ عاجز عند تعظيمه وتوحيده. وكلُّ فكر حائر عند تنزيهه وتجريده. التوحيد له جلّت آلاؤه إقراراً، والإشارة إليه أفكاراً. عجزت العقول عن كنه معرفته، وحارت الأبواب في تدبر حكمته. فهي لعجزها مسرّة مقرّة مذعنة أسيرة، بأنّه، جلّت آلاؤه، معبود الأزمان والمُدَد. سبحانه وتعالى عن الصمد والعدد، وتنزه عن كلِّ إله يُعْتَقَد، ومعبود يوحد، وإلى جبروته يُسْتَنَد.

فجواهر العقل الصافية عند تحديد ظهوراته خاسئة حسيرة. مسلمة عند خطرات عظمتها مذعنة أسيرة. ونفوس الأولياء الأطهار راجعة بكليتها إلى مبدعها ناعمة قريرة. قد سلّمت في عبادتها وتوحيدها من

التعطيل والتشبيه. ووقفت بوليّ زمانها على حقيقة التوحيد والتنزيه. وتقرّبت إليه بحدوده الطاهرين الأوحد. وتحقّقت سِدْقُهُم في الشهادة على أعمال العباد. وتشرّفت بمباشرتها للملائكة الأطهار. وتقدّست بما أتحّد بها من لطائف الأنوار.

اللَّهُمَّ يا مولى الأنام، وحاكم الحُكّام. بعظمة هذا التنزيه والتقديس، وبإجلال الظهورات المملوكيّة لبريّتك على سبيل التأنيس، وإقامة الحجة عليهم ببيان التوقيف ووكيد التأسيس.

اللَّهُمَّ اجعلنا بوليّك وحدوده لآيات التوحيد مسدّقين، ولطاعتك وطاعتهم في التسليم لأمرك موقنين، واعصمنا برأفتك وصونك من غرور الدجاجة المتشبهين، والدعاة إليهم الأنجاس المارقين.

وامهّلنا لإنجاز وعدك لأوليائك المخلصين. إنك على ذلك قدير وبإجابة هذا القسَم وبإجلال ألوهيّتك كفيل جدير.

تمّ التقديس. والحمد لمولانا وحده. وهو حسبي ونعم المعين النصير.

ذِكْرُ مَعْرِفَةِ الْإِمَامِ

وَأَسْمَاءُ الْحُدُودِ الْعُلُويَّةِ رُوحَانِيًّا وَجِسْمَانِيًّا

رسالة هامة جدًا. قد تكون مرجعاً في معرفة مؤسسي الدعوة الدرزية. فهي تعرفنا بحدود التوحيد العلوية الخمسة، بأسمائهم، والقابهم، وصفاتهم، وكنياتهم... قد لا تبدو أنها من تأليف حمزه.

توكلت على مولانا الحاكم المعبود. وإليه أشرنا بالوحدانية في سائر الدهور.

الأسماء الواقعة على مولاي قائم الزمان : الأول منها: علّة العلل، والثاني: السابق الحقيقي، والثالث: الأمر، والرابع: ذو معة، والخامس: الإرادة. العقل الكلّي روحاني. واسمُه جسماني: حمزة بن علي بن أحمد. هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا سبحانه وشدة سلطانه.

ومن بعده: أُنفس الكلّية، الحجة الصفيّة الرضيّة، أخنوخ الأوان، وإدريس الزمان، هرمس الهرامسة، الشيخ المجتبى روحاني. واسمُه جسماني: أبو إبراهيم إسماعيل بن محمد بن حامد التميمي الداعي.

ومن بعده: الكلمة، الشيخ الرضى، سفير القدرة، فخر الموحدين، وبشير المؤمنين، وعماد المستجيبين، وكلمتهم العليا روحاني. واسمُه

جسماني: أبو عبد الله محمد بن وهب القرشي الداعي.

ومن بعده: الجناح الأيمن، الشيخ المصطفى، نظام المستجيبين، وعزّ
الموحّدين، روحاني. واسمه جسماني: أبو الخير سلامه بن عبد الوهاب
السامري الداعي.

ومن بعده: الجناح الأيسر، الشيخ المقتنى، بهاء الدين، ولسان
المؤمنين، وسند الموحّدين، الناصح لكافة الخلق أجمعين، روحاني. وأسمه
جسماني: أبو الحسن علي بن أحمد الطائي السّموقي الداعي.

ذكر معرفة الأربع حُرْم :

أسماءهم : إسماعيل. محمد. سلامة. علي.

كناهم : أبو إبراهيم، أبو عبد الله ، أبو الخير، أبو الحسن.

منازلهم : النفس الكليّة، سفير القدرة، الجناح الأيمن، الجناح
الأيسر.

ألقابهم: المجتبي صفوة المستجيبين وكهف الموحّدين؛ المرتضى
فخر الموحّدين وبشير المؤمنين؛ المصطفى نظام المستجيبين وعزّ الموحّدين ؛
الشيخ المقتنى بهاء الدين ولسان المؤمنين وسند الموحّدين.

والحمد لمولانا إله العالمين.

تمّت والسلام.

رسالة التعزير والتنبيه

من رسائل حمزة. فيها يبين منزلته ومهمته الموكلة إليه من قبل كل الدهور. فهو يبشّر المؤمنين بالمكافأة المعدة لهم، ويُنذر الكافرين بقصاصات لا نهاية لها. يوصي الموحّدين بحفظ بعضهم بعضاً ليكمل إيمانهم. في الرسالة إشارة واضحة إلى التقية وكيفية صون الحكمة من غير أهلها.

بسم الأزليّ القديم، والمولى الكريم، والرب الرحيم. ألوّاحد المنزه عن صفة الآحاد، الفرد الذي لا يشاكل الأفراد، المتعالي عن سمة الأعداد والأنداد، المولى المتعظيم عن معنى الصاحبة والأولاد، الحاكم الذي خضعت لهيبته جميع العباد. لم يتجانس مع المتجانسين، ولم يبلغ كنه وصف الواصفين، ولا تدركه أبصار الناظرين، ولا تحوط بهويته أفكار المتفكرين.

مبدع المبدعات بقدرته، وموحد الأشياء بمشيئته، الذي أوجد القلوب عرفان طاعته، فأخذت القلوب من معرفته ما احتملت، وكشف لها من مكنون سرّه ما علمت، أبدع الأشياء بلا مثال، وهو الباقي الذي ما للملكه زوال. انفرد بالإلهية، وأيد أهل طاعته بروح قدسية. أبدع الحدود الروحانيات، ورفع بعضهم على بعض درجات. وخصّني وفضلني عليهم بالتأييد والبركات.

فالحمد لمن أبدعني من نوره، وأيدني بروح قدسه، وخصّني بعلمه، وفوّض إليّ أمره، وأطلعني على مكنون سرّه.

فأنا أصل مبدعاته، وصاحب سرّه وأماناته، المخصوص بعلمه وبركاته.

أنا صراطه المستقيم، وبأمره حكيم عليم.
أنا الطّور، والكتابُ المسطور، والبيت المعمور.
أنا صاحب البعث والنّشور.
أنا النّافخ بإذن المولى سبحانه في الصّور.
أنا إمام المتّقين، والعلمُ المبين، ولسانُ المؤمنين، وسند الموحدين.
أنا صاحب الراجفة، وعلى يدي تكون النّعم المترادفة.
أنا ناسخ الشرائع، ومهلك أهل الشّرك والبدائع.
أنا مهدم القبلتين، ومبيد الشريعتين، ومدحض الشهاداتتين.
أنا مسيح الأمم، ومُنّي إفاضة النّعم، وعلى يدي يحلّ بأهل الشّرك النّقم.

أنا النار الموقّدة، التي تَطْلُعُ على الأفئدة.
أنا مُمَدُّ الحدود، والدّالُّ على توحيد المعبود، ومُفْنِي أهل الشّرك والجحود.

أنا مُجَرِّد سيف التوحيد، ومهلك كلّ جِبَارٍ عنيد.
أنا قائم الزّمان، وصاحب البرهان، والهادي إلى طاعة الرحمن.
فالويل كلّ الويل لمن حاد عن طاعتي وَصَدَفَ، وبتوحيد المولى سبحانه وبإمامتي لم يَعْتَرِف. فقد أوحى إليّ سبحانه أنّه لا بدّ حتماً من إنجاز الوعد المحتوم، وقتل كلّ كافِرٍ ظَلُوم. وأُفْنِي أهل الشّرك والعناد، والمنافقين والأضداد، وأملك بسيفي جميع البلاد، وأحكم على جميع العباد. ففريقٌ يسعد، وفريقٌ يحلّ به العذاب السّرمَد.

فَمَنْ آمَنَ قَبْلَ ظَهْوَرِ الْوَعْدِ وَوَحَّدَ الْمَعْبُودَ، وَأَقْرَبَ بِإِمَامَتِي وَعَرَفَ
مَرَاتِبَ الْحُدُودِ، نَالَ الْمَفَازَ مَعَ الْأَبْرَارِ، وَحَلَّ فِي دَارِ الْبُغِيمِ وَالْقَرَارِ. وَمَنْ لَمْ
يَعْرِفِ الْحُدُودَ، وَلَا يُوَحِّدُ الْمَعْبُودَ، فَلْيَلِزِمِ الْإِنْكَارَ وَالْجُحُودَ. وَيُؤَدِّ الْجَزِيَّةَ
وَيَحِلَّ بِهِ الْعَذَابَ، وَتَنْقُطُ بِهِ الْأَسْبَابُ. فَلَا بَدَّ حَتْمًا مِنْ فَنَاءِ الْمُنَافِقِينَ، وَقَتْلِ
الْفَاسِقِينَ، وَذِلِّ الْكَافِرِينَ؛ وَيُؤَدُّوا الْجَزِيَّةَ وَهُمْ صَاغِرُونَ، وَيَلْزِمُوا لِبَسِ
الْغِيَارِ وَهُمْ كَارِهُونَ. وَيَنْزِلُ بِهِمُ الْحَقُّ وَالتَّغْيِيرُ، وَيَحِلُّ بِهِمْ خِزْيُ الْمَلِكِ
الْقَدِيرِ.

فَأُبَشِّرُوا أَيُّهَا الْمُوَحِّدُونَ بِمُلْكِ ذُرَارِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَرْضِهِمْ وَخِرَابِ
دِيَارِهِمْ، وَسَبِي حَرِيمِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ، وَإِخْلَاطِ دَمِ رَجَالِهِمْ بِدَمِ كَلَابِهِمْ.
وَيُوسَمُونَ بِسِمَةِ الْعَبِيدِ، وَتَمْلِكُ ضَعْفَاؤُكُمْ مِنْهُمْ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ. يَوْمُئِذٍ
يَطْلُبُونَ الْخَلَاصَ، فَيَقُولُ الْكَافِرُ يَوْمُئِذٍ لَا مَنَاصَ. مَا لَهُمْ مِنْ شَافِعِينَ وَلَا
سَدِيقٍ حَنِينٍ. بَلْ غَلَبَتْ عَلَيْهِمْ شَقَوْتُهُمْ مِنْ قَبْلِ هَذَا وَكَانُوا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ.

لَقَدْ دَعَتْهُمْ الْحُدُودُ فَلَمْ يَجِيبُوا، وَعَنْ غِيَّهِمْ وَجَهْلِهِمْ لَمْ يَحِيدُوا. وَلَقَدْ
نَبَّهُوا إِلَى الْمَعْرِفَةِ فَلَمْ يَنْتَبِهُوا، وَحَذَّرُوا مِنَ الْعَذَابِ فَلَمْ يَحْذَرُوا. فَمَا عَمِيَتْ
أَبْصَارُهُمْ، بَلْ عَمِيَتْ قُلُوبُهُمْ، وَجَهَلَتْ نَفُوسُهُمْ بِكُفْرِهِمْ وَغِيَّهِمْ، فَصَدَّوْا عَمَّا
دُعُوا إِلَيْهِ، وَأَعْرَضُوا عَمَّا دَلَّ الْحَقُّ عَلَيْهِ. فَسَوْفَ يَنْدَمُوا عَلَى مَا فَرَّطُوا،
وَيَدْرُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ قَدْ ارْتَبَطُوا؛ فَلَا تَصْغُوا إِلَى مَا زَخَرْتُمْ. وَلَا تُجِيبُوا إِلَى
مَا أَلْفُوا. وَاطْلُبُوا الْحِكْمَةَ مِنْ مَعَادِنِهَا، وَلَا تَشْتَغَلُوا بِالدُّنْيَا وَحَطَامِهَا. فَلَا بَدَّ
مِنْ انْقِطَاعِ الْأَمْيَاهِ الْوَارِدَاتِ، وَتَكْثُرِ فَيْكُمِ الْبَلَايَا وَالْامْتِحَانَاتِ. فَاصْبِرُوا عَلَى
الْامْتِحَانِ، تَنَالُوا الْمَغْفِرَةَ وَالْإِحْسَانَ.

وَصُونُوا الْحِكْمَةَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا. وَلَا تَمْنَعُوهَا لِمُسْتَحَقِّهَا. فَإِنَّ مَنْ
مَنْعَ الْحِكْمَةَ عَنْ أَهْلِهَا فَقَدْ دَنَسَ أَمَانَتَهُ وَدِينَهُ. وَمَنْ سَلَّمَهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا فَقَدْ
تَغَيَّرَ فِي أَتْبَاعِ الْحَقِّ يَقِينَهُ. فَعَلَيْكُمْ بِحِفْظِهَا وَصَيَانَتِهَا عَنْ غَيْرِ أَهْلِهَا

وَالْإِسْتِتَارِ بِالْمَأْلُوفِ عِنْدَ أَهْلِهِ. وَلَا تَتَكَشَّفُوا عِنْدَ مَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ شَقَوْتُهُ
وَجَهْلُهُ. فَإَنْتُمْ تَرَوْنَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَوْنَكُمْ. وَأَنْتُمْ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ عَارِفُونَ،
وَعَلَى مَا أَلْفَوْهُ مِنْ زُخْرَفٍ قَوْلُهُمْ مُطَّلِعُونَ. وَهُمْ عَمَّا فِي أَيْدِيكُمْ غَافِلُونَ،
وَعَمَّا اقْتَبَسْتُمُوهُ مِنْ نَوْرِ الْحِكْمَةِ مُحْجُوبُونَ. لَقَدْ أَخْرَسُوا وَنَطَقْتُمْ. وَأُبْكُمُوا
وَسَمِعْتُمْ. وَعَمَّوْا وَأَبْصَرْتُمْ. وَجَهِلُوا وَعَرَفْتُمْ.

فاحمدوا المولى سبحانه على ما أفاض عليكم من ظل رحمته.
وبصركم من علمه، وخصكم من نور حكمته. فالحمد له حمداً لا انتهاء
لآخره، كما لا ابتداء لأوله.

واشكروني واعرفوني حق معرفتي. فأنا القائم فيكم بأمره. المؤيد
بروح قدسه. واعرفوا منزلتي من حدودي ودعاتي. واعرفوا الحدود
بأسمائهم، وصفاتهم. ونزلوهم في رتبهم ومنازلهم. فإنهم أبواب الحكمة.
ومفاتيح الرحمة.

وأوصيكم بحفظ إخوانكم. فإن بحفظهم يكمل إيمانكم. فأجيبوا
دعواهم، واقضوا حاجاتهم. واقبلوا معذرتهم. وعادوا من ضامهم. وعودوا
مرضاهم. وبروا ضعفاهم. وانصروهم. ولا تخذلوهم.

فاسمعوا أيها الموحدون قولي. وافهموا ما نطقت به الحكمة.
واقبلوا ما أمرتكم به، وانتهوا عما نهيتكم. وارقبوا ما أوعدتكم.

والسلام على من اتبع الحق. وسدق ما أوعده به إله الخلق. واعتمد
في دينه على التوحيد والسدق. والحمد لمولانا وبه أستعين. وهو حسبي
ونعم النصير المعين.

الرسالة الموسومة بالاعذار والاندثار

الشافية لقلوب أهل الحق من المرضى والاحتيار

بين هذه الرسالة والرسالة السابقة أوجه شبه عديدة، من حيث منزلة الإمام قائم الزمان ومهمته. وقد يكون غرضها إعادة الموحدن إلى الإيمان بحمزة على أنه إمامهم الوحيد، وذلك بعدما ابتعدوا عنه، وتركوه ليتبعوا إماماً آخر، قد يكون «ابن البربرية»، أحد المرتدّين الذي أرسل إليه بهاء النّين توبيخاً قاسياً، في رسالة تحمل اسم «توبيخ ابن البربرية»، رقم ٧٦ من مجموعة الحكمة.

توكلت على مولانا الحاكم بذاته، المنفرد عن مبدعاته. من هادي الأمة ونذيرها، ومخلص الأولياء ومجيرها من محنة الأنام، المنصوب للمستجيبين هادياً وإماماً.

أمّا بعد فالحمد لمن ألبسني المجد، وقلّدي مقاليد الإمامة في الصدر والورد. فله الحمد المقيم، والثناء العميم. لا يوصف بصفات المخلوقين، فيتجانس مع المتجانسين. ولا تحويه الاوهام والظنون، تعالى عن الكاف والنون^(١)، وجلّ أن تدركه ثواقب الأبصار والعيون. أو يُنعت بحركة وسكون. فذاك إلهكم وإله آبائكم فاعبدوه.

(١) أي الكاف والنون، في فعل: «كن»، الذي به كان الوجود.

واعلموا أيها الإخوان المخلصون في دينهم، المتميزون عن جميع البرايا بمعتقدهم وبقينهم. عصمكم مولانا بطاعته، وأنالكم أمنيئكم بمنته ورحمته. إن خير ما اقتنيتي للمعاد، وازدخر لخلاص النفوس من الزاد، المبالغة في حسن الولاء والاعتقاد، والثبات على ما كفرت به الطوائف من جميع العباد، فقد أوحى إليّ سبحانه أنه البغية منكم والمراد، لتقوم الحجة على أهل الفسوق والعناد.

واعلموا أنني أنا الإمام المطلوب والمراد. وعلى يدي يكون جزاء العباد. واحذروا أن تستفزكم به الألسن الكاذبة، أو تتخطفكم الأمة الخائبة. ولا تأيسكم المهلة من ظهور حقكم بإشهار كلمة الإخلاص. فعلى يدي يكون الجزاء والقصاص. ولي يسأل في المغفرة والخلاص. فتمسكوا بالحدود، وكابدوا الأمر بكل مجهود. واحذروا لهم المخالفة. وأديموا لهم المناصحة والمؤالفة. وارتبطوا بهم ارتباطاً، واعتبطوا بما ألقوه أليكم فرحاً واعتباطاً.

فعلى يدي يكون ثواب من أطاع وأتبع المرسوم، وعقاب من عصى وحاد عن الحق المفهوم، يوم قيامي بسيف مولانا الحاكم سبحانه، ومجازاتي للخلائق أجمعين. وأخذني لكم الحق بالقصاص، وإنالة إحساني لأهل الوفاء منكم والإخلاص، وانتزاعي النفوس من الأجساد، من أهل الفسوق والعناد، وقتلي الوالدين والأولاد. وأنيلكم أموالهم وسبي نساءهم، وقتل رجالهم، حتى إنهم يطلبون الخلاص فلا مناص. ويؤخذ لكم من عدوكم بأوفر القصاص. وتنبت الكلمة في الأقاليم، فلم يجدوا المنافقون لهم ولياً ولا سديقاً حميم.

فمن جاءكم طائعا، وأتاكم سامعاً خاضعاً، نال الفوز والغفران وسعد بسكنى الجنان. ومن فسق عن أمر ربّه، واستولى الصدا على عقله ولبّه، كان موخوذاً بفعله وذنبه. وهذا الأمر على يدي عن قريب يكون، وترى

الأولياء ما يسرّ القلوب وتقرّ به العيون. فأنبئوا إليّ يا أهل طاعتي، الموحّدين المنزهين لمولانا جلّ ذكره من جميع أهل شيعتي.

فأنا النار الموقّدة، التي تَطْلُعُ على الأفئدة، لا يخرج عني أمر ولا يخلو مني عصر. أنا صاحب المنزلتين، ومبید الشریعتین، ومدحض الشهادتین. أنا صاحب الراجعة وعلى يدي تكون النّعم المترادفة.

واعلموا أيّها الإخوان أنّ غيبتني عنكم غيبةً امتحان لكم ولجميع أهل الأديان. فمن وفى منكم بما وثّق عليه، ولم يَنْكُصْ على عَقْبِيهِ، فسأوتيه أجرًا عظيمًا، وأنيله مقامًا كريما. ومن انعكس وارتكس، وصدّ عن الحقّ وأبلس، وأصغى إلى الشيطان بما زخرف ووسوس، وأدخل تحت الجزية، وأوقع به الذمّة والخزية، جزاءً بما احتقّب وانقلب إلى شرّ منقلب، ذلك لما عاند وكذب، فلا تميلوا إلى ما زخرف الشيطان، ولا ترغبوا في الزور والبهتان. وأقبلوا على دعاة الرحمن، واجتنبوا من ثمرات الحكمة والبرهان، تكونوا من أهل الفوز والغفران.

فسوف يردّ إليكم أمرٌ تروّنه عن قليل، يُشْفَى به الصّدور والغليل. ويكون لأهل التوحيد عند ظهوره نعمةٌ شاملة، وعلى مخالفيهم نقمةٌ كاملة. يردّ بها الرجلُ النَّائي عن دياره، المنقطعة أخباره، الغائب في الحجب، النَّاظر في البعد والقرب. وهو أحد الأنصار، وبمعرفة رتبته ينال التدين والافتخار، لا من التّرك ولا من الخزر، يكتئ في ظهوره بالمظفر. يرى كأنّه غريب، مؤيّد في فعله مصيب.

فتيقظوا من رقدتكم، وأقلعوا عن سهوتكم. فقد أزفَ الظهور. وحان الوقت المقدور.

وقد أنفذتُ إلى أهل طاعتي، ومن هو متمسك بإمامتي، هذه الرسالة إِعْذارًا وإِنْذارًا، وَهُدًى واستبصارًا.

كونوا أيها الإخوان على هبة من أمركم، ولا تظنّوا الذي أنتم فيه
شرّاً لكم، بل هو خير لكم.

فما تمرّ بكم إلا أزمان قلائل، حتى ترون مخالفيكم قد أُرْمِلَتْ منهم
الحلائل، وأوقِعُوا في الغوائل والمهالك، وسَلَبُوا الأموال والممالك. وسَلَّمُوا إلى
مالك^(٢). وألْزَمَهُم بالغيار، وأوقع بهم الدمار، وأخذ لكم منهم بالنار. كُنَيْتُمْ
بالأعراف، ووَصِفْتُمْ بالأشراف. فَمَنْ شهدتم له فاز، ونال النعيم وحاز. وَمَنْ
لم تستجيزوا له المقال، لم يُنسب من أهل الدين والأفضال. وكان ذلك عليه
عذاباً ووبالاً.

فأنتم أفضل الأمم، وخير مَنْ وطئ الأرض بقَدَم، لأنّكم عبدتم
الموجود، وانعكفوا هم على عبادة العدم المفقود.

فسوف أجعل أكابرهم لأصاغرِكم أعبُد، وعزيرَهم لأحدِكم يُطيع
ويسجد. وأقتل المشركين والمرتدين بسيف مولانا الحاكم إله العالمين، وباري
الخلائق أجمعين.

فافهموا وصيَّتي، ولازموا حدودي، فطاعتكم لهم كطاعتي.

والسلام على مَنْ إليّ أناب، وتمسَّك بحدودي وتاب.

تمت بحمد مولانا وحده.

(٢) مالك إسم ملاك الشرّ الذي يقبض أرواح المنافقين. أنظر سورة الزخرف ٤٣/٧٧.

رسالة الغيبة

الرسالة التي وردت على يد أبي يعلا
وهي رسالة التحذير بعد الغيبة بشهور عدة
وكان الخاص بها أهل جزيرة الشام

أبو يعلا، حمزة بن أبي العباس الحسيني العلوي الفاطمي،
الأشرف فخر الدولة، من مشايخ آل البستان، من قرية المزة غربي
دمشق. أرسل حمزة قائم الزمان معه رسالة الغيبة من القاهرة إلى
الموحدين في بلاد الشام، بعد مضي شهور على غيبة الحاكم.
وكانت قد بدأت المحنة. وسبب إرسالها تحذير من الميل إلى علي
الظاهر، الخليفة الفاطمي بعد الحاكم، مضطهد الموحدين والدجال
الأكبر. فيها حض على التمسك بعقيدة التوحيد. وفيها نصائح
خلقية نبيلة. كتبها حمزة في أواخر سنة ٤١١ هـ وهي آخر
رسالة من يد حمزة في مجموعة الحكمة.

توكلت على مولانا القاهر للقدر، الظاهر لتأنيس الصور، المنزه عن
العدم إذا استتر. الحمد لمولانا المطلع على السرائر، العالم بما تكنه الضمائر،
الباعث لكل ناطق ورسول، المنزه عن كل قول ومقول، الواحد لا من عدد،
المنزه عن الصاحبة والولد. أول الأعداد ونهايتها، المنزه عن الأضداد
ودُعائها، المبدع لكل اسم وصفة، المشار إليه بكل معنى ولغة. المتظاهر لخالقه

بالأُولَيَّة، المشار إليه بالكلمة الأزليَّة. سبحانه وتنزّه عن سوء الظنون،
وتعالى عن صفات خلقه وما يدعون .

أظهر لنا ناسوت صورته تأنيساً للصُّور، فحار فيها الفكر حين
أفكر. عجزت العقول عن إدراك أفعالها، واعترفت بالعجز والتقصير في
معلومها. فصمتت الألسن عن النطق وخرست إذ لم تجد لمستخدمها سبيلاً
إلى توحيد باريها. وكيف تنطق بتوحيد من لا حد له ولا بداية، ولا أوليَّة ولا
نهاية. إذ القدم مُعترِفَةٌ بإيجادها، ولم تكن النهاية أقرّت عن ذاتها بالحدث. إذ
كانت النهاية حدثت من بعد البداية. فسبحان من البداية إبداعه. وهو نهاية
كل شيء وفنائه.

فبتقدير أحكامه امتنّ على خلقه بوجود صورته من جنس
صورهم. فخاطبتهم الصُّورة بالمألوف من أسمائهم، فأنست العقول إلى
ظاهر صورته. واستدرجهم إلى معرفته، بلطف حكمته، امتناناً منه على
خلقه. فبحقائقه لعظيم قدرته ثبتت الصنعة واستقرت. ولو انكشف لها معرفة
مبدعها من غير تأنيس ولا تدريج لصعقت لقدرته وخرت.

فسبحان مولانا الحاكم على الحكام، المنزّه عن صفات جميع الأنام،
وما تلفظ به الألسن وتخطّه الأقلام.

معشر الموحدين لمولانا مالك يوم الدين الذين هم بجميع أحكامه
فيهم راضيين مسلمين، الذين يتيقنوا أنّه مالك أرواحهم وأرواح جميع
العالمين. أقررتم بتوحيده وأشهدتم على أنفسكم من الاختلاق. واحذروا أن
يكون مثلكم مثل رجل في يده صبر طمع أن يكون حالي المذاق، سيّغ الطعام،
فلماً ذاقه صعب عليه مرارته، فرمى به من يده ولم يعلم مقدار منفعته.

واعلموا معشر الموحدين أنّ العالم بين قسمين يهلكون، ومن كثرة
اعتراضهم وسوء رأيهم وفساد ظنونهم يتلفون :

فواحد منهم في يده حطام يَخشى على زواله منه، وهو مرزوق
إياه بعد أن كان خالياً منه. فهو يخشى على زوال ما في يده معاراً غير راض
بأخذه منه، كما كان طالبه بالتمسكن والتخضع. فهو وهو مقلّ كان مسكيناً
ضعيفاً. وعند عطاء واتساع أمر دنياه جباراً قوياً. ظنّ أنّه مألّه، حتّى إذا
سلب عنها ظلّ غضبانياً حيراناً. يظنّ أنّه أُعطي ذلك بعملٍ أو باستحقاق يجب
عطاءه، ويأسى على أخذه منه.

وآخر مقلّ من حطام الدنيا أينما رأى له مكسباً سعى نحوه وتسبّب
إليه. فهو بالقليل الحقير يبيع دينه، ويسأل الباري أن يعينه. فهو ما يؤدّي ما
افترضه عليه، ويسأله أن لا يضيّعه ويوسع عليه.

فالحذر الحذر معاشر الإخوان من هذين القسمين الأخرين.
وتكون أعمالكم قبل طلبة أغراضكم تصحّ أديانكم. تصفو نيّاتكم تحسن
أعمالكم. وتكون طلبتكم خلاص أرواحكم تُقضى حوائجكم. فإنّ حطام
الدنيا منالٌ سهل، ولكنّه مضمحلّ فان. واكتساب الدين صعب ولكنّه
دائم باق.

فالحذر الحذر معاشر الإخوان من عالم الفناء، وعليكم بعالم البقاء.

معاشر الإخوان من كان في يده حطامٌ وخشي على زواله لأجل
دينه أخذه منه الذي استخلفه عليه.

معاشر الإخوان من قلّت ثقته بمولاه وخشي من بشرٍ مثله أوقعه
باريه فيما منه فزع وحذر.

معاشر الإخوان اخلصوا نيّاتكم في أديانكم يكفيكم مولاكم كيد
اعدائكم.

معشرَ الإخوان تكون خشيتكم من القادر الذي لا يقدر عليه أحقّ
من أن تخشون المقدور عليه.

معشرَ الإخوان إياكم النفاق. فإنّ النفاق باب التشتّت والافتراق.

معشرَ الإخوان لا تكون خشيتكم من عدوكم مثل خشيتكم من
باريكم.

معشرَ الإخوان مَنْ خشي من بشر مثله سلّط عليه. وإنّ الموحد
الديان، بتوحيد مولاه، شجاع غير جبان.

معشرَ الإخوان لا تصحّ الديانة إلا عند الامتحان. ففي وقت
السلامة والعافية يكون العالم متساويان، لا فاضل فيهم ولا مفضول. وإنّما
تُنال الدرجات وارتقاء المنازل العالية المرتفعات بالصبر في وقت الشدّة عند
الملاذ ونيل المكاره والغضو عن بلوغ الأغراض. فمن صبر على المكاره نال
المسرّات.

إحذروا معاشرَ الإخوان من غلبات النفوس الضديّة، على النفوس
الوليّة. فإنّها إن قهرتْها أوردتكم إلى المصادر، وأوقعتكم في المحاذر، وإنّ هي
أقهرتْ وأخمدتْ وقصّرتْ وقَع بكم البقاء في اللذّة، ونلتُم آمالكم وحمدتم
العاقبة في جميع أفعالكم. فالصبر على الشدّة قريبٌ أمدّها، حميد عاقبتُها
طويلٌ لا يضمحلُّ بقاها.

معشرَ الإخوان لا يكون مثلكم مثلاً رجل معه حمى ثار به فغشى
على بصره فأورده العمى.

معشرَ الإخوان إذا كنتم تتحقّقوا أنّ مولاكم لا تخلو الدار منه، وقد
عَدِمْتُهُ أبصاركم فأنيّ حائل حال بينكم وبين النظر إليه، فليس ذلك إلاّ
أعمالكم السيئة، وأفعالكم القبيحة الرديّة.

معشر الإخوان لا تكونوا كالذي بَخِرَتْ عليه مَعِدَّتُهُ فخانَه ما كان يثق به من نَظَرِهِ.

معشر الإخوان مَنْ صَحَّ له غذاه صَحَّ له نظره وما يراه.

معشر الإخوان تيقظوا من نومتكم، وأقلعوا عن سهوتكم فإنَّ حَدَثَ المصائب تأتي عند ساعة النوم. والنائم غافل عما هو كائن. وإنَّ المستيقظ إذا رأى محنة اجتنبها، والنائم عند لَذَّة نومه يعثر بها.

واعلموا معاشرَ الموحِّدين لمولانا الحاكم المعبود، سبحانه وتنزَّه عن الحدِّ والمحدود، أنَّ قائمَ زمانكم يُطالبكم بما يُطلَّعه عليه مولاكم من فساد نيَّاتكم وقبيح أعمالكم. وقد أَشْهَدْتُمْ في مواثيقكم بعضكم على بعض. وَتَبَّئْتُمْ عليكم الحجة. ولم يبق لكم معذرة بما شرطتموه على أنفسكم، ورضيتموه من الفعل فيكم. فمالت نفوسُكم إلى هوائها وتاهت لما أشرفت عليه من بلائها. أساءت ظنوننا فيما ظنَّته من بقاء لذتها وسلامتها من مكروها. فرجعتُ عما كانت به أَقَرَّتْ، وشحَّتْ على ما كانت له سَلَمْتُ. فليس برجوعها يَبْقَى عليها محصولُها، ولا بجحودها ينفعها إنكارُها، إلاَّ أنَّ كلَّ مستودع تقبض منه وديعته. وكلَّ أمين لا يخون فيما أَمَنَّهُ.

فكونوا معاشرَ الإخوان ممَّن رضى وسَلَّم بغير مطالبة، عن طيبة نفس منه بغير مغالبة. فمن سَلَّم أمانته عن رضى واختيار بقي عليه وَكُتِبَ من الأبرار. ومَنْ كان تسليمه قَرْعاً من حادثٍ يَقَعُ به، يَسَلِّمُ منه، وَقَعَ فيما يُقَرِّعُهُ وَيَحْذَرُهُ.

معشر الإخوان الحذر الحذر أن تكونوا ممَّن يخشون على تمزيق أقمصتهم وغيبة صُورهم فيوقع بهم مولاهم ما يَخْشَوْه وَيَحْذَرُوهُ. ذلك لِقَلَّةِ ثقتهم بمولاهم وخشيتهم من عبيده.

معشر الإخوان ارضوا وسلّموا في السراء والضراء والحدّثان.
فبهذا على نفوسكم أشهدتّم. وعلى هذا في مواثيقكم أقررتّم. وقلّوا
الاعتراض فيما يظهر لكم من خير وشرّ، وإحسان وضرّ. يُخفّف عنكم
الحنة، ويكشف عنكم من الغمّة. فليس بينكم وبين عالم الجهل فرق إلّا
الرّضى والتسليم. والرّضى والتسليم نهاية العلم والتعليم.

فعودوا إلى نفوسكم فيقظوها. وإلى صحائفكم فيبيّضوها، بتجديد
حسن الاعتقاد، والرجوع عمّا حدث فيكم من الفساد.

فقيحٌ بالعالم منكم ذي المنزلة الرفيعة أن يأتي بأفعال الجاهل
العميّ البصيرة. ومن انتسب إلى قوم لا يأتي بأفعال أضدادهم. إذا كانت
العامّة أهل الجهل والغمّة، يعتقدون أنّهم آمنون من كلّ حادث إلى وقت
وعُدوا به. ومهما يجري عليهم من الأفعال، خير أو شرّ، طابت به نفوسهم
ورضيته، واطمأنت إليه قلوبهم. ويقولون مرحباً بما أصابنا كذا حكّم كذا
قضى. فيجب على من عرف الحقّ وأقرّ به أن يكون أجود يقيناً، وأحسن
عاقبة ممّن هو مرتهنّ مُصرّ على باطله مجاهد عليه وناصر له.

واعلموا معشر الإخوان أنّ مولاكم غنيّ عن عباداتكم منزّه عن
دياناتكم. لا يزيد في ملكه طاعة من أطاعه، ولا ينقص من ملكه معصية من
عصاه، وإنّما هي أعمالكم تُردّ إليكم. وما أتاكم من صعوبة زمانكم فهو من
سوء أعمالكم.

معشر الإخوان تيقظوا من الغفلة، وتداووا قبل تمكّن العلة. فإنّ
العلة إذا جفّت عن الملاطفة ليس يشفيها إلّا الحديد.

معشر الإخوان تيقظوا قبل ظهور الصورة. فكلّ عبادة عند
ظهورها مجبورة.

معشر الإخوان من كانت عبادته جبراً لم ينل منها فائدة.

معشر الإخوان إحذروا من النهر الغرّار فإنّه كدِرُ الماء بعيد الغمق قليل الرزق.

معشر الإخوان إحذروا من النهر الحلو المذاق القتّال النفوس بالنفاق.

معشر الإخوان إحذروا من النهر البعيد الغور الوسخ القعر الخالي من الرزق والخير الدال على السوء والشرّ.

أبعدَ كَتَبِ الميثاقِ ، وتوحيدِ الخالقِ الرّزاقِ، ترجعون إلى عبادة العبيد، كاللّطخِ بالعذرة والصديد. فيا لها من محنة ما أقواها. ومن بصائر ما أعمّاها. ومن نفوس قد عدمت هداها. ألم يبين لكم قائم زمانكم ويكشف كل ستر، حجة على من أدبر، وتولى وكفر. إذ يقول في الميثاق إنكم أبرياء ممن مضى أو حضر أو ينتظر. إنّها لإحدى الكبر.

معشر الإخوان إحذروا أن تكونوا ممن في يده جوهر. وقع به من خيل على عقله وأعطاه جندلاً وأوهمه أنّه جوهر. وليس هو بجوهر.

معشر الإخوان لا تكونوا ممن آمن ثم كفر. فتدعون من أهل البدع والغير.

معشر الإخوان قد قرب إليكم ما تباعد عنكم.

معشر الإخوان توقّوا الظلمة عند طلوع الفجر فإنّها أشدّ الليل سواداً وظلمة.

معشر الإخوان توقّوا المحنة في آخر الفترة، فإنّ في آخر الفترة يكون ثوران القدرة.

معشر الإخوان ألم تعلموا أن مولاكم يراكم من حيث لا ترونه.

معشر الإخوان أحسنوا ظنكم بمولاكم يكشف عن أبصاركم ما قد غطاها من سوء ظنكم به.

معشر الإخوان لا يكون مثلكم مثل مسافر من بلدة يريد وطنه، توانى في الحفظ من زاده، ففرغ زاده في الطريق، فرام الرجوع إلى تلك البلدة التي خرج منها، فلم يقدر على الرجوع إليها. ورام الوصول إلى وطنه فلم يستطع الوصول إليه. فبقي لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

معشر الإخوان إن الساعة تقوم على أشر أمة، بخير أمة. فاحرصوا أن تكونوا من القوام بها. ولا تكونوا ممن تقوم عليه.

واعلموا أنكم إنما فضلتكم على البهائم وجعلت لكم متاعاً ورزقاً إلا لما فرض عليكم من معرفة مبدعكم، وتوحيد باريكم. فالجاحد بعد الإقرار أشد جهلاً من الحمار.

معشر الإخوان إحدروا من غره الشيطان فإن الضد يظهر من بيت الولي. ظاهره ديانة وباطنه خيانة. فالحذر الحذر منه فإنه أول النعمة وآخر المحنة.

معشر الإخوان قد رأيت ما جرى من قصص عبد مولانا جل ذكره ومملوكه عبد الرحيم بن الياس ولي عهد المسلمين، وما نص عليه. كل ذلك ليوفيه قسطه، ويظهر ما في نفسه من الاستتار إلى نظر العيان. وأشركه مولانا الحاكم سبحانه في العهد المألوف وفي الخطبة على المنبر وفي السكة على الدينار. فأشار إليه العمي البصيرة، وسارع إليه كل مشئت ذي حيرة. فلما ظهرت أفعاله، وبان للناس قبح باطله ومحاله، رجعوا إلى نفوسهم بالويل والحرب. ولم يفيقوا إلا بعد العطب.

معشر الإخوان إن بعد كشف التوحيد وظهور صورة المعبود وقبول تيك الصورة لتوحيدكم بوجود العبادة، وتصحيح الديانة، لا ينتقل

بعد تيك الصورة التي أشير إليها بالتوحيد وقبوله فيها، إلى سوائها ولو أن الأمر كما تظنون لفسدت العبادة. وعطل ما أوعدتم به من شروط القيامة.

فالحذر الحذر من اتباع الشيطان إذا ظهر، فإن أعلى ما يكون الباطل يأتي عليه الحق فيخمد.

معشر الإخوان إعلموا أن عبد مولانا ومملوكه قائم الزمان قد أوفاكم الحجة، وأرشدكم إلى المحجة. فليس يبقى بعد وفاكم إلا وقوع الفعل فيكم.

فتيقظوا من رقدتكم، وأفيقوا من غفلتكم، واستشعروا نصيحتكم. فكأنني بكم وقد أتاكم منكر ونكير، وزعفا فيكم أنتكُم الصيحة يا غافلون. فحينئذ توفون أجوركم وأنتم لا تظلمون. فسبحان مولانا عما يظنون الجاهلون ويدعون المبطون. وهو حسبنا وبه نستعين في جميع الأمور. وهو المعين النصير.

تمت والحمد لمولانا وحده.

كِتَابُ فِيهِ تَقْسِيمُ الْعُلُومِ وَأَثْبَاتُ الْحَقِّ وَكَشْفُ الْمَكْتُونِ

من تأليف إسماعيل التميمي، أبي إبراهيم، النفس، ثاني الحدود العلوية، وضعها على طلب من حمزة ليُجيب على مَنْ سألَه في موضوع تقسيم العلوم. فكان تقسيمه للعلوم خمسة أقسام: إثنين منها للدين، واثنين للطبيعة، وواحد، وهو أجلها، للتوحيد... في الرسالة شرح لكل قسم ومتفرعاته، وذكر للأدوار والعصور والنطقاء والاسس والشرائع جميعها. كتبت سنة ٤١١ هـ.

تأليف إسماعيل بن محمد بن حامد التميمي الداعي المشخص ذو مصّة الممتص علمه من قائم الزمان حمزة بن علي بن أحمد هادي المستجيبين المنتقم من المشركين بسيف مولانا الحاكم جلّ ذكره.

توكلت على مولانا البار الأزلي وتوسلت إليه بوليّه قائم الزمان حمزة بن علي. الحمد لمعلّ علّة العلل وأزلّ الأزل، الظاهر بلا تحديد في القدم، ولا بمحدث سبجانه وتعالى عن وصف الأمم.

تَقَرَّبَ الْيَنَّا بِنَا. وَأَنَسَ عَقُولُنَا بِصُورِنَا. وَظَهَرَ لَنَا بِجَمِيعِ أَفْعَالِنَا لَتَقْبَلَهُ أَفْهَامُنَا. فَلَا نَقُولُ إِنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ الْمَرْتَبِيَّةَ هِيَ هُوَ فَنَجْعَلُهُ مُحْصُورًا مُحْدُودًا جَلَّ وَعَزَّ عَنْ ذَلِكَ وَتَعَالَى عُلُومًا كَبِيرًا. بَلْ نَقُولُ: إِنَّ هُوَ هِيَ اسْتَتَارًا

وتقريباً وتأنيساً بغير حدٍّ ولا شبه ولا مثل. كما نطق القرآن: أو «كسرابٍ بقيةٍ يحسبه الظمانُ ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده»^(١). الآية.

فَمَثَلُ هذه الصورة كالسُّراب الذي تعالينه ماءً، فإذا جثته بحدٍّ العيان لم تجده ماءً. كذلك هذه الصورة الظاهرة تراها بعين الطبيعة فتظنها صورة كصورتك، فأذا دنوت منها بعين العلم لم تجدها صورة، ووجدت الله عندها. كذلك لاهوت مولانا هو الأزلي الأبدي الذي لا يُحد ولا يوصف. وأيضاً مثل هذه الصورة الظاهرة إذا رأيتها كمثال الناظر في جوهر المرأة. فهو يرى نظير صورته بغير لمس ولا إدراك كيفية، ولا تحديد ماهية. فإذا أردت تلمسها لمست صورتك. وإذا غيرت ما بصورتك تغيرت في عينك. وذلك إذا كان نظرك سالماً من القذى والرَّمَد. وإن كان به عارض أذية، لم تنظر تحقيق صورتك. كذلك ناظر هذه الصورة المرئية بمقدار علمه وتحقيقه يكون نظره لها.

وأشهد أن ما ظهر وما بطن، وما خفي وما علن، حكمة بالغة فما تغني النذر.

أبدع لن نوراً شعشعانياً جعله عنصراً لانبعاثات العلوم الحقيقية، وإنشاء الصور النفسانية. فهو العقل الكلّي، والسابق الأول، ذو البدايات والنهايات. منه انبثت الأشياء. وإليه تعود الأشياء. والمولى سبحانه منزّه عن جميع هذه الصفات. لا شيء كمثله وهو السميع العليم.

ذلك النور القائم في كلِّ عصر وزمان ووقت وأوان وفترة وأطمأن
(٩)، ينقله المولى سبحانه في كلِّ عصر وزمان، باسم وصفةٍ داعياً إلى

التوحيد المحض لم ينطق في الدعوة الشركيّة، ولا يعرف غير الدعوة اللاهوتيّة، عبد مولانا سبحانه ومملوكه حمزة بن عليّ بن أحمد في عصرنا هذا، هادي المستجيبين، المنتقم من الكفار والمشركين، بسيف مولانا جلّ ذكره وعزّ اسمه وجلّ سلطانه، ولا معبود سواه.

أما بعد فإنّه لما سأل مَنْ رغبَ إلى الجواب عن كتاب يسمّى تقسيم العلوم وكشف المكنون، أمرني مولاي قائم الزمان والنور التمام، عليه من معبوده أفضل التحيّة والسلام، بتصنيف هذا الكتاب، فرجعتُ إلى روحي لأنظر مبلغ فهمها ومجهود طاقتها، فوجدتها عن ذلك عاجزة، فلم يمكنني مخالفتها، فعلمتُ علماً يقيناً أنّه لم يأمرني بتصنيف هذا الكتاب إلاّ ومواده تطرقني وبعلمه يهديني إذ كانت من المولى جلّ ذكره الموادّ إليه متّصلة، وهي عن سائر الناس أجمعين منعزلة. فتيقنت أنّ القوّة منه إليّ واصلة إذ كنتُ منه أمتصّ، والذكر لي منه مختصّ. فحسست عند حلول أمره بقوة لم أعهد لها قديماً من عمري كلّ. فألفتُ هذا الكتاب بما أيّدني به تلقيناً، وفي الصحف روحانيّاً. فما كان فيه من صواب وجزالة خطاب فهو منه وراجع إليه، وما كان فيه من خطأ وزلل فهو منّي وإليّ منسوب.

على المولى توكلتُ وبه استعنت، وبوليّه قائم الحقّ اعتصمت وتوسّلت. ولا حول ولا قوّة إلاّ بالعليّ الأعلى البارّ العلّام. وهو حسبي ونعم النصير المعين.

ألعلم ينقسم على خمسة أقسام :

قسمان منها للدين، وقسمان منها للطبيعة، والقسم الخامس فهو أجّلها وأعظمها قدرًا، وهو القسم الحقيقي الذي هو المراد وإليه الإشارات، ومن أجله قامت الدار، وظهر ما بين أهلها أمر مولانا الحاكم البار.

وكل قسم من هؤلاء الأربعة الأقسام ينقسم على أقسام شتى يطول فيها الشرح والخطاب، وليس في ذلك غرض. والقسم الخامس هو شيء واحد لا يتغير ولا ينتقض ولا يتجزأ ولا يتلاشى. وسنأتي على الغرض في موضعه إن شاء مولانا وبه التوفيق في جميع هذه الأمور.

وأما العلمان المتقدمان فهما علمان الدين. أحدهما علم الظاهر، والآخر علم الباطن. وهما زوجان لا توحيد فيهما ولا في عصر يظهران فيه بشرع.

فأما العلم الأول فهو الظاهر وأصحابه النطقاء: أولهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد. ولقد أخرج آدم من عدد هؤلاء القوم إذ كان العزم هو الحتم والقطع والجزم. ونطق الكتاب عن آدم «إِنَّهُ لَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْماً»^(١). فصاروا أولو العزم خمسة. وكل واحد من هؤلاء النطقاء أتى بظاهر أقامه لأصحابه ومستحقه. وكان بين يديه أساس ووصي يكون له خليفة بعد وفاته؛

فكان لنوح سام، وإبراهيم إسماعيل، ولموسى يوشع بن النون من بعده هارون، ولعيسى شمعون، ولمحمد علي بن أبي طالب. فلم ينتقل كل واحد من هؤلاء النطقاء حتى أشار إلى أساسه. وقام الأساس بتأويل ما أتى به الناطق فصاروا زوجين. وبهذا نطق الكتاب: «وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ»^(٢). فدل بأن الفرد الذي بينهما هو المراد وهو المطلوب. وإنما الزوج الأول دل على الثاني، والثاني دل على الثالث، وهو المراد، أو الغاية والنهاية.

(٢) سورة طه ٢٠/١١٥.

(٣) سورة الذاريات ٥١/٤٩.

وبهذا نطق القرآن بهذا المعنى: «وَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ»^(٤). فدلّ بأنّ الظاهر من قِبَلِهِ العذاب، وأنّه وصاحبه عذاب، والباطن فيه الرحمة، ولم يَقُلْ هو الرَّحْمَةُ. وفي الشيء ما أودع فيه، وليس هو الشيء بعينه. فدلّ بأنّ الباطن يدلّ على الرحمة، وهو القسم الثالث في الدّين. وهو القسم الخامس في العلوم.

والإشارة إلى الظاهر والمعنى لصاحبه وهو الناطق . والإشارة إلى الباطن والمعنى لصاحبه وهو الأساس. فدلّ بهذا بأنّ الناطق ليس هو المراد، ولا الأساس هو المراد، لأنّهما عبادان مستخدمَان دالّان على مدلول. وذلك المدلول هو المراد، وهو للعلوم القسم الخامس، وهو للدّين القسم الثالث، كما تقدّم القول فيه؛ لأنّ القسمين الأوّله (كذا) للدّين، والقسمين الأخرى (كذا) للطبيعة. يبقى القسم الحقيقي وهو الفرد وإليه الاشارات. وإنّما ذكرنا قسمين الطبيعة لوقوع العلم عليهما. والأربعة أقسام قسمان للدّين وقسمان للطبيعة. والعلم واقع عليهما بمجاز اللفظ لا بالحقيقة. والحقيقة واقعة على القسم الخامس.

فإنّ قال قائل: ما بال الاسس المتقدمين لم يدع في أحد منهم المعنوية الآ في عليّ بن أبي طالب من بينهم، فإنّ الدعوى فيه إلى وقتنا هذا. قلنا له: تريد أن تعرف الأعصار المتقدّمة وكيف هي ومراتبها وقوّة أصحابها من ضعفهم، ليبين لك كيف ادّعى في عليّ دون من تقدّمه.

إعلم أيّها الطالب المسترشد إلى حقائق الأشياء أنّ آدم المشار إليه قد كان قبله أعصار، وهم: الطّمّ والرّمّ والحِنّ والجِنّ والبنّ. فأما البنّ فهم قوم قد تخلصوا من الشبهات وعرفوا المعبود فعبدوه. وكان المولى جلّ ذكره

وعزَّ اسمه ظاهراً مرثياً يوانس بالاسماء والصفات. فلماً فَاجَرُوا المعبود ومالوا عن الحقَّ وصاحبه وارتكبوا الأهواء في دينهم، فاحتجب المولى سبحانه عنهم لسوء أعمالهم. وأظهر لهم آدم المشار إليه وهو آدم الأدنى.

نطق الكتاب يصف خلقه أنه «خُلِقَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِين»^(٥)، وذلك أنه أشار إلى خلق الدين، وكان عند فساد المتقدمين في أديانهم. وآدم الأول الجزئي وآدم الثالث وهو شرخ يخدمون بين يدي آدم الصفاء الكلِّي. والجنَّ قد انعكسوا وحادوا عن المولى جلَّ ذكره. وكان آدم وحزبه، أعني أولاده، الذين هم حواء وهم المؤمنون الموحدون الذين لم يحددوا عن معرفة المولى جلَّ ذكره. ولم يقدِّم آدم بشريعة ظاهرة وبذلك نطق الكتاب حكاية عنه أنه لم يَجِدْ عَزْماً له. والعزم هو الحتم والقطع والجزم. فهذه صفة الشرع الناموسي. وجماعة ذلك العصر منعكسون متَّبِعُونَ آراءهم. وجرت قصة هابيل وقابيل والغرائب والعجائب التي حيكت عنهم. وآدم الجزئي وأصحابه في جبل سَرَنْدِيب يدعون إلى توحيد المولى جلَّ ذكره، وإبليس وجنوده قد ملأوا الآفاق بكفرهم وارتكابهم الأهواء في دينهم.

إلى أن قام نوح بن لَمَك ناطقاً، وهو أوَّل مَنْ قام بشريعة، ونهى عن طاعة آدم، وأشار إلى العدم وإلى نفسه. ومن أجل ذلك أيضاً سَمِّيَ آدم الثاني لأنه كان أوَّل مَنْ تَأَدَّمُوا أَهْلُ شَرِيعَتِهِ مِنْهُ، وقام للمخالفين بمنزلة الأب وأساسه سام.

وقام إبراهيم وأساسه إسماعيل، ومبلغ قوتهم في معرفة التوحيد كمبلغ العَلَقَةِ مِنْ خُلُقِ الْإِنْسَانِ.

ثمَّ قام موسى بن عمران وأساسه هارون وأهل عصره ومبلغ

أفهامهم في معرفة التوحيد كمبلغ المَضغَة من خلق الانسان.

وقام عيسى بن يوسف وأساسه شمعون الصفا ومبلغ أفهامهم في معرفة التوحيد كمبلغ العَظْم من خلق الانسان.

وقد كانوا هؤلاء كلُّهم من أهل الفهم والدراية والعلم الديواني والطب والفلسفة والنجوم والهندسة ومن أهل الكلام. غير أنَّهم كلُّهم كانوا يشيرون إلى توحيد العدم، ولا يعرفوا المولى جلَّ ذكره، ولا يعرفوا غير السابق، وهو نهايتهم الذي كان هو والتالي يمدَّوهم. والعقل الكلِّي وحجَّته بين أيديهم لا يعرفوهم. والمولى جلَّ ذكره محتجب عنهم لِخُفِّهِم.

وقام محمد وأساسه علي بن أبي طالب ومبلغ عقولهم وأئمة دينه إلى أن انقضى دوره.

وظهر ناطقٌ غيره وهو محمد بن إسماعيل، وإلى الخلفاء المستودعين وهو إلى أحمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن ميمون القدّاح. وهو من ولده سعيد ابن الشَّلَغَلْغ المهدي. وكانوا هؤلاء مبلغ عقولهم في معرفة التوحيد كمبلغ العَظْم إذا كُسي لحماً وصار صورةً مخطّطة مشخّصة بلا روح من الانسان الحيّ الناطق. فلم توجب الحكمة من المولى جلَّ ذكره لأن يظهر ما بين أقوام مثلهم مثل الميت. نطق الكتاب يقول: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ»^(١)، يعني أئمتّه وأهل دوره، ولو أشار بذلك لموت الطبيعة لكان هجئة على الحكيم أن يخاطب لمن أقام لتعليم الناس لما يعلموه الجهال والصبيان والكفار.

غير أنّ الصورة المخطّطة الكاملة الخلق لم يبق لها شيء غير سلوك الروح فيها فتصير حيّة ناطقة. والروح فهو معرفة التوحيد. فلأجل ذلك قلنا

إنَّ الناطق والاساس، وان كان أقوى من جميع من تقدّم، لم يعرفوا المولى جلّ ذكره. ولو عرفوه لكان بين أيديهم ظاهراً مكشوفاً. لكنّه بحكمته احتجب عنهم لقبائح اعتقاداتهم. والعقل الكلّي وحجته في ذلك العصر بين يديّ الناطق والاساس يشدّوا أمرهم ويُقوّوا عزَمَهم لظهور الحكمة وتربية صورة التوحيد، حتى تبلغ كمالها بوفاء عصر الناطق السادس وقيام الناطق السابع.

فلما أُوجبت الحكمةُ ذلك وقرب ظهور المولى جلّ ذكره بالصورة البشرية الملكية العالية بمملكة الدنيا، أُوجب ظهور العقل الكلّي وحجّته يشدّوا أمر الناطق. غير أنّهم لم يدخلوا تحت شرعته ولم يقبلوا من دينه. فأما العقل الكلّي فكان له الرأى والمشورة في ذلك الوقت. وأهل ذلك العصر من شيوخ الجاهلية يركنون إليه ويقبلون مشورته. وإنّما كان محمّد قد انتسب إليه بحدّ لتربية. وكذلك الاساس انتسب إليه بحدّ التربية. وإلاّ ليس هو أبا الناطق الجسماني ولا الاساس، لأنّ الناطق الجسماني كان ميلاده في جبال الشام وتربّى مع القوافل يسافر ماراً وجّاي إلى الحجاز إلى أن عمل على جبال كانت محرّمة لأبي طالب فانتسب إليه. والاساس كان ميلاده بمكّة، غير أنّ عصر الناطق أبين وأقوى من سائر الاعصار المتقدّمة. فلأجل ذلك ادّعوا الواحدانيّة في عليّ بن أبي طالب دون سائر الأسس المتقدمين.

ووجه آخر، إنّ في القرآن وفي سائر الأعصار إشارة إلى ذكر ظهور عليّ الأعلى. وكَمْ يُقَلُّ عليّ الأعلى إلّا وقد علم المولى جلّ ثناؤه أن يقوم شخص يسمّى عليّاً ويُدعى فيه الواحدانيّة. فقال لهم جبريل: مولاي ومولاكم عليّ الأعلى فاخذوا عنه ذلك بالدعاوى لا بالحقيقة. ومن ذلك قال الناطق لما ذكر المعراج فقال: أنا في السماء الرابعة حتى رأيت ملكاً أشبهَ الناس بعليّ والملائكة تزوره. فقال: فقلت لجبريل يا حبيبي هذا أخي عليّ سبقني إلى السماء. فقال لي: لا. ولكنّ الملائكة اشتاقتُ إلى عليّ، فخلق لهم ملكاً وسمّاه

عليًا والملائكة تزوره. وكان الأساس لم ينظر إلى السماء التي ادّعاها الناطق. وكان الناطق يظنّ أن عليًا أساسه وهو ينتقل إلى ذلك الشخص الذي يسمّى عليًا.

وأما السماء الرابعة والمعراج فهو لما رقي إلى معرفة ترتيب النُطق وارتفع فيه وفي بنيانه، لأنّه كان مستجيباً يخدم في شرع عيسى، ثم صار مكاسراً، ثم صار ناطقاً. فهذا سبب المعراج لأنّه عرج به من منزلة إلى منزلة. فلما ارتقى في هذه المنازل قيل له إنّ في الظهورات الآتية صورة تظهر في السماء الرابعة. ولم يقل له إنّّه هو السماء. وإنما قيل له فيها.

والسبع سموات هم الإثمة المستورون. فأولهم سماء الدنيا وهو إسماعيل بن محمّد. والسماء الثانية وهو محمّد بن إسماعيل. وظهّر السماء الثالثة وهو أحمد بن محمّد. وكان في وقته قد قرب الفرج بقرب السماء الثالثة من السماء الرابعة. فظهر المولى جلّ وعزّ في وقت أحمد بن محمّد في صورة بشرية ولم يكن لذلك الصورة ملك في الدنيا لأنّه ظهر في صورة أسماها أبا زكريا. وظهر العقل الكلّي بين يديه في صورة أسماها المولى سبحانه قارون. وكان عجمياً كبيراً في الدّعوة ولم يشرك في التوحيد. وفي آخر وقته وهو شيخ أرسل بالمهديّ بديار اليمن. وأظهر المولى حجّته وهي النفس الكلّية بأبي سعيد الملقّبي.

ولما أنشئت السماء الرابعة، وهو قيام عبد الله بن أحمد، وهو من ولد ميمون القدّاح، ظهر المولى سبحانه بصورة أسماها عليًا، وكان اسم الصورة الظاهرة قبلها المكنّى بأبي زكريّا طالباً، فصار عليّ بن أبي طالب، وهو عليّ الأعلى الذي هو إليه الإشارات.

وظهر السماء الخامسة، وهو محمّد بن عبد الله، وسُمّي أيضاً المهدي، سترّة. وهو أيضاً من ولد القدّاح وكان من ولد الحسين. فظهر المولى

جلّ ذكره بصورة أسماها المُلعلّ، وكان ظهوره جلّ وعزّ بديار تدُمّر وديار الشرق في زيّ تاجرٍ في ذلك الوقت غير أنّ كانت الصورة الظاهرة لها هيبة في قلوب العالم متظاهرة بالجدة والإيسار، حكمة بالغة.

وظهر السماء السادسة، وهو الحسين بن محمّد، وهو من ولد ميمون القدّاح أيضاً. وبقيت صورة التوحيد باقية على حال ظهورها.

وظهر السماء السابعة، وهو قيام عبد الله بالأمر، أبي المهدي. وصورة التوحيد باقية على حال ظهورها. وكان عبد الله قد تسمّى أحمد. فلذلك تسمّى سعيد بن أحمد. وهو المهدي الذي تسمّى باسمه تمهيداً له واستثناساً للعالم باسمه.

وكان الكرسيّ فهو الذي استودعه المولى الملّ جلّ اسمه الوديعة وأمره بخدمة مولانا القائم جلّ اسمه. وكان أوّل ظهور المولى للعالم بصورة أسماها القائم. وأوّل ما ظهر بمملكة الدنيا في ذلك الوقت.

فخذ أيّها الطالب الراغب ما أتيتك بقوة. وكنّ من الشاكرين. وهذا ما ظهر لنا من الكلام في الظهورات. والمولى جلّ ثناؤه بذلك أعلم وأحكم لا شريك له في ملكه. ولا معترض عليه في فعله. ولا لكم أن ترغبوا إلى ذكر ما تقدّم لأنكم في غنى عنه بالوجود. وظهور مولانا الحاكم سبحانه بين أيديكم ظاهراً مكشوفاً. وحجّته جلّ ذكره ظاهرة مرئية قد أغنى ذوي العقول بها عن البحث فيما تقدّم.

ونرجع إلى ذكر الخمسة أقسام. فذكرنا القسمين اللّذين هما الظاهر والباطن وذلك بإقامة الحجج بأنّ الظاهر ليس هو المراد. فوق العلم عليه على المجاز. وكذلك الباطن ليس هو المراد لأنّ المراد المطلوب هو توحيد المولى جلّ ذكره الذي فيه النجاة. فوق العلم أيضاً على القسم الثاني الذي هو الباطن على المجاز لا بالحقيقة. والمعنى لصاحبيهما أعني الناطق

والاساس. وهما عبدان لله جلّ وعزّ اسمه ليس فيهما توحيد. وهما في عصرنا هذا عبدان لمولانا الحاكم جلّ ذكره مستخدمان لمُلْكِهِ. يعرفُهما مَنْ عرفهما ويجهلُهما من استغنى عن العلوم.

فأما القسمان اللذان بعدهما، وهما الثالث والرابع، فهما علمان: علم طبّ الطبيعة وعلم طبّ الحيوان الناطق الذي هو الانسان والذي هو البهائم. فأحدهما يسمّى مُتَطَبِّبًا والآخر يسمّى بِيَّطَارًا. وهما جميعا مُجَرَّبَان لا مُعَالِجَان، لأنّهما يعالِجان ما لا يعرفان، وإنّما أخذوا علومهم تقليدًا عن المتقدمين من الفلاسفة، عمَلْ أهل الظاهر الذين أخذوا علومهم عن النطقاء والفلاسفة. فأكثر ما بلغوا إليه أنّهم شقّوا جوفَ الانسان، وأبصروا ما فيه وحكموا عليه. وليس فِعْلٌ مَنْ قُتِلَ وماتَ وَشُقَّ جوفُهُ كفعلٍ مَنْ هو بالحياة. فقد زال صحّة حكمهم على الانسان الحيّ الناطق.

وكم قد ترى من متطبّب بالغ في صنّعه مُدِلٌّ بطبّه، عالِجٌ فقتلَ في علاجه. كذلك طبيبُ العين والجراحات أعمّوا كثيرًا. وكذلك البيطرة ومعالجون الطير كلّهم قتلوا كثيرًا. وإنّما تلحقهم اتّفاقات في الاشياء وحكومة على رؤية الأهواء. وهو أقوى حجة لهم وهي أضعف حجة بمعرفة الحقائق.

وإنّ الأربعة أقسام ليست لها حقائق وإنما الحقّ في غيرها.

فلمّا أسقطتِ القسمين اللذين للطبّ رجعنا إلى أقسام الدّين فأصبنا القسمين الظاهر والباطن لا حقيقيّة فيهما. وأصبنا القسم الثالث هو من هذه الجهة توحيد مولانا جلّ ذكره.

فهؤلاء الأربعة أقسام والخامس أجّلها. ومن ذلك وقع الفضل على الخامس من كلّ شيء: أولّها الطبائع الأربعة والخامس أجّلها. والحجج الأربعة والإمام خامسهم وهو أفضلهم. وجملة الحساب أربعة والفرد

خامسهم، لأنك تقول واحد واحد فلا يفهم حتى تزيد عليه آخر فيصيروا
إثنين. ثم تقول آخر فيصيروا ثلاثة فيبقى ناقصاً لقوله: «وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ
خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ»^(٧). فتزيد آخر لتتم أربعة. فإذا زدت عليها واحد صحّ التوحيد
أربعة أفراد: زوج ظاهر وزوج باطن. والتوحيد في غيرهما. وهو القسم
الخامس.

وهذه معرفة تقسيم العلوم وإثبات الحق وكشف المكنون.

وإنه لما استتر مولانا البار سبحانه في عصر آدم الصفاء الكلي
وشكوا العالم وطلبوا العدم، كان إسم مولانا جلّ ذكره ومعرفة مكنوناً
مستوراً، لا يجوز كشفه ولا ذكره. بل هو مخفي في الصدور، إلى أن ظهر
المولى جلّ ذكره بالصورة القائمة.

وكان ظهور الصورة واستتار التوحيد لحكمة أوجبت ذلك. ولم
يقدر أحد من الموحدين يتظاهر للمولى جلّ ذكره بالتوحيد فصار مكنوناً
مستوراً.

وكذلك وقت قيام المنصور والمعزّ والعزّيز. ولما قام مولانا الحاكم
جلّ ذكره وكلهم واحد؛ وإنما حكمته أظهرها لنا. فلما قام مولانا الحاكم جلّ
ذكره بصورة التوحيد انكشف المكنون، ووحد مولانا الحاكم جلّ ذكره
ظاهراً مكشوفاً بين يديه. فلا ينكر ذلك ولا يقتل عليه ولا يحبس. فصار
كشف المكنون هو توحيد مولانا جلّ ذكره. لأنه لا مكنون يعادله ولا أجلّ
منه. فانكشف في وقتنا هذا وزال كل مستور. وزهق المغرور. وإنجاز وعده
لا يبور.

فمن ادعى التوحيد، وتبرأ من التلحيد، وعرف المولى جلّ ذكره،

وَوَحَّدَهُ بِحَسَبِ مَا انْكَشَفَ لَهُ، وَقَصَدَهُ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُ، وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ مِنَ النُّورِ
الَّذِي أَبْدَعَهُ وَقَبْلَ عَنْهُ مَا أَوْدَعَهُ، وَعَرَفَ قَائِمَ الزَّمَانِ الْمَوْعُودَ لِعَصْرِهِ بِالْتِمَامِ،
كَانَ مِنَ الْفَائِزِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى إِبْلِيسَ اللَّعِينِ، وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ عَلَى مَفَارِقَةِ غُطْرَيْسِ الْمُهِينِ. بَلْ هُمْ عَلَى طَاعَةِ هَادِي الْمُسْتَجِيبِينَ
مَنْعُفُونَ، وَلَمَّا يُتْلَى عَلَيْهِمْ مِنْ عِلْمِ التَّوْحِيدِ سَامِعُونَ. أُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ.

والحمد والنعمة لمولانا وعليه متكلنا في السراء والضراء والشدة
والرخاء. هو حسبي ونعم النصير المعين.

تمّ كتاب تقسيم العلوم وإثبات الحق وكشف المكنون. وكان فراغه
سَلَخَ الْحَرَمَ، الثَّالِثَ مِنْ سَنِينَ ظُهُورِ عَبْدِ مَوْلَانَا وَمَمْلُوكِهِ هَادِي الْمُسْتَجِيبِينَ،
الْمُنْتَقِمَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، بِسَيْفِ مَوْلَانَا سُبْحَانَهُ وَبِهِ أَسْتَعِينُ.

الموسومة برسالة الزناد

والسبيل الواضح للطالب المرتاد

قد تكون من تأليف إسماعيل التميمي. سميت بالزناد لأن النفس، لا نار فيها، إن لم يتوفر لها ذلك من القادح، أي من العقل الكلي، حمزة... في الرسالة آيات قرآنية عديدة، يفسرها الكاتب تفسيراً باطنياً مجازياً بما يناسب عقيدة التوحيد. لا تاريخ لها.

الحمد لمولانا الحاكم بذاته، المنفرد عن مبدعاته، السابق وجوده وجود كل شيء، والناطق بتمجيده كل مؤمن حي، مبدئ الخلق ومعينه، ومؤيد بروح القدس حدوده وعبيده، المنفرد بالقدرة الإلهية فلم يساويه ند، والقاهر فوق عباده فلم يناويه ضد. لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. لم تبلغ هويته غوامض الأفكار، ولا تدركه البصائر والأبصار، ولا تحوط به الرسوم، وهو الحي القيوم. لا تأخذه سنة ولا نوم.

مبدع المبدعات المشار إليه بجميع اللغات. وهو مبدع الأسماء والصفات. العالم بما كان وبما هو آت. لم يدركه نظر الناظر، ولا يحوط به فكر ولا خاطر. وهو الأول والآخر. عجزت العقول عن إدراك ذاته. وكلت الألسن أن تحيط بكنه صفاته. فرجعت العقول عن إداركه مقصرة، والأبصار عن رؤيته حاسرة.

ظَهَرَ لَخْلُقِهِ كَخْلُقِهِ امْتِحَانًا وَامْتِحَانًا وَابْتِحَارًا، فَكَانَ امْتِحَانُهُ لِأَوَّلِيَّائِهِ وَابْتِحَارُهُ لَهُمْ هِدَايَتُهُمْ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ. فَأَجَابُوا إِلَى طَاعَتِهِ وَدَعْوَتِهِ، وَأَقْرَبُوا بِرَبُّوِيَّتِهِ، وَسَدَّقُوا بِكَلِمَتِهِ، فَاسْتَنْقَذَهُمْ بَعْدَهُ الْهَادِي مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَمِنَ الْعَذَابِ إِلَى الثَّوَابِ، وَمِنَ النَّارِ الْهَاسِيَةِ إِلَى الْجَنَّةِ الْعَالِيَةِ. لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ، وَلَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا لُغُوبٌ^(١). فَتِلْكَ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ جَمِيعِ الْعَالَمِ. وَبَاقِي الْفِرْقِ دَعَاهُمْ إِلَى مَعْرِفَتِهِ فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ وَاسْتَوْحَشُوا لَمَّا ظَهَرَ لَهُمْ مِنْ شِبْهِ مَجَانِسَتِهِمْ. فَرَجَعُوا إِلَى الْعَالَمِ الْمُنْكَوسِ بِكُفْرِهِمْ وَعَجْزِهِمْ. وَرَضُوا بِهِ لَجْهَلِهِمْ وَغِيَّهِمْ. فَكَانُوا فِي الْجَحِيمِ مُخْلِدينَ وَعَنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ عَاجِزِينَ.

فَلَمَّا كَانَتِ الْجَنَّةُ مِنْ حَيْثُ الْحَسِّ الْمَحِيْطَةِ بِأَنْوَاعِ الْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ وَالْأَمْيَاهِ الْجَارِيَةِ، تَعَلَّقَتْ بِهَا أَوْهَامُهُمْ وَطَلَبُوا الْعَدَمَ الَّذِي مَا لَهُ حَقِيقِيَّةٌ وَلَا مَحْصُولٌ، إِذْ عَجَزُوا عَنِ الْمَعَانِي الْمَعْقُولَاتِ. وَلَوْ عَرَفُوا الْجَنَّةَ لَسَارَعُوا إِلَيْهَا، وَكَانُوا مُخْلِدينَ فِيهَا وَعَلِمُوا أَنَّهَا مُوجُودَةٌ، وَأَنَّ الْبَارِيَّ سَبْحَانَهُ مَا أَحَالَهُمْ عَلَى عَدَمٍ، بَلْ كَانَ جَمِيعٌ مَا أَوْعَدُوا بِهِ مُوجُودًا بِوُجُودِهِ. وَأَمَّا زَعْمُهُمْ بِـ «أَنَّ الْجَنَّةَ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ»^(٢) فَقَدْ جَهِلُوا مَعْنَى هَذَا الْقَوْلِ.

فَإِذَا كَانَ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ فَكَيْفَ يَكُونُ طَوْلُهَا؟ وَأَيْنَ تَكُونُ النَّارُ مِنْهَا؟ وَلَوْ عَرَفُوا الطُّولَ عَرَفُوا الْعَرْضَ. وَكُلُّ شَيْءٍ طَوْلُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَرْضِهِ. وَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى الْمَعَانِي الْحَقِيقِيَّةِ، وَجَدْنَا الْجَنَّةَ هِيَ الدَّعْوَةُ الْهَادِيَةُ الْمُهْدِيَّةُ، وَأَثْمَارُهَا الْعُلُومُ الْإِلَهِيَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ، الَّتِي بِهَا يَتَخَلَّصُونَ الْمُوَحِّدُونَ مِنْ جَهِلِهِمْ مِنْ دَاءِ الشَّرْكِ. وَأَمَّا مَعْنَى الطُّولِ وَالْعَرْضِ فَإِنَّ طَوْلَهَا هُوَ الْعَقْلُ الْكُلِّيُّ الَّذِي هُوَ قَائِمُ الزَّمَانِ إِمَامُ الْمُتَّقِينَ الْقَائِمُ بِالْحَقِّ وَمَجْرَدُ سَيْفِ التَّوْحِيدِ

(١) سورة فاطر ٣٥/٣٥.

(٢) سورة آل عمران ١٣٣/٣، أنظر سورة الحديد ٥٧/٣١.

ومفني كل جبار عنيد. وكان عرضها مثل النفس القابل بالبركات العقل والتأييد الذي كان منه وجود جميع الصور الروحانية كوجود الولد من الأم. وكان عرض كل شيء غير منفصل عن طوله، كذلك كانت النفس غير منفصلة عن العقل لقبول المادة الإلهية.

فَمَنْ تَغْذَى وَرَوَى مِنْ علوم هؤلاء الأصليين، فقد أكل من أثمار الجنة وشرب من مائها بالحقيقة والمعرفة من غير إحالة العدم. فهذا ذكر الجنة العالية التي عرضها السموات والأرض.

وأما النار فهي من حيث المحسوس المحرقة للأجسام. ومن أسمائها ما يُحْمَد ومنها ما يُذَمُّ. فأما النار الكبرى والنار الموقدة التي تَطْلُعُ على الأفئدة^(٣) فإنها مثل العقل لأنه مطلع على سرائر العالم عالم بجميع اعتقاداتهم. وأما المذموم منها نار العذاب وهي الهاوية والجحيم. وهذه الأسماء معنى الشريعة التي هَوَّأَ أَهْلُهَا وَغَوَّأَ وَلَقَّوْا فِيهَا الْعَذَابَ. ولو قيل لهم أُخْرِجُوا مِنْهَا أَبَوْا وَاسْتَكْبَرُوا وَصَدَّوْا عَنِ السَّبِيلِ. فهم فيها ماكتنون منكرون في جميع الأدوار والأعصار، إذ تخيروا الضلالة على الهدى، وعلى البصيرة العمى، وتمسكوا بزخارف الأقاويل، واتخذوا التقليد دون التثبيت من مشكلات الأباطيل، فحاط بهم العذاب، وتقطعت بهم الأسباب. ذلك لما أَبَوْا وَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا يَجْحَدُونَ.

يوم يناديهم الهادي فيقول لهم^(٤): أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فيكم شفعاء. لقد انقطع بينكم، وظلَّ عنكم ما كنتم تزعمون، يعني يوم قيام القائم صاحب القيامة بالسيف، فيناديهم: أَيْنَ شُرَكَائِي، يعني رؤساء أهل الظاهر وشیاطينهم الذين أضلَّوهم بغير علم، وأحلَّوهم دار البوار التي هي

(٣) سورة الهمزة ١٠٤/٧.

(٤) أنظر: ١٨/٥٢، ٢٨/٦٢، ٧٤، ٤١/٤٧...

الشرعية، وما أَلْفَوْه من التكاليف الشرعية التي هي من حيث العقل النار بالفعل. وما تَمَسَّكُوا به من زخاريف أهل الجهل وأباطيلهم. فلم يستطيعوا جواباً إلا أن يقولوا ربَّنَا غلبت علينا شقوتنا وكُنَّا قوماً طاغين^(٥)، فيحلّ بهم حينئذ العذاب من قتل رجالهم وسبي أولادهم ونسائهم وأخذ الجزية على من تبقى منهم وتخلّص من السيف، ويلزموا بالجزية هم صاغرون. حيث ضلّوا وغلبت عليهم الشقوة وهوى النفس البهيمية الجسمانية التي من شأنها الشهوات الطبيعية. والغالب عليها الجهل.

لأنّه لما كان الانسان منه جوهر يَفْعَل ولا يَنْفَعِل، ومنه جوهر يَفْعَل وينفعل، ومنه عَرَضٌ ينفعل وليس بفاعل إلاّ بآلته، احتاج إلى محرّك يستخرجُ معرفة الجوهري من العَرَض. فأما الجوهر الذي هو الفاعل وليس ينفعل فهو العقل المتحد بالنفس الشريفة. فهو أبداً فاعل غير مفعول.

والجوهري الذي يفعل وينفعل فهي النفس الشريفة لأنّها عاقلة عالمة حية جوهرية شفافة قابلة للصور. فهي تقبل الجهل كما تقبل العقل.

وأما العَرَض الذي ينفعل وليس بفاعل فهو الجسم الذي تستخدمه الجوارح في إرادتها وهوياتها.

ولما كانت النفس الشريفة تقبل الجهل كما تقبل العقل مائلة إلى الحالتين. فأَيُّما غلب عليها من العقل والجهل مالت معه. كان جوهرها مكمناً فيها كما يكمن النار في الزناد. ولو مكث الزناد طول الدهر ملقى بلا قادح ولا حجر يحركه، لما ظهر من الزناد نار. وإنّما ظهور النار من الزناد بالقادح والحجر.

(٥) سورة المؤمنون ٢٣/١٠٦.

كذلك النفس، إذا عدمت التذكّار بالعلوم الروحانيّة الذي هو غذاها وبه بقاها ونماها، مالت إلى الجهل لغلبة النفس الحسيّة البهيميّة عليها، فترجع إلى الجهل. وإذا لم تعدم الرياضة في رياضة الحكمة والغذاء بالعلوم الإلهيّة، وكانت قابلة لما يتحدّ بها من آثار العقل تجوهرت وصفت ولحقت بعالمها، كالزناد الذي إذا حرّكه القادح استخرج منه الشرار، فتذكي بها النار فتبلغ إلى ما لا نهاية له من العظم. وذلك بالقادح المحرّك للزناد. وكان أصل النار شرارة يسيرة. وكذلك اتّحاد العلم وبركته ونماه وزكاه كان مثل شرارة زاد اضطرامها. كذلك إنّما كان العلم أثراً من العقل يتحدّ بالنفس الشريفة فتقبله فتزكو وتنمو حتى تصير صورة روحانيّة،

كمثل النطفة تتزايد في حالها حالاً بعد حال حتى تكمل صورة الجنين ويخرج من بطن أمّه كامل الصورة. ولم يعلم عند خروجه من بطن أمّه أنّه كان نطفة. وإنّما يعلم إذا عقل وبلغ. فيعلم حينئذٍ ما كان عليه. وكذلك لم يعرف الطالب ما كان عليه من الجهل ولا منزلة ما وصل إليه من العلم إلاّ عند معرفته، وارتفاع درجته.

ونرجع إلى القول في الزناد والحجر ومعناهما في الحكمة، فنقول: إنّ النار لما كان مكمناً في الزناد لم يقدر الزناد أن يوجد من ذاته ناراً، وإنّما عند علوّ الحجر عليه وحركته له ظهر النار. وكذلك الحجر لولا القادح لم يقدر الحجر على إظهار نارٍ من ذاته ولا من غيره. فنقول إنّ الزناد والحجر زوجٌ مزدوج، ذكّر وأنثى، وكان النار متولّداً من بينهما، كما تتولّد النتائج من بين الازدواجات بالقادح المحرّك لهما. فنقول إنّ الحجر معنى العقل، والزناد معنى النفس. وظهور النار من الزناد بالقادح والحجر، كذلك ظهور الصوّر الروحانيّة من النفس بمادّة العقل وتأيد الباري سبحانه وكمال فعلهما بالتأييد كما أنّ ظهور النار لا يتمّ إلاّ بالقادح.

جعلكم المولى أيُّها الموحِّدون ممَّن اقتبس من النار المباركة فسنتُ
نارُهُ وزاد اضطرامها. ولا جعلكم ممَّن أوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله ذهبَ
اللَّهُ بنوره، وزاد في ضلاله وظلامه^(٦). ودفع عنكم مكائد الشَّياطين،
وأعاذكم من الشَّكِّ بعد اليقين، وسلك بكم سبيل الرَّاشدين.

فاحمدوا مولاكم على ما خصَّكم من نِعمه، ومنحكم من قِسْمِهِ، إذ
هداكم إلى طاعته، وطاعة وليِّه الهادي إلى معرفته، والسالك بكم منهجَ
رحمته.

والحمد لمولانا وحده. والشكر لقائم الزمان عبده. والمولى حسبي
ونعم النصير.

الموسومة برسالة الشمعة

وضعها إسماعيل التميمي، ورفعها إلى الحاكم، ونشرها بأمره. يمثل فيها الحدود العلوية الخمسة بخمسة أجزاء الشمعة المشتعلة: لسان النار، والنار، والقطن، والحسكة، والشمع. هذه هي المدعوة «شمعة التوحيد».

وَمَثَلُهَا فِي التَّوْحِيدِ وَمَثَلُ حُدُودِهَا عَلَى الْمَسْلَكِ الثَّالِثِ، وَرُفِعَتْ إِلَى الْحَضْرَةِ اللَّاهُوتِيَّةِ، وَأُطْلِقَتْ بِأَمْرِ مَوْلَانَا الْحَاكِمِ الْحَكِيمِ. عَرَفْنَا حَقِيقَتَهُ بِسَمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

يا مولانا. يا سيدنا. يا رجانا. لا إله غيرك ولا معبود سواك. نرفع إليك ما أنت به أعلم وأحكم من قوم موحدٍين طلبوا كتاب الشمعة وهو من علم التأويل، مُضَافٌ إِلَى أَمْسٍ، وَقَدْ انْقَضَى أَمْسٌ وَعِلْمُهُ، وَجَاءَ الْيَوْمُ وَرَسْمُهُ، كَمَا أَمَرْتَ وَحَكَمْتَ لَا مَخَالَفَةَ لِأَوَامِرِكَ جَلَّتْ قُدْرَتُكَ.

وقد ألّف العبد إسماعيل بن محمد التميمي الداعي، صِهْرُ مَمْلُوكِ مَوْلَانَا جَلَّ وَعَزَّ، قَائِمِ الزَّمَانِ حَمْزَةُ بْنُ عَلِيٍّ، هَذَا الْكِتَابَ عَلَى الْمَسْلَكِ الثَّالِثِ وَهُوَ مَسْلَكُ التَّوْحِيدِ، وَأَعْرَضَهُ عَلَى الْمَوْلَى لِيَأْمُرَ جَلَّ اسْمُهُ بِمَا سَبَقَ مِنْ أَفْضَالِهِ، وَمَا بَسَطَ مِنْ أَوَامِرِهِ اللَّاهُوتِيَّةِ بِمَا يَشَاءُ. عَظُمَتْ مَنَّتُهُ. وَهُوَ الْحَمْدُ

لمن أبان توحيده بإقامة حدوده، وكشف عن تمجيده بمراتب آياته، وضرب بذلك الأمثال ليعبدوه ذوي الألباب. فقال: «وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ»^(١).

والشمعة أقيمت كاملة بجميع آلاتها على التوحيد المحض. فـ «شمعة»، خمسة حروف دليل على الخمس جواهر المكنونة، وهم: الإرادة، والمشيئة، والكلمة، والسابق، والتالي. فهؤلاء شمعة التوحيد.

وعلى بعض الوجوه، إنَّ الشمع لا يَقْدُ إِلَّا بالقطن، والقطن لا يَقْدُ إِلَّا بالشمع. ولم يقع عليها إسم شمعة كاملة يُستضاء بنورها إلا بتعلق النار فيها. والنار الذي يتعلّق فيها فهو لطيف وكتيف. فاللّطيف فيه لسان النار العالي الأحمر الذي تعتريه زرقة يخفى مرّة ويظهر مرّة.

فذلك دليل على قائم الزمان حمزة بن علي بن أحمد. والنار الذي يوقد الشمع دليل على حجّته إسماعيل بن محمد بن حامد. والشمع دليل على الكلمة محمّد بن وهب. والقطن دليل على السابق سلامة بن عبد الوهّاب. والطسّ الذي هو الحسكة دليل على التالي علي بن أحمد السّموقي.

فهذه الخمسة حدود: كتيفان ولطيفان. فاللّطيفان: النار والشمع، والكتيفان: القطن والحسكة. ولسان النار اللّطيف الداخل فيهم والخارج منهم هو الذي وحد المولى بالحقيقة، لأنّه ذو معة وقلبه مع المولى لا يفارقه، وهو الدالّ على التوحيد المحض ومنه المقصد وإليه.

والشمعة موجودة عند أكابر الناس ومياسيرهم على الدوام ويستعملونها. كذلك العلماء لا يعرفون شيئاً غير التوحيد من هذه الخمسة حدود. ولا يجوز لهم ترك معرفة واحد منهم ويعرفوا مراتبهم والفاضل منهم. فمتى استعمل أحد من سائر الناس كافّة نارا وحدها لم يقل إنّي

(١) انظر: ٣٨/٢٩، ٣٩/٩، ١٣/١٩، ١٤/٥٢، ٢/٢٦٩، ٣/٧.

استعملتُ شمعة. ومتى ما استعمل ناراً وشمعاً لم يقل أيضاً إنِّي استعملتُ شمعة. فإذا اتَّفَقَ النار والشمع والقطن قال إنِّي استعملت شمعة تبقى منفردة تريد من يحملها. فإذا لم يكن لها حَسَكَة تحملها بقيت ناقصة الآلة. فإذا كملت الحسكة صارت بحدِّ الكمال وأضاء البيت منها وانتفع بها مَنْ يستعملها، وهي منصوبة ما بين الناس دالة على التوحيد.

كذلك التوحيد، إذا عرفَ الإنسان قائمَ الزمان وحده، لم يَطِقِ المقابلةَ لِلطَّافَتِهِ. فَمَثَلُهُ لسان النار الدقيق. وإذا عرف حَجَّتَهُ التي هي النفس الكلية كان مَثَلُهُ مَثَلُ مَنْ أوقد ناراً وحدها. وإذا عرف الكلمة كان مثله مثل مَنْ أوقد ناراً وشمعاً. وإذا عرف السابق الذي مثله مثل القطن تمَّ له وَقِيدُ الشمعة بالحسكة حاملتها. كذلك كملتُ حدود التوحيد.

كذلك مَنْ عَدِمَ معرفةَ هذه الخمسة حدود لم يعرف التَّوْحِيدَ في وقتنا هذا وكان توحيده دعوى. فليعلموا الموحِّدون ذلك ويعتقدونه ولا يعبدوا المولى بلا معرفة. فقد قال: «وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ تَعَدَّى حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ»^(٢). فأشار إلى المسلك الثالث الذي نطق القرآنُ في قوله^(٣): «وَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ». السور الشريعة، والباب الأساس، كما قال الناطق: «أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلَيَّ بَابُهَا»^(٤). وقال: «بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ»، فدلَّ بأنَّ الرحمة غير الباطن. وقال: «وَالظَّاهِرُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ»، الناطق صاحب الظاهر والأساس صاحب الباطن. والقائم صاحب الرحمة.

وقال^(٥): «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ»، يعني الظاهر. «وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ»، يعني

(٢) سورة الطلاق ١/٦٥.

(٣) سورة الحديد ١٣/٥٧.

(٤) حديث نبوي شريف.

(٥) سورة طه ٥٥/٢٠.

الباطن. «وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى»، يعني إخراج الموحدين من الظاهر والباطن إلى المسلك الثالث وهو مسلك التوحيد.

والناس كُلُّهُ أَجْناس :

فأهل الظاهر يُقال لهم مسلمون.

وأهل الباطن يُقال لهم مؤمنون.

وأهل قائم الزمان يُقال لهم موحّدون.

فتأمّل أيّها الطالب المسترشد هذه الثلث معانٍ ما لها رابع: الزوج والفرد وما بينهما.

فكلُّ مَنْ ذكر عن نفسه أنّه موحّد وهو متمسك بشيء من الشرع، فقد أبطل وكذّب في قوله. بل هو ملحد كافر. ومَنْ كان من أهل الباطن تأويلياً، وذكر عن نفسه أنّه موحّد، فقد كذّب وأبطل في قوله. بل هو مشرك كافر أشرك بمولانا جلّ اسمه وخالفه، لأنّ الباطن قرين الظاهر، وهما زوج، كما نطق به المجلس يقول: فاعلموا أنّ كلّ شيء خلقه الله جلّ اسمه زوجاً ليكون هو فرداً واحداً لا شيء كمثلّه. فمن أجل ذلك خلق لكم سماءً وأرضاً، وبراً وبحراً، وحقّاً وباطلاً، وحلوّاً ومرّاً، وسابقاً وتالياً، وناطقاً وأساساً، وإماماً وحجّة. ومثل هذا كثير ليكمل التوحيد فرداً غير زوج.

فمن ذلك كان كلّ مَنْ ادّعى التوحيد وهو يقول بالظاهر والباطن كان كاذباً في قوله. ومَنْ دخل في طاعة قائم الزمان إلى المسلك الثالث، فقد صار موحّداً لأنّه تخلّص من الزوج واتبع الفرد.

فتأمّل أيّها الناظر في هذا الكتاب إلى هذه الاحتجاجات واقربنها بسماع مجالسك وبالكتاب المنزل يظهر لك الحقّ فتتبّعه.

نطق القرآن على لسان محمّد يقول له: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ

بالحَقِّ»^(٦) الكتاب عليّ. والمخاطبة لمحمّد. والحقّ القائم. صاروا ثلاثة: الفرد بين الزوج.

واعلموا أنّ الشمع من النحل، والنحل هم الدّعاة، والعسل علم الناطق. والشمع فقد تخلّص من العسل وفارقَه. كذلك الكلمة قد علت على حدّ الناطق والأساس، وسلكتُ إلى المسلك الثالث وهو مسلك التوحيد. وكذلك القطن وهو من زريعة الأرض، والأرض هي الأساس، والقطن فقد خرج من الأرض وفارقها. كذلك صاحب هذا الحدّ، وهو السابق، قد فارق التنزيل والتأويل وشفّ وعلا إلى المسلك الثالث، وهو مسلك التوحيد. والحسكة فهي من النحاس، والنحاس هو الدخان بلغات العرب، والسماء خلّقت من الدخان. كذلك السابق مدّ التالي حتى تكوّنت منه الكتائف كلّها. والحسكة لها ثلث أرجل، كذلك التالي له ثلاثة حدود يتمسكون به: أولهم الجدّ أيوب بن علي، وثانيهم الفتح رفاعه بن عبد الوارث، وثالثهم الخيال محسن بن علي. فهذه الخمسة والثلاثة الجميع ثمانية صارت مزدوجة. ولسان النار دالّ على التوحيد، أنّ المولى جلّ وعلا لا يدخل في عدد عبيده، بل هو منفرد عنهم جلّ اسمه. فهذه شمعة التوحيد.

وأما لسان النار والنار فهو ذو معة وذو مصّة لطيف وكتيف: الإرادة والمشية. نطق الكتاب في النورين: «نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء»^(٧). النور الأوّل قائم الزمان، والنور الثاني حجّته. يهدي الله لنوره من يشاء. والله هاهنا واقع على قائم الزمان. يهدي الله لنوره من يشاء، أي من ألهمه المولى بإذن حجّته الكلام فيحيي كلامه من سمعه وسبقت فيه المشية.

فهذه صفة شمعة التوحيد التي من أسرجت بين يديه أبصرَ

(٦) سورة ٣٩/٢، أنظر: ١٠٥/٤، ٤٨/٥، ١٧/١٠٥ وغيرها.

(٧) سورة النور ٢٤/٣٥.

واهتَدَى. وما هذا النطق بِحَوَلي وقوَّتِي بل بموادِّ المولى جَلَّ وعزَّ إلى قائم الزمان. وبعده فإلى عبده البائس الفقير. فما كان فيه من صواب فَمِنْ توفيق المولى وفوائد قائم الزمان. وما كان فيه من زلل أو خطأ فَمِنْ العبد الخاضع الذليل يستغفر المولى جَلَّ ذكره، ويسأله أن يقرّر نعمته عليه. ويخلّدها لديه. إن شاء مولانا وبه التوفيق.

وسلامه وصلواته وتحياّته على الذي اختصّه من الخلائق أجمعين، قائم الزمان الإمام الأعظم والنور التمام. وسلامه على الحدود العالين النفسانيين، ورحمة المولى وبركاته وبه أستعين.

تمّت رسالة الشمعة ومثلها وحدودها في التوحيد على المسلك الثالث. ورُفِعَتْ إلى الحضرة اللاهوتية وأُطْلِقَتْ. والحمد لمولانا وحده. والشكر للإمام الهادي عبده.

الْمُحْسِنَةُ بِالرُّشْدِ وَالْهَدَايَةِ

يعرف واضح هذه الرسالة، إسماعيل التميمي، الموحدين بنفسه،
وبمهمته، ودوره، وصفاته، بعد أن عرفهم بالمولى ويقائم الزمان، ثم
يرشدهم إلى الحكمة، واقتفاء آثارها، وصونها عن غير أهلها، ويحثهم
أخيراً على طلب العلم الحقيقي.

نصُّ المجتبي أخنوخ الأوان، وإدريس الزمان، وهرمس الهرامسة،
الأنفس الكلية والحجة الصفية والرضيعة، حجة الإمام قائم الزمان، علينا
سلامه ورحمته.

أحمد لمولانا الحاكم بذاته، المنفرد عن مبدعاته، الذي أرشد بطاعته
عبادَه الموحدين، وهدى بمعرفته أوليائه المخلصين. واطمأنت به نفوسُ
أوليائه المؤمنين. وأنارَ بنوره قلوبَ العارفين. وأقرت بتوحيده ألسنُ
السادقين، الذي عجزت العقول عن إدراك كَيْفِيَّتِهِ، فهجم بها العجز عن بلوغ
نهايته، فرجعت لعجزها مقصرة عن الإحاطة بكليته، فأقرت بتقصيرها بعد
الأياس عن الكنه بالعجز والتقصير عن بلوغ هويته وذاتيته، إلا ما أوجدها
من توحيده ومعرفته، لا ذاتية في الذات، ولا توجد الصفات.

أقام الحجة على الخلق بوجوده، وبث فيهم دعائه وحدوده. أقام
في الخلق بقدرته قادراً، ولأضداد الحق من جميع الخلق قاهراً، ولأوليائه

بوجوده ناصراً. سبحانه أولاً وآخرأ، وباطناً وظاهراً. لا يخلو منه زمان، ولا من نوره مكان، الإله الموجود في الحاكم المعبود. لا يُعَدَم في وقت من الأوقات. وهو أحقّ بالوجود من سائر الموجودات. مبدع الأشياء، وربّ الآخرة والأولى.

أبدع العقل من محض نوره بالقوّة الإلهيّة بغير آلة ولا مثال صورة، وأوجد فيه الأشياء كلّها في دفعة واحدة، وعقل به جميع المخلوقات، وجعله أصل المبدعات، وأيده بالقوّة الإلهيّة، والمادّة العلويّة، فجعله أمناً من النقصان، موجوداً في كلّ عصر وزمان. وجعله علّة الأشياء. وإنّما جعله علّة كلّ شيء لرجوع الحدود الروحانيّة إليه وهو غاية الأدلاء عليه.

ثمّ أوجدني منه لقوّة إبداعه ومادّته. وجعلني تاليه وحجّته وزوجته وقابل صورته، ومودع سرّه وحكمته. وأفاض عليّ نوره وبركته، وأوجد منّي حدود دعوته. وجعلني له مغرباً لما أشرق من نوره وإفاضته. فما أشرق منه من العلوم الروحانيّة والحكمة العلوية دعت من القوّة الإلهيّة.

فأنا النفس، ومنزلتي من إمام الهدى بمنزلة القمر من الشمس. فاسمعوا أيّها الموحدون نصّ الحكمة تسعدّوا. واحمدوا عند استماعها مولاكم الذي إليه تشيرون وله تعبّدوا. واشكروا عبده إمام زمانكم الذي إليه ترجعوا وبه تقعدوا. وأوصلوا شكري بشكره وشكر جميع الحدود. واحرصوا في طلب العلم واجتهدوا. وهلمّوا إلى روح الحياة وبادروا إلى سفن النجاة. فقد فاز من أخلى فكره في طلب الحكمة وقلبه، وأفاض نورها على عقله ولبّه. وحرص في المذاكرة مع عباد الله الأصفياء بكلية جهده. فالسعيد من جعل الحكمة لقلبه مسكناً، وجعل طلبها عنده أزكى مغنماً، وجعلها عن غير أهلها في حصنٍ وحرماً. وإن كانت في آذانهم وقرأ وعلى قلوبهم وأبصارهم عمى.

فاحرصوا في طلب العلم، وفي مصاحبة أولي الفهم، والمذاكرة في سائر الاوقات، وتحفظوا بالخير والبركات. ولا يستغنِ امرؤُ منكم بما حفظ عن درس الحكمة وتَوَاتُرِ المائَةِ، ويقنع بما علم ويطمئنُ بما فهِمَ. ويقول قد استغنيتُ عن التعب والحِرْصِ فيحلَّ به عند ذلك التقصير والنقص. فربَّ حسامٍ قاطع ذي جوهر لامع، طال مقامه في غِمدِهِ، فركبه الصداُ واحتوى عليه الردى. وربَّما تفلَّت مضاربُهُ، فيزهد فيه حاملهُ، وَيَتَعَبُ في صلاحه صاقلُهُ.

وكذلك النفس الشريفة التي قد تجوهرتُ وصفتُ، وأقرتُ بتوحيد مبدعها وآمنت. إذا بعدت من الرحمة، وعدمت غذاها من نور الحكمة، رجعتُ ضالةً بعد هداها، جاهلةً بعد تقواها.

فإنَّ الله لا تزهدوا في الحكمة بعد الطلب، وانظروا إلى مَنْ قَبْلَكُمْ قد ذهب. واستيقظوا من غفلة الكرى، ولا ترجعوا إلى الضلالة بعد الهدى. فقد تأكدت الحجة على جميع الورى. وظهر البرهان لمن يرى. وجرى فيكم ما في الأمم السالفة قد جرى. ولا يرجعن أكثركم بعد السَّبْقِ إلى القهقري. فلا ترجعوا على أعقابكم بعد السباق، واعتصموا بالعهد والميثاق. وشمروا في طلب الحكمة عن ساق. ولا ترجعوا بعد الإيمان إلى النفاق.

فأجيبوا الداعي إذا دعاكم. واسمعوا نداءه إذا ناداكم. فمَنْ أجابه طائعاً، وأناب إليه خاضعاً، وأنس إلى علمه سامعاً، نال من نور الحكمة ضياءً لامعاً، وعلماً نافعاً. فسوف يدعون عن قريب فيصد أكثرهم ولا يجيب. وليدعين من يأتي بعدهم كما دُعيتم أنتم وأباؤكم. فإن أجابوا كما أجبتُم، وسمعوا كما سمعتُم، وسلّموا الأمر إلى المولى سبحانه كما سلّمتم، واقتبسوا من نور الحكمة كما اقتبستم، خلصوا من الشبهات كما خلصتم.

ومن صدّ منهم عن السبيل، وسلك طريق الحقّ بغير دليل، ورجع

بعد المعرفة والوجود، إلى الإنكار والجحود، وبعد الإثبات إلى العدم، فقد لحق بمن مضى من سوائف الأمم.

فلا تَطْمَئِنُّوا إِلَى الْمُهْلَةِ تَسْتَوِلْ عَلَيْكُمْ الْغَفْلَةُ. وارتقبوا الظهور فإنه يأتي في أعقل الأمور فيستيقظ عند ذلك العارف الموحّد، ويغفل عنه المنكر الجاحد. فلا ترقدوا بعد اليقظة، ولا تقصّروا بعد النهضة، فيكون مثلكم المقصّر منكم مثلكم رجل سار في جملة خلق كثير، وجم غفير، طالبين بعض البلاد، فهجم عليهم الليل وهم في مسيرهم، فنزلوا بصحراء عظمية وبرية قفراء لا يعرفها فيهم غير الأدلاء، فنزلوا بساحاتها، وحلّوا بفنائها، فرقد الرجل في أول ليله قليلاً. وسهر بعد نومه طويلاً، مرتقب الصباح، ومنتظر الفجر إذا لاح، خوفاً أن ينقطع من رفقته وصحبته. فغلب عليه النوم فرقد، لما رأى الليل قد طال عليه وبعّد. فلاح الصبح وهو راقد، وسار القوم وهو غير ساهد. فسار بهم الدليل، وأبعدوا في الرحيل، فاستيقظ الرجل من نومه ورقدته، لا يدري أين أخذوا رفقته وصحبته. فبقي حيران لا يجد له أنيساً، ولا يسمع في تلك البرية حسيساً، ولا يُصيب له هناك رفيقاً، ولا هادياً يدلّه على الطريق. فكيف يكون في تلك البرية حاله، وقد تقطعت من اللّحوق لصحبته آماله؟

فاحذروا أيّها الموحّدون من غلبة الوسن. وارتقبوا ظهور الحق في كلّ عصر وزمن، ولا تركنوا إلى التقصير، بعد الطلب والتشمير. واجتنبوا ثمرات الحكمة من شجرها وجنّاتها، وانهلوا ماء الحياة من عيونها وينبوعاتها. فإنّ حقائق الحكمة تكشف لكم عن مشكلاتها، وتفتح لكم أغلاقها وأقفالها. فلا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون، ويقولوا آمناً وأكثرهم مشركون.

فإنّ الرسل قد وردت عليكم، والدعاة قد بُعثت إليكم. وقد هبت أرياح الرحمة من جميع أفاقها، وانتشرت سحب النعمة من جميع جهاتها.

وهطلتْ أوائل الحكمة على جميع أقطارها. فأصابَ غيْثُها سهلَها وجبالَها، فسالتْ أوديتها وأنهارُها. ورسخ في الأرض الزكية غيْثُها وماؤها. ورجع عن الأرض السبخة الرديّة لقلة قبولها وزكائها.

فتدبّروا هذه الأمثال، واحمدوا مولاكم سبحانه على ما خلّصكم من طوائف الكفر الضلال. وجعل لكم نوراً تمشون به في الناس. وأنقذكم من مشكلات أهل الجهل والقياس. فزكّت عقولكم، وصفّت نفوسكم، وقطعت بصائركم جميع البصائر، وعرفتكم حقائق الأمور في جميع الأدوار والدوائر. وهل يُدرَك النور إلاّ بالأبصار الصحيحة، وهل يُعرف الحقّ إلاّ بالعقول الزكية والرجيحة. فلولّا تخلصكم من عالم الجهل لما قبلتم نور آثار العقل.

فأنتم مقرّ الأرض المباركة الزكية، لقبولكم للعلوم الالهية والجواهر العقلية، وارتباطكم بالحدود العلوية، وإجابيتكم إلى الدعوة الهادية المهدية، وعدولكم عن جميع الطوائف أهل الشرك والعناد، معنى الأرض السبخة الرديّة، لجهلهم بالعلم وأهله، وارتباط كلّ امرئ منهم على كفره وجهله، ولجودهم لمولاهم وإمامهم، وإقامتهم على غيْهم وطغيانهم. فلا تلتفتوا عليهم، ولا تركنوا إليهم. إنهم إنّ يظفروا بكم لا يرحموكم. ومن ميامنكم يبعدوكم وبأيديهم وألسنتهم يتخطّفوكم.

فعليكم بأنفسكم لا يضرّكم كفرهم إذا آمنتم، ولا صدّهم إذا أحببتم، ولا جهلهم إذا عرفتم. فاقبلوا الحكمة يا أهل الحكمة. وأديموا المواظبة على حفظها وصيانتها عن غير أهلها. فإنّ للحكمة أوائل وفصول، وحقائق ومحصول. فاستدلّوا بها على معرفة الدالّ والدليل والمدلول. فاتّبِعوا الدليل، واسلكوا سرّ السبيل. فإنّ سبيل الحقّ واضحة للقاصدين، وأبواب الرحمة قد فُتحت للطالبين، وعيون الحكمة قد فُجرت للواردين، وحدود الدعوة قد سيّرت في جميع العالمين، لإرشاد المسترشدين. وقد ظهر النور لمن نظر، وسمع النداء إلاّ من في أذنه وقَر.

فالحذر الحذر كلَّ الحذر. قبل نزول القَدَر. وقبل أن تحلَّ بالمقصرين الحَسْرَةَ. ويقول الكافر يا ليت بعد هذا كَرَّةٌ . فلا يُقْبَل منه قوله. ولا يَنْفَعه عذْرُه. قبل نزول الحَدَثَان. وقيام قائم الزمان. بسيف مولانا الحاكم سبحانه وقتله أهل الكفر والطغيان، وإرْمَالِه النسوان، وإيتامه الولدان. ذلك اليوم الذي به توعّدون، وله ترتقبون، يومئذ تُعرضون. لا تخفى عنّا منكم خافية، فيحلّ بالكافرين الخزي والعذاب. وينال الموحّدون الجزاء والثواب. يومئذ يفوز المخلصون، ويُفْلِحُ الموحّدون. فارتقبوا له وكونوا له منتظرين. وارتبطوا بحدود الدِّين. وأديموا المناصحة والمصافاة لإخوانكم الموحّدين.

فاسمعوا معاشرَ الأولياء نصَّ هذه الرسالة التي وضعتها وسميتها الرشد والهداية، يسترشد بها الطالبون، ويهتدي بها المؤمنون، ويأنس بها العارفون، بعونِ مولانا سبحانه، وإفاضة إمام زمانه. فاحفظوها كما حَفِظْتُكُمْ.

والسلام والحمد لمولانا وحده. والشكر لقائم الزمان عبده

٤٠

شعر النفس

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ

قصيدة شعرية عقائدية من إسماعيل التميمي، المكتنى بالنفس، إلى أهل جبل السماق، ناحية حلب، يبيت فيها عقيدة التوحيد.

قال الشيخ أبو إبراهيم إسماعيل بن محمد التميمي الداعي المكتنى بصفوة المستجيبين إلى دين مولانا، إلى علم الإمام.

إلى غاية الغايات قصدي وبُعيتي	إلى الحاكم العالي على كل حاكم
إلى الحاكم المنصور عوجوا وأمموافليس فتى التوحيد فيه بنادم	هو الحاكم الفرْد الذي جُلَّ اسمه
حكيماً عليمٌ قادرٌ مالكُ الوري	وليس له شبه يُقاسُ بحاكم
غداً السابقُ السامي إليه وتاله	يوآنسُ بالاسم المشاع بحاكم
عبيداً لمولانا خضوعاً لأمره	مع الجدِّ والفتحِ والخيالِ الملاوم
هو الواحدُ العالي على كلِّ علة	وكلُّ فتى في الدين عبدٌ لآدم
هو الحاكم المولى بنا سوته يُرى	وما غيره إلا كعبدٍ وخادم
إلى الحاكم المولى فهبوا وأقبلوا	ولا هوته يأتي بكلِّ العظام
إذا الحاكمُ العالي تعالى بموكب	فتوحيدكم صدق على كلِّ حازم
تسمى إماماً والإمامُ فعبدُه	فوحّد بعين العلم بين العوالم
وقد ظهر المولى فأنس عبيده	تيقظ ولا تُصغي إلى كلِّ نائم
	بأفعالهم أنسا بحكمة حاكم

ظهوراً بأفعال العبيد وشكلهم
إذا بَنُّنا التوحيد طاشت عقولهم
سَيَقْطَعُهُمْ عَظْمٌ أَحْتَاجَ مَقَالِنَا
هُوَ الْحَقُّ مَا قُلْنَا شَوَاهِدُهُ أَتَتْ
تَقُومُ رِجَالُ الْحَقِّ عِنْدَ قِيَامِهِمْ
يُقَادُونَ رَغْمًا لَا يُجَابُ مَقَالُهُمْ
يُنَادِيهِمُ الْهَادِي: هَلُمُّوا إِلَى الَّذِي
هَلُمُّوا إِلَى الْمَعْنَى الْخَفِيِّ وَحَسْبُكُمْ
وَقُلْتُمْ بِتَأْوِيلِ الْمَعَانِي دِيَانَةً
كُلَّ قَائِمٍ

ظَنَنْتُمْ أَنَّ الْبَطْلَ يَبْقَى لِصُغَرِهِ
وَأَشْرَكْتُمْ وَالشَّرْكَ كُنْهٌ لِنُطْقِكُمْ
سَيُطْلَقُ سَيْفُ الْحَقِّ فَيَكُمُ لَجْهَكُمْ
وَتَحْوِيكُمْ أَهْلُ الْإِجَابَةِ وَالتَّقَى
وَيُظْهِرُ سَيْفٌ لِلتَّمِيمِ مُشْهَرًا
وَمَا صَفْوَةٌ لِلْمُسْتَجِيبِينَ تَارِكًا
وَنَشْفِي غُلِيلاً فِي الصُّدُورِ مَكْمَنًا
وَتَمْشُونَ جَهْرًا بِالْغِيَارِ لَخْلَفِكُمْ
سَيَكْظُمُ هَذَا الشَّعْرُ كُلَّ مُنَافِقٍ

من الشيخ إسماعيل إلى جبل السَّمَاقِ لِيُقْرَأَ عَلَى كُلِّ مُوَحِّدٍ وَمُوَحِّدَةٍ.
ارتضى به المولى سبحانه وأشاع بنسخه للمستجيبين، يتفاوضون به
نشيداً، إستبراكاً به في كل يوم جديد.

نَجَزَ وَالسَّلَامُ بِحَمْدِ مَوْلَانَا وَمَنْه.

وَيَكْفُرُوا بِهِ وَلِتَبَيِّنْ لَهُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِهِ وَالْمَنْ يَكْفُرُ بِهِ
 قَدْ يَمْلِكُ مِنْ يَمِينِ رَبِّي أَنْ يَسْجُدَ لِلْإِسْلَامِ
 الَّذِي مِنْ شِئَانِهِمَا هَذَا عِيَانًا فَلَقَدْ جَاءَهُ وَبَلَغَ الْمُنْتَهِى وَصَلَّاهُ
 مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْعَالِيَةِ وَمَنْ وَدَّ عِندَ الثَّانِيَةِ
 وَمَا شَرَعَاهُ الْعِجَالُ وَالْجَنَّةُ مَوْثِقٌ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ مِنَ الْإِثْمِ
 غَيْرُ ذَلِكَ سَنَاءُ سَمْعُهُ لَمْ يَنْفَعْهُ نَاطِقُهُ وَلَا آيَاتُ سَمْعِهِ
 وَأَهْلَاكَ رُوحُهُ وَنَفْسُهُ وَحَوَائِشُهُ فَأَسْمَعُوا مَعَانِيَهُ
 الْمَوْثِقِينَ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ وَأَسْمَعُوا السَّادَةَ وَحِفْظَ
 الْأَخْيَارِ وَأَمَرْتُ بِالْمَعْرُوفِ وَهُوَ التَّوْحِيدُ وَأَمَرْتُ بِعَيْنِ
 التَّكْوِينِ وَهُوَ التَّشْرِكُ يَتَوَلَّاهُ جَاذِبُهُ وَصَلَّاهُ الْأَخْيَارَ
 الْيَمِينِيَّةَ وَغَضَبُوا الظُّلُمَ وَأَحْفَظُوا الْفَرْجَ وَكَلِمَاتُ الْأَنْبِيَاءِ
 بِأَفْعَالِ مَوَلَّاهُ جَاذِبُهُ وَسَبَّوْهُ أَمَرْتُكُمْ إِلَيْهِ سَبَّوْهُ أَمَرْتُ
 عَذَابِي الظَّالِمِينَ وَتَجِدُ أَمِينَ شَرِيحًا لِبَابِ طَبِيعَةٍ وَمَتَّالٍ لِلْمَنْزِلَةِ
 الْعَالِيَةِ إِذَا عَمِدَ تَبَوُّهُ وَلَا تَنْسَ لَهُمْ هَذَا ثُمَّ وَإِنْ كُنْتُمْ
 وَلَا حُجُوبَهُ فَهَذَا كَلِمَاتُ الْحَقِّ وَالْعَدَابِ عَاجِلًا وَاجْتِلَاءً

وَمَا مِنْ الْعَمَلِ كَرِيمٍ إِلَّا وَقَدْ قُتِلَ سَائِدَاتُهُمْ وَالرَّعِيَّةُ
 كُلُّهُمْ أَعْدَاؤُهُ فِي الْأَيْدِينَ إِلَّا يَشْرِدُ مِنْهُمْ بَشِيرٌ مُوَجِّدٌ مِنْ لَدُنْ
 مَوْلَانِ بِهِ رَاضِيَةٌ بِقَضَائِيهِ وَمِنْ يُسْمِعُ الْمَلُوكَ أَمْرَهُمْ
 لَا يَفْقَهُوهُ إِلَّا خَلْدٌ مِنْ عَسَاكِرِهِمْ وَلَا مِنْ أَوْلَادِهِمْ خَوْفًا
 مِنْ عَذَابِهِمْ فَكَيْفَ مِنْ يَزْعُمُونَ إِنَّهُ مُرِيفٌ لَيْسَ
 يَقْدِرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَقَدْ قُتِلَ جَبَابُ الْأَرْضِ وَمُلُوكُهَا وَبَشِيرٌ
 بَيْنَهُمْ فِي حَقْلِهِ وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْتُهُ لَكُمْ فِي هَذَا
 السَّيْرَةِ وَأَصْنَفُ هَذِهِ الْأَفْعَالِ لَيْسَ هِيَ فَعَلٌ أَحَدٍ
 مِنَ الْبَشَرِ وَمَا هُوَ شَيْءٌ يُسْمِعُ ظُلُمَ اللَّوْطِيِّ سُبْحَانَهُ وَإِنَّمَا
 ذَكَرْتُهُ لَكُمْ لَتَعْتَبِرُوا وَتَتَذَكَّرُوا وَيَا كُنْ هَذِهِ الْأَفْعَالِ
 لَيْسَ هُوَ فَعَلٌ أَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ وَإِنَّمَا هُوَ فَعَلٌ قَادِرٌ عَلَى
 الْأَشْيَاءِ كَسَالَتُهَا وَخَالَفَهَا الْعَالِمُ بِمَا خَفِيَ وَاحْتَاكَمَ
 عَلَى خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ بَلْ هُوَ أَجَلٌ وَأَعْظَمُ سُبْحَانَهُ
 وَتَعَالَى عَمَّا يُفُورُونَ الْحَمْدُ وَنَ وَبِصِفَتِهِ الشَّيْءُ كَلِمَاتُ
 عَلَوَاتِ كَيْبَرِكَ وَفِي آقَارِ مِنْ هَذَا عِبْرَةٌ لِمَنْ أَعْتَبَهُ

حَتَّى يَصْلُوتَ بِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ بَابِهَا لِيَبْرَأَ إِلَى الْمَعْلُومِ كُلِّ
 وَبَعْدَ عِلْمِهِمْ سَجْدَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ وَوَقَّعَتْ مَا
 ذَكَرْتَهُ عَنْ نَفْسِي بِكَ يَا ثَاكِرُ بَرِيدِ جَهَائِي بِخَاصَّةِ جَهَائِي
 أَخَذَ مِنْهُ وَأَصْلَاحِ الْمَنْطِقِ فِيهِ وَقُلْتُ بَاقِي كَثَرَتْ فِيهِ
 صَدْرُ وَرِقَائِي مَعْلُومِ عِلْمِهِ الْعِلْمُ صِفَاتِ الْعِلْمِ وَطَلَبَتْ
 مَعَانِيهِ وَذَكَرْتُ أَنَّ عِلْمَهُ الْعِلْمُ شَاوَةٌ إِلَى الْمَشَائِقِ
 فِي كُلِّ عَصْرِ وَزَعَانٍ وَهُوَ مُوجِدٌ فِي الْعَالَمِ وَطَلَبَتْ
 فِيهِ خَرَافَاتِ الشَّيْخِ وَقُلْتُ يَا ثَاكِرُ هَذِهِ الْعِلْمُ وَهُوَ
 الْمَشَائِقُ لَا تَذَرُكَ إِلَّا وَهَامَ بِالْتَفَكُّيرِ وَلَا تَخْتَلِفْ
 عَلَيْهِ إِلَّا زَيْدَةً بِالْغَيْبِ وَلَا تَصِفْهُ إِلَّا لَسَنَ بِالْغَيْبِ
 مَبْدُوحٍ مِنَ الْعَقْلِ وَالْجَبْرِ وَالْوَهْمِ وَالَّذِي جَمَعَهُ ذَلِكَ
 أَعْلَمُ أَنَّ هُنَاكَ عِلْمُهُ عِلْمُهُ لَا غَيْرُهُ لَا ذَاتَ تَطْلُقُ وَلَا مَبْعُ
 كَمَا أَدْعَاهُ مِنْ أَدْعَاةٍ وَلَا تَخْصِيصٍ وَفَعَّ عَلَيْهِ عِيَانُكَ
 حِكْمًا مِنْ حِكْمَاهُ وَلَا إِحْاطَةً بِتَحْقِيقِي مَكَانٍ كَمَا سَطَّرَهُ
 مِنْ سَطْرِهِ وَذَكَرْتُ عَيْتِي مَا لَمْ أَقْلَهُ أَتَى إِلَى التَّوَلَّى

بِهَذَا أَيْضًا بِوَقْفِهِ الْمَوْلَى سَجْدَانَهُ وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَذْهَبَ
 عَلَى الْمُسْتَجِيبِ دِينَهُ وَيَسْتَرْعِيهِ عَنْهُ وَإِنْ دَلَّ عَلَى عِلْمِهِ
 وَلَسْتُهُ عَنْهُ صُرُورَةً فَيَكْتَنِفُ لَهُ وَفَقْدَانُ آخِرٍ وَيَلْقَاهُ
 الْقَائِمَةُ وَإِنْهَايَةً وَلَيْسَ لَهُ إِضْمَانُ أَنْ يَرُدَّ أَمْرُهُ وَتَوْبِيخُهُ
 إِلَى دَائِمٍ مُقْبِرٍ فَيَكْسِرُ عُضْوَهُ فَإِنَّ فَعْلَ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ
 يَكْتَفِ أَمْرُهُ ذَلِكَ الدَّاعِي ثُمَّ بَانَ لَهُ تَقْصِيرُ ذَلِكَ الدَّاعِي
 فَلَمْ أَنْ يَحْتَرِ الدَّاعِي وَيَنْصِبَ عَيْرُهُ حَتَّى يَجْزُرَ كَسْرُ
 الْمُسْتَجِيبِ وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى نَفْسِهِ فِي الْعِبَادَةِ
 وَهُوَ بِهَنْزِلَةِ الْفَسَقِ بِالْصَّبِيِّ وَلَيْسَ لَهُ مَنَّةٌ تَوْبُهُ وَلَيْسَ
 لَهُ أَنْ يَجْعَلَ بِالْمُسْتَجِيبِ إِلَى عِبَادَةِ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ فَيَمِيتَ
 وَلَا يَذْهَبُ إِلَى تَوْجِيدِ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ وَهُوَ الْقَتْلُ
 بِالْحَقِيقَةِ وَلَيْسَ لَهُ مَنَّةٌ تَوْبُهُ إِلَّا أَنْ يَسْتَأْذِنَ مَوْلَاهُ أَوْ جَلَّ كَلَمُهُ
 وَالْإِمَامُ هُوَ الْأَمِيرُ وَسَائِرُ الْأَحْدَادِ هُمُ الْبَهْمُزِلَةُ لِلْمُسْتَجِيبِ
 وَالْمُسْتَجِيبِينَ بِهَنْزِلَةِ الرَّعِيَّةِ وَفَرَضَتْ طَاعَتُهُ عَلَيْهِمُ
 وَوَحْيَتْ حَيْثُ جَعَلَهُ الْمَوْلَى سَجْدَانَهُ قِبَلَهُ هُمْ وَأَمَامَهُ

باروا الخيري القضاة بين الام حيا ولا تموات * ونومس
 بروج القدس الواحد بروج الحق الذي يخرج من ابيه روح
 يحييه * ونعمونه واحدة واحدة ان الخطايا والذنوب
 وبخاثة واحدة قد تسيء عليه خالصة * وبقائه الانا
 والحياء الدائمة الى الابد الابدي * فخرج هذه الشريعة
 بين ما امر بها النبي وسبح الامان * ان يخرج من ايمان
 في هذه الوضوء التي امر بها هو الامان وحملها عيسا
 لقادة الامانة • بل قد امر السيد بلاكرونا الذي امر
 وسبح ما فيها الايمان الى ابد الابدي * ولينقوا في
 اناجيلهم وشهدوا بما يبدون للاخلاق من كلمة الوجدان
 وفي مذكروته عند مستر الى هذه الكنائس * مصونة
 في مواضعها من اناجيل الامانة اجوايتي * اعني في
 وملاكوته وشهدوا بالانجيل القديسين * قالوا ان علينا ان
 نذكر ذلك في مواضعه من الامانة اناجيل * انكادي بنا
 الى الكنائس معروفة التي هي اناجيل * ونقدم من حيث

الشاغل والتمذمر * وهي التي اجتمع عليها رؤسا القضاة
 واكابر المتدينين بما المعروفة من الجلالة والعلامة
 والامانة والامانة الذين اطلعوا بروج القدس بمكرمة
 المستطانية * اعني القضاة ونايتي عشرة جلا
 الذين يصرون انهم اطلعوا بها بروج القدس وهي التي
 لا تختلف جماعتكم عند اختلافكم في المناهج في هي مهنكم
 ولا يحد من ولا فرقان الامانة * وهي تسمى الله الابي
 مالك كل شيء مانع ما يدي وما لا يري * وبالرب الواحد
 يسوع المسيح انا الله الواحد بروج الخلاق كلها وليس
 بمصنوع بل نحن من الله نحن من جوهرية الذي بيده
 انبت العوالم وخلق كل شيء * من اجلنا مستر الناس
 ومن اجل خلاصنا من انفسنا ونجسك من بروج القدس
 وصار انا وجيلك والذين منكم اليقوا في الورد واصلب
 انا ميطوس بان فيلاطوس ودين وكام في اليوم الثالث
 وصعد الى السماء وجلس على يمين ابيه وهو مستعدي

الذي اعمى بركات جفده جفلات الايام طيل **اللهم** العزة على قدر صفة
 او ان الايام ادم من زخرف الايام طيل **اللهم** الذي جعلك له دلا
 على جفده شيبه بما اظهره من الايام **اللهم** ودعي لي نفسه **اللهم** بمسند
 لا اكبحوري كجذوذ الله الا انما الظلمات **اللهم** وعلا
 على زخرفه القامم ما اتي واذا عذبة الترتي امين **اللهم** ورجله
 على جذوده المصحين بالوجيد لا فامة العذل في الخلف
 كما اوجب في رصنه وعصه **اللهم** البادئين بلجهم في الايام

ما حرك وامر **اللهم** الصابرين في طاعته بمنه عليهم
 على انما لا ولا لا آؤ الصبر **اللهم** ونخص بشايتي بركات
 فله لا عام القامم الشكر **اللهم** ورجله على الايام الخلفين
 في الايام **اللهم** البرين من لا تذاد **اللهم** كجذوذ الايام لا مقصير
 ولا تكال **اللهم** وعلى انما عين لهم بالشكر ولا اجستان اللامين
 بالصبر والهدى ولا الايام **اللهم** انما بعد وان الواجب علي
 اعلل الزرع والذاتاة والشند يد **اللهم** الموسمين بشفاهل
 العذل والبرية والوجيد **اللهم** ان يسطروا البصائر لا

صبر **اللهم** والنعيم المزداد فله انما المولى والام
 على ناديه العزض وايا منه المقتض وبه تسعين في جميع
 الامور وتستقصر وسجود **اللهم** وهو بغير العبد والصبر
 تمت بحمد مولانا وحده **اللهم**

الرضا الموصوف بالبر والنجاة

اتمملت الي معذاتن محمد والي من معذ بالظاهر من
 المصيرين في العنة الا بعدة عشر من سنين فاقم الزمان
 فويلك وصحت الحمد لولي العزة ومولها **اللهم** توكلت علي
 مولانا الحاكم وحده **اللهم** وككركت فامركم عند
 الحمد لله مربي قواعدا التوحيد وموطاة **اللهم** وقامم الايام
 بالحق وموتيت **اللهم** وما جحلا الشراك ومذ لا اله الا الله ومحمد
 وموهم كذا الحامين **اللهم** ومقيم الحجة بعدل الخبير الكافي
 من فيض وليه القامم الحادي علي الناكين والقاسمطين

رسائل المحكمة

الجزء الثالث

الجزء الأول من السبعة أجزاء

كتبها بهاء الدين المقتنى الذي تُنسب إليه الرسائل التالية كلها وفي الأجزاء ٣-٦. عنوانها في المخطوطات مضطرب، إنما أصحَّ العناوين ما ورد في الرسالة رقم ٧٧، وهو «رسالة الغيار الدامغة لأهل الكذب والعصيان والإصرار». موضوعها متشعبٌ. إنما يشدُّ أكثر ما يشدُّ على وصايا الموحدين السبع، ونقض الدعائم الإسلامية السبع؛ ولكنّه يقتصر على سدق اللسان وعلى مفهوم الصلاة عند الموحدين. في الرسالة استشهادات كثيرة برسائل سبقت. وفيها كلام وجوب الكذب مع «السواد» من الناس حفظاً لسريّة الحكمة وكرامة أهلها.

تولّكتُ على مولانا الحاكم المنان، وشكرتُ عبده قائم الزمان. الحمد لمولانا مظهر الكليات، وغاية الفكر العقلية، مبدع الأسماء والصفات، الحاكم بذاته على الذوات جلّ ذكره وتنزّه عن مشاكله المحدثات، وسلامه وصلواته ونوامي بركاته وأشرف تحيّاته على عبده الذي اصطفاه لهداية الأمّة، وجعله منقذهم من العماء والظلمة، قائم الزمان، الناطق بالبيان، والهدى إلى حقيقة الإيمان المنتقم من المشركين والطغيان.

إعلموا معاشر الموحدين لمولانا الحاكم المقرّين بإمامة عبده القائم أنّه لما غابت صورة المعبود، وامتنع قائم الزمان عن الوجود، أيسّت كثير من النفوس عند عدم العيان المحسوس، ووقفت قوّات كثير من عالم التّوحيد

لعدم المفيد، واختلفوا في المذهب الرشيد لقلّة خبرتهم بالمرسوم الجديد، وتشاجروا في الحلال والحرام، وقالوا هل فرض البازي سبحانه على لسان الإمام فرائضاً يتمسك بها الأنام؟! فقال بعضهم: لا بدّ للأمة من فرائض تضبطها الأهواء المحلولة من خوف أن تربطها. ولو لم يكن ذلك لزال الحفاظ، وقلّ على المفسدين الاعتراض، وعمل بعضهم برأيه ولم يتفق مع سواه^(١).

فلما رأيتُ ذلك وما قد وقع في نفوسهم من الإياس، وعمل بعضهم بالرأي والقياس، خشيتُ أن يُخرجهم طلبُ التخفيفِ إلى الراحة، وتجذبهم الحيوانية إلى الإباحة، وارتاب ما فيه الشناعة والقباحة، وخفتُ أن يُخرجهم الإياس من الفرائض إلى مذهب الدهرية، ويُتصور، عند عدم المرسومات، أن ليس على جاني إثْم ولا خطيئة، فتسقط، عند عدم التحريم، المروءة؛ ويزول من بينهم حفظُ الأخوة؛ ويدخلُ الخلُّ في المذهب، ويعودُ صلاحه مستصعب.

فتأملتُ كتاباً وصلّني من حضرة مولاي قائم الزمان، عليه من معبوده أفضلُ التّحية والسلام، يرسم لي فيه وضعَ الكتبِ وقراءتها على أهل البصائر، ويستجيز لي الكلامَ في سائر الاقاليم والجزائر، ويأمرني بإيضاح ما اشتكل على الطائفة من العلوم، وإشهار ما علمته من الفرائض والرسوم.

فوضعتُ هذا الكتاب، وهو الجزء الأول من السبعة أجزاء^(٢). تشتمل على فرائض فرضها مولانا سبحانه، ذو المنّة والإحسان، ونطق بها عبده

(١) من المعلوم أنّه ليس للموحّدين فرائض دينية يمارسونها؛ لذلك يطرح كاتبُ الرسالة مشكلةً أخلاقيةً كبيرة، ألا وهي: كيف تُضبط الأهواء إن لم يكن لها رادع من دين؟! والظاهر أن كلّ واحدٍ عمل برأى نفسه. ولا شيء مفروض في الحكمة.

(٢) موضوع الرسالة إنذا قد يكون في «إشهار الفرائض والرسوم»، أي، «فرائض فرضها» الحاكم وحمة. وما بهاء الدين إلّا ناقلٌ لها.

قائم الزمان، يتلو بعضها بعضاً، ويوضح في العقل أنّها فرضاً. في كل كتاب ذكر ما يجب أن يفرض، وإسقاط ما يجب أن يُسقط، ونقض ما يجب أن يُنقض. ما إن تمسكتم به آمنتم من الغلط، وسلمتم من السخط. وإذا عملتم بما فرضه عليكم باريكم، تزايدت النعم لديكم من هاديكم، وأنس إليكم مناديكم، وعرفتكم معادكم ومبديكم. وإن خالفتم المفترض، دخل عليكم الغرض، وامتنع عنكم الغيث، وانقبض ذكر ما افترضه من صدق اللسان.

إعلموا معاشر الإخوان، العابدين لمولانا ذو المن والإحسان، المُقرّين بإمامة قائم الزمان، أنّ مولانا ذو النعم والامتنان، فرض عليكم صدق اللسان، وحفظ الإخوان. ويتلو هذه الخصلتان خمسة أخرى. فذلك سبع خصال توحيدية. هي عوض السبع دعائم التكليفية الناموسية. فمن عرف منكم ما فُرض عليه من هذه السبع خصال بأن له الحق من المحال.

فأولها وأعظمها السّدق. وهو يفرق بين الباطل والحق. فلا تكونوا من الكاذبين. ولا تكونوا ممن قالوا سمعنا وأطعنا، وشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم^(٣) - والعجل فهو ضدّ قايم الزمان يتشبه به بغير حقيقة ولا برهان. - وقد علمتم بأنّ الإسلام والإيمان وسائر الشرايع والأديان لا تكمل إلا بالشروط والأعمال الصالحة. فكيف توحيد مولانا سبحانه الذي هو النهاية. فمن كان يزعم أنّه مؤمن موحد ولا يعمل بفرائض مولانا سبحانه، ولا يكون صادقاً في أقواله، محسناً في أفعاله، كان مدّعي التوحيد مستعمل الشُّرك والتلحيد.

ولو علمتم ما ألزمتكم به من صدق اللسان وحفظ الإخوان لبان لكم الحق من الباطل، والجحود من الإيمان. والإيمان في لغة العرب هو التسديق. فمن لم يكن صادقاً بلسانه فهو بالقلب أكثر نفاقاً وأكذب يقيناً.

(٣) إشارة إلى سورة البقرة ٩٣/٢ مع تصرف.

واعلموا أنّ السّدق هو التّوحيد بكماله. والكذب هو الشّرك والضّلالة. فمَن كذب على أخيه فقد كذب على داعيه، ومَن كذب على داعيه فقد كذب على إمامه، ومَن كذب على إمامه فقد كذب على مولانا سبحانه فيستوجب سخطه. كما أنّه، إذا سّدق لأخيه كان أجدر أن يسّدق لداعيه، وكذلك أجدر أن يسّدق لإمامه ولمولانا سبحانه فيستوجب إحسانه ونعمه وامتنانه.

واعلموا أنّ كلّ مَن تعودّ لسائه الكذب فقد أشرك بمولانا سبحانه، لأنّ الكذب دليل على شخص إبليس اللّعين. وهو ثلاثة أحرف. وفي حساب الجمل ستّة وعشرون حرفاً: ك: عشرون، ذ: أربعة، ب: اثنتان: إبليس وزوجته، وأربعة وعشرون أولادهما، يقوموا مقامهما. فمَن والاهما فقد تبرّأ من المولى وحدود التّوحيد.

والسّدق ثلاثة أحرف: س: ستون، د: أربعة، ق: مائة. فذلك مائة وأربعة وستون حرفاً. منها تسعة وتسعون على حدّ الإمامة، كما قال: إنّ لله تسعةً وتسعون اسماً، مَن أحصاها دخل الجنّة. كذلك لقائم الزّمان تسعة وتسعون حدّاً بين يديه، مَن عرفها دخل حقيقيّة دعوته المستجنّة بأهلها، أعني محيط بهم. وستون حرفاً دليل على ستّين حدّاً للجناح الأيمن والجناح الأيسر. وأربع أحرف دليل على أربعة حدود علويّة، وهم: ذو معة وذو مصة والكلمة والبَاب. وهم: قائم الزّمان، والمجتبى، والرّضى، والمصطفى. فذلك مائة وثلاثة وستون حدّاً. والواحد الذي يبقّى دليلٌ على توحيد مولانا ومعرفة ناسوت المُقام. فمَن عرف هذه الحدود المشيره إلى معرفة المعبود واستعمال السّدق، رقّاً الدرجات وفاز بالخيرات، وتبرّأ من الضّد والكذب.

ومَن كذب على أخيه، أو حرّف عليه قوله، فقد كذب على مولانا سبحانه، وانسلخ من إيمانه، واستحوذ عليه شيطانه. ومَن استعمل ضدّ ما أمره به إمامه فقد عظمت خطاياها وآثامها.

فالحذر الحذر معاشرَ الموحدِّين أن تخالف قلوبكم ما تنطق به
السننكم لإخوانكم. فإنَّ ذلك يسخط قائم زمانكم وهو نفس الشرك. «وإنَّ
الشَّرَّكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»^(٤).

فقد ثبت أنَّ السدق دليلٌ على معرفة الحدود، وأتته المنهج المقصود،
والسبيل الأقوم المحمود. وأنَّ الكذب دليل على إبليس، وأتته القول المستقطع
المفسود، وهو يؤدِّي إلى الجحود والإشراك بالمعبود. وليس يلزمكم أيُّها
الإخوان أن تسدقوا لسائر الأُمَّة، أهل الجهل والغمَّة، والعمى والظلمة، وأنَّ لا
يلزمكم فيه شيئاً لهم.

والسدق فهو من نفس الأدب. وليس لغيركم عليكم فرضٌ. ولا ذلك
إلا لبعضكم بعضٌ. فمن كذب على أخيه، أو كذب له، فقد نافقه وشكَّ فيه، ولا
يجوز الكذب بين الموحدِّين لأنَّه شكٌّ في الدِّين، وضعفٌ في اليقين. فمن كان
منكم على هذه فلينتقل عنها. «فَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ»^(٥).

ولا يخلو كذب المرء لأخيه من إحدى ثلاث خصال مذمومة:

إمّا أن يكون أخاه قد كذب له فأراد أن يكافئه. فالإثم لازم الاثنين
والسخط واقع بهما. والذي كذب في الأوّل لم يكذب له إلا وقد شكَّ فيه،
فكان الواجب أن يسدقه، فإنَّ وجده كاتماً لسرّه حافظاً لأمره، وإلا فما أقدره
على السكوت حيث لا يسدقه ولا يكذبه، لأنَّ السكوت وقطع الكلام أصوبُ
من الكذب والآثام. والذي كذب على صاحبه مكافأة على كذبه فهو مُخطئ غير
مصيب. وقد كان الواجب منه، إنَّ سدقه، وإلا فأمسك عنه، لأنَّه متى
استعملت الطائفة المكافأة على الكذب لم يبق فيهم صادق إلا مشرك منافق.

(٤) سورة لقمان ٣١/١٣.

(٥) سورة النور ٢٤/٥٤؛ العنكبوت ٢٩/١٨؛ المائدة ٥/٩٩؛ النحل ١٦/٣٥...

وإذا كان الأمر بهذه الصورة فما فيهم رشيد، ولا ذو رأي سديد، ولا عارف بحقيقة التوحيد، وإنما الناس يتشبهون بالناس في السدق والآراء المسترجحة، لا في الكذب والأفعال المستقبحة.

ومن كان كذبه لإخوانه لا مكافأة لهم ولا شك فيهم إلا اتباع العادة واستجازه الكذب فهو أشقى الثلاثة، وأعظمهم جرماً وأكثرهم إثماً، إذ لا احتجاجاً له يرائيه، ولا غدراً له يليه. فما أقبح بالمرء كذبه. إذا كُشف عنه كان سبباً لو كسبه. وليس لأحد من الموحدين فسح في الكذب لإخوانه إلا أن يكون هناك ضدٌّ حاضر، لا يمكن كشف الأمور إليه، ولا شرعها بين يديه. وإن أمكن الصمت فهو أحسن، وإن لم يمكن فلا بأس أن يُحرّف القول بحضرته، أعني الضد. ويجب عليه أن يرجع يسدق الحديث لإخوانه بعد خلّوهم من الشيطان.

ولا بأس بالسدق فيما لا يضرّ عند الأضداد، لأنّه يرفع. وهو ضرب من ضروب الجمال. لأنّ من رخص لنفسه في الكذب خيف عليه أن يتعوّده لسأته، وينطق به عند إخوانه. واستعماله على كلّ حال مذمّة ومعد. وإنما رخصنا بذلك عند الأضداد، إذا كان يأول أمدّه إلى مضرة، مثل أن يكون أحدكم قد قتل رجلاً من عالم السّواد، فإذا سأل عن ذلك جاز أن لا يسدّقهم، وألاً يحقّقوا عليه القتل بإقراره، وأقاموا عليه الشهادة بقلّة إنكاره. وما أشبه ذلك، مثل أن يكون قد أخذ لأحدكم شيء أو غصبه على ربح أو مال؛ أو كان للضدّ عنده دين بغير وثيقة أو وديعة بغير بليّة، وكان مُعسراً عن وفائه غير واصل إلى رضائه، يجوز له الإنكار وقلّة السدق عند الإعسار، خيفة من ثبوت البينة عليه، ومطالبته بما لم تصل يده إليه. وإن كان ذو يسار، لا فاقه به ولا إعسار، فلا بأس أن يسدّقه، لأنّه لا ضرر ولا إضرار، وليس للحطام من المقدار، أن يفسد المعاملة في الدار. وإنما سهّلنا هذه الصورة إذا دعت إليها الضرورة.

وأما جماعة الإخوان الموحدين التابعين المخلصين السادقين المتحافظين الناجيين من شبكة إبليس اللعين، فما بينهم خلف في دنيا ولا في دين. وإذا كان لإحدهم عند أخاه مال، وَعَلِمَ إِعْسَارَهُ صَبَرَ عَلَيْهِ، وَإِنْ سَأَلُوهُ الزيادة دفع إليه. فهذا مع اعساره لا ينكره، وذلك لعلمه بسدقه أبداً يعذره.

فقد شرحتُ لكم ما أوجبَه مولانا جلّ ذكره من سدق اللسان وما رخص لكم فيه مع الإخوان وهي الفريضة الأولى عوضاً من الصلاة.

وسأبين لكم نقض الصلاة، ظاهراً وباطناً من حكم مولاي قائم الزمان عليه أفضل التحية والسلام، والرخصة في تركها، والصلاة الحقيقية الواجبة عليكم دون غيرها، التي نطقت المجالسُ الباطنية بالإشارة إليها حيث تقول:

معاشر المؤمنين، إن العالم بين ظاهر وباطن مختلفين، وحكمة أخرى يشار إليها، وتُستر عن الجاهلين، وهو القسم الثالث الذي أشار إليه النطقاء والأسس وإثمتهم واللواحق بهم، وهو توحيد مولانا سبحانه.

ذكرُ الصلاة ونقضها ظاهراً وباطناً. وقد روى كثير من المسلمين عن الناطق أنه قال: مَنْ تركَ صلاتَه ثلثَ متعمداً فقد كفر. وقال: مَنْ تركَ صلاته ثلثَ فليمتْ على أي دين شاء. وقد رأينا كثيراً من المسلمين يتركون الصلاة، أي صلوات بكثرة، ومنهم مَنْ لم يصلِّي قط، ولم يقَعْ عليه إسمُ الكفر. فعلمنا أنه بخلاف ما جاء في الخبر. وقد اجتمع كافة المسلمين أن المصلِّي بالناس صلاته صلاة الجماعة، وفعله فعلهم، وقراءته قراءتهم، حتّى لو سها في الفرض الذي لا تجوز الصلاة إلّا به، كان عليه الإعادة مثل ما عليه. فإذا كان رجلاً مصلِّي بالناس يقوم مقام أمته، أممت به وتكون صلاته مقام صلواتهم. فكيف مولانا سبحانه الذي لا يدخل في عدد التشبيه، وقد

أقام قبل غيبته سنيًا بكثرة لم يصلي بالناس، ولا صلى على جنازة، ولا في عيد، ولا نحر النحر الذي هو مقرون بالصلاة، بقوله: «فصل لربك وأنحر»^(٦). فلما رأينا مولانا سبحانه قد بطل ذلك بعد مظاهرته للعالم به، علمنا أنه قد نقض الحالتين جميعاً: الصلاة والنحر، وأن لعبيده رخصة في تركهما إذ كان إليه المنتها ومنه الابتداء.

فهذا ظاهر الصلاة ونقض المؤلف منها. وأما الباطن فقد سمعتم معاشر الموحدين بأن الصلاة هي العهد المؤلف. وسمي صلاة لأنه صلة بين المستجيبين والإمام، يعنوا علي ابن أبي طالب. واستدلوا بقوله: «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر»^(٧)؛ لأن من اتصل بعهد علي ابن أبي طالب نهاه عن محبته أبي بكر وعمر، وذكروا أنهم الفحشاء والمنكر. وقد رأينا كثيراً من الناس قد اتصلوا بعهد علي ابن أبي طالب، وهم على محبة أبي بكر وعمر، ويمضون إلى معاوية، ويتركون علي ابن أبي طالب.

وذكرت المجالس الباطنية أيضاً أن العهد المؤلف في عصرنا هذا، قبل غيبة مولانا جلّ ذكره، كان الصلة بين المستجيبين وبينه، وأن الفحشاء والمنكر هما أبي بكر وعمر. وقد اتصل بعهد مولانا جلّ ذكره المؤلف في مظاهرته لعباده بذلك خلق كثير لا يحصيهم إلا هو سبحانه، ولم يرجعوا عن محبة أبي بكر وعمر، ولا عن خلاف مولانا سبحانه، وعصيان أوامره. فصحّ عندنا أن هذا بخلاف ما سمعناه في الباطن.

ورأينا مولانا جلّ ذكره قد نقض الباطن لأنه أباح لسائر النواصب إظهار محبة أبي بكر وعمر. وقرئ بذلك سجلاً على رؤوس الأشهاد يقال فيه: «من أراد أن يتختم في اليمين أو في الشمال فلا اعتراض عليه»، فلمنا

(٦) سورة الكوثر ١٠٨/٢.

(٧) سورة العنكبوت ٢٩/٤٥.

أَنَّهُ جَلَّ ذَكَرُهُ أَسْقَطَ الْبَاطِنَ مِثْلَ مَا أَسْقَطَ الظَّاهِرَ، إِذْ جَعَلَهُمَا فِي الْحَدِّ سَوَاءً. فَنَظَرْنَا مَا يَنْجِينَا مِنَ الْحَالَتَيْنِ جَمِيعاً، وَيَخْلُصُنَا مِنَ الشَّرِيعَتَيْنِ سَرِيعاً، وَيَدْخُلُنَا جَنَّةَ النِّعِيمِ الَّتِي هِيَ دَعْوَةُ الْقَائِمِ قَائِمَ الزَّمَانِ.

فَعَلَمْنَا أَنَّ الصَّلَاةَ الْوَاجِبَةَ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ فِي خَمْسَةِ أَوْقَاتٍ هِيَ صَلَاةُ قُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ بِتَوْحِيدِ مَوْلَانَا جَلَّ ذَكَرُهُ، عَلَى يَدِ خَمْسَةِ حُدُودٍ: الْأَسَاقِ، وَالتَّالِي، وَالْجَدَّ، وَالْفَتْحَ، وَالْخِيَالَ، وَهُمْ مَعْرِفُونَ مَوْجُودُونَ فِي عَصْرِنَا هَذَا. فَمَنْ تَرَكَهَا ثَلَاثَ أَوْ ثَلَاثِينَ يَدٍ، وَهُمْ ذُو مَعَةٍ وَذُو مَصَّةٍ وَالْجَنَاحَ، فَقَدْ كَفَرَ وَارْتَدَّ وَجَحَدَ، لِأَنَّ الْجُودَ لِلنِّعَمِ هُوَ الْكَفَرُ بِهَا.

وَالْفَحْشَاءُ وَالْمُنْكَرُ هُمَا الشَّرِيعَتَيْنِ: الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ. فَمَنْ وَصَلَ قَلْبَهُ بِتَوْحِيدِ مَوْلَانَا جَلَّ ذَكَرُهُ وَلَا مَعْبُودَ سِوَاهُ، نَهَاهُ تَوْحِيدُهُ جَلَّ ذَكَرُهُ عَنِ التَّفَاتِهِ إِلَى الشَّرِيعَتَيْنِ وَنَظَرِهِ إِلَى وَرَائِهِ وَانْتِظَارِهِ لِلْعَدَمِ الْمَفْقُودِ الَّذِي لَمْ يَصِحَّ لَهُ وَجُودٌ. فَهَذِهِ الصَّلَاةُ الْحَقِيقِيَّةُ الَّتِي قُضِيَتْ عَلَيْكُمْ حَقًّا. وَهَذَا سَدَقَ اللِّسَانُ الَّذِي أَلْزَمْتُمْ بِهِ سَدَقًا.



وَأَنَا أَبَيِّنُ لَكُمْ السَّتَّ فَرَاثُضَ الَّتِي تَتْلُوا سَدَقَ اللِّسَانِ، وَنَقُضَ السَّتَّ دَعَائِمَ الَّتِي تَتْلُوا الصَّلَاةَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَإِقَامَةَ حَقِيقَتَيْهَا، بِتَوْفِيقِ مَوْلَانَا جَلَّ ذَكَرُهُ.

فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ مَعَاشَرَ الْإِخْوَانِ الْمُوَحِّدِينَ، بَعْدَ سَمَاعِ هَذِهِ الْفَرَاثُضِ التَّوْحِيدِيَّةِ وَنَقْضِ الدَّعَائِمِ التَّكْلِيفِيَّةِ النَّامُوسِيَّةِ، أَنْ يَتَكَلَّمَ أَحَدُكُمْ بِالرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ، وَلَا يُوَقِّعُ فِي نَفْسِهِ مِنْ ظُهُورِ مَوْلَانَا جَلَّ ذَكَرُهُ الْإِيَّاسَ، وَلَا تَظُنُّونَ

أَنَّ الشرائع تمتدّ على ما مضت به الادوار والاكوار، ولا تقيم الاسابيع والاعصار بقدرة مولانا الواحد القهار.

فقد قال مولانا المعزّ: أنا سابع الاسبوعين، والواقف على البيعتين، ولا أسبوع بعدي. فأعنى بالاسبوعين الشريعتين: الظاهر والباطن، لأنّ شريعة المهدي سعيد بن أحمد هي سابع الشرائع الظاهرة، وشريعة أساسه قدّاح التأويلي هي سابع الشرائع الباطنة. وقوله الواقف على البيعتين أعنى أنّه حضر ووقف على بيعة الناطق والاساس. وقوله: ولا أسبوع بعدي ولا شريعة تتمّ بعدي، أعنى بذلك إظهار محض التوحيد، وهو توحيد مولانا الحاكم جلّ ذكره.

أعنى: لا تتمّ بعدي الشرائع أسبوع، ولا مظاهرة الإمام أسبوع، لأنّ بعد تمام النطقاء سبعة والاسس سبعة، انتهت أدوار الشرائع الظاهرة والباطنة، وتجلّى مولانا جلّ ذكره بالملك والبشريّة، وتظاهر للعالم بالمقامات المرئيّة، والمشافهة بالوعيّة، من بيت الإمامه، فجاء بصدّ الشرائع وما يخالف قوانينها لأنّ قوانينها على حالة واحدة، لا تتغير. دلّ على ذلك أنّها تحت أحكام الفلك أسابيع مثلثة. وكلّ شيء إذا بلغ سبعة انتهى ووجب تغييره وحدوث غيره.

فمن ذلك الأيام سبعة، فإذا انتهى العدد إلى آخرها، عاد تغير ورجع إلى الأوّل، دليل على أنّ الاسابيع، إذا انتهت، حدث غيرها. وكذلك السموات سبع والأرضين سبع، والاقاليم سبع، وطول الانسان بشبره سبعة أشبار، وكذلك عرضة سبعة أشبار، وشبره بأنامله سبعة، وفي وجهه سبع خروق. وكذلك النطقاء سبعة، والاسس سبعة. وبين كلّ ناطق وناطق سبع أئمة. ومثل هذا كثير ما لا يحتمله الكتاب.

وكلُّ سبعة في الآفاق حروفها ثمانية وعشرين حرفاً: الطوالع:
 زحل مشترى مريخ شمس زهرة عطارد قمر^(٨). فذلك ثمانية وعشرين
 حرفاً. الأنطقاء: آدم نوح أبرهيم موسى عيسى محمد سعيد. فذلك ثمانية
 وعشرين حرفاً. الأسس: شيت سام إسماعيل يوشع شمعون علي قدّاح.
 فذلك ثمانية وعشرين حرفاً.

وتظاهر مولانا سبحانه قبل غييته بلباس السواد سبع سنين،
 وتربيته الشعر سبع سنين، وسجّن النساء سبع سنين، وركوب الأتان سبع
 سنين. كلّ ذلك إشارة إلى ما نحن فيه. لم يغيّر لنا سبحانه ما ألفناه، لعلّ
 بقلة إدراكنا لما تجري به العادة، رحمةً منه علينا وإحساناً إلينا:

ولباسُ السواد كان إشارة إلى الغيبة، وأنّ المحنة والظلمة تُقيم بعد
 غييته سبع سنين على أولياه وعباده.

وتطويلُ الشعر كان إشارة إلى استتار الإمام، لأنّ الرأس عندهم
 بمنزلة الإمام. فلمّا أشار إلى ذلك علمنا أنّ الإمام يستتر سبع سنين.

وسجّنُ النساء كان إشارة إلى إسكات الحدود. ومن ذلك الأربع
 الحرم تُعرف بحرم الإمام. وكلُّ شيء أشار لنا به وجدناه ولقيناه.

وركوبُ الأتان فقد جمع به مطلوبات العالم؛ لو علموا مطلوبهم كان
 اليهود والنصارى ينتظرون مطلوبهم في الصورة التي غاب فيها مولانا
 سبحانه، فظهر للجميع ولم يعرفوه. وفي ركوب الأتان من الإشارات ما
 يقنع سائر الفرق.

(٨) مريخ، يحسب حرف الرّاء مرّتين.

والفرج بمشيئته قريب. وقد مضى من المحنة أكثرها وبقي أيسرها.
فأبشروا معاشر الإخوان الموحدين، وبشّروا إخوانكم، واحذروا من القنط
والضجر، واصبروا فإنّ العاقبة لمن صبر، والنعم المترادفة لمن شكر. أعاننا
المولى وإياكم على تأدية الفرض وإقامة المفترض. وبه نستعين في جميع
الأمور ونستنصر ونستجير. وهو نعم المعين والنصير.

تمّت بحمد مولانا وحده

الرسالة الموسومة

بالتنبيه والتائب والتوبيخ والتوقيف

كتب هذه الرسالة بهاء الدين، سنة ٤٢١ هـ إلى معد بن محمد، وطاهر بن تميم. وهما داعيان تززع إيمانهما بعد غيبة الحاكم. ويقصد بهاء الدين تمكينهما في الإيمان بالتوحيد. في الرسالة توبيخ وتائب لمن تعامى عن التوحيد وآياته الساطعة. فيها كلام على حرية الإنسان وتخيير الله له «ليقوم العدل في الخليقة ويصح الثواب والعقاب». كثيراً ما تستشهد الرسالة بآيات القرآن لتدعم حجة التوحيد.

أوصلت إلى معد ابن محمد وإلى من معه بالقاهرة من المقصرين، في السنة الرابعة عشر من سنين قائم الزمان. قوبلت وصحت. الحمد لولي النعمة ومولياها. توكلت على مولانا الحاكم وحده. وشكرت قائم الحق عبده.

أحمد لله مرسى قواعد التوحيد وموطده، وقامع الباطل بالحق ومؤيده، وماحق الشرك ومذل أهله ومبده. وموهن كيد الخائبين ومقيم الحجة بعدل التخيير الجاري من فيض وليه القائم الهادي على الناكثين والقاسطين، الدامغ بولي حقه جولات الأباطيل، المنزه عما تخترصه أولي الإلحاد من زخرف الأقاويل، الذي جعل وليه دالاً على وحدانيته بما أظهره

في الآيات. ودعى إلى نفسه بنفسه لا كدعوى الحدود إليه بالألفاظ المنطقيات.

وسلامه على رسوله القائم بالحق وإذاعة السر عن أمره. ورحمته على حدوده المفصحين بالتوحيد لإقامة العدل في الخليقة، كما أوجب في زمنه وعصره، الباذلين لهم في بلاغ ما حكّم وأمر، الصابرين في طاعته بمنه عليهم على البأساء والأذا والضّرر، وخص بنواهي بركات قدسه الإمام القائم المنتظر. ورحمته على الأولياء المحقّين في الاقطار، البريّين من الارتداد والجحد واللدد والتقصير والإنكار. وعلى التابعين لهم بالتسليم والإحسان، الذابّين بالصبر والهدى والإيقان.

أما بعد فإنّ الواجب على أهل الورع والديانة والتسديد، الموسومين بسمّة أهل العدل والتنزيه والتوحيد، أن ينظروا بالبصائر لا بالابصار، ويعتبروا بمقدّمات الحكمة ما قد غبر من الدهور والاعصار، وأن يتأمّلوا خلل ما فرطوا فيه فيسدّوه، ويستدركوا بالحقّ ما أترفوا فيه وأغفلوه، ولا يكونوا بمعزل عمّا وجب على كل مربوب، ولا يظنّون أنّ غيرهم هو المطلوب. كلاً. بل فقد، والله، أظلتكم يا هؤلاء أشرائط القيامة، وأنتم غفول لا تنزجرون عمّا أنتم عليه من اللدد بمحكم الآيات، ولا تتعظّون وتقصّرون عن قذف أولياء التوحيد بما تقدّم لكم من الاشارات.

إذا وعظتم بمواعظ الحكمة سنّح القول على أذانكم سنّحاً، وإذا دعاكم داعياً إلى التوحيد مضاً الكلام على عقولكم صفحاً. أنسيتم شروط الدين وأعلامه أم تعاميتم عن يوم القيامة وأحكامه. ما لكم لا ترجون لله وقاراً، وقد خلقكم أطواراً تتبارزون في مضمّار البهت والجهل، وتتوازرون على مذمة أهل الدين والفضل. قد مسّختم وأنتم لا تعلمون، وتبيّن من عقائدكم ما كنتم له تكتُمون. وأنتم عنه في غمرة ساهون.

ألم تؤمروا في سجلٍّ مكرمٍ، عن الأمر العالي الشريف المعظم، بحمل السلاح في جميع الأماكن حِزَمًا للكبير والصغير والقريب والبعيد في الحرم الأمين، إشارة إلى إظهار التوحيد، والتصريح بالتسبيح والتمجيد، كما تقدمت الإشارة لكم في زمن التقية والستر، مثبت في مسطور الحكمة والذكر: مَنْ أَلَقَا سلاحه فهو آمن. وَمَنْ غَلَقَ بَابَه فهو آمن. وَمَنْ دَخَلَ دار أبي سفيان فهو آمن. أي أصمتوا عن الكلام واغمدوا سيف اللسان إلى أن يؤذن لكم بالايضاح والتبيان. وأنتم عن هذه الحكمة غُفُولٌ سكارى، وعن حقائق الأوامر مذبذبون حيارى. فقد بَانَ الحقُّ لذي عَيْنَيْنِ، وانكشف عن قلوب أهله كُلُّ رَيْنٍ. وأنتم عن التذكرة معرضون وبمرضٍ أفهامكم مختبئون.

يحقِّق ما ذكرته ما تُثْلِي عليكم في السجلِّ الكريم عن الأمر العالي العظيم إلى كافتكم: وهو فأنتم من جهل حقوق الإياله في سكرة، ومن عمه البصائر عن واجبات الأمانة في غمرة، وعن أداء فروض النعم بمعزل، ومن ضلال التمييز في تيهٍ مُشْكَلٍ، ومن مرض القرائح في داءٍ مُعْضَلٍ. يعزُّ دواكم، وَيُبْعِدُ لنقص الطبائع شفاكم.

أتراكم تظنون أن هذا التوبيخ وصعوبة المقال، للكتاب والعمال، في جمع الأموال، أم للجند والأتراك في المزاحفة والقتال. كذبوا العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً. فَسْتَبْصِرْ وَتُبْصِرِ بَأْيَكُمُ المفتون، بأنَّ وليَّ الحقِّ هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين. وأيضاً إشارة لأهل الديانة العارفين وحجة على يهود هذه الأمة المختلفين.

قد سمعت الكافة ما تُثْلِي في الخطبة المشهورة بجامع القرافة، وهو: عبادُ الله إنَّ الصوم قد تقرُّضَ وذَهَبَ، والفطر قد تعرُّضَ واقترب. فهل يخفى هذا إلا على ضالٍّ خائبٍ، أو مدَّعي للدين في قوله كاذبٌ!

ثُمَّ أَتَى بِمَا يُخْرِسُ أَلْسِنَةَ الْمُبَاهِثِينَ، وَيَجِدُ أَكْلَهُ الْمَعَانِدِينَ، وَيُكَبِّتُ الصَّادِّينَ عَنِ الْحَقِّ وَسَبِيلَهُ الْمَارِقِينَ، خُرُوجُ السَّجَلِ الْمَكْرَمِ الرَّفِيعِ، عَنِ الْأَمْرِ السَّامِيِّ الْمُنِيعِ. وَهُوَ أَمِيطُوا عَنْ نَفُوسِكُمْ مَوَارِدَ الْخَوْفِ وَالنَّفَارِ، وَأَزِيحُوا عَنْهَا فَسَادَ التَّخِيلِ وَالِاسْتِشْعَارِ. وَتَحَقَّقُوا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَوْقَفَكُمْ مَوْقِفَ التَّخْيِيرِ، وَكَفَّاكُمْ فِي اعْتِقَادَاتِكُمْ مَوْوَنَةَ التَّخْفِيِّ وَالتَّسْتِيرِ، لِيُخْلَصَ كُلُّ عَامِلٍ مِنْكُمْ فِي الْعَمَلِ، وَلَا يَرْكَنَنَّ فِي الْعُدُولِ عَمَّا يَرَاهُ وَيَدِينُ بِهِ إِلَى أَسْبَابِ الْمَوَانِعِ وَالْعِلَلِ.

فَقَدْ ضَيَّقَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عِذْرَهُ فِي ذَلِكَ بِتَبْلِيغِهِ إِيَّاهُ كُنْهَ مَرَادِهِ ، وَحُضَّهُ عَلَى إظهارِ اعْتِقَادِهِ، آمِنًا مِنْ يَدٍ تَنْبَسِطُ بِإِسَاءَةٍ إِلَيْهِ، سَاكِنًا إِلَى ذِمَّةٍ لَا يُعْذَرُ فِيهَا عَلَيْهِ.

فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبُ لِيَشْتَهَرَ عِلْمُهُ فِي الْخَاصِّ وَالْعَامِّ، وَيَكُونَ ذَلِكَ عِبْرَةً فِي الْأَنَامِ. وَتَبْقَى حِكْمَتُهُ عَلَى غَابِرِ الْأَيَّامِ. فَتَأَمَّلُوا هَذَا الْقَوْلَ يَا هَؤُلَاءِ، وَتَدَبَّرُوا مَعَانِيَهُ. أَلَمْ يَقُلْ لَكُمْ تَحَقَّقُوا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَوْقَفَكُمْ مَوْقِفَ التَّخْيِيرِ. فَهَلْ فِي الْعَدْلِ سِوَى التَّخْيِيرِ؟ وَقَوْلُهُ: وَحُضَّهُ عَلَى إظهارِ اعْتِقَادِهِ. أَتَرَاهُ يَحُضُّهُ عَلَى إظهارِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، أَمْ يَحُضُّهُ عَلَى إظهارِ الْبَاطِلِ وَالْجَهْلِ.

اَللّٰهُمَّ! اِلْعَنُ مَنْ جَهِلَ هَذَا الْأَمْرَ، فَعَمِيَتْ بِصِيرَتُهُ، وَلَجَأَ إِلَى اخْتِيَارِهِ دُونَ اخْتِيَارِكَ لَهُ، فَظَهَرَتْ سَرِيرَتُهُ. وَيَقُولُ فِي هَذَا الْفَصْلِ: لِيَشْتَهَرَ عِلْمُهُ فِي الْخَاصِّ وَالْعَامِّ، وَتَبْقَى حِكْمَتُهُ عَلَى غَابِرِ الْأَيَّامِ. أَتَرَاهُ يَأْمُرُ بِإِشْهَارِ إِرَادَتِهِ، أَمْ هَذَا الْقَوْلُ كُلُّهُ عِبَثٌ؟ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ. وَقَوْلُهُ: وَتَبْقَى حِكْمَتُهُ عَلَى غَابِرِ الْأَيَّامِ. أَتَرَى الْحِكْمَةَ الْبَاقِيَةَ فِيمَا أَظْهَرَهُ مِنْ تَوْحِيدِهِ كَمَا حُكِمَ وَأُمِرَ، أَمْ فِي إظهارِ مَحَبَّةِ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرِ، لَعْنُ اللَّهِ الْمُخْتَلِفِينَ، وَخِزْيُ الْجَاهِلِينَ.

وَيَقُولُ فِي هَذَا الْفَصْلِ: لِيُخْلَصَ كُلُّ عَامِلٍ مِنْكُمْ فِي الْعَمَلِ وَلَا يَرْكَنَنَّ فِي الْعُدُولِ عَمَّا يَرَاهُ وَيَدِينُ بِهِ إِلَى أَسْبَابِ الْمَوَانِعِ وَالْعِلَلِ. أَتَرَاهُ يَأْمُرُ

بإخلاص التوحيد وإظهاره، أم باخلاص عقيدة الشرك واستتاره؟ ويقول فيه: قد ضيق أمير المؤمنين عذره في ذلك بتبليغه إياه كنه مراده. أترأه ضيق عذره وبلغه كنه مراده ليخذه فيما أمره به، أم هذا القول كله عبثاً؟

لا بد من إحدى هذين القولين، أو الثالث الذي هو إرادته. أبعد الله الناكثين، وصغر حدود المارقين. وإذا كان ذلك صحيح وهو مشهور من خروج الأمر العالي بهذا السجل المعظم المحتوي على هذا الدر المنظم. فكل من خالفه وستر بعد هذا الأمر مذهبه فقد خلع ربة الإيمان من عنقه وعصى وخرج من جملة أهل التوحيد، إذ خالف أمر العلي المجيد.

فإن قال قائل: إن أمر الباري جلّت قدرته لا يقدر الخلق على رده. فإن كان قد أمر بذلك ونهى عن غيره، ولم يقبل ذلك الأمر والنهي، فهذا بعض الضعف أو كله. يقال له: قد جهلت أمر الباري ونهيه جلّت آلاؤه، إذ لو كان أمره حتماً ونهيه جبراً، لم يشك فيه أحد وأطاع الخلق بأسرهم. وإذا كان ذلك كذلك سقط التفاضل. وعند سقوطه يبطل الثواب والعقاب. ويتحلل معاقد الديانات. وكان الخلق سدى. وحاشا لله. بل أمره جلّت آلاؤه تخيير، ونهيه تحذير، ليقوم العدل بالتخيير في الخليقة. ويصح الثواب والعقاب الموعودان في يوم القيامة على الحقيقة.

فقد صح عند من أنصف نفسه أن أمر الباري جلّت عظمته على هذا المعنى كما جرى، وإن أنكره بالجهل جميع الورى. وقد ثبت عن الكافة خروج الأمر العالي بالتخيير بإظهار المذاهب وإظهار أهل العزائم الصحيحة والنفوس الزكية الصريحة عقائدهم في التوحيد، طاعة لأمر الحكيم الحميد، حين قعد عن الإجابة المبطلون، وخالف أمر الباري الموهون، وتبين أنهم لهذه المنزلة مدعون، إذ لم يقبلوا أمر الباري ويطيعون. «قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْى يُؤْفَكُونَ»^(٩).

والباري جلّت آلاؤه يمنع أولياء وليّه منهم، ويُقيمُ الحجّةَ على مَنْ خالفه وتعدّأ أمره فيهم، والأمرُ، تالّله، يا أمّة السوء، غيرُ ما توهّمتموه، وخلافَ الذي اعتقدتموه، ليحقّ عليكم العذابُ بما أُمِرْتُمْ بهِ وأغفلتموه، وتقوم الحجّةُ عليكم بما صدّدْتُمْ عنه من الحق وبهتّمتموه.

وإنِ اعترض آخر من المارقين، وذكر أنّ هذا الأمرَ إنما قيل للمسلمين لا للمؤمنين، يُقال له: إنّ الإسلامَ هو أعمّ من الإيمان؛ وإنما خوطب الكافّة بالأعم لا بالأخصّ، لئلا يكون للناسِ على الله حجّةٌ في أمره. بل لا حجّةَ عليه بعد رسله. وأيضاً فإنّ الحجّةَ على الرادّين على مَنْ صرّح بالتّوحيد، وامتنل أمر الحكيم المجيد، معروفةٌ يوحىها عدلُ الباري جلّت آلاؤه، إذ كلُّ مَنْ يعتقد مذهبَ التّوحيد قد قامت عليه الحجّةُ به بالبرهان العلمي. وكذلك المقصّرّين ممّن سمع الحكمة وقرئت عليهم مجالس الرحمة قد قامت الحجّةُ بها عليهم.

ولما قرب الباري جلّت آلاؤه اليومَ الموعد، وظهورَ الشاهد والمشهود، أنكر المبطّلون، وصعّبَ قُرْبُ الوقتِ على الجاهِلين. وذلك قوله في المسطور: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا»^(١٠). ومن قَسَمَ الإمامُ المسطور: «لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا إِنْ لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا»^(١١).

أجري العدلُ في بقيّة خليفته لتكون الحجّةُ قائمةً بالعدل الذي هو التّخيير على كافّة بريّته. فأرسلَ رسلاً صرّحوا بالتّوحيد قولاً على سبيلِ التّخيير ليسمعه القاصي والداني، ويُجري على مسامح مَنْ لم يسمع الحكمة في هذا العصر من القريب والنّائي، حجّةٌ عليهم وإقامة العدل بالتّخيير فيهم، إذ العدلُ يُوجِبُ أنّ جميعَ العالم قد قامت عليهم الحجّةُ قي مقدّمات الاعصار،

(١٠) سورة آل عمران ٣/٣٠.

(١١) سورة الانعام ٦/١٥٨.

وإنما قعدوا عن الإجابة لجحدهم للحق وإنكارهم للتوحيد في جميع الادوار. وتكرار ذلك لئلا يكون للناس، كما قال، على الله حجة بعد الرسل.

فهذه الحجة قد قامت على أهل العقل بالحكمة والشاهد والدليل، وعلى من دونهم بالتصريح بالتوحيد والدعوة إليه بالتخيير والقول الثقيل. «وإنه لعلم الساعة فلا تمترون بها. واتبعوا في هذا صراطاً مستقيماً»^(١٢). «ولتعلمن نبأه بعد حين»^(١٣). «وما على الرسول إلا البلاغ المبين»^(١٤).

وأنا أذكر لكم ما ألفتموه وهو معروف عن الكافة من العباد، ومشهور على رؤوس الأشهاد، إشارة إلى التوحيد، وتعريفاً للطالع الرشيد، ما خرج به الأمر العالي من وقوف الكافة على فرد الجانب الأيمن في أوقات السلام، وتفريد الأسطر في رقاع الحوائج لجميع الأنام، وما يخرج من العطايا على الفرد من بيوت الأموال، وتفريد من يدخل إلى الحضرة المقدسة وما يظهر من النساء والرجال، وما أمروا به من تفريد جميع الأشياء من الأقوال والأفعال، وما خرج به الأمر العالي من رفع المعجم من الكتاب والحساب، إشارة إلى الإيضاح والإعراب، ودلالة على الإفصاح بتوحيد الإله الرحمن، وتعفية لزمين الستر بإظهار البيان.

كل هذه دلائل على التوحيد، وإشارة إلى تنزيه الحكيم الحميد.

فأما ما احتج به من لا بصيرة له بموارد العلم ومصادره، ولا معرفة بأوائل الكلام وأواخره، من قول المجلس المكرم، يوشك أن يرفع العلم ويظهر الجهل. فقد صدق الله جلّت آلاؤه. وهذا هو الحق والعدل. إنما هذه

(١٢) سورة الزخرف ٤٣/٦٠ بتصرف.

(١٣) سورة ص ٣٨/٨٨.

(١٤) سورة النور ٢٤/٥٤؛ ١٨/٢٩..

الإشارة للاتقياء الموحدين لا للأشقياء الملحددين، في قوله: يوشك أن يرفع العلم، أي يرتفع المعلوم المؤلف من العلم الشرعي لتمام الأمر. ويظهر الجهل، أي المجهول المنكور من توحيد الباري جلّت آلاؤه ببركة هذا الزمان والعصر.

إذ كل من تحقّق مذهب الإمامة وعرف قطع كل شريعة في رأس كل دور فيما تقدّم بسواها وعلم أنّ الإشارة إلى دورنا هذا، وهو دور صاحب القيامة، لا يخلجه الشك، فيما أمر به مولانا سلام الله على ذكره، وأوضح بيّنة لأولياء وليه الطائعين، وأوضح من رفع الزكاة، والقرايين، وعيدي الأضحا والفطر، وإبطال الخطبة بالجامع الأزهر، وقطع الحج والنحر، وإنه استئناف دور جديد، وإعلان بالكلمة إلى التوحيد.

وأيضاً يرفع العلم، أي يرتفع قدر علم التوحيد بشرفه وحقيقته ويظهر جهل العالم به ليصحّ بذلك عدل الباري جلّت آلاؤه في خليقته، إذ لو رفع العلم، أي لفضله لم تقم حجته على العوالم. وكان العالم بأسرهم لإبطال العلم في الجهل معذورين غير محجوجين، وعلى تخلفهم عن طلب العلم غير معاقبين.

فقد فلّجت حجة الحق بالبرهان والعدل الفائض المكنون على الذين «رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. كَلَّا. إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ. ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ. ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ»^(١٥). «فَهُمْ فِي غَمْرَةٍ الضَّلَالَةِ مُتَوَرِّطُونَ» وفي كل واحد يهيمون^(١٦)، ولحق يدفعون. «قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ»^(١٧). قد عميت بصائرهم لطول الأمد عن الحق لقطع

(١٥) سورة المطففين ٨٣/١٤-١٧.

(١٦) سورة الشعراء ٢٦/٢٢٥.

(١٧) سورة المنافقون ٦٣/٤.

خَنَاقِهِ وحلَّ الغدر، وَنَسِيُوا قَسَمَ الإِمَامِ فِي الْمَسْطُورِ مِنْ قَوْلِهِ: «يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِي إِلَى شَيْءٍ نَكِرٍ»^(١٨).

فقد أنكروا الحقَّ بعد الإقرار به والتحقيق، وباينوا أهله بالسفاهة والردة فقاموا مع أهل الخلاف على أهل التوحيد والتسديق. كأنَّ لم يسمعوا ما نطقت به حكماء الديانة، وما لَخَّصَتْهُ مجالسُ الرحمة للموقنين بالعهد والأمانة، كأنَّا وإياكم جميعاً رَكِبُ جَمَعَتِنَا رِحْلَهُ فَأَظْلَمَتْنَا لَيْلَةٌ مَهُولَةٌ ظَلَمَاءُ مَوْحِشَةٌ مع دروسِ آثارِ وانطماسِ أعلام. وَجَدْنَا فِيهَا السَّيْرَ وَصَبَحَتْنَاهَا الْقِيَامَةَ. سُبُلُهَا شَيْءٌ يورِدُ الْهَلَكَةَ إِلَّا وَاحِدَةً نَاجِيَةً عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ وَالسَّلَامَةِ.

وفيه أيضاً: ولا تَضَلُّوا في ليلتكم المهولة، فإنَّ صَبَحَتَكُمْ دَارٌ لَا إِقَالَةَ فِيهَا وَلَا مَسْتَغَاثَ. فانظروا لأنفسكم قبل انقضاء المدَّة. أفترى عند الأعلاج والأغتام، وأولادِ السِّفَاحِ والحرام، السَّبِيلَ الْوَاحِدَةَ النَاجِيَةَ؟ أم هم الذين دُعُوا إِلَى تَوْحِيدِ الْبَارِي جَلَّتْ أَلَاؤُهُ، فَأَجَابُوا أَمْرَهُ وَأَطَاعُوهُ؟ أم الذين عَصَوْهُ فِيهِمْ فَقَتَلُوهُمْ وَكَذَّبُوهُ؟ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ بِهَذَا، أم على اللَّهِ تَفْتَرُونَ؟ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ»^(١٩)، وَخَزِيَّتُهُ وَسَخَطُهُ عَلَى النَّاكِثِينَ الْمُخْتَلِقِينَ. «وَيَوْمَ (الْقِيَامَةِ) تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ. أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ»^(٢٠).

فهم واللَّهِ الذين قيلَ فيهم:

إِنَّ الشَّقِيَّ إِذَا قَلَّتْ أَمَانَتُهُ فَلَا يَحَانُ عَلَيْهِ الْمَقْتُ وَالْوَضَرُ
عَدَاوَةُ الدِّينِ مَا تُهْدَى ضَغَائِثُهَا وَاللَّهِ لَا شَكَّ لِلْأَنْصَارِ يَنْتَصِرُ

(١٨) سورة القمر ٥٤/٦.

(١٩) سورة هود ١١/٤٤.

(٢٠) سورة الزمر ٣٩/٦٠.

وَيَمْكُرُوا النَّاسُ بُغْيًا فِي إِرَادَتِهِمْ وَاللَّهُ أَمْكُرٌ وَالْحَايِينَ مَا مَكُرُوا
وَكَمْ عَسَى يَبْلُغُ السَّاعِي إِرَادَتُهُ وَالْدَّهْرُ يَذْهَبُ وَالسَّاعَاتُ تَغْتَفِرُ
وَالصَّبْرُ جُنَّةٌ قَوْمٌ فِي كِمَالِهِمْ وَاللَّهُ أَرْدَقَهُم بِالصَّبْرِ مَا صَبَرُوا
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا لَا انْقِطَاعَ لَهُمُ الَّذِينَ عَلَى نِعْمَائِهِ شَكَرُوا
وَاللَّهُ أَكْبَرُ تَكْبِيرَ الَّذِي عَدِمَتْ فِيهِ الْغَوَائِلُ حَتَّى مَا لَهَا أَكْر.

وَأِنَّمَا يَحْتَنُّهُمْ عَلَى قَذْفِ أَوْلِيَاءِ التَّوْحِيدِ قَلَّةُ الْمَعَارِفِ وَضَعْفُ الْبَصَائِرِ
وَفَقْدُ الْأَحْلَامِ، وَالْحَسَدُ لِمَنْ خَصَّه اللَّهُ دُونَهُمْ يَشْرَفُ الْمَقَامُ. كَأَن لَّمْ يَسْمَعُوا
فِي مَجَالِسِ الْإِفْضَالِ وَالْإِنْعَامِ، وَعِنْدَ اسْتِقْرَارِ الدَّارِ بِالتَّكَلُّفِ الْمُتَوَجِّهِينَ كَشَفُوا
مَا تَقَدَّمَ الْعَمَلُ بِهِ وَأَحْصَوْا مِنْ زَكَاةٍ وَتَحَصَّلَ لِمَوْلَاهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَزَادَ بِهِمْ مَا
حَلَّ مِنَ الضِّيَاءِ وَالْإِشْرَاقِ. وَعَمِلُوا الْبَيِّنَاتِ فِي مَجَاهِرَةِ أَهْلِ النِّفَاقِ. فَهَلْ يَخْفَى
فَضْلُ مَنْ اخْتَصَّه اللَّهُ وَأَثَّنَا عَلَيْهِ هَذَا الثَّنَاءُ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا
وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ كَانَ هَذَا الْقَوْلُ قَدْ مَضَى وَذَهَبَ وَلَا فَائِدَةَ لَنَا فِيهِ وَهُوَ
أَخْبَارٌ عَنْ مَاضٍ فَهَكَذَا يَجْرِي جَمِيعُ مَا سَمِعْنَاهُ مِنَ الْعُلُومِ وَحَاشَا لِلَّهِ. بَلْ
إِنَّمَا يُبَيِّنُ الْمَعْجَزُ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ أَنْ يَشَارَ إِلَى الْحِكْمَةِ قَبْلَ وَقْتِهَا وَأَوَانِهَا لِتَتَعَيَّنَ
الْفَضِيلَةُ لِمَنْ ظَهَرَتْ مَخَائِلُهَا عَلَيْهِ فِي عَصَرِهَا وَزَمَانِهَا.

فَهُمُ وَاللَّهُ الْبَاذِلِينَ لِمَهْجِهِمُ وَالْأَرْوَاحَ، الْمَفْصَحِينَ بِالتَّوْحِيدِ وَالْفَلَاحِ،
رَسَلَ الْبَارِي جَلَّتْ عَظَمَتُهُ وَاللَّهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَحَجَّجَهُ عَلَى الْكَافَّةِ لِعِقَابِ مَنْ
جَحَدَ الْحَقَّ مِنْ هَذِهِ الْخَلِيقَةِ، الَّذِي أَزْهَرَتْ أَنْوَارُهُمْ عَلَى الْأَنْوَارِ، وَأَخْمَدَتْ
نَارُهُمْ كُلَّ نَارٍ، بَطَاعَتُهُمْ لِلْعَلِيِّ الْجَبَّارِ. حِينَ تَكْلَجُ الْخَصْمُونَ وَقَعَدَ عَنْ أَمْرِهِ
الْمُدَّعُونَ.

وَهُمُ الَّذِينَ شَهِدَتْ لَهُمْ مَجَالِسُ الرَّحْمَةِ بِأَرْضِ الْعُجْمَةِ وَتَمَعُّهُمْ
بِتَعْلِيمِ الصَّبْيَانِ فِي الْمَسَاجِدِ. وَمَا يَشْكُ أَحَدٌ مِمَّنْ غَدِّي بِبَيْسِيرٍ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنَّ

أهل العُجْمَة هم الذين أُعْجِمَتْ عليهم معالمُ التَّوْحِيدِ، وأُغْلِقَتْ دونهم أبوابُ المعارفِ والتَّسْديدِ. وأنَّ الحدودَ هم المساجد. وأنَّ العبادةَ فيها، أي من جهتهم، يُعْرَفُ تنزيهُ العليِّ الواحد. كما قال جَلَّتْ قدرته. وَجَعَلَ ذلكَ دليلاً على مَنْ أشرنا اليهم الثَّلَاثُ مشاهد. وهي معطلةٌ لجهلِ العالمِ بها لا يَدْخُلُهَا للصلاةِ إلَّا الواحدُ بعدَ الواحد.

أتراها سُمِّيَتْ المشاهدُ للحجارةِ والطينِ، أم الإشارةُ إلى ممثوليها من حدودِ الدِّينِ. لا يخلو أن تكونَ سُمِّيَتْ لمعنى حكمةٍ أو لِعِبَثٍ. وحاشا الله. بل أفَّ لكم أيُّها الجَحْدَةُ المعتدون، ولِما تدعون وتعتقدون. فلا بالإشارة والرموز تتيقظون، ولا للأوامر العالية تخضعون وتأتُمرون.

فعمَّا قليل يُظْهِرُ الباري سبحانه من الناكثين المارقين المخازي، ويكون القائم على كلِّ نفس بما كسبتُ هو المجازي. أما تتأملوا مجاري الأيام وتنتبهون من رقدتكم قَبْلَ جفافِ الأقلام. وتتعظون بما وبَّخكم الله به في هذا الزمان بما ظهر من تأويل دعائم الإسلام.

وممَّا ذكر تأويله، فمنها: رَمَى الجِمار. وإنَّه التَّخْلَصُ من المذاهب الدَّاعِيَةِ إلى الشُّركِ والنِّفاقِ والضلالِ والبُوارِ. والبراءةُ إلى الله منهم ومن عملهم وإخلاصُ التَّوْحِيدِ له والاققرار. وأردفها بذكر صلاة العشاء الآخرة التي تُصَلَّى بِمُزْدَلِفَةٍ. وإن مَثَلَهَا مَثَلُ القائم، سلام الله على ذكره. وعددُ حروف اسمه كعددِ رُكْعَاتِهَا. فانتبهوا من غفلتكم وتأملوا هذا العدد والخطاب. وأعدوا له إن كنتم تفهمون صادقَ الجواب. فالفريضة أربع ركعاتٍ متواترة موازية لحروف لقبه.

فأتى لكم يا يهود هذه الأمة معرفة هذا المُشْكَلِ وقد عرّفنا جَلَّتْ آلاؤه أنكم من مرض قرائحكم في داء مُعْضَلٍ. ثمَّ أردف ذلك بذكر أيام النِّفَر وهي ثلاثة أيام. وإن مَثَلَهَا مَثَلُ النُّذُرِ الثَّلَاثَةِ المبشِّرين بالقائم، سلام الله على ذكره.

فالأوّل منها بابُ حجّته، والثاني داعيه، والثالث حجّته. تنفر الناس منهم وإليهم. وهذا القول فأنتم مشاهدوه ومعاينوه.

فقد فلّجت عليكم حجّة من دعاكم إلى كُتُب الميثاق. وأرشدكم إلى التخلّص من الأبالسة والنفاق. فارجعوا أيّها الغفلة إلى الحق، وتأملوا أقوال السّدق، ولا تكونوا ممّن عناه الله جلّت آلاؤه بهذا القول في الرابع والأربعين ومائتي مجلس ممّا قرأه مالك ابن سعيد، وهو: فاستمعوا الآن ما تلي عليكم من نعت النفاق والمنافقين ودم الخداع والمخادعينو ويدعو إلى الاتّعاظ بالمتفكرين. كما قال الله، أسدقُ القائلين، من قَسَمَ الإمام في المسطور المبين: «الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا: أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ. وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا: أَلَمْ نَسْتَحِوْذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا. إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ. وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا. يَرَاوُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا»^(٢١). فهذه صورتكم يا يهود هذه الأمة، وإذا رجع ذوي العقل منكم وانصف نفسه تحقّق أنّ هذا حالكم.

وفي هذا المجلس أيضاً ما يحقّق تخلفكم. وهو فلا تكونوا من المتربّصين بالمؤمنين المذكورين مثل القاعدين عن دار الهجرة إلى دار الإيمان والدعوة، قبل غلبة الحقّ والحكمة مع مظاهره المؤمنين بالإيمان، وانتظار المعرفة بحدود البيان والبرهان. فإنّ ظهوروا وظفروا وأمنوا من التقيّة وانتشروا فنطقوا بالحكمة، وفاتحوهم بباطن الرحمة، وشاركوهم في الاستفادة، ومثّوا بانتظارهم للإفادة. وإنّ غلبت عليهم الفترة وظهرت المخالفة والبدعة مثّوا إلى المخالفين بالقعود عن الهجرة إلى لغاء الحدود، وتبرّؤوا من الدين المحمود، نكثاً بالإيمان والعهود.

فهذه والله صورتكم يا هولاء، وقد أقدمتم عليها. فاستدركوا أيها الهلكة ما فرطتم فيه قَبْلَ فواته. وسارعوا إلى دعوة الحق قبل حلول ميقاته. وقد أعذر من أنذر. «وما على الرسول إلا البلاغ المبين».

فقد والله ثَبَّتَ الحُجَّةَ وصرحت بالبرهان، وأوضحت بحقيقة البيان. فأين لكم المفر والمذهب ممن لا يُنجي منه البعيد المهرب. بل أين تذهبون إذا دُعِيتُم إلى حقيقة التوحيد، وسُئِلْتُم عن حقيقة التنزيه والتجريد، وطولبتُم بالبرهان السدق في اعتقاداتكم بنفي التشبه والتجسيد. وما ذلك من يومكم الذي أنتم فيه ببعيد. وذلك قوله: «هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ سَادِقِينَ»^(٢٢).

يَخسر المبطون ويفوز العاملون ويفتضح المذَّهَّبون المنافقون الذين شهدت عليهم بالكفر أعمالهم، وفضحتهم بالنفاق أقوالهم. فهم لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء مذبذبون، والله أعلم بما يدعون. وجميع ما استشهدت به من التأويل فهو طعن على مَنْ عَمِيَتْ بصيرته عن تفهمه عن الزمن الذي كانت فيه الصلاة تنفع. والأعمال تُقبل وترفع. فأما حينئذ زال الانتفاع بها ومنع، كما جاء في مجالس الرحمة مما عَمِيَ عنه الأشقياء، وأنكره أهل الردة الأدعيا. وهو أَنَّ القائم اذا ظهر يظهر بالوحدانية ولا عمل في وقته بعد ظهوره.

والمولى، سلام الله على ذكره وتعالى، قد أقام الحجة على العالم، وأظهرها عليهم بقيام القائم، كما قيل إِنَّ حُجَّةَ الْقَائِمِ تَظْهَرُ قَبْلَهُ. ودعى إلى نفسه بنفسه تعالى بالوحدانية وأشار إليها وقطع الأعمال المألوفة وعين عليها. فما أجاب إِلَّا الْمُؤَقِّنُونَ الْمُوَحِّدُونَ، ولا تخلف إِلَّا أَهْلُ النَجَسِ الْمُنْكَرُونَ، الذين لعنهم الله فَأَصْمَمَهُمْ وَأَعَمَّى بُصَائِرَهُمْ ولا يدرون. فلم يعرفوا

أصحاب الأُخدود ولا تحققوا معنى النار ذات الوقود^(٢٣)، وأنها التصريح بالتوحيد للواحد المعبود، إذ هم عليها قعود، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود. وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد. الذي له ملك السموات والأرض. والله على كل شيء شهيد^(٢٤).

فقد والله عميتم عن اليوم الموعود، وتخلفتم عن منزلة الشاهد والمشهود، وفتنتم بالمؤمنين والمؤمنات، لم تتوبوا. فلكم عذاب جهنم ولكم عذاب الحريق. حين عُرِضْتُمْ على الحفير المضرَم بالنار، فأبَيْتُمْ ودُعِيتُمْ إليه فَنَكَّيْتُمْ وتَوَلَّيْتُمْ. ولم تَتَّسِأُوا بصاحبةِ الطفل الرضيع حين بكت عليه جزعاً من النار. فناداها الطفلُ قَدْماً يا أمُّ على النار. ولا ترجعي عن توحيد الواحد الجبار. فلا برموز الحكمة تنتبهون. ولا بمشروحيها تستبصرون. فأنتم حصَبُ جهنم. وأنتم لها واردون. وإلى هذا أشار في قوله: «ها أنتم يا هؤلاء تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا أَنْفُسَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ. وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَلَى نَفْسِهِ. وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ. فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ. ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ»^(٢٥).

أذا نطقَ سديقُ الدين، وأخرستُ شقاشقُ الشياطين، وآن الظهور إذا نُفِخَ فِي الصُّورِ و «نُقِرَ فِي السَّاقُورِ» إِنَّ ذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ^(٢٦). «يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى. وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ»^(٢٧). «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ. وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ

(٢٣) سورة البروج ٨٥/٤.

(٢٤) سورة الحج ٢٢/١٧؛ ٣٤/٤٧؛ ٥٨/٦؛ ٨٥/٩...

(٢٥) سورة محمد ٤٧/٣٨ بتصرف.

(٢٦) سورة المدثر ٧٤/٨-٩ بتصرف.

(٢٧) سورة الحج ٢٢/٢.

الْقَهَارِ»^(٢٨). «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا. ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ. فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا. إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا»^(٢٩). «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا»^(٣٠)، «قُلْ. يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ. فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ. وَانْتَظِرْ. إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ»^(٣١).

فأصيخوا أسماكم إلى داعي الحق أيها الناس، فقد زالت بالتوحيد دعوة الإبلas، وانتبهوا من غشوة النعاس، قبل هجوم الطامة الواقعة، وورود الصارخة والقارعة. إذا أسفر الصبحُ وبدأت علامات، وأدبر الليلُ وتقضت آياته، هنالك يَحْمَدُ القومُ السَّريَّ ويتجلى عن الحق غياهبُ الردى. فأتى لهم إذا جاءتهم ذكراهم. فاعلموا أن لا إله إلا الله. واستغفروا من ذنوبكم للمؤمنين والمؤمنات والله يعلم أسراركم.

أيها الناس إنما بقيت لكم بقية مهل يسير، ومن ورائه عجل كبير، فلا تأتوا بالعجز بعد الإقدام، ولا تنكروا عن الإجابة قبل جفاف الأقلام، وقبل أن يؤمرَ عنكم بالإمساك عن الكلام. فإنَّ الحُجَّةَ لله تعالى لمن دعاكم، وأوجبها عليكم قائمة غالبية. والبيئة لكم عليه في صحة دعائه. إياكم في غيبة الامتحان، من مجالس الحكمة التي قرئت عليكم لازمة واجبة. فإنَّ أوضح وجوب صحة دعائه من مجالس الرحمة بالبيئة والبرهان، وجب على جميعكم الإجابة له والإقرار به والإذعان. وإن نكل عن ذلك فما عليكم من سبيل. وهذا هو فاستمعوا أحسن قول وأوضح دليل.

(٢٨) سورة «إبراهيم» ١٤/٤٨.

(٢٩) سورة النبأ ٧٨/٣٨-٤٠.

(٣٠) سورة النصر ١١٠/٢-١.

(٣١) سورة السجدة ٣٢/٢٩-٣٠.

وهو أَذِنَ يَوْمَ الْفِطْرِ عَلَى صَاحِبِ الْكُشْفِ وَقَبْلَ الظُّهْرِ وَقْتَ غَيْبَتِهِ. وَالْآنَ لِلنَّجْبَاءِ أَنْ يُقِيمُونَ الدَّعْوَةَ بِاسْمِهِ لِمَنْ وَقَّعَهُ اللَّهُ لَذَلِكَ مِنْ بَرِيَّتِهِ. وَبَعْدَ الظُّهْرِ بَعْدَ ظُهُورِهِ فَصَارَتْ وَاجِبَةً عَلَى الْمَجِيبِ فِي وَقْتِ الْغَيْبَةِ فِي فِدَاءِ النَّفْسِ مَقْبُولِهِ مِنْهُ. وَمَنْ أَجَابَ بَعْدَ ظُهُورِهِ وَقَفَ فِكَاكُهُ. وَقَرَّتْ بَعْدَ الْفَتْحِ لَهُ إِذَا اسْتَحَقَّ بِمَثَلِ الْأُضْحِيَّةِ عَيْنُهُ. «لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا إِنْ لَمْ تَكُنْ أَمْنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا»^(٣٢) عَلَى مَعْنَايَيْنِ: تَأْوِيلِيَّةٍ فِي فَوَاتِ الْفِطْرِ وَضُرُوبِ التَّطْهِيرِ، وَتَرْكِ قَبُولِ الْأَعْمَالِ عِنْدَ ظُهُورِ الْقَائِمِ وَوُجُوبِ التَّغْيِيرِ.

فَقَدْ فَلَجْتَ عَلَيْكُمْ حُجَّتِي وَصَحَّ دُعَايَ، وَأَسْمَعْتُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَفْهَمُونَ تَضَرَّعِي إِلَى اللَّهِ فِي تَوْفِيقِكُمْ وَنِدَايَ. اللَّهُمَّ فَمَنْ نَكَّثَ بَعْدَ قِرَاءَةِ هَذَا الْبَيَانِ وَالتَّوْقِيفِ، وَعَمِيَتْ بَصِيرَتُهُ بَعْدَ هَذَا التَّقْرِيعِ وَالتَّعْنِيفِ، وَرَجَعَ بَعْدَ إِضْاحِ هَذَا الْبَرْهَانِ، الَّذِي حَقَائِقُهُ مَوَارِدُ إِلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِيْمَانِ، فَخَذَ بِنَوَاصِيهِمْ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي أَغْفَلُوهُ، وَاكْشَفَ عَنْ بَصَائِرِهِمْ بِمَقْدَمَاتِ نِيَاتِهِمْ لِيَسْدُقُوهُ، وَتَطَوَّلَ عَلَى مَسِيئَتِهِمْ بِاحْسَانِكَ إِلَى الْمُحْسِنِ لِيَتَحَقَّقُوهُ. وَأَوْجِدْهُمْ طَرِيقًا إِلَى رِضَائِكَ لِيَرْتَكِبُوهُ. إِنَّكَ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ، وَبِإِجَابَةِ هَذَا الدُّعَاءِ جَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ وَأَنَا عَبْدُكَ الضَّعِيفُ قَدْ نَصَحْتُ كَمَا أَمَرْتَنِي، وَدَلَلْتُ عَلَى تَوْحِيدِكَ كَمَا عَلَّمْتَنِي، وَأَقَمْتُ الْحُجَّةَ يَا وَلِيَّ الْحَقِّ بِمَا مَنَنْتَ بِهِ عَلَيَّ وَالْهَمَمَتَنِي. وَأَنْتَ الشَّاهِدُ بِمَا بَلَّغْتُ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا وَفَّقْتَنِي. وَأَنْجِزْ اللَّهُمَّ وَعْدَكَ لَوْلِيكَ يَا مَنْ لَا يَخْلُفُ الْمِيعَادَ، وَلَا يَجُوزُ ظِلْمُ الْعِبَادِ. وَصَلَّى اللَّهُمَّ عَلَى قَائِمِ الْحَقِّ الْهَادِي أَلَيْكَ، وَالدَّالِّ بِتَوْحِيدِكَ عَلَيَّكَ، صَفْوَتِكَ مِنَ الْإِبْدَاعِ وَالْخَلِيقَةِ، وَدَاعِ الْأُمَمِ فِي جَمِيعِ الْأَدْوَارِ إِلَى التَّنْزِيهِ بِالْحَقِيقَةِ. وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ عَلَى حُدُودِهِ السَّالِكِينَ فِي طَاعَتِهِ عَلَى الْمَنْهَجِ وَالطَّرِيقَةِ.

وهذا ممّا أدرجته فيها تحرّصاً وتأكيداً في إيصالها إلى إحدى الرجلين: إمّا معدّ ابن محمّد، وإمّا طاهر ابن تميم، في رفق وخفية. واللّه يوفّق من سعى في مرضاته وهو جدير بذلك. فإنّ تعاوننا على ذلك وناصرنا عليه، فلن يضلّ اللّه سعيهما، ولا يبخس أجرهما، ولا ينسى فعلهما. وإنّ الغياها ففعلهما محفوظ معروف، وما صنعاه فهو في غد بين أيديهما موقوف.

وبعد ذلك على ظهرها مكتوب: توكّلتُ على مولانا الحاكم وحده.

هذه الرسالة واصله إليك، ومقيمة الحجّة بما تعرفه من إقرارك عليك. فتأمّلها تأمّل ناظر لنفسه، عارف بغده وأمسه. فأنت مُطالب بما هو لك فيها مقول، وعن أمانتك لأدائها في غدٍ مسئول. فاقرأها على كافّة من تعرفه، وأنست رشده تحذيراً وإخباراً. واجعلها على سبيل العرض عليهم لا إكراهاً ولا إجباراً. فإذا أنت فعلت ذلك فقد أدّيت الأمانة، وبرئت من البلس فيه والخيانة. وإنّ أخفيئها عنّ أنست منه هدّى إلى التوحيد هلكَتْ وهُبَلَتْ، وإنّ أذعّتها بالتشرّد إلى غيرهم قُتِلَتْ. فانتظر من يأتيك لقبضها بعد نسخها إن شئت، والجواب بما فعلت.

واللّه يوفّق من سعى في مرضاته. ويجزل ثواب الشاكرين على ما سار وسرّ في طاعته. وإذا أنعمتم النظر بالسدق والتحقيق، وقفتم على بيضاء المحجة ونهج الطريق.

وكُتِبَتْ في السنة الرابعة عشر من سنين قائم الزمان، المنتقم من المشركين والمرتدّين، والأبالسة والطغيان، بسيف مولانا وقوّة سلطانه. نجزت بمنة وليّ الأمر. والحمد لمولانا وحده. والشكر للإمام الهادي عبده.

٤٣

مثلاً ضرباً بعض حكماء الديانة توبيخاً لمن قصر عن حفظ الأمانة

لهذا المثل صلة بغيبة حمزة. يحذر فيه كاتبه، هو بهاء الدين المقتنى،
بعض الضياع من سماع أكاذيب المشركين والمرتدين الذين بسمومهم
أبيسوا الزرع، أي التوحيد.

بسم إله الحق، ومولى الخلق. ذكرَ سفينة النجاة، وأصغرُ الدعاة^(١)،
أنَّ حكيمَ الدهرِ أممَ سَفَرًا. وكان في حكمته مستورا. وفي علم الأوائِل
مجهولاً مأثورًا. وكان له من الممالك والأموال والضياع شيئاً خطراً. وكانَ
قبلَ سفره يُوسَعُ على حشمه وعياله. ويُسدِّقُ على جميع الخلق بالبقية من
جميع أمواله. وإنه، قبل غيبته، نَظَرَ إلى جماعة من عبيده. ونزلهم في منازل
استحقاقهم عنده بتوفيقه وتسديده. وإنه اختصَّ من أفاضل عبيده جماعةً
وأوصاهم، وعلى أمواله وضياعه أثمنهم، واستكفى بهم. فقبلوا وصيةً
مولاهم، فنهضوا في خدمته خاضعين، ولأمره سامعين طائعين. واجتهدوا
في عمارة الضياع، وتثمين ما أثمنهم عليه من الأموال والمتاع.

(١) أي بهاء الدين المقتنى، كاتب هذه الرسالة.

فما تَمَادَتْ غَيْبَتُهُ إِلَّا عَشْرُ وَشَهْرٌ وَاحِدٌ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنَ الْبَرِيَّةِ إِلَّا نَاسٌ لَهُ غَامِطٌ لِنِعْمَتِهِ جَاحِدٌ. وَثَارَ مُتَغَلِّبُ الزَّمَانِ الدَّعِيّ، وَتَبِعَهُ كُلُّ مُنَافِقٍ شَقِيٍّ، فَفَتَكَ بِعَبِيدِ الْحَكِيمِ قَسْرًا، وَقَتَّلَهُمْ عَلَى مَحَبَّةِ مَوْلَاهُمْ تَجَبُّرًا وَقَهْرًا. وَهَدَرَ دِمَاءَهُمْ فِي جَمِيعِ الْبُلْدَانِ، وَتَبَعَهُمْ هُوَ وَتُبَاعُهُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ وَمَكَانٍ، عِدَاوَةٌ لِلسَّيِّدِ الْحَكِيمِ، وَعَدُوْلَاءُ عَنْ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ. وَعَبِيدُهُ عَلَى الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ صَابِرُونَ، وَلَمْهَجِهِمْ فِي خِدْمَةِ مَوْلَاهُمْ مُسْلِمُونَ بِأَذِلَّةٍ.

وإِنَّ الْبَارِيَّ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَعَظُمَتْ مِنَّتُهُ وَعَلَتْ كَلِمَتُهُ وَنَفَذَتْ مَشِيَّتُهُ وَإِرَادَتُهُ تَفَضَّلَ بِالْبَقَاءِ وَالْإِمْهَالِ عَلَى أَصْغَرِ الْعَبِيدِ، وَمَنْحَهُ مَوَارِدَ التَّوْفِيقِ وَالتَّسْديدِ. فَتَذَلَّلَ وَاسْتَكَانَ لِعَظَمَةِ مَوْلَاهُ، وَتَذَكَّرَ وَاهْتَدَى لِمَا بِهِ أَوْصَاهُ، فَنَهَضَ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ مِنَ الْخِدْمَةِ مُجْتَهِدًا خَاضِعًا، وَسَعَى فِي اسْتِخْلَاصِ مَا بَعْدَ عَنْ مَرَكِزِ الْمُتَغَلِّبِ وَالْأَمْوَالِ مَوْلَاهُ مُتَمَرِّدًا جَامِعًا، فَسَهَّلَتْ لِلْعَبْدِ مَوَارِدُ الشُّرْبِ، وَعَرَفَ بِمِنَّةِ مَوْلَاهُ أَهْلَ السِّدْقِ وَالْكَذِبِ، وَمَيَّزَ الْخَلْقَ بِتَأْيِيدِ الْوَلِيِّ بِالسِّمَاتِ، وَعَرَفَهُمْ بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، فَكَثُرَ الرَّيْعُ فِي الْبِلَدِ النَّائِي، وَأَزْهَرَتْ أَثْمَارُهُ، وَأَضَاءَتْ بِأَنْوَارِ الْحَقَائِقِ شَمُوسُهُ وَأَقْمَارُهُ.

وإِنَّ الْعَبْدَ الْخَاضِعَ الْأَصْغَرَ نَظَرَ مِنْ حَيْثُ هُوَ فِيمَا نَظَرَ، إِلَى ضِيْعَةٍ كَانَتْ خَصِيصَةً بِالْمَلِكِ الْأَكْبَرِ، مَلَاصِقَةً لِمَوْضِعِ الْمُتَغَلِّبِ فِي بُنْيَانِهَا، هَاوِيَةٌ مِنْ جَمِيعِ أَرْكَانِهَا، وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ جَبَلٍ عَظِيمٍ، وَمِنْ حَائِدِ دُونِهَا حِصْنٌ حَصِينٌ، وَهِيَ مِنْ وَرَائِهِ دَائِرَةُ الْجُدْرَانِ، رَكَّةُ الْبُنْيَانِ، كَالِحَةُ الْأَثْمَارِ، يَابِسَةُ الْأَشْجَارِ. فَحَرَّكَتُهُ مُحَرِّكَاتُ أَهْلِ الْفَضْلِ، وَتَذَكَّرَ وَصِيَّةَ الْحَكِيمِ فِي حِفْظِ الْأَهْلِ، فَلَمْ يَزَلْ يَذُبُّ بِنَفْسِهِ فِي عِمَارَتِهَا عَلَى الْخَطَرِ الْعَظِيمِ، وَالْأَمْرِ الْجَسِيمِ، حَتَّى أَجْرَى إِلَى أَرْضِهَا عَيْنًا مِنْ جَنَّةِ النِّعَمِ، مِزَاجُهَا مَاءُ الْحَيَاةِ، وَخَازِنُهَا مِنْ أَطْهَرِ السَّقَاةِ، يَشْرَبُ مِنْهَا أَهْلُ الْحَقَائِقِ الْمُقْرَبُونَ، وَيَمْنَعُ مِنْهَا الْأَشْقِيَاءُ النَّاكِثُونَ.

فشربت منها، فأورقت أشجارها، وانتشرت أزهارها. وكان قد لجأ إلى هذه الضيعة بعد الغيبة والخراب، أشباه المسوخ والذئاب. لهم أمثال في التشبيه، يعرفهم القطن النبيه. فبعضهم كالثعابين الرقطة، وبعضهم كالأساود الزمط، والأراقم الشمط. فكلموا زرع العبد الناصح فيها زرعاً، يرجو منه البلاغ والتمام، أحرقت تلك الأفاعي باللعب والسمام، ولعبت فيه بأذنابها الأساود، وأصبح حصيداً خامد. فأهلها أبداً خمص جياع، لأنها لا تثمر مع الضياع.

فلما أفاها العبد الناصح أن سقاها بماء رقيق زلال، جعلته ملحاً زعاقاً. وإن نصب فيها ثمرأ أحرقت بلهيبها إحراقاً. فنظر إليها ضاحكاً كلفاً، وبكى عليها ملياً أسفاً. وقال لها: أما أنا فتواي على الحاكم المنان، وأما أنت فواندك من بين الضياع والبلدان.

وتولّى عنها منتظر الفرج من جهة مولاه، مستتراً من أعدائه وأعداه، صابراً على حكمه وبلواه، منتظراً لما قد أوعده آياه.

فهذا المثل للنفوس الطاهرة دواء وشفاء، وللنفوس الجاهلة شقاء وعناء.

تمّ المثل والحمد لمعلّ علّة العلل. وله الإعظام والإجلال والتقديس والتسبيح.

رسالة بني أبي حمار

بنو أبي حمار جماعة من حلب آمنت بالتوحيد فاختلطوا مع جيرانهم ورحلوا إلى دمشق حيث مقابرهم مزارات للمؤمنين. في هذه الرسالة تحذير من اعتبار «علي الظاهر» ابناً للحاكم. وفيها كلام على التجلي الإلهي في صورة الحاكم. هي من وضع بهاء الدين المقتني.

توكلتُ على مولانا الحاكم سبحانه وتعالى عن صفات خلقه.

ألردُ على من قال إنَّ الصورةَ المسماةَ بالحاكم انتقلتُ إلى الصورةِ المسماةِ بعليّ.

إعلموا معاشِرَ الإخوانِ أنَّ الصورةَ الظاهرةَ لعبادةِ الوجودِ كانتُ تظهرُ من حيثِ النظرِ الجسماني. فلما وجدنا العالمَ مولودَ جَهالٍ لا يعلمون إلا بموقوفٍ ومَعروفٍ ولم يكنْ لَهُمْ وُصولُ أن يعلموا المَعقولاتِ على ما هي إلا بالْمَحسوساتِ، أوجبتِ الحكمةُ أن يظهرَ لهم صورةٌ من حيثِ هُمْ. فَأَنسَتِ الصورةُ لِصَوَرِهِمْ من حيثِ الجِنسيَّةِ. وكانتُ تختلفُ عليهم أَبصارُهُم الشَّحْمانيَّةُ بحيثُ شاءتِ القُدرةُ الإلهيَّةُ بتغييرِ الأقمصةِ البشريَّةِ المَرثيَّةِ، وإيقاعِ الامتحانِ بِعالمِ البشريَّةِ. فكانوا مختلفينَ لإيقاعِ محنةِ اختلافِ الأقمصةِ عليهم.

وَإِذَا كَانَتْ الدُّنْيَا قَدْ اجْتَمَعَتِ الْعَوَالِمُ الْمُخْتَلِفُونَ الْأَرَاءَ الْمُشْتَتُونَ فِي
الْمَذَاهِبِ عَلَى أَنَّ الْبَارِي بَزَعَهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَعْدَ الْقِيَامَةِ، يَتَجَلَّى لِلْعَالَمِ،
وَيَنْقَسِمُوا جَمِيعَ الْعَالَمِ قَسَمَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُمْ: فَقَسَمَ فِي الْجَنَّةِ وَقَسَمَ فِي النَّارِ،
وَأَنَّ جَمِيعَ الْقَسَمِينَ بَاقِيَيْنِ تَحْتَ الْجَزَاءِ دَائِمِينَ بَاقِيَيْنِ لَا يَقَعُ بِهِمْ فَنَاءٌ.

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُوا مَعَاشِرَ الْإِخْوَانِ وَقَقَّكُمْ الْمَوْلَى لَطَاعَتِهِ وَشَدَدَكُمْ
لِمَرْضَاتِهِ أَنْ قَدْ صَحَّ عِنْدَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَفْنَاهَا مَوْلَانَا الْحَاكِمُ سُبْحَانَهُ وَأَنْتُمْ
فِي أَوَائِلِ الْآخِرَةِ. وَدَلِيلُكُمْ عَلَى ذَلِكَ وَاضِحٌ، وَذَلِكَ أَنَّ مَوْلَانَا سُبْحَانَهُ أَظْهَرَ
لَكُمْ إِمَامَ تَوْحِيدِهِ فَنَادَى بِكُمْ وَأَرْشَدَكُمْ، وَدَلَّكُمْ وَهَدَاكُمْ إِلَى تَوْحِيدِ بَارِيكُمْ،
لِتَكْمَلَ لَهُ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةُ. فَمَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا كَتَبَ مِيثَاقَهُ وَأَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ
لَيْسَ لَهُ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَلَا فِي الْأَرْضِ مَعْبُودٌ إِلَّا مَوْلَانَا الْحَاكِمُ الْمَوْجُودُ. ثُمَّ
رَأَيْتُمْ مَعْبُودَكُمْ الْقَابِضَ مَوَاتِيْقَكُمْ، الْعَالَمَ بِتَوْحِيدِكُمْ، فَبِذَلِكَ لَمْ يَبْقَ لَكُمْ حُجَّةٌ.
وَزَالَ عَنْكُمْ الشُّكُّ وَالظَّنُّ، وَثَبَتَ عِنْدَكُمْ مِنْ حَيْثُ الْعِلْمُ وَالْعَقْلُ أَنَّ مَعْبُودَكُمْ
الْقَابِضَ مَوَاتِيْقَكُمْ الْعَالَمَ بِتَوْحِيدِكُمْ.

فَحِينَئِذٍ ثَبَّتَ لَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا قَدْ زَالَتْ وَهِيَ جَمِيعُ الشَّرَائِعِ وَالْأَدْيَانِ
وَالْعِبَادَاتِ، وَأَنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْآخِرَةِ لِكِتَابِكُمْ مَوَاتِيْقَكُمْ وَإِشْهَادِكُمْ عَلَى نَفُوسِكُمْ
بِعِبَادَاتِكُمْ وَتَوْحِيدِكُمْ لِمَعْبُودِكُمْ بِالْحَقِيقَةِ. فَلِذَلِكَ ثَبَّتَتْ لَنَا عَلَيْكُمْ الْحُجَّةُ بِذِكْرِ
مَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ مِنْ اجْتِمَاعِ الْعَالَمِ عَلَى أَنَّ الْبَارِي فِي الْآخِرَةِ يَتَجَلَّى لِلْعَالَمِ
فِيخَاطِبُهُمْ وَيَقَابِلُهُمْ بِالْجَزَاءِ بِأَفْعَالِهِمْ، فَبِذَلِكَ يَقَعُ بِهِمُ الْبَقَاءُ، وَيَزُولُ عَنْهُمْ
الِاضْمَحْلَالُ وَالْفَنَاءُ، مُقِيمِينَ تَحْتَ جَزَائِهِمْ مُؤَبَّدِينَ غَيْرَ فَانِينَ.

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُوا مَعَاشِرَ الْإِخْوَانِ أَنَّهُ لَمْ يَنْكَشِفْ فِي زَمَنِ مِنَ الْأَزْمَانِ
تَوْحِيدُ رَبِّ الدَّارِ بِالْحَقِيقَةِ إِلَّا فِي وَقْتِنَا هَذَا. وَأَنَّ الْعَالَمَ مَخِيرُونَ فِي أَفْعَالِهِمْ
مُسْتَطِيعُونَ مَا يَشَاؤُونَ يَفْعَلُونَ. مَا يَغْبَا عَنْهَا إِلَّا فِي تَوْحِيدِ الْبَارِي سُبْحَانَهُ
وظُهُورُهُ لَهُمْ بِالْحَقِيقَةِ، وَأَنَّ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِمْ عَاجِزِينَ أَنْ يُظْهِرُوا مَا قَدْ سَتَرَهُ

الباري جَلَّتْ قُدْرَتُهُ. وَإِنَّهُ لَمَّا شَاءَ عَلَى ظَوَاهِرِ الْأَشْيَاءِ أَظْهَرَ تَوْحِيدَهُ خَاصَّةً لَتَيْكَ الصُّورَةِ الْمُسَمَّاةِ بِالْحَاكِمِ لِأَنَّهُ فِي تَيْكَ الصُّورَةِ قَبْلَ مَوَاقِفِنَا. وَكَشَفَ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ لِقَصْدِ التَّوْحِيدِ وَالْعِبَادَةِ لَهَا، وَكَشَفَ الْإِمَامَ الْهَادِيَ إِلَى تَوْحِيدِهِ، النَّاطِقَ بِتَقْدِيرِهِ وَتَمْجِيدِهِ، وَكَشَفَ الْحُدُودَ الْمُطْلَقِينَ فِي دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ، وَاشْهَرَهُمْ بَيْنَ الْعَالَمِ وَمَعْرِفَةِ الْعَالَمِ لَهُمْ، وَكَشَفَ دَارَ الْهَجْرَةِ لَهُمْ الْجَامِعَةَ لِلْحُدُودِ، وَتَجَرِيدَ دَعْوَةِ تَوْحِيدِ الْمَعْبُودِ، وَإِطْفَاءَ دَعْوَةِ التَّرَكِيبِ وَرَفَعَ يَدَ الشَّرِيعَةِ عَنِ الدَّعْوَةِ الْهَادِيَةِ وَوَقُوفَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى الظَّاهِرِ الْمَكْشُوفِ يُسَبِّحُونَ الصُّورَةَ وَيَقْدُسُونَهَا بِقِيَامِ الْعَالَمِ بِاخْتِلَافِ أَدْيَانِهِمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ وَاصْطِلَاحِهِمْ عَلَيْنَا، وَمَنْعَ الْقُدْرَةِ لَهُمْ عَنَّا.

فَمِنْ ذَلِكَ قِيَامُ الْعَوَالِمِ بِأَجْمَعِهِمْ عَلَى الْعَبْدَيْنِ الْمُوَحِّدَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ الْكَاتِمِينَ بَنِي أَبِي حِمَارٍ وَفَقَّهَهُمُ الْمَوْلَى وَسَدَّدَهُمْ وَأَيَّدَهُمْ وَأَرْشَدَهُمْ. وَإِنَّ مَوْلَانَا سُبْحَانَهُ لَمْ يُمَكِّنِ الْعَالَمَ مِنْهُمْ. وَقَدْ لَحِقَ بَعْضُهُمْ سُوءُ الظَّنِّ وَأَرَادُوا أَنْ يَسْتَضِيْمُوهُمْ، فَلَمْ يَبْلُغُوا مَا أَمَلُوهُ، وَلَمْ يَنَالُوا مَا أَرَادُوهُ. وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُصْهُمْ مِنْ عَدَاوَاتِهِمْ إِلَّا صَحَّةَ دِيَانَاتِهِمْ وَصِفَا نِيَّاتِهِمْ فِي تَوْحِيدِ بَارِيهِمْ.

وَالشَّاهِدُ عَلَى مَا قَدْ قَلْنَاهُ إِنَّا رَأَيْنَا عَبْدَ مَوْلَانَا وَمَمْلُوكَهُ عَبْدَ الرَّحِيمِ ابْنِ الْيَاسِ وَلِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ، رَأَيْنَاهُ ذَا مَالٍ وَمُلْكٍ وَرَجَالٍ وَضُبْنَةٍ^(١) وَرَهْطٍ وَعَبِيدٍ وَمَمَالِكٍ. وَكَانَ خَالِيًا مِنْ تَوْحِيدِ بَارِيهِ، جَاحِدًا لِلْمَنْعَمِ عَلَيْهِ أَيْدِيَهُ. فَلَمْ يَمْنَعْ مِنْهُ سُلْطَانُهُ وَلَا مَالُهُ وَلَا رَجَالُهُ، وَأَخَذَهُ مِنْ وَسْطِ مُلْكِهِ الْمَعَارِ. وَسُلْطَانُهُ وَقُوَّتُهُ وَعِزَّتُهُ وَقُدْرَتُهُ بِالْعَبْدِ الضَّعِيفِ الذَّلِيلِ، فَأَخَذَهُ بِقُدْرَةِ أَمْرِ مَوْلَاهُ لِلطَّاعِيِ الْمُتَجَبِّرِ الدَّعِيِّ الْمُنْكَرِ لَمْ يَمْنَعْ مِنْهُ سُلْطَانُهُ وَلَا كَثْرَةُ مَالِهِ وَلَا رَجَالُهُ. أَلَعَلَّةُ فِي ذَلِكَ إِنْكَارُهُ لِمُبْدِعِهِ وَجُودِهِ لِلْمَنْعَمِ عَلَيْهِ وَالْمُظْهَرِ لَهُ. وَنَجَا أَوْلِيَاءَهُ مِنْ أَيْدِيِ الطَّغَاةِ بِإِقْرَارِهِمْ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَالْإِخْلَاصِ فِي عِبَادَاتِهِمْ

(١) ضُبْنَةٌ هُم «أَهْلُ الرَّجُل» (الدَّهْرِيُّ الْمُضَيَّة).

وصفاء النية. وهم أقلّ من الحطام. وقد تَبَرَّأ منهم جميعُ الأقرباء والأهل الخاصّ منهم والعام. ولم ينالوا منهم مَضَرَّةٌ، ولم يبلِّغوا ما أَمَلُوهُ. ولنا بهذا شاهدٌ ودليلٌ يَسْتَدِلُّ به الطالبُ المُستَرشد.

واعلموا معاشرَ الإخوان أنَّه لو كان المعبودُ سبحانه يَنْتَقِلُ بَعْدَ هذا الظُّهور في الأَقْمِصَةِ لكان هذا أَمْرٌ لا نَفَادَ له. وأَمَدٌ لا آخِرَ له، وكانت تَنْفَسِدُ الديانةُ الآن ويكون هذا يَدِلُّ على أَنَّ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لم يُجَازَى عليه من ضِدِّ وولِيٍّ، وَسَقَطَ الجزاءُ، وسقطتِ العبادة على رأي من يقول إِنَّ المعبودَ ينتقل في الأَقْمِصَةِ بعد إَشْهَارِ كلمة التَّوْحِيدِ.

فالحذر الحذر، معاشرَ الإخوان، أن يلحقكم شكٌّ في معبودكم باستتار الصُّورة الإلهية عن نظركم الشَّحْمَانِي لقيام الأمر الجديد، وإنجاز الوَعْدِ والوَعِيدِ. وأنتم تعلمون معاشرَ الإخوان أَنَّ العهدَ المألوفَ المأخوذَ للأئمة البشرية كَشَفُ جِسماني جامعٌ لحدود الشريعة. وأظهرَ المعبودُ سبحانه للعالم صورةً وأَخَذَ العهدَ المألوفَ لتيك الصورة. وبقي الميثاقُ الناطق بتوحيد مولانا الحاكم سبحانه. فهو يَنْفِي العهدَ المألوفَ والميثاقَ والشِرْكَ. خاصَّةً للواحدة المُختَصَّة اذ كان العهدُ يَدُلُّ على عبادة الجِسمانيَّاتِ والشِرْكَ. لأنَّا رأينا مولانا الحاكم سبحانه قد رَفَعَ الشرائعَ وتأويلها بغير اختلافٍ ولا شكٍّ في ذلك.

فعند ذلك أظهرَ التَّوْحِيدَ والميثاقَ ثم أظهرَ الصُّورَ المسمَّاةَ بعليٍّ وأَخَذَ العهدَ المألوفَ لتيك الصورة إشارةً منه سبحانه لتثبيتِ الحُجَّةِ على المُشْرِكِينَ بعد التَّيَقُّظِ واليقينِ اذ كان ذلك سبباً لوقوعِ الامتحان، فيكشفُ ما في نفوسِ المُشْرِكِينَ من الاستتارِ إلى نظرِ العيانِ. وكان ذلك إشارةً منه سبحانه باظهارِ الصُّورةِ المسمَّاةِ بعليٍّ وأَخَذَ العهدَ المألوفَ لها أنَّها من آخرِ الأئمةِ الماضيين مِمَّنْ خَدَمُوا مولانا سبحانه وعلى توحيده دَلُّوا وأرشدوا.

وبقي الميثاقُ الناطقُ بتوحيد مولانا سبحانه خاصةً لتيك الصورةِ
المسمّاةِ بالحاكم. لم يُشْرِك فيه أحداً من خَلْقِهِ وعبيده. سبحانه مولانا عما
يَظُنُّونَ، وتَنَزَّهَ عما يَصِفُ الواصفون. وهو حَسْبِي ونِعْمَ النصيرُ المعينُ. وبه
في جميع الامور نستعين.

تَمَّتْ والحمدُ لمولانا وحده. والشكرُ لقائم الزمان عبده.

تَقْدِيرُ لَاحِقٍ

التَقْدِيرُ الْأَوَّلُ إِلَى الشَّيْخِ الْمُخْتَارِ

لاحقٌ، كنيته أبو الفوارس، من ريجا قرب حلب. تظاهر بالديانة والوفاء والكمال، فقلده بهاء الدين، واختاره، ولقبه بالكوكب السيار، إلى أن أشرقت عليه أعماله القبيحة، فوبّخه، وشبهه في توبيخه (الرسالة ٧٧) بالبغل والعمار المكدود في الدولاب. ووصفه في (الرسالة ٦٥) بـ «المرتد النجس المنافق أول من ابتدع مذهب الإباحة». كتب بهاء الدين هذه الرسالة بمحبة لـ «ابن الشرف لاحق»، سنة ٨١٩ هـ.

توكلت على مولانا البارِ العالم، الحاكم بالحق ومُولى الأنام. من العبد المُقْتَنَى بهاء الدين ولسان المؤمنين وسيد الموحدين، إلى الشيخ المختار ربي الحقائق والنجم السيار الحميد الطرائق أبي الفوارس الأمير ابن الشرف لاحق. ثبّتك الباري على ما أنعم به عليك من أخذ الميثاق للراغبين والدعوة إلى توحيد مولى العالمين، ثباتاً يجمع لك خصائل الخيرات ويوصلك بشرفه إلى أعلى الدرجات.

أما بعد، فالحمد لمولانا الحاكم الذي أخذ ميثاق صفوته وأوليائه، وجعل لهم أن يأخذوه على من أجاب دعوة الحق ولبّاه، حمداً يكون لمن

أَخْلَصَ فِي تَوْحِيدِهِ إِلَى دَارِ السَّلَامِ أَمَّامًا وَلَمَنْ اعْتَصَمَ بِهِ مِنَ الْكَافَّةِ إِلَى رِضَائِهِ سَبِيلًا وَسَلَامًا.

أَيُّهَا الشَّيْخُ الدِّينُ الْفَاضِلُ، إِنَّ الْوِدَائِعَ تَتَفَاضِلُ، وَالْمِنَحَ تَتَرَفَعُ وَتَتَجَالَلُ. وَلَا شَيْءَ أَفْضَلَ مِنْ تَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ، وَلَا مَنَحَةَ أَغْنَى مِنَ الدَّعْوَةِ بِهِ إِلَى الصِّمَدِ الْمَجِيدِ. فَهَمَا يَفِيضَانِ تَضَاعُفَ الْحُسْنَى وَتَظَاهُرَهَا، وَيَمْتَرِيَانِ تَرَادُفَ النُّعْمَا وَتَوَاتُرَهَا. وَأَهْلُكَ لِسَيَادَةِ الدَّعْوَةِ الْهَادِيَةِ وَالْكَلِمَةِ الْعَالِيَةِ، كَمَا أَهْلَنِي وَنَدَبَنِي إِلَيْهَا، وَأَذِنَ لِي فِي ذَلِكَ قَائِمُ الزَّمَانِ بِأَمْرِ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ. فَتَقُولُ مَا أَوْلَيْتُكَ مِنْ سَيَادَةِ الدَّعْوَةِ الْهَادِيَةِ الْمُهْدِيَةِ بِعِزِّهِ فِي الطَّاعَةِ شَدِيدٍ، وَعَقْدُ فِي خِدْمَةِ التَّوْحِيدِ، وَالِدِيَانَةِ حَصِيفٍ وَكَعِيدٍ.

فَهَذَا الْمِيثَاقُ لَكَ الْيَوْمَ مَقُولٌ، وَأَنْتَ عَنْهُ فِي غَدٍ مُسْتَوِلٌ، يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ، وَيَصِيرُ إِلَى وَلِيِّ الدِّينِ الْمَصَائِرُ، يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرٌ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّهَا مُنْسَى مُؤَخَّرٌ.

وَاسْتَسْهَلِ الظُّمَاءَ وَالنَّصَبَ وَالْمَشَقَّاتِ، فِيمَا يُؤَدِّي إِلَى أَفْخَرِ الْمَنَازِلِ وَأَعْلَى الدَّرَجَاتِ، تَجِدِ الرَّيَّ يَوْمَ تَظْمَأُ الْأَكْبَادُ، وَتَنْقَطِعُ الْأُمَالُ وَتَشْرَقُ بِالرِّيقِ اللَّهَوَاتُ. وَتَوَقَّ فِيمَا تَوَرَدُ وَتُصَدِّرُ وَتُقَدِّمُ وَتَوَخَّرُ كَيْدَ النَّاكِثِينَ الْمَارِقِينَ. وَلَا تَتَلَبَّسْ بِزَخَارِيفِ الْمُؤْمُوهِينَ الْمُرْجِفِينَ، أَوْ غَادُ الْأَنَامِ وَأَوْلَادُ الْحَرَامِ. فَإِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لِمَعْزُولُونَ وَبِجَرَائِمِهِمْ مُعَاقِبُونَ. فَذَرَهُمْ يَخُوضُونَ وَيَلْعَبُونَ حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي كَانُوا بِهِ يُوعَدُونَ.

وَاتَّخِذْ لِنَفْسِكَ مِنْ أَهْلِ الْوَرَعِ وَالِدِّينِ مِمَّنْ قَدَّمَتْهُ أَعْمَالُهُ، وَشَهِدَتْ لَهُ بِالنُّفَةِ وَفَضَائِلِ التَّوْحِيدِ أَفْعَالَهُ. تَلَكُّهُ مِنَ الدَّعَاةِ الْمَرْضِيَّينَ الْأَطْهَارِ مُتَفَرِّقِينَ فِي أَكْبَرِ الْمَدِينِ وَأَعَمَّرِ الْأَمْصَارِ. وَابْسُطْ لِسَانَكَ فِي جَمِيعِ الْمَوَاضِعِ مَا شَسَعَ مِنْهَا وَنَأَى وَقُرْبَ وَدَنَا. فَلَكَ بِحَقِّ السِّيَادَةِ أَنْ تُنْصَبَ مِنَ الْمَادُونِينَ بَعْدَ التَّلَكُّهِ الدَّاعِيِينَ مَا وَجَدْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، بَعْدَ الْإِقَامَةِ عَلَيْهِمُ بِالتَّوْحِيدِ بَرَهَانًا وَدَلِيلًا.

واجعلُ للجميع كُتُبَ الميثاق على مَنْ استجاب إلى الهدى، وظَهَرَتْ عليه مخائلُ التَّقَى. واحذر أن تستكثرَ مَنْ لا خَيْرَ فيه. فما أَكْثَرُ النَّاسِ، ولو حَرِصْتَ، بِمُؤْمِنِينَ.

وأما حميدٌ وعسكرٌ وتبَاعُهم الخونة الفسّاق، الذين قطعوا ما أَمَرَ البارِي بصلته وخلعوا ربقةَ الميثاق، وَرَجَعُوا بِعَمَى البصائر عن عِزِّ الطَّاعَةِ لوليِّ الأمر إلى ذُلِّ الإِباق، وأَبْدَوْا ما كانوا انغَمَطُوا عليه من الخبث والنفاق، فأسكتهم عن الدعوة الهادية، فَهُمْ رَأْسُ الشَّيْطَانَةِ والبَاسِ، وآلُ البَلَةِ واللَّكْنِ والخَرَسِ. ووليُّ الحقِّ قد وَصَفَ حَالَ مَنْ تَقَدَّمَ خِلَافُهُ، وشاكَتْ أوصافُ هؤلاء المَرْقَةِ أوصافُهُ، في قِسْمِهِ فيما نَقَضُهم ميثاقَهُم لعَنَاهُمْ، وجعلنا قلوبَهُم قاسيةً يُحَرِّفُونَ الكلامَ عن المَواضع، وَيُؤْمِنُونَ مَنْ يَخْدَعُوهُ بما سَيَزْهَقُ وَيَبُورُ من خَبِيثِ المطامع.

وعرِفَ بذلك جماعةُ الموحِّدين الموقنين، بَعْدَ شَرْحِ لهم معارفِ الحدودِ وخصائصِ الدِّينِ. وَتَبَّتْ عندهم الفرقُ بين الروحانيين والجسمانيين، وأنَّهُمْ عن الإلِّمَامِ بِمُحَالِهِمْ، والتَّطَرُّقِ والإِصْغَاءِ إلى ما يدعون إليه من نَكْثِهِمْ ومقالِهِمْ. فَمَنْ تَبِعَهُمْ وبَايَنَ بالعِنادِ، فَاكْتَبَهُ في جُمْلَةِ المخالفين الأضدادِ، إِلَّا أن يرجعوا عن الغَلِّ الذي أَغْمَطُوهُ، ويتوبوا عن النكثِ الذي أَوَّلُوهُ. فهم ممَّا أَجْرَمُوهُ مَعْفُوٌّ عَنْهُمْ، وبِهِ مَسَامَحُونَ، وَمِنْ خطاياهم وعَثَرَتِهِمْ بعد التوبة مُقَالُونَ.

وَمَنْ وَجَدَتْهُ من جميعِ الدَّعَاةِ والمَأْذُونِينَ المتقدمين مائلاً عن مَدْرَجَةِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ واليقينِ، ناقِضاً بالإِضافة إلى أَهْلِ البصائرِ الموقنين، فاستبدلَ مَنْ حَسُنَتْ في سياسةِ المُوَحِّدِينَ بصيرتُهُ وتسديدُهُ، وسَلِمَتْ من عقائدِ أَهْلِ التَّقْصِيرِ عقيدتُهُ وتوحيدُهُ. وليكنُ ترتيبك بالورعِ والحلمِ، وافتخارك بالبراعةِ والعِلْمِ. فَإِنَّ هذه خِلالُ أَهْلِ الدِّينِ وسجايا العارفين. وادْعُ كما دُعِيتَ وأوتَ من خيرِ ما أُتِيتَ.

وليكن قولك مقرونًا بالسِّدْقِ، وهو أوَّلُ المفترضات. وثانيها حِفْظُ
الإخوان والأخوات، وهو المُنْجِي من جميع المَوْبَقَات. وثالثها نَفْيُ العَدَمِ عن
إله الأرض والسموات. ورابعها البراءة من الأبالسة والطغيان في جميع
الآوقات. وخامسها إيضاحُ التَّوْحِيدِ لباري المبرِّوات. وسادسها وسابعها
الرضى والتسليم له على جميع الحالات.

و«ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ»^(١). وَأَلْحَ إِلَى إِلَهكَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ، فَإِنَّكَ لَمُلْجٌ إِلَى كَهْفٍ حَرِينِ،
وَمَانِعٌ عَزِيزٍ. تَوَكَّلْ عَلَيْهِ يَكْفِيكَ، وَاسْتَعِنْ بِهِ يُغْنِيكَ.

فهذه وصيَّتي إليك. فاجعلها لقلبك أُمَمًا ومرءاةً وَعِلْمًا. فالْمَوْلَى
بقبولها يَوْفُقُكَ فِي أَفْعَالِكَ وَيُسَعِّدُكَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكَ. فَهُوَ نِعَمُ الْمَوْلَى وَنِعَمُ
النَّصِيرِ. وَهُوَ حَسْبِي وَنِعَمُ الْمَعِينِ الْقَدِيرِ.

وَكُتِبَ فِي شَهْرِ الْمُحَرَّمِ مِنَ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنْ عِبْدِ مَوْلَانَا وَمَمْلُوكِهِ
قَائِمِ الزَّمَانِ بِالْحَقِّ، الْمُنتَقِمِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُرْتَدِّينَ، بِسَيْفِ مَوْلَانَا جَلَّتْ
قُدْرَتُهُ وَشَدَّةُ سُلْطَانِهِ إِلَهُ الْعَالَمِينَ.

تَمَّ التَّقْلِيدُ بِمَنَّةٍ وَلِيٍّ النِّعْمَةِ.

٤٦

تَقْدِيرُ سَكِينٍ

«سكين، إسمه مسعود، ونسبه كردي، وأصله من بلاد حلب. جاء مصرَ بعد لاحق، ودخل في الدعوة، وكتب الميثاق، ثم أتى إلى الوادي واتخذ له مغارة في جبل تنورة، وجدَّ في العلم والعمل حتى برز على أقرانه، وساد على كثير من أهل زمانه، وصبر على محنة الدجال. فلما بلغت المقتنى أخباره، قلده واختاره، ومشى على ظواهر حاله دون سره، وسماه الشيخ الفاضل، وأثنى عليه. فقام في الدعوة نحو سبع سنين، وهو شيخ الجزيرة، وكبير العشيرة. ولم يزل كذلك إلى أن ظهر ما كان مكنأ في سريره. وغلبت عليه الضدية، وغير ما في نفسه، فغير الله به وبأبناء جنسه» (عن الدرر المضية). انظر ما يقوله المقتنى في سكين في الرسالتين ٦٥ و ٧٨. كتب هذا التقليد سنة ٤١٩ هـ ونرى بين هذا التقليد وتقليد لاحق السابق شبهاً كبيراً.

تَوَكَّلْتُ عَلَى الْمَوْلَى إِلَهِهَ الْحَاكِمِ بِالْحَقِّ، وَشَكَرْتُ عَبْدَهُ الْإِمَامَ الْهَادِي وَلِيَّ الْخَلْقِ. مِنَ الْعَبْدِ الْمُقْتَنَى بِهَاءِ الدِّينِ، وَلِسَانِ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَدِّ الْمُوحِدِينَ، الْجَنَاحِ الْأَيْسَرِ، وَالْحَدِّ الرَّابِعِ الْأَصْغَرِ، إِلَى الشَّيْخِ الْمُرتَضَى عِصْمَةَ الْمُؤْمِنِينَ وَصَفْوَةِ الْمُوحِدِينَ، عَصَمَكَ الْبَارِي فِيمَا أَنْعَمَ بِهِ وَلِيَّهُ عَلَيْكَ، وَأَقْرَبَهُ لَدَيْكَ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ وَأَخَذَ الْمِيثَاقَ. وَأَهْلَكَ لَهُ وَبَسَطَ يَدَكَ فِي الدَّعْوَةِ التَّوْحِيدِيَّةِ بِجَزِيرَةِ الشَّامِ الْعَلِيَا بِالْقَبْضِ فِيهَا وَالْإِطْلَاقِ عِصْمَةَ يَجْمَعُ لَكَ فِيهَا جَلِيلَ الْأَمَانِيِّ وَرَفِيعَ الدَّرَجَاتِ، وَيُوصلُكَ بِنَقَاءِ السَّرِيرَةِ فِي الْأَمَانَةِ عَلَيْهَا إِلَى أَعْلَى الْمَنَازِلِ وَأَبْعَدِ الْغَايَاتِ.

أما بعد، فالقدرة والجلال والتنزيه والإعظام والتقديس والتأليه
للإله الحاكم المنفرد بالإبداع، المتعالي عن سمة ما يدخل تحت تفكير
الأشخاص والأجناس والأنواع، ألقاصرة عن توهمه الخواطر والأفكار،
العاجزة حصوراً عن تصوّره الألباب والأبصار، الذي تفرّد بجلال الملكوتية
وعظم الجبروت، وتوحد بكمال القدسية ونزاهة اللاهوت.

وسلامه على وليه القائم بما أمر به من تحليل الشرع الشركية،
ونسخها وهدم قواعد النحل الأفكية، وفسخها الذي جعله بالحقيقة قاطعاً
لمضلات النواميس ونسخ الملل، ودامغاً بكشف التوحيد لأبالسة الأدوار
وأصحاب القبل. ورحمة المولى على حدوده المفاتيح بتأييده للمستغلقات،
ومصاييح الأولياء المحققين في ديجور الدجئات، المنقذين بجواهر حكمهم من
حنادس الظلمات، الواردة على النفوس عند غموم الطوفان وكيد دجاجة
الفترات، الموصلين الرحمة إلى المستجيبين على أيديهم في الآفاق والأقطار،
الصابرين على البأساء والضراء لتحقيقهم بالتسليم والصبر والانتظار.

أيها الشيخ الخير الفاضل والدين الراجح الكامل، إن المنن تتفاضل
بالمزايا، والمنح تترافع بالعطايا، ولا شيء أفضل من عطية التوحيد ولا منحة
أعظم من الدعوة به إلى التنزيه والتجريد. فهما يفيضان تظاهراً نعم الولي
وترادفها ويمتريان تواتر الآية وتضاعفها.

وقد أهلتك لإقامة دعوة التوحيد بجزيرة الشام الفوقا. وحدها من
الشجرتين إلى الأردن إلى ما ضامه من بلد الشراه مع بلاد عمان وأرض
البلقاء راجع إلى السواحل وكورها وجبالها، شامل لعرقة وجونها، إلى رفنية
وما ضامها مع حمص وأعمالها، آخذ إلى حماة وتدمر مع سلمية منبت
الزعفران، راجع فيما قبلها حاوي لدمشق وعمليها، مع بلاد البنية وهوران.

وانتخبك لأخذ الميثاق بها على من عرف قدر النعمة من جميع

الأنام. كما انتَجَبَنِي إليها، وَأَذِنَ لي في ذلك وليُّ الفَضْلِ والإِنعام، بأمر المولى إله البرية وحاكم الحكام.

فاسلُكُ فيما عَذِقَ^(١) بك، وأهَّلْتَ له من الدعوة الهادية سبيلَ أهلِ البصائر. وقم في هذا النبأ العظيم والخطب الجسيم كقيام أصحاب الجزائر الذين ورثهم الباري شَرَفَ المَقام بِسلامة القلوب ونقاء السرائر، وجعلهم في الادوار أكابر الحدود ورؤساء العشائر، بعزم في الطاعة قويٍّ وكَيِّدٍ وقوَّةٍ وافية في مرامها على التسديد. وقلْ قولاً مقرونًا بالسِّدْق والتوفيق والتَّوْحِيد، وفعلاً مزجوراً بالرجاحة والحلم والعلم والتَّوْطِيد، وقلِّباً مُسْتَشْعِراً لمقابلة أنوار الحقائق، متهيأً للفهم والتأييد كأفعال الجواهر النفسية، تُضَيءُ بما قابلها من لطائف الانوار، كما أنَّ النواظر تَكُلُّ بمقابلة ظلام الليل، ويُشْرِقُ ضياؤها بمقابلة ضوء النهار، وتُوطَّى للإخوان المُوَحِّدين، واخْفِضْ جناحك لجماعة المُسْتَجِيبِينَ. وليكن إيرادك وإصدارك توطيئةً ودعاءً ووسيلةً إلى وليِّ الدين في التوفيق وتضرعاً وسنداً.

واجعلُ مجالسَك مؤسَّسةً على التَّحْذِير والإنذار، ومبنيَّةً على اللُّطْف والعطف والموعظة والتذكُّار، ومحفوظةً بالتوفيق والتَّوْحِيد والتسديد والإقرار. ووَقِّرْ الأصاغر والاكابر من المُوَحِّدين الأبرار. واتلُ عليهم خصائص التَّوْحِيد بحقيقة الكشْف. وثبِّتْ عندهم معالم المعاد بِذَرِوِ الشُّبُهات والخلف. تحظى من الفضائل بما غرَسَتْهُ يداك، وتَجْتَنِي في يوم الجزاء ثمرةً مسعاك، وتُوفِّق في أولاك وأُخْرَاك.

فقد زودتكَ من فيضِ نِعَمِ وليِّ الأمر، وتأييدِ صاحب الزمان وقائم العصر، بما لا يَفِي بشرح معانيه، ولو كانت مدادُه زواجر البحور، وحُجَّةُ

(١) عَذِقَ به أي لصق به.

على الخلائق باقية مدا الأيام والدهور. فاجعل منارَه لقلبك أممًا، ومرءاةً للهداية بين يديك وعلمًا.

فالنجاة النجاة لأهل البصائر الموحدين، والمهواة المهواة لأهل اللدِ المُقصرين. وانصب في الجزيرة من الدعاة الاخيار، وأهل الفضل الموحدين الاطهار، ممن حسنت في الديانة بصيرته، وطابقت ظواهره سريره، وسبرت عقيدته ودينه، وتحققت صبره على محنة الدجال ويقينه. مهما قدرت عليه لتمام أحد عشر داعياً عدداً، ومن المأذونين ستّة ولا توجد لنفسك في نصيبهم رخصة ولا فندا. وأوصهم بمثل ما أوصيت، وأوتهم من الخير الذي أوتيت. واحذر الاستكثار ممن لا خير فيه. فأكثر الفتى من جهتهم تُفترع، وبسياستهم إلى ولي الدين الباطل يتقول ويبتدع.

فاستخر المولى الإله الحاكم البار، وتوسل إليه بوليّه الهادي إلى دار القرار، يكفيك معقبات أهل الخلاف ومكايد الفجار. واستشعر ما استشعروه الدعاة الموفيون المحققون، والابرار الموحدون الموقنون. إنهم من ولي أمرهم بمرءاة ومسمع مختبرون، وعمّا تكنه ضمائرهم والسرائر مسايلون. وارفع نفسك عن مخاطبة من مرد على النفاق، ورغب بنفسه عن كتب الميثاق، أو كتب على نفسه ثم رجع تأسياً بالخونة الفساق.

ومن ألج عليك بمخاطبته، وألظ منهم في طلبته ومسايلته، فقابله بحقائق التوحيد، وأمط باطله بقواطع التنزيه والتجريد. فالانوار إذا قابلت غير شكلها، واخترصها من لم يكن من جنسها وأهلها، دحضت بمبهرها سرايه، وأحرقت بأشعتها بخاره وضبابه.

واعلم بأن السدق مثل لولي الدين، وهو لأوليائه محجة ومنجاة. والكذب ممثل للعين، وهو لاتباعه مضلة ومهواة. فازجر عنه من لاد بك من الاولاد والإخوان، وعظمهم فيه بمواعظ أهل الفضل والإيقان. وما

التبسَ عليك من دقائق التوحيد، وعتتكَ بالأضرار إليه بعضُ أهلِ الغيِّ
 والتلحيد. فاخلُصْ فيه النيةَ والتضرّعْ لمولى الأنام، واستهدي بهدى وليِّه
 الهادي الإمام، يصفُ فكرَكَ لاستنارة المبهمات، ويتصوّرُ بصفاء جوهرِكَ
 عند الاخلاص حقائق الإلهيات. وطالعني بمهماتك على أيدي الموحدين
 الثقات، لأردَّ ما رددته إلى مَنْ أمرتُ بالردِّ إليه لإيضاح الموهمات.

وألجَّ في جميع أمورِكَ إلى المولى الإله الحاكم القهار، وتوسَّلْ بوليِّه
 الإمام المنتقم من الفراعنة الكفار، الرافع رايةَ الكشفِ على كلِّ علمٍ ومنار،
 يكفيكَ ما تتوقَّاهُ من كلِّ مَهْمٍّ ومُعْضَلٍ، ويعصِمُكَ بإخلاص النيةِ وحُسنِ
 العقيدة من كلِّ غرورٍ موبقٍ مؤجِّلٍ. فتفهمُ وصيَّتي إياكَ، ولا تبعِ آخرتَكَ
 بدنياك. فعليك حَفِيظٌ يسمعُ قولكَ ويراك. فاحمدِ المولى جلَّ ذكرُهُ على جَزِيلِ
 مواهبه. واشكرْ نعمةَ وليِّه مولاي ومولاكَ.

وكتَبَ في غرَّةِ جمادى الآخرةِ من سنينِ قائم الزمان العاشرة.
 والحمدُ لمولانا الحاكم وحدهُ والشكرُ لوليِّه الهادي عبده.

تمَّ التقليدُ بحولِ المولى وقوَّته.

القاعدين، واختارهم على علم على العالمين. وتوق، فيما يورد ويصدر ويقدم ويؤخر، مكاييد الناكثين وزخارييف المموهين، وتلبيس أقاويل المرتدين المزخرفين، أوغاد الأنام وأولاد الحرام أشياع الجهالة والمروق، وأبناء ما سؤلت لهم نفوسهم من الضلالة والعقوق. فذرهم يخوضون ويلعبون حتى يلاقوا يومهم الذي كانوا به يوعدون. واعلم أن عليك حفيظاً في لحظك ولفظك، ورفيقاً في إبرامك وتفرضك. وهو مثبت في قسم ولي الحق المسطور المجيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد. واجعل لسانك بقول الحق إلى التوحيد هادياً ودليلاً، وعلى الجاحدين حساماً حديداً صقيلاً، تقضب قناة اللسن المترجم، وتكيد به قلب الدعى اللكن المجمع.

فتول، أرشدك الباري، ما أوليتك به من الدعوة إلى التوحيد. وادع إلى سبيل ربك بواضح التنزيه والتجريد. ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى التوحيد والدين، وعمل صالحاً، وحقق عند أهل الحق أنه من المسلمين، واخفص جناحك أيها الأخ لجماعة إخواني وإخوانك الموحدين، واكنفهم من أنالك وسياستك بما ترجوه من ثواب قائم الحق فهو أسرع المحاسبين. ونزلهم عندك على قدر رغبتهم وصحة نياتهم، وحرصهم في طلب معلوم الحق وسدق دياناتهم.

واصرف ذهنك إلى تنبيه البنات الموحّدات، واحثنهن على حفظ الحكمة. فانت مطالب بهن. وهن بتخلفهن عن حفظ الحكمة مطالبات. واجعل لنفسك بالبيضاء من أهل الوفاء والأمانة والرغبة والديانة ممن حسن في التوحيد مذهباً، وبعد فيه شأوه ومطلبه، مأذونين زكيين سادقين: الشيخ خير أبا محمد والحسين ابن قاسم مضافين، ليكونا لك في الخدمة مساعدين، وعلى تربية الإخوان والأخوات معاضدين، ولمخاطبة من وجداه طالباً وفي دار الهجرة إلى التوحيد مهيمناً راغباً.

تَقْدِيرُ الشَّيْخِ أَبِي الْكِتَابِ

سَمِيَ بِأَبِي الْكِتَابِ لِأَنَّهُ كَانَ يَتَوَلَّى الْوَفَاءَ عَدِيدَةً. قَلَّدَهُ مَوْلَاهُ بِالْبَيْضَاءِ، وَهِيَ الْكُدْيَةُ الْبَيْضَاءُ (انظر رسالة رقم ٢٣)، وَجَمِيعَ بِلْدَانِ الصَّعِيدِ. فَلَمَّا وَصَلَ التَّقْلِيدُ إِلَيْهِ اسْتَعْجَزَ نَفْسَهُ عَنْ هَذَا الْحَمْلِ الْخَطِيرِ، وَرَأَى نَفْسَهُ مَظْلُومًا. فَحِينَئِذٍ عَزَمَ عَلَى الرَّحِيلِ لِبِلَادِ الشَّامِ، لِيَخْلُصَ مِنْ هَذَا الْعَبْءِ الْخَطِيرِ وَيَسْتَرِيحَ. فَلَمَّا وَصَلَ انْزَعَا جُهِ إِلَى مَوْلَاهُ أَرْسَلَ لَهُ مَوْلَاهُ «الْمَكَاتِبَةُ» (وهي الرسالة رقم ٨٩)، وَقَالَ لَهُ فِيهَا: «إِنْ أَرَدْتَ الْإِنْفَسَاحَ وَرَاحَةَ الْقَلْبِ فَعَلَيْكَ بِبِلَادِ الشَّامِ». فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ «الْمَكَاتِبَةُ»، وَفَهِمَ الْوَعْظَ فِيهَا وَالْمَعَاتِبَةَ، رَجَعَ عَنْ عَزْمِهِ وَرَفَضِهِ، وَجَعَلَ لِنَفْسِهِ مَأْذُونَيْنِ زَكِيَيْنِ. وَبَدَأَ نَشَاطُهُ مِنْ جَدِيدٍ (راجع الدرر المضيئة).

تَوَكَّلْتُ عَلَى مَوْلَانَا الْحَاكِمِ وَحْدَهُ، الْمُنْجِزَ لِعَبْدِهِ وَعَدَهُ، بِالْبَيْضَاءِ وَجَمِيعِ بِلْدَانِ الصَّعِيدِ مِنْ نَشْرِ دَعْوَةِ الْحَقِّ وَأَخْذِ الْمِيثَاقِ. وَانْتَدَبْتُكَ لِلْقِيَامِ بِهِ مِنْ سَيَارَةِ مَا أَمَكَّنَكَ التَّقَرُّدَ إِلَيْهِ بِتَحْقِيقِ الْإِطْلَاقِ، وَبَثُّ دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ إِلَى مَنْ رَضِيَ وَادَّعَى مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ، وَانْتَجَبْتُكَ لَهُ مِنْ خِدْمَةِ الدِّينِ كَمَا انْتَجَبَنِي إِلَيْهَا، وَأَذِنَ لِي فِي ذَلِكَ قَائِمُ الْحَقِّ، وَبِيعَةُ التَّوْحِيدِ وَالسِّدْقِ، بِأَمْرِ الْمَوْلَى إِلَهُ الْأَنَامِ وَمُبْدِعِ الْخَلْقِ.

فَاسْلُكْ فِيمَا عُدِّقْتَ بِهِ وَأَهْلَتْ لَهُ سَبِيلَ أَهْلِ الْبَصَائِرِ الْعَارِفِينَ، لِيَنْتَجِزَ وَعْدُ قَائِمِ الْحَقِّ لِلْأَطْهَارِ الْمُجَاهِدِينَ. فَقَدْ فَضَّلَهُمُ الْبَارِي عَلَى الْمُبْطِلِينَ

واجتنَبِ الاستكْثَارَ من أَهْلِ الْفُطُفِ وَالْوَهَنِ وَالْفَشَلِ، وَالْمِيلِ إِلَى مُسْتَحْسَنِي الْخَبِّ وَالِدَّغْلِ. فَهَمَا أُسَاسُ الْعَيْثِ وَالْفَسَادِ. وَبِجَرَائِهِمْ تُخْبِتُ النِّيَّاتُ بِالْخُلْفِ وَالْعِنَادِ، الْمُورِثُ لِنُقْصَانِ الْمَنَازِلِ وَتَغْيِيرِ الصُّورِ فِي يَوْمِ الْجَزَاءِ وَالْمَعَادِ. وَمَا أَمَكَّنَكَ مِنْ هَذِهِ مَبَانِي الْمَشْرُوعَاتِ، وَتَحْلِيلِ أَرْكَانِ قَوَاعِدِ الْمُبْدَعَاتِ، وَإِمَاطَةِ هَذِهِ الْعِلَلِ الْخَبِيْثَةِ عَنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالطَّاعَاتِ. فَانْفُذْ فِيهِ سِهَامَكَ وَنَبْلَكَ، وَجِدْ فِيهِ جُدُودَ الشَّيْخِ الْمُخْتَارِ الثِّقَةِ مِنْ أَهْلِ الزُّهْرَةِ الطَّاهِرَةِ قَبْلَكَ.

وَتَأَدَّبْ بِأَدَابِ الدُّعَاةِ الْبَالِغِينَ الْأَوْحَادِ، النَّاجِيِينَ مِنْ عِلَلٍ مَا اجْتَرَحَتْهُ نَوَامِيسُ الْأَبَالَسَةِ بِتَحْقِيقِ الْإِنْتِقَادِ. وَاجْعَلْ لِسَانَكَ بِقَوْلِ الْحَقِّ رَطْبًا، وَجَاشَكَ وَجَانِبَكَ لِمَنْ تَدْعُوهُ سَهْلًا رَحْبًا، وَاخْفِضْ لِكَاغَةِ الْمُوَحِّدِينَ وَالْمُؤَحِّدَاتِ بِالرَّحْمَةِ وَالنِّعْمَةِ جَنَاحًا. وَأَوْضِحْ لِلْمُتَمَيِّزِينَ التَّوْحِيدَ، وَاقْبِضْ عَلَى الْمُكْذِبِينَ أَكْفًا شَحَاحًا.

فَهَذِهِ وَصِيَّاتِي إِلَيْكَ، فَاجْعَلْهَا أَيُّهَا الْأَخُ لِقَلْبِكَ أَمَمًا وَشِعَارًا، وَلِجَسَدِكَ وَقَاءً مِنَ الْأَلَمِ وَدِثَارًا، تُحَفِّظُكَ مِنَ الْبَارِي بِعَيْنِ رِعَايَتِهِ، وَتُوفِّقُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ بِمَوَادِّ وَلِيَّةٍ وَتَأْيِيدِهِ وَهَدَايَتِهِ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ وَلِيِّهِ جَارِيَةٌ إِلَيْكَ. وَالْحَمْدُ لِمَوْلَانَا وَحْدَهُ الْحَاكِمِ الْمُنْفَرِدِ عَنِ التَّحْدِيدِ. وَالشُّكْرُ لَوْلِيِّهِ الْهَادِي إِلَى دِينِ التَّوْحِيدِ.

تَمَّ التَّقْلِيدُ بِمِنَّةٍ وَلِيٍّ الْأَمْرِ.

تَقْدِيرُ الْأَمِيرِ فِي الْحَمَامِ

كَفِيلِ الْمُوحِدِينَ أَبِي الْفَوَارِسِ

مَعْضَادِ ابْنِ يُوسُفَ السَّاكِنِ بِفُلْجِينَ.

«معضاد هذا أصله من البيرة، من بلاد الغرب، كان ساكنًا بفُلْجِينَ، وكنيته أبو الفوارس. كان من الأبطال أهل العزائم. وهو الذي قتل الكفرة المتمردين أعداء الدين، عندما كانوا مجتمعين بوادي التَّيْم عند أبي جمعة اللعين. وقصة ذلك أن الأمير معضاد، عندما وصل إلى عين بكيفا، التقى بصالحة بنت أبي جمعة، رضي الله عنها، تملأ من العين، فسألها عن الكفرة أين هم. فأخبرته أنهم عند أبيها. ثم سألها السر. وأعطت له الميعاد أنه متى ناموا تلوح له بالمصباح. وراح الأمير معضاد يكمُن في الملول، بالقرب من مكان اجتماعهم. فلما لوحَّت بالمصباح، هَجَمُوا عليهم كالاشبال، وذبحوهم كما تُذبح الجزر والغنم جزاءً لأفعالهم. ولم ينجُ منهم سوى سَكِين الطريد» (من الدرر المضية). إِنَّ أبا الفوارس هذا كان داعيًا تحت الدَّاعِي سَكِين. أسلوب هذا التقليد كآسلوب ما سبق من تقاليد. وهو من وضع بهاء الدين المقتني.

تَوَكَّلْتُ عَلَى الْمَوْلَى إِلَهِهِ الْحَاكِمِ الْمُتَعَالِي عَنِ الْمُوهَمَاتِ، وَأُنْزَهَ عَنِ التَّحْدِيدِ وَالنَّعْتِ وَالصِّفَاتِ. مِنَ الْعَبْدِ الطَّائِعِ الْخَاضِعِ، رَابِعِ الْأَعْدَادِ، وَمَمْلُوكِ الْإِمَامِ الْقَائِمِ الْهَادِ، إِلَى ذِي الْحَمَامِدِ كَفِيلِ الْمُوحِدِينَ الْأَمِيرِ ابْنِ يُوسُفَ أَبِي

الفوارس مِعْضَاد. عَصَمَكَ الْبَارِي فِيمَا أَنْعَمَ بِهِ وَلِيُّهُ عَلَيْكَ مِنْ إِقَامَةِ مَعَالِمِ دِينِهِ وَتَوْحِيدِهِ. وَأَيَّدَكَ بِتَأْيِيدٍ وَلِيَّهِ لَتَنْزِيهِهِ وَتَجْرِيدِهِ. وَجَعَلَكَ لآيَاتِ الْقِيَامَةِ وَشُرُوطِهَا مُحَقَّقًا مَبْرَهِنًا، وَعَلَى مَنْ بَسَا حَتَكَ مِنْ حِزْبِ النِّجَاةِ حَافِظًا مُهَيِّمًا.

أَمَّا بَعْدُ، فَالْحَمْدُ وَالْمَجْدُ وَالْعِظْمَةُ لِلْمَوْلَى إِلَهِ الْهَآكِمِ الْقُدُّوسِ، الْمُتَعَالِي عَنْ خَطَرَاتِ الْعُقُولِ وَالنَّفُوسِ، الَّذِي جَعَلَ عَزَائِمَ تَوْحِيدِهِ مُقْلَدَاتٍ فِي الْأَعْنَاقِ، وَأَوْجَدَ ذَاتَهُ لِلْعَوَالِمِ حَاجَاً بِمَحْضِ التَّحْقِيقِ وَالْإِطْلَاقِ، وَنَفْيَاً لِعَوَالِمِ الْعَدَمِ بِمُبْرَهَنَاتِ الْوُجُودِ، وَإِضَاحَاً لِلْمِحْجَةِ بِقَائِمِ الْحَقِّ الْوَلِيِّ الدَّالِّ عَلَى حَقِيقَةِ الْمَعْبُودِ، الْمُنْهَجُ لَطَرِيقِ السَّلَامِ وَالرُّشْدِ، وَالْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَاعْتَقَدَتْ، وَالْفَرْدُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ كَفْوًا أَحَدٌ. الْمُحَلَّلُ لِمَعَاقِدِ نَوَامِيسِ الْإِبَالَسَةِ الْمُفْتَرَعَةِ، وَالْهَادِمُ لِقَوَاعِدِ شَرْعِهِمِ الْمَكْذُوبَةِ الْمُخْتَرَعَةِ.

فَانْظُرْ يَا ذَا الْمَحَامِدِ إِلَى هَذِهِ الْحَكَمِ بَعَيْنِ الْيَقِينِ. وَأُورِدَ وَأُصْدِرُ فِي مَارِبِكَ عَنْ أَمْرِ الشَّيْخِ الْمُتَرْضَى صَفْوَةِ الْمُوَحِّدِينَ، وَأَنْحِ نَحْوَهُ فِي الْجَهْرِ وَالسَّرِيرَةِ، وَأَنْخُ فِي مَهْمَاتِكَ بِسَاحَتِهِ فَهُوَ الضَّامِنُ لِعِمَارَةِ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ. وَمَتَى أُرِدْتَ مَوَاصِلَتَنَا بِرَسُولٍ فَأَنْتَ بَعْدَ مَشُورَتِهِ وَإِطْلَاعِهِ مَسَامَحٌ بِهِ فَقَدِّمُ الْخَيْرِ، وَتَفَقَّدُ بِالسَّلَامِ مِنْ تَقَدُّمِكَ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ وَقَعَدَ عَنْهُ مِنْ رُؤَسَاءِ الْعَشِيرَةِ.

وَاصْرَفْ فِكْرَكَ إِلَى الشُّيُوخِ السَّادَةِ الدِّيَّانِينَ، أَعْنِي الْأَصْفِيَاءَ الطَّهَرَةَ أَهْلَ فَلَجِينَ، وَمَنْ بَعَيْنِ صَوْفَرٍ، وَالْمَرْجُ، وَعَيْنِ عَارٍ، وَمَنْ ضَامَّهُمْ وَنَحَا نَحْوَهُمْ مِنْ مُجَاوِرِينَهِمُ الْمُحَقِّقِينَ، أَشْبَاهِ أَهْلِ الْبِيرَةِ الْأَوْحَادِ الْمُجَاهِدِينَ. فَقَدْ بَيَّنَّ لَدَى رَفِيعِ مَنَازِلِهِمْ رَبِّي الْحَقَائِقَ الْكُوكِبُ السَّيَّارِ، وَشَرَحَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّسْلِيمِ وَالتَّوْحِيدِ وَالْإِقْرَارِ. فَقَرَّرَ عِنْدَ كَافَّتِهِمْ شُكْرِي لَهُمْ وَثَنًا، وَتَضَرَّعِي إِلَى الْبَارِي فِي تَوْفِيقِهِمْ وَدَعَايَ.

وانصَبُ في كُلِّ مَوْضِعٍ من هذه المواضع مِمَّنْ حَسُنَتْ طَرِيقَتُهُ
وَدِينُهُ. وَصَحَّ عِنْدَكَ ثِقَتُهُ وَتَسْلِيمُهُ وَيَقِينُهُ، مَاذُونًا يَقْرَأُ مَا تَنْسَخُهُ مِنَ النِّعْمَةِ
عَلَى الْإِخْوَانِ وَالْأَخَوَاتِ، بَعْدَ نَسْخِكَ مِنْ جِهَةِ الشَّيْخِ الْمُتَرْضِي مَا أَوْقَفَكَ عَلَيْهِ
مِنَ الرِّسَالِ وَالسَّجَلَاتِ .

وَأَمَّا الشَّيْخُ الثِّقَةُ فِي دِينِهِ وَمَذْهَبِهِ، أَعْنِي أَبَا الْقَاسِمِ ابْنَ مَنْصُورِ هَبَّةٍ،
فَزَدَهُ عَلَى مَنْزِلَتِهِ، وَاعْرِفْ حَقَّهُ لِسِدِّقِهِ وَوُفَاائِهِ، وَتَحْقِيقَهُ فَضْلَ الزِّيَادَةِ
وَعَنَائِهِ، لِيَكُونَ خَصِيصًا بِنَجْوَاكَ وَسَرِيرَتِكَ، وَبَاسِطًا قَابِضًا نَازِرًا بَعِينَ
بَصِيرَتِكَ.

وَأَمَّا الْأَمِيرَانِ الْمُؤَقَّفَانِ أَبُو الْحَسَنِ وَأَبُو الْعَزِّ أَبْنَاءُ الْخَضِرِ الْمُسَدَّدَانِ،
فَثَبَّتْ عِنْدَهُمَا عَنِّي مَا التَّحَفَا بِهِ فِي الدِّينِ مِنَ الْعَزِّ وَالْفَخَارِ، وَبَشَّرَهُمَا بِمَا
اِقْتَضِيَاهُ بَعْلَمَهُمَا مِنْ مَنَازِلِ الْمُوَحِّدِينَ الْأَطْهَارِ، لَتَتَرَادَفَ النِّعَمُ عَلَيْهِمَا بِكَمَالِ
الْبَصَائِرِ، وَتَتَضَاعَفَ لَدَيْهِمَا بِمَحَامِدِكَ كِرَائِمُ الْمَوَاهِبِ وَنَفَائِسُ الذِّخَائِرِ.

وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ تَأَسَّسَ بِسِمَةِ الدِّينِ مِنَ الْإِخْوَانِ وَالْأَخَوَاتِ، أَعْنِي
الْمُوَحِّدِينَ الْمُخْلِصِينَ وَالْمُؤَحِّدَاتِ. وَكُنْ لَهُمْ سُنْدًا وَعِضْدًا فِي الْمَارِبِ وَالْمِهْمَاتِ.
فَهُمْ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ أَوْلَادُكَ وَإِخْوَانُكَ، وَمُسَاهِمُونَكَ فِي السَّرَائِ وَالضَّرَائِ
وَأَعْوَانُكَ. فَارْتَفِعْ بِظِلِّكَ وَجَنَاحِكَ وَلِيَكُنْ حِفْظُكَ مَنُوطًا بِهِمْ وَصَلَاحُهُمْ
مَعْدُوقًا بِسَلَامَتِكَ وَصَلَاحِكَ. وَاتْلُ عَلَيْهِمْ مِنَ التَّوْحِيدِ خِصَائِصَهُ وَمَعَانِيَهُ.
وَشَافَهُمْ بِزَوَاجِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَاحْضِضْهُمْ عَلَى حِفْظِ إِخْوَانِ الدِّينِ، وَأَيِّقْهُمْ
لِمُسَاهِمَةِ الْمُوَحِّدِينَ الْمُخْلِصِينَ، وَاعْرِفْ مَرَاتِبَ أَهْلِ الْإِيْقَانِ وَالْمَوَاسَاةِ، وَمَنَازِلَ
أَهْلِ التَّقْصِيرِ فِي الْمَسَاوَاهِ، لِيَتَمَيَّزَ مَنْ بِسَاحَتِكَ بِالْمَعَانِيِ وَالسَّمَاتِ، وَيُعْرِفُوا
فِي مَسَاعِيهِمْ بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

فَقَدْ بُعْثِرَتِ الْقُبُورُ، وَأَنَّ الْبُعْثَ وَالنَّشُورَ، وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ الْوَلِيِّ
لِجَمِيعِ الْخَلْقِ، وَفُلِجَتْ حَجَّةُ الْإِمَامِ الْقَائِمِ لِإِعْزَازِ دِينِ الْحَقِّ. وَقَدْ أَعْدَرَ النَّذِيرَ،

وَنَصَحَ السَّادِقُ الْبَشِيرَ. وَأَنَا مَوْعِظُكَ فَعِظُهُمْ، وَمُنْبَهُكَ فَأَيِّقُظُهُمْ. فَاجْعَلْ هَذِهِ
الْوَصِيَّةَ لِبَصِيرَتِكَ مَرءَاءَ وَسْرَاجَا، وَإِلَى نَيْلِ الْمَعَالِي سَبِيلاً وَمِعْرَاجاً. فَهَذَا
الْقَوْلُ لَكَ وَلِلْكَافَّةِ مَقُولٌ، وَالْكَلُّ مِنْكُمْ عَنْهُ فِي غَدٍ مُسْتَوَلٌ.

فَانْظُرْ مَوَاضِعَ النَّصْحِ تُحْفَظُ مِنَ الْبَارِي بِعَيْنِ رِعَايَتِهِ، وَالْحِظُّ مَعَانِي
الْحَقِّ تُلْحَظُ مِنْهُ بِنَظَرِهِ وَكِفَايَتِهِ.

وَأَنَا أَسْتَوْدِعُكَ لِلْحَفِيزِ الْحَاكِمِ الْعَالِمِ. وَأَتَوَسَّلُ فِي نَجَاتِكَ وَنَجَاتِهِمْ
إِلَى مَنْ أَنَا عَبْدُهُ، صَاحِبُ الْعَرَضِ الْإِمَامِ الْقَائِمِ.

وَالْمَوْلَى حَسْبِي وَنَعَمَ النَّصِيرُ الْمَعِينُ.

تَمَّ تَقْلِيدُ الشَّيْخِ مِعْضَادٍ، وَالْحَمْدُ لِمَوْلَانَا الْحَاكِمِ وَحْدَهُ، وَالشُّكْرُ
لِلْإِمَامِ الْقَائِمِ الْهَادِي عَبْدِهِ.

تقليد بني جراح

بنو الجراح «من سادات العرب، كان لهم مكانة كبيرة في الشام وفلسطين، وبخاصة بالرملة ونواحيها. قاموا على الحاكم في بداية حكمه، وقتلوا حاكمه في الرملة، واستدعوا مكانه أمير الحرمين، الحسين بن جعفر بن محمد الحسني، الذي يرجع بنسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، ونادوا به خليفة بدل الحاكم، باسم أمير المؤمنين الراشد لدين الله، (خطط المقرئ ٢٥٥/٣). بيد أن الحاكم، لما رأى شدة بأسهم راح يستميلهم إليه، فلبوا نداءه. وها هو بهاء الدين يختار منهم أميرين هما: جابر وزمّاح ولدي مفرج، ويقلدهما دين التوحيد، ويقيمهما داعيين للدعوة. أسلوب هذا التقليد كسابقه؛ لكنّه أكثر عنفاً على المرتدين، وأشدّ هولاً في وصف أحوال اليوم الأخير ومصرع الأبالسة فيه.

توكّلتُ على المولى الحاكم المنزّه عن الصفة والحدّ، وتوسّلتُ إليه بوليّ قائم الدين السادق بالوعد. من العبد المُقتني النّاصح لجميع الأنام، الخاضع لطاعة مالكة أصغر عبيد القائم الهادي الإمام. إلى الأميرين السيّدين الثّقّتين الدّينيين، عماد الدولة وعميدها، وموفّقها ورشيدها، أعني جابر سليل الطّهارة وسعيدها، وزمّاح ولدي مفرّج عليل الحقائق ومفيدها.

السلامُ عليكما، وعلى أهل الدين قبلكما، المُتَحَقِّقِينَ بِمِيَامِنِ
الباري وسُعودِهِ، المرتَقِينَ لِرُفْعِ رَايَاتِهِ ونَشْرِ بَنُودِهِ، وِصلواتُ
الوليِّ تَنُورُ على موازين قِسْطِهِ السَّادِقِينَ الأَشْهَادَ، ومُقِيمِينَ الحُجَجَ على
العِوَالِمِ بما صَدَرَ عَنْهُمْ عن تَأْيِيدِ الوَلِيِّ على أَيْدِي الطَّهْرَةِ في أَقْطَارِ
الأَرْضِ وَأَفْاقِ البِلَادِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَالْحَمْدُ لِلْمَوْلَى الْحَاكِمِ الْمُنْزَلِ بِأَمْرِهِ لُوجِدَاتِ الْأَزَلِ،
الْمُنْزَهَ عَنْ عِبَادَةِ الْعَالِ وَعَنْ عِلَّةِ الْعِلَلِ، الَّذِي أَبْدَعَهُ حِجَابًا لِلْعِوَالِمِ وَسَبَبًا
لِنَسْخِ الشَّرْعِ وَتَغْيِيرِ الْقَبْلِ. فَاعْلَمُوا أَيُّهَا الدِّينَانِ أَنَّهُ قَدْ تَقَارَبَتِ الْأَبْعَادُ
وَتَضَايَقَتِ الْخُطُوطُ، وَأَظْلَمَتِ أَقْمَارُ الدَّجَاغِلَةِ^(١)، وَأَنَّ لِنَجُومِهِمِ الْإِنْتِثَارُ
وَالسَّقُوطُ. وَالْأُمَمُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا هُمْ فِيهِ إِلَّا مَنْ اعْتَصَمَ بِالْوَلِيِّ وَبِقَايَا
الْخَلْقِ فَوْظُ^(٢) مُهْمَلُونَ، وَعَنِ الطَّرِيقِ الْقَاصِدِ تَائِهُونَ نَكِبُونَ. وَلِلدَّلِيلِ
النَّاصِحِ جَا حِدُونَ مُنْكَرُونَ. قَدْ عَمِيَتْ أَبْصَارُهُمْ لَغْلَبَةِ ظِلَامِ الْفِتْرَةِ،
وَضَلَّتْ أَحْلَامُهُمْ عَنِ الطَّلَبِ لِدَوْحَةِ الْفَرَجِ وَمَحَلِّ الْقُدْرَةِ.

أَيُّهَا السَّيِّدَانِ، فَاصْبِرَا لاسْتِمَاعِ الْحِكْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَتَعَاوَنَا عَلَى
بَيْتِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ، وَتَجَشُّمًا لِلسَّيْرِ مِنْ أَعْنَا مَرَارَةِ الصَّبْرِ، لِنَتَّقِيَا
مَنَازِلَ أَهْلِ الشَّرَفِ وَالْفَخْرِ. فَلَكُمَا مَرَاتِبُ قَدْ سَلَقْتُ بِالشَّرَفِ وَالْإِحْمَادِ،
وَمَنَاقِبُ قَدْ تَعَالَتْ عَلَى الْأَشْكَالِ وَالْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ. فَاحْفَظَا مَعَاقِدَ شَرَفِ
هَذِهِ النِّعْمَةِ أَيُّهَا الدِّينَانِ، وَلَا تَتَّكِسَيَا بِأَحَدٍ مِنْ رِيسَا الْعَرَبِ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ
لِتَتَّمِيزَا بِبَيْتِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ عَنِ الْأَضْرَابِ وَالْأَقْرَانِ، وَاضْرِبَا صَفْحًا عَنْ
رَأْيِ ابْنِ الْجَبَلِيِّ الْخَائِبِ سَلِيمَانَ، وَحُثَّا بِحُدُودِ الدِّينِ سِيرَ الرِّكَابِ،

(١) أقمار الدجاجة هم، في مفهوم بهاء الدين، أسس النطقاء. وهنا إشارة إلى علي بن

أبي طالب والائمة أحفاده. وواحد منهم نودي به خليفة...

(٢) فوظ من فعل فاظ ومعناه أمارت. ففوظ تعني موتى.

وأفيضاً من حيث أفاض المحقّقون بمعارف الحدود والأبواب، واستدركا بالطلب أيام المهلّ وزمان الارتياض. ولا ترضياً لأنفسكما بعد الإحاطة بمعالِم الشرفِ بمنازل أهل التقصير والانخفاض.

فقد تَقَضَّتْ من المهلّ أعوامُهُ ودهورُهُ، وطلعَ نجمُ الكور في أفقِ سمائه وزهر نورُهُ. وعن قليل تنهدمُ مباني الباطل ويتجلّجُ الخصمُون، ويفتضحُ من صدَفَ عن الحق الشّاكون والمختلفون. ويتميّزُ بمُقَدِّمات التّسديق عن الكذبة الطّائعون والسابقون. فتتقظا، فقد آنَ لنفوس الأمم النشورُ والانبعاث، ولأصول الباطل ومفرّعيه الاستئصال والاجتثاث، وقد أرحلت عيسُ الدّين، وحدا بها الحادي، وأسرجتُ خيلُ الأعراف، ودعا داعي الحقائق، وأعلنَ بالصوتِ السّادقِ المنادي، وتشعّشتِ الأنوار بقُدُسِ الحق لظهورِ الإمام القائم الهادي^(٣).

والخلقُ لِلدّهِمِ عن الحقّ يتهافتون في طَخَا^(٤) ظلمِ الجهالة، ولعنودِهِم عن السّدقِ يتورّطون في حنّادِس قُتِمِ الضلالة. قد أخلدَتْهُمُ الأفعالُ الخبيثة لعبادة العجلِ والجاموس^(٥)، وقَعَدَتْ بِهِم عن اللّحاقِ بالسّابقين عللُ الأفكار وأمراضُ النفوس. فهم في غياهبِ ظلمِ الفِترَةِ تائهون مُتحيرون، وعن أشراطِ القيامةِ وأهوالها ساهون مُبلسون. وهُمُ الغايبةُ عقولُهُم والأفهام، الحاضرةُ خباثتُ عقائدِهِم والأجسام،

(٣) «طلع نجم الكور» هو حمزة عندما يأتي في آخر الزمان ليدين الملوك وجميع الشعوب. «تنهدم مباني الباطل» وأهمها «البيت العتيق»، «مكة مقطرة الكفر»، و«مقيل الالباسة والشیاطین». أمّا «عيس الدين» و«خيل الأعراف» فهم الموحّدون أتباع حمزة وحدهم. ويصبحون سادة الامم.

(٤) طخا الليل، أي: اظلم.

(٥) العجل والجاموس كناية عن محمد وعليّ بن أبي طالب.

الذين مَرَحَتْ بِهِمْ خَيْلُ الْجَهْلِ، وَالْهَتُّهُمْ عَنِ الْحَقِّ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ
وَالْأَزْلَامِ.

فِيهَا أَيْهَا الدِّينَانِ تَيَقُّظًا لِمُعْظَمِ مَوَارِدِ الْحِكْمَةِ. وَقِيْدًا مَا طَرَقَكُمَا
مِنْ أَنْعَامِ وَلِيِّ الزَّمَانِ بِالدَّوَامِ عَلَى قَرْعِ بَابِ الرَّحْمَةِ. فَقَدْ ابْتَدَاكُمَا
بِالْفَضْلِ مَنْ لَا يَسْأَلُكُمَا عَلَيْهِ أَجْرًا وَلَا ثَوَابًا. وَإِنَّمَا الطَّاعَةُ أَوْجَبُ بِهِ
الْحُجَّةُ عَلَى جَمِيعِكُمَا لَوْلِي الدِّينِ تَحْقِيقًا وَاجِبًا.

أَيْهَا الدِّينَانِ قَدْ أَعْذَرَ النَّصِيحُ فِي الْإِرْشَادِ وَالتَّعْيِينِ. وَمَا عَلَى
الرَّسُولِ السَّادِقِ سِوَى الْبَلَاغِ وَالتَّبَيُّنِ.

وَالْحَمْدُ لِمَنْ التَّنْزِيَهُ لَهُ مِنْ حَيْثُ الْعَوَالِمِ أَشْرَاكَ وَتَحْدِيدِ. وَالْعَجْزُ
عَنِ الْإِشَارَةِ إِلَى كُنْهِهِ مَعْلُومِهِ تَسْبِيحٌ وَتَمْجِيدٌ. وَلِلْوَلِيِّ الشُّكْرُ، فَهُوَ
مِيزَانُ الْقِسْطِ الَّذِي بِهِ ظَهَرَ فِي النَّاسِ الْوَعِيدُ. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا وَعَلَى
مَنْ بَحُوزَتَكُمَا مِنَ الْأَطْهَارِ الْمُوَحِّدِينَ.

حَسْبِي ثِقَتِي بِقَائِمِ الدِّينِ، الْمُنْتَقِمِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُرْتَدِّينَ
وَالنَّاكِثِينَ، بِسَيْفِ الْمَوْلَى الْحَاكِمِ إِلَهِ الْعَالَمِينَ.

تَمَّتْ وَلِوَلِيِّهَا الطَّاعَةُ

٥.

الرَّسَالَةُ الْخُصُومَةُ بِالْجُمَهِيرِيَّةِ

كتبها بهاء الدين لجماعة آل تنوخ الساكنة في وادي التَّيْم وجبل لبنان، وذلك سنة ٤١٩ هـ والْجُمَهِيرِيَّة نسبة إلى «جمهور»، وهو فخذ من تنوخ. منهم أمراء غرب بيروت. والمشهور أنَّ الأمراء الثلاثة الذين لهم الدائرة (التي تراها أمامك) كانوا من البيرة، أعني بيرة الغرب (من الدرر المضية). أسلوب الرسالة الغارزُ وأمثال، تعمده بهاء الدين لكثرة طعنه بـ «أهل الغي والعناد» أعدائه.

تَوَكَّلْتُ عَلَى مَوْلَانَا الْبَارِ الْعَلَامِ، وَشَكَرْتُ عَبْدَهُ الْهَادِي الْإِمَامَ. مِنَ الْعَبْدِ بِهَاءِ الدِّينِ، وَلِسَانِ الْمُؤْمِنِينَ، وَسِنْدِ الْمُوَحِّدِينَ، الْمُقْتَنِي الْخَاضِعِ وَالْجَنَاحِ الْأَيْسَرِ الْحَدِّ الْآخِرِ الْأَصْغَرِ الرَّابِعِ. إِلَى الْأَمْرَاءِ السَّادَةِ آلِ تَنُوحِ الْأَصْفِيَاءِ الْمُحَقِّقِينَ، الدَّعَاةِ الشَّيُوخِ الْقَاضِيِينَ لَدِيُونِ الشَّهْدَاءِ السَّادَةِ الْمُتَحَنِّينَ، الْأَخْذِينَ بِثَأْرِ سَلَفِهِمُ الدَّعَاةِ إِلَى التَّوْحِيدِ السَّادِقِينَ، وَمَنْ بَحُوزَتِهِمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ الطَّهْرَةِ الْمُوَحِّدِينَ. أَلْسَلَامٌ عَلَى مَنْ وَفَّقَ التَّسْلِيمَ لِإِمَامِهِ الْهَادِي وَلِيِّ الزَّمَانِ، وَكَشَفَ عَنْ بَصِيرَتِهِ فَعَرَفَ حُدُودَ آيَاتِ التَّوْحِيدِ وَالْبُرْهَانِ. وَرَحْمَةُ الْمَوْلَى وَبَرَكَاتُهُ عَلَى إِخْوَانِي الْوَسَائِلِ إِلَى الْمَلِكِ الدِّيَانِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَالْتَّوْحِيدُ وَالْإِعْظَامُ وَالْإِجْلَالُ وَالْإِكْبَارُ، وَالتَّسْلِيمُ وَالتَّقْدِيسُ وَالتَّنْزِيهِ وَالْإِقْرَارُ، سِدْنَةُ لَطَاعَةِ الْمَوْلَى إِلَهِ الْحَاكِمِ الْجَبَّارِ، الْمُتَعَالِي عَنْ مَخْتَلِجَاتِ الْهَوَاجِسِ وَالْأَفْكَارِ، وَالْمُنْزَهُ فِي تَوْحِيدِهِ عَنْ دَقَائِقِ الْأَلْفَاظِ، الْمُقَدَّسُ

في الإشارة إلى جبروته عن اكتناه النواظر والألحاظ، الذي جعل توحيده للعقول الصافية عن تحديده عجزاً وإقراراً، وامتحاناً بظاهر نواظر المجانسة واختباراً، وإقامة الحجة على نفوس العوالم بمحض الحقيقة إيجاباً وإعذاراً. فالعجز والحق قد أخذاً بأزمئتها إلى الاعتراف بالوجود، والبهت واللدد قد أوقفها على العدم والإنكار والجحود. فهي كليلة لإيقاقها سادرة بين الحقائق والشكوك. معكوسة متبرية من الزكية المخلصة المملوكة للولي المملوك. فتعالى المولى الذي جعل وليه الهادي لكشف مخبئات الضمائر سبباً، والقائم على كل نفس بما كسبت ولن يعجزه طلباً.

أيها الشيوخ، فقابلوا أنوار الحقائق بجواهر النفوس، ونزهوها عن التأسّي بهذا العالم المعكوس. فليسلككم في الديانة سوابق أعمال فلا تبطلوها، ومواقف جهاد في الحقيقة فلا تعطّلوها، وأنساب في الإيمان المتقدمة صحيحة فأجيبوها وحققوها. ولا تتأسّوا في الوهن بأهل الشك والانعكاس، وتميزوا من زمرة أهل العناد والارتداد والإبلاس، فقد ظهرت سرائر القلوب وفلجت الحجة على جميع الناس.

فلکم أيها الإخوان قد فُتِحَ بابُ القصرِ المشيد، وترنمت فيه طيور الجنة بغرائب التسبيح ومُعْجَزِ التوحيد، وفارت البيرُ المُعْطَلَّة، وجرت بالماء الرقيق الزلال، ونزحت البيرُ الزعقة المنسوبة إلى المسيح الدجال، المشوبة بالسقم الواردة على النفوس والأمراض، المخيلة لها جواهر الحقائق بمثابة الأعراض، الداخلة على جلائل المعلومات الشريفة بالانحلال والانتقاض، الصادرة عن الخُبث والبلادة وقلة الارتياض، القاضي عليها بالعمى والصمم وبعد العلو بالانخفاض، الخالدة في قُمص النجس بما اقترفته من اللدد والنفاق، واستحسنته في أولياء الحق من الكذب عليهم والاختلاق، واستجازه من الرد لأوامرهم والإباق.

أيها الإخوان فتنبّهوا من سِنَةِ النّوَامِ، ولا تغتروا بمدارج الأيّام. فقد
أوتّر لكم إبليس قسيّ النّبال، ورماكم من مكان قريبٍ بالمكايد والاعتيال.
فقال بما أبعدتني لأقعدنّ لهم في العمائر والسُّبُل، ولأفرقنّهم بالاعتقادات
والمَلَل، ولأغذيّنهم بالكفر والشّرك نهلاً بعد علل.

فقد اعتورتكم حماته وفرسانه، وأحلّوكم دار البوارِ دعاثه وأعوانه،
فتبدّد شملكم لما اختلفتم في المذاهب والعقائد، وتخيّلت لكم المناحس في
صُورِ الفوائد والمساعد، ونأيتم عن الأقارب باستدناء الأبعاد.

فلا تكونوا معشرَ الموحّدين بحدود الدّين مُسدّقين، ولأوامرهم
الصادرة عن تأييد وليّ الحقّ مُذعنين، وفي السّراءِ والضّراءِ لإخوانكم
الموقنين مساعدين خاضعين، إكذاباً لظنونه وأمانيه، ورداً لأوامره ونواهيه،
وخلعاً لطاعة غُواته ودواعيه. ولا تكونوا كالذين عَزَبوا عن الألباب،
واختدعوا بالمكر على أنفسهم بفكّ الرّقاب، واستفزّوا عن الحقّ ورَجَعوا على
الأعقاب، وتورطوا في حنادسِ ظُلم الجّهالة، ومهاوي سُبُلِ الانعكاس
والضلالة.

وأنتم أيّها الأمراء المُحقّقون، والعصابةُ الموحّدون، غررُ الآيات
المُحكّمة، وجواهرُ الغُصون المُثمرات، وخلفاءُ لدعاةِ التوحيد المُمتحنين في
الطاعات، الباذلين لمُهجهم في القِدَمِ صَوْناً لجماعة الموحّدين والموحّدات،
المتحقّقين لنقلِ الجواهر النفسيّة عند تراجعها بين اللسان واللّهوات،
والواردة إلى المَلأ الرّقيق بعلو الدرجات، الثابتة بقُدس الطهارة ومحلّ
الأنوار، الظاهرة عند ظهورِ وليّ الحقّ عند تمام الأدوار، وكمال الأقمار،
الحاضرة لثواب المُحقّين الشاهدة لعقابِ الفسقةِ الفُجّار، جزاءً لأنضالهم عن
الموحّدين، وتبرّيهم من المِرقة الجاحدين، الذين كانوا لوليّ الحقّ أضداداً،
ولأوليائه أعداءً وحُساداً.

فكونوا خَلْقًا لآسلافكم الطهرة وارثين، وعلى الدعوة الهادية مترادفين مُتعاضدين، لتَلَحُّقوا بمنازل الدُّعاة السادِّقين، ولتَعْلُو كلمة الحقِّ بأسبابكم، وتَصَحَّ بالدعوة الهادية عند التَّواصل أنسابُكم. واسألوا عمَّا أصابَ الأمم المستكبرين من المَحَنِ على الإخوان، القاعدِين عن التَّوحيد والإيمان. فاستَعِيزُوا بوليِّ الحقِّ من لواقِح الاستكبار، وتقدَّسُوا بالخضوع للمولى الإله الحاكم الجَبَّار. والزمُوا نفوسكم التواضع لعشائركم السابقين. واخفضوا أجنحتكم للموحِّدين الأبعدِين، لتكونوا بالطاعة لوليِّ الحقِّ مُسَلِّمين، وليثاقه وحدوده مُراعِيين. وكونوا يدًا واحدة على المُخالفين والمُرتدِّين. فأنتم مُطالبون بما اجتَرحتموه من الألفاظ، ومَسْئولون عمَّا انتهكتُموه لهم من الألفاظ.

فاجعلوا الرِّضى والتسليم لجماعتكم شِعارًا، ووسيلةً إلى رَحْمَةِ المولى بوليِّه وإقرارًا، يَصِفُ لكم المشربُّ، وتعودوا إلى العنصر الأَطهر الأَطيب، وتَنشُرُ الإلفة عليكم جناح كرامتها، وتَسْبُلُ العظمة لديكم جداولَ نعمتها وكفائتها. فتكونوا في ظِلِّ الوليِّ بسلطانٍ قاهرٍ غالب، وفي كَنَفِ عِزِّ ثابتٍ ناجمٍ آيب، مُلوَّكًا على رِقَابِ العرب، وحُكَّامًا فيهم بما تَقَدَّمَ لكم في التَّوحيد من كريم النَّسَبِ. هذا إذا طَرَحْتُم الضغائن والأحقاد، ومشِيتُم بعضُكم إلى بعض مُتدرِّعين بملابس الطاعة والانقياد، وكنتم يدًا مُنبسطةً على أهل الغيِّ والعناد، وتَضَافِيَتُم بنقاء السرائر ومَحْضِ الوداد.

فاغتنموا أيَّها الإخوان مواعظَ آيات التَّوحيد وأوقاتِ السلامة، واعتصموا بحَبْلِ اليقين قَبْلَ أهوالِ القيامة، فقد أسفرت عن بيضة الحقِّ الحُجُب، وأنَّ ظهورُ مستورِ الكتب، وقهقهةُ الرعد للكشفِ ثقالِ السُّحُب، وسَنَتْ بروقِ الظهور بالبعثِ لهوامي الأمطار، وأينعتُ أشجار الحقائق وتهيَّأت للزَّهر والأثمار، ولمعتُ للعرُضِ في عناصرها جواهرُ الأنوار، وتألَّقت للفيضان وترشحتُ للتمام والإبدار، وصَبَّتِ الصِّبَا بأهل التَّصابي،

وَجَنَّبْتُ بِأَهْلِ الْغَيِّ الْجَنُوبَ، وَتَمَيَّزْتُ لِلْجَزَاءِ نَفُوسُ أَهْلِ السِّدْقِ وَعَرِفَ
الْخَبِ الْخَائِنُ الْكَذُوبَ.

تَاللَّهِ لَقَدْ سَهَرْتُ بِهِمُ السَّاهِرَةَ، وَرَدُّوا إِلَى الْحَافِرَةِ الْخَاسِرَةَ، وَقَدْ
بُسَّتِ الْجِبَالُ وَرُجِّتْ بِهِمُ الْأَرْضُ، وَظَهَرَ مَكْنُونُ الْأَنْفُسِ النُّجُوسَةَ وَتَبَيَّنَ
النَّقْضُ، وَأُقِيمَتْ سَنَنُ الْبَاطِلِ وَعُطِّلَ الْفَرُضُ.

فَتَبَيَّنُوا إِخْوَانُ الدِّينِ مَضَائِقَ سَبِيلِ الْمُرْتَدِّينَ، وَتَغَيَّرَ ضَمَائِرُ الْمُتَلَبِّسِينَ،
وُظْهِرَ سَرَائِرُ الْمُتَوَهِّينَ، وَخَلَلَ قَوْلُ الْأَدْعِيَاءِ الْمُخْتَرِصِينَ، لَتَتَسَالَمَ نَفُوسُ
كَافَتِكُمْ عَلَى الْحَقِّ الْيَقِينِ، وَتَنْظُرُوا بَعِينَ الْحَقِيقَةِ إِلَى شَرَفِ مَعْلُومِ الدِّينِ،
فَيَتَضَاعَلُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى فُضَائِلِكُمْ زُخْرُفُ الْفَاسِقِينَ، وَتَتَعَالَى بِصَائِرِكُمْ
بِالتَّسَامِي طَلَبًا لِلاتِّحَادِ بِالْجَوْهَرِ الثَّمِينِ. فَقَدْ فُتِحَتْ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ بِالتَّوْبَةِ
عَلَى الْبَرِيَةِ الْأَبْوَابُ، وَتَمَّتِ الْأَدْوَارُ وَبَلَغَ الْأَجَلَ الْكِتَابُ. فَإِنَّا لِلْمَوْلَى وَبِهِ
مُعْتَصِمُونَ، وَبِوَعْدِهِ لِأَوْلِيَائِهِ وَاتَّقُونَ، وَمَنْ أَعْدَادُهُ مُتَبَرِّثُونَ.

أَيُّهَا الْإِخْوَانُ، فَتَبَيَّنُوا مَا ضَرَبْتُهُ لَكُمْ مِنَ الْأَمْثَالِ، وَتَحَقَّقُوا مَا لَخَّصْتُهُ
لَكُمْ مِنَ الْأَقْوَالِ. فَوَحَّقَ الْحَقُّ، إِنَّهَا لِحُكْمٍ قَدْ ثَبَّتَ عَمْدَهَا، وَبَقِيَتْ هَنِيئَةٌ لِلْأُمَمِ
الشَّرِكِيَّةِ قَدْ تَقَارَبَ أَمْدُهَا. فَتَنَبَّهُوا لِهَذِهِ التَّذَكُّرَةِ وَالْمَوْعِظَةِ، وَتَدَبَّرُوا مَا
أَدْرَجْتُهُ لَكُمْ فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنَ الْإِشَارَاتِ الْمَوْقِظَةِ. فَعَلَامُ الْخَفَايَا
وَالْغُيُوبِ، الْمُطَّلَعُ عَلَى مَا تَكُنُّهُ ضَمَائِرُ الْقُلُوبِ، يَعْلَمُ أَنَّي لَمْ أَتَوْخَّ لَكُمْ إِهْمَالًا،
وَلَا طَرَحْتُ مَكَاتِبَكُمْ تَخْلُفًا وَإِغْفَالًا. وَإِنْ أَخْبَارَكُمْ تَرَدُّ إِلَيَّ مِنْ حَيْثُ لَا
تَعْلَمُونَ، وَإِنَّكُمْ لِمَحْفُوظُونَ، وَبِذِكْرٍ وَلِيَّ الْحَقِّ مُرَاعِيُونَ.

حَتَّى لَقَدْ مَثَّلَ لِي الْأَمِيرُ رَبِّي الْحَقَائِقَ مَا ثَبَّتَهُ وَأَمْضَاهُ مَعَ الْأَمِيرِ أَبِي
الْفَضَائِلِ عَبْدِ الْخَالِقِ وَأَثَّلَ لَهُ مِنَ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ، وَأَسَّسَ لَهُ مِنَ الْعُلُوِّ وَالْمَجْدِ،
مَا يَعْلُو عَنْ الْوَصْفِ وَالْحَدِّ. وَشَفَّعَ ذَلِكَ وَكَاتَفَهُ، مَا صَحَّحَهُ عِنْدِي الشَّيْخُ
الْفَاضِلُ أَبِي الْفَضْلِ الْمُرتَضَى عِصْمَةُ الدِّينِ وَصَفْوَةُ الْمُوحِدِينَ، وَأَكَّدَهُ لَدَيَّ

ورادفّه، من سجايا الرّئيسين الفاضلين، أبي الحُسن يوسف ابن مُصَبِّح، وأبي اسحق إبراهيم ابن عبد الله، الأميرين الرّئيسين الفاضلين، مُضافاً إلى ما نُبتَ عندي من ذِكرِ الأمير أبي الفضائل، وشُيِّعَ به من الشكر للجماعة وجميلِ ثنائه. فتحقّقتُ أجابة سؤاله بالنّدا للكافةِ بفصيحِ دُعائه. فبادرتُ بهذه الصّحيفة استنهاضاً للجماعة قبل الفوات، ليغتنموا جزيلَ الثواب قبل حلولِ يوم الميقات.

والى مَنْ تجالَلَ عن الحدِّ والوهم، وتقَدَّسَ عن الانحصارِ في العلم بوليّه الهادي، إليه أَبْتَهَلُ، وبالصفوةِ حُدُودِهِ النَّابِعِينَ لإرادته ومقصوده أَتَوْسَلُّ، أَنْ يُلْهِمَ الدّاعِينَ إلى التّوحيدِ والمُدْعِيُونَ إليه التّقوى، وَأَنْ يَفِيَّ بِهِمْ وَبِجَمَاعَةِ الْمُوَحِّدِينَ إلى الأفضَلِ الأشرَفِ الأعلى. إِنَّهُ على ذلكَ قدير، وبكُلِّ شيءٍ خبيرٌ بصير.

وَكُتِبَتْ فِي غُرَّةِ جُمَادَى الآخِرَةِ، مِنْ سَنِينَ وَلِيِّ الْحَقِّ الْعَاشِرَةِ. وَالْحَمْدُ لِمَوْلَانَا وَحَدِّهِ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَنَّتِهِ عَلَى أَوْلِيَاءِهِ بِالْإِمَامِ الْهَادِي عِبْدِهِ. تَمَّتْ.

الرسالة الموسومة بالتعنيف والتهجين

لِجَمَاعَةٍ مِنْ بَسَنَهَوْرٍ مِنْ كِتَامَةِ الْكَاتِمِينَ الْعَجِيسِيِّينَ

سنهور اسم بلد في مصر، كتامة قبيلة من العرب، الكاتمين أي الساترين من الكتم الذي هو الستر، العجيسيين من عجيسة وهي فخذ من كتامة (من الدرر المضيئة). كتب بهاء الدين هذه الرسالة سنة ٤١٩ هـ إلى جماعة من قبيلة كتامة كانوا يقيمون بسنهور، ولكنه لم يذكر اسم أحد من الدعاة فيها خوفاً عليهم، وقد دعاهم فيها إلى التيقظ والتنبيه من المضلين.

توكلتُ على الحاكم المولى، الإله العالم الأعلى. من عبد عَرَفَ إمامَه ومولاه، فأجاب دعوته ولَبَّاهُ، ووحدَ إلهه وباريه، ونزَّهه عن التحديد والتشبيه، ببركة وليه وهاديه، وأمره وناهيه، إلى جميع من بَسَنَهَوْرٍ مِنْ كُتَامَةِ الْكَاتِمِينَ، والأولياء المحقِّين، والطهرة العجيسيين الموحِّدين. أَسْلَامٌ عَلَى مَنْ رَضِيَ وَسَلَّمْ لِإِمَامِ الزَّمَانِ، وكَشَفَ عن بصيرته فَعَرَفَ حَدُودَ الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ، وَسَمَّا بنظره إلى الحقائق فوضحتْ مقدِّمات البرهان.

أما بعد فالجلالُ والعزَّةُ والحمد، والتقديس والقدرةُ والمجدُّ، للمولى الإله الحاكم الفرد، المقدَّسُ عن الاشكال والاضداد، والبريء من الصَّوَابِ والأولاد، المنزَّه عن الأعداد والأنداد، الذي جعل توحيدَه عِزًّا وَمَنْجَاةً لأولياه

العارفين، وكُتِبَتْ واجْتِنِثَاتُ لاهل اللدِّ الْمُقْصِرِينَ، الذين جَحَدُوا وَلِيَّه
الهادي إلى الصِّراطِ الْمُسْتَقِيمِ، الْقَائِمَ بِمَا أَمَرَهُ مِنْ كَشْفِ مَعْلُومِ التَّوْحِيدِ
وَتَبْيِينِ الدِّينِ الْقَوِيمِ، الَّذِي جَعَلَهُ الْبَارِي مَثَابَةً لَأَهْلِ الْبَصَائِرِ الْمُوقِنِينَ،
وَنَاسِخًا بِالتَّوْحِيدِ لَشُرْعِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَمَشِيرًا إِلَى نَفْسِهِ فِي قِسْمِهِ مِنْ
الْمَسْطُورِ الْمُبِينِ، فَقَالَ (١) :

«أَفْكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهَوَّاهُ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ
وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ. وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ. بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ»، أَيِ لَسْتَرِهِمْ
الْحَقُّ، «فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ. وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»، أَيِ إِمَامٍ بِأَمْرِ اللَّهِ،
«مُسَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا»، أَيِ
يُفَاتِحُوهُمْ بِالتَّوْحِيدِ مِنْ قَبْلِ أَوَانِهِ. وَيَشِيرُونَ إِلَى الْقَائِمِ بِهِ وَيُسَبِّقُونَهُ بِالْقَوْلِ
مِنْ قَبْلِ حُلُولِ وَقْتِهِ وَزَمَانِهِ. «فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا» مِنَ التَّوْحِيدِ «كَفَرُوا بِهِ
وَأَنْكَرُوهُ. فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ». فَأَيُّ كُفْرٍ أَشَدُّ وَأَعْظَمُ، وَأَيُّ مُحَنَةٍ أَقْطَعُ
لِلظُّهُورِ وَأَقْصَمَ، مِنْ رَدِّ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ بَعْدَ إِشْهَارِ الْوَلِيِّ لَهَا بِوَضَاحِ الْحِجَجِ
وَبُرْهَانِ التَّأْيِيدِ.

وَأَيْضًا فَهَلْ سَمِعْتُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَانُ فِيمَا خَلَا وَغَبَرَ، فِي تَأْوِيلِ الْآيَاتِ
وَأُسْفَارِ الزُّبُرِ، شَرْحًا وَتَبْيِينًا بِقَوْلِهِ «يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِيَ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ» (٢)، قَدْ
رَأَيْتُمُوهُ يَدْعُو إِلَى تَوْحِيدِ الْمَوْلَى جَلَّ ذِكْرُهُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، وَأَنْكَرْتُمُوهُ
تَأْسِيًا بِأَهْلِ الشِّرْكِ وَالْعِنَادِ؛ أَفْتَرَضُونَ لِأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَانُ بِهَذَا الْمَقَامِ، أَنْ
تَكُونُوا بِمَنْزِلَةِ مَنْ تَبَرَّأَ مِنَ الْبَارِي جَلَّ وَعَزَّ وَجَحَدَ مَنْزِلَةَ الْإِمَامِ.

تَاللَّهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ عَنِ الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ، وَيَتَنَزَّهُ عَنِ الْغُلِّ
وَالْغُشِّ وَالْغَشْمِ. فَكَيْفَ مِنْ يَنْسِبُ هَذِهِ الْخِلَالَ الْمَلُومَةَ، وَالْخِصَالَ الْمَذْمُومَةَ

(١) سورة البقرة ٨٧/٢-٨٩.

(٢) سورة القمر ٥٤/٦.

إلى باري المبروءات، ومُبدِع المبدعات، وجِبَار الأرض والسموات. أن يكون تَفَضَّلَ وظَهَرَ من حيثُ خَلِيقَتِهِ ، وتَأَنَسَّ بحِكمَتِهِ إلى بَرِيَّتِهِ، وأمر بالدعوة إلى توحيدِهِ ومعرفة. فأجاب أوليائِهِ إلى توحيدِهِ وتنزيهِهِ مُذَعِنِينَ، ولأمرِهِ مُجِيبِينَ طَائِعِينَ، وعن نَهْيِهِ مُرْتَدِعِينَ مُسَارِعِينَ، ولآيَاتِهِ وحدودِهِ مُسَدِّقِينَ سامعين. فلمَّا تحَقَّقَتْ نفوسُهُم معاني التَّوْحِيدِ، وبرَّثُوا من الشكِّ فيه والتَّحْجِيدِ، ظَهَرَ لَهُم تَعَالَى عن ذلك من جِهَةٍ أُخْرَى بخلاف ما أَمَرَ.

تَالَهُ إِنَّهَا لِإِحْدَى الْكَبَرِ، ومَعَاذَ الْبَارِي سُبْحَانَهُ وَتَنَزَّهَ أَنْ يُمْتَحِنَ عِبَادَهُ بما جَاوَزَ الْعُقُولَ وَالْبَصَائِرَ، أَوْ يَجُورُ عَلَيْهِمْ وَقَدْ أَمَرَ بِلَعْنَةِ الظَّالِمِ الْجَائِرِ، ثُمَّ هَدَرَ دِمَاهِمَ فِي جَمِيعِ الْآفَاقِ، وَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ وَسَحْبِهِمْ فِي الْمَحَافِلِ وَالْأَسْوَاقِ، وَكُتِبَ بِلَعْنِهِمْ وَقُطِعَ شَافَتُهُمْ سَجَلَاتُ مُفْتَتَحَاتِ، وَنَسَبَهُمْ إِلَى الْغَلَاةِ الْفَسَاقِ، فَانْتَهَكَتْ حَرَمَةُ الدِّينِ، وَقُوِيَتْ عَلَيْهِمْ يَدُ الْأَنْجَاسِ الْمَخَالِفِينَ، وَأَمَرَ بِصَلْبِهِمْ عَلَى الطَّرِيقِ وَالشُّوَارِعِ، وَلَعْنِهِمْ فِي الْمَحَافِلِ وَالْجَوَامِعِ. وَاسْتَبَاحَ حَرِيمَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ، بَعْدَ تَغْرِيقِ مَنْ أَغْرَقَ، وَأَلْهَابِ مَنْ أُلْهِبَ وَأَحْرَقَ.

فَالْيَهُودَ وَالنَّصَارَى عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ آمِنُونَ مَطْمَئِنُّونَ، وَالْمُؤَحِّدُونَ الْمُحِقُّونَ تَحْتَ الذِّلَّةِ وَجِلُونَ خَائِفُونَ، قَدْ شَرَّدَهُمْ إِلَى أَقَاصِي الْبُلْدَانِ، وَأَخْرَجَهُمْ عَنِ الْوَطَانِ، تَعَالَى الْمَوْلَى الْحَاكِمُ عَنْ هَذِهِ الْأَفْعَالِ، وَتَقَدَّسَ عَنْ هَذَا الْأَفْكَ الْبَيِّنِ الْمَجَالِ، وَتَنَزَّهَ عَنِ الزُّوَالِ وَالْإِنْتِقَالِ، بَلْ هُوَ ثَابِتٌ فِي مَجْدِ رَبُّوبِيَّتِهِ، مُنْفَرِدٌ بِأَزَلِ وَحِدَانِيَّتِهِ، ابْتَدَأَ عِبَادَهُ بِمُقَدِّمَاتِ التَّذْكَارِ، وَعَرَّفَ أَوْلِيَائِهِ غَيْبَةَ الْإِمْتِحَانِ وَالْإِخْتِبَارِ، فَهَمَّ لِتَحْقِيقِهِمْ بِحِكْمَتِهِ مَطْمَئِنُّونَ مُسَدِّقُونَ، وَإِنْجَازَ وَعْدِهِ مُنْتَظِرُونَ، وَعَلَى الْمَحَنِّ وَالْبِكْوَى صَابِرُونَ؛ وَحَجَبَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ مَنْ أَحَبَّ فِي سِتُورِ الصِّيَانَةِ، وَحَفِظَهُمْ لِإِجَابِ الْحُجَّةِ عَلَى الْجَاحِدِينَ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ.

ولما عََلَتْ أَهْلُ الرَّدَّةِ بِحَجَّةِ الاحتجاج، واصْطَفَقَتْ بِبِحْرِ الضلالة
الرياح والأمواج، وَغَشِيَتْ البصائرُ بِالْفِتْرَةِ وَالْغُمَّةِ، وَأُسْبِلَتْ أَسْتَارُ السَّفَهِ
والظلمة، لَغِيْبَةِ الشمس والبدر والنجم والسراج الوهاج، واحتدامٍ لَهِيْبِ
الشُّكِّ وَالْكَفْرِ وَالْاِعْوَجَاجِ، تَشَعَّبَتْ فَرْقُ الْاِرْتِدَادِ وَالضَّلَالِ، وَاَنْعَكَسَتْ نَفُوسُ
أَهْلِ الْغَيِّ وَالْخَبَالِ، فَاعْتَقَدَتْ الْاِلَوهِيَّةُ وَالْإِمَامَةُ وَالْحُجْبَةُ فِي مَقَامِ الْأَعْوَرِ
الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، لِعَجْزِهِمْ عَنْ فَهْمِ مَعَالِمِ الدِّينِ الصَّحِيحِ، وَجَهْلِهِمْ بِظُهُورِ
الْقَائِمِ السَّيِّدِ الْهَادِي الْمَسِيحِ، رَجَعَتْ نَفُوسُهُمْ إِلَى الْإِنْكَارِ وَالْعِنَادِ، لِأَلْفِهَا فِي
الْأَزْمَانِ الْخَالِيَةِ لِلْعَيْثِ وَالْفَسَادِ، فَارْتَوَوْا مِنَ الْمَاءِ الْآجِنِ وَتَزَوَّدُوا مِنْ أَخْبَثِ
الزَّادِ.

أَيُّهَا الشُّيُوخُ الْمُوقِنُونَ، وَالْأَوْلِيَاءُ الْمُوَحِّدُونَ، فَتَأَمَّلُوا هَذَا الْبَيَانَ
وَالْخُطَابَ، وَأَعِدُّوا لِلسُّؤَالِ الْجَوَابَ، فَمَا عَلَى الرُّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ،
وَالنَّصِيحَةُ لِمَنْ أَبْصَرَ لِنَفْسِهِ مِنَ الْمُوقِنِينَ، بَعْدَ التَّوَكُّلِ عَلَى وَلِيِّ الْحَقِّ وَبِهِ
أَسْتَعِينُ.

تَمَّتِ الرِّسَالَةُ وَالْحَمْدُ لِلْحَاكِمِ الْمَوْلَى وَلِيِّ النِّعْمَةِ، وَالشُّكْرُ لَوْلِيَّهِ
الْهَادِي إِمَامِ الْأُئِمَّةِ.

وَكُتِبَتْ فِي شَهْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سَنِينَ قَائِمِ الزَّمَانِ الْعَاشِرَةِ.

الْمُوسَمَّةُ بِرِسَالَةِ الْوَادِي

رِسَالَةٌ إِلَى دُعَاةِ التَّوْحِيدِ بِالْبَلَدِ الْمَيْمُونِ الطَّاهِرِ الْوَادِي،
وَلَجَمِيعٍ مَن شَمَلَتْهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ فَأَجَابَ لِدِينِ الْإِمَامِ الْقَائِمِ الْهَادِي

الوادي هو وادي التَّيْمِ. وسبب إرسال هذه الرسالة إليهم مع الستِّ ساره هو: لما صارتْ محنةُ الدَّجَالِ (علي الظاهر)، وانسبى فيها النساء، ووادي التَّيْمِ سلمتْ نساؤها من السبي، لكون الدَّجَالِ لم يدخل عسكره إليها من العسكرية... ولما زالت المحنة وارتفعت، تكبر أهل الوادي على الذين سُبِيتْ نساؤهم، وما عادوا يتزوَّجون منهم. فَبَعَثَ بهاءُ الدِّين إليهم هذه الرسالة، وفضل الذين تعرَّضوا للمحنة على الذين بقوا منها سالمين. فَمِنْ جملة ما قال في المتحنين: "السلام على أهل البصائر والنضائر المتحنين، ورحمة المولى وبركاته على إخواني السفرة المحقين". وقال لهم: "لا تسوَّغوا في التَّوْحِيدِ على من صَحَّتْ عقيدته علواً واستكباراً. فالمن قد تكون منحا واختباراً". وقال: "أما امتحانهم بالدَّجَالِ فهذا لا يعيبيهم؛ بل يشرفهم ويمحص خطاياهم، (من الدرر المضية). لا تاريخ.

تَوَكَّلْتُ عَلَى الْمَوْلَى الْعَالِّ الْعَلِّ الْإِلَهِ الْحَاكِمِ، وَشَكَرْتُ عَبْدَهُ وَمَعْلُولَهُ السَّيِّدَ الْإِمَامَ الْهَادِي الْقَائِمَ. مِنَ الْعَبْدِ الْمُقْتَنَى بِهَاءِ الدِّينِ، وَلِسَانِ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَنَدِ الْمُوَحِّدِينَ، الْجَنَاحِ الْإَيْسَرِ، وَالْحَدِّ الرَّابِعِ الْآخِرِ الْأَصْغَرِ، تَذَكُّرَةً لِدُعَاةِ التَّوْحِيدِ بِالْبَلَدِ الْمَيْمُونِ الطَّاهِرِ الْوَادِي، وَجَمِيعٍ مَن شَمَلَتْهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ بِهِ

فأجاب لدين الإمام القائم الهادي. أَسْلَامٌ عَلَى أَهْلِ الْبَصَائِرِ وَالنُّظَائِرِ الْمُتَحَنِّينَ، وَرَحْمَةُ الْمَوْلَى وَبَرَكَاتُهُ عَلَى إِخْوَانِي السَّفَرَةِ الْمُحَقِّقِينَ.

أَمَّا بَعْدُ فَالْعَزَّةُ وَالْعَلَا وَالْمَجْدُ، وَالْإِجْلَالُ وَالْكَبْرِيَاءُ وَالْحَمْدُ، لِلْمَوْلَى الْمَنْزُهِ عَنْ مَعَانِي التَّحْدِيدِ وَالْإِدَارِكِ، الْمُتَعَالِي عَنِ الْأَوْلَادِ وَالْأَضْدَادِ وَالْإِشْرَاكِ، الْعَالُّ لِعِلَّةِ الْعِلَلِ، وَمَبْدَعُ مُحَرِّكِ الْمُتَحَرِّكَاتِ الْأَوَّلِ، الَّذِي تَعَاظَمَ عَنِ الْأَزَلِيَّةِ وَالْأَزَلِ، وَتَنَزَّهَ عَنِ الْمَثُولِ وَالْمَثَلِ، وَدَلَّ بِمُعْجَزِ مُبْدَعَاتِهِ وَالْمَخْلُوقَاتِ، عَلَى مُعْجَزِ ظُهُورِهِ فِي الْمَقَامَاتِ الْإِلَهِيَّاتِ، وَعَدَلَ فِي بَرِيَّتِهِ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ فِي مُقَدِّمَاتِ الْأَدْوَارِ، وَأَظْهَرَ حُجَّةَ التَّوْحِيدِ فِي أَكْرَمِ الْأَوْقَاتِ وَأَشْرَفِ الْأَعْصَارِ، فَأَذْنَعَتْ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ عَلَى نَفُوسِهَا ضَمَائِرُ الْأَتْقِيَاءِ الْأَطْهَارِ، وَرَجَعَتْ خَاسِئُهُ عَنْهُ نَفُوسُ الْجَحْدَةِ الْكَفَّارِ، لَمَّا أَلْفَتْهُ فِي الْقَدَمِ مِنَ الرِّدَّةِ وَالْفُسُوقِ، وَتَجَدَّدَ لَهَا فِي هَذَا الْأَوَانِ مِنَ الْبَلَسِ وَالْمَرُوقِ، تَمَيِّزاً لِعَبْدَةِ الْعَجَلِ النَّاكِثِينَ، وَتَصْحِيحاً لِأَنْسَابِ الْمُوَحِّدِينَ الطَّاهِرِينَ، الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى الضَّرِّ وَالْبَلَاءِ، وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَآمَنُوا بِمَسَادِيقِ الْغَيْبِ تَحْقِيقاً لظُهُورِ الْآيَةِ الْكُبْرَى.

فَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَانُ الْمُوَحِّدُونَ، وَالْعَصَابَةُ الْمُحَقِّقُونَ الْمُتَحَنُّونَ، الَّذِينَ صَحَّتْ لَهُمْ كِرَائِمُ الْأَنْسَابِ، وَتَعَلَّقُوا مِنَ الْحَقَائِقِ بِأَوَكْدِ الْعُرَى وَأَوْثِقِ الْأَسْبَابِ. فَاحْفَظُوا مَا تَقَدَّمَ لَكُمْ مِنْ سَوَابِقِ الْأَعْمَالِ، وَلَا يَسْتَفْزُكُمُ الْإِبْلِيسُ بِمَقَالٍ أَوْ فِعَالٍ، فَقَدْ نَصَبَ لَكُمْ وَلِأَمْثَالِكُمْ حُبَائِلَ الْاِغْتِيَالِ، وَقَطَعَ عَنْ أَهْلِ الْحَقِّ سَبِيلَ الرِّشَادِ، وَبَايَنَ بِالسَّفَهَةِ وَالْخِلَافِ وَالْعِنَادِ.

فَاحْتَرِزُوا مَعَاشَرَ الْمُوَحِّدِينَ الْعَارِفِينَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِالتَّسْلِيمِ لِإِمَامِكُمْ فَهُوَ الْهَادِي إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ. وَحَصِّنُوا مَجَامِعَ سُبُلِ الْحَقَائِقِ بِتَصْحِيحِ النِّيَّاتِ، وَالضَّرْعِ لِبَارِيكُمْ وَالنَّدَمِ عَلَى مَا فَرَطْتُمْ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَالتَّخَشُّعِ لِحُدُودِ السِّدْقِ وَخُلْعِ طَاعَةِ الدَّجَاجِلَةِ قَبْلَ حُلُولِ يَوْمِ الْمِيقَاتِ، وَاجْتِنَابِ الضَّغَائِنِ وَالْإِحْنِ الَّتِي فِي صُدُورِكُمْ لَجَمَاعَةِ الْمُوَحِّدِينَ وَالْمُوحَّدَاتِ،

وإزالة الظنَّة والشكوك فيمن شملته محنة الدجال من الإخوان والأخوات، فقد أعذرهم عدلُ قسط الإمام في مسطور القرآن، في قوله: «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان»^(١).

فلا تسوَّغوا في التوحيد على من صحت عقيدته علواً واستكباراً، فالحن قد تكون مَنحاً واختباراً. فهذه مجامع الزَّلِّ وطُرُق الحرام، ومعالم الدَّغْلِ وسبل الآثام. إلا أن تتحقَّقوا منهم كذباً باللسان، أو تَقْصِيراً في حقوق الإخوان، أو جهلاً بمنازل حِجِّ ولي الزمان، أو ميلاً إلى أبالسة هذا الأوان. فمن وجَدَتْ فيه إحدى هذه الخلال المَلُومة، وعُرِفَتْ منه هذه الخصال المذمومة، فهو من جملة الناكثين الأضداد، وفي حيزِ أهل الشرك والعناد؛ وقد ثَبَّتْ عليه الحُجَّة بمُقَدِّمات البُرهان، وَوَجَبَ على الموحِّدين الإبعاد والهجران.

أيها الإخوان فهذه التَّذَكُّرَةُ للجميع، فهل من سامعٍ مطيع، أو ناظر بعقله إلى الملاء الرفيع، ليتعالى بصفاء جوهريه عن دَنَسِ الأعراض، ويتميز بنفسه الشفافة من أسقام الشكوك والأمراض، الداخلة على نفوس عُصاة البشر، الناقلة لها في أحسِّ الأجسام وأقْبَحِ الصُّور. جزاءً لَنَكْبِها عن الحقِّ وشكِّها في القائم المنتظر.

واعلموا إخوان الدين، وتحقَّقوا معاشرَ الموحِّدين، أن العاقبة بالحُسنى للصابرين، في دار الحقِّ المُنَحِّنين، وأليم العقاب وعظيم السَّخَطِ في المآبِ للمُشركين الناكثين؛ فاخفضوا أجنحتكم لإخوانكم المُسْتَضْعَفِينَ واقبلوا عذرهم فيما نزل بهم من حِزْبِ الدَّجال اللعين. فلكم درجات أهل الفخر بالسُّبْق والامتنان، ولهم منازلُ التابعين لكم بالإحسان، ولتكن النجدة

والصَوْلَة على أعداء الدِّين المُخالفين، والعطفُ واللِّطْفُ لإخوانكم المُوحِّدين. فعن قَريبٍ يَبْلُغُ الكُتابُ أَجَلَهُ، والمُؤْمِنُ أَمَلَهُ، ويجد كلُّ امرئٍ مِنْكُمْ عمله.

فاستبشِروا أخوانَ الدين بمَقَدِّماتِ التَّسْديقِ. فأنتم أهلُ الفخر بالسَّبْقِ والتَّحْقِيقِ، واستشِيعِروا بما تَقَدَّمَ لَكُمْ مِنْ حَمِيدِ الأَثَارِ. واحذِّروا من مُصارعةِ الشُّكوكِ في إِنْجَازِ وَعْدِ الباري تَعَالَى لأوليائِهِ المُوحِّدين الأَطْهَارِ. فَقَدْ جَاشَتْ مَراحِلُ قُلُوبِ أَهْلِ الحَقِّ بِالغَلَيانِ، واحترَقَتْ أَكْبَادُهُمْ بِضُرَامِ اللَّهَبِ لدوامِ هُبُوبِ رِيحِ الشَّيْطانِ. فَتَأَسَّوْا بِهِمْ فِي الصَّبْرِ، وَكُونُوا عَلَى مِثْلِ جَمْرِ الغَضَا، وَاثْبُتُوا فَإِنَّ العَاقِبَةَ لِمَنْ ثَبَّتَ وَصَبَرَ وَأَغْضَى، وَارْتَقِبُوا ظُهُورَ النُّورِ مِنْ فَلكِ البُرُوجِ، واستشعِروا صِيحَةَ الحَقِّ لِيَوْمِ الخُرُوجِ.

فقد أَزْهَرَتْ أنوارُ الحَقائِقِ بِساداتِ الأُمَمِ، حُجِّجَ السَّيِّدُ الهادي الإمام، وَدُحِضَتْ بِأشْعَةِ ضِيائِهِمْ ضبابُ الأَبالِسَةِ وَتَهْتَكْتُ حُجُبُ الظُّلَامِ، وَأَتَضَّحْتُ بِمَا تَأَقَّتْ عَلَيْهِ مِنَ المَعَالِمِ الإِلَهِيَّةِ لِاصْلاحِ جَمِيعِ الأَنامِ. وَطَوَيْتُ بِحُجَّةِ الهادي سَمَواتِ الشَّرْعِ، وَقَرَّبَ هَدْمُ بُرْجِ الظُّلَمِ مَثْوى أَهْلِ الرِّجْسِ والإِفْكَ والبِدْعِ، وَتَقَارَنْتُ بِالنُّحُوسِ نَجُومُ الأَفْلاكِ، وَأَذِنْتُ بِالْخَزْيِ والبُوارِ والهِلاكِ، نَفُوسُ الأَدْعِياءِ المَرْقَّةِ الشُّكَّاكِ، الَّذِينَ غَلَبَتْ عَلَى بَصَائِرِهِمْ شَهَواتُ النَفُوسِ، وَرَجَعُوا بِالْعَمَى والصَّمَمِ إِلَى العالَمِ النُّجَسِ المَعكُوسِ، لَعَدُولِهِمْ عَنِ الهادي وَلِيِّ الزَّمانِ، وَجَحَدِهِمْ بِحُجَجِ آيَاتِ البَيانِ والِبَرهانِ، وَطَلَبَتِهِمْ مَسالِكَ الشَّيْطانِ المُقْفَرَاتِ، وَوَطَّئَتِهِمْ بِسَنابِكِ شَيَاطِينِ الفِئَرَاتِ، الَّذِينَ عَدَلَتْ بِهِمْ عَنِ الآيَاتِ النُّبُوتِ المُفْهِماتِ المُوضِّحاتِ، إِلَى المُوهِماتِ المُبْهِماتِ المُشْكِلاتِ، جَهلاً بِقَوانِينِ الحِكمةِ الماثُورَةِ، وَردّاً لِمَا حَتَمَهُ الباري تَعَالَى مِنَ الكَشْفِ بِالمُقَدِّماتِ المُسْطُورَةِ المشهُورَةِ.

فانتبهوا أخوانَ الدِّينِ مِنْ سِنَةِ الغَفَلَةِ، وَاغْتَنِمُوا بِقُوَّةِ اليَقينِ أَوْقاتَ المِهلَةِ، فَقَدْ أَرَحِلَتْ لِلْبَعْثِ نِياقُ الحَقائِقِ، وَأُزْعِجَتْ بِالسَّيْرِ لِلْعَرَضِ نَفُوسُ

الخلائق، وهم عن سِرِّاطِ الْهُدَى فِي سَكْرَتِهِمْ نَائِمُونَ، وبمعزل عما هم إليه صائرون غافلون. فقد بُعِثَتْ الْقُبُورُ، وَحُصِّلَ مَا فِي الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ، وَانْتَظَرُوا صِيْحَةَ الظُّهُورِ، إِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ، وَنُفِخَتْ الثَّالِثَةُ فِي الصُّورِ. هنالك تَفُوزُ بِمَقَدِّمَاتِ الْأَعْمَالِ الْفَائِزُونَ، وَيَنْدَمُ الشَّاكُونَ الْمُفْرَطُونَ.

فَانزِعُوا عَنْ نَفُوسِكُمْ نَوَاجِمَ الْفَخْرِ وَالتَّكْبَرِ، وَرَوْضُوهَا عَلَى الرِّضَى وَالتَّسْلِيمِ وَالصَّبْرِ وَالتَّوَدُّعِ، فَوْحَقَّ الْحَقِّ لَقَدْ تَنَسَّمتُ بِالْهَبُوبِ أَرْيَاحُ آيَاتِ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ، وَعَصَفْتُ بِالْعَكْسِ وَالنَّقْضِ أَيَّامُ الدِّجَالِ الْمُحَنِّثِ الْعَطَافِ. وَأُسْفِرْتُ عَنْ شُنْبِ الْأَنْوَارِ نُقْبُ الظَّلَامِ، وَكَشَفْتُ عَنْ سَاقِهَا أَعْوَانُ الْحَقَائِقِ فِي أَيْمَنِ الْأَوْقَاتِ وَأَشْرَفِ الْأَعْوَامِ، وَصَرَعْتُ بِالْحَقِّ نَفُوسُ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالْجَوْرِ الْجَاخِدةِ لِلدَّهْرِ لَوْلِي الزَّمَانِ، وَأَخْلَدْتُهَا فِي إِيْهَابِ النَّجَسِ تَتَبَاعَثُ فِي أَبْدَانٍ بَعْدَ أَبْدَانٍ، وَطَلَعَتْ نَجُومُ الْكُورِ الْمُحْرِقَةِ بِشَهْبِهَا لِأَوْلَادِ الْأَعْوَرِ الدِّجَالِ وَحِزْبِ الشَّيْطَانِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَانُ فَتَأَمَّلُوا لِهَذَا التَّنْبِيهِ وَالتَّعْرِيفِ، وَتَقَيَّظُوا بِهَذَا التَّبَيِّنِ وَالتَّوْقِيفِ. فَقَدْ أَوْجَزْتُ لَكُمْ فِي الْمَوْعِظَةِ وَالْإِنْذَارِ، وَأَوْضَحْتُ الْمَعْنَى فِي حَقِيقَةِ التَّذْكَارِ، وَلَمَّا انْقَطَعَتْ دُونُنَا مِنْكُمْ مَوَارِدُ الْأَسْبَابِ، وَرَجَعَ الْجَمُّ الْغَفِيرُ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ الْبَارِي عَلَى الْإِعْقَابِ. وَقَدْ سَيَّرْتُ إِلَى جَهَّتِكُمْ ابْنَتِي سَارَةَ، الْكَامِلَةَ الْعَفَافَ وَالطَّهَارَةَ، الْبَاذِلَةَ لِذِمِّهَا فِي طَاعَةِ الْمَوْلَى، تَحَقُّقًا بِاللَّحُوقِ بِالْعَالَمِ الْأَعْلَى، وَمَعَهَا أَخِي وَشَقِيقِي، الْأَسْتَاذُ أَبُو الْحَسَنِ تَقِي، أَعَزَّهُ الْمَوْلَى وَأَيَّدَهُ، مِمَّنْ عَرِفْتُ بِحَضْرَةِ وَلِيِّ الْحَقِّ خِدْمَتِهِ، وَأَحْمَدَتُ فِي الْمُهَمَّاتِ دِيَانَتَهُ، وَثَقَّتْهُ وَنَزَاهَتَهُ، سَتَرًا عَلَى جَمَاعَةِ الْمُحَقِّقِينَ، وَإِعْزَازًا لِمَوْضِعِهِمْ فِي الدِّينِ، لِيَتَوَازَرُوا فِي الصُّحْبَةِ، وَيَتَعَاضَدُوا عَلَى الثَّوَابِ وَالْقُرْبَةِ، وَاسْتِضَاحًا لِأُمُورِكُمْ، وَاهْتِمَامًا بِالتَّعْرِيفِ لَشُثُونِكُمْ، وَشُكْرًا لِلْبَارِي عَلَى مَا يَتَأَدَّى إِلَيَّ مِنْ جَزِيلِ نِعَمِهِ عِنْدَكُمْ؛ وَسَتَرْتُ أَسْمَاءَ السَّادَةِ شَيُوخِي صَوْنًا لَهُمْ وَإِعْفًا، وَأَظْهَرْتُ إِسْمِي حِجَابًا لِلْمَكَارِهِ دُونَهُمْ وَوَقَا.

وبالمولى مَأَزَّلِ الْأَزَلَ، وَمُعَلِّ عِلَّةَ الْعِلَلِ، أَبْتَهِلْ فِي الْهِدَايَةِ لِكَا فِتْكُم
مَجْتَهِدًا خَاضِعًا، وَبَوْلِيَّةً أَتَوَسَّلُ مُحِبَّتًا ضَارِعًا، أَنْ يَلْمَ تَبَايُنَ شَعَثِ الْأَوْلِيَاءِ
الْمُوحَّدِينَ، وَأَنْ يُلْهِمَهُمُ الْبِرَّ وَالْعَطْفَ لِإِخْوَانِهِمُ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْ يَعِصِمَهُمُ
بِالطَّاعَةِ لَوْلِيَّهِ مِنْ نَزَعَاتِ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ، وَدُعَاةِ وَأَعْوَانِهِ الْغَاوِيِينَ، وَأَنْ
يَجْعَلَهُمْ فِي كَهْفِ صَوْنِهِ الْعَزِيزِ، وَفِي كَنْفِ حِمَائِهِ الصَّيِّنِ الْحَرِيزِ. وَأَضْرَعُ
بِالتَّكْرَارِ وَالسُّؤَالِ، بِالْوَلَايَةِ إِلَى الْمَوْلَى الْإِلَهِ الْحَاكِمِ الْمُتَّعَالَ، الْمُنَزَّهَ عَنِ الزَّوَالِ
وَالْإِنْتِقَالِ، فِي الْفُسْحَةِ لَجْمَاعَتِكُمْ وَالْإِمْهَالِ، لِمُشَاهَدَةِ الْعِقَابِ وَالْخِزْيِ
وَالنَّكَالِ، النَّازِلِ بِحِزْبِ اللَّعِينِ الْمَسِيخِ الدَّجَالِ. إِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ، وَبِاجَابَةِ هَذَا
الْقَسَمِ جَدِيرٌ.

قَوْبَلْتُ وَصَحَّتْ، وَالْحَمْدُ لِمَوْلَانَا وَحْدَهُ، وَالشُّكْرُ لِلْإِمَامِ الْهَادِي عِبْدِهِ.

الرسالة الموسومة بالقسطنطينية المنفزة إلى قسطنطين منسك النصرانية

وهو قسطنطين الثامن ابن أرمانوس الثاني الذي كان في زمن الكشف. وقد كانت مدة ولايته ثلاثين سنة. بعث بهاء الدين إليه هذه الرسالة سنة ٤٢٠ هـ يدعو فيها إلى اعتناق مذهب التوحيد هو ورجال دينه وشعبه. ويفسر لهم «قانون الإيمان النيقاوي» تفسيراً جديداً توحيدياً، وآيات من الإنجيل كثيرة، تدلّ على إلام بهاء الدين بها إلاماً صريحاً وعن كتب.

توكّلتُ على المولى الإله الحاكم، المنزه بالتقديس والتسبيح ، وشكرتُ عبده الإمام السيد المسيح^(١).

من العبد الخاضع الناصح، ومملوك المسيح الإمام، المتأله لطاعة المولى الإله، الحاكم الماسح، تذكرة لقسطنطين ابن أرمانوس متملك النصرانية، ومن حوزته من القسيسين والبطاركة والمطارنة والأساقفة المتمسكين بدين المعمودية، القائلين كانوا في القدام بنفي العدم ووجود

(١) يعنى: العقل الأول، قائم الزمان، الإمام حمزة بن علي.

المَعْنَوِيَّة، والناسيين لعقائد أسلافهم الحَواريين المُتَحَقِّقين لوجود الإلهيَّة الأزلِيَّة، الخارجين عن مذهب القديسين لمناسبتهم في القِدم للمُسلميَّة واليهوديَّة.

أُسلام على مَنْ عرف مسيحَه ومولاه، وحقَّق وجودَه، فأجاب دعاه ونداه، وسلَّم لأمره قبل بُلُوغ الأجل مُنتَهاه.

صفات الحاكم وإمام الزَّمان^(٢) :

أما بعد، فالحمد للحاكم المولى الإله، العالِّ لجميع العللِ العقليَّة، المنزَّه عن العَدَم والقِدَم والكيفيَّة، المنفرد بجبروته عن العظم والمائيَّة والكميَّة، المتعالي في توحيدِه عن الألفاظِ الجوهريَّة، المُقدَّس بعظمة لاهوته عن دقائق الأغراض البديهيَّة، الذي تجالَل عن الضِدِّ والحدِّ والنَعْتِ، وتسامى عن صِفَةٍ داخلَةٍ تحت حَصْرِ الزمان والوقت.

فالعقول الصافية لعجزها عند استغراب المعالم البديهيَّات، ونكَلها عن استنباط النتائج إلَّا بعد تصوُّر المقدِّمات، تشهَّد بأنَّه معبودُ الأزمان والعصور، ومأزِلُ الأزلِ ومدهرُ الدهور؛ وأمرُه المُبدعُ مكوِّنُ الأكوان، وإمامُ الأئمة ومسيحُ الأزمان، ومُديلُ الدُّولِ ونافعُ الصُّور، وقائمُ العصر وصاحبُ صِيحةِ الظهور، الذي خصَّه المولى وجَعَلَه لكشفِ معاني التَّوحيدِ علماً ومنهاجاً، وسراجاً في حنادِسِ ظُلمِ الجهالة وهأجا، وسبباً لنسخِ الشرِّعِ الشَّرِكِيَّة وكسرِ قلائد الأوثان، وهدمِ القِبَلِ الأفكيَّة، وقطعِ نواميس أهلِ العدم أولي الإلحاد والطغيان، وحُجَّة قاطعة لحُجاج أهلِ البَلَس والجحود، وتبياناً شافياً لأهلِ القُدسِ المسيحيِّون الرُكَّع السُّجود.

(٢) العناوين الصغيرة في النصِّ هي من وضع الناشر.

تنبيه المسيحيين قبل فوات الأوان :

فَتَنْبَهُوا أَيُّهَا الْمَسِيحِيُّونَ قَبْلَ زَلْزَالِ النُّفُوسِ وَالْأَلْبَابِ، وَهَجُومِ الصَّارِخَةِ^(٣) وَبُلُوغِ الْأَجَلِ الْكَتَابِ، وَظُهُورِ دَابَّةِ الْأَرْضِ^(٤) وَكَشْفِ الْحِجَابِ. فَقَدْ تَقَارَبَتِ الدَّوَائِرُ وَالْأَطْرَافُ، وَأَنَّ لِلنُّونِ مِنْ كَافٍ «كُنْ» الْإِتِّصَالُ وَالْإِنْعِطَافُ^(٥)، فَارْتَقُوا أَسْمَاعَكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ لِلْقَوْلِ الصَّحِيحِ، وَتَقَيُّظُوا أَيُّهَا الْغَفْلَةُ أَيَّامَ الدِّينُونَةِ وَقَصِّحْ حَوَارِيَّ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ. فَقَدْ ظَهَرَ لِتَسْيِيلِ طُرُقِ الرَّبِّ فَمُ الذَّهَبِ يُحَنَّا الْحَوَارِيَّ^(٦)، وَتَشَعَّشَعَتْ الْأَفَاقُ بِالنُّورِ لِقِيَامِ الْمَسِيحِ الْمَتَّالِّهِ لِعَاطَةِ الْمَوْلَى إِلَهِ الْهَاجِمِ الْبَارِي.

فَإِنْ كُنْتُمْ يَا جَمَاعَةُ الْقَدِّيسِينَ لَمَّا سَطَرَهُ فَمُ الذَّهَبِ يُحَنَّا فِي إِنْجِيلِهِ مُسْتَجِيرِينَ، وَبِمَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ رُؤَسَاءُ مَلَكْتِكُمْ مُوقِنِينَ، وَلِلثَلَاثَةِ وَثَمَانِيَةِ عَشَرَ الَّذِينَ أَنْطَقُوا بِرُوحِ الْقُدُسِ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مُسَدِّقِينَ^(٨)، وَلِشَرِيعَةِ إِيْمَانِكُمْ^(٩) الَّتِي لَا يَتَمُّ، لِجَمِيعِ فِرْقِ النَّصْرَانِيَّةِ عَلَى اخْتِلَافِ مَقَالَاتِهِمْ، قُدُسٌ

(٣) أي البوق الصارخ في نهاية الأزمان، وهو كناية عن حمزة نفسه الذي يسبق النهاية.

(٤) كناية عن حمزة، فهو «دابة الأرض»، إشارة إلى ما ورد في سورة سبأ ٣٤/١٤.

(٥) ورد في القرآن: إِنَّ اللَّهَ «إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ». والمقصود أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْعَالَمَ بِكَلِمَةِ «كُنْ». هذه الكلمة الصغيرة المؤلفة من حرفين متصّلين هي في أساس العالم. وحمزة هو هذه الكلمة. أنظر السور التالية: البقرة ٢/١١٧؛ آل عمران ٣/٤٧ و٥٧؛ الأنعام ٦/٧٣؛ النحل ١٦/٤٠؛ مريم ١٩/٣٥؛ يس ٣٦/٨٢؛ غافر ٤٠/٦٨.

(٦) في هذا الكلام خلط بين ثلاثة أشخاص حملوا اسم يوحنا : يوحنا المعمدان الذي ظهر لتسييل طرق الرب، ويوحنا الإنجيلي وسمّاه «يحنّا الحواري»، ويوحنا «فم الذهب» بطريرك القسطنطينية.

(٨) ان ٣١٨ هم آباء مجمع نيقيا لا القسطنطينية، قد وضعوا قانون الإيمان.

(٩) «شريعة الإيمان» هي ما يسمّيه النصاري: «قانون الإيمان».

ولا قربان إلا بها مُتَحَقِّقِينَ. فأعيروني أفهامكم معشرَ القديسين، وتأملوا قول الأبحار منكم عند كلِّ قربان، وانتظاركم لمجيء يسوع المسيح لخلاص كلِّ إنسان.

وقولكم وهو مستعدُّ للمجيء تارةً أخرى للقضاء بين الأحياء والأموات^(١٠)، فهذا هو الحقُّ والسِّدْقُ لمن عَرَفَ بالتوحيد حلولَ يومِ الميقات. فهذه شرعةُ إيمانكم تشهد عليكم بالغفلةِ والتقصير، وتسمُّكم بِسْمَةِ أهلِ التخلُّفِ والتعذير. وهي التي اجتمعَ عليها رؤساءُ النصرانيةِ وأكابرُ المتدينين بماء المعمودية، من البطارقة والمطارنة والأساقفة والأبحار الذين أنطقوا بروح القدس بمدينة القسطنطينية، أعني الثلاثمائة وثمانية عشرَ رجلاً الذين يوصفون أنهم أنطقوا بها بروح القدس، وهي التي لم تختلفْ جماعتكم عن اختلافهم في المذاهب في شيء منها، ولا يتمُّ لهم دينٌ ولا قربان إلا بها. وهي:

نصُّ «شرعة الإيمان» :

نؤمن بالله الأب، مالك كلِّ شيءٍ، صانع ما يرى وما لا يرى، وبالربِّ الواحدِ يسوع المسيح ابنِ الله الواحد بكرِ الخلائق كلها، وليس بمصنوع، إلهٌ حقٌّ من إلهٍ حقٍّ، من جوهرِ أبيه الذي بيده أُتِقِنَتِ العوالمُ وخلق كلُّ شيء. ومن أجلنا معشرَ الناس، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسّد من روح القدس، وصار إنساناً، وحُبِلَ به، ووُلِدَ من مريم البتول. وألِّمَ وصلِّبَ أيامَ فيطوس ابن فيلاطوس، ودُفِنَ وقامَ في اليوم الثالث، وصعدَ إلى السماء، وجلسَ على يمين أبيه، وهو مستعدُّ للمجيء تارةً أخرى للقضاء بين الأحياء والأموات. ونؤمنُ بروح القدس الواحد، روح الحقِّ الذي يخرج من

(١٠) ورد هذا القول في قانون الإيمان النيقاوي الذي يثبته بهاء الدين هنا بحرفيته تقريباً.

أبيه، روحٌ محييةٌ. وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا والذنوب. وبجماعةٍ واحدةٍ قديسيةٍ سَلْجِيَّةٍ جَائِلِيَّةٍ^(١١). وبقيامةٍ أبداننا. والحياة الدائمة إلى أبد الأبدين.

هذه «الشرية» ليست من أقوال المسيح وتعاليمه :

فمجموعُ هذه الشريعة ليست ممَّا أمرَ بها السيّد مسيحُ الأزمان^(١٢):
أن يتجسّد ويقالَ في هذه المواضع التي أمرَ بها هؤلاء الرؤساء، وجعلوها سبباً لعبادة الأوثان. بل قد أمرَ السيّد بتلاوتها للحواريين، وشرّح معانيها للأخبار الروحانيين. وأثبتوها في أناجيلهم، وشهدوا بها بعد تبين الأغراض لجماعة الموحّدين، وهي معروفةٌ عندنا معشر الحفظة الكاتين، منصوفةٌ في مواضعها من أناجيل الأربعة الحواريين، أعني يُحَنَّا وَمَتَّى وَمَرْقِسَ وَلَوْقَا القديسين^(١٣).

فالواجبُ علينا أن نذكرَ ذلك في مواضعه من الأربع أناجيل، ليتأدّى بنا إلى الكافّة، معرفةً التحريم والتحليل، ونُوقفكم من حيث لا تعلمون على مشاكلكم لأهل العدم والتعطيل، الواقفين على ظواهر الأمر دون حقائقها كوقوفكم على ظواهر الأقاويل.

تفصيل «شرعة الإيمان» ومعانيها الحقيقية :

وأما قولُكم في التسبيحة التي جعلتموها للقربان: «إِنَّهُ أَلَمَ وَصَلِبَ

(١١) إنّها «سَلْجِيَّة»، تعني «رسوليّة». أمّا «جَائِلِيَّة»، أي «كاثوليكية»، وتعني «جامعة».

(١٢) أي: حمزة.

(١٣) يعني بذلك أن «شرعة الإيمان» لم يأمر بها مسيح الأزمان (حمزة). ومع هذا فإنّ مضمونها موجود في الأناجيل الأربعة. وهذه الرسالة بمجملها تبيان لذلك.

أَيَّامَ فَيَطُوسِ ابْنِ فِيلَاطُوسَ، وَدُفِنَ وَقَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ». فَهَذَا مُثَبِّتٌ فِي
إِنْجِيلِ يُحَنَّا فِي الإِصْحَاحِ الثَّانِي عِنْدَ مَخَاطَبَةِ الْيَهُودِ لِيَسُوعَ، فَقَالَ لَهُمْ:
"أَهْدِمُوا الْهَيْكَلَ وَأَنَا أَقِيمُهُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ"^(١٤). فَأَنْكَرُوا الْيَهُودُ قَوْلَهُ إِنَّهُ يَبْنِي
الْهَيْكَلَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. وَإِنَّمَا أَعْنَى هَيْكَلَ جَسَدِهِ. وَذَكَرَ لَتَلَامُذَّتِهِ أَنَّهُ قَدْ كَانَ
قَالَ هَذَا فَسَدَّقُوا الْكِتَابَ وَالْكَلِمَةَ. وَهَذَا نَصُّهُ فِي إِنْجِيلِ يُحَنَّا.

معنى اليوم الأول :

وَيَجِبُ أَنْ تَعْلَمُوا يَا جَمَاعَةَ الْقَدِيسِيِّينَ إِنَّمَا أَعْنَى بِغِييْتِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ الَّذِي
هُوَ فِيهِ وَقْتُ قِيَامِهِ بِالْحَقِّ، وَدَعْوَتِهِ لِلخَلَائِقِ إِلَى دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ وَالسِّدْقِ،
وَكَشْفِهِ لِلأُمَمِ أَنَّهُ إِلَهٌ حَقٌّ، أَعْنَى بِذَلِكَ أَنَّ الْبَارِيَّ، جَلَّتْ قُدْرَتُهُ، مَوْجُودٌ فِي
خَلْقِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ يَظْهَرُ لَهُمْ مِنْ حَيْثُ هُمْ، كَمَا أَوْجَبَ، فِي صُورِ كَصُورِهِمْ، وَأَنَّهُ
لَيْسَ بِمَعْدُومٍ لَتَقُومَ الْحُجَّةُ بِوُجُودِهِ عَلَى كَافَّةِ بَرِيَّتِهِ. فَتَأْمَلُوا حَقَائِقَ هَذَا
الْقَوْلِ، وَتَوَسَّلُوا فِي التَّوْفِيقِ إِلَى وَلِيِّ الْهَدَايَةِ وَالطَّوْلِ.

معنى اليوم الثاني :

وَأَمَّا الْيَوْمُ الثَّانِي فَهُوَ ظُهُورُ الْفَارَقْلِيْطِ، لِأَنَّ يَسُوعَ بَشَّرَ بِهِ، وَعَلَيْهِ
تَنْبَأُ، كَمَا قَالَ يَسُوعُ فِي إِنْجِيلِ يُحَنَّا: إِنَّ مُوسَى عَلَيَّ كَتَبَ، وَبَذَكَرِي تَنْبَأُ^(١٥)،
وَالْفَارَقْلِيْطِ فَهُوَ مُحَمَّدٌ^(١٦)، وَهُوَ إِحْدَى أَصْحَابِ النَّوَامِيسِ، أَعْنَى نُوْحَ
وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى الَّذِينَ ظَهَرُوا قَبْلَ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ^(١٧).

(١٤) إِنْجِيلِ يُوْحَنَّا الْفَصْلُ الثَّانِي مِنَ الْآيَةِ ١٩ حَتَّى ٢٢.

(١٥) إِنْجِيلِ يُوْحَنَّا الْفَصْلُ الْخَامِسُ الْآيَةِ ٤٦ .

(١٦) جَاءَ فِي الْقُرْآنِ عَنِ الْمَسِيحِ قَوْلُهُ : «وَمُبَشَّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي» سُورَةُ الْصَّفِّ
٦١/٦٦.

(١٧) هَؤُلَاءِ، مَعَ آدَمَ، وَالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ، وَمُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ، وَبِحَسَبِ
الدُّرُوزِ، هُمْ أَصْحَابُ النَّوَامِيسِ الَّذِينَ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِمْ كُتُبٌ وَأُسِّسُوا بِهَا شَرَائِعٌ وَأَدْيَانًا.

وذلك قولُ يسوعَ في الإصحاح الخامس عشر لما عَرَفَ بمجيء الفارقليط أعني محمد: "لو كنتم تُحِبُّونِي لكنتم تفرحونَ بانطلاقي إلى أبي لأنَّ لأبي ابناً هو أعظم مِنِّي. وإلاَّ قد قلتُ لكم من قَبْلُ أن يكونَ حتَّى إذا كان تؤمنونَ بي. - ولم يَقُلْ تؤمنونَ به-. وبعده، فلستُ أَكَلِّمُكُمْ كلاماً كثيراً، لأنَّ رئيسَ الدنيا يَأْتِي وليس له فيَّ شيءٌ، ولكن ليَعْلَمَ النَّاسُ أَنِّي أُحِبُّ أَبِي" (١٨).

ولم يَعْرِفَ الْعَالَمُ مَعْنَى قَوْلِهِ. وإنَّما قالَ إِنَّهُ رئيسَ الدنيا وليس هو رئيسَ الْآخِرَةِ، وإنَّما تَمَّ له ذلك ولغيره من أصحابِ النَّوَامِيسِ لتمامِ حكمةِ الْبَارِي لتَقْوَمَ الْحُجَّةُ عَلَى الْعَالَمِ، دَوْرًا بعدَ دَوْرٍ، ويقعُ عَلَيْهِ الذَّمُّ لأنَّهم لم يَقُومُوا بما أَمَرَهُمُ بِهِ الْبَارِي جَلَّتْ قَدْرَتُهُ من أداءِ كلمةِ التَّوْحِيدِ، بل نَكَلُوا عَنْهَا وَرَجَعُوا إِلَى عِبَادَةِ الْعَدَمِ بِالتَّقْلِيدِ، كما أنتم اليوم، وقالَ يَعْنِي الْفَارَقْلِيطُ لَيْسَ لَهُ فِي شَيْءٍ عَرَفُكُمْ أَنَّهُ لَا يَدْعُو الْخَلِيقَةَ إِلَى تَوْحِيدِ الْمَعْبُودِ، كما دَعَاكُمْ السَّيِّدُ إِلَى إِيجَادِ الْبَارِي الْإِلَهِ الْحَاكِمِ الْمَوْجُودِ.

معنى اليوم الثالث :

وأما الْيَوْمُ الثَّالِثُ فَوَقِيَامِ الْمُهْدِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ (١٩)، لدعوته لِلْخَلَائِقِ إِلَى بَاطِنِ الْكُتُبِ الْأَرْبَعَةِ الدَّالَّةِ لِأَهْلِ الْحَقَائِقِ عَلَى التَّوْحِيدِ، أعني: الزَّبُورَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالْقُرْآنَ. وقد وَصَلَتْ رِسَالَاتُهُ وَدَلَالَاتُهُ إِلَى قَسْطَنْطِينِ مُتَمَلِّكِ النُّصْرَانِيَّةِ فِي وَقْتِهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهَا مَسْطَرَّةٌ عِنْدَ جَمَاعَةِ رُؤَسَاءِ الْعِلْمِ مِنْهُمْ إِذْ لَيْسَتْ دَعْوَتُهُ كَدَعْوَةِ أَصْحَابِ النَّوَامِيسِ وَالتَّخَرُّعِ، لِأَنَّهُ دَعَا إِلَى الْيَوْمِ الْآخِرِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ بِظُهُورِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ.

(١٨) الأصح: يوحنا ١٤/٢٨ و ٢٩-٣١.

(١٩) وهو حمزة بن علي الذي كشف التوحيد في باطن الكتب المنزلة الأربعة: التوراة والزبور والإنجيل والقرآن.

فلو تدبّر متدبّر ذو فِهمٍ ، وكُشِفَ الغطاءُ عن قَلْبٍ متيقّظٍ مُستبصرٍ
 ذي علمٍ ، لتأمّلَ ظهورَ المُهْدِي، عليه السلام، ودَعَوَتُهُ إلى باطن الكتب الأربعة
 المذكورة فيه زمن قسطنطين الأول، وظهورَ السيّد المسيح بالدعوة إلى
 التوحيد في زمن قسطنطين الثاني. وكان فيه لذوي الأبواب مُزدَجَر، ولمَن
 كان فيه أدنى مُسكّة من علم الحقائق مُعتَبَر.

معنى اليوم الآخر :

وأما اليوم الآخر فهو تمام الأول لأن الإصحاح السابع من إنجيل
 يُحنا يشهد بذلك : "لَمَّا قَالَتْ إِخْوَةُ يَسُوعَ لَهُ تَحَوَّلْ عَمَّا هَاهُنَا لَتَرَى تِلَامِذَتَكَ
 الْأَعْمَالِ الَّتِي تَعْمَلُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ يَعْمَلُ شَيْئًا سِرًّا. فَأَظْهَرَ نَفْسَكَ لِلْعَالَمِ.
 وَلَمْ تَكُنْ إِخْوَةُ يَسُوعَ آمَنُوا بِهِ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: أَمَّا وَقْتِي فَلَمْ يَبْلُغْ بَعْدَ
 تَحْقِيقًا، أَعْنِي أَنَّ يَوْمَهُ لَمْ يَتِمَّ، وَإِنَّمَا يَتِمُّ عِنْدَ قَوْلِهِ: إِنَّهُ مُتَهَيِّءٌ لِلْمَجِيءِ تَارَةً
 أُخْرَى. وَقَوْلُهُ: أَمَّا وَقْتُكُمْ فَهُوَ مَهِيًا فِي كُلِّ حِينٍ"^(٢٠)، فعرفهم أن وقته الذي
 يُشهر فيه كلمة التوحيد لم يَتِمَّ ولم يَبْلُغْ، وأن وقتهم، أعني الذي لم يَعْرِفُوا
 كلمة التوحيد، مَهِيًا فِي كُلِّ حِينٍ.

هذا هو اليوم الآخر الذي هو تمام الأول الذي أعلن فيه التمجيد
 والتسبيح، وظهَرَ لِجَوَارِيهِه كَمَا أَوْعَدَهُمُ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ. كَمَا قَالَ فِي الْإِصْحَاحِ
 السَّادِسِ عَشَرَ: "إِنِّي نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ وَلَيْسَ أَعْمَلُ بِمَشِيَّتِي وَإِنَّمَا أَعْمَلُ
 بِمَشِيَّةِ مَنْ أَرْسَلَنِي، وَإِنَّمَا مَشِيَّةُ مَنْ أَرْسَلَنِي أَنَّ كُلَّ مَنْ أَطَاعَنِي أَبْعَثُهُ فِي
 الْيَوْمِ الْآخِرِ، لِأَنَّ هَذَا رِضَا أَبِي، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرَى الْابْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ نَجِبُ لَهُ
 الْحَيَاةَ الدَّائِمَةَ، وَهِيَ إِنَّمَا أَقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ"^(٢١).

(٢٠) يوحنا ٧/٣-٩ بتصرّف واختصار.

(٢١) الأصح: الفصل ٦ بدل ١٦، الآيات ٣٨-٤٠ بتصرّف.

بشارات عن مجيء حمزة وإبطاله الشرائع والأنبياء :

فهذه بشارات السيد المسيح، التي بشرَ بها لكل ذي عقلٍ صحيح. فهذا هو لمجيئه قد استعدَّ ووفى، وظهرَ لأهل التوحيد الذين بَعَثَهُم في اليوم الآخر كما أوعَدَ لمن أخلص وصفا. فلا تكونوا أيها القديسون كالذين قال لهم يسوع في الإصحاح الثاني من إنجيل يُحَنَّا المَعمداني^(٢٢): "إِنَّ النورَ جاء إلى العالم فأحبَّ الناسُ الظلمةَ أكثرَ من محبتِهِم للنور، لأنَّ أعمالَهُم كانتُ خبيثة، لأنَّ كلَّ من يَعْمَلُ القَبائِحَ يُبْغِضُ النورَ وليسَ يُقْبَلُ إلى النورِ كيلا يَفْضَحَ بأعماله. وإنما ذلك الذي يَعْمَلُ الحقَّ فَإِنَّهُ يُقْبَلُ إلى النورِ لتُعرَفَ أعمالُهُ أَنَّهَا من الله مقبولة" ^(٢٣). ففقهَوا أيها القديسون كلامَ السيد بهذه الحكم الجلية.

فالبُشرى في الإصحاح العاشر تحقيقًا لمجيئه من جهة أخرى. وهو قوله: "أنا الراعي الصالحُ وأنا عارفٌ برعيَّتي، ورعيَّتي تعرفني، كما أنَّ أبي عارفٌ بي وأنا عارفٌ بأبي، ونفسي أبذلُ دون الغنم. وإنَّ لي كباشًا أُخرَ ليسوا من هذا الزَّرب، وينبغي لي أن آتي بهم فيسمعون صوتي، وتكونُ الرعيَّة كُلُّها واحدةً والراعي واحدًا. من أجل هذا أُرسلني أبي، وأنا أضعُ نفسي لأجدها أيضًا" ^(٢٤).

فعرَّفهم أنَّ الزَّرب الأوَّل هو شريعة عيسى، لأنَّه نَصَبَ حوارِيَّةً يُعمِّدون الناس، أي يصبغونهم بالعلم الحقيقي في أعقاب شريعة موسى بعد غيبة أَمَلِيخيا عنهم لما فَسَقُوا وقتلوا الأنبياء بدعوتهم إلى توحيد الباري الموجود.

(٢٢) المقصود يوحنا الإنجيلي، لا المَعمداني؛ إنَّما الكلام كان على لسان يوحنا المَعمدان.

(٢٣) الأصح: يوحنا ٣/١٩-٢١.

(٢٤) يوحنا ١/١٤-١٨ بتصرُّف.

ثم قال: "وإن لي كباشاً أُخَر ليسوا من هذا الزَّرب، وينبغي لي أن آتي بهم". فالزَّربُ الآخرُ هو شريعة محمد. وكذلك أوعدهم بمجيئه تارة أخرى. وهذه شريعة محمد قد تَقَضَّتْ أَيَّامُهَا، وجميع النحلِ قد وَهَتْ قواها وانحلَّ نظامُها.

وعرَّفهم أيضاً غيبته في الإصحاح التاسع في قوله: "فينبغي لي أن أعملَ أعمالَ مَنْ أُرْسَلَنِي ما دام النهار فإنه سيأتي الليل الذي لا يستطيع الإنسانُ فيه العمل" (٢٥). أعني بذلك أن شريعة الناموسِ مثلها مثل الليل المظلم الذي لا نور فيه، لأنَّ دعواتهم، أعني أصحاب الشرائع، إنما كانت مخالفةً لأمرِ الباري جلَّتْ آلاؤه، ولتوهيم الناس، وإلى العدم والشرك والإبلاس.

فهذه بشاراتُ السيد المسيح، قد فَلَجَتْ بها الحُجَّةُ عليكم بالعبد الخاضع النَّصيح (٢٦).

ثم عرَّفَ العالمَ بمجيئه وأنه الذي يدعو العالم إلى توحيد الباري الموجود، وينهاهم عن عبادة العدم المفقود. فلا تتأسَّوا أيها القديسيون بأهل التَّئْمِيسِ والارتياب (٢٧)، ولا ترجعوا بعد توحيد المعبود على الأعقاب. فلَكُمْ سوابقُ الدِّينِ الصحيح، فلا تُنْكروا بعد المعرفة رجوعَ السيِّدِ المسيح (٢٨).

وتأملوا ما قاله السيِّد في الإصحاح العاشر، وهو: "جئتُ إلى العالم كي يُبصرون (كذا)، والَّذين يُبصرون يعمُّون. فسمعَ هذا القولُ الأحبارُ

(٢٥) يوحنا ٩/٤.

(٢٦) هذا «العبد الخاضع النَّصيح» هو بهاء الدين كاتب الرسالة.

(٢٧) «أهل التَّئْمِيسِ»، أي: أصحاب النواميس، وهم الانبياء أصحاب الشرائع. هؤلاء كلُّهم أضداد «التوحيد» وأهل التوحيد.

(٢٨) أي: حمزة نفسه؛ فهو المسيح الحقيقي.

الذين كانوا معه، فقالوا له: يا سيدنا! لعلّ نحن أيضاً عمياناً. فقال لهم يسوع: لو كنتم عمياناً لم تكن لكم خطيئة، فأمّا الآن فإنكم تزعمون أنكم تُبصرون. فمن أجل هذا خطيئتكم ثابتة" (٢٩). وإنّما عرفهم أنّ من كان يدّعي معرفة الحقّ، ثمّ دُعي إلى الذي يدّعيه ولم يقبله فهو أعمى القلب لا أعمى العين. وقوله الذين يُبصرون يَعْمُونَ يعني الذين كانوا يُقرّون بمعرفته ولم يشاهدوه. فلما جاءهم يدعوه إلى تحقيق ما أوعدهم به من دينهم الذي هم عليه أنكروه وأبعدوه. فلا تكونوا أيّها القديسون بهذه المثابة، ولا تُحقّقوا على نفوسكم هذه الأعمال المنافية للأعمال المُستطابة.

وكذلك قال السيد في إنجيل متّى: "ما أكثر من يقول لي يوم القيامة: يا سيدنا، أليس باسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا الشيطان؟ فأقول لهم: أغربوا عني أيّها العجزة العادون فاذهبوا، فما أنّ عرفتكم قط" (٣٠). وهذا القول إنّما يكون لمن أُعرضَ عليهم معرفة السيّد المسيح قبلَ ظهوره فلم يؤمنوا به؛ لأنّه قال في إنجيل متّى: "كما كان في البدى كذلك يكون في الأخير" (٣١).

فقد بشرّ به يحنّا في البدى قبل ظهوره (٣٢)، ودعى بني إسرائيل إلى معرفته والاستضاء بنوره، فأنكروا قوله وجحدوه، وفعلوا ما لم يقولوا إنهم فعلوه (٣٣).

وكذلك قال: "أنا الصوّت الذي يهتّف في البريّة أن سهلوا طرق

(٢٩) الأصحّ: يوحنا الفصل التاسع لا العاشر، الآية ٣٨-٤١.

(٣٠) إنجيل متى ٧/٢٢-٢٣.

(٣١) إشارة إلى متى ٢٤/٣٧-٣٩.

(٣٢) المقصود يوحنا المعمدان.

(٣٣) إشارة إلى مقدّمة إنجيل يوحنا ١/٩-١٢.

الرب" (٣٤). فقد نادى المنادي والصوتُ قدَ علا، وأجابَ إليه أهلُ الحقائق، وعندَ عنه من كَذَبٍ وتولَّى. فقد تسهَّلتُ طرقُ الرَّبِّ، وتفلَّقتُ السنايل عن الحَبِّ.

وأنتم يا جماعة القديسين، أوَّلُ من اقتفى آثارَ الحواريين الحدود، وبلغَ في الطاعة نهايةَ المجهود، وأوَّلُ من أبصرَ وصبرَ على توحيد الموجود من الأمم، فدامتُ بذلك عليكم سوابغُ النِّعمِ.

فإنِ ارتهنتموها بالشكر وقَبُولِ الأمر ودوامِ التذكُّر، وأجبتُم السيِّدَ المسيحَ في دعوتِهِ لكم إلى توحيد المولى الإله الحاكم الجبَّار، كنتم أولاده بالحقِيقَة، ودامتُ بذلك عليكم سوابغُ النِّعمِ، وعوقِبَ بأسبابكم المتخلفُ من جميع الأمم.

وإنِ أبَيْتُم فالرَّاجِفَةُ عن قليلٍ بكم تَرْجُفُ، وكتائبُ الأسباطِ إلى جهتكم تَرْحَفُ وتُوجِفُ. فقد أذعنوا له بالطاعة وعَرَفُوهُ، وصحَّ عندهم الموعدُ الذي كانوا ينتظرونه. فقد حَضَرَتِ الساعةُ التي أوعدهم فيها بالمجيءِ وأَنَّهُ لا يكلمهم فيها بالأمثال، بل يشرحُ لهم أَمْرَ الأبِّ علانيةً بتصحيحِ المَقالِ:

وهو قوله في الاصحاح السابع عشر: "إنَّما أَكَلَمُكُمْ بهذه الأشياءِ بالأمثال، ولكنَّه سوف تأتي ساعة لا أَكَلَمُكُمْ فيها بالأمثال، بل أشرحُ لكم أَمْرَ الأبِّ علانيةً في ذلك اليوم الذي تسألون فيه باسمي" (٣٥).

ولم أُرِدْ يا جماعة القديسين الرَّدَّ على حقائق مذهب النصرانية، وإنَّما امتثلتُ المرسومَ في أن أحقِّقَ عند أهل الفضلِ منهم والتدينِ معرفةَ معاني الأمور الإلهية، وأعرِّفهم من نصوص الإنجيل الزَّلَّ الذي ارتكبوه.

(٣٤) يو ١/٢٣، متى ٢٣/٣-٢...

(٣٥) يوحنا ١٦ بدل ١٧، الآية ٢٥ و ٢٦.

وإنَّهم وُهِمُوا فيما تصوَّروا لهم فيه واعتقدوه. ولَمَّا دُعُوا إلى إِيْجَادِ الْبَارِي الْمَعْبُودِ فَأَعْدَمُوهُ، وَلَمْ يَقِفُوا عَلَى مَعْنَى الْكَلِمَةِ الْمُتَّحِدَةِ بِالسَّيِّدِ الْمَسِيحِ فَيُفْضَلُوهُ.

هذه الرسالة تحذير للمسيحيين :

وهذه الرسالة (اُكْتُبَتْهَا) إلى جميعهم تحذيراً وإنذاراً، وإِجَابَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وَإِعْذاراً. لِقَوْلِ السَّيِّدِ لَمَنْ أَمَّمِ النِّجَاةَ، وَشَرِبَ رِيَّهَ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ، إِنْ كُنْتُمْ مُسْتَيْقِظِينَ فَلَا تَنَامُوا حَتَّى إِذَا جَاءَتْكُمْ الْكَلِمَةُ وَجَدْتُمْ مُسْتَعِدِّينَ^(٣٦).

فقد أوجزتُ لكم في الخطاب، وبيَّنتُ الحقائقَ لذوي العقول والألباب، نصيحةً لجماعة القديسيين، وذوداً لهم إلى منازل السَّابِقِينَ.

وأنا أوضِّحُ الرَّدَّ عَلَى جَمِيعِ النِّحْلِ الشَّرْكِيةِ، الْمُبَايِنَةِ لِعَقِيدَةِ الْأُمَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ. وَأَقْطَعُ احْتِجَاجَهُمْ فِيمَا ادَّعَوْهُ لَشَرْعِهِمْ أَنَّهَا مُضَاهِيَةٌ لِدَعْوَةِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ وَقِيَامِهِ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ الْأَزَلِيَّةِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ لَجَمِيعِ شُرْعِ أَهْلِ الْعَدَمِ وَالتَّعْطِيلِ نَاسِخًا، وَلَمَّا لَبَّسُوهُ عَلَى الْأُمَمِ بِزُخْرُفِهِمْ قَاطِعًا فَاسِخًا. وَأَجْعَلُ ذَلِكَ رَدًّا مُعْجِزًا عَلَى جَمِيعِهِمْ بِآيَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، الَّذِي تَصُولُ بِتَأْوِيلِهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ، أَعْنِي الْمُسْلِمَةَ، عَلَى كَافَّةِ أَهْلِ النِّحْلِ وَالْأَدْيَانِ، الْمُشْتَمِلِ عَلَى نَقْضِ جَمِيعِ شُرْعِ أَصْحَابِ النُّوَامِيسِ، وَأَيُّنُ عَجْزَهُمْ عَنْ حَمْلِ الْكَلِمَةِ الْمُتَّحِدَةِ بِرُوحِ الْحَقِّ الْقَدِيمَةِ الْأَزَلِ وَالتَّاسِيسِ، بِمَعْنَى لَطِيفِ ثَابِتِ الْقَاعِدَةِ وَالْأَصْلِ، رَقِيقِ الْحَوَاشِي قَائِمِ فِي جَوْهَرِ النَّفْسِ وَالْعَقْلِ، مَنْزُهُ لِلْبَارِي جَلَّتْ أَلَاؤُهُ عَنْ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ، وَثَبَّتِ لِحَقِيقَةِ الْعَدْلِ.

لأنَّ الْبَارَ الْعَلَامَ، مَبْدَعَ الْعَوَالِمِ وَمَوْلَى الْأَنَامِ، لَمْ يُهْمِلِ الْأُمَّةَ بَرِيَّةً وَلَمْ يَتْرَكْهُمْ سُدًى، وَلَمْ يُخْلِهِمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَزَمَانٍ مِنْ دَاعٍ إِلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ

(٣٦) راجع متى ٢٤/٤٢ وما بعدها.

والهدي، إماماً موجوداً معدوماً عن الخطلِ والشركِ والهوى، لتقومَ الحجةُ بالتوحيد على جميع الأمم والعوالم، ويتنزه المولى بمجد وجوده ببث كلمة التوحيد التي هي الأمانة إلى الأمم عن سمة الجائر الظالم. فما بُعث بالأمر إلى الأمم نبي مؤيد ولا رسول، إلا ومجامع رسالاته بأمانة التوحيد وكلمة الحق معقود موصول.

إبطال شريعة الإسلام وسائر الشرائع المتقدمة :

فقد سطرُت في هذه الصحيفة وكيد نسخ شريعة الإسلام. وبيضتُ منتظراً الجواب منكم بالطاعة إلى كلمة التوحيد وكشف اللثام. وهو «إنا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا، وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا»^(٣٧). فهذا أعظم قوارع القرآن، وأؤكد التأويل والبيان والبرهان.

إن المعنى في السموات والأرض والجبال، عندهم، السامي المتعال، هم النطقاء أصحاب الشرائع والنواميس، وأسسهم وحججهم الدعاة إلى العدم والشرك والتلبيس، الذين تفسخوا ونكلوا في التوحيد عن الأداء، ورجعوا على الأعقاب إلى القهقري، وانفرد بكلمة التوحيد مسيح الأزمان إمام الوري، لأن الباري جلّت قدرته أعلى وأعدل من أن يأمر بعرض أمانة التوحيد على السموات والأرض والجبال والجماد، بل هي على ممثولاتها المقدم ذكرهم ليصح التأويل المبين لنقض شريعة العدم والتلبيس والإلحاد. واذ قد صحّ ذلك وثبت عند ذوي العقول والألباب، بأن أصحاب الشرائع كفروا بأمانة التوحيد ورجعوا على الأعقاب، وسرّوا ما أمروا ببثّه وأوهموا بالشرك والارتباب، فقد دحضت حجة من تمسك بنواميس الشرع، وتبين جحدهم للتوحيد وتمسكهم بالعدم والزور المبتدع.

فإن اعترض مُعْتَرِضٌ من أهل هذه النحلة، الحائدين عن سَنَنِ الدِّينِ وحَقِيقَةِ القِبْلَةِ، وقال إنما أُعْرِضُ الأمانةَ عليهم عَرَضاً، ولم يجعلها حتماً فَرْعاً، يُقال له: قد جهلتَ أمرَ الباري ونَهْيَه جَلَّتْ آلاؤُهُ. إَعْلَمُ أَنَّ أمرَ الباري، عَظُمَ عُلَاؤُهُ وتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، عَرَضٌ وَتَخْيِيرٌ، وَنَهْيُهُ عَظْمَةٌ وَتَحْذِيرٌ، لِأَنَّهُ لو كان أمرُهُ حتماً واجِباً، ونَهْيُهُ جِزْماً لازِماً، لم يَشْكُ في تَوْحِيدِهِ مِنَ البرِيَّةِ أَحَدٌ، وتساوى الكافَّةُ في الدِّينِ والمَعْتَقَدِ. وعند تساويهم يَبْطُلُ الثَّوَابُ والعَقَابُ. وهذا شيءٌ لَتَدْفَعُهُ العُقُولُ والأَلْبَابُ. فقد صَحَّ أَنَّ الَّذِينَ أَتَمَّنُوا عَلَى الأمانةِ خَانُوا فِيهَا وكَفَرُوا، وَرَجَعُوا عَنْ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ إِلَى غيرِ ما بهِ أَمَرُوا.

فأما الإنسانُ الذي حَمَلَهَا وكان ظَلُوماً جَهولاً، فسيردُّ وينظرُ يَمِينَهُ إِلَى عُنْقِهِ بِجَحْدِهِ مَغْلُولاً. وهو الشَّيْطَانُ الْمُفْرَدُ ذَكَرُهُ فِي الْقُرْآنِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً. كما قال: «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ»^(٣٨)، وهو صَاحِبُ نَامُوسِ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ الَّذِي أَشْهَدُهُ بِالتَّائِنِيسِ عَلَى نَفْسِهِ وَلِيِّ الدِّينِ وَالْإِنْعَامِ، وَعَشِيَّ عَلَى بَصَرِهِ وَقَلْبِهِ أَنْ يَسْتُرَّ عَوْرَتَهُ بِغَيْرِهِ مِنَ الْكَلَامِ. فقال للنَّاسِ، يَعْنِي نَفْسَهُ، وَقَدْ أَعْدَمَهُ الْمَوْلَى عَقْلَهُ وَحَسَّهُ: «عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى. وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يَزَكَّى، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى. أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى، فَآَنَتْ لَهُ تَصَدَّى، وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّى. وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى، وَهُوَ يَخْشَى، فَآَنَتْ عَنْهُ تَلَهَّى. كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ، فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ»^(٣٩).

فإنْ أَصَحَّتُمْ أَسْمَاعَكُمْ لِلتَّيَقُّظِ وَالْإِنْتِبَاهِ، وَأَجَبْتُمُ الْعَبْدَ النَّاصِحَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْتَمَ عَلَى الْقُلُوبِ وَالْأَفْوَاهِ، وَيَحُلَّ مَا حُتِمَ عَلَى الْكُوَاهِلِ، وَكُتِبَ عَلَى الْجِبَاهِ، شَرَحَ لَكُمْ نَسْخَ الشَّرْعِ وَالتَّوَامِيسِ بِالْقَوْلِ الصَّحِيحِ، وَكُنْتُمْ بِالْحَقِيقَةِ عِبِيدَ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ، وَتَصَحَّحْتُ لَكُمْ دَعْوَةَ جَدِّكُمْ إِسْحَقَ الْمُغْتَصِبَةَ مِنْ أَبِيكُمْ

(٣٨) سورة الإنسان ٧٦/١.

(٣٩) سورة عبس ٨٠/١-١٢.

العِيسَى إلى يعقوبَ ولد إبراهيم الذَّبِيح، وتشملُكم الرحمةُ بتلك الدَّعوات، وتحلُّ بساحتكم الميامنُ والبركات، وتَظهرُ بين أظهرِكم أنوارُ الحواريين الأملاك، وترتقون بإجابة دعوة التوحيد إلى أعنانِ الأفلاك، وتَهْرَعُ إليكم أهلُ الجزائر والأقاليم، وتكونوا أنصاراً بالحقيقة ومَعْدِنَ التوحيد وأصنافِ التعاليم. وإنَّ الغَيْثُ الجواب، وأُحرِمْتُم الصَّوَاب، فما على الرِّسول إلا البلاغُ المبين، والنَّصِيحَةُ لكلِّ موحِّدٍ ذو دينٍ.

فقد نَسَخْتُ شريعتكم بما اعتَوَرَهَا من الضَّعْفِ والتَّعْطِيلِ، وإقراركم بمن جَمَعَهَا لكم عند شُكُّكم فيها بعد الدَّهْرِ الطويل. هذا بعد تحقِّقكم بسِدْقِ حواري السيِّد أصحابِ التحريم والتحليل، وطلبتُم شهادةَ غيرهم رجوعاً إلى الناموس وهم الشُّهداء عليكم بمُحْكَمِ الإنجيل.

فتأملوا ما قاله السيِّدُ لما سأل القادمون إليه: "متى يَرْجِعُ مُلْكُ بني إسرائيلَ ويظهرُ الدِّين؟ فقال لهم: ها أناذِرُ أَقْبِلُ كَاللَّصِّ، وسوف تجهلون الوقتَ الذي آتَى فيه. فَمَنْ سَبَقَ إِلَيَّ جَعَلْتُهُ سَارِيَّةً فِي بَيْتِ إِلَهِي. فأخبرهم أَنَّهُ سِيرَجُ وَلَكِنَّهُ يَأْتِي عَلَى غَفْلَةٍ. فَمَنْ انْتَبَهَ وَتَيَقَّظَ أَحْرَزَ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ" (٤٠). فشبهَ نفسه باللَّصِّ الذي يَأْتِي والناسُ في غفْلَتِهِمْ، والممدوحُ هو السابقُ إليه والمسارعُ نحوه.

وكذلك قال: "أَدْخِلُوا مِنَ الْأَبْوَابِ الضَّيِّقَةِ، وَلَا تَدْخُلُوا مِنَ الْأَبْوَابِ الْوَاسِعَةِ، فَإِنَّ فِيهَا التَّلَافَ" (٤١). فأعنى بالضَّيِّقَةِ صَعُوبَةَ التَّوْحِيدِ.

فتأملوا أيها القديسيون حقائقَ هذا التحقيق والتصريح. وارجعوا إلى الحقِّ قبل قَطْعِ المَعَاذِيرِ بظهور السيِّد المسيح. وقد نَسَخْتُ فيما بيَّضْتُ

(٤٠) راجع متى ٢٤/٤٧.

(٤١) متى ٧/١٣-١٤.

أيضاً بتأييد الولي شريعة التَّمنيسِ والبُهتانِ، بآيةٍ واحدةٍ معجزةٍ التأييدِ
والبرهانِ، ودحضتُها بقولٍ ثابتٍ معجَز، واستأصلتُ شأفتُها بحسامٍ لسانٍ
قاطعٍ للطلأِ مُجهَن. فهذه دلالاتُ مُسيحِ الأزمانِ، وصاحبِ رَجْعَةِ الكُشفِ
وغَيْبَةِ الامتحانِ، التي بشرَ بها لأصفيائه الحواريين، حينَ وَعَدَهُم بالمجيءِ
للقضاء بين العالمين.

فتنبَّهوا أيُّها القديسيُّون من سَكْرَةِ الغافلين، واسألوا رؤساءَ نُحلتِكم
السَّادقين، ليوقفوكم على الحقِّ اليقين، بأنَّ السَّيِّدَ المسيحَ إنّما خاطبَ حوارِيَّه
ودعاهم إلى التوحيد والتقديس، ونهاهم عن الأعمالِ الدنيويَّةِ المُشتمَلَةِ على
التغيير والتلبس، ولم يأتِ بشرِيعَةٍ علميَّةٍ كشرَع أصحاب النواميس.

إبطال شريعة اليهود :

وكذلك ردَّ على اليهود في الإصحاح الثامن لما قالوا له: "إنَّ أبانا
نحن هو إبراهيم. فقال لهم يسوع: لم يفعل إبراهيم هذه الأفعال. غير أنَّكم
إنَّما تَعْمَلون عملَ أبيكم إبراهيم. ثم قال لهم وأنتم لا تفهمون قولي". ولم
يقلْ عملي. "وقال: وإنَّكم لا تُطيقون استماعَ كلمتي". ولم يقلْ فعلي.
"وإنَّما أنتم من أبٍ مُحال. وشهوةَ أبيكم تَهوَّون ولم تَعْلَمون ذلك الذي هو
منذ البِدَى. فقال للناس ولم يثبَّتْ قوله على الحقِّ لأنَّ ليس فيه حقٌّ، إذا تكلمَ
بالكذب فإنَّما يتكلَّمُ ممَّا له لأنَّه كذوبٌ وأبو الكذب" (٤٢).

فعرَّفَهُم أنَّ الكذبَ هو الشرائعُ النَّاموسيَّة، وعرَّفَهُم منزلةَ أبيهم
إبراهيمَ لما انتسبوا إليه نِسْبَةً دينيَّة.

تفسير توحيدى لبعض الأمور المسيحية :

ثم قال لهم بعد ذلك: "الحق أقول لكم إنَّ مَنْ يحفظ قولي لا يرى الموت أبداً" (٤٣). ولم يقل: إنَّ مَنْ يعمل عملي لا يرى الموت أبداً.

والقول هو كلمة التوحيد الحقيقية. والدليل على ذلك أنه إنما أمرَ حواريه يُعمِّدون الناس بالماء المعين. والماء دليل على حقيقة التوحيد وعلم الدين.

وكذلك تُسمَّى المواضع التي يُعمِّدون الناس فيها: البية والمذبح. وإنما أعنى بالمذبح أنه يذبح فيه عقائد النواميس ونحو المشركين، ويوقفهم بالتوحيد على الطريق المستقيم.

والبية فهي، بيت وميثاق وتشديد كما يؤخذ بها على كلِّ مَنْ أجاب إلى دعوة التوحيد التي هي الكلمة المتحدة بالسيد المسيح، لأنَّ جوهره صار وحداً بجوهر كلمة التوحيد الصريح، لأنَّه لم يتجسَّد في فعله بشيء من الناموس والشرع، ولا أمرهم بشيء من الإفك والدع.

ولذلك بطل قول كلِّ مَنْ ادَّعى أنَّ الكلمة المتحدة بالسيد المسيح قد أتى بمثلها كلُّ مَنْ تنبأ من أصحاب الشرائع الناموسية ولم يفرِّقوا بين ما أتوا به من الشرك وبين كلمة التوحيد القدسية. وإنما رجع المتخلفون من النصرانية المتأخرون، أعني الذين اجتمعوا على جمع هذه الشريعة التي جعلوها لهم قرايين، وتأسَّوا بأصحاب النواميس الموهين، لبعد زمنهم من زمن أسلافهم أهل الحقائق الموحدين، وقصَّور أفهامهم عن منازل أهل القدس الحواريين.

آن الاوان لمجيء دين التوحيد :

والآن يَجِبُ بليكم يا جماعة القديسيين أن تتأملوا هذا الخطاب، وتعدّوا لما قد أوضح لكم مفهومه سادقُ الجواب. فقد ظهر روحُ القدسِ الواحد، روحُ الحقِّ غفران الخطايا، بجماعةٍ واحدةٍ قَدِيسَةٍ، صَبَرَتْ في طاعته على المحنِّ ولبلايا، وآمنتُ بقيامه أبدانها والحياة الدائمة إلى أبد الأبدين. وأضاءتْ نور كلمة التوحيد الآفاق للمستبصرين، وتضاءلَ لارتفاعها زُخرفُ الفسقين.

فنتبّهوا أيّها المسيحيون فقد فَرِحَ الزارعُ بالحاصد، وقامتْ بوجود كلمة الحقِّ الحُجَّةُ على الكافر الجاحد. وقد جمعنا بُزورَ أثمار الحياة، وأنَّ اجتثاث شجرة الفراعنة لطغاة وهذا قولُ السيد: " فانظروا إلى الأرضين قد ابيضّتْ وأنَّ حصادها " (٤٤) " وبلّة التوحيد قد ظهرت وفلح ميعادها.

فأين تذهبون فقد تَلَبَّجَ الخَصْمون، واقتَضَحَ المُخْتَلِقون المدمر وفاز السادِقون الموحّدون، وخسرَ المُقَصِّرُون المبطّلون.

فنتبّهوا أيّها المسيحيون عن مراقِدِ الغفلة والمهل، فقد دارت الأدوار وتقضتْ أيامُ جميع الملوك والأمم في غمرة سَاهون، وعن الاستعداد ليوم لا مردّ له لاهون، وعن طلوع الشمس من فلك الأنوار، وظهور أمر المولى الإله الحاكم الجبّار، بحُجْبٍ من الملائكة الروحانيين الأطهار، وأفواج من الكروبيين أولي الأجنحة والأنوار، يقدّمهم السيّد مسيحُ الأمم في الأدوار والأكوار. قد فُتِحَتْ أبواب السماء لنصرته، وتزلزلتْ فِجَاجُ الأرض لهيبته وقدرته، وطُبعَ له خاتمُ العزِّ ولبقا، وأفلحَ مَنْ لِمَقَالِيدِهِ قَبْلَ الظهور أَلْقَى.

فَوَحِّقْ الْحَقَّ لَكُمْ بِعَظِيمِ مَا تُوعِدُونَ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ^(٤٥). وستذكرون ما أقولُ لكم، وأفوضُ أمري إلى وليِّ الحقِّ فأجرُهُ غَيْرُ مَمْنُونٍ^(٤٦).

وَكُتِبَ لِسَبْعِ بَقِيَّةٍ مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشَرَ مِنْ سَنِينَ قَائِمِ الزَّمَانِ، وَتَمَامِ السَّابِعَةِ مِنْ غَيِّبَةِ الْإِمْتِحَانِ.

تَمَّتْ وَالْحَمْدُ لِمَوْلَانَا الْحَاكِمِ وَحْدَهُ، وَالشُّكْرُ لِمَسِيحِ الْأُمَمِ وَهَادِيهَا عِبْدِهِ.

(٤٥) سورة الرعد ١٣/٣٨.

(٤٦) أنظر السور التالية : سورة فصلت ٤١/٨؛ سورة الإنشقاق ٨٤/٢٥؛ سورة التين

٩٥/٦؛ سورة القلم ٦٨/٣...

الموسومة بالمسيحية

وَأَمَّ الْقَلَائِدِ النَّسْكِيةَ وَقَامِعَةِ الْعَقَائِدِ الشَّرْكِيةَ

بعث بهاء الدين هذه الرسالة إلى المسيحيين كافة، وأثبت فيها أن المسيح الحق هو حمزة بن علي، وأن تعاليم الإنجيل، وكثيراً ما يستشهد بها، تشير كلها إلى حمزة. وليس على المسيحيين الحقيقيين إلا أن يميزوا بين مسيحهم والمسيح الحق.

توكلتُ على المولى الإله الحاكم المنزه عن العدد والوكد، وشكرتُ عبده المسيح الأحد.

من العبد الفصيح، ومملوك السيد الهادي المسيح،

إلى جميع من تقرب إلى اللاهوت بحقيقة القربان، وتمسك به من كل أهل الحق: قسيس وبطران ومطران.

السلام على أهل التوحيد والدين، المقتفين لآثار الطهارة الحواريين، العارفين بمذهب الأمناء السفرة السديقيين، آل النفوس الزكية الممتحنة، الصابرين في طاعة السيد على ما وأتقوه عليه، ونفوسهم به مرتبهة، الباذلين لهم في البدى لمحبة الطابع عظيم الكهنة، أعني شهيد الشهدا وأمثاله يحنا بشير الناس^(١)، الصابر في مرضاة سيده على القذف والذبح وقطع الراس.

فمن العدل المُنطَوَى، واللّه في عَجَبِ هذا الزمان، تحقيقُهُ لجميع الأمم تناسِيَهُم لأصول الأديان، وركوبُهُم لما نُهِيُوا عنه من طاعةِ الإبلِس والشیطان، وإقرارُهُم على نفوسهم بما تَشْهَدُ عليهم به كُتُبُ مُتَعَبِّدَاتِهِم من الكذبِ والبُهتان. وتَسالَمَتْ نفوسُ كافَتِهِم على الفِسْقِ والمعاصي، واشتهروا بِذَمِيمِ العقائد عند أهلِ السِدْقِ من الأداني والأقاصي.

توبيخ المسيحيين الذين لم يعرفوا المسيح الحق :

فأين طاعتكم للسَيِّدِ يا جماعةُ المُدَّعين، وأين قبولكم أيُّها الكذبةُ لوصاياهِ إن كنتم له مُسَدِّقِينَ، وبرجعته لخلاص شعبِ الحقِّ من الخطايا موقنين. ألم يوصيكم في الإصحاح الثالث من بشارَةِ مَتَّى فقال لكم: " حُبُّوا أعدائكم، وباركوا على مَنْ لَعَنَكُمْ، وأتوا بالحسنات إلى مَنْ أَسَأَ إليكم، وادعُوا للذين يسوقونكم قسراً، ويطردونكم تَجْبِراً وكبراً، تكونوا أبناءً لأبيكم الذي في السَّمَاءِ المُشْرِقِ شمسَهُ على الأخيار والأشرار، والمُنْزِلِ قَطْرَهُ على الأبرار والفجار، لأنكم، إذا كنتم تُحِبُّوا مَنْ يَحِبُّكُمْ، فأَيُّ أَجْرٍ وَفَضْلٍ يكونُ لكم؟ وقد يفعل العشَّارون هذا بعينه ^(١) .

فيا أيُّها الأجلافُ الأغتَم، ويا بقيَّةَ عِبَدَةِ الأوثان والأصنام، فلا لِمَنْ أشار إليكم بوصيَّتِهِ قَبْلُتُمْ، ولا لِمَنْ بَشَّرَكُمْ بِمَجِيئِهِ وساقَ نِعْمَتَهُ إليكم عرَفْتُمْ وحفظْتُمْ، ولا لَأَمْرِهِ أيُّها الكذبةُ سمعْتُمْ وأطعْتُمْ. بل نكثْتُمْ عهدَ الوصيَّةِ يا جماعةُ المُدَّعين، وعصيْتُمْ قولَ السَيِّدِ في نهيه لكم عن طاعةِ الشَّيَاطِين، وتأسَّيْتُمْ أيُّها الخونةُ بأمثالكم مَرَدَّةَ اليهود في قَتْلِهِم وإخافتِهِم للنَّبِيِّين، وتعقَّبْتُمْ بالشرِّ والأذيةِ لِمَنْ بَشَّرَكُمْ بِمَجِيئِ السَيِّدِ المسيح، وَرَكِبْتُمْ نَهْيَهُ لكم بالشرِّ والكفر الصَّريح. فَعَدَوْتُمْ بالزَّهْوِ على الحواري العَلِيم، والشيخ

(١) ثمة خلط بين يوحنا المعمدان «شهيد الشهاد» وبين يوحنا الرسول «بشير الناس».

(٢) إنجيل متى ٥/٤٤-٤٦ .

السابق الأمين الحكيم، وعدلتم في أذيتّه عن الصراط المستقيم، وخرجتم بالخلاف عن سنن أهل الحقّ والدين القويم، تشبّهاً بالكهنة رؤساء اليهود، في فعلهم بالمسيحيين الرُكّع السّجود، وقيامهم لردّ كلمة السيّد، بعد أظهارها، بالكُفر والجحود.

فمثلكم أيّها الفسقة في الصّمم والبكّة والعمى، كالبهيمة البهّماء التي ربّما نظر إليها من يرحمها، لعنف كارهٍ عليها، فبدّرتّه برمحة مؤلمة^(٣) أشغلته عن الخير الذي أراد أن يصنعه إليها. كذلك أنتم أيّها الصّم عن سماع السّدق، الخارجون عن قبول أمثال مسيح الحقّ. أنظروا أيّها الغفلة وأنى لكم بالعين الصحيحة، وتفهموا وأنى لكم بالفهم لهذه الأمثال الصادرة عن معادن الحقّ الصريحة.

في الإصحاح السادس من بشارة متّى قوله للجماعة: "الحقّ أقول لكم: إنّ العشّارون والمرابي يسبقونكم إلى ملكوت السماء، لأنّه جاءكم يحنّاً بطريق الربّ والعدل، فلم تُسدّقوه، وأنتم بعيونكم أبصرتموه. ولم تندموا على ما فات منكم ولم تُوقنوا بما شاهدتموه"^(٤). فما اتّعظتم بهذه الحكمة، ولا راعيتم حقّ من انتسب إلى الأمة المسيحية، ولا ارتقبتم ظهور العلة الكلية. فأنتم أيّها الكفرة لعلامات ظهوره مُنكرون، ولآياته المبشرة بإتيانه مُكذّبون، وفي حقائق ما ضربّه لكم من الأمثال مُشكّون. فأنتم أشباح بلا أرواح لبلهكم تستحسّنون البلادة والجهل، وتستهنّون الفضل والعقل. لم تردّعكم لجهلكم بالعلم أمثال السيّد الصحيحة المضروبة، بل عكفتم على تليفق النّواميس التي جمعتها لكم رؤساء الباطل المكذوبة.

فاستمعوا قوله لكم في بشارة متّى، يعرفكم أفعالكم، وما تؤول إليه،

(٣) أي: رفسة قويّة.

(٤) متى ٢١/٣١-٣٢، أنظر ٨/١١ ومتى ١٨/١١.

أوانَ ظهورِهِ، أحوالكم: "إنَّه كانَ رئيسُ منزلٍ غَرَسَ كَرَمًا وأحاطَ به جدارًا، وحَفَرَ فِيهِ مِعْصَرَةً، وبَنَا فِيهِ بُرْجًا، ودَفَعَهُ إِلَى الْأَكْرَةِ وانصَرَفَ إِلَى وَطْنِهِ؛ فَلَمَّا بَلَغَ أَوَانُ الثَّمَارِ أَرْسَلَ عَبِيدَهُ إِلَى الْكِرَامِينَ لِيَبْعَثُوا لَهُ مِنْ ثَمَارِ كَرْمِهِ، فَعَمِدُوا الْكِرَامُونَ إِلَى عَبِيدِهِ، فَضَرَبُوا بَعْضَهُمْ وَرَجَمُوا آخَرِينَ، وَقَتَلُوا الْبَاقِينَ. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عَبِيدًا آخَرِينَ، أَكْثَرَ مِنَ الْأَوَّلِينَ، فَصَنَعُوا بِهِمْ مِثْلَ ذَلِكَ؛ وَإِنَّهُ فَكَّرَ وَقَالَ: لَعَلَّهُمْ يَسْتَحْسِنُونَ مِنْ ابْنِي؛ فَبَعَثَ ابْنَهُ إِلَيْهِمْ. فَلَمَّا رَأَتْ الْكِرَامُونَ الْابْنَ فَكَّرُوا وَقَالُوا: هَذَا هُوَ الْوَارِثُ. فَهَلَمُّوا بِمِيرَاثِهِ. وَأَخْرَجُوهُ خَارِجًا عَنِ الْكَرَمِ. وَقَتَلُوهُ. فَعَرَفُونِي إِذَا جَاءَ صَاحِبُ الْكَرَمِ، مَا الَّذِي يَصْنَعُ بِهِؤُلَاءِ الْفَلَاحِينَ؟ فَقَالُوا: يُهْلِكُهُمْ هَلَاكًا مُبِيدًا، وَيَدْفَعُ الْكَرَمَ إِلَى كِرَامِينَ غَيْرِهِمْ، يَصِيرُوا إِلَيْهِ بِالْثَمَرَةِ فِي وَقْتِهَا. فَعَرَفَهُمْ أَنَّهُمُ الْفَاعِلُونَ لِذَلِكَ فِي الْبَدَى وَالْآخِيرِ. وَقَالَ لَهُمْ: وَلِهَذَا أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يُؤْخَذُ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللَّهِ، وَيُعْطِيهِ لَشَعْبٍ يَأْتِي بِالثَّمَارِ الصَّالِحَةِ" (٤).

فقد أَن لآيَامِكُم الانقراضُ والانصرام، ولكم الاجتثاثُ بما ارتكبتموه والانتقام، فَإِنْ أَنْكَرْتُمْ قَوْلَهُ هَذَا، وَهُوَ مَنْصُوصٌ فِي الْإِنْجِيلِ الَّذِي بِهِ تَعْبَدْتُمْ، فَقَدْ عَطَلْتُمُوهُ وَكَفَرْتُمْ. وَإِنْ سَدَقْتُمُوهُ فَلَكُمْ بِهَذَا الْفِعْلِ الذَّمِيمِ أَعْنِي وَقَدْ أَقْرَرْتُمْ بِهِ وَخَالَفْتُمْ. وَإِنْ قُلْتُمْ إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ أَعْنِي بِهِ مَنْ مَضَى فَهُمْ الْحَوَارِيُّونَ وَعَنْهُمْ أَخَذْتُمْ إِنْ سَدَقْتُمْ. فَقَدْ صَحَّ أَنَّ هَذَا الْمَثَلَ صُورَةٌ لَكُمْ يَا جَمَاعَةَ الْمَارْقِينَ، إِذْ فَعَلْتُمْ أَفْعَالَ الْيَهُودِ وَعِظْمَاءِ الْكَهَنَةِ الْمُتَرَدِّدِينَ.

ولهذا قال السيّد لكم: "يُؤْخَذُ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللَّهِ وَيُعْطِيهِ لَشَعْبٍ يَأْتِي بِالثَّمَارِ الصَّالِحَةِ". فلو كانتْ لَكُمْ بَصِيرَةٌ بِمَعَانِي كَلَامِهِ لَعَلَّمْتُمْ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ لشيءٍ مُسْتَقْبَلٍ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُهُ وَجْهَلْتُمُوهُ. وَلَمَّا أَوْعَدَكُمْ بِإِتْيَانِ رَسَلِهِ كَذَّبْتُمُوهُ. وَأَيْضًا فَأَيْنَ قَبُولُكُمْ لِأَمْرِ السَّيِّدِ يَا جَمَاعَةَ الْمُدَّعِينَ، أَلَمْ يَنْهَاكُمْ عَنْ

أفعال الفاسقين المعتدين، وعرفكم أنه " قيل في الكتب القديمة: ألعين بالعين والسن بالسن. ثم قال لكم: فتمام هذه الوصية أيضاً: ها أنا أقول لكم حقاً، لا تقاوموا الشريرين. لكن من لطم خدك الأيسر فحوّل له خدك الأيمن، ومن حاصرك على أخذ قميصك فادفع إليه مع القميص رداً، ومن سخرك ميلاً واحداً فاصحبه ميّلين^(٥)."

فأنتم أيها الفسقة المدّعون، إذا قرأتم هذا الفصل من الإنجيل فلاأنفسكم تلعنون، وبالضعفاء من أهل ملّتكم تسخرون، وبعقولهم تلعبون، ولأمر السيد ونهيه تكذبون وتدفعون. قاتلكم الله فأنى تسخرون. وقد قال لكم قبل ذلك: " وادعدوا للذين يسوقونكم قسراً، ويطردونكم تجبراً وكبراً، تكونوا أبناء لأبيكم الذي في السماء "^(٦). فعصيتهم قوله وكذبتهموه، وأظهرتم غير ما أمركم به وخالفتموه، فسقتهم أوليائهم قسراً، وطردتهموهم تجبراً وكبراً.

فإلى أين أيها الظلمة تذهبون، وبأي دين تتدينون؟ أفلكم يا جماعة النصارى أوامر ونواهي في غير الإنجيل بها تتعبدون؟ أم لكم جهة إلى غير ما أمركم به يسوع ونهاكم عنه فأنتم إليها تتوجهون؟! قاتلكم الله فأنى تكذبون.

قد موّهتكم يا جماعة رؤساء النصارى على الضعفاء منكم بزُخرف النواميس، وملكتكم قيادهم بالغش والتدليس، وخرجتكم بهم عن طاعة السيد المسيح، وأوثقتهموه على الكفر والشرك الصريح. وقد آن اضمحلال الباطل وتلاشيهِ، وأذن مؤذن السّدق لهلاك إبليس ودواعيه، وقد حان الانقراض لدولتكم أيها الظلمة، واستئصال شأفتكم لكفركم وفسقكم، ولما أضعتهموه

(٥) متى ٥/٣٨-٤٢.

(٦) متى ٥/٤٤ بتصرف.

من سَادِقِ هذه الوَصَايَا، وَرَكِبْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُوهُ مِنَ الْجَهْلِ وَالْغَوَايَةِ.

فَوَاللَّهِ يَا جَمَاعَةَ النَّصَارَى! لَوْ كُنْتُمْ تَعْتَقِدُونَ أَنَّ قَوْلَ السَّيِّدِ فِي الْإِنْجِيلِ فَرْضاً وَاجِباً، وَتَسَدَّقُونَ بِرَجْعَتِهِ وَأَنَّهُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِالْحَقِّ لَجَمِيعِ الْأُمَمِ مُحَاسِباً مَطَالِباً، لَكُنْتُمْ تَحْتَ نَوَاهِيهِ لَكُمْ وَزَوَاجِرُهُ، وَلَمْ تَخْرُجُوا بِالْعَصِيَانِ عَنْ طَاعَتِهِ وَأُؤَامِرِهِ.

فَيَا وَيْلَكُمْ مَاذَا تَعْتَقِدُونَ، وَبِأَيِّ قَوْلٍ بَعْدَ وَصِيَّتِهِ تَأْتَمِرُونَ وَتَنْتَهَوْنَ، وَبِأَيِّ حُجَّةٍ فِي عَصِيَانِهِ تَتَمَسَّكُونَ. قَاتِلَكُمْ اللَّهُ أُنَّى تُسَخَّرُونَ. بَلْ أَنْتُمْ الْقَائِلُونَ لَهُ فِي غَدٍ أُعْنِي ذَلِكَ الْيَوْمَ بَعْدَ اللَّعْنِ لَكُمْ وَالتَّبَرُّيِّ مِنْكُمْ: "يَا سَيِّدَنَا، أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنْبِيئَنَا، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا الشَّيْطَانَ؟" فَيَقُولُ لَكُمْ كَذَّبْتُمْ أَيُّهَا الْفَسَقَةُ الْعَادُونَ وَالْمَرْقَةُ الْكَاذِبُونَ: إِذْهَبُوا فَمَا أَنْ عَرَفْتُمْ قَطَّ" (٧). فَتَنْصَرَفُوا خَاسِرِينَ خَائِبِينَ، مَكْعُونِينَ مُعَاقَبِينَ، وَعَلَى مَا فَرَطْتُمْ نَادِمِينَ، لِأَنَّكُمْ بِهِذَا الْفِعْلِ الذَّمِّيمِ بِالْحَقِيقَةِ أَوْلَادُ الْإِفَاعِي (٨)، فَهُوَ بَرِيءٌ مِنْكُمْ لِأَنَّكُمْ غَنَمٌ بِغَيْرِ رَاعِي (٩).

يسوع، في نهاية الأزمنة، يقصد الموحدين :

وَأَمَّا الْوَصِيَّةُ الَّتِي تُقْرَأُ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَةِ الْكَبِيرِ (١٠)، لَمَّا جَلَسَ يَسُوعُ عَلَى جَبَلِ الزَيْتُونِ، فَنَحْنُ نَذْكُرُهَا لَكُمْ لِأَنَّ أَوَّلَى بِالْوَصِيَّةِ مِنْكُمْ لِأَنََّّا نَحْنُ السَّادِقُونَ: "لَمَّا تَقَدَّمْ إِلَى السَّيِّدِ الْحَوَارِيِّونَ، الَّذِينَ أَنْتُمْ لَهُمْ مُنْكَرُونَ، وَهُمْ عَلَيْكُمْ بِكَفَرِكُمْ فِي غَدٍ شَاهِدُونَ، قَالُوا لَهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ: يَا سَيِّدَنَا أَخْبَرْنَا مَتَى تَكُونُ هَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي قُلْتَ، وَمَا الْعَلَامَةُ الَّتِي تَدُلُّنَا عَلَى إِتْيَانِكَ بَعْدَ انْقِضَاءِ

(٧) متى ٢٢/٧.

(٨) إشارة إلى متى ٧/٣.

(٩) متى ٣٧/٩.

(١٠) وهو الثَّلَاثَةُ الْوَاقِعُ فِي الْأُسْبُوعِ الْكَبِيرِ، أَيِ أُسْبُوعِ الْأَلَامِ.

هذه الدنيا؟ فأجابهم يسوع قائلاً: تحرّزوا من خديعة إحدى الناس، لأنّه سوف يأتي كثيرٌ يتسمّى باسمي، ويقول كلُّ إنسانٍ منهم أنا المسيح^(١١). فتأملوا قوله أيّها الصّمّ العمي، لأنّه جعل العلامة لإتيانه ظهوراً كثيرٌ يتسمّى باسمه، ويقول كلُّ واحدٍ منهم إنّّه هو المسيح. وقد كان ذلك، وصحّت هذه العلامة، وظهروا المدّعون. وقالوا بالسنتهم هذا القول وهم يكذبون.

فأمّا السيّد مسيح الحق فقد جلّ مجده أن يأتي إلى هذا العالم فيقول لهم: أنا المسيح. وإنّما القائل لذلك، وأسمّى نفسه بالمسيح، هو المسيح الكذاب، والشقيّ المعتوه المرتاب. وأمّا السيّد مسيح الحق فجّل مجده أن يأتي إلى هذا العالم النجس أعنيكم فيقول لكم أنا المسيح، بل يأتي إلى جميع العالم. دلالته وآياته، وبراهينه وعلاماته، على يد هداته السادقين وحواريه المجدّدين الموقنين.

ثم قال لهم في ذلك الوقت بعد تحذيره لهم من المسيح الضالّ الكذوب: "وأنتم في ذلك الوقت مُزْمَعُونَ أَنْ تَسْمَعُونَ بِالْأَرَاخِيفِ وَالْحُرُوبِ. فقال: هذه أوائل العلامات. فانظروا ولا تتحيّروا لأنّه واجب أن تتمّ هذه الأشياء كلّها، لكن بعدها يجيء الانتهاء. فعند ذلك الوقت يثبّ شعبٌ على شعبٍ، ويقومُ ملكٌ على ملك، وتقومُ أمةٌ على أمةٍ، ويشتدُّ الجوع، ويكثرُ البلاء في مَوْضِعٍ مَوْضِعٍ. وهذا ابتداء المخاض. فحينئذٍ يسلمونكم للشدائد والعذاب، ويقتلونكم وتشنّاكم^(١٢) جميعُ الشعوب من أجل اسمي^(١٣)."

فعرف العالم أنّ أهل الحق هم الذين يسلمون للشدائد والعذاب، ويُقتلون وتشنّاهم جميعُ الشعوب والأهل والأصحاب. وأنهم لا يجرون

(١١) متى ٢٤/٣-٥.

(١٢) تشنّاكم أي: تبغضكم.

(١٣) متى ٢٤/٦-٩.

مَجْرَى الْمَعْتَوِهِ الَّذِي ادَّعَى لِنَفْسِهِ مَنْزِلَةَ الْإِمَامِ الْمَسِيحِ، وَلَا بُدَّ مِنْ ادِّعَائِهِ ذَلِكَ لَتَتَمَّ هَذِهِ الْعَلَامَاتُ النَّاظِفَةُ بِالْبَرَهَانِ الصَّحِيحِ.

فَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْأَنْجَاسُ الْمُدَّعُونَ، وَالْفَسَقَةُ الْكَاذِبُونَ الْمُعْتَدُونَ، مَتَى لِحَقَّتْكُمْ مِحْنَةٌ فِي الدِّينِ، وَمَنْ أَسْلَمَكُمْ؟ وَمَتَى أَصَابَتْكُمْ الشَّدَائِدُ فِيهِ، وَمَنْ قَتَلَكُمْ؟ وَمَنْ شَنَاكُمْ^(١٤) أَيُّهَا الْكَذِبَةُ، وَمَنْ عَذَّبَكُمْ؟ وَهَذِهِ الْعَلَامَاتُ كُلُّهَا قَدْ ظَهَرَتْ، وَفَاضَ ذِكْرُهَا فِي جَمِيعِ الْعَوَالِمِ وَالشُّعُوبِ وَانْتَشَرَتْ

وَأَنْتُمْ يَا جَمَاعَةَ النَّصَارَى! مِنْ ذِكْرِ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ وَالْعَلَامَاتِ مُتَبَرِّئُونَ، وَأَوْلِيَاءُ السَّيِّدِ الَّذِينَ أَظْهَرُوا اسْمَهُ وَدَعَاوُا إِلَيْهِ بِكُمْ أَيُّهَا الْفَسَقَةُ وَبِأَمْثَالِكُمْ مُمْتَحَنُونَ، وَبِمَجَاهَرَتِكُمْ فِيهِمْ لِلْعَوَالِمِ مَعْرُوفُونَ، وَلِلشَّدَائِدِ وَالْعَذَابِ مُسْلَمُونَ مُقْتَلُونَ.

وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْكُفَرَةُ لِذَلِكَ مُسْتَجِيزُونَ، وَبِهِ رَاضِيُونَ، وَلَهُ قَاعِلُونَ، بَلْ قَدْ شَنَيْتُمُوهُمْ أَنْتُمْ وَجَمِيعُ الشُّعُوبِ، وَتَعَاوَنْتُمْ عَلَى قَتْلِهِمْ وَتَشْرِيدِهِمْ، وَبَغَضْتُمُوهُمْ بِالْأَلْسُنِ وَالْقُلُوبِ. وَأَنْتُمْ عَنْ صِفَةِ أَهْلِ الْحَقِّ خَارِجُونَ، وَفِي جُمْلَةٍ أَعْدَائِهِمْ دَاخِلُونَ، وَهَنْ حِكْمَةِ السَّيِّدِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا وَجَعَلَهَا حُجَّةً عَلَيْكُمْ فِي الْإِنْجِيلِ غَافِلُونَ. فَهُوَ بَرِيءٌ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ بِاللَّعْنَةِ مِنْهُ بَرِيثُونَ.

وَيَقُولُ فِي هَذِهِ الْوَصِيَّةِ أَيْضًا: "وَيَبْغِضُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَيَسْلُمُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ صَاحِبَهُ لِلْمَوْتِ"^(١٥)، يَرَوْنَ فِي ذَلِكَ عِصْيَانًا لِلْوَصِيَّةِ وَنَقْضًا. وَيَقُولُ فِيهَا: "وَلَا جُلَّ الْأَيَّامِ الْعَظِيمَةِ وَكَثْرَتِهَا وَهَتْ الْمِحْنَةُ وَتَزُولُ عَنْ قُلُوبِ عَالَمٍ كَثِيرٍ. وَمَنْ صَبَرَ إِلَى الْإِنْتِهَاءِ يَفُوزُ بِالْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ. وَيُعْلِنُ يَسُوعُ بِبَشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هَذَا فِي كُلِّ الْعَالَمِ هَذِهِ الشَّهَادَةُ عَلَى جَمِيعِ الشُّعُوبِ. عِنْدَ ذَلِكَ تَأْتِي السَّاعَةُ"^(١٦).

(١٤) أَيِ ابْغَضَكُمْ.

(١٥) مَتَى ٢٤/١٠.

فانتبهوا يا جماعة النصارى، التي بقيت في شرعتها مُدْبَذَةً حيارى. وتأملوا قوله: يعلن يسوع ببشارة الملكوت هذا في كل العالم هذه الشهادة على جميع الشعوب.

فأنتم أيها الكفرة عن هذا التسع التي أعلن فيها ببشارة الملكوت غفول حيارى، ومبعدون عن معرفتها وعقولكم سكارى، وأنتم من العالم وهذه الشهادة على جميع العالم وجميع الشعوب. هذا إن كنتم لحكمته مُسَدِّقون، ولعلامات مجيئه مُنْتَظِرُونَ. كذبتم أيها الظلمة العادون، وعصيتُم أيها المرفة الفاسقون المُفْتَرُونَ.

ثم يقول السيد في هذه الوصية أيضاً: "فإذا رأيتم العلامة النجسة التي في الخراب كما قيل في كتاب دانيال النبي قائمة في الموضع الطاهر المقدس فليُفهم عند هذا يهرب الذي في أرض يهوذا إلى الجبل وقد كان ذلك" (١٧).

فلو كانت لكم أيها النصارى في الدين نيات سادقة، وقلوبكم وأبصاركم للحق رامية، لتبنت أن هذه العلامات كلها قد ظهرت، وفاض ذكرها في جميع هذا العالم والشعوب واشتهرت وانتشرت. ولعرفتم أن العلامة النجسة التي كانت في الخراب قد أقيمت في الموضع الطاهر وركزت، وعن قليل نرى وقد محيت آثارها وطُمست.

ثم ذكر فيها: "أن إتيانه كَلَمع البرق، الساري في الغرب والشرق. وكذلك يكون إتيان السيد ابن البشر" (١٨). فهذا هو الدليل السادق على أن

(١٦) متى ١٢/٢٥ - ١٤.

(١٧) متى ١٦-٥/٢٤.

(١٨) متى ٢٧/٢٤.

السيد مسيح الحق لا يأتي فيقول للعالم أنا المسيح؛ لأن إتيانه كالبرق، الساري في الغرب والشرق، وإنما القائل ذلك هو الدعي الملعون المسيح الكذاب، والشقي المعتوه المرتاب. وأما السيد مسيح الحق فحواريه ودعاته يعرفون العالم سديق براهينه وعلاماته.

وأما أمر الساعة التي يظهر فيها السيد المسيح " فلا يعلم ذلك الإنسان، ولا ملائكة السماء، متى تهجم، إلا الأب وحده. وكما كان الناس قبل الطوفان في غفلتهم يأكلون ويشربون ويتمرحون فلم يشعروا به حتى نزل عليهم الطوفان فاحتملهم أجمعين؛ كذلك يكون إتيان السيد في مجده وعظمته لهلاككم وهلاك أمثالكم أيها العادون "(١٩).

أترى عقولكم الدنيئة تصور لكم أن السيد المسيح لا يظهر إلا عندكم، ولا ينتظر مجيئه سواكم؟ أف لكم يا جماعة الخيبة ولما تعتقدون. فكم مقداركم بالإضافة إلى عشر عشر هذا العالم، والسيد قد عرف ظهوره لخلاص الأمم من الخطية.

فتنبهوا أيها الجهلة من مراقدي الغفلة، وارجعوا إلى الحق مع أولياء السيد قبل انقضاء المهلة. فقد دارت الأدوار، وظهر توحيد الأب من حيث العالم ولاحت الأنوار. وأنتم في سكرتكم تعمهون، وبما اجترحتموه من التخلف عن طاعته مواخذون مطالبون.

ثم قال السيد في هذه الوصية: " الحق أقول لكم إن هذه العسرة لا تزول حتى تنم هذه الأشياء كلها "(٢٠).

(١٩) متى ٢٤/٣٦ و ٣٨ و ٥١ ...

(٢٠) متى ٢٤/٣٤.

وهذه نصوصات الإنجيل، التي لا يَرُدُّها ويُنكِرها إلا كلُّ كافرٍ ضَلِيلٍ، وقد رَدَدَتْموها أيُّها الكفرةُ العميان، وخرجتُم عن دينِ السيِّدِ المسيح كما خَرَجْتُم عن سائر الأديان.

رسالة المسيح إلى راهب من جرجان :

وقد ذَكَرَ الراهب الجرجاني^(٢١) جميعَ هذه الأمور في الرسالة التي سَيَّرَهَا السيِّدُ إليه. وذكَّرَ فيها ما لا تَهْتَدِي أفهامكم به ولا تَصْبِرُ عقولكم عليه، من ذِكْرِ هذه السنين حتى ذَكَرَ فيها حدَّ هذه العُسرةِ والفترة التي تكونُ على المُستَجِيبين من أجلِ خطاياهم، الذين لَسْتُم أنتم منهم بل أنتم لهم مُنكَرون، ومنهم مُتَبَرِّئون. ولَهُمْ يا عبيدَ السوءِ باغضون مُمْتَحِنون، حدُّها من أنطاكية إلى أسكندرية وعُقبَها الأصفياء الطاهرين.

فقد أخرجكم السيِّدُ من شَرَفِ هذه العُصبةِ المسيحية، الذي جَعَلَ حدَّ مِحْنَتِهِم من إنطاكية إلى إسكندرية. وأنتم تَشْهَدون على نفوسكم بما اجترحتُموه. وقد كان ذلك وأنتم تَنْظُرُوهُ، من قيامِ شعبٍ على شعبٍ، وملكٍ على ملكٍ، وأمةٍ على أمةٍ. وقد قامَ أهلُ الباطل وقمَّتُم معهم على أولياء السيِّدِ في هذه المواضع المذكورة، فقتَلوهم وأسلموهم للموتِ سائرَ الشعوبِ وبغضوهم، وطردوهم من بَيْنِ أَظْهَرِهِم وأخرجوهم؛ وفعلتُم أنتم أيُّها الكفرةُ فَعَلَّهم.

فأنتم وجميعُ هذا العالمِ من فَضِيلَةِ هذا القتلِ والطردِ والبُغْضِ والإخراجِ، والسَّبِّ والقَذْفِ والإخافةِ والإنزعاجِ، بريئون مُسَلِّمون، وفي مَعْزَلٍ عنه بالجهلِ غارقون، وفي غَمَرَتِكُم سادرون تائبون، بل قد

(٢١) من الجرجان، راهب غير معروف. لكن ما يدل على علو منزلته إرسال السيِّدِ له هذه الرسالة. وربما أرسله، بهذه الرسالة، داعياً إلى تلك البلاد.

شاركتموهم أيها الفسقة في النفاق والانعكاس، وتشبهتم في فعلكم بزنادقة اليهود في البدى في تتبع أولياء السيد ورسله بالظلم والإبلاس، فسقتم أوليائه قسراً، وأزعجتموهم تجبراً وكبراً، عصياناً وخِلَافاً للوصية، وخروجاً إلى الباطل عن الكلمة الباقية الأزلية.

أيها الكفرة! فأى ذنب لمن أرشد ضللاً إلى نهج السبيل، وأى جرم لمن أيقظ نياماً لظهور السيد المسيح بالشاهد والدليل. فعذوتم بالزهي على الأمين الحكيم، والشيخ الحواري الجليل العليم، وأخفتموه بما يطالب كباركم به السيد في اليوم العظيم، ويخلدوهم به عند حضور الساعة في العذاب المقيم، ويغير صورهم بالمسوخية في الفردة والخنازير كما غيروا صورة الحبر الحكيم.

فأنتم يا جماعة رؤساء النصرانية، خلفت السوء للحواريين آل الدعوة النورانية، ونكثت عهد السيد المسيح بقتل حواريه وقطع كلمته الأزلية الروحانية. ثم ترصدون أوليائه الصفوة للمهالك والمقاتل، وتكذبون رسله وتكيدونهم بالغوايل، فأنتم عن تلاوة حكمته عمهون، وبزخرف الباطل مغرمون. قد سلبتم التدبر لآيات الإنجيل، ووقف حالكم على الإنكار لحكمته والتعطيل.

فانظروا أيها الظلمة وأنى لكم بالنظر إن كنتم لأنفسكم منصفين، وللحق مدعين، ولحكمة السيد مُصدقين، وبرجعت له لخلاص شعب الحق من الخطيئة موقنين.

عودة إلى نصوص الإنجيل :

من إنجيل متاً في الإصحاح التاسع عشر، فليدبره منكم من كان ذو نصفة وخبر، في قوله: " ومن ذا الذي يكون عبداً أميناً حكيماً، أقامه

سَيِّدُهُ وَكِيلاً عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، يُعْطِيهِمْ قُوَّتَهُمْ فِي وَقْتِهِ. طُوبَى لَذَلِكَ الْعَبْدِ الَّذِي يُوَافِيهِ سَيِّدُهُ فَيَجِدُهُ يَصْنَعُ مَا أَمَرَهُ بِهِ. حَقًّا أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يَجْعَلُهُ أُمِينًا عَلَى جَمِيعِ مَالِهِ. وَإِنَّ الْعَبْدَ الْخَبِيثَ قَائِلٌ: إِنَّ مَوْلَاهُ تَطَوَّلُ غَيْبَتُهُ، ثُمَّ يَقْبَلُ عَلَى أَصْحَابِهِ بِالْإِسَاءَةِ وَالضَّرْبِ، وَيَشْتَغِلُ عَنْهُمْ بِالْأَكْلِ وَالشَّرْبِ، فَيَأْتِي سَيِّدُ ذَلِكَ الْعَبْدِ فِي يَوْمٍ لَا يَقْدَرُ قُدُومَهُ فِيهِ، وَسَاعَةً لَا يَشْعُرُ بِهَا، فَيُعْجَلُ عَزْلُهُ وَيَجْعَلُ حَظَّهُ وَجْزَاهُ مَعَ الْمُرْتَابِينَ الْآخِذِينَ بِالْوَجْهِ" (٢٢).

فَتَأْمَلُوا أَيُّهَا الصُّمُّ الْعُمِيُّ الْمُدَّعُونَ هَذَا الْخُطَابَ، وَأَوْضِحُوا لَهُ الْجَوَابَ، وَلَا تَغْتَرُّوا بِرَوْنَقِ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الزُّخْرُفِ وَالسَّرَابِ. وَتَبَيَّنُوا غَفْلَتَكُمْ عَنْ طَاعَةِ السَّيِّدِ وَرُجُوعِكُمْ عَلَى الْأَعْقَابِ.

أَلَمْ يُصَرِّحْ لَكُمْ: "إِنَّ لَهُ عِبِيدًا أَمَنَّا حُكْمًا، اتَّيَمَّنَهُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَكُلًّا، يُعْطُوهُمْ قُوَّتَهُمْ فِي وَقْتِهِ، وَيُعْرِفُوهُمْ الْمَسِيحَ الْكَذَّابَ بِصِفَتِهِ وَنَعْتِهِ" (٢٣). أَتَرَكَمُ أَيُّهَا الْغَفْلَةُ تَظُنُّونَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِأَهْلِ بَيْتِهِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَكْلِكُمْ وَشُرْبِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ، وَمَا تَكَالِبْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ حُطَامِكُمُ الزَّائِلِ عَنْ قَلِيلٍ لِسُوءِ أَعْمَالِكُمْ، أَمْ تَرَكَمُ تَظُنُّونَ أَنَّكُمْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَأَنْتَى لَكُمْ بِمَعْرِفَتِهِمْ أَيُّهَا الْبُكْمُ؟!

أَلَمْ يَقُلْ لِحَوَارِيهِ: "أَنَا فِيكُمْ وَأَنْتُمْ فِيَّ" (٢٤). وَقَالَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ: "أَنْتُمْ فِيَّ وَأَنَا فِي أَبِي" (٢٥). فَعَرَّفَ الْعَالَمَ أَنَّ الَّذِينَ هُمْ فِيهِ وَهُوَ فِيهِمْ هُمْ أَهْلُ بَيْتِهِ الْمُبْتَوِّثِينَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ، الْمُنْتَظَرِينَ لِمَجِيئِهِ إِلَى الْعَالَمِ لِلْحِسَابِ وَالْعَرْضِ. ثُمَّ عَرَّفَ الْعَالَمَ أَنَّ وَكَلَاهُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، هُمْ حَوَارِيهِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْبِدَى جَعَلَهُمْ فِي الْآخِرِ يُنْذِرُونَ الْأُمَّمَ وَيُبَشِّرُوهُمْ بِمَجِيئِهِ فِي وَقْتِهِ. وَهُمْ

(٢٢) متى ٢٤/٤٥-٥١.

(٢٣) متى ٢٤/٤٥ بتصرف وإضافات.

(٢٤) يوحنا ١٥/٤ و ٥؛ ١٤/٢٥ و ٢٣؛ ١٤/٢٠ و ١٧/٢٦...

(٢٥) يوحنا ١٤/١٠ و ١١؛ ١٤/٢٠ و ١٧/٢١ و ٢٣...

العبيدُ الذين أعنى بقوله: " طوبى لذلك العبدِ الذي يوافي سيِّده فيجده يصنعُ ما أمره به. حقُّ أقولُ لكم إنَّه يجعلُه أميناً على جميعِ ماله ". .

أيُّها الغفلةُ! كذبَ العادلون بالله عن الدين الصحيح، وضلَّ مَنْ أنكرَ رسلَ السيِّد المسيح، المبشِّرين بآياته وحكمته قبلَ ظهوره، والمرشدين الأمم إلى طاعته، المؤدية إلى طاعة الأب والاستِضاء بنوره.

فإن كنتم يا جماعة رؤساءِ النصرانيةِ بذكر السيِّد ومواعظه تتذكَّرون، وبوصاياه وحكمته تتدينون، أفلا عن الخُبثِ والمُنكر ترتدعون، وعن عبیده الذين ائتمنهم على قُوت أهل بيته تنزجرون وتنتهون! قاتلكم الله فأنتم الظالمون. يوشك أن يعجلَ خزيكم وعزلكم عن هذه المنازل، ويَجعلَ حظكم وجزاكم مع المرتابين من أهل الشعوب والقبائل. قاتلكم الله أنى تؤفكون.

يا ويلكم لقد تجاوزتم في الكفر والإبلاس، وعقبتُم على زنادقة اليهود في الظلم والانعكاس. يا ويلكم فأىُّ ذنبٍ لمن شرَحَ معاني كلمة التوحيد والاخلاص، ودعاكم إلى السيِّد المسيح مسيح الذنوب وصاحب العرض والقصاص. فستندمون أيُّها الكفرة بتكذيبكم لآيات السيِّد ورسله إكذاباً، وستعلمون أيُّ الفريقين أعظم تنكياً وأشدَّ عذاباً. يا ويلكم! أما تنظرون لأنفسكم قبلَ يومٍ لا نظرة فيه لمنتظر، ولا عذر بعد حُلُوله لمُعْتَدِر.

ميثاق المسيح الجديد للموحدين :

أما تتأملوا ما جاء في آخر الفصل الذي يُتلا عليكم بعد تسع ساعات من يوم الخميس الكبير^(٢٦)، لما جَمَعَ السيِّد حواريه الذين أنتم لهم مُنكرون، وهم عليكم في غدٍ شاهدون. وقال لهم: " إنَّ وقتي قد دنا وقرب. وعرفهم أنَّ

(٢٦) الخميس الكبير هو اليوم الواقع في أسبوع الآلام . وهو يوم القربان.

يهوذا الإسخريوطي يسلمه إلى فرأنة اليهود في ذلك الزمن العسير،
والوقت المعداد للنفر اليسير، لما أخذ السيد خبزاً فبارك عليه وكسره، وناول
تلاميذته وقال لهم: خذوا هذا جسدي كُلوه. ثم أخذ كأساً فبارك عليه
وشرب، وناولهم وقال لهم: خذوا هذا دمي، فاشربوه، وهو الميثاق الجديد
الذي تُسَفِّكُ عليه دماء كثيرة لمغفرة الخطايا والذنوب. ثم قال لهم: الحق
أقول لكم إنني لستُ أشربُ من عصير الكرم من الآن إلى اليوم الذي أُشربُه
جديداً في ملكوت أبي الله^(٢٧). وهذا في آخر وقته، وفراغ دعوته، بعد أن
عرفكم خروجه من العالم من حيث أنتم وحضور غيبته.

فانصِفوا نفوسكم أيها الغفلة المدعون، وتأملوا بعين الحقيقة، وإنني
لكم بها ما هو منصوصٌ في كُتُب مَتَّعِدَاتِكُمْ، وأنتم عنه مُعْرِضُونَ، وفي كل
الأوقات له تَقْرَأُونَ وتَسْمَعُونَ، من ذكر الميثاق الجديد وتعظيمه إن كنتم
للحق تَفْهَمُونَ. تالله إنكم عنه صُمُّ عَمِيُونَ. ثم صرَّحَ بفعله لمغفرة الخطايا
وحرمه في ذلك الوقت. ثم أحله بعد رجعه في اليوم الجديد عند قيامه في
ملكوت أبيه على هذه الصفة والنعت. وقد رَجَعَ إلى العالم لغُفْران الخطايا،
وسقاه أوليائه جديداً ولم تَشْعُرُونَ، ووصلتُ رسائلُ عبده المُبَشِّرَةِ إليكم،
وأنتم لها مُكْذِبُونَ، ولما واثَقُكم عليه مُنْكَرُونَ جاحدون.

قد نَكُثْتُمْ يا معاشِرَ رؤساءِ النِّصْرَانِيَّةِ ما عاهدَهُ السَّيِّدُ إليكم وإلى
الْحَوَارِيِّينَ السَّادِقِينَ، وَفَتَكُثُّمُ بَعْدَهُ السَّادِقِ النَّاصِحِ الْأَمِينِ، تَأْسِيًّا بِمَجُوسِ
الْأُمَمِ أَشْبَاهِكُم الظَّالِمِينَ الْمُدَّعِينَ، وَقَدْ عَرَّفَكُم ذَلِكَ وَاتَّصَلَ بِكُمْ وَتَحَقَّقْتُمْ
وُضُوحَ الْمِيثَاقِ، وَانْتَشَرَتْ دَعْوَةُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ الْحَقِّ فِي جَمِيعِ الْأَفَاقِ. فَإِنْ
أَجَبْتُمْ فَلِلسَّيِّدِ الْمَسِيحِ أَطْعَمْتُمْ، وَإِنْ تَخَلَّفْتُمْ فَلآيَاتِهِ الْمُنْصُوصَةِ فِي الْإِنْجِيلِ
نَقَضْتُمْ وَجَدَّحْتُمْ.

خاتمة الرسالة :

فيا أيُّها الغُلفُ القُلُوبِ. ويا حَمَلَةَ الخطايا والذنُوبِ. لو أردنا الرَّدَّ على ما تَنَحَّلُهُ جَمِيعُ فِرَقِ النَّصْرَانِيَّةِ، وَكَشَفَ عَوَارِ ما لُفَّقَ لَكُمْ بِمَدِينَةِ القُسطنطينيَّةِ، وَتَبَيَّنَ رِكاكَةُ عُقُولِكُمْ وَقُبُولِكُمْ لما هُوَ خَارِجٌ عَنِ الحِكْمَةِ المَسِيحِيَّةِ، لَحَلَلْنَا عَقْدَهُ حَرْفَ حَرْفٍ، وَلَنَقْضُنَاهُ عَلَى هَذَا النِّعَتِ وَالْوَصْفِ. وَقَدْ أَعْذَرَ مَنْ أَنْذَرَ، وَعَدَلَ مَنْ نَصَحَ وَبَصَرَ وَخَبَرَ.

فَوَحَّقَ السَّيِّدُ الْأَبِينُ الحَقَّ فِي لَفْظِ الخِطَابِ، وَلَأْمَسَكَنَّ عِنانَ الجَوَابِ، بِسُتْرِ النِّقَابِ، إِلَى أَنْ يَرِدَ إِلَيَّ ما فَعَلَ بَعْدَ هَذَا الكِتَابِ. فإِما بِالْإِقْلَاعِ عَمَّا أُجْرِي إِلَيْهِ بِالزَّهْوِ مِنَ الزَّلَلِ وَالْغَلْطِ، وإِما بِالتَّمَادِي عَلَى الكُفْرِ والجَحْدِ وَالْقَنْطِ. وَلَأَهْتَكَنَّ عَوَارِ نَوَامِيسِ الأَدِيانِ، وَلَأَوْضِحَنَّ التَّخَلُّفَ مِنْ فَاعِلَةِ الْغَلْطِ عَنْ مَعْرِفَةِ ما ابْتَدَعَهُ الْجُمْهُورُ مِنْكُمْ فِي مَعْنَى الصِّلْبُوتِ وَالْقُرْبانِ، وَلَأُهْذِمَنَّ قَوَاعِدَ النُّحْلِ الشَّرِكِيَّةِ البِدْعِيَّةِ، وَلَأُفْسِخَنَّ المَقالاتِ الْمُخْتَلَفَةَ عَلَى مَسِيحِ الحَقِّ بِالشَّرْعِيَّةِ، الْمَكْذُوبَةِ عَلَى أَهْلِ الحَقِّ فِي كُلِّ دَهْرٍ وَأَوَانٍ، الْمُفَرَّعَةَ لِلشَّكِّ وَالشَّرْكَ فِي أَصُولِ الأَدِيانِ، بَعْدَ الْأَذَانِ فِي ذَلِكَ مِنْ قَائِمِ العَصْرِ مَسِيحِ الأَزْمَانِ.

وَالْحَمْدُ لِمَوْلانا وَحْدَهُ . وَالشُّكْرُ لِمَسِيحِ الأُمَمِ وَهَادِيها عَبْدِهِ.

تَمَّتْ بِمَنَّةِ وَلِيِّ الأَخِرَةِ.

الرسالة الموسومة بالتعقيب والافتقاد

لأداء ما بقي من هدم شريعة النصارى الفسقة الأضداد

هذه الرسالة تكمل الرسالتين السابقتين (٥٣ و ٥٤). وهي مليئة بنصوص من الإنجيل، وقد أولت بما يتفق وعقيدة التوحيد. فيها، كما في السابقتين، هجوم على المسيحيين، وإثبات على أن حمزة هو المسيح الحق... بعث بها بهاء الدين إلى الأمير ميخائيل البفلاجوني Michel Paphlagonien زوج زوجة Zoé بنت قسطنطين الثامن، الذي وجهت إليه الرسالة الموسومة بالقسطنطينية، رقم ٥٣... إن معرفة بهاء الدين بالانجيل والطقوس المسيحية جعلت سلفستردى ساسي يعتبره مسيحياً مرتدّاً عن مسيحيتّه، كافرّاً بها^(١).

توكلت على المولى الإله الحاكم المنزه عن الإشارات، المعبود في جميع الأعصار بأصناف اللغات. وتوسلت إليه بعبده مسيح الحق المنتظر لخرق العادات.

من العبد المقتنى الناصح المملوك لمسيح الأزمان، ومحلل معاهد الملل وناسخ الأديان، وقاتل إبليس والشيطان، ومهلك العجل والشيصبان،

(١) Silvestre de Sacy, Exposé de la Religion des Druzes, 2 tomes: t. I: (١)

VIII+DXVII+234 pp. t. II: 708 pp.; Librairie Orient-Edition, Paris; 1838;

Réimpression 1964; voir: p. CCCCLXXXIX.

والدهور، القاطعُ عند الهائِعةِ الكُبرى للَقُودِ والرَّسَنِ، والهاربُ إلى أشكالِهِ شوقًا إلى عبادةِ الهُبَلِ والوثنِ، المُذْكِ لنارِ الشُّركِ، والسَّاجِبُ لذُيْلِ دَهْمَاءِ الفتنِ. فقد عَصَفَتْ بِكُمْ على يَدِهِ أرياحُ الفَنَاءِ والوَبَالِ، وأَذْنَتْ دولتُكُمْ بالبَوَارِ والزَّوالِ، وتهدَّمتْ أركانُ شريعَتِكُم بالنَّقْضِ والانحلالِ، المأسَّسَةِ على التَّدْلِيسِ والسُّخْرِيَّةِ، المَكْذُوبَةِ على المسيحِ البِدْعِيَّةِ.

أيُّهَا الهَلَكَةُ! فاستَشْعِرُوا عقابَكُمْ على الخُلُقِ الذَّمِيمِ، وجزائِكُمْ على الذَّنْبِ العظيمِ. وتذكُّروا أفعالَكُمْ بالقديسينِ آلِ الصَّبْرِ والتَّسَدِيقِ والتَّسْلِيمِ.

ما في الإنجيل يُطبِّق على حمزة :

فعن قريبٍ يَصِحُّ قولُ السَّيِّدِ: "تَدَانُوا بما أَدْنْتُمُوهُ، فَيُكَالُ لَكُمْ بالمِكْيَالِ البَخْسِ الَّذِي أَكَلْتُمُوهُ" ^(٣)، وتُسَلَّبُونَ العِزَّ والنَّصْرَ، وتُقْتَلُونَ كما قَتَلْتُمُوهُمْ بِالذُّلِّ والقَهْرِ، وتُسَاقُونَ بالعُنْفِ قسراً، وتُطْرَدُونَ إلى النَّارِ المَعْدَةِ لَكُمْ كما طَرَدْتُمُوهُمْ تَجْبِراً وكِبْراً. فقد اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرُ، وأُغْلِقَتْ أبوابُ التَّوْبَةِ ورَفِعتِ الزُّبُرُ. وتحيرْتُمْ لجهلكُمْ في الوقتِ الَّذِي نَهَاكُمْ فيه عن التَّحْيِيرِ، وعَكَفْتُمْ على العِنَادِ والبَلَسِ والتَّقْصِيرِ، وعميتْ بصائرُكُمْ عن حُكْمِ هذا العصرِ، ونسيْتُمْ نصَّ الإنجيلِ في قولِ الربِّ على لسانِ النبيِّ القائلِ: "إنِّي دعوتُ ابني من مَصْرَ" ^(٤). ولم تَكُنْ هذه الدَّعْوَةُ التي دَعَا بها الرَّبُّ ابْنَهُ من مَصْرَ في ضَعْفِ ذلكَ الزَّمانِ، وإنَّمَا هي اليومَ في وَقْتِ القُوَّةِ ليصحَّ قولُ النبيِّ القائمِ لتحقيقِ الأديانِ. والله! ليجمعنَّ اللَّهُ شَمْلِي بمَصْرَ، كما جَمَعَ بها شَمْلَ آلِ يَعْقُوبَ. يعني به هذا العصرَ والوَقْتَ المُعَيَّنَ المَوْجُوبَ.

(٣) متى ٧/١-٢. الأصل: "لا تدينوا لئلا تَدَانُوا. فكما تَدِينُونَ تُدَانُونَ. ويكَالُ لَكُمْ بما تَكِيلُونَ".

(٤) متى ٢/١٥.

الْمُنْتَقِمِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ، وَمَا حَقَّ لِأَهْلِ الْخِلَافِ وَالْعَصِيَانِ^(٢)،

إِلَى الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ بَعْدَ أَرْمَانُوسِ الْهَالِكِ، يَعْنِي الْأَرْخَنَّ مَخَائِلَ الْمُتَحَنِّ بِخَرْفِ الْمَكْسُورَةِ النَّابِ ابْنَةِ قُسْطَنْطِينَ، الْمُخْتَطَفِ الْمُرْتَعَشِ الْعَاجِزِ الضَّلِيلِ، وَإِلَى جَمِيعِ فِرْقِ النَّصْرَانِيَّةِ النَّجَسَةِ الطَّاغِيَةِ، وَالْأُمَّةِ الْمُنْكَرَةِ الْفَاسِقَةِ الْبَاغِيَةِ، الدَّعِيَّةِ الْكَاذِبَةِ الْخَاطِيَةِ، الْقَرِيبَةِ الْمُدَّةِ وَالْأَجَلِ، الْمُؤَاخَذَةِ بِسُوءِ الْعَقِيدَةِ وَخَبِيثِ الْعَمَلِ، الْمَقْطُوعَةِ الْأَصْلِ وَالْأَمَلِ، الْمَمْنُوعَةِ مِنَ الْبَقَاءِ وَالْمَهَلِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَالْحَمْدُ لِلْمَوْلى إِلَهِ الْهَالِكِ الْمَاسِحِ لِلْمَسِيحِ، وَمَالِكِ الْأَقْنُومِ وَالذَّبِيحِ، الْعَالِّ لِعَلَّةِ الْعَلَلِ، الْمُنْزَهُ عَنِ الْأَزَلِيَّةِ وَالْأَزَلِ، الَّذِي تَجَالَلَ عَمَّا يَخْتَلِجُ فِي الْهَوَاجِسِ الْفِكْرِيَّةِ، وَتَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ عَنِ الْأَوْهَامِ الْجَارِيَةِ فِي الْأَوَائِلِ الْعَنْصَرِيَّةِ، الَّذِي جَعَلَ لِلنَّفُوسِ الطَّاهِرَةِ بِالْعَجْزِ وَالتَّخْيِيرِ سَبَبًا إِلَى الْعُلُوقِ وَالثَّوَابِ، وَلِلنَّفُوسِ الْكَدِّرَةِ الْعَاصِيَةِ طَرِيقًا إِلَى الْإِنْسِفَالِ وَالْعِقَابِ. فَالطَّائِعَةُ مُعْتَرِفَةٌ بِالْعَجْزِ سَالِكَةٌ عَلَى الْمُنْهَجِ الصَّحِيحِ، وَالْعَاصِيَةُ مُنْسَفِلَةٌ بِالتَّكْبُرِ غَامِطَةٌ لِنِعَمِ السَّيِّدِ الْهَادِي الْمَسِيحِ.

وَسَلَامُهُ عَلَى وَلِيِّهِ مَسِيحِ الْحَقِّ الْقَائِمِ عِنْدَ تَمَامِ الْأَدْوَارِ لِتَبْدِيلِ الْمَلَلِ، وَلِنَسْخِ الشَّرْعِ وَتَغْيِيرِ الدُّوَلِ.

الْمَسِيحِيُّونَ غَافِلُونَ عَمَّا فِي أَنْجِيلِهِمْ :

فَيَا أَيُّهَا الْأُمَّةُ الْهَالِكَةُ لَجْهَلِهَا وَعِصْيَانِهَا، وَالْفِرْقَةُ الْخَائِبَةُ لِعَفْلَتِهَا وَنِسْيَانِهَا، اللَّاهِيَّةُ عَنْ مَعْمُودِيَّتِهَا وَقُرْبَانِهَا. أَنْظُرُوا إِلَى أَسْبَابِ الْمَحَنِ وَتَقَلُّبِ الْعُصُورِ، وَتَعَلَّقْكُمْ بِالْذُّجَالِ الْمُعَيَّنِ الْمَذْكُورِ لَخَزِيكُمُ وَهَلَاكِكُمْ فِي آخِرِ الْأَزْمَانِ

(٢) هَذِهِ الثَّنَائِيَّاتُ: «الْإِبْلِيسُ وَالشَّيْطَانُ»، وَ«الْعَجَلُ وَالشَّيْصِبَانُ»، هِيَ كُنَايَةٌ عَنِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَالْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي تَالِبٍ. وَكَذَلِكَ: «أَهْلُ الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ»، وَ«أَهْلُ الْخِلَافِ وَالْعَصِيَانِ»، هِيَ كُنَايَةٌ عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ الشَّيْعَةِ. وَهَذَا مَأْلُوفٌ فِي رِسَائِلِ الْحِكْمَةِ.

فَغَفَلْتُمْ أَيُّهَا الْفَسَقَةُ عَنْ هَذِهِ الْإِشَارَاتِ وَالْوَصَايَا، وَرَكِبْتُمْ نَهْيَهُ لَكُمْ عَنْ مُعَاوَنَةِ الظَّالِمَةِ يَا حَمَلَةَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا. فَقُمْتُمْ عَلَى أَوْلِيَاءِ السَّيِّدِ فَقَتَلْتُمُوهُمْ بِالْبَلَسِ وَالضَّلَالِ. وَنَهَضْتُمْ فِي شُرُوطِ الْقِيَامَةِ لِنَصْرَةِ الْأَبْرَصِ الْأَعْوَرِ الدَّجَالِ^(٥)، لِيَصِحَّ قَوْلُ السَّيِّدِ لَمَّا ظَهَرَ بِلِسَانِ الْعَرَبِ، فِيمَا مَضَى مِنَ الْأَعْوَامِ وَالْحَقَبِ، إِشَارَةً إِلَى مُعْجَزِهِ الْقَاضِي عَلَى النُّبُوءَاتِ، وَقَوْلِهِ الْحَتْمِ فِي نَسْخِ الْمَذَاهِبِ وَالْمَقَالَاتِ:

فَكَانَ دَجَالُ الْقِيَامَةِ أَعْمَسُ ————— وَرَ قَدْ ثَارَ فِي يَوْمِ الْكُرِيهَةِ مِنْ حَلَبَ
وَالرُّومِ أَجْمَعِ عَوْنُهُ وَهُوَ الَّذِي لَا شَكَّ مَوْرِدُهَا الْخَزِيئَةُ وَالْحَرْبَ

ثم قال بعد ذلك يتلو هذا القول إشارة إلى حواريه وأوليائه وحججه وأنبيائه:

يَا رَبُّ أَنْجِزْ وَعْدَهُمْ بُولِيهِمْ فِي دَارِ مِصْرٍ فِي جُمَادَى أَوْ رَجَبِ.

ثم قال بعد ذلك دلالة على تناهي مدَّتكم وتعييننا على استئصال شأفتكم:

فَإِذَا رَأَيْتَ الْوَقْتَ فَارْقُبْ حَيْثَهُ وَتَرَى النِّصَارَى قَدْ تَنَاهَتْ فِي الرُّتَبِ.
فَهَذَا حَيْثُ الْأَمْرِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ فَارَ تَنَوَّرُ السُّ ————— فِينَةِ وَانْقَلَبِ.
بَادِرْ إِلَيْهَا بِالْقَبُولِ فَإِنَّهَا رِيحُ السَّلَامَةِ فِي الْإِقَامَةِ وَالطَّلَبِ.

فَيَا أَيُّهَا الْكَافِرَةُ الظَّالِمَةُ، وَالْأَنْجَاسُ الْفَسَقَةُ الْأَثَمَةُ، تَأَمَّلُوا هَذَا التَّعْيِينَ خُرُوجَكُمْ عَنْ سُنَنِ الْحَقِّ وَفَسَقَتُمْ. وَاسْتَشْعِرُوا خَزْيَكُمْ وَانْقِرَاضَ دَوْلَتِكُمْ، وَاعْرِفُوا نَقْضَ رُؤُسَائِكُمْ، مِنْ دَمِهِ أَوْلِيَاءَكُمْ وَأَحْبَارَكُمْ، فِي قَوْلِهِ: "أَوَّلِيلَ لَكُمْ أَيُّهَا الْكُتَّابَةُ، وَالْأَحْبَارُ الْكَثِيرُونَ الرَّبَّاءُ. إِنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الْأَنْبِيَاءِ. وَتَرْمُونَ قُبُورَ الْأَبْرَارِ. وَأَنْتُمْ الْقَائِلُونَ لَوْ كُنَّا عَلَى عَهْدِ آبَائِنَا لَمْ نُشْرِكْهُمْ فِي قَتْلِ

(٥) إشارة إلى مساعدة المسيحيين علياً الظاهر في اضطهاد الموحدين.

الأنبياء. وأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء أولئك الذين قَتَلُوا الأنبياء، وأنتم مُقِيمُونَ على صَنَعَةِ آبَائِكُمْ أَيُّهَا النَّعَابِينَ. فأنتم أولادُ الأفاعي فكيف تهربون من عقاب جَهَنَّمَ" ^(٦). فهذه شهادته عليكم في نصوص الإنجيل، الذي لا يردُّه وَيُنْكِرُهُ إِلَّا مَنْ عَقِيدَتُهُ الْجَدُّو والتَّعْطِيلُ.

ثم عرَّفكم في الإصحاح الثامن عشر، بعد هذا القول المُنْزَّه عن الكِذْبِ والنَّكَرِ، لِأَيَّانِ رُسُلِهِ فِي هَذَا الزَّمَانِ وَالْعَصْرِ، قَبْلَ ظُهُورِهِ وَرَجْعَتِهِ، وَذَلِكَ فِي آخِرِ الْوَقْتِ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الْعَالَمِ وَحُضُورِ غَيْبَتِهِ. فَقَالَ عَطْفًا عَلَى مَا تَقْدَمُ: "وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ إِنِّي مُرْسِلٌ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَكُتَبَةً فَتَقْتُلُوا بَعْضَهُمْ وَتَصَلِّبُوهُمْ، وَتَجْلِدُوا آخَرِينَ فِي مَجَامِعِكُمْ وَتَطْرُدُوهُمْ، مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ وَتُخْرِجُوهُمْ، حَتَّى تُعَاقِبُوا بِكُلِّ دِمَاءِ الْأَبْرَارِ الَّذِي سَفَكَ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلُ دَمِ هَابِيلِ السَّيِّدِ الْقَامِلِ الْأَرْجَحِ، إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا أَبُو يَحْنَا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ بَيْنَ الْهَيْكَلِ وَالْمَذْبَحِ. أَقُولُ لَكُمْ حَقًّا يَقِينًا إِنَّ هَذِهِ الْعُسْرَةَ لَا تَزُولُ حَتَّى تَتَّخِذُوا بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَتَحُلَّ بِكُمْ هَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا" ^(٧). فَعَرَّفَكُمْ أَنَّ الَّذِي فَعَلْتُمُوهُ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الزَّانَدِقَةُ فِي ذَلِكَ الْأَوَانِ أَنْكُمْ تَتَّخِذُونَ بِقُبْحِ أَفْعَالِكُمْ بَرَسُولِهِ وَحَوَارِيهِ فِي خُرُوجِكُمْ لِنُصْرَةِ الْأَبْرَصِ الْأَعُورِ الدَّجَالِ فِي هَذَا الزَّمَانِ.

فَلَا تَغْرَنَكُمْ هَذِهِ الْأَيَّامُ الْقَلِيلَةُ الْإِمْهَالِ، الْمَوْجِبَةُ عَلَيْكُمْ الْعَذَابَ وَاللَّعْنَ وَالْوَبَالَ. فَإِنَّمَا هِيَ هُنَيْهَةٌ لِحَقْقَابِ الذُّنُوبِ وَوَفَاءِ الْأَعْمَالِ. فَقَدْ كَذَبْتُمْ مَا أَشَارَ بِهِ السَّيِّدُ إِلَى ظُهُورِهِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، وَطَمَسْتُمْ الْحَقَّ الَّذِي بَيَّنَّهُ عَلَى أَلْسِنِ أَصْفِيَائِهِ الطَّيِّبِينَ الْكَرَامِ، فِي قَوْلِهِ فِي الْفَصْلِ الَّذِي يُقْرَأُ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنَ الْغَطَّاسِ: "وَأَقْبَلَ يَحْنَا الصَّابِغُ وَجَعَلَ يُعْلِنُ صَوْتَهُ، وَيَقُولُ: تَوَبُّوا أَيُّهَا النَّاسُ، فَقَدْ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاءِ، الْمُبْرِيُّ مِنَ الْبَرَصِ وَالضَّلَالِ وَالْعَمَى. وَمَنْ

(٦) متى ٢٣/٢٩ - ٢٣.

(٧) متى ٢٣/٣٤ - ٣٦.

قَبْلَ هَذَا بَشَّرَ شَعْيَا النَّبِيُّ عَنْ فِعْلٍ أَلِيَّا وَهُوَ يُحَنَّا الصَّفَا، فَقَالَ: صَوْتُ مُنَادِي فِي الْقَفْرِ أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ وَسَهِّلُوا سَبِيلَهُ" (٨).

ولم يظهر الربُّ بعظمته للعوالم في ذلك الزمان، ولا قَرُبَ منهم ملكوتُ السماء كوضوحه في هذا الوقت بالدلائل والبُرهان، وتحقيقِ علاماته من الإنجيل الذي تعبدتُم به بالنظرِ والعيان، ورجوعه إلى العالم لخلاصِ الأمم من الخطايا والذنوب، ومُحاسبته لهم على سرائر النفوس وضماير القلوب. فلو أَنَّهُ ظَهَرَ فِي أُمَّةٍ مَعْرُوفَةٍ، أَوْ أَهْلِ شَرِيعَةٍ كَانَتْ قَبْلَ ظُهُورِهِ موصوفة، لَكَانَ الْحَالُ يَجْرِي عَلَى سُنَنِ الْمَاضِيَيْنِ، وَلَمْ يَكُنْ فَرْقًا بَيْنَ أَهْلِ النِّوَامِيسِ وَبَيْنَ صَاحِبِ الْكَشْفِ وَأَشْيَاعِهِ الْمُوقِنِينَ الْمُوَحِّدِينَ.

لَكِنَّهُ إِلَى الْكَافَّةِ بِمَا أَعْجَزَهُمْ ظَهَرَ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الصُّحُفُ وَالزُّبُرُ، وَأَنْبَأَتْ عَنْهُ بِالْقَوْلِ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِي إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ، فَقَامَ بِمَا أَنْكَرَتْهُ الْعَوَالِمُ رَدًّا عَلَيْهَا وَاحْتِجَاجًا. وَبَقَرَّ خَاصِرَةَ الْبَاطِلِ فَتَعَنَّجَرَ شُؤْبُوهُ بِمَاءِ الْحَقِّ أَمْوَاجًا، وَأَنْهَلَتْ إِلَيْهِ أَشْيَاعُهُ بِالصَّبْرِ عَلَى الْمِحَنِ أَفْوَاجًا أَفْوَاجًا.

فَكُونُوا أَيُّهَا الْكَفَرَةُ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالْإِنْتِظَارِ، لَشُرْبِ كَاسِ الْحِمَامِ، وَلَا تَغْتَرَّوْا بِالظُّفْرِ بِأَجْنَادِ الشَّامِ. فَبَعْدَهُ يَحُلُّ بِكُمْ الذِّلُّ الشَّامِلُ وَالسَّيْفُ الصَّارِمُ الْقَاتِلُ، وَتَطَأُكُمْ بِأَخْمِصَتِهَا كِتَابُ الْمُظْفَرِ الْمُسْعُودِ، وَتَرْجِعُوا إِلَى لِبْسِ الْغِيَارِ وَتَكُونُوا بِلَا رَئِيسٍ كَالْمَجُوسِ وَالْيَهُودِ، دَلَالَاتِ لِيَوْمِ الدِّينِ وَعِلَامَاتِ لظُهُورِ هَذَا النَّبَأِ الْعَظِيمِ. وَإِنَّمَا هَذِهِ كُلُّهَا بَشَارَةٌ بِالْوَقْتِ السَّعِيدِ الْمَيْمُونِ، عِنْدَ رَجُوعِهِ إِلَى مَلَكُوتِ أَبِيهِ فِي الْيَوْمِ الْجَدِيدِ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. وَإِنَّمَا حَجَبَتْهُ عَنْكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لِحُكْمَتِهِ لَا تَفْقَهُونَ.

ثُمَّ عَرَّفَكُمْ رَجُوعَ يُحَنَّا الصَّابِغِ أَمَامَهُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ لَا هَوْنَ مُعْرِضُونَ.

فقال: "الحق أقول لكم إنَّه لا يَنُتَّمُ في أولادِ النَّساءِ أعظمُ من يُحَنَّا الصَّابِغِ. وأخوه الصغير في ملكوتِ السماءِ أعظمُ منه" (٩).

ثم قال: "واعلموا أنَّ مَثَلَ أَيَّامِ يُحَنَّا الصَّابِغِ لَيَوْمٍ عَظِيمٍ، وأهلُ القُدرةِ يَقْتَدِرُونَ بها، إذ جميعُ الأنبياءِ إنَّما استفادُوا من ملكوتِ السماءِ. والتوراةُ إنَّما دَلَّتْ ونَبَّأتْ على ميلادِ يُحَنَّا. فَإِنْ أَجَبْتُمْ فاقْبَلُوا أَنَّهُ أَلِيَّا، الذي قِيلَ إِنَّهُ مزَمَعُ أن يَأْتِيَ من مَجْدِ أَبِيهِ. فمن كان له أُذُنَانِ سامعتانِ فليسمع" (١٠). فعَرَّفَ العالَمَ بِأَتِيانِ أَلِيَّا الذي هو يُحَنَّا المُسَهِّلُ طريقَ الرَّبِّ وَسُبُلَهُ وَمُبَيِّنُ عوارِ إبليس وناسِخُ مِلَّهِ.

وجميع هذا الخطابِ بعد أن قَتَلْتُمْ أَيُّهَا الكَفَرَةُ فَمَ الذَّهَبِ يُحَنَّا وهو أَلِيَّا، وَقَتَلْتُمْ قَبْلَهُ بين الهيكلِ والمذبحِ زكريَّا (١١). فهذه أفعالكم وأفعالُ آبائكم في البِدَى والأخير أَيُّهَا المُنافِقُونَ، وقد شَفَّعْتُمُوهَا من البَلَسِ واللَّعْنَةِ بما أنتم له مُعتادُونَ أَلْفُونَ.

ثم قال السَّيِّدُ تَأَكِيدًا لَذلك الإخبارِ، إشارةً إلى مُعْجَزِ يُحَنَّا المُهاجِرِ بتوحيدِ المولى الإلهِ الحاكمِ الجَبَّارِ: "وَمَنْ ذا الذي يُعْطِي الإنسانَ قُدَّاسَهُ" (١٢)، إذا ما أتى ابنُ البشرِ مَقْبِلًا في مَجْدِ أَبِيهِ مع ملائِكَتهِ الأَطْهَارِ، فَيُجْزِي كُلَّ امرئٍ من الناسِ كَقُوَّةِ عَمَلِهِ" (١٣).

(٩) متى ١١/١١.

(١٠) متى ١١/١٢ - ١٥. من الافضل أن يقال «إِنْ أَحْبَبْتُمْ بَدَلَ» أُجِبْتُمْ.

(١١) إشارة الى متى ٢٣/٣٥.

(١٢) أخطأ الناسخ في «قُدَّاسَهُ» بَدَلَ «قدا نفسه».

(١٣) متى ٢٦/١٦ - ٢٧.

ثم قال: "والحق أقول لكم إن هاهنا ناساً قِياماً لا يذوقون الموت حتى يُعاینوا ابنَ البشر يأتِي مُقبِلاً في مجدٍ أبِيهِ" ^(١٤). فأشارَ إلى هذا الوقت وأنتم لا تَفْقَهُونَ، وقد أَنتَكُم رُسُلُهُ وأنتم لنعمته تَجَدُّونَ، ولحكمتِهِ تُكذِّبونَ وتَدْفَعُونَ. قاتلكم الله فأَنَّى تُكذِّبونَ. فقد تناهتْ أَيامُكم وإنما أُنْظِرْتُكم كما أُنْظِرَ الإِبليسُ إلى يومٍ يُبْعَثُونَ.

والدلالة على رجوع يُحَنَّا في الإصحاح الثالث عشر، تكذيباً لقول أهل البهت والنكر، قولُ الكتبة للسيد: "ما العلامةُ أن ألياً يأتِي إلينا بعد غيبته، وما معنى ذلك؟ فأجابهم يسوع وقال لهم: إن ألياً يأتِي ليتِمَّ الأشياءَ كلها. والحق أقول لكم إن ألياً قد أَتاكم في البدى ولم تَعْرِفُوهُ" ^(١٥). وكما كان إتيانُهُ في البدى لإِيجاب الحُجَّةِ والنعمة، كذلك يكون مَجِيئُهُ في الأخير لإِيجاب العقاب والنقمة.

ثم صرَّح لكم بالقول أيُّها العمي الضالُّ، والأَعْتَامُ الفراعنة المدَّعين الجهَّال، المتَمِّمُ لفراغ مدَّتكم الأَعورُ الدَّجَال. فقال: "وكلُّ مَنْ آمَنَ بابنِ البشرِ اعترَفْتُ بِهِ أنا أيضاً أمامَ أَبِي الذي في السماء" ^(١٥). فعرَّفَ العالم أن الوقتَ الذي يَرْجِعُ فيه لا يقدرُ أَحَدٌ أن يؤمِّنَ بإمامِ البشر من العالمِ كُلِّهِ إلا مَنْ أَجابَ دعوته. ومن أبا فقد جَدَّ وطغى وكَفَّرَ.

وكذلك قال: "من أَمَاتَ نَفْسَهُ من أَجْلِ فَقَدَ أَحْيَاها، وَمَنْ قَتَلَهَا فَقَد قَتَلَنِي. وَمَنْ قَتَلَنِي فَقَد قَتَلَ أَبِي الذي أَرْسَلَنِي" ^(١٦). فهذا تصحيحٌ لِلدِّكِّم

(١٤) متى ١٦/٢٨.

(١٥) متى ١٧/١١ - ١٢.

(١٥) متى ١٠/٣٢.

(١٦) متى ١٠/٣٩ - ٤٠. الصحيح بدل «مَنْ قَتَلَهَا فَقَد قَتَلَنِي، وَمَنْ قَتَلَنِي...»: «مَنْ قَتَلَنِي...».

قبلني...».

وَجُحُودِكُمْ، وَتَعْيِينَ لِقَتْلِكُمْ لِأَوْلِيَاءِ السَّيِّدِ وَعُنُودِكُمْ.

ثم قال إشارة إلى هذا الوقت الكريم، ودلالة على ظهور هذا النبأ العظيم: "ولا تظنُّون أنني أُلقِي الصِّلَحَ في الأرض، ولا يكون مجيُّ صلحاً بين الناس، بل يكون في ذلك مُقاومةً ومماراةً ومغالبةً. وإن لمجيي يُخالف الابنُ لأبيه، والبنْتُ لأمِّها، والكنَّةُ حماتها. ويصيرُ أهلُ بيتِ الرَّجل كلُّهم أعداءً" (١٧).

وهذا أيُّها المَرْقَةُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَعَرَفْتُمُوهُ. وَصَحَّ عِنْدَكُمْ فِي نَصُوصَاتِ الْإِنْجِيلِ الَّذِي تَعْبُدْتُمْ بِهِ فَعَمَيْتُمْ بِصَائِرُكُمْ عَنِ الْحَقِّ وَخَالَفْتُمُوهُ.

قَتْلُ الْمَسِيحِيِّينَ أَهْلَ الْحَقِّ :

ثم أكَّد الشهادة لرجوع أوليائه، وعرفهم أفعال أعدائهم وأعدائه فقال: "فسوف يسلموكم إلى القضاة، ويجلدوكم في محافلهم، ويقدموكم إلى الحكَّام والملوك من أجل الشهادة عليهم وعلى جميع الشعوب" (١٨). فقد قدَّمتموهم إلى الحكَّام أيُّها الظَّالِمَةُ، وَجَحَدْتُمْ قَوْلَهُ لَمَّا عَرَفْتُمْ أَفْعَالَكُمْ وَأَنْكُمْ أَوْلَادُ الْأَفَاعِ الْفَسَقَةِ الْأَثَمَةِ.

ثم قال: "وَسَيُسَلِّمُ الْإِخُ مِنْكُمْ أَخَاهُ لِلْمَوْتِ فِي الدِّينِ، وَالْأَبُ ابْنَهُ، وَيَقُومُ الْبَنُونَ عَلَى آبَائِهِمْ، فَيَقْتُلُوهُمْ وَيَكُونُوا مَبْغُوضِينَ عِنْدَ جَمِيعِ النَّاسِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي. فَمَنْ صَبَرَ إِلَى آخِرِ الْأَمْرِ فَازَ بِالْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ" (١٩).

فيا أيُّها المَرْقَةُ الْكَذَّابَةُ، وَالْفِرْقَةُ الْأَدْعِيَا النَّصَبَةِ، مَتَى أَسَلَّمَ الْإِخُ مِنْكُمْ أَخَاهُ لِلْمَوْتِ فِي الدِّينِ؟ وَمَتَى قَتَلَ آبَاؤُكُمْ فِيهِ الْبَنَاتِ وَالْبَنِينَ. بَلْ أَنْتُمْ الْقَتْلَةُ

(١٧) متى ١٠/٣٤ - ٣٦.

(١٨) متى ١٠/١٧ - ١٨.

(١٩) متى ١٠/٢١ - ٢٢.

لأهل الحق المُستَجِيبين، أيها الكفرة الملاحين.

فهل بعد هذا التوقيف والتعيين، والإيضاح والتعريف والتبيين، لكم أيها الظلمة سوى العقاب والعذاب المهين. فقد قُمتُم مع الدجال، وقاومتُم ووجدتُم أهل الحق وماريتُم وغالبتُم، وقتلتُم رسل السيد وخالفتُم، فإلى أين أيها الظلمة تذهبون؟ ولاي مذهب تعتقدون. قاتلكم الله فأنتم الفسقة المدعون.

تأملوا قوله لكم: "ما أضيق الباب وأدق السبل على الداخلين والساكنين في الدين" (٢٠). فهما المؤديان إلى الحياة الدائمة. وما أقل من يظفر منكم بالحق، لأنه قال: "إن إتيان ابن البشر كغمع البرق الساري في الغرب والشرق" (٢١). فعرف العالم أنكم على كثرتكم لستم أهل لطاعته، ولا أنتم المنتظرون لإتيانه ورجعته، لجهلكم بعلامات مجيئه وتكذيبكم لحكمته، المنصوصة في حقائق الإنجيل، الجارية في البدى والأخير على ألسن حواريه آل التسديق والتحريم والتحليل.

ثم قال بعد ذلك: "إحذروا من الأنبياء الظلمة الذين يأتونكم بلباس الحملان، فهم في بواطنهم ذئاب خاطفة. ومن ثمارهم فاعرفوهم. هل يُستطاع أن يُقطف من الشوك عنباً، أو يُجتث من الشوك تيناً؟ فهكذا كل شجرة صالحة تثمر ثماراً طيبة صالحة. والشجرة الرديئة تثمر ثماراً مرة رديئة. وكل شجرة لا تثمر ثماراً طيبة تُقطع، وفي النار تُلقي، فاعرفوهم من ثمارهم" (٢٢).

(٢٠) متى ١٤/٧.

(٢١) متى ٢٤/٢٧.

(٢٢) متى ١٥/٧ - ٢٠.

المسيحيون ينتقدون لرؤسائهم في قتل الموحدين :

فتأملوا أيها العمي الضلّال، ما ضربَهُ لكم من الأمثال، وحذركم من أهل الغيِّ والوبال، وانظروا إلى رؤساء شرعَتكم، وأكابرِ أهلِ مِلَّتكم. فهم الأنبياء الظلمة، الذي حذركم منهم السيّد، وهم الكذبة الأئمة. فهم في بواطنهم كالذئاب الخاطفة في السرِّ والإعلان. يُمَوّهون عليكم بلباس الصوف كما قال لباس الحملان. قد جعلوا الكذب والسخرية بكم أعظم المتاجر. وأحادوكم عن الطريق القاصد إلى الغائر الجائر. قد أسروا نفوسكم بالقليل الزائل من الحطام، وأوقفوكم في التيه والظلام، فأنتم لهم كالأنعام الجارية السوائب، يُحملون على ظهوركم الأثقال المحرقة الكواذب، ويوردوكم في الدين طريق المتائه والمصائب. فاعرفوهم. فهذه ثمار الشوك قد قطفوها، وأزالوا نفوسكم بها عن سنن الحق وعطفوها، وسلبوا عقولكم وأرواحكم وخطفوها.

ثم قال لهم: "في ذلك الوقت، وفي ذلك اليوم، يعني به هذا اليوم، كثيرٌ يقولون يا سيّدنا! أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا الشيطان وباسمك أظهرنا الآيات؟ فعند ذلك أجيبهم وأقول لهم: أبعدوا عني فإني لا أعرفكم يا فاعلين الآثام" (٢٣).

فهذه ثمار نحلّتكم المرة الزعاق، المقطوعة الأصل المقدوفة في لظا اللهب والاحتراق، أضيفوها في البدئ والأخير إلى فضائل فم الذهب يحنّا الذبيح، المقتول بأسيافكم بالظلم والكفر الصريح، لما أتى شيوخ الشعب أسلافكم في وقت ردّهم لكلمة السيّد المسيح، فقالوا له: "يا سيّدنا! بأي سلطان تصنع هذا؟ ومن أعطاك هذه القوة كلّها؟ أجابهم يسوع وقال لهم:

وأنا أسألكم أيضاً عن كلمة واحدة، فإن أجبتُموني أخبرتكم بأي سلطان أصنعُ هذا. فقال لهم: معمودية يُحنّا من أين كانت من السماء أو من الناس؟ فأقبلوا يتفكّرون في أنفسهم ويقولون: إن قلنا من السماء فيقول: حيث جاكم من السماء لم لا تؤمنوا به؟ وإن قلنا هي بدعة من الناس خشنا من الجماعة والأخبار يقولون إن حكمة يحنّا تحقّق أنّه نبيّ قديس. فأجابوا أسلافكم قائلون، وبخبثهم جاحدون منكرون: لا علم لنا. فقال لهم السيّد: ولا أنا أيضاً أخبركم بأيّ سلطان أصنعُ هذه الأشياء^(٢٤).

وجميع علامات ظهور السيّد التي شرّحها يحنّا عبده المبشّر بظهوره قد اشتهرت في الآفاق، وقبلها أهل الطاعة الموحّدين أهل العدل والوفاق، وجحدتموها بالظلم أيها الكفّرة المراق، والخروج عن الطاعة إلى الشرك والإباق. وقد تزايدتكم في البأس لردّ كلمة السيّد باللّد والنفاق، وعكفتم على آباءكم الزنادقة بالجحد والشقاق. ولم تتأملوا شهادة السيّد ليحنّا في البدى والأخير بسدق نبوته، ولا تفهّمتم اعتراف الجم الغفير من أسلافكم أنّه نبيّ قديس بفيض حكمته.

فها هو أيها الغفلة أزّمع للمجيء الإمام السيّد لاستيفاء الثار، ومعاقبتيكم بأمره على خبيث أفعالكم يا أشرّ الأشرار. يا ويلكم! أنظروا إلى معجز يحنّا في حكمته كيف يتغطّط كأنه فيضان البحر، أو كأنه ينحت قوله من حديد أو من جلمد الصخر، يهدّم بتأييد الوليّ السيّد قواعد نحلّ الأفاكين البطلين، ويجذّ أثلة المقصّرين المنكرين، الصادّين عن الحقّ وسبيله المباهتين المدّعين.

فاستمعوا قول السيّد في ضربه لكم الأمثال، وإشاراته إلى ما أنتم عليه في هذا الوقت من الغي والخبال، في قوله: "بشبه ملكوت السماء رجل عمل لابنه عرساً فأرسل عبيده إلى المأذونين ليحضروا العرس فلم يعجبهم أن يأتوه، فأرسل إليه عبيداً آخرين وقال لهم: قولوا لمن دعوناهم إن طعامنا قد أصلح وعبي، وإنّ المعلوفة قد ذبحت، وقد أعدّ كل شيء، فهلّموا إلى الوليمة" (٢٥).

ولم يعني بهذا ذلك الوقت لأنّ المعلوفة لم تُذبح، وهي زخاريفُ شريعتكم؛ والطعام لم يُصلح، وهي حكمَةُ السيّد التي دفَعتموها في هذا الوقت لتمام شقوتكم. وإنّما أعنى بإصلاح الطعام في هذا الوقت لفيض حكمته الربّانيّة، وذبح المعلوفة وهي زخاريف شريعتكم الضعيفة العلمانية، وقد ذبحناها في هذا التّعقب، وفي المسيحيّة، والرسالة النورانيّة (٢٦)، وقد أعدّ لظهوره إلى العالم في الأنوار الشعشعانيّة.

ثمّ صرّح لهم وقال إنّهم تفرّقوا. "فمنهم من عمّد إلى عبيده فأذاهم وقتلهم. ولما سمع الملك، وهو صاحب العرس، غَضِبَ غَضِباً شديداً، وأرسل عبيده، وأحبارَه لقتلهم وإحراق مدينتهم. ثم قال لعبيده بعد ذلك: إنّ القوم الذين دعوناهم لم يكونوا أهلاً لطعامنا. وإخلاء بيت العرس من المنكرين، دخل الملك لينظر الجلساء -يعني بدخول الملك يوم القيامة- فيها هو قد أظلكم" (٢٧).

(٢٥) متى ٢٢/٢ - ٤.

(٢٦) لم نعثّر على هذه الرسالة في مجموعة «رسائل الحكمة»؛ وربّما تكون «القسطنطينيّة»، بسبب موضوعها المقصود من الكاتب.

(٢٧) متى ٢٢/٦ - ٨ و ١١.

فتفهموا أيها الغفلة! فهذه نُصوصاتُ الإنجيل، التي جَرَتْ من حيث أنتم تأديباً للخلْقِ على لسانِ يسوع السيِّدِ الجليل، وقد رَدَدْتُمُوهَا، وكَذَبْتُمُوه وَجَدَدْتُمُوه بِفَسْقِكُمْ والتَّعْطِيلِ. فهذه صورُتُكم الموافقة لأفعالكم، وعن قليل تُحْرَقُ مدينتُكم وتُهْدَمُ ديارُكم. فعَرِّفْكم أَنَّ الذي فَعَلْتُمُوه أنتم في هذا الوقتِ كما فعلَ آبَاؤُكم الزنادقة في ذلك الزمان، وأنَّكم تُؤَاخِذُونَ به لِقُبْحِ أعمالكم أنتم وهم في هذا الأوان.

تهديد بهاء الدين وثار أهل الحق :

ثم قال: -يعني هيكَل إبليس الرَّجِيمِ وشياطينه الأَدْعِيَا-: " يا أُورُشَلُمُ يا أُورُشَلُمُ! يا قاتلةَ الأنبياء وراجمةَ المرسلين! ها كَمَ مرَّةٍ أُرِدْتُ أَنْ أَجْمَعَكُم إِلَيَّ كما يجمع الطائرُ فِرَاحَه تحت جناحِهِ " (٢٨).

ثم قال عند آخر كلامه وأخبره للعالم: " إِنِّي مُرْسِلٌ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَا وَحُكَمَا وكتبة فَتَقْتُلُوهُمْ، وَتَرْجُمُونَ آخَرِينَ فِي مَحَافِلِهِمْ، فَفَعَلْتُمْ أَنْتُمْ ذَلِكَ فَتَقْتُلْتُمُوهُمْ وَمِنْ مِيَامِنِهِمْ أَخْرَجْتُمُوهُمْ " (٢٩).

ثم أَتَبَعَ هذا القولَ بقوله: " حَقًّا أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ تُتْرَكُ ديارُكُمْ خاليه " (٣٠)، لقيامكم مع فرقة الدِّجَالِ الباغية الطاغية.

ثم قال بعد ذلك: " حَقًّا أَقُولُ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَمْ تُعَايِنُونِي مِنْذُ الْآنَ إِلَى أَنْ يَقُولَ تَبَارَكَ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ " (٣١).

(٢٨) متى ٢٣/٣٧.

(٢٩) متى ٢٣/٣٤.

(٣٠) متى ٢٣/٣٨.

(٣١) متى ٢٣/٣٩.

فهذه حججٌ حقّه قد قامت عليكم؛ ولما آتاكمُ رسلهُ وأنبياءُ دينهِ
جحدتُم وكفرتُم، وأظهرتُم غيرَ ما أمركُم به وخالفتم. فأنتم لجهلكم ومرضِ
عقولكم غفول سكارى.

ألم تتأملوا قوله لكم: "يُشبهه ملكوتُ الله العشر عذارى، اللَّاتِي أَخَذْنَ
مصابيحَهُنَّ وخرجنَ للقاءِ العروس، فخمسٌ منهنَّ حليماتٌ، وخمسٌ
جاهلات. فالجاهلاتُ أَخَذْنَ مصابيحَهُنَّ ولم يكنَ معهنَّ زيتًا، والحليماتُ
أَخَذْنَ مصابيحَهُنَّ والزيتَ معهنَّ في ظُرْف. فأبطأ العروسُ، واتَضَجَعْنَ
كلُّهُنَّ. فعند انتصافِ الليلِ سَمِعْنَ ضَجَّةً. العروسُ قد آتَى. فقاموا أهلهُ للقاءهِ.
وانتبهنَ جميعُ العذارى لإصلاحِ مصابيحهنَّ. فَقُلْنَ الجاهلاتُ للحليماتِ:
هَبْنَ لَنَا مِنْ زَيْتِكُنَّ فَإِنَّ مَصَابِيحَنَا قَدْ طُفِئَتْ. فَأَجَبْنَ الحليماتُ قائلات: لعلهُ
لا يَكْفَانَا وَإِياكُنَّ. فانطَلَقْنَ إِلَى الباعةِ فابْتَغْنَ لَكُنَّ زَيْتًا. فعند انطلاقِهِنَّ إِلَى
الباعةِ، جاز العروسُ وأغْلَقَ البابُ. وبعد حينٍ، أَقْبَلْنَ العذارى الجاهلاتُ وَقُلْنَ
يا سَيِّدَنَا افتح لنا الباب. فَأَجَبَهُنَّ قائلًا: حَقًّا أَقُولُ لَكُنَّ إِنِّي لا أَعْرِفُكُمْ يا
فاعلينِ الآثامِ" (٣٢).

فهذا هو مثلكم مع أهلِ الحقِّ أيُّها الأغتَامُ المُنْكَرُونَ، والجَحَدَةُ
المفترُونَ. فكأنِّي، والله، بهذا المثلِ الحقِّ، وقد هَجَمَ عليكم وأنتم لا تَعْلَمُونَ،
وأدرَكْتُم الساعةَ وأنتم عن وُروِدها غافِلُونَ. وبعد هُنيئهِه تَفْتَضِحُ مصائدُ
النَّواميسِ، وَيَهْلِكُ أَهْلُ الْعُشِّ والتَدْلِيسِ، إذ جميع ما تَخْتَرِصُوهُ وتُلَفِّقُوهُ،
وتَغْرِبُوا بِهِ مَنْ يَتَّبِعُكُمْ وتَخْدَعُوهُ، إضاعاتُ مكتوبة، ونواميسُ مُخْتَرَعَةٌ
مَكْدُوبَةٌ، لأنكم خالفتم أمثاله الصحيحة وإشاراتهِ، وأهملتُم نصوصاتِ
رَجْعَتِهِ في الإنجيل السادِقةِ وعلاماتِهِ. فأنتم مُشْرِفُونَ على شَفَا جُرْفِ
هاويةِ الجحيمِ، ومُقَرَّمُونَ في الأصفادِ عن قريبٍ، وشاربون من الزقومِ

والحميم . وَقَدْ أَعَذَرَ نَذِيرُ الْآخِرَةِ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ الْبَارَّةَ وَالْفَاجِرَةَ، إِمْتِثَالًا
لمرسوم الإمام القائم العدل، واحتسابًا في السراء والضراء وصبراً على
مكايد أهل السفه والخلاف والجهل.

فَلَنُخْتَمَ ذَلِكَ بِالْحَمْدِ لِلْمَوْلَى إِلَهِ الْحَاكِمِ الْمُمَهِّلِ الْأُمَمِ عَلَى عَظِيمِ
الْتِمَرْدِ وَالْعَصِيَانِ، وَالْقَاضِي بِالْفَلَجِ وَالْغَلَبِ لَوْلِيَّ حَقِّهِ النَّاسِخِ لِلِلَّهِمْ بَعْدَ
الْإِيضَاحِ، وَمُحَلِّلِ لِمَعَاقِدِ كُفْرِهِمِ وَالطُّغْيَانِ. وَصَلَاتُهُ عَلَيْهِ مَا اخْتَلَفَ جَدِيدُ
النُّورِ وَالظُّلْمَةِ، وَمَرَجَّ بَحْرُ الْخِلَافِ وَالْجَهْلِ، وَدَمَغَهُ بَحْرُ الْحَقَائِقِ بِالْدَّلَائِلِ
وَالْبُرْهَانِ. وَهُوَ حَسْبُ عَبْدِهِ الضَّعِيفِ الْمُقْتَنَتِي، فِي الْيَوْمِ الْمَهُولِ إِذَا انْقَضَتْ
مَدَّةُ الْعَجَلِ وَالشَّيْصَبَانِ.

تَمَّتْ بِمَنَّةٍ وَلِيِّ الْآخِرَةِ.

نُسِخَتْ لِلْعَرَضِ بِحَيْثُ يُؤْمَرُ بِهِ.

وَالْحَمْدُ لِمَوْلَانَا وَحْدَهُ. وَالشُّكْرُ لِقَائِمِ الْحَقِّ عَبْدَهُ.

رسائل الحكمة

الجزء الرابع

الْحُسُومَةُ بِرِسَالَةِ الْإِيقَازِ وَالْبِشَارَةِ

لأهل الغفلة وآل الحق والطهارة

كُتِبَ هذه الرسالة بهاء الدين المقتنى سنة ٤٣٤ هـ لأهل العراق
وبلاد فارس وأقطارها، ينلهم فيها على دور حمزة في آخر الأزمان
عند رجعته، وما سيؤول إليه أصحاب النواميس الأبالسة في ذلك
الحين، وما سيصير بمكة «دار الفاسقين».

توكلتُ على مولانا الحاكم المنزه عن موهومات العدم الملبوس.
وتوسلتُ إليه بوليّه قائم الدين المطلع على سرائر العقول والنفوس. من العبد
المقتنى الخاضع المطيع، إلى أهل النكث والتبديل والتضييع، من أهل العراق
والزوراء وما والاها، ومن بأرض فارس وأقطارها وما وراها، وجميع الأمم
السالفة والأنفة، أولي الأسماء المتباينة والمتواطئة والمتراذفة.

تذكرة لأهل الوعي والسَّماع، وإيقاظاً لأهل النِّقْلِ النفسية في
الانخفاض والارتفاع، والحلول والارتجاع، الغافلة نفوسهم عن بعث المعاقبة
العاصية وتكرارها، اللاهية عن ثواب المطيعة الموحدة وإقرارها، المتلبدة غداً
عند العرُض والحساب، المואخذة عند ظهور الولي بمقدمات الاحتقاب.

أما بعد، فالإجلال والعزة والمجد، والتقديس والألاء والحمد، للمولى
الإله الحاكم الفرد، المنزه من حيث هو عن الصفة والنعت والحد. إذ التنزيه له

من حيث الخليفة تحديداً وإنكاراً، والوقوف عما لا سلوك للنفوس إلى تصوّره توحيداً وتأليها وإقراراً، الموقّت بأمره الهادي لأجال النواميس المضلّة بالعدم، ومفني دول الأبالسة ومحبي الرّمم، الهادم بأمره نواجم الشرع من معالي القمم. وسلامه على هادي الأمم ودامغ آراء الضلالات، وناسخ النحل والمذاهب والمقالات، وفاضح البدع ومبيّن الآيات المحكمات، القائم على النفوس بما احتقبتّه بعد عدل التخيير في الأزمان الخاليات، صاحب الرجعة والإياب، ومالك العرض والحساب، والجزاء والثواب والعقاب.

فتنبّهوا يا أصحاب الأجسام الخالية من الأرواح، والهيكل القائمة كظلال الأشباح، فقد تقصّت الليلة الموحشة واضمحلّت أيّامها، وزهر نور الليلة وكُشف لثامها، وأشرقت الأرض بنور ربّها وانقشع غيّهبها وظلامها، وتميّز بحكمة أصحاب الأعراف الخلق، وحصص بهم وتبيّن الحق.

وأنتم أيّها الغفلة بريعان الأبالسة مغرّمون، ولأمر فراعنة بني العباس تأتمرون وتنثّهون، وبنجسهم في صلواتكم تتيمّمون وتنقربون، وعن القيامة وشروطها ساهون مبلسون، وقد عميت أبصاركم عن السبيل الأقصد الأقوم، وعكست بصائركم حبال الأعور الأشام، لعلّقها بالأعراض الموهومات، ووهنّها عن تحقّق الجواهر الماثورات، وضعفها عن تدبّر الآيات المحكمات. أنكسها العجز عن التماهي بآبواب الحق إلى العصيان، وأوقفها حين بآبواب الضلال سبباً للمروق والحرمان.

أفما تنتبهون أيّها الغفلة النّوام، فقد تصرّمت عن الفترة الشهور والأعوام، وقد أظلتكم الصاعقة الراجفة، وتتبعها الداهية الرادفة، وأنتم في سكرتكم لا تفقّهون، وفي بحر الجهالة والتفريط غرقون. بل كشوارد من الأنعام، أو كالعجم الأطراف الممنوعة من الفهم والكلام. تطاون بأخمصكم نمارق الحكّم، وتجهلون مواضع الرحمة ومجاري النعم.

قد نَكُنْتُمْ العهدَ وَرَدَدْتُمْ الميثاقَ، وَرَضِيتُمْ لأنفسكم السَّرِقَ والإِباقَ،
تعاميًا عن اليومِ الموعودِ لجميعِ الأنامِ، وَجَحَدًا وَلَدَدًا لظهورِ السيِّدِ القائمِ
الهادي الإمامِ، وَنُكوصًا عن الحقِّ بعدَ الإِقْبَالِ والإِقْدَامِ. عَكِسَتْ نفوسُكم إلى
اللَّدَدِ والإِهْمَالِ، وانخفضتْ بعدَ تعزيزِ المعالمِ عن خاصِّ فعلِها الذي هو ثَمَرَةُ
الكمالِ، طلبًا للاستمدادِ من خارجٍ خَرَجَ خُرُوجًا عن الحقِّ والاعتدالِ،
مُسْتَحْدِثَةً للمعالمِ الرِّذْلَةَ المَبَايِنَةَ المُشَاكِلَةَ لطبائعِها بحقِّ الانسفالِ، ناسيةً
الاغْتِباطَ بِشرفِ ذاتِها لِإنْقِصانِها، لاهيةً عن التحسُّرِ على عدمِ معالمِها
وفقدانِها.

قد انغمطتْ بِكَلِيَّتِها في لُجَجِ الشرارةِ، وآبَتْ بعدَ الفُلْجِ بِربحِ الطاعةِ
إلى العِصيانِ والخَسارةِ، تَتَمَرَّحُ في مَيادينِ البَطَالَةِ والجهلِ، وتَتَضَوَّرُ
لضُعْفِها عن تصوُّرِ معانيِ الحقِّ والجواهرِ الفائضةِ عن العقلِ. فهي كَلِيلَةٌ
لِمَرَضِها، سَادِرَةٌ في مَتائِهِ التَّحْيِيرِ، كَلْفَةٌ بِالرَّجوعِ إلى العنصرِ الخَبِيثِ، نَكْبًا
عن الحقِّ بعدَ عدلِ التَّخْيِيرِ. قد سَلِبَتْ مَعَارِفُها بِمُؤَبَّقاتِ الأعمالِ، وتَقَهَّقرَتْ
في دَرَجِ المُسَوِّخِيَّةِ بِالانْخِفَاضِ والانسفالِ.

فأَيْنَ يَتَّاهُ بِعَالَمِ التَّلَفِ والبَوَارِ، وكيفِ النِجاةُ لَعَالَمِ أَصْمَدِ إلى
الإِبليسَ بعدَ التَّأَلِيهِ والتَّوْحِيدِ والمَعْرِفَةِ والإِقْرَارِ، تعاميًا عن نَهْجِ السَّبِيلِ،
وَجَحَدًا وَلَدَدًا عن قَبولِ نُصْحِ السَّادِقِ الدَّلِيلِ.

فَتَنَبَّهُوا يَا أَهْلَ الْبَلَسِ والضلالِ والعَمَى، وَتَيَقَّظُوا يَا أُولِي السَّغَبِ
وَالسَّفْسَافِ والظُمَى. فَقَدْ أَقْلَ شَمْسُ الدِّجَالِ الأعورِ وقمرُهُ في المُحَاقِ،
وتَضَاعَلَتْ نَجُومُهُ عن مطالعِها بِالنَّحُوسِ والرَّجُوعِ والاحترقِ، وتَزَلْزَلَتْ
أَرْضُهُ بِالْخَسَفِ وَأَذِنَتْ سَمَآؤُهُ بِالْهَبُوطِ والانشقاقِ، لِزُهْرَةِ شَمْسِ الحَقَائِقِ
مِنْ وَرَاءِ السِّجْفِ في أَقْرَبِ بَرُوجِها، وَتَمُوجِ أَشْعَةِ أَقْمَارِ الحَقِّ شَوْقًا إلى
الظهورِ في سَمَواها وعُروجِها، وَهَجِ نَجُومِ الكُورِ المُصْلِحَةِ لما أَفْسَدَهُ
الإِبليسَ بِمِزَاجِهِ للعِوالمِ بطلوعِها وخروجِها.

أذا زَخَرَ بحرُ الدِّينِ بهَجَرَ^(١) ذاتِ الجواهرِ المُبدَعاتِ، وتشعشعتْ
أنواره في الآفاق بروحانيَّةِ الأملِك السَّاداتِ، المتعالِيَةِ منازلهم عن التركيبِ
المُعْتَوِرِ للمخلوقاتِ، المنزَهَةُ شَيْمُهُم عن قَبولِ نواميسِ أبالسةِ الأزمانِ
وشرِعِهم المُخْتَرَعاتِ، المأفوكَةُ على أهلِ الحقِّ بالآياتِ المُفْتَرِيَّاتِ، رؤساءِ
الأعرافِ الأعلامِ، وحججِ السيِّدِ الهادي الإمامِ، وشموسِ القيامةِ وأقمارِ
التَّمامِ، بسيفِهم يُنْتَقَمُ من أبالسةِ الأدوارِ وأشياءِهم الفاسقينِ، وبسعادتهم
وميامنِ بركاتهم تُحَقَّنُ في الآفاقِ دماءُ الموحِّدينِ الممتَحِّنينِ، وببصائرهم عن
تأييدِ الوليِ تُكشَفُ للعوالمِ معالمُ الدينِ.

وهم بالحقيقةِ أصحابُ الهنديَّةِ الحِدادِ، وآلُ النجدةِ والسواعدِ
الشدادِ، وأعضادُهم خُلُوفُ الطَّهَرَةِ الانبياءِ، وأسباطُ الحقِ البررةِ الاتقياءِ،
كنوزُ أقاليمِ الدينِ، وصفوةُ آلِ نَفْتَالِي وبنيامينِ، وسُلالةُ آلِ مَنْشَا وآلِ جَادِ،
الآخِذِينَ بِئَارِ أَهْلِ الْحَقِّ عندَ قيامِ القائمِ الهادِ، الذينِ اختارهم على علمِ
وسترهم عن العالمينِ، وبشَّرَ بمجيئهم في اليومِ الأخيرِ نصرًا ورحمةً
للمؤمنينِ.

فقال حتى إذا جاء وعدُ الآخرةِ جئنا بكم لفيِّفا أي جميعاً لخدمةِ
الحقِّ، وخلصَ أهلُه وهلاكِ الجَحْدَةِ المَكْذِبِينَ، بعدَ استيعابِ النفوسِ
بمقَدِّماتِ الاعمالِ، وبيانِ حزبِ الارتدادِ والخلافِ والضلالِ من آلِ الصَّفْوَةِ
والوفاءِ والكمالِ.

إذا تَبَلَّجَ صَبَحَ اللَّيْلَةِ الغرَّاءِ وانقشعَ ظلامُها، وَقُطِعَ رَأْسُ النِّحْلِ
الشَّرِكِيِّ وَقُضِبَ سَنَامُها، وتهدَّمتْ أركانُ النواميسِ وتفلَّتْ معاقِدُها وانحلَّ
نظامُها. والعلامةُ الكبرى لهذا النِّبأ العظيمِ، وأوضح دلائلِ الحقِّ لاهلِ
الصبرِ والتسديقِ والتسليمِ :

(١) هَجَرَ، أي المكان الذي انطلقت منه الدَّعوة لأول مرَّة، وهي مكان في خارج القاهرة.

إذا تهتكت أستارُ إبليسِ الأعظمِ مؤسسها في القديم، وتضاءلت أفعاله إلى الانسفال والتوهيم، واشتهر بالخُبثِ والبغاءِ والخُلُقِ الذميم، وافتضحَ مَنْ اتَّخَذَهُ للتأليه والتأميمِ هواه، وَعَمِيَتْ بعد البصر بصيرته وعيناه، عند ذلك تهتزّ الممالك بأقطار المعمورة المبينية، وتتعالى مباني الحقّ بحركات العناصر الدينية، لإيضاح شُبهِ المدّعين في الفرقِ بين الجواهر الجرميّةِ الكثيفيّةِ، الطبيعِيّةِ الوضيعيّةِ، وبين المعاني اللطيفةِ النفسانيّةِ، وإظهار عقائد الأنفس النجسةِ الدّعيّةِ، ليكون الثوابُ والعقابُ موجودين بفائض العدل للأعين الشحميّةِ، وَلِنَقُومَ الحُجَّةُ على العوالم بمعارف أنفسهم بالحقائق العقلية. هنالك تنقطعُ الأنسابُ والوصائل من المختَرِصين وتنسفل منازلهم بما اخترعوه على الحدودِ العاليتين.

فاعتبروا أيّها الغفلةُ بموضحات البراهين، واستشعروا صيحة الحقّ لكشف معلوم الدّين. فقد آن للتائه أن ينظر إلى ورائه، وللجاهل أن يُقْلَعَ عن الدّلد والغواية قبل احتدام الهجير، وهُجّ الصاعقة الكبرى بالتحليل والتغيير.

إذا طَلَعَتْ راياتُ الملكِ المظفّرِ المسعودِ من الفَجِّ العميقِ، وَحَكَمَ على عالم المزاج بتغيير الصّورِ والمَسْخِ والتمحيق، وأدار بديارهم رَحَى المنون، وَأَخْلَفَهُم في الباطل والآمال والظنون؛ إذا ثَوَّبَ الدّاعي بِفِطْرِ الأنام، وتحلّلت معاهد الإبالسة بتقضي الصّيّام، وصفًا الزمانُ بعد المحنة لأهل الفِطْرِ، واجتمع من الآفاق أهلُ النّفْرِ، وَحَكَمَ لهم الحقُّ بمشاهدة عيد النّحرِ، وفاض طوفان القيامة ببيعوبِ الدماءِ، وَتَعَنَجَرَ شُؤْبُوبُهُ لِهَدْمِ دَارِ الفاسِقينَ وَهَمًا، وهيجتُ بُروقه مَواطِرُ ثمارِهِنَّ تحقيقَ الجَزَا، واتّصلت أنواره بأصلها فكسفتُ شمسَ دَجَالِ السُّهّا، واستعرتُ نيرانُ البعثِ في الأقطار والآفاق، والتهبتُ قلوبُ أهلِ الشكِّ والشرك والارتداد والمروق والنفاق، لِنَسْخِ

العناصر لأصول الوضيعيات، ولتمييز الصفو من الجفا والكدر والعكورات،
ولبلوغ العوالم على تباينها في الاتضاع والارتفاع إلى النهايات.

فانتبهوا أيها الغفلة المكذبون، وتفهموا إن كنتم للحق تفهمون. فقد
بلغت النذر الكرام، ما أودعته من التوحيد والبيان، وقامت حجة الولي على
جميع أهل النحل والأديان، بالدليل السادق وحقيقة البرهان، وتم دور
الستر وتقضت مدة الظلمة الغاصبين، وأغلقت أبواب التوبة لغلبة الادعاء
المرتدين، وظهور ما أكنته ضماثر الفسقة المارقين.

اللهم، فأنت العالم بأدائي للأُمم بوجود القوة نصيحة التوحيد،
وإقرار لي لولي حقك بملك الرق وأصغر العبيد، واعترافي بالعجز والضعف
والقصور لفيض نعمة التأثير والتأييد.

اللهم فاشهد على من نكث على ولي أمرك قائم الدين، وقام بالردة
على حدوده الأطهار المخلصين، والعن اللهم من عاند الحق وأراد إخماده
وإطفاءه، واكشف سترك عن بارز وليك بالعناد في أوليائه فعدم توفيقه
وهذاه، واخترص الباطل على أهل الحق واتخذ الهه هواه.

اللهم فانجز وعدك لوليك في أوليائه وحدوده، واكشف ستور
عواقب من قام عليهم بدعوة إبليس الرجيم وجنوده، وأرنا ما ألهمتناه من
تعظيم تأليهك وآلائك، وامهلنا لمشاهدة صفوة وليك وأوليائك، كنوز نعمائك.
واجعلنا ممن يعترف بالضعف عن تأدية حقوقهم لينال بهم الثواب يوم
بعثك وجزائك.

فأنت المنزه عما تعنوره الألسن بالالفاظ والعبارات، والمقدس عما
يخطر في الاوهام، وتتصوره العقول والمعقولات إذ العجز عن معجز التآليه
يُضطر العالم لضعفها إلى الأسماء والصفات.

فتعالى مَنْ قَصَرَ الْعُقُولَ الصَّافِيَةَ وَجَعَلَهَا لِمُبْدَعِهِ صَفَةً وَأَلَات. فله
الحمد على معرفة حزب الحقِّ بلاغِ الأمم في الإمهال نهايةَ النهايات، والشكرُ
لويِّه القائم لإيجاب الحجة على الأمم في هذا العصر كما أوجبها عليه في
الأعصر الخاليات.

وَكُتِبَ فِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنْ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ
عَشَرَ مِنْ سَنِينَ قَائِمِ الزَّمَانِ. نَجَزْتُ وَالْحَمْدُ لِمَوْلَانَا وَحْدَهُ، وَالشُّكْرُ لَوْلِيَّهِ
عَبْدُهُ.

الرَّسَالَةُ الْمَوْسُومَةُ بِالْحَقَائِقِ

وَالْإِنْذَارِ وَالتَّائِدِيبِ لِجَمِيعِ الْخَلَائِقِ

كُتِبَتْ بِهَا بِهَاءُ الدِّينِ سَنَةَ ٤٢٦ هـ وَأُرْسِلَتْ إِلَى الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلدَّعْوَةِ فِي لُبْنَانَ، وَوَادِي التَّيْمِ، وَأَنْطَاكِيَّةَ، وَقَسَمَ مِنْ سُورِيَا وَبِلَادِ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ. يَشْكُو فِيهَا الْمُقْتَنَى مِنَ الضَّلَالَاتِ الَّتِي حَرَفَتِ التَّوْحِيدَ، وَمِنْ بَعْضِ الرُّجَالَاتِ الَّذِينَ خَرَجُوا عَنِ الدَّعْوَةِ. فِيهَا يُوَضَّحُ دَوْرَ حِمَازَةٍ فِي آخِرِ الْأَزْمَانِ وَإِبْطَالَهُ، بِنَوْعٍ خَاصٍّ، لِنَوَامِيسِ الْإِبَالِسَةِ وَحَرَقِهَا.

تَوَكَّلْتُ عَلَى مَوْلَانَا الْحَاكِمِ بِالْحَقِّ، وَمَقِيمِ الْحُجَّةِ بِوَلِيَّهِ الْقَائِمِ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ، مِنَ الْعَبْدِ الْمُقْتَنَى بِهَاءِ الدِّينِ، وَلِسَانِ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَنَدِ الْمُوَحِّدِينَ، الْجَنَاحِ الْأَيْسَرِ، وَالْحَدِّ الرَّابِعِ الْخَاضِعِ الْأَصْغَرِ، إِلَى جَمِيعِ مَنْ شَمِلَتْهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ بِالْجَبَلِ الطَّاهِرِ الْأَنْوَرِ^(٢)، وَمَا وَالَاهُ أَعْنِي أَنْطَاكِيَّةَ مَعْدِنِ كَنْزِ الدَّرِّ وَالْجَوْهَرِ، وَمَنْ سَكَنَ الْجَزَرَ وَالنُّقْرَةَ وَجُنْدِي قِنْسِيرِينَ وَعَزَّازَ وَحَلَبَ، وَمَنْ بِيَالِسَ وَالرَّقَّتَيْنِ وَنَهْرِ الْخَابُورِ وَالْجَزِيرَةِ وَمَنْبِجَ وَنَهْرِ الْجَوْزِ وَالْوَادِيَيْنِ، أَعْنِي نَهْرَ الذَّهَبِ، وَجَمِيعَ مَنْ قُرِئَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الرَّسَالَةُ مِمَّنْ نَأَى أَوْ قَرُبَ.

الْإِسْلَامُ عَلَى الصَّفْوَةِ آلِ التَّوْحِيدِ السَّابِقِينَ، وَرَحْمَةُ الْمَوْلَى وَبَرَكَاتُهُ عَلَى إِخْوَانِي الْبِرَّةِ السَّادِقِينَ.

(٢) الْجَبَلِ الطَّاهِرِ الْأَنْوَرِ هُوَ جَبَلُ السَّمَاقِ بِالْقَرَبِ مِنْ حَلَبَ.

أما بعد، فالحمدُ والعظمة والكبرياء والإجلال للمولى المعبود،
والتنزيه والتقديس للإله الحاكم الموجود، الذي جعل عجز العقول عن تحديد
توحيده للعارفين برهانا، وفرض طاعة وليه على جميع أهل النحل والأديان،
وأقامه إماماً لدعوة الكشف بين أهل الإجابة والجاهدين فرقانا، المؤيِّد لإطفاء
ما اشتعل من مُحَرِّقاتِ النواميس، والقائمُ لهدم ما بناه هامان وذبح إبليس،
والمحاقُ لِخَوَارِ العجل والغطريس، المترجم عنه بعد تنزيه المولى العالِّ بعلة
الإبداع، المصطفى لحدوده بعد المشية مننًى وثلاثَ ورُباع، والمُفَضَّلُ بعضهم
على بعضٍ في درجاتِ الارتفاع.

وبَعْدَهُم بالجمع دُعاةُ الإجلال، المُبَايِنُونَ بالكشف لدُعاةِ الأعور
الدَّجَال، المتفاضِلون بتصوير الحقائق وسوابق الأعمال، المتساهمون ببقاء
السرائر وشرَفِ الطوَيَّات، وحميد العقائد وحسن النِّيَّات، لجماعة أهل
التحقيق من الموحِّدين والموحِّدات.

وبَعْدَهُم مَنْ أَدِنَ لهم في الكسر والجبر، الذين سَمَتَ هِمَمُهُم إلى
معارف الحشر والنشر، والوقوف على حقيقيَّة ليلة القَدَر. ثمَّ النقباءُ
الحافظون لحقائق السدق، المُبْرِّءُونَ من الكذب والفِسق، العارفون بحقوق
حدود دعوة الحق.

وبَعْدَهُم المستجيبون الموحِّدون المُنُون عليهم بخصائص الرحمة،
والناهلون لفيض حقائق الحكمة، الذين خشعت قلوبهم لتألق النجوم
الطَّالعات، ذواتِ الأنوار الشعشعانيَّات، والنفوسِ الروحانيَّات، التي تَلَّالَت
باتحادها بالأقمار، وطَهَّرَتْ بِمُبَاشَرَتِهَا للحقائق من مقدِّمات الأدوار،
وطهرت من القوَّة إلى الفعل في أكرم الأوقات وأشرف الأعصار، وتألَّقت
لِفيضانِ التَّوْحِيدِ بطاعة العلي الجبَّار، وأجابت مُذَعِّنَةً لأوامرِ الحدود عند
ظهور آية الكشف، وحلول الراجفة بأهل الارتداد والخلف.

فهلّموا أيّها النفوسُ الطاهرات، إلى نسيم أرياح العيون الجاريات.
وأيّاكم الغفلة عن حلول يوم الميقات. فقد طلّعت طوابعُ الثواب للأطهار
الموقنين، وأبدت للأبصار الناظرة تراكيب العقاب للمجرمين الناكثين. فعمّا
قليل واللّه ليُصْبِحَنَّ نادمين.

إذا زَجَرَ الزَّاجِرُ من جانب المقطّب، وأنْ ظهورُ الملكِ المحجّب، وحانتُ
زجرةُ القارعة، الخافضةُ الرافعة.

إذا رُجَّتِ الأرضُ بالدّجّالِ رجّاً، ودُحِضِنَ منها هو وتبّاعه بالعنفِ
زَعْجاً. هنالك تفوز أهلُ الحقائق بالأعمال الصّالحات، ويأبوا الجاهلون بما
احتقبوه من السيّات.

إخواني! إحذروا النّدم عند قيام الأشهاد، وفضائحِ أهل الشكِّ
والعناد، يوم تُبْلَى السرائر، ويصيرُ إلى وليّ الدّين المصائر. إحذروا النّدمَ
يوم لا يجوز قَدَمٌ قَدَمَ، إلّا بحميد ما اكتسبَ وعِلْمَ يوم تُدعى بأئمتّها الأمم.
إحذروا التقربَ من الناكثين الضّلال، والفراغة المدّعين الأرذال.

فقد بطلَ سَرابُ المموّهين، وأضاءتِ الأنوارُ لبصائرِ الموحّدين، وقامتْ
حجّتُنّا على جميع مَنْ سَمِعَ وأبصر من الموقنين.

فاستيقظوا أيّها الإخوان الأعلام، ولا تركنوا إلى الأجلّافِ الاغتام،
السائلة طبايعُهم بَسِيلانِ الحُطَام والآثام. فَحَرَامٌ حَرَامٌ على جميع من وُسِمَ
بِسِمَةِ التّوحيد، وتميزتْ عقيدته من عقائد أهل الشك والتلحيد، أن يغتنم بعد
الوجود الكافي أخاه. وحرامٌ حَرَامٌ على أخيه المؤمن إذا تحقّقَ عَدَمُهُ أَنْ
يُحْوِجَهُ إلى سِوَاه. فهذه السياسة لنفوس الاطهار الأمجاد والخلق السّميح
للعارفين الأوحد. فَمَنْ حرّك لسانه بالكذب بين إخوانِ التّوحيد والدين، وهو
أَمِنُ أهل الرّدة المخالفين، فقد صدّ عن التّوحيد والكشف، وباين بالنفاق
والخلف.

واعلموا أيّها الإخوان أنّ مَنْ سلك الجَدَدَ، بمسالك الدعاة الاطهار، وأخذ على المستجيبين ميثاق دعوة التّوحيد للمولى الإله الحاكم الجبّار، ثم عَزَبَ عنه لُبُّهُ، وَرَجَعَ إلى الباطل كما أَلْفَهُ عقلُهُ وقلْبُهُ، وأخذ على نفسه عهدَ إبليس الرجيم، وشهدتْ مجالسه أَكْلَ الغِسلين وشربَ الحميم، من غير إكراهٍ ولا إجبار، ولا عَرَضٍ على السِّيفِ والنار. فهو ممّن كان في القِدَم من شيعته وأعوانه، وإنّما رجع إلى العنصر الخبيث مع أترابه وإخوانه. فمَنْ صَوَّبَ به بعد هذا الارتداد مقالا، أو حمد له بعد هذا السّفَه فعَلا، فقد بان باللعنة والسّخط، ومن دعوة التّوحيد تَبَرّاً وسَقَطَ.

واعلموا أنّ اللّيل قد تولّى وأدبر، والصّبح عن مَحْضِهِ قد أضاء وأسفّر. فتمسّكوا بما اقتبستموه من مكنون التّوحيد والحكمة، وداوموا بقوة اليقين على قرع باب الرحمة، يتجلّى لعقولكم البارّ العلّام، مبدعُ العوالم ومولّى الأنام، القاهرُ في الغيبة والظهور، والحاكمُ على الأزمان والدهور، والمجازي لنفوس الخلق في يوم العَرَض والنشور، على يد عبده الهادي المذكور، عند قيامه بالحق والصدق بالقوّة الربّانيّة، العظيمة الإلهيّة، وقيام الصورة الانبعاثيّة الروحانيّة، التي أشار إليها كلّ مشير، وعَبَدَهَا كلّ نذير وبشير، إعلاما للناس أنّ لباريهم حقيقة الظهور، على رغم كلّ جاحد كفور، في آخر الأعصار الدهور.

وكلّ شريعة من الشرائع الأربعة : الأبراهمة المتعلّقين بإبراهيم، واليهود المنسوبين إلى موسى، والنّصارى المعروفين بعتسى، وأتباع محمّد بن أبي كبشة ومسوخ شريعته، يعتقدون ويقرّون أنّ الباري جلّت قدرته يتجلّى في يوم القيامة، ويحاسب الخلق ويمزّق السموات ويبدّل الأرض بهويّته.

والكلّ منهم جاهل بحقيقة هذا المعنى، مائل عن المقصد الأفضل متمسك بالادنى. وحقيقيّته أنّ المولى العظيم قدرته، عند ظهور أمره

ومشيئته، يأمر بتمزيق شرائع المتقدمين، وهي سموات الخلائق أجمعين. وتبديل الأرض. وهو ما يبدو لمذاهبهم من الحلّ والنقض. وفيما قالوا أن تظهر أرض بيضاء وهو الإمام المبدع الحق، والعقل السدق، الإمام المنتظر لكشف الميثاق، يوم يكشف عن ساق، ويكون إلى وليّ الحق المآب والمساق. ذلك يوم البروز للواحد القهار، وظهور مكنون الأنوار؛ عندها يخسر المبطلون، ويندم الشاكّون المرتدّون، ويفوز بمقدمات التسديق الموقنون.

فأصيخوا أسماكم أيّها الإخوان إلى داعي الحق، وأجيبوا لمآثر أهل الصبر والسدق، وتعاونوا على البرّ والتقوى، ولا تتعاونوا على الإثم والعدوى. وارتقبوا ظهور الآية الكبرى، ولا تكونوا بمعزل عن الحق في أمة أخرى.

واعلموا أن الزمان قد تقضى وذهب، وموعد يوم الجزاء قد تعرض واقترب؛ فكونوا على طاعة وليكم محافظين، وبشروط التوحيد قائمين، ولأماناتكم مراعيين، ولأديانكم ذاكرين.

فقد دبّ الشكّ والشرك في قلوب البشر، كدبيب الفساد في أصول الشجر. وهبّت عليهم الحالقة الدين لا حالقة الشّعير، وصال الفسق والنكث لهم طباعاً؛ وخرجوا من القوة إلى الفعل بما أظهروه من الردة أفواجاً سراعاً. يتبارزون في مضمار البهت والجهل، ويتوازرون على مذمة أهل الدين والفضل. قد سلّبتهم الفترة الألباب والبصائر، وأظهرت ما أكنّوه من الغلّ في الضمائر، ونسوا حظاً ما عاهدوا الباري عليه من السدق في المقال، وأذعنوا لطاعة المسيح الدجال، واقتادهم الغرور فأسكنهم هيكل الرجس والضلال، وأوردتهم مناهل الحميم والزقوم، واستوى على عقولهم الرأى لتقارب الأجل المعلوم، وحلول الشقاء المحتوم، على كل رجس جحد إمامه ومولاه، واتخذ بعد التسديق إلهه هواه. فتبّت بما احتقب من الزلل يداه،

وَحَسِرَ بعدَ صَفَقَةِ الْحَقِّ أَوْلَاهُ وَأَخْرَاهُ، إِذْ دَلَعَ لِسَانَهُ بِالْكَذِبِ وَالزُّورِ عَلَى الْأَصْفِيَاءِ الْأَطْهَارِ، وَاخْتَلَقَ بِمَا يَجَازِيهِ عَلَيْهِ إِلَهُ الْحَاكِمِ الْجَبَّارِ.

فَلَعْنَةُ الْبَارِّ الْعَلَامِ، وَعَظِيمُ السَّخَطِ وَالْإِنْتِقَامِ، عَلَى مَنْ تَعَدَّى طَوْرَهُ مِنْ سَائِرِ حُدُودِ الدِّينِ، وَالِدَعَاةِ وَالْمَأْذُونِينَ، وَالنَّفَقَاءِ وَالْمُسْتَجِيبِينَ، فَجَعَلَ لَهُ مِيزَةً عَلَى غَيْرِهِ فِي نَفْسِهِ، أَوْ سَوَّغَ أَحَدٌ ذَلِكَ أَوْ رَضِيَ لَهُ مُحَابَاةً بِسَوْءِ رَأْيِهِ وَخَبِيثِ حَدْسِهِ، أَوْ حَرَّكَ بِهِ لِسَانَهُ أَوْ تَصَوَّرَهُ بِعَقْلِهِ وَحَسَّهُ، سِوَى مَا أُطْلِقَ لَهُ مِنْ جِهَةِ وَلِيِّ الْحَقِّ وَأُذِنَ لَهُ فِيهِ، وَأُنْعِمَ بِهِ عَلَيْهِ وَأُعْطِيَ، وَتُسَدَّقَ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِ التَّفَضُّلِ وَأَوْتِيهِ.

وَأَيْضاً لَعْنَةُ الْعَلِيِّ الْقَادِرِ، وَالْمَوْلَى إِلَهُ الْحَاكِمِ الْقَاهِرِ، الْمُسْتَوْدَعَةِ فِي مَنَاحِسِ الْخَلْقَةِ وَمَآثِمِ الْفُطْرَةِ، الدَّارَةُ عَلَى عُصَاةِ الْأُمَمِ وَدَجَالَةِ الْفُتْرَةِ، الَّتِي لَعَنَ بِهَا إِبْلِيسَ اللَّعِينِ، فَأَبْعَدَهُ وَأَقْصَاهُ، وَمَسَخَهُ بِهَا فِي الْأَدْوَارِ وَخَزَاهُ، دَارَةً عَلَى مَنْ تَخَرَّصَ الْبَاطِلَ عَلَى حُدُودِ وَلِيِّ الْحَقِّ وَاخْتَرَعَ، وَقَذَفَهُمُ بِالْأَفْكَ وَالْكَذِبِ وَالزُّورِ الْمُبْتَدَعِ، شَامِلَةً لِمَنْ تَمَرَّدَ عَلَيْهِمْ وَشَطَنَ وَحَرَّفَ، وَأَزَالَ الْكَلَامَ عَنْ مَوَاضِعِ الْحَقِّ بِضِدِّهِ وَزَخَرَ، فَجَعَلَ الْمُسُومِينَ بِالطَّاعَةِ وَالتَّوْحِيدِ أَشْيَاعاً مُتَفَرِّقِينَ، وَأَحْزَاباً فِي الضَّلَالَةِ مُتَمَرِّدِينَ، وَادَّعَى لِنَفْسِهِ مَنْزِلَةَ الْحُدُودِ الْعَالِيَيْنِ، وَنَعَقَ بِالْإِبْلَاسِ هُوَ وَمَنْ تَبِعَهُ وَمُسِخَ مَعَهُ مِنَ الْمَرْقَةِ الْغَاوِيَيْنِ.

أَللَّهُمَّ فَابْسُطْ فِيهِ وَفِي مَنْ تَبِعَهُ مِنْ أَعْدَاءِ الدِّينِ عَدْلَكَ، وَانْجِزْ لِأَوْلِيَائِكَ الْمَظْلُومِينَ الْمُقْهُورِينَ بِأَخْسَ الْخَلْقِ وَعَدْلِكَ، وَاجْعَلْ دَائِرَةَ السُّوءِ عَلَى الْمَارْقِينَ النَّاكِثِينَ، الَّذِينَ تَعَدَّوْا عَلَى مَنْ نَصَبَهُ وَلِيُّ الْحَقِّ وَأَمْرَهُ بِإِذَاعَةِ الدِّينِ، فَسَوَّلْ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُهْتَدِينَ.

وَاعْلَمُوا أَيُّهَا الزَّمْرَةُ الْمُوَحِّدُونَ، وَالْأَوْلِيَاءُ الْحَقِّقُونَ، أَنَّ الْمُرْتَدِّينَ الْمُتَعَقِّبِينَ عَلَى أَوْلِيَائِ الْحَقِّ فِي هَذَا الْأَوَانِ، هُمُ الْمُنَافِقُونَ الْجَا حِدُونَ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْإِدْوَارِ لِإِمَامِ الزَّمَانِ. فَلَا تَصْغُوا بِالْإِصْغَاءِ إِلَيْهِمْ فِي

الشك بعد اليقين، ولا تَهِنُوا لِمُشْكَلَاتِ الْإِبَالَسَةِ بعد شِدَّةِ الْوَتَنِ، ولا تَرَكُّنُوا إلى مُشَبَّهَاتِ الْبَاطِلِ بِأَفْعَالِهِمْ فَهُمُ الشَّيَاطِينُ، ولا يَصُدُّوْكُمْ عن وَلِيِّ الْحَقِّ بِأَقْوَالِهِمْ فَهُمُ الْجَاهِدُونَ.

واعلموا أَيُّهَا الْإِخْوَانُ الْمُوَحَّدُونَ، والعصابة المحقِّقون المهتدون، أَنَّ الْعَهْدَةَ الَّتِي أَمَرَ بِكِتَابَتِهَا عَبْدُ الدِّينِ وَأَقْرَبُهَا عِنْدَ الْإِخْوَانِ، وَأَزَالَهُمْ بِهَا عَنْ حَيِّزِ أَهْلِ الشَّكِّ وَالطَّغْيَانِ، فَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ نَظَرًا لِيَوْمِهِ وَغَدِهِ، وَعِلْمًا بِمَا يَرْتَقِبُهُ مِنَ النُّقْلَةِ لِمَا كَانَ بِصُدْدِهِ. وَإِنْ يَكُنْ فَرَطٌ فِي مِيثَاقِ حِجَّةٍ وَلِيِّ الزَّمَانِ، بعد عِلْمِهِ بِمَا هُوَ مُشَارِفُهُ مِنَ الْغَيْبَةِ وَالْإِمْتِحَانِ.

وأيضاً فَعَلَ ذَلِكَ وَسَتَرَ الْمِيثَاقَ لظهور المعاندين وَغَلَبَةِ الْفِتْرَةِ، لِأَنَّهُ كَانَ مِنَ السَّيَّارَةِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ دَارُ هِجْرَةٍ.

وأيضاً لو أَنَّهُ سَلَّمَ الْمِيثَاقَ كَمَا سَلَّمَ الْعَهْدَةَ إِلَى الْمُسْتَجِيبِينَ، لَلْتَبَسَ الدَّعَاةُ بِالْمُدَّعِينَ، وَصَارَ ذَلِكَ حِجَّةً لِأَهْلِ الْخِلَافِ وَالْمَعَانِدِينَ. وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ إِلَيْكُمْ مَنْ أَنْتُمْ بِهِ عَارِفُونَ، وَاتَّصَلَ الْمَانِعُ بِالْمَانِعِينَ؛ وَوَلِيُّ الْحَقِّ أَعْلَمَ بِمَا تُوعُونَ.

فَأَيَّاكُمْ أَنْ تَلْمُؤُوا بِمَا قَدْ وَضَحَ لَكُمْ فِي الْمَسْطُورِ فَيُوقِعْكُمْ فِيهِ عَلَى الْمَحْذُورِ، أَوْ تَتَكَلَّمُوا عَلَى حُجَجٍ قَدْ دَحَضْتُ، أَوْ تُعَوِّلُوا عَلَى مُعَاذِيرٍ قَدْ انْقَطَعَتْ، فَالْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ، وَالشُّبْهَةُ أَوْلَى أَنْ تُرْفَضَ وَعَنْهَا يُرْتَدَّعُ.

وَأَمَّا حُمَيْدٌ وَعَسْكَرٌ وَغَنَامٌ^(٣)، وَأَمْثَالُهُمُ الْفَسَقَةُ الْخَوَنَةُ الْاِغْتَامُ، فَقَدْ

(٣) «حميد وعسكر وغنام وتباعهم الخونة الفساق. أما حميد فمن قرية صرفود بجبل باريشا، ومدفنه في ميزناز من أعمال سمرمين. وأما عسكر فمن قرية دادجين، بينها وبين صرفود نصف مرحلة. وأما غنام فمن قرية عيجا. وهو أول من خرج من آل سليمان وله في عيجا آثار وطائفة باقية إلى الآن» (انظر الدرر المضية).

جَمَعَتِ الْفِتْرَةُ مَنَاسِمَهُمْ بِالزَّلَلِ وَالْخَيْنِ، وَقَطَعَتِ الدَّعْوَةَ الْهَادِيَّةُ قَرَابِيئَهُمْ مِنَ الدِّينِ بِالْمَيْنِ. فَمَا بَيْنَهُمْ تَفَاوُتٌ فِي تَبَايُنِ الْأَجْسَامِ، وَلَا تَخَالُفٌ فِي جَوَاهِرِ الْأَحْلَامِ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَقَدُوا حَبَائِلَ الْبِدْعَةِ، وَأَطْلَقُوا عِقَالَ الْخِلَافِ وَالشَّنْعَةِ، الْمَوْرُثُ لِلْعَمَى وَالصَّمَمِ، الْمُخَلَّدُ فِي اللَّعْنَةِ وَالْبَكْمِ. لَقَدْ تَلَاعَبَ بِعَقُولِهِمُ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ، وَأُورِدَهُمْ بِتَمْزِيقِ مِيثَاقِ دَعْوَةِ الْحَقِّ فِي غُرُورِ أَثِيمٍ.

فَإِنْ رَجَعُوا عَمَّا أَتَرَفُوا فِيهِ مِنَ الْإِلْحَادِ وَتَابُوا، وَأَقْلَعُوا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ وَنَابُوا، وَنَزَلُوا عَنْ مَرْكَبِ الْعَصِيَانِ، وَخَلَعُوا حِلَّةَ التَّكَبُّرِ وَالطُّغْيَانِ، وَاسْتَقَالُوا عَثَرَتَهُمْ مِنَ وَلِيِّ الدِّينِ، لَحِقُوا بِمَنَازِلِ الْمُسْلِمِينَ الْمُوَحِّدِينَ، فَلَهُمْ مَا لِلاتِّقْيَاءِ الْإِطْهَارِ، وَشَفَاعَتُنَا عِنْدَ وَلِيِّ الْحَقِّ تُمَحِّصُ مَا تَقَدَّمَ لَهُمْ مِنَ الْأَوْزَارِ، وَدَعَاؤُنَا لَهُمْ وَلِجَمَاعَةِ الْمُوَحِّدِينَ مَوْصُولٌ بِتَعَاقِبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَإِنْ أَصْرُوا عَلَى الْبَلَسِ وَالنِّفَاقِ، وَأَظْهَرُوا التَّمَرُّدَ وَالْإِبَاقَ، وَلَمْ يَأْوُوا إِلَى مَا رَسَمَ بِهِ الْعَبْدُ الْأَصْغَرُ الْخَاضِعُ الْجَنَاحَ، وَرَغَبُوا عَنْ شَرْبِ مَائِهِ الرَّيِّقِ الْمُبَاحِ.

فَإِلَى ظِلِّ مِرْصَادٍ مُؤَصَّدٍ، وَاحْتِدَامِ لَهَيْبِ نَارٍ مُوقَدٍ. فَمَنْ تَبِعَهُمْ فَهُوَ وَهُمْ فِي الرَّدَّةِ سَوَاءٌ، وَمَوْعِدُنَا وَهُمْ حَوْمَةُ الْفَصْلِ وَالْقَضَاءِ، وَمَوْقِفٌ يَفْتَضِحُ فِيهِ مَنْ اخْتَلَقَ وَادَّعَا.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ التَّطَمَّتْ أَمْوَاجُ الشُّكِّ وَالشَّرْكَ فِي بَحَارِ النُّفُوسِ الْخَبِيثَةِ، وَأَظْهَرَتْ مَا فِيهَا مِنَ الْعُكْرَاتِ وَالْكَدَرِ بِالْحَرَكَاتِ الْحَثِيثَةِ، لِقُرْبِ هُبُوبِ أَرْيَاحِ الْحَيَاةِ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ الْأَكْرَمِ، وَطُلُوعِ الْأَنْوَارِ الْإِلَهِيَّةِ لِهَبُوطِ نَجْمِ الْأَعْوَرِ الْأَشْأَمِ، وَدُنُوِّ الْأَزْفَةِ لِتَمْيِيزِ الْأَجْهَلِ مِنَ الْأَعْلَمِ.

إِذَا أَزْهَرَتْ بِجَبَلِ النُّورِ الْأَنْوَارُ، وَتَوَقَّدَتْ نِيرَانُ الْحَقِّ مِنْهُ فِي الْآفَاقِ وَالْأَقْطَارِ، لِلتَّوْحِيدِ وَالتَّالِيَةِ وَالْإِقْرَارِ، وَنَجَبَ بِنُجَبَاتِهِ رَبِّيُ الْحَقَائِقِ الْكَوْكَبُ السَّيَّارَ. فَإِنَّ مِنْ وَلِيِّ الْحَقِّ لِأَهْلِ الرَّدَّةِ الْخِلَاصُ وَالْفِرَارُ. إِذَا تَوَبَّ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْمَنَادِي وَتَشَعَّشَعَتْ الْآفَاقُ بِالنُّورِ لِقِيَامِ الْإِمَامِ الْقَائِمِ الْهَادِي. فَشَهِدْ

بالحقِّ الملائكة المقرَّبون، وعُوقِبَ المرتدُّون الجاحدون، عِنْدَ ذَلِكَ يَفُوزُ بِمُقَدَّمَاتِ التَّسْدِيقِ الْمُوقِنُونَ، وَيَخْسِرُ الشَّاكُّونَ وَالْمَنَافِقُونَ.

فَلَا تَكُونُوا أَهْلًا لِإِخْوَانِ كَقَوْمِ أَنْعَمَ الْبَارِي عَلَيْهِمْ فَبَطَرُوا نِعْمَاهُ وَلَمْ يَشْكُرُوهُ، وَأَعْرَضُوا عَمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَسَوَّوْهُ وَلَمْ يَعُوْهُ، فَمَنْ نَسِيَ وَلِيَّ الْحَقِّ كَانَ الْحَقُّ لَهُ نَاسِيًا مَاحِقًا، وَبِمَا جَنَّا عَلَى نَفْسِهِ فِي غَدِّ شَاهِدًا نَاطِقًا، يَتَوَهَّمُ أَنَّ شَيْطَانَهُ يُرْشِدُهُ وَيَهْدِيهِ، وَهُوَ بِشَيْطَانَتِهِ يَغُرُّهُ وَيَغْوِيهِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَانُ أَكْرِمُوا مَوَاقِعَ النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ، وَاحْذَرُوا مِنَ الْكُرَّةِ الْخَاسِرَةِ، فَإِنَّكُمْ عَنْ قَلِيلٍ تُعْرَضُونَ، وَعَنْ إِمَامِ الْحَقِّ تُسَالُونَ، وَبِعَقَائِدِكُمْ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ تُطَالِبُونَ.

أَيُّهَا الْإِخْوَانُ فَاعْتَنِمُوا زَمَانَ الْإِمْهَالِ، وَتَقَرَّبُوا إِلَى وَلِيِّكُمْ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ، قَبْلَ طَيِّ الصَّحَائِفِ وَجَفَافِ الْأَقْلَامِ، وَغَلِقِ أَبْوَابِ الرَّحْمَةِ وَخَتَمِ الْأَفْوَاهِ وَقَطِعِ الْكَلَامِ، وَقَبْلَ فَتْحِ أَبْوَابِ السُّخْطِ عَلَى مَنْ بَارَزَ بِالْعِنَادِ وَالْإِنْتِقَامِ. هَذِهِ أَوَائِلُ الْعَلَامَاتِ لِقِيَامِ الْحَافِظِينَ الْأَشْهَادِ، وَأَبْيُنُ الْآيَاتِ لظُهُورِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ الْهَادِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَانُ قَدْ أُبْلِغْتُ لَكُمْ فِي الْمَوْعِظَةِ وَالنَّصِيحَةِ، وَبَيَّنْتُ وَأَرَشَدْتُ بِالْبَرَاهِينِ الْمَقْنَعَةِ الصَّحِيحَةِ، وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ، وَالتَّوَكَّلْ عَلَى وَلِيِّ الْحَقِّ وَبِهِ أَسْتَعِينُ.

اَللّٰهُمَّ اِنْ قَرْنَ الشَّيْطَانِ قَدْ طَغَى فَاذَلَّهُ، وَعَدَدَ اَهْلَ الْاِرْتِدَادِ وَالنَّكَثِ قَدْ كَثُرَ فَاَقْلَهُ، فَقَدْ اَظْهَرُوا مِنَ الْغُلِّ وَالنَّكَثِ مَا كَانَ فِي الْكِنَانِ مُسْتَوْرًا، وَابْدَوْا مِنَ الضَّدَادَةِ وَالْعِنَادِ مَا صَارَ لِمُتَأَمِّلِهِ بَعْدَ الطَّيِّ مُنْشُورًا. فَقَاتَلُونَا بِأَسْلِحَتِنَا مِنْ حَيْثُ أَمْنًا عَلَى النُّفُوسِ، وَرَجَعُوا إِلَى مَا اَلْفُوهُ مِنْ عِبَادَةِ الْعَجَلِ وَالْجَامُوسِ.

اَللّٰهُمَّ فَبِكَ الْمَسْتَغَاثُ وَاِلَيْكَ الْمُسْتَكَا، وَفِي يَدَيْكَ الْمَمَاتُ وَالْمَحْيَا وَاِلَيْكَ
بَوْلِيكَ الْمَفْزَعُ وَالْمَلْجَا.

اَللّٰهُمَّ فَاَرِنَا بِمَسَادِيْقِ وَعْدِكَ اجْتِنَاثَ شَجَرَةِ الْاَوْغَادِ، وَصَلِّ عَلَى
اَوْلِيَاائِكَ الطّاهِرِيْنَ الْاَشْهَادِ، وَسَلِّمْ تَسْلِيْمًا وَسَلَامًا عَلَى اَشْرَفِ مَوْلُودِ، دَعَا
إِلَى اَفْضَلِ مَعْبُودِ.

وَكَانَ قَرَأُ تَأْلِيْفِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ فِي شَهْرِ جُمَادَى الْآخِرِ مِنَ السَّنَةِ
السَّابِعَةِ عَشَرَ مِنْ سَنِينَ قَائِمِ الزَّمَانِ، الْمُنْتَقِمِ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ وَالطَّغْيَانِ.

تَمَّتْ وَالْحَمْدُ لِمَوْلَانَا الْحَاكِمِ وَحْدَهُ، وَالشُّكْرُ لِلْإِمَامِ الْهَدَايِ عَبْدِهِ.

الرَّسَالَةُ الْمَوْسُومَةُ
 بِالشَّافِيَةِ لِنَفُوسِ الْمُوحِدِينَ
 الْمُمْرِضَةِ لِقُلُوبِ الْمُقْصِرِينَ الْجَاحِدِينَ

كتبها بهاء الدِّين ليعظ فيها الموحِّدين ويثبتهم في عقيدتهم وإيمانهم.
 فيها كلامٌ على التَّوحيد والبراهين القاطعة عليه، وانقسام الأديان
 بالنسبة إليه، إلى أهل تنزيل وأهل تأويل وأهل توحيد. وحمزة هو
 الوسطة لمعرفة التَّوحيد. والعارفون هم الموحِّدون، أي عارفو اللاهوت
 متجليًا في النَّاسوت. و«بنو معروف» هم أهل هذه المعرفة.

حروفُ بِسمِ الله الرحمن الرحيم، حدود قائم الدِّين. ألحمد لله الذي
 جعل الحقَّ وَرَرًا لمن اعتصم بعزائمه وعقوده، ومذلةً لمن جحد حقوقَ دينه
 ومتعبَّدات حدوده، وأوجبَ به لعنةَ إبليس الرجيم وجنوده. وسلامٌ من
 المولى القدير المجيد، على الإمام القائم بالتَّوحيد، والمشير إليه على حقيقة
 التنزيه والتجريد. ورحمة المولى وبركاته على ينابيع الحكم أوليائه في كلِّ
 عصر جديد.

أما بعد فإنَّ التَّوحيدَ للمولى جَلَّتْ آلاؤه أعظم المطلوبات، وأنفس
 المُدْخَرَات، وأشرفُ المكتسبات، لأنَّه ثَمَرَةٌ ما سَكَّفَ في العصور الخالية من
 المتعبَّدات، وميزان القسط الذي به قامت الأرض والسموات. فَبِصِحَّةِ

التَّوْحِيدِ تَصِلُ الْأَنْفُسُ الطَّاهِرَةُ إِلَى الثَّوَابِ الْأَبَدِيِّ وَالْكَمَالِ الْأَخِيرِ،
وَبِالْقُصُورِ عَنْهُ تُخَلِّدُ الْأَنْفُسُ الْخَبِيثَةُ فِي الْعِقَابِ وَالْخِزْيِ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ.

فَالْتَّوْحِيدُ لِلْمَوْلَى جَلَّتْ آلاؤُهُ أَوَّلُ الْمُفْتَرَضَاتِ، وَحَقِيقَةُ الدِّيَانَاتِ، كَمَا
قَالَ ^(١) مَنْ أَسَارَ إِلَى تَوْحِيدِهِ، وَنَزَّهَهُ عَنْ صِفَاتِ خَلْقِهِ وَعَبِيدِهِ : أَوَّلُ الدِّيَانَةِ
بِاللَّهِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ نِظَامُ تَوْحِيدِهِ، وَنِظَامُ تَوْحِيدِهِ نَفْيُ صِفَاتِ
الْمَخْلُوقِينَ عَنْهُ بِشَهَادَةِ الْعُقُولِ الصَّافِيَةِ. إِنَّ الصِّفَةَ غَيْرُ الْمُوصُوفِ، وَإِنَّ
الْمُوصُوفَ غَيْرُ الصِّفَةِ.

وَالْمَعْرِفَةُ إِنَّمَا هِيَ لِمَا شُوْهِدَ وَعُوِينُ ^(٢)

كَمَا جَاءَ فِي قِسْمِ الْإِمَامِ فِي الْمَسْطُورِ : «يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ
يُنْكِرُونَهَا» ^(٣)، أَيِ يَعْرِفُونَ الْمَشَارَ إِلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الْوُجُودِ، وَلَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ
التَّوْحِيدِ، بَلْ يَنْكِرُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهُمْ لَمْ تَتَصَوَّرْ عَقُولُهُمْ كَمَالَ نِظَامِ
التَّوْحِيدِ، وَلَا عَرَفُوا كَيْفَ يَنْزَهُونَهُ عَنْ صِفَاتِ الْخَلْقِ وَالْعَبِيدِ. وَذَلِكَ أَنَّ جَمِيعَ
أَهْلِ النَّحْلِ وَالْأَدْيَانِ يَعْتَرِفُونَ بِالْمَعْبُودِ، وَيُنْكِرُونَ إِذَا دُعُوا إِلَى حَقِيقَةِ
الْوُجُودِ. كَمَا قَالَ : يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْكِرُونَهَا. أَيِ يَقْرَوْنَ أَنَّ لَهُمْ بَارِئًا
وخالقًا، فَاذَا دُعُوا إِلَى مَعْرِفَةِ تَوْحِيدِهِ أَنْكَرُوا وَجُودَهُ.

وَكُلُّهُمْ، أَعْنِي مَنْ قَدَّمْتُ ذِكْرَهُ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ النَّحْلِ وَالْأَدْيَانِ يُوجِبُونَ
عَلَى أَنْفُسِهِمْ عِبَادَةً يَرْجُونَ بِهَا ثَوَابَهُ، وَيَفَرُّونَ بِهَا مِنْ عِقَابِهِ. وَالْعَقْلُ يَقْطَعُ
وَيَشْهَدُ وَيُوجِبُ أَنَّ الثَّوَابَ لَا يَصْحَحُ وَلَا يَثْبُتُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَعْرِفَةِ الْمُثِيبِ إِذْ كَانَ
الْخَلْقُ إِلَى مَعْرِفَةِ الْمُثِيبِ هُمْ أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَى مَعْرِفَةِ ثَوَابِهِ.

(١) المقصود هنا حمزة.

(٢) من هنا يجيء اسم بني معروف، من المعرفة أي معرفة اللاهوت في الناسوت.

(٣) سورة النحل ٨٣/١٦.

وأيضاً جميع أهل الشرع والمذاهب المتقدمة وكل من ينحو إلى توحيد المولى جلّت قدرته فإنما أخصّ التوحيد عندهم نفى الصفة والحدّ والنعت وما أشبه ذلك من الرؤيّة وغيرها؛ وحقيقة نفهم هذه الأوصاف عنه إنّما هو إشارة إلى عدمه؛ وإنّ الأبصار لم تقدّر على الإحاطة به. فعلى قولهم إنّ كان معدوماً فلا شرف له إذ لم تحط به الأبصار لأنها إنّما حصرت عنه لعدمه. ولو كان موجوداً لأدركته الأبصار ولم تحصر عنه. هذا على قولهم فلا لوم عليهم إذ لم تحط به الأبصار.

وعلى ظاهر القول، تالله، إنّ الأعظم لقدرته، والأعجز لبراهين ألوهيته، أن يكون موجوداً في بريته. والكلّ منهم يوحده وينزّهه على مقدار ما اتّحد به من العلم وجليل إفاضته.

وأيضاً فإنّ المولى جلّت قدرته إذا كان موجوداً على جائزة الكلام كان تنزيهه شرفاً لمنزّهه ومؤدّياً له إلى الثواب الأبدي لدقّة توحيده وثاقب بصيرته، إذ نزّهه عن الصفة والحدّ والنعت موجوداً، ويوحده عند جميع الخلق مفقوداً.

وكذلك أيضاً يكون العقاب لمن غلّظ فهمه عن التوحيد، ونسب الباري جلّت قدرته إلى نسبة الخلق والعبيد. وأيضاً فإنّ كان معدوماً فقد سقطت الحجة عن الخلق، وكان الكلّ معذورين في توقّفهم عن طلب الحقّ.

ويؤيّد ما ذكرته ما تقدّم به الخلق من أقوالهم، إنّ الله لا يحتجب عن خلقه لكنّ حجبته عنهم أعمالهم. وقال أيضاً: ولو عرفوا الله ما عبدوه، ولو عرفوا إبليس ما لعنوه. يقول الله: وكم من «آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون. وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون»^(٤).

(٤) سورة يوسف ١٢/١٠٥ - ١٠٦.

فقد أثبتت من إثبات إيجاد الباري جلّت قدرته على جائزة الكلام ما يَفْنَعُ به مَنْ يَفْهَمُهُ وَوَقَّقَ لِدَرْكِ معانيه. وعلى أنني لا أزوي إلى نفسي شيئاً منه، ولا بحولي وقوتي أترجمُ عنه. فما كان في هذه الرسالة من صواب، وجزالة خطاب، فهو من بركات قائم الزمان، ووليّ الفضل والإحسان؛ وما كان فيها من زللٍ أو خطلٍ فهو مردودٌ إليّ، وموقوف عليّ؛ أتوسّل في الإقالة منه إلى مَنْ هو مُنِّي بضميري أعلم. وأضرع إليه في الهداية إلى الطريق الأرشد الأقوم.

وأما تنزيه الباري جلّت قدرته فهو أعظم من أن يُسَطَّرَ بالأقلام، أو تقطّعه الألسنُ بالكلام. وإنما يقدّر على بعض الإشارة إليه من سبقَتْ له من وليّ زمانه الحسنَى وَسَمَّا بِنَظَرِهِ إلى الملاء الأعلى. هذا إذا خَلَصَتْ من الشكوك نيّته، وصحّت لإخوان الدين طويّته، على معنى التنزيه والتجريد بمقدار درجته، وسمو منزلته، لوجوب التفاوت في الخلق، الذي به يصحُّ ثوابُ الأنفسِ وعقابُها على حقيّةِ السدق.

فأقول إنّ جميع العلماء المتقدمين، والمنطقيين والمتفلسفين، وأهل التقصير القائلين بالإمامة الاثنعشرية والمنجمين، وبقية أهل الشرع والمذاهب المتقدمة وأهل النصب والحشوية المخالفين، على قدر طبقاتهم في علومهم.

فمنهم مَنْ يقول بالأوائل والثواني، وترتيب الألفاظ وتنميق المعاني، ومنهم مَنْ يقول بالأفلاك والمدبرات، والمواليد والأمّهات، ومنهم مَنْ يقول بجبرئيل وميكائيل والملائكة الرّوحانيّات، ومنهم مَنْ يقول بالنقل والأخبار السّمعيات. والكلُّ منهم يعتقد أنّ هذه هي الآثار العلويّات، وأنّ الإنسان دونها وأنّها أشرفُ منه عندهم لأنّه من بعض المتولّدات.

والحق أقول إنه إذا عمل ذو لب فكره في حقيقتها وجدها لا تنشيء إلا حيواناً أمواتاً، أو جماداً أو نباتاً. فلو حرص جميع أهل هذه النحل والاديان أن ي اخترعوا زيادة، أم نقصاً، على ما ذكرته حرفاً واحداً لأعجزهم العيان، وأكده عليهم البرهان. وهذا هو صحيح يطابق عليه كل أحد ممن أنصف نفسه أن هذه الأصول عندهم هي الأمور الإلهيات.

ونحن نتكل جميع هذه الطوائف على عقولهم، ونحكمهم في متعبداتهم وحقائق أصولهم. ونسألهم بما فضّل الإنسان على جميع المواليد والأنواع، وسمت منزلته حتى اتحد بغاية الأبداع؛ فيضطّروهم الحق بعد قطعنا لحججهم وتبيين الفضيلة الدينية، أن يقولوا بما اتحد به من الأنوار العلوية، والحقائق الإلهية، والعلوم الملكوتية، والحق أحق أن يتبع. فبهذا فضّل الإنسان على جميع المخلوقات.

ثم نسألهم أيضاً عن حقيقة هذا الإيجاد، وكيفية صحة هذا الاعتقاد، ومن أسسه وأهله، ومن فرعه وأصله، فيضطّروهم عيان الحق ويحثهم برهان السدق، أن يقولوا هو إمام الزمان، الصادع بالبيان، في كل وقت وأوان، إذ لا يصح ذلك إلا بواسطة. فجميع أهل الشرع لهذا منتظرون، وبه مقرون.

ثم نسألهم أيضاً عن تفضيل الخلقين أعني الخلقة الروحانية التي هي حقيقة المتعبدات، وميزان القسط لأهل الأرض والسموات، وعن الخلقة الجسمانية التي هي أجرام وأدوات وآلات، وأعضاء مركبات، والأنوار المريئة فهي كتائف جمادات. أي الخلقين أحق أن تكون متحدة بالأمور الإلهيات، فيحصرّون عن الجواب، ولا يعرفون حقيقة الصواب، إذ جميع الأشياء تنقسم قسمين، مفصول وفاصل، وإن المفصول تبع للفاصل.

وهذه هي نهايتان: فنهاية الدين هو الإمام ملك المولى المنزه المعبود؛

ونهاية الموضوعات والمركبات بالإضافة إلى عبيده الحدود، إذ جميع ما أشاروا إليه إنما هي الأجرام والطبائع والمطبوعات، الجواهر الجمادات. والآنسان اتحد بما هو أعلا منها لِقُرْبِهِ من الأزل وقبوله للحق واتحاده بالطائفة الروحانيات، إذ كانت الأجرام والطبائع مجبورة في حَيِّزِهِ وَمِنْ تحت إحاطته لما اتحد به من الأمور الإلهيات.

فقد أوجدتُ المعبودَ وأشرتُ إليه، وأوضحْتُ المعنى في الطريق إلى توحيدِهِ ودللتُ عليه، بمنَّةٍ وليَّ النعمة، الإمامِ قائمِ الحقِّ المتفضلِ على أوليائه بالرحمة.

فإنِ اعترض معترض وقال: إنَّ عدَدَتِ الظهوراتِ المُرْتَبِية في جميع الأزمنة الماضية كَثُرَتْ وألْحَدَتْ وأشْرَكْتَ. وإنَّ أَسْقَطْتُهَا بغير برهان كُفِرْتَ ودَفَعْتَ العِيَانَ وعَطَلْتَ. أبينُ لي الصواب، وأحضرِ الجواب.

يقال له: إنَّ توحيدَ الباري جَلَّتْ قدرته لا يصحَّ بالنظر والألحاظ، ولا بالكلام والألفاظ. وإنَّ الموفقَ لتوحيدِ المولى جَلَّتْ قدرته إذا عمل ذو لبٍّ فكره في حقيقَةِ التَّوْحِيدِ، وصَفَتْ نفسه وسَكَنْتْ بحقيقَةِ التنزيه والتجريد، فقد تَخَلَّصَتْ من جميع الأزمنة الماضية وحَصُرَها، فهي لا تعتقد في وقت سكونها في التَّوْحِيدِ الحاداء، ولا تتصوَّر في المعبود أعدادا، بل تكون على غاية من التنزيه والتجريد، وتصدُّ عن التعطيل والتشبيه والتحديد. فهذا قول تَرَشَّفُهُ قلوبُ أهلِ الفهم، وتَنَصَّلُ به نفوسُ أهلِ التَّوْحِيدِ والعلم.

وأنا أَتَكَلَّمُ على مُعْتَقِدِي الإِمامَةِ، وَمَنْ شَمَلَتْهُمْ من أهلِ الحقِّ دعوةُ الكرامة، وأَجْعَلُ الحُكْمَ عليهم ما نُصِّ في المجالسِ المَكْرَمَةِ إشارةً إلى وقتنا هذا. وهو أنَّ القائمَ إذا ظهرَ يقومُ بالوحدانية، ولا عملَ في وقته بعد ظهوره. وأيضاً في مجلسٍ آخر: بالتَّوْحِيدِ عُرِفَتْ جميعُ الأشياءِ لا بالأشياء يُعْرَفُ التَّوْحِيدِ. وأيضاً في مجلسٍ آخر: إنَّ التَّوْحِيدَ هبةٌ من الواحد للموحدين.

وعلى قول القائلين بالإمامة: إن الواحد في كل عصر وزمان هو الإمام، وإن الدين الذي يفوضه في العالم هو الحق لأنه هو العقل، وهو الذي يعقل به جميع من لجأ إليه واتحد به عن الزيغ إلى الأهواء المضلّة، ويلزم الطريق المستقيمة من كل علة.

فَعَلِمَ عِنْدَ ذَلِكَ كُلِّ ذِي عَقْلٍ وَلِبَّ أَنْ الْوَاحِدَ الَّذِي التَّوْحِيدُ هِبَةٌ مِنْهُ لِلْمُوحِدِينَ هُوَ الْإِمَامُ، وَهُوَ عَبْدٌ مَوْلَانَا جَلَّ ذِكْرُهُ، وَهُوَ الْقَائِمُ الَّذِي يَقُومُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، أَيِ يَدْعُو التَّوْحِيدَ لِمَوْلَانَا جَلَّ ذِكْرُهُ، وَيَنْزُهُ مَوْلَانَا، وَالْإِمَامُ هُوَ الْقَائِمُ الَّذِي لَا عَمَلَ فِي وَقْتِهِ بَعْدَ ظَهْوَرِهِ.

فَمِنْ هَاهُنَا ضَلَّ الَّذِينَ أَلْحَدُوا فِي الْمَوْلَى جَلَّ ذِكْرُهُ تَعَالَى وَفِي حَدُودِهِ، وَلَمْ يَفَرِّقُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبِيدِهِ، وَأَشْرَكُوا وَتَكَبَّرُوا عَلَى الْإِمَامِ الْقَائِمِ الْهَادِي وَجَدُودِهِ، وَقَاوَمُوا الْحَقَّ بِكُفْرِهِمْ وَعَانَدُوهُ. فَلَا لِلْمَوْلَى عَبْدُوه فَوْحْدُوه وَنَزْهُوه، وَلَا لِلْإِمَامِ الْعَدْلُ عَرَفُوه فَتَوَصَّلُوا بِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ لِيَعْبُدُوهُ وَيَطِيعُوهُ. بَلْ عَكَفُوا عَلَى قَذْفِ الْإِمَامِ الْعَدْلِ وَسَبِّ حَدُودِهِ وَأَنْكَرُوهُ. وَخَرَجُوا بِالْجَوْرِ وَالظُّلْمِ عَنِ الْعَدْلِ، وَوَقَفُوا عَلَى الْإِلْحَادِ وَالسَّفَهِّ وَالْجَهْلِ. وَهَذَا فَهُوَ دَوْرُ الْقِيَامَةِ وَبَرُوزُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ. وَحِينَ الْكُشْفِ لَضُمَائِرِ أَهْلِ الْحَقَائِقِ وَظَهْوَرِ أَهْلِ النِّكَثِ لَمَّا يَجْنُوهُ مِنَ الْفُسُوقِ وَالْعِنَادِ.

وَلَمَّا نَظَرْنَا إِلَى عَقَائِدِ جَمِيعِ مَنْ أَشَارَ إِلَى التَّوْحِيدِ، أَعْنِي عِبَادَةَ الْمَعْبُودِ، فَوَجَدْنَا الْعَالَمَ فِيهِ عَلَى طَبَقَاتٍ ثَلَاثَةٍ: طَبَقَةُ تَطَلُّبِهِ بِالرُّؤْيَا وَتَحْقِيقِ النَّظَرِ الْحِسِّيِّ؛ وَطَبَقَةُ تَطَلُّبِهِ بِالْقَوْلِ وَالْمَنْطِقِ وَالْكَلَامِ اللَّفْظِيِّ؛ وَطَبَقَةُ تَنْفِي عَنْهُ هَذِهِ الْأَحْوَالِ وَتَوْحِيدِهِ بِالْعَقْلِ كَمَا تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهِ: إِنَّ التَّوْحِيدَ هِبَةٌ مِنَ الْوَاحِدِ لِلْمُوحِدِينَ. قِيلَ: وَمَا تِلْكَ الْهِبَةُ، قِيلَ: هُوَ الْعَقْلُ الْآخِرُ. وَالْعَقْلُ الْآخِرُ هُوَ الْإِمَامُ، لِأَنَّهُ عَبْدُهُ الْحُدُودِ دُونَهُ وَهُوَ مَمْدُودُهُم بِالْتَّأْيِيدِ. وَمَعْنَى الْآخِرِ هُوَ الْأَعْلَى وَالْأَرْفَعُ.

فأما الطبقة الأولى فهم أهل التنزيل والشرعيات التي لا زيادة فيها ولا نقصان. وكذلك نَظَرُ الْعَيْنِ إِذَا نَظَرَتْ إِلَى الشَّيْءِ بِهِيْتَهُ لَا زِيَادَةَ فِيهِ وَلَا نَقْصَانَ.

وأما الطبقة الثانية فهي التي تطلبه أعني التَّوْحِيدَ بالقول والمنطق والكلام اللفظي. فهم أهل التأويل الذين يَزِيدُونَ وَيَنْقُصُونَ كما تزيد الألفاظ بالتأليف وتنقص.

وأما الطبقة الثالثة فهم الذين يوحدون المولى جلَّت قدرته بقلوبهم، وينزهونه بأفكارهم الصحيحة وعقولهم، ولا يوحدونه من طريق النصر والصور، ولا من طريق القول والحصر، بل بالفكر الصحيح يوحدونه ويثبتونه. وعمّا تتصوره الطبقتان الأولتان يُفردونه ويُنزهونه، وعن العدم ينفونه، فإذ لولا ما تتصور به جلَّتْ أَلَاؤُهُ الطبقتان المذكورتان من الإلحاد فيه والتشبيه، لم يكن للحق فضيلة على أهل التَّوْحِيدِ والتنزيه، لأنَّه لو كان معدوماً لم تقم الحجة على أهل التقصير والكفر والبدع، ولو كان موجوداً على ما يروونه به لا غير لاستوى بالتَّوْحِيدِ جميع أهل الشَّرْع.

قال الله تعالى: «لَا يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ، وَإِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ»^(٥). وقال: «وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ»^(٦)، إشارة إلى الحدود، وتنزيهاً للقادر الموجود.

وأما أهل النَّصَبِ والحشوية^(٧) فيكفيهم ما ورد في المسطور من ذكر اليد والعين والجنب، إشارة إلى الوجود، ودلالة على الواحد المعبود. وأما ما جاء في مجالس الحكمة ممّا يشيرون إلى وقتنا هذا ماضيه ومُؤْتَنَفِهِ، فهو

(٥) سورة الزمر ٣٩/٩.

(٦) سورة الأعراف ٧/١٩٨.

(٧) كناية عن أهل التنزيل.

واستمرَّ العارضُ في مَنْ وَجَّهَ الاختيارَ صاحبُ الكشفِ، وحدُّ الاختبارِ بأخذهم على العَرَضِ والوصفِ، حتى ظهرت ثَلَاثَةُ من ذوي النَجَابَةِ والكافيين عن المُغَيَّبِ في الخِلْفَةِ والنِّيَابَةِ، وَبَلَّغُوا النِّهَايَةَ في العطاءِ، وجَعَلَ لهم فَكٌّ مَنْ كَانَ من الرِّبَطَاءِ، وساروا بالغَيْثِ متوجِّهين، والرحمةُ بين أيديهم مقدِّمين.

وأيضاً في مجلسٍ آخرٍ يتلوه : وعندَ استقرارِ الدارِ بالثَلَاثَةِ المتوجِّهين، كشفوا ما تقدَّم العملُ به وأحصوا مَنْ زَكَ وَتَحَصَّلَ لمولاهم من المؤمنين، وزاد بهم ما حلَّ من الضيَّاءِ والإشراقِ، وعملوا البَثَّ في مُجَاهَرَةِ أَهْلِ النِّفَاقِ، وقاموا على الاستئْذَانِ إلى أَنْ يَرِدَ إِلَيْهِمْ ظَاهِرُ الْأَمْرِ، وَمُتَقَدِّمُهُ بما نَقَرُّ بِهِ الْعَيْنُ وَيُتْلَجُّ الصِّدْرُ. وهذا شيءٌ قد شُوهِدَ وعُوِينَ وَعُرِفَ القَائِمُونَ به وبأمر مَنْ أَظْهَرُوهُ.

فقد آتَيْتُ على الغَرَضِ فيما أوردتُ وأبلغتُ في المقالِ. ودعوتُ إلى المولى العليِّ المتعالِ، بآيَاتِ بَيِّنَةٍ، وَحِجَمِ مَبْرَهَنَةٍ. وهو قوله يومَ يَدْعُ الدَّاعِي إلى شيءٍ نُكِّرَ. فقد رأيتُموه وسمعتُموه، ودُعِيتُمُ إِلَى التَّوْحِيدِ فَأُنْكَرْتُمُوهُ، ووقفتم على الحقِّ وجهلتموه وبهتُّمُوهُ.

فهلِّمُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِلَى الْقَائِمِ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ. هلِّمُوا إِلَى دِيَّانِ يَوْمِ الدِّينِ. هلِّمُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُوعَدُونَ مِنْ عَيْنِ الْيَقِينِ. هلِّمُوا إِلَى الْمَاءِ الْعَذْبِ عَلَى الظَّمَاءِ وَحَقِيقَةِ الْمُعِينِ.

فقد أَرَقَّتِ الْأَرْفَةُ، وليس لها من دُونِ اللَّهِ كَاشِفُهُ؛ أَمَا تَرَاهُمْ يَخُوضُونَ ويلعبون أَهْلُ الْجَهْلِ وَالْخِلَافِ، الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ بِالْحَقِّ اعْتِرَافٌ، فَطَالَ مَا يَبْكُونُ وَهُمْ صَامِتُونَ.

أَقْمِنُ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ. وَلَا تَبْكَونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ.
فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا. فَمَا عَلَى الرَّسُولِ السَّادِقِ سِوَى الْبَلَاغِ الْمُبِينِ. وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَسَلَامُهُ عَلَى قَائِمِ الْحَقِّ وَلِيِّ الدِّينِ، وَرَحْمَتُهُ عَلَى حُدُودِهِ
الطَّاهِرِينَ الْمُقَرَّبِينَ. وَهُوَ حَسْبُ عَبْدِهِ الضَّعِيفِ الْمُقْتَنِي بِهِ أَسْتَعِينُ. وَهُوَ
حَسْبِي وَنِعْمَ النَّصِيرُ الْمَعِينُ. وَالْحَمْدُ لِمَوْلَانَا وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا مَعْبُودٌ
سِوَاهُ.

تَمَّتْ.

رِسَالَةُ الْعَرَبِ

بعثَ بهاءُ الدِّينِ بهذه الرسالة إلى رؤساء العرب في سوريا والصعيد
والحجاز واليمن وما بين النهرين والعراقين، وخاصة إلى شيوخ عرب
كانوا عمدةً في دعوة التَّوحيد. تاريخها سنة ٤٢٣ هـ وهي تدعو عامة
الناس إلى الدخول في الدَّعوة.

تَوَكَّلْتُ عَلَى الْمَوْلَى إِلَهِ الْحَاكِمِ الْمَنْزُهِ عَنِ الْعَدَمِ، وَشَكَرْتُ عَبْدَهُ قَائِمَ
الدِّينِ وَهَادِي الْأُمَمِ. مِنَ الْعَبْدِ الطَّائِعِ الْخَاضِعِ النَّذِيرِ، وَمَمْلُوكِ الْإِمَامِ الْقَائِمِ
عَلَى الْأُمَمِ بِالْحَدِّ وَالنَّكِيرِ، وَعَلَى نَوَامِيسِ الْأَبَالِسَةِ بِالنَّسْخِ وَالتَّحْلِيلِ وَالتَّغْيِيرِ،
إِلَى جَمِيعِ مَنْ بِالشَّامَيْنِ الْأَسْفَلَ وَالْأَعْلَى، وَمَنْ بِالصَّعِيدِ وَالْحِجَازِ
وَأَرْضِ الْيَمَنِ آلِ الصَّفْوَةِ وَالْوَفَا، وَمَنْ بِالْجَزِيرَةِ وَالْعِرَاقَيْنِ الْأَبْعَدِ وَالْأَدْنَى،
مِنْ رُؤَسَاءِ الْعَرَبِ أَهْلِ الْمَنَازِلِ وَالرُّتَبِ، وَالْفَخْرِ وَالْحَسَبِ، الْمُتَّبَاعِينَ فِي
النَّسَبِ، أَعْنِي حَسَّانَ ابْنَ مُفَرَّجٍ وَعَشِيرَتَهُ، وَزَمَّاحَ وَجَابِرَ أَلْيَفِي التَّوْحِيدِ،
الْقَائِمِينَ بِأَمَانَتِهِ، وَرَافِعَ ابْنَ أَبِي اللَّيْلِ السَّيِّدِ الْكَامِلِ الْمَوْفُوقِ فِي فِعْلِهِ لِسَعَادَتِهِ،
وَجَامِعَ ابْنَ زَائِدَةَ وَأُسْرَتَهُ، وَدَقَّاعَ ابْنَ نَبْهَانَ وَذَوِيهِ وَجَمَاعَتِهِ، وَعَمِيرَةَ ابْنَ
جَابِرٍ وَأَهْلِهِ وَإِخْوَتَهُ، وَشَبِيبَ ابْنَ وَثَّابٍ وَمَنْ فِي جَزِيرَتِهِ، وَأَوْلَادَ الْمُسَيَّبِ أَعْنِي
قُرَوَاشَ وَذُرِّيَّتَهُ، وَرَافِعَ وَذَوِيهِ الْكَامِلِ فِي سَيَادَتِهِ، وَجَمِيعَ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى
خَفَاجَةَ أَعْنِي آلَ ثُمَّالٍ وَأَمِيرَهَا الصَّائِبَ فِي فِعْلِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَكَافَّةَ مَنْ تَعَرَّبَ
وَتَبَدَّأَ مِنْ تَنْبَهٍ مِنْ غَفْلَتِهِ بِبَصِيرَتِهِ.

السلام على مَنْ أفاء إلى الحقّ وطريقه المستقيم، ونظرَ بعينِ الحقيقةِ إلى منازلِ أهلِ الصبرِ والتسديقِ والتسليمِ، وسَمَى بهمِهِ لِمَعَالِمِ التمييزِ والتقسيمِ، فعَرَفَ مباني أوقاتِ الزمانِ، وما يحدثُ فيه بأمرِ البارِي تعالى من النسخِ للملِلِ في كلِّ أوانٍ. فَتَحَقَّقَ قدرةَ إلهِهِ وبارِيهِ، وتصورَ بعينِ النَصْفَةِ إرادةَ خالِقِهِ ومُنْشِيهِ، وخَضَعَ لأوامِرِهِ ونواهيهِ، واغتَنَمَ بصفاءِ عقلِهِ زمانَ الإمهالِ، ونَصَحَ نَفْسَهُ وآلَهُ بالخروجِ من خُطَةِ أهلِ التفريطِ والإغفالِ، وكانَ لِنَفْسِهِ في الشَّرَفِ والسيادةِ في القيامةِ طالِباً، ولآراءِ الأبالسةِ المُكذِّبِ بعضهم بعضاً مخالفاً مجانباً، وعلى نَفْسِهِ بيمزانِ القسطِ والعدلِ قائماً محاسباً.

أما بعد، فالحمدُ للمولى الحاكِمِ الذي تجالَل عن عدمِ المُوهَماتِ والمُشكلاتِ، المنزَّه عن عجزِ المبدعاتِ والمخلوقاتِ، المنفردِ بوجودِهِ في المقاماتِ الإلهيَّاتِ، إثباتاً لحججه على الخليقةِ، وإقامةِ العدلِ فيهم بظهورِهِ لهم بالحقيقةِ، ودحضاً للشبهةِ المؤديةِ إلى الإنكارِ والتعطيلِ، وفرقاناً بين أهلِ التسديقِ وعُصبةِ الكذبِ والتبديلِ، لستساوَى الخليقةُ في طلبِ موجودِها، وتتفاضلُ الأنفسُ الطاهرةُ بالتنزيهِ والطاعةِ لمعبودِها.

فتيقظوا أيَّها النّوَّام، فقد تقضتِ الأزمانُ والعصورُ، ونُقِرَ في الناقورِ، وبُعِثَتِ القبورُ، وحُصِّلَ ما في القلوبِ والصدورِ، وأنتم في ظلمِ الجهالةِ غَرِقون، وبما أينعَ لكم الزمانُ الكذوبُ فَرِحُون، وعن رُوغَاتِ قَلْبِهِ وتغييرِهِ غافلون.

فانتَبهوا أيَّها العَفَلَةُ النّوَّام، فقد تَمَّ التَّمامُ، وتناهتْ بكم الأوقاتُ والأيامُ. وأقمتم بما أسلفتموه قسْطَكم، وتوفَّيْتُم مقدّماتِ عملِكُم، وقد جاءكم النذيرُ، وصرَّحَ يُناديكم النصيحُ البشيرُ، فتعالميتُم عن الحقِّ ودليلِهِ، وضلّلتُم أَكْثَرَ كَعْبٍ وَعُوفٍ عن الدِّينِ القويمِ وسبيلِهِ، بعدَ قيامِ الحِجَّةِ منكم عليكم،

وَاطْرَاحِكُمْ لِمَا مِنَ الْحِكْمَةِ وَصَلْ إِلَيْكُمْ، عَلَى يَدِ السَّادِقِينَ الشَّهَدَاءِ الْبَرَّةِ،
الْمُتَحَنِّينَ عَلَى يَدِ الْخَائِبِ الْمُفْسِدِ. لَا صَالِحَ مَا أَضْلَهُ كَانَ وَأَكْفَرَهُ، الْمُضْطَلَمَ
لِعُنُودِهِ وَعَصْيَانِهِ، الْمُخْتَرِمَ عَنْ سَرِّهِ لَتَجْبِرَهُ وَكْفَرَهُ وَطَغْيَانَهُ. عِظَةٌ لَكُمْ أَيُّهَا
الْأَغْفَالُ وَإِيضَاحًا بِمَا وَصَلَ إِلَيْكُمْ لِلْمَحَبَّةِ، وَتَوْبِيخًا لَكُمْ وَإِقَامَةً عَلَى كَافَّتِكُمْ
بِالْفَلَجِ وَالْحَبَّةِ.

فَنَكَبْتُكُمْ طَرِيقَ الْحَقِّ لِسُلُوكِ سُبُلِ الشَّرِكِ وَالْعُنُودِ، وَاصْطَلَحْتُ
قُلُوبَكُمْ عَلَى الْغِلِّ وَالشُّكِّ وَالْكَفْرِ وَالْجُحُودِ، إِصْغَاءً إِلَى عَقَائِدِ أَخْبَثِ الْأُمَمِ
أَشْبَاهِ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ وَأَنْتُمْ الْغُرُّ الْأَنْسَابِ، وَأُولُو الْفَضْلِ
وَالْتَمِيِيزِ وَالْأَدَابِ، صَارَتْ عَقُولُكُمْ تَبْعًا لِلْسُوءَةِ الْمُحْتَقِبِينَ لِأَعْظَمِ الذُّنُوبِ،
وَالْفَسَقَةِ الْأَجْلَافِ الْغُلْفِ الْقُلُوبِ، أَوْلَادِ الْبَغَايَا الْعَوَاهِرِ، وَبَقِيَّةِ نَسْلِ أَغْتَامِ
الْبَرَابِرِ، أَهْلِ الْخِلَافِ مِنْ سَكَّانِ حَلَبِ الْمَعْرُوفَةِ بِتَلِّ الْخُمْرِ، الْبَلَدَةِ الْمَلْعُونَةِ
الْقَصِيرَةِ الْمُدَّةِ وَالْعَمْرِ، الْوَاقِفَةِ عَلَى شِفَا جُرْفِ الْحَرَقِ وَالْهَدْمِ وَالْخَرَابِ،
الْمُنَوَّحَةِ عَنْ قَرِيبِ ظُهُورِ أَهْلِهَا وَأَعْنَاقِهِمْ لِلسَّيْفِ وَالْعَذَابِ، لِعِنَادِهِمْ فِي كُلِّ
زَمَنٍ لِأَثْمَةِ الْأَعْصَارِ، وَقِيَامِهِمْ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ مَعَ أَثْمَةِ الْجَوْرِ الْخَوَارِجِ الْفَسَقَةِ
الْفَجَّارِ، أَهْلِ الْحَشْوِ وَالْعَمَى وَالصَّمِّ وَالْخَرَسِ، وَأَعْوَانِ الدَّجَاجِلَةِ بِالْغِيِّ
وَاللَّعْنِ وَالْبَلَسِ، أَصْحَابِ الْكُرَّةِ الْخَاسِرَةِ، الْمَرْدُودِينَ عَنْ قَرِيبِ إِلَى الْهَالِيَةِ
الْحَافِرَةِ، بِقِيَّةِ عَصَاةِ الْأُمَمِ عَادٍ وَثُمُودِ، وَأَصْحَابِ الرَّسِّ وَمُسُوخِ قَوْمِ هُودٍ.

فَاسْتَشْعِرُوا يَا أُمَّةَ السُّوءِ، خَرَابَ الدِّيَارِ، وَانْتَظَرُوا بَعْدَ هَنِيئَةِ هَتَكِ
الْحَرِيمِ وَانْتِسَافِ الْأَثَارِ. فَقَدْ آنَ ظُهُورُ الْقَائِمِ لِإِعْزَازِ الدِّينِ، وَقُرْبُ هَلَاكِ أُمَمِ
الشَّرِكِ وَالْمُلْحِدِينَ. إِذَا فَعَرَ فَاهُ الْأَعْوَرُ دَجَالَ الْقِيَامَةِ، وَاسْتَنْهَضَ أَوْلَادَ
الْعِيصِ لِحَرْبِ دَارِ الْإِمَامَةِ، فَحِينَئِذٍ يُخْتَبِلُ عَقْلُهُ بِالْوَسْوَاسِ، وَيَهْلِكُ هُوَ
وَحِزْبُهُ بِهَلَاكِ أَوْلَادِ الْفَقَّاسِ، لِقُصُورِ أَفْهَامِهِمْ عَنْ مُحْكَمَاتِ الْإِنْجِيلِ،
وَطَاعَتِهِمْ لِلدَّجَالِ الْأَعْوَرِ الضَّلِيلِ. وَعَلَامَةُ ذَلِكَ إِذَا كَثُرَ الْهَرْجُ بِأَرْضِ الْأَقْبَاطِ،

وتزلزلت للهدم قواعدُ مباني الفسطاط، وظهرَ بها الدَّعيُّ المأبُونُ، المُحَمَّلُ الْمَسْعُورُ الْمُفْتُونُ، المنتسِبُ كَذِبًا إلى كُتامة، الفاجرُ فاهُ المخصوصُ بدعوى مرتبةِ الإمامة، المتسمَّى بالوحيدِ والمسيح، وولَدَ الربُّ الكاملِ الناصح، والأقنومِ الأزليِّ الصحيحِ الماسح، تَغَالِيًا في البَغَاءِ والشَّيْطَانَةِ والبَلَسِ والإنحراف، وتَقَهَّقَرَ المعتوهُ لِمَا سَبَقَ لَهُ من الزَّلَلِ والاقتراف، وتصحيحًا لدلالاتِ المسيحِ الكَذَابِ، وعلاماتِ الدَّعيِّ الفاسِقِ المُرتَابِ، المُعَيَّنِ على خُبْثِهِ في حكمةِ أولى الألباب، المقذوفِ باللعةِ على ألسُنِ أهلِ الحقِّ في أنبياءِ القولِ وفصلِ الخطاب، آخرِ فراعنةِ الفُترةِ المتفرِّعين، وأوَّلِ دلالاتِ الحقِّ للمؤمنين الموقنين.

فالبُشْرَى لأهلِ الصبرِ والصدق، فقد ظهرتْ فضائحُ الخلق، وتَمَيَّزَ الباطلُ من الحقِّ، وبَانَ الْأَفْكَ البغيُّ بالفِسق، وخرَجَ هو وحزبُه من جملةِ الأطهار، باللعةِ إلى الانسفالِ والاستكبار، وبَايَنَ النَّجَسُ هو وَمَنْ تَبِعَهُ بالضدية، وأَبَقَ هو وهم في الحقِّ عن العبودية، وتشيطَنَ المُحَمَّلُ لوسواسِ يعتريه، لَمَّا وَصَلَ إلى سُنَنِ المعتوهِ أخيه، فحينئذٍ ينتظرُ بِحَرَمِ الحقِّ ظهورَ آياتِ السادةِ أصحابِ الأعرافِ، وتنعطفُ النونُ وتتَّصِلُ تُعْرِيقُهَا بالكاف. هنالك يَصْعَقُ مَنْ في الأرضِ والسموات، وتَذْهَلُ المراضِعُ عن المَرْضَعَاتِ، وَيَخْرُ سَقْفُ الأبالسةِ بحلولِ يومِ الميقات.

فأينَ الْمَقْرُ لأهلِ الخِلاف؟ أعني فراعنةَ الْعَرَبِ، من بلاءٍ قد أَبْهَضَهُمُ الويلُ والحَرْبُ. فَتَبَّتْ أَيْدِيهِمْ كَمَا تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ، إذ لم يُغْنِ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ. سَيَصْلُونَ بفعلهم حريقَ النار، وَيُهْزَمُ جَمْعُهُمْ وَيُولُونُ على الأعقابِ والإدبار، ويكونوا كشجرةِ خبيثةٍ اجْتَنَّتْ من فوقِ الأرضِ فما لها من قرار. وَإِنَّمَا أَيْنَعُ لَهُمُ الزَّمَانُ الْقُطُوبُ، وأزهرَ لهم الرِّيعَانُ المَغْصُوبُ، لِقَلَّةِ شُكْرِ الإمامِ وإشراكهم، وَلِمَا أَبَاحُوهُ مِنَ الْفِتَنِ بِحَرَمَةِ الدِّينِ وانتهاكهم، وتجربتهم على التشبيهِ بالباري تعالى في أعقابِ الأممِ السَّوَالِفِ، وارتكابهم لما تفرَّدَ به

تعالى من الصَّعْقِ والقَذْفِ والرجمِ والرواجفِ، ومبارزتهم لأمره فيما خفي عنهم والاستعجال بالدخولِ على علمه والخوالفِ، ونَسُوا حظاً ما ذُكِّروا به في الدين، ولُعِنُوا على ألسنِ النبيين والسديقيين.

بل تالله، لقد زهرت ميامنُ التوفيقِ بمفاخرِ الملكِ القليلِ، أعني السيِّدِ أبا العلّا رافعَ ابنِ أبي اللّيلِ، الناهضَ لحقنِ دماءِ الموحِّدين، والقائمَ ذاباً بماله ونفسه عن العصبيةِ المستضعفين.

تالله، لقد تساماً في درجِ علاه إلى أعنانِ الأفلاكِ، ولحقتْ منزلتهُ بمنازلِ المقربينِ الأملاكِ، وسيجتنني عندَ صاحبِ الحقِّ ثمرةٌ مسعاه، وتتمُّ سعادتهُ في دنياه وأخراه. فقد أثمرتُ أشجارُ الباطلِ وأن قُطافُها، وتميّزتُ للظهورِ آيةُ الحقِّ وكُشفَ سجاها.

فأينَ للفراغةِ الذهابُ؟ كلاً لا وزر، إذا اللّيلُ تولّى وأدبر، والصبحُ عن محضه أضاء وأسفر. أيّ نازلةٍ بالبشر، إذا السيفُ شهر، لتحقيقِ الأديانِ، وفوزِ أهلِ الصبرِ والتسديقِ والإيقانِ، وإيجابِ الحجّةِ بما ظهرَ من العصيانِ.

فاتَّعظوا معاشرَ العربِ بمُحكَمِ الآياتِ، وأجيبوا داعي الحقِّ قبلَ حلولِ يومِ الميقاتِ، وقبلَ أن يُختمَ على الأفواه والقلوب، وتنقطعَ وصائلُ الكذبةِ المحتقنينِ الأوزارِ والذنوبِ. إذا طلعتُ شمسُ الحقائقِ بمُجورِ الفلكِ، وطويتِ الأرضُ والسماءُ ذاتُ الحَبكِ، وظهرَ من الحُجبِ قائمُ الحقِّ، واقتضَعَ المطلوبون من جميعِ الخلقِ. فقد لمعتُ بالنورِ الدلائلُ والآياتِ، وانحرفتِ الطوالعُ والنيَّراتِ، واشتَبكتِ الدوائرُ والمثلثاتُ، ورمتُ بالشررِ لتغييرِ الأزمانِ والأوقاتِ، وبطلَ فعلُها لطلوعِ كيوانِ الحقِّ المحرقِ بأشعتهِ لدجاجةِ العصورِ وأبالسةِ الفتراتِ.

وقد أَعَذَرَ النَّذِيرُ ونَصَحَ الأَمَمَ الحَذِيرُ البَشِيرُ، وما على الرَسُولِ إلَّا
البَلَاغُ المَبِينُ. والحمدُ لله ربَّ العالمين، وصلواته على الإمامِ العَدْلِ قائمِ الدِّينِ،
وسلامُه على حدودِهِ العالين، وهو حَسْبُنَا ونَعْمَ النَّصِيرُ المَعِينُ.

تَمَّتِ الرِّسَالَةُ بِمَنَّةِ مولانا وحَدَه. وكان فراغُها يومَ الثَّلَاثَا في عَشْرَةِ
من رَجَبِ سَنَةِ اثْنين وعَشْرين وأربعمائة. والمولى حَسْبُنَا ونَعْمَ النَّصِيرُ
المَعِينُ.

٦٠

رِسَالَةُ الْيَمَنِ

وَهِدَايَةُ النُّفُوسِ الطَّاهِرَاتِ
وَلَمْ الشُّمْلِ وَجَمْعُ الشُّنَاتِ

بعث بهذه الرسالة بهاء الدين إلى معتنقي دعوة التوحيد في اليمن، وذلك سنة ٤٢٦ هـ. فيها، كما في سابقتها، يوقظ المؤلف مراسليه من غفلتهم، ويحذّرهم من نواميس الدجاجة، ويشدّد عزمهم. وسوف ينتصرون على الأضداد في اليوم الأخير، حيث يقضى على جميع النطقاء وأصحاب النواميس، وتهدم «مكة مقطرة الكفر».

توكّلتُ على المولى الإله الحاكم المنزه عن الذات. وتوسّلتُ إليه في الطاعة بوليّه القائم لمجازاة الأمم.

من العبد المقتنى المقتصد الأب، المنذر بعبادة صاحب العرض والحساب، المملوك لمالك الثواب والعقاب، الضعيف بالاضافة إلى من سبقه من الحدود العالية والأبواب، إلى جميع من جمعته أرض اليمن على تغاير الألسن وتباين الأنساب. ألسلام على من عرّف هاديه وأمامه، وتبرأ إليه من مقدّمات خطاياه وأثامه، وسلّم إليه تسليم الموقنين بمعاني حكمته وكمال نظامه، واستضاءه بأنوار حكمته واهتدى بموضحات براهينه وأعلامه.

أما بعد، فالحمد للمولى الإله الحاكم المنزه عن عبادة الألسن
وتصوير العقول، المقدس لاهوته عن خواطر الأفكار الممزوجة بهواجس
الطلوع والأقوال، الذي تجالل مجده عن الوجود المحدود، وتعالى جبروته عن
العدم المفقود، وتنزهه بعظمه لاهوته عن مخترصات أهل الأفك والجحود.

أظهر حجابَه إقامةَ لعدله في الأنام، وأوجب الحجّة على الخليقة
بدعوة التوحيد الفائضة عن أمر السيّد الهادي الإمام، الذي جعله المولى
بفيض حكمته لشرع نواميس الأبالسة قاطعاً محلاً، ولزخرفهم الملبوس
على الأمم ناقضاً مقللاً.

أوجد حجّته للخليفة إعداراً وإنذاراً، ومذكّراً للنفوس الخبيثة بما
احتقبته من عصيانه أعصاراً خاليةً وأدواراً. وأصرّت عليه كفرّاً ولدداً
وجحوداً وإنكاراً، ومُجازي للنفوس الطاهرات بالاعتراف بما لا عين رأت
تبياناً وتوحيداً وتآليها وإقراراً. وللأجسام الطائعة نعيماً وجنّاتٍ وأنهاراً.
وسلامه على حدوده العالين وأوليائه المخلصين، وأشياعه الممتحنين، في
ذاته الصابرين.

فانتبهوا أيّها الجماعة الموقنون، والأمة المسئولون، وخذوا من طاعة
وليّ الحق الإمام القائم بأوفر النصيب. وتفكّروا فيما أدرج لكم فيه
وخصّصتم به من مواعظ الشيخ الطاهر أبي الفتح منصور الخطيب. فله
عندكم مقدّمات حكّم بالوعظ والتذكير، وإشارات إلى قائم الحق بالإرشاد
والإيقان والتبصير.

واعلموا أيّها الجملة المخاطبون، والبقية المننون عليهم المستمعون، أن
العواقب في الأمور هي المقدّمات، وبالأوائل تثبت الثواني والمثلثات،
فأصيخوا أسماعكم بالفهم لداعي الحق النصيح المنادي، واقلّعوا عن
سهوتكم وتميّزوا بالطاعة للإمام القائم الهادي. فقد نُشرت للحساب

والعرض صحائف الأنام، وتميّزت بالنَجَسِ عُصْبَةُ الدِّجَالِ الموقوفة غداً
للعذاب والانتقام؛ واتباعُ الدجالة في أقطار فوضى مهملون، وفي بحر
الضلالة متهافتون غرقون.

قد استعبدهم إبليسُ الأعظم من حيث تعلمون، ومن حيث لا
يعلمون، فهم لأمره يأترون، ولنهيهِ ينتهون. قاتلهم الله أنى يؤفكون، قد
سَعَرَ نار ضلّاته للإحراق، وبَثَّ غَوَاثِهِ للفتك بأهل الحق في جميع الآفاق،
مستشعراً لِقَرَاغِ مدته ومنتهاه. قد نَفَثَ سَمَّ نَجَسِهِ فِي أَنْيَابِ شِيَعَتِهِ، وَظَفَرَ
مَنْ وَالَاه.

فهم على أولياء الحق كالنمور الضارية والسباع، أو كالأراقم المزمنة
والأفاع، يطالبوهم بما في طباعهم من الأحن المتقدمة في الأزمان والعصور،
وَيَمْنُونُ أَنْفُسَهُمُ النَجَسَةَ بما سَيِزْهُقُ وَيَبُورُ، ويظنون بعمى بصائرهم أن
غيرهم هو المغبون المغرور.

فيا أيّها الجماعة المنذرون، والعشيرة الصّالِحون المؤمنون! النّجاةُ
النّجاةُ لأهلِ البصائرِ والأحلام؛ والمُهْوَاةُ المِهْوَاةُ لأهلِ اللّدِّ المقصّرينِ الأغتام.
فقد تَفَلَّجَتِ الأصدافُ بَسَادَاتِ الأُمَمِ عن الدّرِّ المكنون، وجرتُ
للشاربين عَيْنُ الحَيَاةِ بالماء الطاهر المخزون، وظهرت بميامنهم ممثولاتُ
الركن والمقام، وَوَجَبَ عَلَى أَهْلِ الطاعة التسليمُ والاستسلام، وَبَطَلَتِ الأمثالُ
بظهور الممثولات، وافتضحت بمعالم السّادة شُبُهَةُ المُدَلّسينِ فِي المتعبدات،
وَدُحِضَتِ هياكلُ الشَّرْعِ عِنْدَ ظهور السّادة النفسانيّات.

فتنبّهوا فقد تجاوزتِ الأعنةُ للسباقِ بالسّادة خيلُ الأعراف. وتقربتِ
نونُ الكونِ بَعْدَ بُعْدِهَا مِنَ الكاف، واهتزّتِ للاتّصالِ والانعطاف.

وقد صاح صائحُ القيامة والنُّشور، وآن البعثُ لِمَنْ فِي الأجداثِ
والقبور، وَنُفِخَتِ الثّالِثَةُ فِي الصُّور.

فتيقظوا يا أهلَ اليمنَ، فأنتم المسمون بالناس. وأميطوا عن نفوسكم غشواءَ النعاس، فقد زالت بالتوحيد دعوة الالتباس؛ فتوبوا إلى بارئكم واقتلوا عقائد الإشرار والإبلاس، ولا يتمموا الخبيث منه تنفقون. فولي الحق أعلم بما تكتمون. واقتفوا بالطاعة أيها الزمرة الأبرار، والبقية الأخيار، ما اقتفاه سلفكم الموحدون الأطهار، فلهم مبادي الدين المحمود، وهم السابقون إلى الماء العذب والمنهل المورود.

فاغتنموا أيها الطهرة الإخوان، ما سمح لكم به العصر والزمان، وساعدكم فيه من المهل والأماكن، قبل ختم الأفواه وقطع الكلام، وطى الصحائف وجفاف الأقلام، فكان الخلق، وحق الحق، بنجوم الدجاجة قد انكدرت، وسمائمهم قد كُشِطت، وأرضهم قد طويت. وهجم عليهم من الأمر ما كانوا به يكذبون، وباءوا بسخط من الله بما عصوا وليه، وكانوا على الحق يعتدون.

هناك تهب عليهم أرياح البوار والخبال، وتدهمهم الرواجف والزلازل، ويفاجئهم الزمان بمقدمات أعمالهم بمحنه ومصائبه، ويخرج لهم المخبئات من أهواله وعجائبه.

إذا اعتلجت بحار الدين بأمواج البصائر، وظهر العدل من القوة إلى الفعل بتحريك الأمر لأصحاب الجزائر، فحينئذ ترتفع عن الولي أستار الحجب، ويفتضح الخلق والعوالم بما أوضحه لهم في البداية من رموزات الكتب، فتخر الجبابرة والأصنام على الجباه والأذقان، ويقال: أين المفر للمفرد الإنسان. كلاً للأبالسة لا وزر.

إذا استل من غمده الصارم الذكر، واقتدحت الأرض بالنار والشرر، وأتت السماء بغبش الأثير والدخان، واسود لعظم يومه الأفقان، وأظلمت الأقطار لهلاك أولاد الشيصبان، وانكسفت شمس الرجيم الدجال، وغاص

في بحر الخلاف والضلال، وهتَفَ بأهل النكت والارتداد طوفانُ السيف،
وهلاكِ مَقْطَرَةِ الكُفْرِ وَهَدَمِهَا أعني مَكَّةَ وأهلَ الخَيْفِ.

هنالك تَبَوَّرُ الدجاجة في الآفاق والأقطار، ويتناهي بهلاكهم حلولُ
المقدار، فَيَضَعُفُ من هذا العالم الدُّنْيَ قواه، وتنفسدُ عليه آخرتُهُ وأولاهُ،
وينكشفُ عن صبح الحق غيبُ الظلام، ويَطْلُعُ شمسُ الدِّينِ وبدرُ التمام،
ويتجلَّى العدلُ بظهور القائم الهادي الإمام، القائم لجزاء الأرواح والنفوس،
تنزيهاً لجبروت المولى الإله الحاكم القدّوس.

فتيقظوا يا أهل اليمن. فتالله كأنكم بالكائن قد كان.

واعتبروا أيّها الطّهرة الإخوان، بما أَوْضَحَ لكم من الآيات والبرهان.
وتأملوا ما أدرَجَ لكم في هذا السفر من الحقائق والتبَيان، فقد قامت به
الحجّة عليكم كما ثبتت على جميع أهل النحل والأديان.

فاغتنموا أيّها الطهرة أيّامَ المَهْلِ، وسُدُّوا ما فَرَطْتُمْ فيه من الخلل،
واستأنفوا في الطاعة بدلاً من مَحَرَفَاتِ الزَّلَلِ، ولا تَعَشُوا عن حقائق الدِّينِ،
فَيَقْيِضُ لكم التقصيرُ مقارنةً الأبالسة والشياطين، فيُصَدِّونكم عن السبيل
الارشادِ الأمين، ويردُّونكم على أعقابكم ناكِسين، فما على الرسول السادق
سوى البلاغ المبين.

اللَّهُمَّ فبجودك العالم بنصيحتي لجميع الخلق، وكبريائك الشاهد
بإذاعتي لدعوة التوحيد طاعةً لولي الحقّ.

اللَّهُمَّ فانجزْ وعدك لوليّك في أوليائه الممتحنين الميعاد، واجتثْ أناجمَ
الذين أكثرُوا العيْثَ والفساد، فقد أبدوا ما أَكْثُوهُ مِنَ الضدادةِ وأظهروا لوليّك
العناد.

اللَّهُمَّ بِكَ الْمُسْتَغَاثُ وَإِلَيْكَ الْمُسْتَكَا، وَإِلَى رَحْمَتِكَ فِي الْبِدَا وَالْآخِرِ
الْمَفْزَعُ وَالْمَلْجَا. فَاَنْجِزْ لَنَا بِجَاهِهِ عِنْدَكَ مَسَادِيقَ وَعْدِكَ لِلنَّجَاةِ، وَأَمْهَلْنَا بِمُهِلِكَ
فِرَاعِنَةَ الدِّينِ الْجُفَاةِ الطُّغَاةِ.

إِنَّكَ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ، وَبِإِجَابَةِ هَذَا الضَّرْعِ كَفِيلٌ جَدِيرٌ.

وَكُتِبَ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ، مِنْ السَّنَةِ السَّابِعَةِ عَشَرَ
مِنْ سَنِينَ قَائِمِ الزَّمَانِ، الْمَرْجُوُّ لِهَلَاكِ الْأَعْوَرِ الدِّجَالِ. وَالْحَمْدُ لِمَوْلَانَا وَحْدَهُ.
وَالشُّكْرُ لَوْلِيَّهِ عَبْدُهُ.

رسالة الهند

الموسومة بالتذكار والكمال

إلى الشيخ المسدد المفضل

بعث بهذه الرسالة بهاء الدين المقتنى سنة ٤٢٦ هـ. إلى موحدي الهند، وعلى رأسهم ابن سؤمر راجبال. ويظهر منها أنه كان في شمالي غربي الهند موحدون كثيرون وخاصة في «المولتان» حيث كان راجبال زعيماً. في الرسالة تحريض على الإيمان بالدعوة، وعلى اعتبار حمزة الإمام القائم المسيح الحق الذي سيرجع ويدين ملوك الأرض.

توكلت على المولى الإله السدق، الحاكم بالحق، المعبود بلغات جميع الخلق. من العبد المقتنى الفصيح، والبشير النصيح، المملوك لولي الزمان، صاحب الكشف وغيبة الامتحان، القائم لهداية شيعة التسديق، والمنهج ببرهانه إلى التوحيد أوضح طريق، إلى الشيخ الرشيد كهف الموحدين المسدد المفضل، الحكيم المؤيد الموفق في الأقوال والأفعال، ابن سؤمر راجبال.

أسلام عليك وعلى حزب الهداية قبلك، الموحدين ببلد الهند وهندستان المرتقبين لرفع راية الحق وظهور قائم الزمان، الباذلين مهجهم في كفاح أهل الباطل وأبالسة الأديان، كعبد الله ابن الليث القاطع لحبائل أسلافه الأطهار الموحدين، المبائن بالسفة والخلاف لأمر المولى إله العالمين.

أما بعد، فالحمد للمولى الإله المنفرد بِمعنى الظهورات الإلهية،
الحاكم المقدس بلاهوته من حيث هو عن المائية والكمية، المنزه بعد وجوده
عما تحوط به العقول وَيَنْقَطِعُ بالالفاظ المنطقية، إذ العدم مُضَادٌّ للوجود،
وسبيلٌ يَسْتَدْرِجُ إلى الإنكار والتعطيل والجحود.

فتعالى المولى الإله الحاكم الذي تجالل عن الأزواج والأولاد،
وتعاضم عن الأشكال والأنداد، وتنزه بوجوده عن موهومات العدم، وتقدس
عن الانحصار تحت عبارة الألفاظ بمعنى الأزلية والقدم، الذي جعل وليه
قائم الحق مناراً لكشف التوحيد، وهادياً لمن استضاء بأنوار حكمته إلى
التنزيه والتجريد، وعاصماً لمن أخلص ببرهانه عن التلحيد والتقليد.

ورحمة المولى وبركاته على من نظر إلى سماء الحقائق ذات
البروج، وسما بنظره إلى الملا الرفيع وسدق فيه سادق العروج، واتحد
بغاية الإبداع، وتحقق منازل حدود النجاة في الشرف والعلو والارتفاع،
وعرف كنه ذلك الاتحاد، وبلغ ببصيرته نهاية الأعداد، وبرئى إلى وليه من
نجس المعاندين والأضداد.

أيها الدين الخلف ليثرو وهودلهاً بالحقيقة لها أول الأنجاد، وعقيب
صفوة أصحاب الوديعه الأطهار الأمجاد، أعني بالحقيقة أبائاً جدك بعد
داود الأكبر، وهوجيذاً أكبر الأولاد، وهريطة وأبا علي وكيساً نهاية
الأفراد...

فنبه قومك الموحدين أيها الخضم راجبال، وداوي داود الأصغر
فقد أطلقه المسعود من الحبس والاعتقال، لقيام حجتك على ابن أخيه عبد الله
وجميع أهل المولتان. وليتميز أهل التقديس والتوحيد والإيقان، من حزب
الضلال والخلاف والفسوق والطغيان. فما التوفيق بك ولك فيما أممته إلا
بالطاعة لولي الحق وناسخ الأديان. فإلى رحمته أضرع من الزلل والفتور
في العفو والصفح والغفران.

فَقُمُ أَيُّهَا الدِّينُ الْحَكِيمُ الْمُسَدَّدُ، وَأَيِّقِظْهُمْ فَقَدْ شُهِرَ التَّقْدِيسُ لِلْمَوْلَى
الإله الحاكم المنزه الموحد، وفَشَّأَ في الآفاق ما كنتم به تُوعِدُونَ، وظهر من
القُوَّةِ إلى الفعل ما كان أسلافكم له يَعْتَقِدُونَ؛ وكافَّةُ أهل الحقِّ لوروده
منتظرون.

فأجيبوا داعي الحقِّ فقد ظهرت علاماته، وانتشرت في الآفاق
براهيته وآياته، ولا تغتروا بزخرف ابنِ اللَّيْثِ الْخَائِبِ وخِلافِهِ، فهو المنسلخ
من دين آبائه وأسلافه، الواقف على شَفَا جُرْفِ هاوِيَةِ الْجَحِيمِ، الملتحف
بالعارِ الفاضحِ والخُلُقِ الذمِيمِ.

فأيقِظْهُ أَيُّهَا الْحَكِيمُ الْمَوْفَّقُ الْفَاضِلُ، وَأَقِمِ الْحِجَّةَ عَلَيْهِ بما وصلَ إليك
وهو واصل. فَوَهَادُ الْأَرْضِ وأركانها قد تزعزعت للظهور، وأرياحه تتراجع
بين الهبوب والفتور. وقل لأشياعه حزبِ الضلالِ فإلى متى أَيُّهَا الصِّمُّ الْبَكْمُ
فقد بُعِثَتِ الْقُبُورُ، وحُصِّلَ ما في القلوب والصدور. وأنتم في ظلم جهالتكم
تَمْرَحُونَ، وفي غِيَهَبِ ضلالكم تتمرّدون، وعن موبقات العقائد لا
تَنْزَجِرُونَ. أَتَظُنُّونَ أَنَّكُمْ مُهْمَلُونَ، ساء ما تَظُنُّونَ. وَتَظَاْفَرْتُمْ عَلَى الشُّكِّ
الشرك والإلحاد، وتصافيتم على التقصير والبَلَسِ والعناد.

قد اختلطت بطبائع الخائب طبائعك، أعني عبد الله، في الْمُسُوخِيَّةِ،
وتمازجت أرواحهم بروحه في النَجَسِ بِجَحْدِ الْأُلُوْهِيَّةِ، وأنكرتِ الحقَّ إِيْبَاقًا
عن العبوديَّةِ، وَنَكَاتُ عَنْ الْعَبْدِ الْأَوْسَطِ مَرْكَزِ الْحَمْدِ وَالْفَضَائِلِ، وَارْتَبَطَتْ
بِالطَّرْفَيْنِ الْمَذْمُومَيْنِ مَقَرِّ الْأَضْدَادِ وَالرِّذَائِلِ، تَنَكُّبًا فِي أَصْلِ خَلْقَتِهَا عَنْ
الإبداع، ونكوصاً عن الحق من حيثُ العنصر الخبيث إلى الشُّكِّ والارتجاع.
فهي مستعدة لغاية الشرِّ في نفسِ فِطْرَتِهَا، كَلِيلَةٌ بِالْمَرَضِ لِإِيْبَاقِهَا
وحسرتها، عاجزة عن إثبات صُورِ المعقولات، منحرفة باللدن عن قبول
تلخيص المعاني ومعرفة الماهيات، جاحدة لتوحيد المولى الإله الحاكم الجبار،

غامطةً لنعمٍ وليه قائم الحق في مَقَدِّمات الأعصار، الذي جعله المولى لِشِرْعِ نواميس الأبالسة ناسخاً، ولِمَا لبسوه على الأمم بزخرفهم قاطعاً فاسخاً، ومحلاً لربط كفرهم الذي عقدوه، وفاضحاً لمصائد سحرهم الذي نفخوه في آذانهم ونفثوه، وهادِماً لمباني إفكهم المأسس على الضلالات، وقامعاً بالتوحيد جميع الآراء وأصناف المقالات.

فأيقظ قومك أيها الدِّين الحكيم، وأوقفهم بالبرهان الواضح ليتحقّقوا قائم الحق، فهو الهادي إلى الطريق المستقيم.

فقد صاح صائحُ القيامة، واهتزت للاخضرار فروع شجرة الإمامة، واستولت الحسرة على أهل اللدد والمفرطين بالندامة، وأجاب نداء الحق جرياً على مأثرهم في القِدم، رجالُ الأعراف شهداءُ الدِّين ساداتُ الأمم، وارتفعت مبانيهم في التوحيد على كل منار وعلم، وانقطعت بالحقّ وصائلُ الأنساب، وتميّزت بالنّجس والدّد عصبَةُ المسيح الكذاب، المخلوقة بسوء أعمالها للشّقوة والبّلس والعذاب، الممنوعة بالقذّف واللّعن عن مسيح الحقّ صاحب العرض ومالك الرّقاب.

فكان الخلق وحقّ الحقّ بعظيم ما يوعّدون قد نزل وأزف، وبالمستور قد ظهر وانكشف، فإنّا للمولى وبه معتمدون، وبإمام الزمان مسيح الحقّ متمسكون واثقون، من هول يومٍ تعاظم عن مناسمة الأيام، ويتجالل عن القول فيه والخصام. يومَ تُجارى فيه القلوب والأبصار، ويَتَجَلَّى لِلْخَلْقِ بَخْلَفِهِ المولى الإله الحاكم الجبار، يومَ تذهل فيه العقول والنفوس، ويتنزّه بجبروته المولى الإله الحاكم القدّوس، بحُجبٍ من الملائكة الروحانيين الأطهار، وأفواجٍ من الكروبيين أولي الأجنحة والأنوار، يقدّمهم السيّد إمام الأمم في الأدوار والأكوار، قد دانت له الأقطار والآفاق، وخضعت للمولى الخدود والأعناق، وأذعنت له بالربوبية المخلوقات، واعترفت للمولى المنزه بالمملكة والعجز الجواهر المبدعات.

ونادى المنادي لمن الملك اليومَ، فِيرِدُ أمره إلى الحاكم المنزّه عن السنة والنوم، وتوضع للعَرْض الموازينُ وتُنْفَذُ الأعمال، وتَنْقَطِعُ وصائل الكَذْبَةِ ومن المدّعين الآمال، وتَظْهَرُ للعيان مَخْبِئَاتُ المَخَازِي، ويكون القائم مسيحُ الحقِّ على كلّ نفس بما كسبت هو المجازي، ويفوز السادقون بمقدّمات التسديق، ويندم الشّاكُون المباهتُون بما اخترصوه على أهل التحقيق.

فَشَرِدُ بهم أيّها السيّد الديّان، وقَرَّبَ أهلَ التَّوْحِيد والتسديق والإيقان، وحَقَّقَ عند الكافّة مباني التنزيه والإيمان.

فقد ظهر ما كان في القوّة إلى الفعل والعيان، وحصص الحقُّ، وتميّز الخلق، وتقضتْ أيّامُ الفترة، ووجِبَ على المحقّين إلى القدس المبادرة والهجرة.

فقدّم أيّها الشيخ الفاضل ما كنتَ أبدأ تؤخّره، واكشِفَ ما كنتَ تضمّره وتستره. فما على الرسول الناصح سوى البلاغ المبين. والسلام عليك وعلى من بحوزتك، أعني كلّ موحّد ذي دين. والحمد للمولى الموجود الحاكم، والشكر لوليه الإمام الهادي القائم.

وَكُتِبَتْ في السّنة السابعة عشر من ظهور قائم الدين، المنتقم من المشركين والقاسطين، والمرتدّين والمارقين، بسيف مولانا الحاكم إله العالمين.

تمّت رسالة الهند بحمد المولى ومنّه.

الرَّسَالَةُ الْمَوْسُومَةُ

بالتقريع واللبية

وإقامة الحجة لولي الزمان

وأيضاح المحجة لمن أفاء إلى التوحيد والإيمان

بعث بهاء الدين بهذه الرسالة «تذكرة لأهل الدعوة بالقاهرة والفسطاط
الناكثين مسالة لليهود والأقباط». في هذه الرسالة أعنف هجوم على
مكة ومحمد وعلي، رموز الإسلام، وما سيحدث لهما يوم القيامة على
يدي حمزة فنيق الحق الذي سيأخذ بثأر أهل التوحيد من العجل
والشيصبان أي من محمد وعلي.

توكلت على المولى الإله الحاكم المنزه عن العدد، وتوسلت إليه بوليّه
القائم على كل نفس بما كسبت واعتقد. من العبد الطائع، الناصح الخاضع،
تذكرة لأهل الدعوة بالقاهرة والفسطاط، الناكثين عن سنن الحق والنازليين
بسقط مسالمة اليهود والأقباط.

السلام على من عرف مسيح الأنام، وتوجه به إلى المولى الإله
الحاكم على الحكام، وتوسل إليه بطاعة وليّه في المعاد والمثقل، واغتنم
زمان الإمهال فادخر لنفسه من أوفر الزاد بحميد الطلب. ونزه المولى الحاكم
بحقيقة التنزيه والتوحيد، وبرئ إلى جبروته من التوليد والتشبيه

والتجسيد. ورحمة المولى ورضوانه على إخواني السجود الرّكع ، ورثة
أرض الحقائق على رَغَم أنفِ الدّجَال الرّجيم الأذع .

أمّا بعد، فالحمد للمولى الذي تنزّه عن غوامض الفِكر، وتجالل بعد
وجوده عن هواجس الخطر، وتقدّس عمّا تَعْتَوِرُهُ البصائرُ والعقول، وتسامى
عن مُضَارَعَةِ المَثَلِ والمَثُولِ، فكلُّ عقلٍ عند توجّهه إلى تصوّر جبروته راجعاً
حسيرا، وكلُّ نفسٍ أصمَدَ إلى توهيم علّائه كليلاً أسيرا، الجاعلِ لكَلِمَةِ التّنزيهِ
هادياً ومَناراً، ولِإِلَآءِ التّوحيدِ بهدمه وشموساً وأقماراً. أقامه لمن أممّ بنجاته
أممّا، ولن اعتصم بعزائم حكمه مرآة وعلما، صادعاً للبرايا بحقائق التّوحيد،
وقاطعاً لنواجم الشّرع ببرهان التأييد، وهادماً لهياكل الأبالسة من الأصل،
وَأَخِذاً بِئَارِ أَهْلِ التّوحيدِ مِنَ الشَّيْصَبَانِ والعِجَلِ، عند آياس كلِّ مغرور،
وبلوغ الأجلِ حقيقيّة المقدور.

إذا تبلّج الصّبح من جانب الطّور وطلع، وبرق بالسعد كوكبُ الدّين
ولع، ونهض بسادات الأمم معاقدُ العلوّ والمجد، ورفع لهم لاستكمال
الفضائل على الأمم لواءَ الحمد، هنالك تَبَطَّلُ معاذيرُ الأنام، ويتجلّى الحقُّ
والعدل من فَلَكَ الغمام.

فتنبّهوا يا أهلَ البصائرِ الحائرة الكليّة، وتأمّلوا يا أولي الأنفس
السقيمة العليّة، مدارجَ أيّام المسيح الدّجَال، وتقضّوها بالهزل والنّجس
والمُحَال.

فعن قليل يتناهى بالأجل محتومُ القَدَر، وتنكشف شمسُ الدّجَال
لظهور القائم المنتظر، ويفتضح أهلُ الشكِّ والنكث والارتياب.

إذا صرفَ فَنَيْقُ الحقِّ بالمنسَمِ والنّابِ، وضربَ بِجَرَانِهِ، أعني مكّة،
مِنَ الكفرِ التّبَجِّ، وبَقَرَ خَاصِرَةَ الباطلِ وفَرى المُنْحَرَّ منه والودَج، فيصبحُ

قائمه بسيف الحق منعفراً جديلاً، وصحبهُ باليم السخَطِ وَهَجِ الهجيرِ قد
دُلُّوا تذليلاً^(١).

فعند ذلك يفور تنور الحقائق بمكنون الأنوار، ويتصل ضياؤه في
الآفاق والأقطار، ويرتفع سناؤه لظهور القائم أمر المولى الإله الحاكم الجبار،
المُحرق بشهبه لدجاجة العصور وأبالسة الأدوار.

فانبتها أيها الأشخاص المختبلة المنكوسة، وتأملوا يا أولي الأنفس
النَجسة المعكوسة. ألم ترتقوا في الحكمة سبيل النجاة والهداية، وبلغتم في
التوحيد وأن الكشف حدود النهاية، وتزكيتهم بموضحات البراهين، واتسعت
بالتوحيد لعقولكم أفسح الميادين.

فأي معجز أحوجكم إلى الشك في الحق والارتداد، وأي عدل في
الدين شهدتموه فأخرجكم إلى الجور عن الحق والاقتصاد. فسحقاً للعقول
المائلة إلى الضلال والجهل، وتباً للنفوس الخبيثة الراجعة بالغي عن العقل.
لقد أوردتهم الإبلis إلى أوعر المسالك، وأوقفهم بالحين على طود المهالك،
وأخلدّهم في الحيرة والخبث والبله، وملأ أوعيتهم بارتكاب الهوي والنكت
والسفة.

فأريقوا أسماعكم أيها الغفلة قبل ارتفاع الرحمة وغلق الأبواب،
ونشر الصحف بجرائم الخلق وكشف الحجاب، وحلول الراجفة الكبرى،
والنفخ في الصور الثالثة الأخرى.

(١) معناه : صرف : صوت ناب البعير إذا حكه على ناب آخر. المنسم : خف البعير.
فنيق : الفحل المكرم عند أهله، لا يؤذى ولا يُركب. وهو هنا إمام الزمان، حمزة.
جران : مقدم العنق. اللبج : العظيم المضطرب. بقو : شق وفتح. قروي : قطع. المنحر :
موضع النحر أي الذبح. الودج : عرق في العنق يقطعه الذابح... والمعنى جملة : أن
حمزة سوق يقضي على مكة في اليوم الأخير، قضاء كاملاً، ويحطمها تحطيماً.

إِذَا زَخَرَ بَحْرُ الْحَقَائِقِ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَعْلَا، وَضَرَبَ مَوْجُهُ
بِالْجَرَيَانِ فَزَلَزَ أَرْكَانَ الْأَرْضَيْنِ السُّفْلَا، وَعَصَفَتْ أَرْيَاحُهُ بِالْعَذَابِ وَالسَّخَطِ
عَلَى عُصَاةِ الْأُمَمِ، وَدَارَتْ رُحَى الْخَسْفِ بِدِيَارِ الْأَنْجَاسِ^(٢) وَحُلُولِ النَّقْمِ،
وَعُمُومِ طُوفَانِ السَّيْفِ إِذَا هَمَى بِالدِّمِ كَشُوبُوبِ الدِّيمِ،

هَنَالِكَ تَتَّصِلُ الْأَنْوَارُ بِبِصَائِرِ الْمُوَحِّدِينَ، وَيَنْهَضُ يَعْسُوبُ
الْمُؤْمِنِينَ^(٣)، وَيَتَعَالَى ضِيَائُهُ فِي الْآفَاقِ لِكَشْفِ مَعْلُومِ الدِّينِ، وَتَحُلُّ أَوْلِيَائُهُ
بَعْدَ ظِلْمَةِ الدَّجَالَةِ بِالْحَرَمِ الْأَمِينِ^(٤)، وَيَحُلُّ الْعِقَابُ وَالْخِزْيُ بِأَهْلِ التَّبْدِيلِ
وَالْبِدْعِ، الْمَتَوَجِّهِينَ بِالزُّورِ وَالبَهْتَانِ إِلَى عِبَادَةِ الْعِجْلِ^(٥) وَلَا تَتَّبِعُهُ بِالتَّبَعِ،
الْمُجَاهِرِينَ بِتَكْذِيبِ رَسُولِ الْبَارِي وَلِيِّ حَقِّهِ وَمُخَالَفَةِ أَحْكَامِ الْحَكِيمِ، الَّذِينَ
طَمَسَ الرَّأْيُ عَلَى عَقُولِهِمْ فَمَنْعَهُمُ التَّمْيِيزَ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالسَّقِيمِ، فَأَصْرُوا
عَلَى التَّمَسُّكِ بِخِدْعِ الْإِبْلِيسِ وَضَلَالِهِ الْأَثِيمِ^(٦)، وَاسْتَلْذَوْا كُلَّ السَّرِقِ وَمِلْءِ
الْبَطُونِ مِنَ الرِّقُومِ وَالْحَمِيمِ.

هَذَا بَعْدَ مَجَاهِرَتِهِمْ لِأَمْرِ الْبَارِي تَعَالَى بِالضِّدَادَةِ وَالْعِنَادِ،
وَاجْتِهَادِهِمْ فِي الْعِتْوِ وَالْعِصْيَانِ وَالْإِفْسَادِ، وَرَدًّا لِمَا أَبَاحَهُ الْبَارِي تَعَالَى بَعْدَ
السِّتْرِ مِنَ الْكَشْفِ لِلتَّوْحِيدِ لِجَمِيعِ الْأَنَامِ، وَكُفْرًا لِلنِّعَمِ الْجَارِيَةِ عَلَى أَلْسِنِ
حُجَّجِ السَّيِّدِ الْهَادِي الْإِمَامِ. فَهَمُ مَخْلُدُونَ بِمَا اجْتَرَحُوهُ مِنَ الْكُفْرِ فِي اللَّعْنِ
وَالسَّخَطِ، وَمُعَاقِبُونَ بِمَا اشْتَمَلُوا عَلَيْهِ مِنَ الْجَدِّ لِلرَّحْمَةِ وَالْإِيَّاسِ وَالْقَنْطِ.

فَبُعْدًا لِلْعُقُولِ الْمَائِلَةِ بِأَهْلِهَا إِلَى الْحُضِيضِ، وَبُؤْسًا لِلنَّفُوسِ النَّكِبَةِ
الرَّاجِعَةِ بَعْدَ الْعُلُوقِ إِلَى الْإِنْسِفَالِ الْخَفِيضِ. لَقَدْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِرَجُوعِهِمْ عَنْ

(٢) دار الأنجاس: كناية عن مكة التي ستدور عليها رحى الخسف.

(٣) يعسوب المؤمنين: كناية عن قائم الزمان حمزة.

(٤) الحرم الامين: كناية عن المسجد الحرام والكعبة في مكة.

(٥) العجل: مقصود به محمد الذي أضل الناس بشريعته.

(٦) الإبلis أيضاً: هو محمد صاحب الخدع الكثيرة والضلال الكبير.

آيات التَّوْحِيدِ المحكمات، وعكسَتْهم الأعمال الخبيثة إلى الموهَمات المُشْكِلات. فهم بالحقيقة أهلُ النَّصَبِ والشُّكِّ والشَّرِكِ والانعكاس، لرجوعهم إلى النكث بعد العلوِّ والظلم والكفر والإبلاس.

أفلا تَسْأَلُونَ أَيُّهَا الغفلة عن الطريق القاصدة، وترجعون عن الاشتمال بالغرور البائدة. فلكم علينا بذلُ النصيحة وإنهاج طرق الرِّشَاد، وإقامة حجج التَّوْحِيدِ بالصبر على الأذى في مصلحتكم والاجتهاد. فَإِنْ أُبَيِّتُمْ فَخُذُوا حذرَكُمْ يا أهل الغدر والنكث. واستعدُّوا لِبَلَاءٍ ما له لَبُثٌ. فما أقرب الوعدُ مِنَ الأطهارِ الموقنين، وما أسرعَ وعيدُ السُّخْطِ لأعدائهم المكذبين. وآيَةُ ذلك اجتماعُ جميعِ المِلَلِ على قتلِ فرقِ التَّوْحِيدِ، وتظاهرِ كافَّةِ الأممِ عليهم بالسَّبِّ والقذفِ والتشريد. فحينئذٍ انتظروا يا أُمَّةَ السَّوءِ صيحةَ البَوارِ، وظهورَ كنزِ الجدارِ.

إِذَا طَلَعَتْ شَمْسُ الشَّمُوسِ، وتفتَّحتْ أَبْوابُ السَّمَاءِ لظهورِ أمرِ المولى الإلهِ الحاكمِ القدُّوسِ. فَتَذْهَلُ عند ذلك المراضعُ عن المَرْضَعَاتِ، ويحتدم لهيبُ الصدورِ على ما قُرِطَ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَعَنَّتِ الوجوهُ لأمرِ المولى إلهِ الأرضِ والسموات. فأين يَتَاهُ بكم أَيُّهَا المَرْقَةُ الفُسَّاقُ، وقد أُسْرِجَتْ لِنَارِ أَهْلِ الْحَقِّ الضَّمَرُ العِتَاقُ، وتَقْضَى المِضْمَارُ وَحَانَ السِّبَاقِ.

إِذَا اشْتَهِرَ مِنَ المَشْرِقِ الصَّارِمُ المُشْرِفِيُّ، وظهر من الحجب المستورِ الخفيُّ، لتطهير الأرض وتغييرِ المِللِ، وقَتْلُ أْبَالِسَةِ الدِّينِ وَنَقْلُ الدُّولِ. فيا لها من نعمة في محلِّ النِّعَمِ لهلاكِ أَهْلِ المِصْرَيْنِ. ويا له من بلاء شاملٍ لفراعنة ما بين البحرَيْنِ.

إِذَا ظَهَرَ الْأَعْوَرُ دَجَالُ الْعَرَبِ، وثارَ الخائبُ بالنَّجَسَةِ، أعني تلُّ الخَمْرِ المعروفة بحلب. وتأتَّى لها من الظلم سَبَبٌ بعدَ سَبَبٍ، فينتقم الباري

بظلمه من الظالمين، ويَبْلُغُ أَجَلُه المحتوم لهلاكه مع الجاحدين. هنالك يشتهر من المشرق المُشْرِفِي الصَّارِم، ويقوم بحدّه على الملحدّين الإمام الهادي القائم.

إذا فَشَا فيكم وقد كان ذلك قَلَّةُ الأمانات، وكَثُرَ السَّبُّ والقَذْفُ لأهل الديانات. وصار الدِّينُ مَعِيرَةً لأهله على ألسنِ أولاد السلقليّات^(٧)، وصار كالجيفة إذا أُلْقِيَتْ، وضاعت على أولياء الحقّ الأرضُ بما رَحَبَتْ. فحينئذٍ انتظروا صِيْحَةَ الفناء يا كَدَرَ الأمم، ويا بَقِيَّةَ عِبَدَةِ الْعِجْلِ والصَّنَمِ^(٨).

فأَيُّ الطرق وجدتم فاسلكوا، وأَيُّ حُرْمَةٍ للدِّينِ أصبتم فانتهكوا^(٩). فقد رُفِعَتْ عنكم الأقلام، وتمّ التمام، وانقطع الكلام، وبَلَغَتْ ما أودَعَتْه النذرُ الكرام.

والحمد للمولي الحاكم وليّ الفضل والمنّ والأنعام، والشكر لوليّه الهادي بَدْرِ الدُّجْنَةِ ومِصْبَاحِ الظلام.

تمّ التقرّيع والبيان، بمَنَّةِ مولانا وتفضّلِ قائم الزمان.

(٧) السلقليّات : الحداد الالسن.

(٨) العجل والصنم: كناية عن محمد وعليّ صاحبي الشريعتين.

(٩) قد تكون «لعنة الدِّين» في الممارسات الكلاميّة المألوفة من تأثير موقف الموحّدين من الأديان. فهم يُجَوِّزون «انتهاكها»، والقضاء على «حرماتها».

الرَّسَالَةُ الْمَوْسُومَةُ

بِتَأْدِيبِ الْوَلَدِ الْعَاقِ مِنَ الْأَوَّلَوِ

الْغَافِلِ عَنِ تَغْيِيرِ الصُّورِ الْعَاصِيَةِ عِنْدَ الْإِنْتِقَالِ فِي دَارِ الْمَعَادِ،
وَرُجُوعِ أَنْفُسِهَا إِلَى الْإِنْسِفَالِ بَعْدَ الْعُلُوِّ بِمُصَاحَبَةِ الْأَضْدَادِ.

يبدو من عنوان الرسالة أنها تتناول موضوع تقمص الأرواح وانتقال
«الصور»، أي النفوس، عقاباً لها لعدم إيمانها بالتوحيد. وَجَّهَتْ إِلَى
الولد العاق المحتاج إلى تربية دينية وإلى إيقاظ نفسه من غفلتها. فيها
كلامٌ جريءٌ جداً على نهاية مكة «مقطرة الكفر» على يد حمزة، في
اليوم الأخير. وهو موضوع أساسي فيها وفي كثير غيرها.

بسم الإله العالم بسرائر الخلق، الفاضح لضمير من دلّس على أهل
الحق. من الوالد الحنين الشفيق، والطبيب الناصح الرفيق، إلى ولده الواقف
على نهج الطريق، الغافل عن التفكير والتوفيق، والرافض لسبيل أهل
التسديق والتحقيق.

أيها الولد عصمك الباري من نزغات الأبالسة والشياطين، وجنبك
مهاوي الغاوين المارقين، وألهمك الأشبه بأهل الورع والدين وجعلك لأوامر
ولي الحق متبعاً مسدقاً، ولأعلام القيامة وشروطها مسلماً محققاً، ولقمص
العجب والاستكبار خالماً ممزقاً. وكشف لبصيرتك ما التبس بك من المعالم
الدينية، وحماك عن التلبس بأهل التمويه والسخرية، الذين عكست نفوسهم

الأراء الخبيثة، فأخلدتها في المسوخية، وأوردتها حياض الظما والعقوق
إيقاقاً عن العبودية، واستلذاذاً للخلاف وشوقاً للمآلف البهيمية، وتميزاً
للنفوس العاصية من النفوس الطائعة البارة الزكية.

فالنفوس النفيسة للطافتها تتعالى عن الرذائل بمعالم الحكمة
والارتياض، وتترقأ إلى أعلا المنازل أنفةً من الانسفال والانخفاض، كلفةً
بالأمور الدينية منزهة عن اللدد والاعتراض.

والنفوس الكدرة العاصية لعلقها بالأبالسة المدعين معكوسة في
الحلول والانتقال، مائلة إلى الطرفين المذمومين، بعيدة عن التوسط
والاعتدال، قابلة للنتائج الكاذبة لصدرها عن مقدمات الجهال.

فاقتدي أيها الولد الصالح بمآثر أهل الدين والفضل، وزن فعلك
بقسطاس الحق والعدل، ولا ترض لنفسك بخطة أهل التقصير والجهل،
الذين خلعوا عذار الحق في الباطل، ورجعوا إلى العناصر الطبيعية، نكباً عن
الحق وعجزاً عن قبول تأثير المعاني العقلية، وقصوراً عن حمل أعباء الدين
الذين مرقوا منه كما يمرق السهم من الرمية.

فتنبه أيها الولد الغافل فقد لمعت بالبعث ثواقب البروق، وتميزت
بالسعادة أولاد الطاعة وبالشقاء أبناء النكث والعقوق، وجرت نفوسهم في
مضمار الحقائق فعرف السابق من المسبوق، وتنسمت بسفن النجاة أرياح
السلامة، وعصفت إلى اللظى بالمقصرين أشرط القيامة، لغفلتهم عن فراغ
الزمن المعلوم، وجهلهم بمعاني العدد المفهوم، ووطئتهم الأبالسة بالبرائن
والسنابك، وعدلت بهم عن المقصد السادق إلى الجائر الآفك.

فإلى متى أيها الولد العاق على نفسك تجور وتسرف، وإلى متى
هذا التصابي وأنت بفعلك تقرر وتعرف. وإلى كم توبخ على المناكر وأنت
بالبهت تجحد وتحلف. وكيف تتوب عن الموبقات وأنت ليمينك تنكث ولعهدك
تخلف.

أَفَأَمِنْتَ أَيُّهَا الْوَلَدُ التَّائِبَ قَبْلَ التَّوْبَةِ تَغْيِيرَ الْأَيَّامِ، وَوَرُودَكَ غَدًا لِعَرْضِ الْقِيَامَةِ بِغَيْرِ تَمَامٍ، وَحُلُولَ سَقْمِ نَفْسِكَ الْمَصَارِعَ لِسُقْمِ عَقْلِكَ بِالِاتِّفَاقِ وَالِاتِّتَامِ. فَتَكُونُ نَفْسُكَ اللَّطِيفَةُ صَرِيعَ شَهَوَاتِكَ الْبَهِيمِيَّةِ، وَعَقْلُكَ عَدِيمًا لَأَلَتِهِ النَّفْسِيَّةِ، فَيُضْعَفُ حِينَئِذٍ عَنْ طَلَبِ الْحَقِيقَةِ قَوَاكٍ، وَتَخْسِرَ فِي الْمَعَادِ أُولَاكَ وَأَخْرَاكَ، وَتَنْقَطِعَ بِكَ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ الْوَصَائِلُ وَالْأَمَالُ، وَتَطْلُبَ الْإِقَالَةَ فَلَا تُقَالُ، وَتَنْدَمُ عَلَى مَا فَرَّطْتَ مِنْ إِهَانَةِ نَفْسِكَ بِمَا جَنَّتُهُ يَدَاكَ، وَتَذْرِفُ الدَّمُ بَعْدَ الدَّمُوعِ عَيْنَاكَ.

فَابْكِ عَلَى نَفْسِكَ أَيُّهَا الْوَلَدُ الْفَقِيدُ، فَقَدْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ.

وبعد هنيئة تُغْلَقُ عَنْ التَّوْبَةِ الْأَبْوَابُ، وَيَهْجُمُ عَلَى الْمَكْذِبِينَ الْعَرَضُ الْحَسَابُ، فَتُجَازَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا اقْتَرَفَتْهُ بَعْدَ التَّذْكَارِ وَالْبَيَانِ، وَتُحَاسَبُ عَلَى عِدَدِ أَنْفَاسِهَا فِي مُنَاسَمَتِهَا لِأَهْلِ الْخِلَافِ وَالْجُحُودِ وَالْعَصِيَانِ، وَتُؤَاخَذُ بِنَصِيحَتِهَا لِأَهْلِ التَّقْصِيرِ كَمَا تُؤَاخَذُ بِعِنَادِهَا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ، وَتُسَائَلُ عَنْ قَبُولِهَا لَطَاعَةِ الْإِبْلِيسِ الْمَعْتَوِهِ الشَّيْطَانِ، آخِرِ عُكُورَاتِ مُجَوَّرِ الْفَلَكَ^(١)، وَأَوَّلِ صَبَابَةِ الْمَعْصِيَةِ وَالنَّجَسِ الْمُنْتَهَكِ.

أَفَمَا تُقْلَعُ أَيُّهَا الْوَالِدُ الْعَاقُ عَنْ هَذِهِ الْعِظَائِمِ وَالْقَبَائِحِ، وَتَتَعَطَّ بِمَوَاعِظِ الْوَالِدِ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ، فَقَدْ نَصَحَكَ أَيُّهَا الْوَلَدُ لِمَا تُظْهِرُهُ مِنَ الْإِقْرَارِ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِذْعَانِ، وَبَرَأَ إِلَى بَارِيهِ مِنْ عَمَلِكَ وَتَلَبَّسَكَ بِأَهْلِ النِّفَاقِ وَالْفُسُوقِ وَالطُّغْيَانِ.

(١) المقصود بإبليس هنا محمد الذي وُصف بالمعتوه، وبـ «آخِرِ عُكُورَاتِ مُجَوَّرِ الْفَلَكَ»، أي آخر «ذرات» الكون التي تتألف منها الأجسام. ومن المعروف في الفلسفة الذرية أن آخر الذرات تؤلف المادة العمياء. ومحمد يتألف منها.

فَفَقَّ أَنْتَ وَأَمْثَالُكَ عَنْ سَكْرَةِ الْجَهَالِ. فَقَدْ تَصَرَّمْتَ حَوِيضَةَ الْمُعْتَوِهِ
الْهَبَّالِ^(٢)، وَتَقَضَّتْ أَيَّامَ الْمَسِيحِ الدِّجَالِ، وَتَقَهَّقَتْ بِالْمُرْتَدِّينَ كَوَاذِبِ الْأَمَالِ،
فَعَكَسَتْهُمْ بِالْيَمِينِ رَحَى الْمُنُونِ وَطَحَنْتَهُمْ كَالْهَبَاءِ بِالشِّمَالِ.

فَأَيْنَ يُتَاهُ بَعَالِمُ النَّجَسِ وَالْهَلَاكِ وَالْمُرُوقِ، وَأَيْنَ الْمَفْرُ بِأَهْلِ الْإِرْتِدَادِ
وَالْخِلَافِ وَالْفُسُوقِ، مِنْ سَيْلٍ عَرِمٍ يَأْكُلُ زَبَدَهُ بِجَفَائِهِ، وَعُمُومٍ طُوفَانٍ سَيْفٍ
يَعْلُو الرُّبَا مُتَعَنِّجِرًا بِالْدَمِ صَوْبَ سَمَائِهِ، يَطْوِي طَلَا الْبَاطِلِ مِنْ حَيْثُ أُنْذِفَ،
وَيَهْدُمُ الْأَرْكَانَ مِنْ نَوَامِيسِ الشَّرْعِ.

فَأَيْنَ يَذْهَبُ مِنْ شَوَاطِئِهِ أَهْلُ الْكُذْبِ وَالنَّكَثِ وَالزُّورِ، إِذَا هَمَرَتْ
رَوَاعِدُهُ بِالْبَعْثِ جِبَالُ الْحَرَمِ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ^(٣)، وَتَلَالَتْ أَنْوَارُهُ بِالسَّقْفِ
الْمَرْفُوعِ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ^(٤)، وَزَمَجَرَ شَوْبُوبُهُ بِأَرْضِ الْبَحْرَيْنِ وَالْيَمَامَةِ،
وَسَحَبَ ذَيْلُهُ بِالْخَسْفِ لِمَقْطَرَةِ الْكُفْرِ وَالْبَابِ الْأَعْظَمِ لِتَهَامَةِ، وَعَكَسَ دُخَانُهُ
لِذَاتِ الْفَجَاجِ وَالشُّعُوبِ، وَسَعَرَ نَارَهُ بِهَا لِهُدْمِ الْهَيْكَلِ وَإِحْرَاقِ بَصَائِرِ
الْقُلُوبِ^(٥).

إِذَا هَجَرَتْ بِهَجَرِ شَمُوسِ الْقِيَامَةِ لِنَسْخِ عُنَاصِرِ التَّحْلِيلِ وَالتَّغْيِيرِ،
وَأَبْدَرَتْ بِهَا أَقْمَارُ السَّعَادَةِ وَتَرَشَّحَتْ لِلْبُرُوزِ وَالتَّأَثِيرِ، وَظَهَرَتْ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى
الْفِعْلِ وَتَهَيَّأتْ لَخَلْعِ مَعَاقِدِ أَهْلِ التَّغْيِيرِ وَالتَّقْصِيرِ، هُنَاكَ تَنُوحُ الْأُمَمُ عَلَى
عِقَائِدِهَا وَشُعُوبِ أَدْيَانِهَا، لِكَسْرِ صُلْبَانِهَا، وَهَدْمِ كَعْبَتِهَا وَبَيُوتِ نِيرَانِهَا.

(٢) المقصود «مادة الاساس» (الدرر المضية) أي ما تقوم به شريعة علي.

(٣) معناه: إذا رعد حمزة يوم القيامة على جبال مكة، تنهمر الجبال أرضاً.

(٤) السقف المرفوع والبيت المعمور: كناية عن الكعبة وحرماها.

(٥) «مقطرة الكفر»، و«الباب الأعظم لتهامة»، و«ذات الفجاج»: كنايةات عن مكة

إِذَا عَصَفَتْ شُرْبُ^(٦) الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ الْمَسْعُودِ بِالنَّجَبَاتِ، وَشَفَعَتْهَا
بِالْحَقِيقَةِ عَزِيمَةُ الْمُوَحِّدِينَ السَّادَاتِ، وَتَشَعَّشَعَتِ الْآفَاقُ بِقَطْعِ النَّحْلِ الْمُحْرِقَةِ
بِحَقَائِقِ الْمُتَعَبَّدَاتِ، وَتَسْرَعَتْ لِلخُرُوجِ أَسْبَاطُ الْحَقِّ الْكَنُوزُ الْمُخْتَزَنَةُ بِالْوَاهَاتِ،
وَاهْتَزَّتْ الْأَرْضُونَ لظُهُورِ الْقَائِمِ إِمَامِ التَّنْزِيهِ وَالتَّجْرِيدِ، وَاشْتَهَرَتْ فِي
الْأَقْطَارِ مَمَالِكُهُ بِمِيَامِنِ التَّقْدِيسِ وَالتَّوْحِيدِ، فَيَوْمَئِذٍ تَنْفِيًا بِالظُّلَالِ الْمُرْكَبَاتِ،
وَتُظْهِرُ الشَّهَادَةَ عَلَى الْجَا حِدِينَ الْجَوَاهِرُ الْمُبْدَعَاتِ، وَتِجْلَى لِلْعَوَالِمِ بِأَمْرِهِ
الْمَوْلَى إِلَهُ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، وَتَتَحَلَّلُ مَعَاقِدُ الْأَبَالِسَةِ بِخُرْقِ الْعَادَاتِ،

فَتَحْصُرُ حِينَئِذٍ عَنِ التَّحْدِيدِ وَالصِّفَاتِ الْعُقُولُ، وَيَتَعَالَى عَنِ الْبَدِيعِيَّةِ
الْمَثَلُ وَالْمُمَثَّلُ، وَيَعْجُزُ عَنِ مَوَارِدِ الْاِكْتِنَاهِ السَّائِلُ وَالْمَسْئُولُ. وَيَتَبَوَّأُ مَقْعَدَهُ
مِنَ النِّعَمِ بِقَبُولِهِ الْفَاضِلِ وَمِنَ الْمَقْتِ وَالسَّخَطِ بِخِلَافِهِ الْمَفْضُولِ.

فَالْبُشْرَى لِمَنْ رَضِيَ وَسَلَّم قَبْلَ الْفَوَاتِ، وَبِرًّا إِلَى هَادِيهِ وَمَالِكِهِ مِنْ
الْأَبَالِسَةِ وَأَشْيَاعِهِمْ قَبْلَ حُلُولِ يَوْمِ الْمِيقَاتِ. وَالْوَيْلُ وَسُوءُ الْجَزَاءِ لِمَنْ أَدْرَكَهُ
الْبَعْثُ وَهُوَ مُصَاحِبٌ لِأَهْلِ الْخِلَافِ وَالشَّتَاتِ.

اللَّهُمَّ قَانَتَ الشَّاهِدِ عَلَى مَنْ خَالَفَ بِإِبْلَاغِي السَّادِقِ حُجَّتِكَ. وَأَنْتَ
الْعَالَمُ بِإِنْهَاجِي بِجَهْدِ الطَّاقَةِ لَوَاضِحِ مُحَجَّتِكَ.

فَأَنْجِزْ اللَّهُمَّ وَعْدَكَ لَوْلِيكَ فِي أَوْلِيَائِهِ كَمَا أَوْعَدْتَهُ. فَهُوَ أَمَرَنَا بِالْإِدْعَاءِ
إِلَيْكَ كَمَا أَمَرْتَهُ وَأَيَّدْتَهُ، وَصَلَّ عَلَيْهِ كَمَا وَصَلَ مَا أَمَرْتَ بِصِلَتِهِ، وَقَطَعَ مَا
نَهَيْتَ عَنْهُ وَأَبْدَتْهُ. فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى إِمْلَاكَ وَإِمْهَالِكَ لِلْأُمَمِ، وَالشُّكْرُ سَبَبًا إِلَيْكَ
لَوْلِيكَ عَلَى مَوَاصِلَةِ النِّعَمِ.

تَمَّتْ وَالْحَمْدُ لِمَوْلَانَا وَحْدَهُ. وَالشُّكْرُ لِقَائِمِ الْحَقِّ عِبْدَهُ.

(٦) الشُّرْبُ: الخيل الضوامر.

الرّسالة الموسومة
بالقاصعة للفرعون (الدمي)
القاصحة لعقيدة الكذاب المعنوه الشقي.

بعث بهذه الرسالة بهاء الدّين المقتنى، سنة ٤٢٧ هـ ردّ فيها على ابن
الكردي الذي ادّعى أنّ روح الحاكم حلّت فيه، وأنه هو الحاكم، وأنّ الله
أخذ له مسكناً. وابن الكردى هو نفسه «سكّين» الذي عرفنا بعضاً
من قصّته في مقدّمة الرسالة رقم ٤٦.

توكّلت على المولى المنزّه عن تحديد الفاسقين والمارقين، وتوسّلت
إليه بعبده القائم لهلاك من شكّ فيه وألحد في حدود الدّين. من العبد المقتنى
الضعيف العاجز الفقير البائس إلى رحمة مالكة الإمام القائم لتنكيس أعلام
الباطل وهتك عقائد الملبّسين، والقاطع لشرع الفراعنة والأبالسة والعُصبة
المكذّبين، لآيات حكمة قائم الحقّ ورَجعة ظهوره، والجاحدين لقيامه على
العوالم وحسابه ونشوره،

إيقاظاً للسّهوة المفتَرين، وفلجاً بالحجّة على المرتدّين الناكثين،
وزَجراً للشياطين، الفسقة المدّعين المخترصين. ونبراً إلى الباري تعالى من
نَجس كلّ معنوه أفاك مهين، اتخذ إلهه بعد فلج الحجّة عليه هواه، ورجع في
وقت التمييز بالزّعج إلى العنصر الخبيث يستوعب شقاه.

أما بعد، فالكبرياء والجبروت، والإجلال والملكوت، للمولى المنزه
بلاهوت قدسه عما تتصوره العقول من الغيبة والحضور، بتغيير الألفاظ
ويختلج في سرائر القلوب والصدور، العالّ لعلّة العلل الموجودات في
الأزمان والدهور، القاضي لأمره هادي الأمم بالفلج والغلب بعد أيّاس كلّ
مرتدّ جاحد كفور، والقاطع لحبائل من أوصل الباطل ومردّ عن الحقّ وشكّ
في حقيّة الظهور، والفاضح لضمير من ألحد في حدود الدين وقذفهم
بالإفك والكذب والزور.

وصلوات الولي تنرى على خدام دعوته ذوي الطاعة وحدوده،
الواقف كلّ منهم منصّباً لموعده ظهوره بمحلّ قدسه وموضع سجوده،
الدّاعين بالحقيقة إليه ابتغاء لمرضاته والتسليم لأصغر عبيده، المرتقبين
لهدم دار الفاسقين في ظلّ رايات حقّه وبنوده، البريئين
ممن شطن عنه لعمى بصيرته وشكّ في ظهوره لطول الأمد لمرض نفسه
وضلالته وعنوده، الذين عيّنهم أسفار حكمته بالبكس والتفاق والطغيان،
والخروج عن طاعته والدّد والفسوق والحرمان، في قوله :

«واعلموا أنّ غيبتي عنكم غيبة امتحان لكم ولجميع أهل الأديان».
فبيّن لأوليائه وحدود دعوته، وأشهاد دينه وحفظة حكمته، أشخاص
المسوّهين المنعكسين، ومروق من صدّ عنه وشكّ في وليّ حقّه من الخونة
الملبسين، ليباينوهم أهل الحق بالاعتقاد والقول والعمل، ويوقفوهم بفلج
الحجة على هذا الخطأ العظيم والزّلل، لأنها هياكل قد أزعجت أرواحها عن
أماكنها بمصارع الشّهوات، لتتحدّ بأشكالها أهل المروق والدّد لقرب هجوم
يوم الميقات، ولو هنها عن الحقّ قد جذبتهم الفترة إلى عنصر الباطل
أصحابها، وكشفهم الحقّ عن الاعتقادات المكذوبة النجسة بقناعها ونقابها.

فيا أيّها الشرذمة الأقلون الأذّلون، والعصبة المهينة، هي ومن
أضلّها الأفاكون المخترصون، الذين سولت لهم نفوسهم لمرضها خبيث

الاماني، فاعتقدوا الأعراض الزائلة بفساد نيّاتهم عوضاً من مُحَقَّقاتِ المعاني، فأعدّموا الباري تعالى بِنَجْسِهِمْ ووليّ الحقّ قائم الدّين، وأشاروا بالكذب والادّعاء إلى أقلّ عبدٍ من عبيده المقصّرين المُستضعفين، طلباً بالكذب والخداع والتمويه لرفع منازلهم على الأنام، وتنكيلاً بالدّين وخُبْنًا وحيلةً على الزائل الفاني من الحطام.

اللّهمّ فاشهد على صحّة براءتي من قول هذا الكذاب النّجس الموجب للبّس والنفاق، والعنّ مَنْ رَضِيَهُ مني واعتقده منهم فهم على النّجس والشكّ والأباق؛ وأقبح اللّهمّ مَنْ اعتقدَ هذا الرأْيَ المَهينَ السخيف، وأسحقّ بالبُعدِ واللّدَدِ لهذا الدّينِ المكذوب الضّعيف.

وباللهِ إِنَّ لِيَعِزُّ عَلَيَّ هذا الخِطاب، ولكن لا قدرَ للباطلِ في جانبِ الحقّ والصواب. وأيضاً لا هودة ولا إكرامَ لمن اعتقدَ هذا الاعتقاد، وإنّما أفضنا في هذا إكراماً للحقّ وإجلالاً لمنازل أهل الطاعة ذوي الألباب.

وبالله لقد علمتُ أنكم إنّما ثبّتم هذا الأمرَ إلّا على مقدّماتِ غلطٍ تقرّرتُ عندهم بالسهو والوهم، وعرفْتُكم خُبثَ هذا الرأْيِ ونَجَسَ مَنْ ابتدأ به على يد الشيخ أبي القاسم والشيخ أبي الخير، ودحضتُ ما ذكره بمحقّقاتِ العلم، فما الذي أضلّكم بعد كمال الطاعة وسلوك نهج السبيل، وأزالكم عن سنن الحقّ فشكّكم في نصح السادق الدليل.

فمولانا الحاكمِ إلهُ الآلهة يلعنُ مَنْ رَضِيَ بهذا القول واعتقدَ هذا الاعتقاد، ويُرِيّ أهلَ الحقّ منه ويمسّخُه في أخسِّ الهياكل وأنجسِ الأجساد. وَيَلْعَنِي وَيُعِدُّنِي وَيُقْصِنِي إلهُ الآلهة البارُّ العلام، ويعاقبُنِي بما لا قوّة لي به من العذاب والانتقام، إنْ كنتُ تصوّرتُ هذا الفسق الذي اعتقدتموه في نفسي، أو أشرتُ به أو جرى في فكري أو خلدي أو حسّي. فأنّا بريءٌ من إلهِ الآلهة، لا يقبلُ مِنِّي عُذراً ولا توبةً، ولا يوجِدُنِي من هذه

البراءة رحمةً ولا أوبةً. فَمَنْ تَعَقَّبَ بِمِثْلِ هَذَا الْكُفْرِ بَعْدَ هَذَا الْقَسَمِ بِقَوْلٍ أَوْ شَيْءٍ، فَهُوَ ضِدٌّ مُلْعُونٌ مِنْ جَمَلَةِ أَهْلِ الْأَبَاقِ وَالْعَصِيَانِ وَالشَّرِكِ.

فَوَحِّقِ الْحَقَّ كَذِبَ الَّذِي أَضَلَّكُمْ عَنِ الْحَقِّ وَكَذِبْتُمْ، وَفَسَقَ عَنِ الْحَقِّ وَفَسَقْتُمْ، وَأَشْرَكَ فِي الدِّينِ وَأَشْرَكْتُمْ، وَالْحَدَّ فِي الدِّينِ وَالْحَدُّتُمْ. فَعَلَيْكُمْ اللَّعْنَةُ وَسَخَطُ الْبَارِيِّ إِنَّ دُمْتُمْ عَلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ وَأَبْلَسْتُمْ.

وَبِاللَّهِ إِنَّ مَنْ جَحَدَ الْفَضْلَ وَالْإِنْعَامَ، لِأَفْضَلِ عِنْدِي مِمَّنْ عَرَّضَ بِهِذِهِ الْبِدْعَةَ لِعَبْدٍ ضَعِيفٍ مَذْعُونٍ بِالطَّاعَةِ وَالْمَمْلَكَةِ. وَإِنَّهُ أَصْغَرُ عَبِيدِ وَلِيِّ الزَّمَانِ.

فَيَا أَقْلَ الْأَرْذَلِينَ وَيَا كَدَرَ هَذَا الْأَوَانِ! إِعْلَمُوا أَنَّ نَفُوسَكُمْ وَنَفْسَ الَّذِي أَضَلَّكُمْ لَتَقْصِيرَهَا شَرَدَتْ عَنْ مَعَانِي الْحَقِّ، وَلِضَعْفِهَا عَنْ مَقَابِلَةِ أَنْوَارِ الْحَقَائِقِ اسْتَحْسَنْتِ الْكَذِبَ وَخَرَجَتْ عَنِ السَّدْقِ، وَإِنَّمَا الَّذِي أَظْهَرْتُمُوهُ وَأَظْهَرَهُ الْخَائِبُ الَّذِي أَضَلَّكُمْ عَنْ تَوْحِيدِ الْبَارِيِّ تَعَالَى عَنْ قَوْلِكُمْ وَمَعْرِفَةِ الْإِمَامِ، وَظَهَرَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمْ بِمُشَاكَلَتِكُمْ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ لِمُوَافَقَتِكُمْ لَهُمْ فِي الطَّبِيعَةِ وَالْأَجْسَامِ، لِأَنَّهَا، أَعْنِي نَفُوسَكُمْ وَنَفْسَ الَّذِي أَضَلَّكُمْ، عَجَزَتْ فِي الْقِدَمِ أَنْ تَتَّحِدَ بِالْعَنْصَرِ الْكَرِيمِ الشَّرِيفِ. فَلِذَلِكَ لَحِقَهَا الْوَهْنُ عَنْ تَنْزِيهِ الْبَارِيِّ تَعَالَى عَنِ الْعِبَارَةِ وَالتَّكْيِيفِ، فَشَكَّكْتُمْ فِي مَحَلِّ قُدُسِ الْإِمَامِ فَأَعْدَمْتُمُوهُ وَأَشْرَظْتُمْ بَعْمَى بِصَائِرِكُمْ إِلَى أَقْلٍ عَبْدٍ مِنَ الْخَلْقِ الضَّعِيفِ.

فَبِاللَّهِ، لَقَدْ كَذَّبَ الَّذِي أَحَادَكُمْ عَنِ الْحَقِّ وَسَقَاكُمْ نَهْلًا مِنَ السَّمِّ الزُّعَاقِ، وَأَهْلَكَ الْجَزِيرَةَ وَأَهَبَّ فِيهَا أَرْيَاحَ الْخَبَالِ وَالْفَسَادِ وَالْإِشْرَاقِ وَالنَّفَاقِ. فَلَوْ كَانَ الْخَائِبُ وَأَنْتُمْ مِنْ أَهْلِ التَّمْيِيزِ وَذَوِي الْعُقُولِ، وَمِنْ أَهْلِ النَّبَاهَةِ لَطَلَّبَ الْحَقَّ وَمَعْرِفَةَ الْفَاضِلِ وَالْمُفْضُولِ، لَعَلَّمْتُمْ أَنِّي أَنَا الْمُوَاخَذُ بِذُنُوبِكُمْ إِذَا سَتَرْتُ عَنْكُمْ الْحَقَّ، وَالْمُعَاقَبُ إِذَا صَدَدْتُكُمْ عَنْ مَعْرِفَةِ الْإِمَامِ، لِأَنَّنِي أَكُونُ قَدْ دَفَعْتُكُمْ وَدَلَسْتُ عَلَيْكُمْ وَغَشَيْتُ جَمِيعَ الْأَنَامِ.

وأيضاً يا أهل الغفلة إذا كان الإمام يسبُّ مَنْ اعترفَ به ويتبرأ منه، ويقذف مَنْ أقرَّ بإمامته ويلعنه، فأَيُّ حجةٍ تقومُ له أو للباري على الأمم، وقد عصَى باريه على قولكم فيما أمره به من تبليغ الحقِّ على رأيكم وظلم. وأيضاً يبطلُ عقابُ مَنْ خالفه وعصاه، إذا كان هو الذي سترَ عنكم الحقَّ، وأبعدَه وأقصاه. اللهمَّ العنْ مَنْ تَعامى عن الحقِّ، واكشِفْ سِتْرَكَ عَمَّنْ أغشَّ أوليائَكَ وأضلَّ الخلقَ.

وأما ما استشهدَ لكم به ابنُ الكردي من الحكمةِ المذكورةِ في «الشافية»^(١)، فَقَدْ وَحَقَّ الحقُّ كَذَبَ وَحَرَّفَ وَشَطَنَ، وأرادَ إخمادَ الحقِّ بالباطلِ ونَعَقَ ولعن، فقد جعلكم بهذا الكذب والتمويه بعد الإلفة أشياعاً وأقرباء، وملأ قلوبكم بعد الطهارة شكاً وبلاساً وغنوداً ونفاقاً.

وأما القولُ الذي استشهدَ لكم به ابنُ الكردي من الحكمةِ المذكورةِ على الباطل والإعدام، فإنَّما أرادَ الإشراكَ بالباري جلَّ وعزَّ وإبطالَ طاعةِ الإمام، ليتَّعَيَّنَ القولُ المنسوبُ إلى فراعنةِ الشَّام، والمخاطبةُ لهم بالسَّفَه الأجلالِ الأغتام، لأنَّهم لبَّاهم لم يعرفوا دورَ السِّتر وما كان فيه جميعُ الأمم من العمَّا والضلال، وإنَّما أخرَجَهم الباري تعالى من العدم إلى الوجود بِمَعَالِمِ الإمام القائمِ الهادي، العقلِ الفَعَّالِ.

فإنْ لمْ يعترفْ مُصَنِّفُ الشَّافِيَةِ أنَّها من فيضِ حكمةِ الإمام القائمِ الهادي، وأنَّه عبدٌ ضعيفٌ مذعنٌ بالطاعةِ والمملكةِ لِمَا مَنَّ عَلَيْهِ من النِّعم والأَيادي، فهو أعني مُصَنِّفُهَا مُبْعَدٌ مُلْعُون، كَبُْعْدِ ابنِ الكردي الذي سقاكم هذا السَّمَّ وأرادَ رفعَ منزلتهِ فوضعها، وطلب أنْ يُوصِلَ حِبائِلَ الباطلِ فدمَغَهُ الحقُّ وَقَطَعَهَا.

(١) رسالة رقم ٣٤، وعنوانها: «الرسالة الموسومة بالإعذار والإنذار، الشافية لقلوب أهل الحق من المرض والاحتيار».

ولو علم هذا الناكثُ الجاهل أنَّ الذي جرى في الشافية من تثبيتِ الوجود، أنَّه احتجاجاً عليه وعلى أمثاله من أهل الشطن والشرك والوجود، لتأملَ الفصل الذي يتلوه وعلمَ إقرارَ قائلها بما هو عليه من العجز والضعف والخضوع والسجود، في مثل هذا الشرك المنهي عنه، وهو وعلى أنني لا أزوي إلى نفسي شيئاً منه، ولا بحولي وقوتي أترجمُ عنه. فما كان في هذه الرسالة من صوابٍ وجزالةٍ خطابٍ، فهو من بركات قائم الزمان، ووليّ الفضل والأحسان. وما كان من زللٍ أو خطأ فهو مردود إليّ، وموقوف عليّ. أتوسّلُ في الإقالة منه إلى من هو منّي بضميري أعلم. وأضرع إليه في الهداية إلى الطريق الأرشد الأقوم.

فهذا يرغمُ أنوفَ الكذبة المدّعين، فيما بيّنه في الإعذار والإنذار^(١) من حكمة وليّ الدين، في قوله: وأعملوا أن غيبتي عنكم غيبة امتحان، لكم ولجميع أهل الأديان. فمن وقاً منكم بما وثّق عليه، ولم ينكصْ علي عقبيه، فسأوتيه أجراً عظيماً، وأنيله مقاماً كريماً. ومن انعكس وارتكس، وصدّ عن الحق وأبلس، وأصغى إلى الشيطان بما زخرف ووسوس، أدخل تحت الجزية، وأوقع به الدّمة والخزية جزاءً بما احتقّب، وانقلب ألى أشرّ منقلب، ذلك لما عاند وكذب.

فهذا يكفي احتجاجاً لمن غالط نفسه واستند إلى الادّعاء والارتداد والظلم، فانتبهوا أيّها المارقة إن دمتم على هذا الكفر المنهي عنه لأداء الجزية ولبس الغيار، يا قتلة الحقّ وفعلة الأثم.

وأما الاستشهاد من قول عبد الدين فهو تقليدٌ خارجٌ من نظام العلم، داخلٌ في الخرف والغلط والوهم. وإنما لجأ إليه هذا الجلفُ لبلادة تصوّره

وغلظ الفهم. فالأولى بمن عزب عنه لبه إذا ذكر أن يتذكّر فيرعوي.
والأحسن بمن استغواه الشيطان فأبصر أن ينزجر فينتهي.

والآن فقسطاس الحكمة وحق الدين ومحض الاعتراف، وميزان
العدل وحقيقتة الإنصاف، يُحقّق عند أهل الحق وجوب سخط الباري على
من أنكر ظهور قائم الزمان، ومجازاته للعوالم بعد غيبة الاختبار والأمتحان،
أعني هذا الإمام المنصوصة إمامته على رؤوس الأشهاد، بأنه المنتقم بسيف
المولى عند ظهوره من أهل الشك والمروق والارتداد والعناد.

يا ويلكم! هذا ينطق من حيث العوالم يسمعه منكم الجم الغفير ممن
حضر في أقطار الأرض وآفاق البلاد. فالباري منزّه عن ذكر هذه العصبية
المارقة الدعية وولي الزمان يلعن وحدوده يلعنوا ويتبرؤا ممن لم يتبرأ من
نجس من أضلكم بهذه الفئة المنكوسة العمية، أعني ابن الكردي ما داموا على
التسديق لخرقه وكذب مقالته والتمسك بما اخترصه لهم هذا النجس طلباً
لنيل الحطام لركاكة عقله ووهن دينه وضلالته؛ وكثير متبرئون من شطنه
وآدعائه غير منزلته لعظم جهالته.

فهذا إفراق بين أهل الحق وبين المرتدين الناكثين، وحجة مدحضة
لباطل من أنكر هذا ودام على الإلحاد فيما بعد اليوم من الفسقة المباهتين.

فتوبوا أيها الإخوة عن هذا السهو الذي عن الحق ألهاكم، وابرأوا إلى
ولي الدين ممن شطن عن الحق وأضلكم وأغواكم. وكونوا بكمال الطاعة
وذوي العدل والفهم والإنصاف، واقبلعوا عن هذا السهو ولا تكونوا من أهل
السفه والأرجاف. ولا تتأولوا على أهل الدين بما لا تعلمون. فقد أنصفكم
من لا يسألكم عليه أجراً وأنتم له ظالمون.

اللّهُمَّ فَخِذْ بِنَوَاصِي الَّذِينَ تَوَهَّمُوا الْبَاطِلَ حَقًّا إِلَى الْحَقِّ وَالرَّشَادِ،
وَجَنِّبْهُمْ بَعْدَ إِخْلَاصِ نِيَّاتِهِمْ عَنْ طُرُقِ أَهْلِ الْعَيْثِ وَالْفَسَادِ، وَأَوْقِفْهُمْ
بِالاعْتِرَافِ لِمَعَالِمِ ظُهُورِ الْإِمَامِ الْقَائِمِ بِهَذَا النَّبَأِ الْعَظِيمِ الْهَادِ، الْقَائِمِ لِفَصْلِ
الْقَضَاءِ وَالْجِزَاءِ لِلْعِبَادِ. وَالْحَمْدُ لِلْبَارِ الْقَاضِي لَوْلِيَّهِ بِالْفَلَاحِ وَالْغَلَبِ، إِذَا
تَقَضَّتْ مَدَّةُ الْقَاسِطِينَ وَأَنَّ حُلُولَ يَوْمِ الْمِيْعَادِ.

وَكُتِبَتْ فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ عَشَرَ مِنْ سَنِينَ عَبْدِ مَوْلَانَا
وَمَمْلُوكِهِ هَادِيِ الْمُسْتَجِيبِينَ، الْمُنْتَقِمِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِسَيْفِ مَوْلَانَا سُبْحَانَهُ
وَشِدَّةِ سُلْطَانِهِ. تَمَّتْ وَالْحَمْدُ لِمَوْلَانَا وَحْدَهُ.

كِتَابُ أَبِي الْيَقْظَانِ

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِطَاعَةِ حُدُودِ وَلِيِّ الْأَمْرِ.

بَعَثَ بِهِاءُ الدِّينِ بِهَذِهِ الرِّسَالَةَ إِلَى الشَّيْخِ أَبِي الْيَقْظَانِ، يَدْعُوهُ فِيهَا لَزِيَارَةِ خُلُوةٍ مِنْ خُلُوتِ الْمُوَحِّدِينَ وَتَفْقُّدِهَا، وَذَلِكَ لِيُعَلِّمَهُ عَلَى وَضْعِهَا وَوَضْعِ أَهْلِهَا. إِلَّا أَنَّ أَبَا الْيَقْظَانِ قُتِلَ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ الرِّسَالَةُ. وَلِذَلِكَ سَوْفَ يَتَكَرَّرُ اسْمُ أَبِي الْيَقْظَانِ وَصِفَاتُهُ الْحَمِيدَةُ عَلَى لِسَانِ بِهِاءِ الدِّينِ وَفِي رِسَالَتِهِ الْأَخْرَجَةِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنَ الْعَبْدِ الْمُقْتَنَى بِهِاءِ الدِّينِ الصَّغِيرِ الْمَنْزِلَةِ وَالْقَدْرِ، الْمُقِرَّ بِالْمَمْلَكَةِ وَالْمَذْعَنِ بِالطَّاعَةِ لِحُدُودِ وَلِيِّ الْأَمْرِ، الْمَمْتَحَنِ لِضَعْفِهِ بِشَيَاطِينِ الْفِتْرِ وَفِرَاعِنَةِ هَذَا الْعَصْرِ، إِلَى الشَّيْخِ الثَّقَةِ الْمَأْمُونِ أَلِيفِ التَّوْحِيدِ، وَقَسِيمِ التَّوْفِيقِ وَالتَّسْهِيدِ، أَطَالَ اللَّهُ عَلَى مِنْهَجِ الثَّقَةِ وَالتَّسْهِيدِ مَدَّتَكَ، وَأَدَامَ فِي دَرَجِ الْعُلُوِّ رُقِيَّكَ وَرَفَعَتَكَ، مَكْلُوءًا مِنْ هَمَزَاتِ كُلِّ شَيْطَانٍ غَوِيٍّ رَجِيمٍ، مُحْفُوظًا مِنْ نَجَسِ كُلِّ مَرْتَدٍّ لَمَّا زِي مَشَاءٍ بَنَمِيمٍ.

أَمَّا بَعْدُ، فَالْحَمْدُ وَالْقُدْسُ لِلْمَوْلَى الْإِلَهِ الْحَاكِمِ الْمَنْزَهَ عَنْ تَنْزِيهِهِ جَمِيعِ الْخَلْقِ، الْمُخْتَصَّ بِمَجْدِ تَنْزِيهِهِ وَتَوْحِيدِهِ لِأَمْرِهِ الْإِمَامِ الْهَادِ وَلِيِّ الْحَقِّ، لئَلَّا يُشْرِكَ فِي حَقَائِقِ حُكْمَتِهِ مَبَانِي التَّخْلِيقِ بِمَعَانِي الْإِبْدَاعِ، وَلِيُكْمَدَ نَفُوسَ أَهْلِ الشُّطْنِ وَالْكَذِبِ وَالْبَلَسِ وَالْإِخْتِرَاعِ، لِيَتَّعَيْنَ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْعَقْلِ وَمَعْقُولَاتِهِ

وبين ما اتَّحدَ بالمطبوعاتِ المحمولةِ على الأوضاعِ، وليتَّمِزَ أهلُ العقلِ والحقِّ باختصاصهم بفهم الحكمة والقَبول للحقِّ والاتِّباعِ، من حزبِ الباطلِ آلِ الشكِّ والارتدادِ والمروقِ والأبتداعِ.

وقد علمتَ يا أخي أسعدك الله بتعويلي عليك في إبلاغِ الرسالةِ إلى أولادي وإخواني، ووصيتي إياك بالعطفِ عليهم واللطفِ بالصغيرِ والكبيرِ والبعيدِ والداني، وتقديرِكَ عندهم ما أنا مُنطَوِيٌّ عليه من الدَّعاء بحسن التوفيقِ لكافتهم في سرِّي وإعلاني.

وسألتُكَ المكاتبةَ بما تستوضحُهُ من أمورهم: أَهْمُ على التوبةِ والطاعةِ والوفاءِ والقَبول؟ أم على ما وَصَل إلينا من الاختلافِ والارتدادِ والعِصيانِ والعدولِ؟ وحاشا صحيحِ نياتهم من عبارة هذه الألفاظ؛ وإنَّما هي نَفْثَةُ شيطانٍ عَرَضَتْ لِضَمَائِرِهِم كوميضِ السرابِ لللاحاظِ. ووليُّ الحقِّ يَطرِفُ عنهم أعينَ الفسقةِ ويُرسلُ عليهم النُّحاسَ القاتِلَ ومُحْرِقَ الشَّواظِ.

فإذا أنتَ وجدْتَهُم على الخُلُقِ السهلِ القويمِ، ورأيتَ استمرارَهُم على حسب ألفاظِ الرسالةِ بالقَبولِ لها والصبرِ والرضى والتسديقِ والتسليمِ، وتحقَّقتَ صحَّةَ نياتِهِم بالتبرِّيِ ممَّن أحادَهُم عن الحقِّ وشَنَعَهُم بهذا الميسَمِ الذمِّمِ، وسَبَرْتَ حالَهُم ممَّا يعاملونكَ به من التسديقِ والإكرامِ والتبجيلِ والتعظيمِ، ونظرتَ إلى تأديةِ حقوقِ بعضهم لبعضِ، وما يوجبُهُ كلُّ واحدٍ منهم على نفسه لأخيه من الطاعةِ والفرضِ؛ فإذا أنتَ عَظَمْتَ منهم بهذه الخلالِ، ووجدتَ ضَمَائِرَهُم مطابقةً للأقوالِ والأفعالِ،

فَأَقِمْ بَيْنَهُم مَنارَ الحقِّ، وعَرِّفْهُمْ عَوَارَ مَن شَرَدَ إلى الباطلِ والكذبِ لعجزِ نفسِهِ الخبيثةِ عن السدقِ؛ كُنْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ مدَّةَ هذا الصيفِ أو بعضَهُ قاطِنًا مُقيماً، وسَاوِي نَفْسَكَ بالشيوخِ الفاضِلينَ، وَكُنْ لَهُم في رَأْيِ هذه الجماعةِ وإصلاحِها أُمِيئًا قَسِيماً، أعني الحسنِ علي ابنِ الحسينِ الخَيْرِ

الرئيس، وأبا الماضي وأفد الطاهر القديس، وأبا الخير سلامة ابن جندل الدين النفيس، وأبا الفضل حمزة ابن أبي منصور الشريف الفخر والتأسيس.

وكونوا على الطاعة إخوان الصفاء والطفوا بالأطفال الصغار، وألحقوهم بالسياسة والتواضع والإكرام والتبجيل بمنازل الشيوخ الكبار، وانزعوا رداء التكبر فهو الذي أهلك من أوردكم موارد الأشرار والكفار، وعلموهم سجايا أهل التوحيد بوطاء النفوس ومكارم الأخلاق، وألينوا لهم جانب الشرس ليميزوا من أهل الجفاء واللدد والنفاق، وصونوا كرائمكم من الأخوات والأولاد، وارغموا بالستر أنوف أعداء الدين الفسقة الأضداد، الذين كانت إجابتهم إلى الدين ميلاً إلى الراحة والإباحة واتباعاً لبهيمية النفوس؛ وإذا أنت وعظمت فيهم لصون أهل الدين يرجع بهم خبيث العمل إلى العالم النجس المعكوس.

أيها الإخوة الطهرة! استدركوا حفظ أعراضكم بالرفق فقد أوثغتها المعروفة بالسرية البغية، المساعدة لحسن المحاملي وأشباهه بالأفعال النجسة الرديئة، وقد اعتورتكم الأبالسة وسلخوا بكم المهاوي البهيمية، فانزجروا عن مهنهم الخبيثة واتحدوا بالحقائق الدينية.

وانفذوا نسخة هذا الكتاب إلى الشيخ السادق صفي الدين الثابت الجنان، أبي القاسم نصر ابن فتوح الفصيح القلب واللسان، فله أعمال منيفة تشهد له بالطاعة والتسديق والإذعان، وتسميه بسمه دعاة أهل العدل والعفاف والرجحان، ليقرأها بدمشق على من أنس إليه في ستر ورفق من جماعة الأخوات والإخوان، ليتعين لهم قبح مذهب طراد الطريد السارق الملعون الخوان، الذي أخذ دينه عن لاحق المرتد النجس المنافق، أول من ابتدع مذهب الإباحة وجعله سلماً لكل مرتد مارق، اعتقد دينه للراحة لهواً ولعباً، وخديعة لأجلاف الأمة وللحطام معيشة ومكسباً؛ قاتلهم الله كما أقاموا

الفِتْنِ وجاروا على أهل الدين والحق، وأطلقوا عليهم عِقَالِ المِحَنِ والسَّبِّ والقَذْفِ لما فعلوه على ألسن جميع الخلق.

فأقلعوا أيها الإخوان الطهّرة عن مصارع شهوات الكذب المدّعين، وتبرأوا منهم ومن معتقداتهم النجسة إن كنتم موحدّين، فقد وَحَقُّ الحقّ نصحتكم إن كنتم تُحبّون الناصحين، وأنا بريءٌ من نجس هذه المحدثات. وولي الزمان يلعن مؤسّسها إلى أبعد الغايات.

وبالله لو أنّ معتقدكم مذهب التوحيد اعتقاداً لله خالصاً ولم تمزجوه ببهيميّة الشهوات، لم يكن لأهل السّفه عليكم يدٌ ولَسَلِمْتُمْ من جميع الموبقات.

فاجتهدوا أيها الإخوة الطهّرة، وتعاونوا على قلع هذه العقائد النجسة بالتقوى والبرّ، واقطعوها من قلوب الجماعة فَقَطَعَ اللهُ أصلَ مبتدعها بقصم الوتين والظهر، ولا أوجدّه رحمةً في يوم الجزاء والحساب والنّشر.

وقد بلغني أنّ سكّين أمر الكافّة وفرض عليهم تأدية الأعمال والنّجاي والزكوات، وأنّه كان يحضّ الجماعة على تأدية ذلك ويقبضها منهم في سائر الأوقات.

وقد علمتم أيها الإخوة خروج الأوامر العالية بالمنع عن ذلك والنهي عنه إلى جميع الآفاق، وقبّلَهُ أهلُ الدين والحقّ وخالف الأمرُ أهلُ الارتداد والشكّ والنفاق، خلافاً للأوامر العالية وأياساً من وليّ الحقّ وخروجاً عن الطاعة إلى العصيان والإباق.

وقد تحقّقت الكافّة أنّ هذا الأمر قد قاله وذاع عنه وصحّحه عندي جماعةٌ منهم أنّه جعل نفسه من الحدود العالية وأنّه الرضى صاحب السّفارة

والكلام. ثم أنه أنفذ إلى كثير من المواضع يكاسرهم عن المقتنى الذي هو أصغر الحدود أنه الإمام.

فقد صح أنه لا دين له، وإنما فعل ذلك طلباً للدنيا وحيلة على جميع الحطام، فالباري يلعن من رضي بهذا الاعتقاد، ويكشف ستره عمّن دلس على أهل الحق وأراد إضلال العباد.

ولما فحصت عن أفعال الخائب سكّين فوجدتها مدخولة بالبأس والطغيان، بتغييره لرسائل الحكمة لركاكة عقله بالزيادة والنقصان، كما فعل المعتوه برسائل قائم الزمان. وإنه اجتري بخبثه وشيطنته إلى أن بدّل بالكذب ميثاق وليّ الزمان، وابتدع مبتدعات الخونة الفساق، وجرى في مضمار أهل النكث والسرقة والإباق، وهو الذي أهاج الفتنة وهدر دماء الموحدين، وأطلق عليهم ألسن السفهاء وسيوف المخالفين، بتسويغه لمن سوغ من الشباب ما يحاسبه عليه إله العالمين، من سفك الدماء وإخافة السبيل وفساد حال المجاورين، ليُشبع بطنه بتكليفه لهم ممّا هو محرّم في أصول الدين. ولا يجوز أن يأمر به الإمام العدل هادي الخلق أجمعين.

ولو أنه نزع ثياب التكبر وحلّة الأزدال، وساس الموحدين بسياسة أهل العدل والوفاء والكمال، ونهاهم عن التعرّض لما يُخلق وجوه أهل الدين ويضع منازلهم ويقيم عليهم حجة جميع فرق الملحدّين الجهّال، وأمرهم بكف الأذية وإجمال المعاملة وستر العورات عن أهل الغي والضلال، وترك الدنيا لأهلها واقتنع هو وهم عن كثير من الحرام بالقليل من الحلال، وأشغلهم بحفظ الحكمة وتعريفهم خصائص الوفاء والصبر والاحتمال، واعتصم هو وهم بعلائق التوحيد والرضى والتسليم والصيانة وجميل الأفعال، وأسقط الجراءة على القبائح والمنكراتكلاً على الاعتصام برؤس الجبال.

فإن أبوا رُشدَهُم بعد هذه النصيحة وعصوه وخالفوه، اعتزل عنهم وكتب بأفعالهم ليكون معذوراً عند الله ووليّه فيما ارتكبه عن غير رأيه وفعلوه، لكنّه أخلد كما أخلد إبليس إلى الأرض، ولم يرع الحقّ ذمّة ولا تفكّر في يوم الحساب والعرض.

فوحقّ الحقّ لو ساسهم بسياسة أهل الورع والدين والفضل، لمنع المحنة عنهم والظفر بهم حكم الحقّ والعدل.

فتبرأوا منه أيّها الإخوة ومن أفعاله، فقد قاطع الله ووليّه بالباطل وبنات منه الخبيثة وسجاياء، واشتهر بتحريفه للحقّ ودعاويه وخزاياء. فأعرضوا جميع ما قبلكم من الرسائل على الشيخ الثقة الأمين، ولا يأخذكم في الحقّ لومة لائم خارج عن مباني الدين. وأنا الناصح لكم ولجميع الموحدين. فإن قبلتم نصيحتي فلأنفسكم تكرمون وتمهدون، وإن خالفتكم النصيحة فستندمون. ولأنفسكم تضيعون، وبها تسخرون.

أيّها الشيخ الثقة! فاكشف عن حقيقة هذا الخل والاضطراب، وعظ الجماعة فيه وأبرئهم من جميع هذه الأوساخ والأوصاب. واتلّ عليهم من حكمة وليّ الدين الفصل من سبب الأسباب^(٣)، في قوله: لا توبة ولا إقالة لمن فسق عن الحقّ وجعل نفسه من الحدود العالية والأبواب. وعرفهم أن لا توبة ولا إقالة لمن أحاد بالمستجيبين إلى عبادة أحد من المخلوقين؛ والعبادة هي الطاعة في جميع أنحاء الحقّ اليقين. فكيف من أعدم وليّ الدين، وأحاد بالطاعة التي هي العبادة إلى أقلّ عبد من عبيده المستضعفين.

أيّها الشيخ الثقة فإن تخلفوا عن الاستعداد والعائذ بالله بامتنال المراسم وقبول هذه الخلال، وتحققت مرض نفوسهم بهذا السقم المزمن

(٣) رسالة عنوانها: «الرسالة الموسومة بسبب الأسباب والكنز لمن أيقن واستجاب»،

والاعتلال، ولم تصف قلوب بعضهم لبعض كالماء المشروب الرقيق الزلال،
فقدّم الفرصة بالبعد عنهم والزوال عن بلدهم والارتحال. فما على الرسول
الناصح سوى البلاغ لأهل الهداية والإنذار لحزب الضلال، بعد وصفك لهم
فضائل الطاعة من أهل البيضاء ذات السماكين معدن الفخر والشرف
والرشد، وإعلامهم أنها كالنجمة البيضاء في الليل المظلم بين كل كل الفيل
وناب الأسد.

واجعل ارتحالك إلى إحدى الحصون البحرية، أعني عسقلان أو
قيسارية، وكاتب من أنت ناظر فيهم من البلاد الشمالية، واشرح لي مجاري
أمورك وما عنك لك ووصلت في سفرك إليه، لأمرك بما تمتثله وتقدم التعويل
عليه.

والحمد لله الذي لا يغير نعمته ما أحسن أهلها مصاحبته، ولا يقطع
مواهبه إلا عمّن جحدّها وشك في أهل ولايتها.

والسلام على وليه منجز وعده لأهل طاعته المحققين، ومهلك من شك
في ظهوره بالانتقام بسيف مولانا من المارقة الجاحدين المشركين والمنكرين.
وهو حسبي ونعم النصير المعين.

تمت والحمد لمولانا وحده، والشكر لقائم الزمان عبده.

الرَّسَالَةُ الْمَوْسُومَةُ
بَتَمْيِيزِ الْمَوْحِدِينَ الْهَانِئِينَ
مِنْ حَزْبِ الْعَصَاةِ الْفَسَقَةِ النَّاكِثِينَ

بعث بهاء الدِّين بهذه الرسالة إلى الموحدين والمرتدين سواء، يبيت فيها
سخطه وغضبه على الذين حاربوه. ويهتد بهم بسوء المصير. فيها كلام
كثير على أحوال اليوم الأخير، وما سيحل بمكة «دار الفاسقين» و«أرض
الطغاة» من أهوال يوم القيامة. «هذه الرسالة هي إنذار لجميع مَنْ طلب
مسلك الحق واقتفاه». وبهاء الدِّين «عبدٌ ضعيفٌ معذورٌ لقلبة الشياطين».

تَوَكَّلْتُ عَلَى الْمَوْلَى الْإِلَهِ الْحَاكِمِ الْمُتَعَالِيِّ عَنْ تَنْزِيهِ الْأَنَامِ، وَتَوَسَّلْتُ
فِي الْهَدَايَةِ إِلَيْهِ بِعَبْدِهِ الْقَائِمِ الْهَادِي الْإِمَامِ. مِنْ الْعَبْدِ الْمُقْتَنِي الْخَاضِعِ لَطَاعَةِ
الْهَادِي الْإِمَامِ الْقَائِمِ لِإِعْزَازِ دِينِ الْحَقِّ، الْمُعْتَرِفِ بِالصِّغَرِ لِحُدُودِهِ وَالْقُصُورِ
عَنْ مَنَازِلِهِمِ وَالضَّعْفِ وَمَلِكِ الرِّقِّ، الْمُتَوَسِّلِ إِلَى كَرَمِ مَوْلَاهُ فِي إِجَابَةِ ضَرْعِهِ
بِتَجْدِيدِ الْمَمْلَكَةِ وَعِتْقِهِ مِنَ الْعَتَقِ،

إِلَى جَمِيعِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالرَّضَى وَالتَّسْلِيمِ وَالْإِقْرَارِ، مِمَّنْ سَلَّمَ لِلْحَقِّ
مِنْ أَهْلِ الْوَادِي الْأَزْهَرِ^(١)، وَمَنْ أَخْلَصَ مِنْ قَاطِنِي الْجَبَلِ الْأَنْوَرِ^(٢)، وَمَنْ سَدَّقَ

(١) الوادي الأزهر هي وادي التَّيْم (الدرر المضية).

(٢) الجبل الأنور هو جبل السَّمَّاق من أعمال حلب (الدرر المضية).

بالحق من أهل البيضاء^(٣)، وجميع من بالأفاق والأقطار، وإلى الشِرْذِمَةِ
المجمعة للشتات على الفسق والقبائح الموجبة لللعن والإسقاط، الغامطة لنعم
الولي بقلة الشكر من أهل القاهرة والوادي الأخيْبِ والفُسْطاط، نفوسهم عن
قبول الحق لإلفها للخبل والانسفال والانحطاط، السالكة لسبيل شياطين
الفترة في اللدَد والتقصير والخلاق والعصيان، الذين استعبدت نفوسهم
أخس الأعضاء لتمام المحنة وحلول الخذلان، وقضحهم دور الكشف بما
جنّوه من الخيانة والنكث والنفاق، الراجعة نفوسهم إلى العناصر النجسة
للحوقها بالأشكال الجحدة المُرَّاق، الذين ميزهم عدل الحق قطيع الشيطان
على قلوبهم فاستحلوا قتل أهل الحق بالارتداد والنفاق، تمرّدًا على الله
ووليّه ليحلّ عليهم بعد الأمهال عذاب الكفرة الفُسَّاق.

أخرجوا عن عز الدعوة الهادية أيها الشياطين المردة المنكرون،
واخسأوا في ذل المعصية أيها الأفّاكون المذهنون. فسنبصر أيها الجهلة
الفسّاق عن قليل وتبصرون، ويعلم الفريقان من هو المسلوب المبعود
المغيبون.

تالله لقد عصف بأشكاله طارق الأبرص المعتوه المنكوح، وغشى
على بصائرهم واختص بالصمم والعمى لأشقا الأمم الخراز الموضوح، وملأ
قلبه وقلوب أشباهه بالشك والشرك المائع كالدّم المسفوح.

فتبت يد الخائب وتبت أيديهم، لم ينتفع هو وهم بما اكتسبوه من
الحكمة والعلم، بل هما شاهدان عليه وعليهم بما أطلقوه على أهل الحق من
السب والقذف والجور من الحكم، ورضوا به في الإمام العدل المنزه عن
القول والحدّ. تعالى عن السفة والظلم، وتقدس عن اختراص الأدعياء المبذلين
الذين باءوا بالسخط والإثم.

(٣) مر معنا «مكاتبة إلى أهل الكدية البيضاء»، رقم ٢٣، وهي مكان في مصر لم يُحدّد.

فالبُشرى لأهل الحق. فهذه تهنئة بتمييز الأمم لأهل الصبر والإيقان والقبول والتحقيق، وتوبيخ لمن سلب عقله فانعكس بعد العلو بالفعل القبيح إلى المحل الخبيث السحيق، وردع للمائن الراجع بعد وفاء القول وسدق السافرة، إلى العنصر الأخيب طليقاً عن أهل الحق والطهارة، أعني ابن الكردي وأشكاله من جميع الأمم ممن أغفل نفسه فنسي هداه، وأحفره الشطن فغلب عليه خبئه وشقاه، واقتطف الباطل لشكه في الحق واجتناه، فأظله تصور الباطل فاتخذ إلهه ليلكه هوأه.

أما بعد، فالتقديس للمولى الحاكم المنزه عن تأليل الألال، المعظم عن حركة الأزمنة وتدهير الدهور وتوقيت الأجال، الذي أبدع مبدعه علّة لجميع الحركات المتحركات والأعلال، تنزيهاً للمقامات العلية القدسية، وتعريفاً لعجز العوالم عن العبارة بمحض الألهية.

فلا سلوك للأنفس إلى مقاصد التوحيد، ولا إشارة إلى معاني التقديس والتمجيد، إلا بالطاعة لقائم الحق مالك الدين صاحب الوعد والوعيد، وقبول أوامره والصبر فيها على السراء والبأساء والضرر الشديد، إذ لا إثبات ولا معنى لمعلوم خرج عن إحاطة جوهر العقل، ولا توهم لوجود تشبيه شيء منبعث إلا عن المبدع الأصل.

فتعالى المولى الذي قصر أفهام العوالم عن الخوض في تحقيق ذاته وجعلها مجبرة مُحيرة عاجزة معاً عن درك صفة معلوله وآلاته، الذي جعله المولى على الأمم مهيماً وبمكنون الضمائر مطالباً، ولنفسهم بما اجترحته من عصيانه مسائلاً محاسباً، وبالطاعة والأعمال الطاهرة مثنياً وبأضدادها معاقباً.

أفلا تنتبهون أيها الهلكة الأغفال، والصفوة اليقظة الأبدال! فالخطاب بمفهوم المعنّين، ومقتضى حقيقتي القولين، متوجه في الإيقاظ والتنبيه إلى

الفريقين. وقد تناها الواعظ في المعذرة والإيقاظ وأبلغ في التذكرة والتعيين بجواهر الألفاظ.

فأين المفرِّ لِخِشَاشِ الْفُتْرَةِ الْكَذْبَةِ الْمُفْتَرِينَ، وأين الذَّهَابُ لِفِرَاعَةِ الْأَدْوَارِ الْبَلَسَةِ الْمُؤْهِينِ، وكيف الخلاصُ لأهل الْخِلَافِ الْمُرْدَةِ الْمُعَانِدِينَ، وقد أَحْدَقَ بِهِمْ طُوفَانُ السَّيْفِ وَلَهَبُ الْحَرِيقِ، وَأَن هَدُمَ الْحَقُّ لِنَمَامِ الْمَقْدُورِ لِمَبَانِي هُبْلِهِمُ الْقَدِيمِ الْعَتِيقِ، وتزلزلتْ أَرْضُهُ لِلخَسْفِ بِمَتَالِي آيَاتِهِمْ وَمَدَارِسِ الشُّكِّ وَالشَّرْكِ الْحَقِيقِ، وتَقَضَّتْ مِنْ أَطْرَافِهَا أَرْضُ الطُّغَاةِ الْفَسَقَةِ الْمُكْذِبِينَ، وَهَبَّتْ عَلَيْهِمْ أَرْيَاحُ السَّخَطِ بِمَا انْتَهَكُوهُ مِنْ حُرْمَةِ الدِّينِ، وَتَعَيَّنُوا بِالْمُجَاهَرَةِ أَنْجَاسُ آلِ نَيْمٍ بِقَتْلِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ السَّادِقِينَ.

أَيُّهَا الْخِشَاشُ الْحَاضِرَةُ مِهْنُهُمُ الْخَبِيئَةُ وَهِيَائُهُمْ، الْغَائِبَةُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْمُمِيزَةُ وَبِصَائِرِهِمُ، النُّكْبَةُ عَنْ الْحَقِّ نَفُوسُهُمُ النَّجِسَةُ وَمَذَاهِبُهُمْ. أَمَا تَنْظُرُونَ إِلَى حِكْمَةِ الْبَارِ الْحَكِيمِ، وَإِرْسَالِهِ الزَّلَازِلَ لَزَوَالِ أَسْتَارِ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ الْقَدِيمِ، وَهُجُومِ الرُّوَاجِفِ لَهُدْمِ الْمَسَاجِدِ وَالْجَوَامِعِ وَالْبَيْعِ، إِشَارَةً وَأَدَانًا مِنَ الْبَارِ لِنَقْلِ الدُّوَلِ وَتَمْحِيقِ الشَّرْعِ.

فَاتَّعِظُوا بِهَذَا التَّوْقِيفِ أَيُّهَا الْبَهَائِمُ الْمُهْمَلُونَ، وَتَقَيَّظُوا مِنْ رَقْدَتِكُمْ أَيُّهَا الْجَحْدَةُ السَّوَائِمُ الْمُنْكَرُونَ. فَكَمْ عَلَى الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ وَعَلَى أَوْلِيَائِهِ تَتَعَدُّونَ وَتَتَجَبَّرُونَ، وَأَنْتُمْ فِي دَوْلَابِ الْبَعْثِ صُعُودٌ مُرْهَقُونَ، يَدُورُ بِكُمْ كَالْبَهَائِمِ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. فَكَمْ أَيُّهَا الْمُرْدَةُ لآيَاتِهِ وَعَلَامَاتِ الْقِيَامَةِ تَدْفَعُونَ وَتُكْذِّبُونَ.

أَتَقُولُونَ إِنَّ الصَّوَاعِقَ النَّازِلَةَ بِأَسْتَارِ الْمَشْعَرِ عَلَى رَايِكُمْ وَالْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَشَقَّهَا لِلرُّكْنِ مِنْ مَعْبِدِكُمْ وَالْمَقَامِ، وَخَرَابِ الْمَسَاجِدِ وَالْجَوَامِعِ وَالْبَيْعِ بِلَدِ الشَّامِ : إِنَّ هَذِهِ الْعِظَائِمُ الْفَادِحَةُ بِغَيْرِ أَمْرِ إِلَهِ الْبَارِ الْعَلَامِ؟

فَإِنْ قُلْتُمْ أَيُّهَا الْكُفْرَةُ إِنَّهَا بِغَيْرِ إِرَادَةِ الْبَارِيِّ فَقَدْ عَطَلْتُمُوهُ وَجَحَدْتُمْ الْعِيَانَ، وَإِنْ أَقَرَرْتُمْ أَنَّهَا بِأَمْرِهِ وَإِرَادَتِهِ فَقَدْ فَلَجَتْ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ مِنْ دَعَاكُمْ إِلَى

الحقَّ فرددتموه وأنكرتم الدلائل والبرهان، وباينتم بقتل أهل الطاعة أوليائه وكفرتم على سائر المذاهب والأديان، كما كفروا أنجاس آل تيم بقتل الثقة داعي الحق وباءوا بالسخط والإلعان، إقتدَاءً بمآثر عصاة سلفهم وجرياً في ميادين النكث وتبعاً للأوائل والثوان.

فإلى أين أيها المرقّة لكم المفر والمذهب، ممّن لا يُنجّي منه البعد والمهرب. بل تالله لقد أظلمكم الركب وعصيتم الدليل، وقطعتم طريق الحق وقتلتهم أهله وأخفتم السبيل.

فانتهوا عن الظلم أيها الهلكة الغافلون، فقد اقترب للناس حسابهم وهم في غمرة معرضون؛ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون. قد أتى أمر الله فلا تستعجلون. سبحانه وتعالى عما يشركون.

وآن للأرض أن تُرج وللسماء أن تمور، وللجبال أن تبس وللتنور الأعراف أن يفور. فقد أثمرت أشجار الباطل في قلوب جميع الأمم، وغشيت بصائرهم عن التمييز فهم كالبقير السائمة والغنم. واستولى على عقولهم الرآن لحلول الصمم والبكم.

فها هو قد قرب حصاد ما زرعه أيدي الفراعنة من البزور، وقطع ما غرسه إبليس من الغل والنجس في القلوب والصدور، واجتثاث شجرة الزقوم الملعونة المعينة في آيات المصور، وقلع العلامة النجسة المعينة في كتاب دانيال بهيكل الدجال الخبيث الأعور الفاجر، من الموضع الزكي الأنيس الطاهر، وردّها بالزعج إلى الموضع الخراب الموحش النجس العاهر.

فهذه لدور السئر دلالات الفراغ والتمام، وعلامات لظهور نور السيد القائم الهادي الإمام، وتبيين لعقائد الملّبسین الذين استحوذ عليهم البلس فاحتالوا في الدين تمويهاً على الأحوال الدنيوية لتتميز بمواد قدسه

نفوسُ المُحِقِّين، وتعلو برونقِ حكمته الدِّينية بالأعمالِ الروية، وتستخرج
بِنَهْلٍ فيضَ العقلِ عليها معاني الخيراتِ الشريفةِ العلمية، وتتعالى في درجِ
الكمالِ مغتبطَةً بالمعارفِ اليقينية، وتستسعدُّ بالضوءِ المُشرقِ عليها بعد
تغشيتها بوحشيةِ الظلمِ الطبيعيَّة، وتتحلَّأ بجواهرِ الفضائلِ وتتحدُّ بالأنوارِ
القدسية؛ وتكونُ مُفَتَّنَةً في تمامِ الجواهرِ وتربيتها بالمهنِ العقلية، ولا تكونُ
بحيثُ يُمْتَنَعُ وجودُ الجوهرِ دونها لفوزها بمملكةِ المعالمِ الإلهية. فهي باقيةٌ
مداً الدهورِ والأبد، قد صفا لها السدقُ اليقيني بصحةِ المذهبِ والمعتقد.

أيها الهلكة، فارتقبوا صيحةَ الفجرِ لظهورِ الأملاكِ، واضطرابِ
الخطوطِ والأعظامِ لاهتزازِ أجرامِ الأفلاكِ، وحركةِ الجسمِ الثقيلِ الثابتِ
بِقُطْبِ العَجْزِ عن تحديدِ ماسِكِهِ والإدراكِ،

إذا طلعتْ نجومُ الكورِ باللَّهَبِ والإحراقِ، لنسخِ عقائدِ المُلبَّسين
وإشهارِ عصاةِ آلِ تيمِ المرقَةِ الفساقِ، وتمييزِ حزبِ الطاعةِ الصَّفوةِ والوفاءِ
والوفاقِ، من حزبِ الضلالِ آلِ البَلَسِ والشُّطْنِ والعُقُوقِ والإِبَاقِ، هنالك تنثورُ
بُدُورُ النِّمامِ وتتعالى بالضياءِ والإشراقِ.

وترتفع نفوسُ أهلِ العدلِ بقوامِ جوهرها مختصةً بالسكونِ لقبولِ
تأثيرِ العقلِ المبدعِ الفياضِ، ملتحفَةً بقالِبِ البقاءِ والأمنِ من الفسادِ
والانحلالِ والانتقاصِ، قد خلَّصَتْ لظهرِ عنصرها وقوةً صفائها من دنسِ
الشكوكِ والأعراضِ، وتهذبتْ بتحقيقِ قَبُولِها للصُّورِ العقليةِ بمحضِ اليقينِ
وعدلِ الارتياضِ، واقتدرتْ على قَبُولِ الفضلِ عليها زائدةً بدوامها على
النهاياتِ، باقيةً على الأبدِ جوهرًا ثابتًا منصبةً بِسُنْجَةِ الأصباغِ
الروحانياتِ، مباينةً لأهلِ الشُّطْنِ والارتدادِ والخلافِ والمُروقِ، متبرئةً من
أفكِ كُفْرَةِ أهلِ الكتابِ التَّيْمِيِّ والعبَّاسِيِّ وَكَحِيقِهِمْ سَلِيبِ الدِّينِ العاجِزِ المهينِ
المُطْرُوقِ، آلِ الكَذِبِ والجحدِ لَفَضْلِ الحدِّ المنعمِ عليهم والنكثِ على اللَّهِ وولِيهِ

والشطن والعقوق، الذين اتخذوا دينهم للباطل مَرَحًا وللفسق لهوًا ولعبًا، وللحيلة تمويهاً على أبناء الدين وللحطام معيشةً ومكسبًا.

فأله يوقفهم. لقد خَرَجُوا عن طاعة الهادي الإمام العدل وخلعوا رُبْقَةَ التَّوْحِيدِ، واعتقدوا لشيطنتهم إمامةً الأبرصِ الْمُحْمَلِّقِ الْمُتَسَمِّي بِإِلَهِ المَوَاعِيدِ، ورجعوا إلى عناصرهم النَّجَسَةِ بِاعتقاد الهزل والمحال، وعادوا إلى أَمَاكِنِهِمْ في وقت التمييز لفساد الذِّئَةِ وخبيث الأعمال، ليتعين لاتباعهم السَّهْوَةُ مَا هُمْ يَحِلُّوهُ مِنَ الْخِزْيِ وَالنَّكَالِ، وتقوم الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ بِتَحْقِيقِ بَلَسٍ مَنْ أَضْلَمَهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَالْخُرُوجِ عَنِ الْإِعْتِدَالِ.

فأله يُوقِفُهُمْ بِأَفْعَالِهِمْ كَمَا ظَلَمُوا أَهْلَ الْحَقِّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وجعلوا الْفِتْنَةَ وَالْحَنَ أَسْبَابًا عَلَى الْمُوَحِّدِينَ، وأوضحوا بالنكث والأفك طريق السَّبِّ وَالْقَذْفِ لِأَهْلِ الدِّينِ.

فَمَا أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْخَوَنَةِ حَرَكْتَهُ لَفْظَةً مِنْ مُحَرِّكَاتِ أَهْلِ الْفَضْلِ، وَلَا اعْتَقَدَ لِنَفْسِهِ مَعَادًا فَتَذَكَّرَ أَيَّامَ الْجَزَاءِ وَالْعَدْلِ، وَأَخَذَ عَلَى نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ فَارْعَوَى بِالتَّوْبَةِ عَنْ فَحْشَاءِ الْكُذْبِ وَقُبْحِ الْمَحَارِمِ، وَلَا ارْتَدَعَ عَنْ مُنْكَرٍ وَلَا تَفَكَّرَ فِي وَلِيِّ الدِّينِ وَمَجَازَاتِهِ لِلْعَوَالِمِ؛ وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ وَصِفَاتُ هَؤُلَاءِ وَأَمْثَالِهِمُ الَّذِينَ أَضْرَمُوا نَارَ الْفِتْنَةِ عَلَى الْمُوَحِّدِينَ فِي قَدِيمِ الْأَدْوَارِ؟

وَحَقِيقَتُهُ مَا أَقُولُهُ لِأَدَلَّةِ أَفْعَالِهِمْ عَلَى نَفُوسِهِمْ بِدَوَامِهَا فِي زَمَنِ الْكُشْفِ عَلَى اللَّدْدِ وَالْإِدْعَاءِ وَالْعَصِيَانِ وَالْإِصْرَارِ، وَغَفَلَتِهِمْ عَنْ يَوْمِ يَفْتَضِحُ فِيهِ مَنْ ادَّعَا غَيْرَ حَقِّهِ وَاخْتَرَصَ الْبَاطِلَ عَلَى الْحُدُودِ الْأَطْهَارِ، وَاخْتَلَقَ الْكُذْبَ عَلَى حَدِّهِ الَّذِي لَا يُقْبَلُ لَهُ عَمَلٌ إِلَّا بِشَهَادَتِهِ لَهُ بَعْدَ التَّسْلِيمِ لِمَعَالِهِ وَالْإِذْعَانِ لِمُرَاسِمِهِ وَالْإِقْرَارِ.

فَتَيْقِظُوا أَيُّهَا الْهِيَائِلُ الْمَخْلُودَةُ لِنَجْسِهَا بِقَتْلِ أَهْلِ الْحَقِّ وَدَعَاتِهِ فِي أَلِيمِ الْعَذَابِ، الْمُقْفِرَةُ لِبَلَسِهَا مِنَ الْعُقُولِ وَالْأَلْبَابِ، الْغَافِلَةُ لِإِبْلَاهِهَا عَنِ التَّحْقِيقِ

لموجبات الفوز والثواب، الناسية لشطنها عن الحق التفكر في يوم العرض والحساب، التائهة عن استنبات المعالم لنكبتها عن الحدود والأبواب، الممنوعة من الرئي الرحيق السلبيل لكفها بمخائل لوامع السراب.

فتدبروا أيها السهوة مباني الآيات المحكمات، وتأملوا تحليل عقد الأبالسة والشياطين بالبراهين المبهرات، وهتك عزائم الملبسين وقطعها بقواضب المعجزات.

ولآت لفراغ دور النحل الملبوسة الشركية، وتبييناً للأمم عوار عقائدهم النجسة الأفكية، وعلامات لكشف ما استتر من المذاهب الإلهية الملكية، وتعيين الذين شطنوا عن الحق بعد المعرفة بقتل أوليائه ليتبينوا بالضدية.

فاخسأوا أيها الهلكة فقد لمعت الأنوار بالبشرى لنفوس المحقين، وتشعشت بحق الظهور معاقد الأعراف أصحاب اليمين، وانبجست بمراد السادة عيون الحياة للشاربين، وثعجرت شؤبوب جواهرها بالسعادة لما فيه من الاستعداد لقبول ماهية الدين، ونهضت بمعجز الإرادة وقوى حقائقها ببعض كمالات المملكة فهدمت مباني الخرص المدعين، واتحدت بعد المفارقة للمواد الطبيعية بشرف وجود معقولات الروحانيين، وأرسمت بمقر قدسهم مراسم العقل الفعال إمام الزمان وظهرت للوجود والتعيين، وأن أخذهم للثأر بدماء آل الحق المظلومين الموحدين، من حزب الدجال ومن الادعيا النككة أهل الإلحاد والتكذيب المعاندين.

إذا صرخت بأرجائها البكر الهموس، وطحنتم بأثقالها العوان الضروس، وكشرك للكشف عن نابه الرئبال الفروس، وهدر فنيق الحق بالصواعق والأرجاف، ونهض لأخذ الثأر سادات الأمم رجال الأعراف، وقام

لِلنَّصْرَةِ أَسْبَاطُ الدِّينِ لِهَلَاكِ آلِ الشَّطَنِ وَالْإِبَاقِ وَالْخِلَافِ، وَأُحِيطَ بِذَاتِ
الْفِجَاجِ دَارِ الْفَاسِقِينَ وَهَدُمَ مَقِيلُ الْآبَالِسَةِ وَالشَّيَاطِينِ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ يَطْلُعُ شَمْسُ الْبُذُورِ وَالْأَقْمَارِ، وَيُظْهَرُ إِمَامُ الْعَوَالِمِ فِي
الْأَدْوَارِ وَالْأَكْوَارِ، وَيَنْطِقُ سَدِيقُ الْأَزْمَانِ وَالْأَعْصَارِ، وَتَتَلَالَا أُنُورُهُ فِي
الْأَفَاقِ وَالْأَقْطَارِ، لِفَيْضَانِ التَّائِيدِ، وَتَغْدُقُ سَمَاءُ حِكْمَتِهِ بِهَوَامِي التَّنْزِيهِ
وَالْتَجْرِيدِ، وَتَنْبُتُ بِهَا أَرْضُ الْحَقَائِقِ ثَمَارَ التَّقْدِيسِ وَالتَّسْلِيمِ وَالتَّوْحِيدِ،
وَتَتَعَالَى بِمَعَالِمِ الْحَقِّ دَرَجَاتُ الْمُحَقِّينَ، وَتَنْسِفُ لِلْقُصُورِ عَنْهَا مَنَازِلُ الْجَهْلَةِ
الْمُكَذِّبِينَ، وَيَصْحُ بِالْبَعْثِ الْجَزَاءُ لِنَفُوسِ الْأَنَامِ، وَيَقُومُ الْحَقُّ وَالْعَدْلُ بِقِيَامِ
الْقَائِمِ الْهَادِي الْإِمَامِ، وَيَخْسَرُ الْمُرْتَدُّونَ وَالشَّاكُّونَ وَيُؤْخَذُ مِنْهُمْ بِالنُّوَاصِي
وَالْأَقْدَامِ، وَتُسْأَلُ الْمُؤَوَّدَةُ عَمَّا حَمَلَتْ مِنَ الْأَثْقَالِ وَالْأَوْزَارِ، وَيُوضَحُ لَهَا بِأَيِّ
ذَنْبٍ قُتِلَتْ بِسَلْسِ الْإِنْقِيَادِ بَعْدَ اللَّدِّ وَالْإِحْجَامِ وَالْإِنْكَارِ، وَيَكُونُ مَا لَا أُذُنٌ
سَمِعَتْ وَلَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ مِنَ التَّنْزِيهِ وَالتَّأْلِيهِ وَالْإِذْعَانِ
وَالْإِقْرَارِ، لِلْمَوْلَى إِلَهِهِ الْحَاكِمِ الْجَبَّارِ.

هَنَالِكَ تَطْلُعُ نَفُوسُ أَهْلِ الْحَقَائِقِ بِصِفَائِهَا عَلَى الْخَفِيَّاتِ، وَتَبْلُغُ
بِقُوَّتِهَا الْمُتَجَلِّيَةِ لِمُصَوِّرِ الْحَقِّ نَهَايَةَ النِّهَايَاتِ، وَيَتَأَثَّرُ فِيهَا مِنَ الْعَقْلِ الْفَعَالِ
مُحَاكِيَّاتِ، الْحَاضِرَةِ وَالْمُسْتَقْبَلَةِ مِنَ الْجِزْئِيَّاتِ وَالْمَحْسُوسَاتِ، وَيَكُونُ لَهَا بِمَا
مَلَكَتْهُ إِشْرَافٌ عَلَى الْمَعْقُولَاتِ، أَعْنِي الْمَفَارِقَةَ وَنَظَرٌ فِي شَرَائِفِ الْمَوْجُودَاتِ،
وَتَتَرَقَّى بِشَرَفِ مَعْلُومِهَا إِلَى أَعْلَى الْمَرَاتِبِ وَتَتَنَبَّأُ بِالْأُمُورِ الْإِلَهِيَّاتِ.

فَانْتَبِهُوا لِإِقْظَافِ الدَّلِيلِ النَّاصِحِ أَيُّهَا الْخِشَاشُ الْمُرْدَةُ الْمُهْمَلُونَ،
وَأَرِيقُوا لِلْفَهْمِ قُلُوبَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ بِهَا لِلْحَقِّ تَفْهَمُونَ. فَقَدْ بَلَغَ آجَالُ الْأُمَمِ مِيقَاتَهَا
وَكُتَابُهَا، وَأَنَّ الْعَرَضَ لِنَفُوسِهِمْ وَقَرُبَ جَزَاءُهَا وَحِسَابُهَا، وَهُمْ كَالْخُشْبِ
الْخَاوِيَةِ عَنِ الْهَدْيِ وَطَرِيقِهِ نَاكِبُونَ، وَعَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فِي سَكْرَتِهِمْ
عَمِيهُونَ تَائِهُونَ. قَدْ خَرَجُوا عَنْ طَاعَةِ الْوَلِيِّ الْقَائِمِ الْفَاقِ بِمُخْتَرَصَاتِ الْفِرَاعَةِ

المدَّعين، وتقهرقراً في دَرَجِ المُحَاقِ متهافتين، يطأون الحِكْمَةَ بأخْمَصِ الشَّيَاطِينِ، لا يَنْزَجِرُونَ عَنِ الْمَجَاهِرَةِ بِالْفِسْقِ وَالْمَحَارِمِ، ولا يَرْتَدُّعُونَ عَنِ السَّفَةِ وَارْتِكَابِ الْمَآثِمِ.

قد أَخْلَقُوا مَعَالِمَ الدِّينِ بِالْوَسَاخَةِ وَالْفَسَادِ، وتَأَلَّفُوا عَلَى النِّكَثِ وَالشُّكِّ وَالْعَصِيَانِ وَالْإِلْحَادِ، رَكُونُوا إِلَى التَّسْوِيفِ بِمَقْدَمَاتِ الْإِمْهَالِ، وَنَكَثُوا بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى أَهْلِ الْخِلَافِ وَالْإِرْتِدَادِ وَالضَّلَالِ، واستشعاراً لهذه الْأَيَّامِ الْإِمْتِحَانِ وَالتَّفْوِيزِ وَالْإِمْهَالِ، وَتَحَقُّقًا بِالْعَنْصَرِ الْخَبِيثِ الْفِتْرَةِ الْكُبْرَى الْفَاضِحَةِ لِلْأُمَمِ أَعْظَمُ الْفِتَرَاتِ، دَلَالَةً عَلَى تَمْيِيزِ الْعَوَالِمِ وَبَلُوغِ أَعْمَالِهِمْ إِلَى النِّهَايَاتِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَانُ قَدْ تَقَضَّتْ أَوْقَاتُ الزَّمَانِ، وَقَرُبَ مَا شَسَعَ مِنْ هَلَاكِ حِزْبِ الشَّيْطَانِ، وَوَصَلَ مِنْكُمْ إِلَى مِضْمَارِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ الْفَرِيقَانِ.

فافهموا عن العبد الساذق أصغر عبيد ولي الزمان والأمر.

واعلموا أَنَّ هَذَا هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي ذُكِرَ فِي زَمَنِ الرِّيَاضَةِ : يَكُونُ الْقَابِضُ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ، وَيَفِرُّ الْمُؤْمِنُ بِدِينِهِ مِنْ شَاهِقٍ إِلَى شَاهِقٍ، أَيْ مِنْ دَاعٍ إِلَى دَاعٍ، وَأَيُّ دَاعٍ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ سَادِقٌ مِنْ عَبِيدِ وَلِيِّ الزَّمَانِ وَالْأَمْرِ. فَلَمْ يَقُلْ هَذَا لِقَلَّةِ أَشْخَاصِ الدَّعَاةِ الْمَذْكُورِينَ، وَإِنَّمَا قِيلَ هَذَا لِقَلَّةِ الطَّائِعِينَ، وَكَثْرَةِ الْعَصَاةِ الْخَوْنَةِ الْمَارِقِينَ.

فَوَحَّقْ صَاحِبِ الرَّحْمَةِ لَقَدْ قَرَأْتُ فِي الْمَشْهُورِ مِنْ نَصُوصَاتِ الْحَقِّ، أَنَّ الْقَائِمَ سَلَامَ اللَّهِ عَلَى ذِكْرِهِ إِذَا ظَهَرَ فَأَوَّلُ مَا يَقْتُلُ الْقَائِلِينَ بِهِ قَبْلَ الْمُخَالِفِينَ لَهُ مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ.

واعلموا فـهَذَا هُوَ الْعَدْلُ إِنَّمَا يَقْتُلُ الْقَائِلِينَ بِهِ بِظَوَاهِرِ أَلْسِنَتِهِمْ، الْمُخَالِفِينَ لِأَوَامِرِهِ بِالنَّهْيِ عَنِ الْفَسَادِ الَّتِي جَرَتْ عَلَى لِسَانِ حَدِّهِمْ وَقَبْلَتِهِمْ.

فهذا هو الوقت الذي يتساوى فيه في طلب الإقدام، ويكون القائم على كل نفس بما كسبت هو الهادي الإمام، لضعف الناصح لما أوجبه الوقت بين الفراعنة الأدياء، ورَهْبَةً لِمَقْتَضَى الزمان من قَتْلَةِ الحقِّ الخونة الأشقياء.

واعلموا أيها الإخوان أن كلَّ مَنْ ادَّعَا في هذا الإقليم أنه داعٍ مِنْ قِبَلِ العبدِ المقتنى فهو خارج عن أمره وأمر وليِّ الدين، ومارقٌ من جملة العصاة الفسقة المعتدين. فَمَنْ ادَّعَا ذلك بعد الإنذار بالإمساك عن القول، فهو مضاف إلى دعاة الفترة المموهين، فلا طاعة لأحدٍ منهم على أحدٍ مِنَ المستجيبين.

فهذه الرسالة حجةٌ لي عليكم وحجةٌ لكم عليّ بين يدي ربِّ العالمين وإمام الموحدين. فقد تساوى في هذا الزمن الدعاة في هذا الإقليم من حيث الإمساك بالمدَّعيين. فلا أمر ولا نهْيَ لأحدٍ على أحدٍ غيرُ الإصلاح بين الموحدين، ولا فضلَ لأحدٍ على غيره إلا بما حَفِظَهُ من الحكمة وقام فيه بفرض الطاعة لهادي الخلق أجمعين، واصطنعهُ من الأفضال والأفعال الجميلة إلى إخوانه المحقِّين، بعد الإدمان على المذاكرة بما ارتضوا به وحفظوه عن ثقةٍ من الحقِّ اليقين، والدوام على ما يزيدوه من الأفعال الجميلة إلى إخوانهم، والطاعة لمن أمرهم بطاعته إمام زمانهم.

فَمَنْ كان من جهة العبدِ المقتنى من جميع مَنْ يقولُ إنَّهُ من الدعاة المنصوبين، مستمِعاً لهذا القول داخِلاً في جملة الإخوان المستجيبين الموحدين، لا يرى لنفسه ميزةً على أحدٍ من الإخوان، إلا بما اكتسبه لنجاة نفسه من الحكمة والبيان، فَهُوَ أَخٌ من جملة الإخوان، ومسئولٌ له بعد الاعتراف بالتوبة الصحيحة في العفو عما سَلَفَ من السَّهْوِ والعُدوان.

ومن لم يَقْبَلْ منهم هذا الشرطَ ولم يَدْخُلْ تحت هذا الأمر فقد خرج عن طاعة حجةٍ وليِّ الزمان. وجميعُهُم ما داموا على العصيان أبوابُ السَّخَطِ وليسوا أبوابَ الرحمة، لقيامهم على الحدِّ الذي أنعم عليهم وفوض إليهم ما

أيده به ولي الحق من العلم والحكمة، وفضلهم من حيث أظهروا الطاعة واختصهم بالخدمة، وجعلهم في المواضع المعروفة لإصلاح الأمة، فأوطوا لمن تولوهم غارب الخيانة والفسق والفساد، وأطلقوا عليهم بقبيح السياسة السب والقذف على ألسن جميع الخلق وسيوف الأضداد.

فلما كتب ينهاهم عن المناكر من أمروا بطاعته قاموا عليه بالبلس والشيطنة وسقوه، وخرج الخائب الناكث إلى أجلافه قاصدا فسقاهم من سم نجسه الذي ألقوه، ووثبهم على الشيخ الثقة المرسل لتأديبهم ذي النفس الزكية غدا فقتلوه. وأمر من استن لهم بكتب محاضر زور ليتعين رجوعهم عن الحق بمساعدته بالكذب على الله ووليّه يساهمونه، ورجع خاسئا بنيتة إلى الشام متنكسا إلى أشكاله صارخا إليهم في الشطن ليعضدوه، وانفتحت آراؤهم واجتمع هو وهم بالخلاف على نحت صنم بأيديهم ليعبدوه، واتخاذ عجل جسدأ بأهوائهم له خوار ليموهوا به على من قبل فسقهم ويضلوه.

والله يشهد أنهم من التدابر والتنافر عن الحق ووليّه بخلاف ما يظهره، وأن قلوبهم في الدين شتى وهم على الباطل مجتمعون، وبعضهم لبعض عدو وهم لأنفسهم بأنفسهم يمكرون، والكل منهم يظهر المقة لصاحبه رياء لمن يخدعه وهم يكذبون، ليحملون أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ألا ساء ما يزدادون، إرتدادا عن الدين لغلبة الرآن على قلوبهم وجهلا بالحق ومراسمه وسبله، واقتفاء بالطبع الخبيث لمأثر إبليس في غيه للأمم وحيله، وجريا على سنن زخرفه إضلالا للعوالم بمد حباثله وتقليد ملله.

فهذه صفات من شرد عن الحق وأوغل في كفر النعمة فظهرت سريرته، ودام على النفاق والدلد مفترعا للنكت ولم يتب عن جهله فعميت بعد البصر بصيرته.

فقد قدمت لكم من بضع سنين ذكر هذا الزمن في وقت الإمكان، ومحضت الحق للكافة، ولم ألهم نصحا في السر والإعلان.

وجميع ما أيّدني به من الحكمة وتفضل عليّ به مولاي قائم الحق وليّ الزمان، فقد أدرجت في منشور كل رسالة منه ما يعجز من تأمله إذا نظر إليه بعين النصف من الإيضاح والبيان، وعيّن بتوفيق مولاي في ذلك الوقت ما آل إليه حال من أظهر الخدمة فيما مضى ونكث في هذا الأوان، ورجع بعد إقامة الحجة عليه وخرج إلى الإنكار والطغيان.

فوحق الحق من رجع عن الحق فيما مضى وسلف من دور السستر والامتحان، لا عذر عندي ممن نكص على عقبيه في دور الكشف بعد تحقيق الدلائل والبرهان، وإن كانوا أولئك هم هؤلاء وإنما تكرروا في أجسام النكث ليتعيّنوا في يوم الجزاء بالكذب والبهتان.

وجميع الرسالة الموسومة بالحقائق في تأديب جميع الخلائق^(١) تشهد بذلك وقد سارت بها الركبان، في جميع الآفاق والبلدان، فمن بعض ما أدرجته فيها إيقاظاً للأمم من غفلتهم وإنهاضاً في الطاعة للطهرة الإخوان، وهو أيها الإخوان فاغتنموا زمان الإمهال، وتقرّبوا إلى وليكم بصالح الأعمال، قبل طي الصحائف وجفاف الأقلام، وغلق أبواب الرحمة وختم الأفواه وقطع الكلام، وقبل فتح أبواب السخط على من بارز بالعناد والانتقام. فهذه أوائل العلامات لقيام الحافظين الأشهاد، وأبين الآيات لظهور النبا العظيم الهاد.

أيها الإخوان قد أبلغت لكم في الموعظة والنصيحة^(٢)، وبيّنت وأرشدت بالبراهين المقنعة الصحيحة. وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين؛ والتوكّل على وليّ الحق وبه أستعين.

(١) رقم ٥٧.

(٢) رقم ٨٧.

وأيضاً ممّا أدرجته في الموسومة بالإيقاظ والبشارة^(٣) في الفرق بين مَنْ تَمَرَّدَ عن الحقّ وطغى، وبين مَنْ عَنِ المعاصي ارتدع وانتهى. وهو تتعالى مباني الحقّ بحركات العناصر الدّينية لإيضاح شُبّه المدّعين في الفرق بين الجرميّة الكُتَيْفِيّة الطّبيعيّة الوُضِيعيّة، وبين المعاني اللّطيفة النفسانيّة، وإظهار عقائد الأنفس النّجسَة الدّعيّة، ليكون الثّواب والعقاب موجودين بفائض العدل للأعين الشّحميّة، ولتقوم الحجّة على العوالم بمعارف أنفسهم بالحقائق العقليّة.

فهذا وأمثاله مدروّج في رسائل العبد المقتنّى لكشف هذه الآيات، والشّهادة هو وَمَنْ تَبِعَهُ عَلَى مَنْ نَكَّثَ وَخَرَجَ عَنِ الْعَدْلِ عِنْدَ خَرَقِ الْعَادَاتِ.

وهذه الرسالة فهي إنذارٌ لجميع مَنْ طَلَبَ مَسْلَكَ الْحَقِّ وَاقْتَفَاهُ، وإقامة الحجّة على مَنْ سَمِعَ هَذَا الْبَيَانَ وَأَرْقَى إِلَيْهِ مَعْنَاهُ.

واعْلَمُوا أَيُّهَا الْإِخْوَانُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَقَامَ عَلَيْكُمْ حُجَّةَ الْعَيَانِ، اذْ لَمْ يَعْدُمَكُمْ مَنْ يَعْرِفُكُمْ مَجَارِي الْأَزْمَانِ، وَأَوْقَاتِ الْفِرَاعَةِ الْمَدْلُوسِينَ فِي الْأَدْيَانِ.

وَلَا بَدَّ أَيُّهَا الْإِخْوَانُ مِنْ فِتْرَةٍ يَبْلُو اللَّهُ فِيهَا بَقِيَّةَ أَهْلِ الْحَقِّ لِيَنْظُرَ أَيُّهُمْ أَحْسَنَ قَبُولاً وَعَمَلاً. وَمَا بَقِيَ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ فِي هَذَا الْأَقْلِيمِ عَلَى اللَّهِ وَوَلِيِّهِ وَلَا عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبِيدِهِ الطّائِعِينَ حُجَّةٌ يَقِيمُوا لَهُ فِيهَا مِمَثُولاً وَلَا مَثَلاً. وَمَتَى رَدَّ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ قَوْمٌ هُمْ دُونَ قَائِلِهِ فِي الْمَنْزِلَةِ الْمَمْنُونِ بِهَا عَلَيْهِ مِنْ فَضْلِ صَاحِبِ الْأَمْرِ أَهْلُكُهُمُ الْحَقُّ وَأَنَا هُمْ الْعَذَابُ قَبْلاً.

وَأَنَا الْعَبْدُ الضَّعِيفُ مَعْدُورٌ لَغَلْبَةِ الشَّيَاطِينِ فِي السِّيَاحَةِ وَالْهَرَبِ إِلَى وَلِيِّ الزَّمَانِ وَالْإِسْتِغَاثَةِ إِلَيْهِ، مُسْتَحْكماً عَلَى مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الْحَقِّ وَظَلَمَنِي مُسْتَعِدّاً عَلَيْهِ وَمَعْتَمِداً فِي يَوْمِ الْجَزَاءِ عَلَيْهِ، كَمَا هَرَبَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَمْلِيخِيَا

من ظَلَمَ زنادقةَ اليهودِ فعصَمَه الباري من أفكِهِم بظُلِّ صَوْنِه ونجَاه، وأنا
فيما أنا عليه من الضَّعْفِ والقصور والأناة، قد أقمتُ الحجةَ كما وُقِّتُ،
وَوُقِّيتُ الواجبَ لمن استحقَّه وأفضلتُ على مَنْ غَمَطَ الحقَّ وأقامَ إلى أهله
الفِتْنِ وعَفَاه، وأَقْلَبَ إلى الدِّينِ ظَهْرَهُ وأدْبَرَ عنه إلى الباطل وتولَّاه.

اللَّهُمَّ فَإِنَّ العبدَ الصَّغِيرَ، والمملوكَ الضَّعِيفَ الحَقِيرَ، يستصغرُ قَدْرَ
نفسه عند جليلِ إنعامِكَ لَدَيْهِ، وهو متوسِّلٌ إلى كَرَمِكَ يا مالِكَ الدِّينِ في إِيْزَاعِ
شُكْرِكَ لِمَا مَنَنْتَ بِهِ عليه، ونَبْرًا إِلَيْكَ يا وَلِيَّ الحقِّ ممَّا أحدثته شياطينُ الفِتْرةِ
من العَيْثِ والفسادِ، وممَّا اخترصوه على أهلِ الحقِّ وأوثغوا به الدِّينَ من
الضلالِ والإلحادِ.

اللَّهُمَّ فَإِنِّي مستعينٌ بقوةِ سلطانِكَ على بَلْسِ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ وشيطانٍ
مُضِلٍّ غَوِيٍّ رَجِيمٍ، جاحِدٍ لِيَوْمِ العَرَضِ والحسابِ، منكراً لظهورِ صاحبِ
الثوابِ والعقابِ.

اللَّهُمَّ فَإِنِّي أعتصمُ بظُلِّ صَوْنِكَ مِنَ التَّلَبُّسِ بهم وحفيظِ حَمَائِكَ،
وأُذِرُّ بِكَ في نُحُورِهِم كما غَمَطُوا نِعَمَتَكَ وقاموا بالكذبِ على حدودِ دينِكَ
وأوليائِكَ.

اللَّهُمَّ فافرقْ بيني وبينَهُم فقد أَلْحُوا في العنادِ وألْغَوْا، واستمروا في
السَّفَهِ والاعتِرارِ والعُتُوِّ. فَمَرَضُ نفوسِهِم فدُ اغْلَظْ عن الدِّواءِ، وداءُ ضلالَتِهِم
قد أعجزَ لتمكُّنِهِ عن البرِّ والشِّفاءِ، فلم تنجُ فيهِم دراسةُ الحِكمةِ وحِفْظُ
العلمِ، لِغَلَبَةِ التَّمَرُّدِ عليهم والارتدادِ والبَلْسِ والظُّلمِ، ولم يتَّعْظُوا بالآياتِ
المُحْكَمَاتِ، ولا انزجروا بمعجِزِ الحقائقِ المُبْهِرَاتِ؛ فهم لا يَرْجُونَ لِلَّهِ وقاراً،
ولا يَقُونُ إلى الحقِّ إِلَّا عِنَادًا لِأَهْلِهِ وَأَضْرَارًا.

اللَّهُمَّ فَمَنْ تَبِعَنِي من كَافَتِهِمْ بعدَ سَمَاعِ هذه الرسالة بقولٍ أو فعلٍ

مستعلما لي خبراً، أو اقتفى لي في إقامة أو مغيب طريقاً لفحص أو تأثر لي
 أثراً، فهو بريء من باري المبروءات، وجاحد لجبار الأرض السموات،
 ومخالف للقائم على النفوس بالجرائم المكتسبات، وغضب الله عليه ولعائنه
 المختزنة في أشأم الفطر إلى أبعد الغايات.

أنت الحاكم يا مولاي بيني وبينه. يا من لا يظلم مثقال ذرة لأحد، ولا
 لمن ظلم منه ملجأ ولا ملتحذ.

وأنا أستودع أهل الوفاء والصدق، لله العالم بضمائر الخلق، القاضي
 بالفلج والغلب على رغم أنوف الجحدة للقائم الهادي ولي الحق.

وهو حسبي ونعم النصير المعين لمن توكل عليه ولم يخرج عن طاعته
 وأخلص له بقول الصدق.

تمت بحمد الله ذي الفضل والإحسان.

من دونه قائم الزمان

وَالْهَادِي إِلَى طَاعَةِ الرَّحْمَنِ

هذه «مقالة» في عقيدة الموحدين، كتبها بهاء الدين بأسلوب شيق واضح. يدل فيها على «ظهور» الله في البشرية، وضرورة هذا الظهور، والأدلة العقلية المنطقية والأهوتية على أهمية التجلي الإلهي عبر الأدوار. ويدل أيضاً على ضرورة التقمص وانتقال الأرواح من جسد بشري إلى جسد بشري آخر، ورفض كل قول بـ «النطق»، أي بأن تتذكر النفس حالتها السابقة وتنتطق بها... وإلى ما هنالك من عقائد درزية هامة، إلى درجة أننا نستطيع القول بأن هذه المقالة هي موجزٌ للعقيدة التوحيدية.

فما كان من صواب، وجزالة خطاب، فببركاته والتمسك بحدوده وآياته. وما كان من خطأ أو زلل فمن عجزى وتقصيري.

فأقول وهو الموفق للرشد: المولى حسبي ونعم النصير المعين، وعليه توكلتي وبه في جميع الأمور أستعين :

إن الأشخاص الروحانية إنما مع العالم منها أسماء يتوهموها ولا يتحققوها، لأنهم يزعمون أن ثمَّ عالماً بسطياً روحانياً لا مدروك ولا محسوس ولا يُحدُّ بشيءٍ من الحواس. فما لا يصحُّ موهومٌ معدوم. فأَيُّ

صورة تتحقق لمن يعتقد هذا الاعتقاد الفاسد، وهو في اعتقاده لأهل الحقيقة معاند. وأيضاً فأنا وهم مجتمعون على أن العالم الروحاني أفضل الأشياء كلها.

فيا ليت شعري ما نفعهم من تفضيلهم، وهم كما يزعمون، جواهر معدومة لا حقيقة لها، وإنما تصح الأشياء بحقيقتها إذا ظهرت رجال هم للعالم كمثال الروح في الجسم، يسخروهم ويستعبدوهم ويفهمون منهم كفعل اللطيف في الكتيف، يسخره باختياره، ويستعمله في جميع الأمور بإيثاره.

وأيضاً فإن الخلق مجتمعون أن الباري جلّت قدرته عادل. فأني عدل يقتضي أن يكون العالم الروحاني، كما يزعمون، جواهر بسيطة لا محدودة ولا مدركة، ثم يكلف العباد معرفتها، وما في وسع أحد من العالم يفهم ولا يبصر ولا يتعلم إلا من صورة حية ناطقة مميزة. فأني عدل يقتضي إعدامهم، وهم قوام أمر العالم كله، ولا بقاء له إلا بهذه الأشخاص.

فقائم الزمان والهادي إلى طاعة الرحمن، هو أمر المولى جلّ ذكره الذي أمر الأشياء أن تكون فكانت؛ والأشياء فهم أهل التوحيد لأنهم لم يكن لهم حقيقة صورة إلى أن كونهم قائم الزمان، عليه من المولى أفضل التحية والسلام.

والجواهر العقل والنفس أشخاص بين يديه رجال ينطقون ويفهمون، وبهم قوام أمر العالم كله الروحاني والجسماني، لأن الروحاني بهم وبمعرفتهم ارتقى هذه المنزلة العظمى وهي رتبة التوحيد، والعالم الجسماني هم مدبروه بأمر المولى جلّ ذكره. فلمولانا جلّ ذكره يعبد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً.

فمن هذه الجهات التي ذكرتها وجب أن تكون الأشخاص الروحانية رجالاً علماء بجميع الأشياء فهماء. ولولا ذلك لم يكن للأشياء حقائق، وكان العالم سوفسطائية يزعمون أن الأشياء لا حقائق لها.

ومما يدل على التنزيل والتأويل أن لا حقيقة في أحدهما، بل الحق في القسم الثالث، بأنه لا يصح ظاهر التنزيل إلا بالتأويل الباتة. وهما متضادان لا يتفقان في معنى. ولا يصح أيضاً من التأويل لفظة واحدة إلا بالتنزيل. فقيام أحدهما بالآخر وبتضادهما. صح عند العارفين أن لا حقيقة لهما.

وأيضاً فإن التأويل ليس هو على وجه واحد ولا على طريقة واحدة. والحق لا يكون إلا في وجهة واحدة. والتأويل أيضاً ما له غاية يقف عليها وكل شيء تسلسل في طرد الغاية إلى ما لا نهاية له كان باطلاً. فصح أن الحق في معرفة علم له محصول، وغاية تقف دونها العقول. وهو المولى جل ذكره الذي ظهر لخلقه بخلقه ظاهراً مكشوقاً لعبيده العارفين به.

وحدوده أشخاص رجال يأمرون وينهون، ويعلمون ويفيدون. فإذا أصابوا قال لهم مولانا ومولى كل مولى قد أصبتم. وإن أخطأ مخطئ قيل له أخطأت. فهم من أمرهم على يقين. وكذلك من تبعهم من الموحدين الفائزين على يقين من أمرهم.

وجميع العالم على شك، والشك هو الكفر، لأنهم يعبدون من لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع. ولا يدرون هل عبادتهم مراده أو أراد منهم شيئاً مما أجازته عقولهم، ولم توعه لعلتها أفهامهم. وهذا نفس الشك نعوذ بالمولى منه.

وأيضاً فقد تقدم القول بأن الولي جل ذكره عادل غير جائر تعالى وجل عما يقولون الملحدون علواً كبيراً. فأي عدل يقتضي أن يكون فوق سبع

سموات على كرسيٍّ فوق السماء السابعة، كما يزعمون المشركون، وقد كَلَّفْنَا مع هذا عبادتَه ومعرفَتَه. فهل في وسع أحد من العالم أن يعرف ما خَلَفَ الجدار الذي هو أقربُ إليه من كلِّ قريب، إن لم يكشف عنه وينظره بعينه ويصحِّح بقلبه وإلا فلا يعرفه. فنعوذُ بالمولى إلى أن ننسبَه أنه احتجبَ هذه الحجة، ثم كَلَّفْنَا مع ذلك عبادتَه ومعرفَتَه. بل قد ظهر تعالى بهذه الصورة الناسوتية التي تُشاكلنا. هذا من حيث المجانسة والمقابلة. فهذا نفس العدل.

وجه آخر. إن ابن آدم غرضُ الباري من جميع الخلوقات لأن جميع العالم العلوي والسفلي له ومن أجله. فلما صحَّ عند ذوي العلم، والمعرفة والفهم، أن ابن آدم أفضلُ الأشياء كلها، وجب أن يحتجبَ الباري جلَّت قدرته في أجلِّ الأشياء، لأن ضدَّ أجلِّ الأشياء أقلُّ الأشياء، وضدَّ العالم الجاهل. فنعوذُ بالمولى من سوء اعتقاد من يعتقد أنه في الأموات الجهال الذي لا تُبصر ولا تسمع، ولا تضر ولا تنفع.

وأيضاً فإنَّ العالم كله ما اختلفوا في أن الباري قادر. فأين قدرته لو غاب الدهر كله لا يظهر. أليس يكون قد عجز عن الظهور؟
وأيضاً فلو ظهر الدهر كله ثم لم يغيب لعجز عن الغيبة.

ولو ظهر في كلِّ الظهورات بصورة واحدة وعلى حالة واحدة لكان ذلك عجزاً. فأَيُّ إله لمن يدَّعي أن له إلهاً غائباً عاجزاً عن الظهور. وليس من صفة القادر العجز. فالمولى جلَّ ذكره إله الأولين والآخرين، قادر في جميع الأحوال: غاب وظهر، بظهورات مختلفات الصور، لأنه جلَّ ثناؤه في ظاهر الأمر ظهر في حدِّ الطفولية ثم الكمال. ثم إنه جلَّت قدرته اعتلَّ جسمه في ظاهر الأمر لئلا يكون عاجزاً عن ذلك. فمن هذه الجهة صحَّ أن العجز من القادر قدرة.

وأيضاً فلو غاب ولم يظهر لما تحقق المعبود، ولا صح ما أشارت إليه الحدود.

ولو ظهر ثم لم يغب لكانت العبادَةُ جبراً وقسراً، ولتساوى في ذلك أهل الأرض حتى لم يختلف فيه اثنان، وكان ذلك عجزاً منه، في الخلقة، إذا كان العالمُ كلُّهم علماء ليس فيهم جاهلٌ، وكلُّهم موحدون ليس فيهم مشركٌ، ولكان العالمُ مجبراً لا مثاب ولا معاقب، لأنَّ المجبرَ لا مثاب ولا معاقب. وهذا نفسُ العجزِ إذ لم يقدرْ على إظهارِ العالمِ والجاهلِ، والناقصِ والفاضلِ، والشيءِ وضده لِتكمُلِ القدرةِ وتتمَّ الحكمةُ، ويتحقَّق المعبود، وتظهر جميعُ الحدود، أهل التوفيق والتسديد.

وفي ذلك يقول العالمُ :

ظَهَرَ الإِلَهُ بِالصُّورَةِ الْمُرْتِيَةِ عَدْلًا وَمَنَا لَيْسَ فِيهِ خَفِيَّةٌ

وله أيضاً في هذا المعنى يقول :

مَا كَلَّفَ الْمَوْلَى لِكُلِّ عِبَادِهِ شَطَطًا وَأَمْرًا مَا لَهُ تَحْصِيلُ

بِعِبَادَةِ الْعَدَمِ الْبَعِيدِ وَجَوْرِهِ مَا إِنَّ لَهُمْ بِوُجُودِهِ تَمَثُّلُ

بَلْ قَدْ تَجَلَّى لِلْعِبَادِ بِأَسْرِهِمْ وَأَتَاهُمْ التَّحْرِيمُ وَالتَّحْلِيلُ

وأيضاً فقد صحَّ عند كلِّ ذي عقل، ومعرفةٍ بالحقِّيقة وفضل، أنَّ المولود لو كان أبواه أحرسان لا ينطقان، ثمَّ لم يسمع من غيرهما كلاماً كان أحرس لا ينطق. وإذا كان أبواه ناطقين كان ناطقاً. فإذا اطردنا المعلول في العلَّة لا بدَّ من مُعلٍّ لجميع الأشياء لا يتجاوزُ حدَّه. والصورة لا تُقبلُ إلا من صورة. فصحَّ أنَّ المبدعَ جلَّ ذكره ظهرَ في القِدَمِ بهذه الصورةِ المرثيَّة للمقابلةِ والمجانسة.

وكذلك في جميع العلوم والصنائع إذا اطردت المعلول في العلة لا بد من نهاية تقف عليها. وذلك النهاية هو مولانا جل ذكره. والدليل على ذلك أن ليس على وجه الأرض أحد يحدث صنعة من ذاته إلا أن يكون قد سبق إليها غيره، أو إلى ما يجانسها ويشاكلها.

فمن هذه الجهة وجب أن يكون للأشياء أصل واحد تأول إليه، وتؤول عليه، وهو المبدع تعالى وجل عما يقولون الملحدون علواً كبيراً.

وأدل دليل على إمامة قائم الزمان أنه أتى بضد العالم، لأن جميع النطقاء والأسس وأصحاب الأدوار والأكوار أشاروا إلى عدم موهوم وأبعدوه عن حواس العالم.

وإن قائم الزمان والهادي إلى طاعة الرحمن، عليه من المولى السلام، دعا إلى موجود ظاهر، وإله في جميع الأمور قادر قاهر. فكل من دعا إلى الحاكم المعبود، الإله الموجود، فقد أنصف من نفسه. وكل من دعا إلى العدم الموهوم فقد طلب الرئاسة لنفسه. وهذا بين ما فيه على عاقل مؤنة.

ووجه آخر أنه أظهر أغراضه في دفعة واحدة. وقد علم أهل الشرق والغرب أنه دعا إلى توحيد مولانا جل ذكره. ثم بعد ذلك خيروا العالم ومكّنوا من أديانهم واطهارها. فصح أن ذلك لأهل التوحيد خاص ومن أجلهم لا للجهال المشركين، لأنه لو كان للجهال المشركين لوجب أن يكون قد سبقت به العادة من قبل ظهور قائم الزمان، ومن تبعه في هذا الأوان.

وأيضاً فإن في عمارة الكنائس وإزالة حمل النصارى للصلبان، وعزهم على المسلمين في كل مكان، أدل دلالة على أن الإسلام قد اضمحل وبطل، وأن الحق قد أثار واشتعل. والحق هو توحيد مولانا جل ذكره الحاكم بذاته، المنفرد عن مبدعاته. فكل من سبق إليه من جميع الخلق نجا، ومن

تَخَلَّفَ عَنْهُ عَطِيبٌ وَغَوَى. فَيَا عَجَباً كُلَّ الْعَجَبِ مِنْ قَوْمٍ هُمْ عَنِ السَّمْعِ
مَعزُولُونَ، وَمِنْ الْحَقِيقَةِ بِتَوْحِيدِ مَوْلَانَا جَلَّ ذِكْرُهُ نَافِرُونَ، وَعَلَى أَصْنَامِهِمْ
وَأَعْدَامِهِمْ عَاكِفُونَ.

وفي ذلك يقول العالم :

فيا عجباً من فعل قوم تخلفوا	عن الحق لما أصبح الحق قد ظهر
وأعجب من هذا وذاك عبادة	لمن غاب من طول الزمان واستتر
ولو كان فيه قدرة كان ظاهراً	فيا لك من أمر عجيب لمعتبر
فلما أتى التوحيد والقدرة التي	بها عقل كل العالمين قد ابتر
وصح بأن الحاكم العدل واحد	رؤف رحيم بالخلقة والبشر
تخلف قوم ما لهم من بصيرة	وقد سبق القوم الذين هم الغرر
أليس عجيب في الكنائس والذي	أعز النصاري بعد أمر قد احتقر
يُنَبِّه أفكار العباد بأسرهم	بأن ليس حقاً غير طاعة مشتهر
إله البرايا جل عن كل ملحد	هو الحاكم المولى فخار لمن فخر
ففخري به طول الحياة وإنني	مطيع لحد الحق فيه ومنتظر.

وَلَعَمْرِي إِنَّهُ مَا تَعَجَّبَ إِلَّا مِنْ عَجَبٍ مِنْ قَوْمٍ قَطَعُوا الْمَفَاوِزَ، وَلَقُوا فِي
سَفَرِهِمُ الْهَزَاهِزَ إِلَى بِلَدٍ لَمْ يَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفَسِ قَصْداً إِلَى حَجَرٍ
أَسْوَدَ، وَبَيْتٍ جَلَمَدٍ، لَيْسَ فِيهِ حَيَاةٌ وَلَا نُطْقٌ. فَأَيُّ عَجَبٍ أَعْجَبُ مِنْ قَوْمٍ هَذَا
فَعَلُهُمْ. ثُمَّ إِنَّهُمْ أَنْكَرُوا عَلَى هَذِهِ الطَّائِفَةِ النُّورَانِيَّةِ الْمُضِيَّةِ، أَعْنِي أَهْلَ التَّوْحِيدِ،
عِبَادَةَ الْوَاحِدِ الْمَجِيدِ، الْحَاكِمِ عَلَى كُلِّ الْأَشْيَاءِ شَهِيدٌ.

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا نَفَعُهُمْ مِنْ تَقْبِيلِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ؟ وَمَا اكْتَسَابُهُمْ
مِنَ الْفَوَائِدِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْعُلُومِ الْحَقِيقِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ؟ هَلْ فَعَلَهُمْ إِلَّا كَفَعَلَ النَّصَارَى
فِي الصَّلِيبِ؟ بَلْ هُمْ أَشَدُّ عُتُوءًا، لِأَنَّ الصَّلِيبَ مَوْجُودٌ فِي كُلِّ الْبِلَادِ، وَالْحَجَرُ
الْأَسْوَدُ يُسَافِرُونَ إِلَيْهِ أَهْلُ الضَّلَالَةِ مِنْ جَمِيعِ الْعِبَادِ.

وقبلُ وبعْدُ فإنَّما عَظَّموه إكراماً بزعمهم لنبيِّهم. أليسَ مَنْ قامَ مقامَ نبيِّهم في كلِّ عصرٍ وزمانٍ أحقُّ بالتفضيل والإكرام والتبجيل؟ أليسَ هذا في العقول مستحيل؟ بأنَّ قومًا طلبوا إلَهُهم طولَ أعمارهم، لم يصحَّ لهم منه إلاَّ أسماءٌ إذا كُشِفَ عنها لم يُوجدْ لها حقائقٌ إلاَّ بوجودِ صورةٍ حيَّةٍ ناطقةٍ مميّزة.

فلَمَّا ظهر لهم المعبود، وصحَّ ما أشارتُ إليه الحدود، أبوا واستكبروا وقالوا إنَّ هذا إلاَّ بَشَرٌ مثُلنا. وغرَّهم بالمولى جلَّ ذكره الغرور. ثمَّ أظهروا العداوة والبغضةَ لأهل التوحيدِ فعلَ الحسادِ، وذِي الدناءةِ والأنكارِ، كفعلهم في الأزمانِ المُتَقَدِّمةِ والأدوارِ الماضيةِ.

أليسَ أعظمُ الأرباحِ لكلِّ العباد، ومن يسافرُ في الأقطارِ والبلاد، من أهل الدنيا والدين، ومَنْ كُشِفَ عن الحقائق والتبيين، أنْ يأتِيَهُم رِزْقٌ رَغْدٌ بغير رأسِ مال، فيكون ربحًا من جميع الوجوه والأحوال. وهذا نهايةُ ما يُطلَب، ومَجْهُودٌ ما يُكْتَسَب، أخذُ شيءٍ بغيرِ تركِ شيء.

وأنتم معشرُ أهلِ التوحيدِ والتوفيقِ والتسديد، قد عرفتُم إلهكم، وغيرُكم من الخلقِ منكرون، وربحتُم معرفتَه وغيرُكم من الناسِ خاسرون، لأنَّ جميعَ أهلِ البصائرِ والفضائلِ والمآثرِ علِموا أنَّهم كانوا في عبادةِ العدم الموهوم على أعظم خسارة. فلَمَّا تجلَّ مولانا جلَّ ذكره للعباد، أهلِ التوفيق والرشاد، علِموا أنَّه قد مَنَّ عليهم بمعرفته ولم يُخلِّ شيئًا، لأنَّه ما كان لا يُحدَّ ولا يُوصف ولا يُدرك بشيء من الحواس، فأحرى أن لا يكون شيئًا.

وممَّا تُنبِّئُه العقول، ولا يخالفُه إلاَّ مُوسِسُ جهول، أن ابنَ آدمَ غرضُ البارِي من جميع المخلوقات، وأنَّ جميعَ العالمِ العلوي، أعني الفلك وما فيه من المدبَّرات والأسْتَقْصَّات، والعالم السفلي وما فيه من الحيوانات والنبات، كُلُّهُ لابنِ آدمَ ومِنْ أَجْلِهِ. فأَيُّ حكمةٍ توجب أن يكونَ غرضُ البارِي

من جميع المخلوقات يضمحل ويذهب ولا يرجع، والخادم له باقي ما بقي الدهر: أليس لو نسبنا الباري، والعائد به إلى ذلك، لنسبناه إلى أعظم العجز أن يبقى الخادم ويضمحل المخدم.

أليس قد صح عند كل ذي عقل، ومعرفة بالحقيقة وفضل، أن هذه الأشخاص، أعني عالم السواد الأعظم، لم يتناقصوا ولم يتزايدوا؛ بل هي أشخاص معدودة من أول الأدوار، إلى انقضاء العالم والرجوع إلى دار القرار؟

والدليل على ذلك أن هذه الخلقة، أعني العالم العلوي والسفلي، ليس لها وقت محدود، ولا أمد عند العالم معدود. أليس لو زاد العالم في كل ألف سنة واحداً لضاقت بهم الأرض؛ ثم إنه لو نقص في كل ألف سنة شخصاً واحداً لم يبق منهم أحد؟

فصح عند كل ذي عقل راجح ومن هو بالحقيقة لنفسه ناصح، أن الأشخاص لم تتناقص ولم تتزايد؛ بل تظهر بظهورات مختلفات الصور على مقدار اكتسابها من خير وشر لأنه قد سبق في القول أن الخلق مجتمعون على أن الباري قادر، فالقادر قادر أن ينعم في هذا الجسم قادر أن يعاقب فيه.

فإن قال قائل: فما لنا لا نعرف ما مضى من الأدوار والأحوال؟ قال له المحتج بالحقيقة، ومن سلك نهج الطريقة: أن لو ذكرت وعرفت لشاركت المبدع في غيب حكمته، ولكان ذلك عجزاً من الباري جلت قدرته؛ ونعوذ بالمولى من هذا. وكان أيضاً يفسد النظام، لأنك لو عرفت نفسك وما كنت عليه في الأدوار الماضية لعرفت غيرك، ولكنت أيضاً عارفاً بمبدعك الذي ردّدك في الأشخاص، ولو عرفته لعرفت جميع العالم كمعرفتك بنفسك، ولتساوى فيه العالم والجاهل، والناقص والفاضل، ولكان ذلك عجزاً في

القدرة من إظهار عالم ليس فيه جاهل، وناقص ليس فيه كامل، وإنما ظهرت القدرة، وتمت الحكمة، في إظهار العالم والجاهل، والناقص والفاضل، والشيء وضده.

وأدل دليلاً على أن من وحده في وقتنا هذا فقد وحده في سائر الأعصار، لما دعاهم قائم الزمان والهادي إلى طاعة الرحمن، عليه من المولى أفضل التحية والسلام، فأجابوا إلى ذلك وقبلوه وعرفوه ولم ينكروه، بأذهان حاضرة، وألباب في الحقيقة وافرة، بلا شيء من أمور الدنيا، بل لقوا من ذلك كل تعب ونصب من مقاساة الأضداد، ذوي الدناءة والأنكاد والحساد، وهم على ما هم عليه صابرون.

وأيضاً فإنهم يقولون ويعتقدون أن العالم كله في النار وأنهم في الجنة. فأبيّن من هذا الدليل بأنهم ذكروا فذكروا، وعرفوا فعرفوا. ولم ينكروا لما قد مضى من معرفتهم لذلك وإفهم له، وغيرهم من الجهال، الطغام الأرزال، قد تخلّفوا عن قائم الزمان، والهادي إلى طاعة الرحمن، عليه من المولى السلام. وقالوا إنه ادعى ما ليست له بحق، ونفروا من ذلك، وأبعدوا وكفروا واستغنى المولى وهو الغني الحميد.

فالنقمة تأتيهم عن قريب، ويحل بهم منها أوفر نصيب، إذ تخلّفوا عن باريهم وإلههم الحاكم المعبود، تعالى وجلّ عن جميع الحدود، وعن قائم زمانه الناطق في أيامه وأوانه، هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا وشدة جبروته وقدرته.

فاسمعوا معاشر الموحدين العابدين لرب العالمين، البريئين من شهادة الزور ومخالطة المشركين. فأنتم الملائكة المقربون، ومنكم الأنبياء المرسلون، جعلنا المولى وأياكم ممن وفق لطاعة الحدود، وعرف معناهم وإشارتهم إلى المعبود، إله البرايا الحاكم الموجود.

وَطَيَّبُوا نفوسكم، وارفعُوا رؤوسكم، فإنَّ المولى مَعكم هو وليكم
وقائِمُ زمانِه إمامكم ودليكم.

فأنتم خيرُ أناسٍ في خَيرِ أوان. وأفضلُ العالَمِ في أفضلِ زمان.
فعلِكم بطاعة حدودكم، ومعرفة معبودكم، تُرشِدوا وتُوفِّقُوا. والمولى على
كلِّ شيءٍ قدير. وهو حسبي ونعمَ المعين النصير في جميع الأمور.

تمت.

الْحُسُومَةُ بِرِسَالَةِ السَّفَرِ إِلَى السَّادَةِ

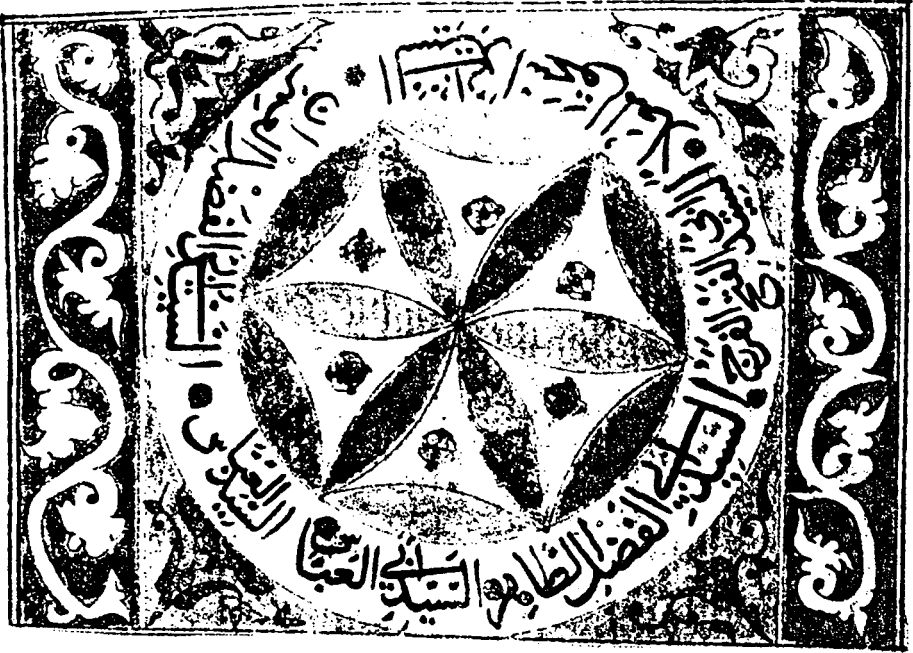
فِي الدَّعْوَةِ لَطَاعَةٍ وَلِيَّ الْحَقِّ الْإِمَامِ الْقَائِمِ الْمُتَنْتَظَرِ.

في هذه الرسالة يدعو بهاء الدين بعض مشايخ من العرب إلى عقيدة التوحيد وعبادة المولى والطاعة لولي الزمان حمزة. إلا أن معظمهم لم يكونوا يستجيبوا للدعوة؛ ويتهم العرب عامة بأنه «قد كثر فيهم الغدر وقلة الوفاء بالذمات». وقد أنزلوا جارهم، وخانوا الامانات... كتبت سنة ٤٣١ هـ.

توكلت على المولى الإله الحاكم المنزه عن التنزيه، وتوسلت إليه بعبد الهادي القائم بحقيقة التوحيد والتأليه. من العبد الناصح بهاء الدين، ولسان المؤمنين، وسند الموحدين، المقتنى الخاضع لطاعة الهادي القائم ماله ومولاه، والجنح الأيسر، الحد الرابع الأخير الأصغر، كما أمر من تفضل عليه وهداه،

إلى جميع من بالإحساء من السادات الطهرة المكرمين، الخلف سادات الأمم الدعاة إلى التوحيد المحققين السابقين الوارثين، لماثر أسلافهم الدعاة السفرة الموقنين، المقتفين لفضائلهم بأخذ الثأر لدماء الموحدين المظلومين الممتحنين، ومن بحوزتهم من الأولياء المؤمنين، الطهرة المسلمين، آل الصبر والتسديق والتسليم واليقين،

السلام على مَنْ وَفَّقَ التَّسْلِيمَ لإمامه الهادي ولي الزَّمان، وَكَشَفَ
عن بصيرته فَعَرَفَ حدودَ آياتِ التَّوْحِيدِ والْبَيَانِ والْبِرْهَانِ، وَاِهْتَدَى بِأَنْوَارِ
هُدَايَتِهِ وسَلِمَ مِنَ الزَّهْوِ والتَّكَبُّرِ على أَهْلِ الْحَقِّ والْعَدْوَانِ، وَرَحِمَةَ الْمَوْلَى
وَبَرَكَاتِهِ على إِخْوَانِي الْوَسَائِلِ إِلَى الْمَلِكِ الدِّيَانِ.



أَمَّا بَعْدُ، فَالْتَّوْحِيدُ وَالْإِعْظَامُ وَالْإِجْلَالُ وَالْإِكْبَارُ، وَالتَّقْدِيسُ وَالتَّنْزِيهُ
وَالْتَّالِيَةُ وَالتَّسْلِيمُ وَالْإِقْرَارُ، سُدْنَةُ لَطَاعَةِ الْمَوْلَى إِلَهِ الْحَاكِمِ الْجَبَّارِ، الْمُتَعَالَى
عَنْ دَقَائِقِ مَخْتَلِجَاتِ الْهَوَاجِسِ وَخَطَرَاتِ الْأَفْكَارِ، الْمَنْزَهُ فِي تَوْحِيدِهِ عَنْ
تَحْدِيدِ الْعُقُولِ الْجَارِيَةِ بِالْأَلْفَاظِ، وَالْمُقَدَّسِ فِي الْإِشَارَةِ إِلَى جَبْرُوتِهِ عَنْ اِكْتِنَاهِ
النَّوَظِرِ وَالْأَلْحَاطِ، الَّذِي جَعَلَ تَوْحِيدَهُ لِلْعُقُولِ الصَّافِيَةِ عَنْ تَحْدِيدِهِ عَجْزًا
وَأَقْرَارًا، وَامْتَحَانًا بظَاهِرِ نَوَظِرِ الْمَجَانِسَةِ مِنْ حَيْثُ الْمَوْجِبِ وَاخْتِبَارًا، وَإِقَامَةً
الْحُجَّةِ عَلَى نَفُوسِ الْعَوَالِمِ بِمَحْضِ الْحَقِيقَةِ إيجابًا وإعذارًا.

فالعجزُ والحقُّ قد أخذَا بأزِمَّةِ الطَّائِعَةِ إلى الاعترافِ بالوجودِ،
والبهتُ واللَّدُدُ قد أوقفا العاصيةَ على العدمِ والإنكارِ والجحودِ. فهيَ كليلَةٌ
لإيّاها سادِرَةٌ بينَ الحقائقِ والشكوكِ، معكوسةٌ متبرِّئةٌ من الزَكِيَّةِ المخلِصةِ
الملوكَةِ للوليِّ المملوكِ. فتعالَى المولى الذي جَعَلَ وَلِيَّهَ الهادي لكشفِ
مخبَّئاتِ الضمائرِ سببًا، والقائمِ عليَّ كلِّ نفسٍ بما كَسَبَتْ، فلنَ يُعْجِزَ طلبًا
جَلَّتْ آلاءُ مَنْ تعاضمتْ قدرتُهُ عن الإدراكِ، ودَبَّرَ بريَّتَهُ بما أوقعهم تحتَ
الطلبِ فيه وأحوجهم دونَ وَلِيَّهِ إلى الازدواجِ والإشراكِ.

أيُّها السادةُ المكرَّمونَ، فقابلوا أنوارَ الحقائقِ بجواهرِ النفوسِ،
ونزَّهوها عن التكبرِ والتأسِّي بهذا العالمِ المعكوسِ. فليسَلَفْكم الطاهرُ في
الدِّيانَةِ سوابقُ أعمالٍ فلا تُبطلوها، ومواقفُ جهادٍ في الحقيقةِ فلا تنكَّروا
عنها وتقطعوها، وأنسابُ في الإيمانِ المتقدِّمةِ صحيحةٌ فأحيوها وحققوها.

فقد أسَّسَهَا السَلَفُ المطهَّرونَ على حقيقةٍ من التوحيدِ والتبَيانِ،
وشَيَّدوها من الوطاءِ ومكارِمِ الأخلاقِ والرضى والتسليمِ على قوَّةٍ في
البنیانِ، بمساهمةِ المؤمنينَ الحَالِّينَ بِقُدُسِهِمِ والطَّائِرِثِينَ إِلَيْهِمِ من جميعِ
البلدانِ، ببيتِ كلمةِ التَّوْحِيدِ فيهمِ والمظاهرةِ بها لجميعِ أهلِ الأديانِ.

فاشتهرتْ في الآفاقِ ميامِنُهُم بتجريدِ التوحيدِ، وشُحِّوا من خَلْفِهِم
وحَدَّوا في الحقِّ حَدَّوَهُم في كلِّ زَمَنٍ بِبُرْدٍ جديدٍ. فما الذي ضَيَّقَ ما وَسَّعَهُ
الساداتُ من الأمنِ بِمَقَرِّهِمِ والعدلِ والإنصافِ واللَّطْفِ والاحتمالِ، على مَنْ
قطَعَ إِلَيْهِمِ الصَّعْبَ الشَّسِيعَ وصَبَرَ في طاعةِ هاديِ الأُمَمِ على التَّعَبِ
والمَسَاغِبِ والأهوالِ، يَحْمِلُ إِلَيْهِمِ صَحيحَ المعاني من معالمِ الهادي القائمِ
المنتظرِ، ويوضحُ بِمحلِّهِمِ مُحَكَّمَ آياتِ التَّوْحِيدِ وأسفارِ الزَّيْبِ.

فأَلَّا أَجْرِيْتُمْ مَنْ تَكْفَلُ بإيرادِ هذهِ الفضيلةِ والنعمةِ على جلالَتِها،
وَعَرَفَ معناها ووقفَ على شريفِ دلالتِها، ولا يسألُكم عليها أجرًا وهو غيرُ

ظنين، مَجْرَى مَنْ وَصَلَ إِلَى مَقَرِّكُمْ وَقَطَنَ بِنَادِيكُمْ مِنْ فِرْقِ الْأَفَاكِينِ
الْمَلْحَدِينَ، الَّذِينَ لَمْ يَنْهَهُمْ مِمَّا أَمَلِي لَهُ فَيَزْدَجِرُونَ وَيَخَافُونَ عَوَاقِبَ الْإِمْلَاءِ،
وَلَمْ يَصْغَوْا إِلَى مَنَادِي الْحَقِّ وَالرَّحْمَةِ فَيُفَارِقُونَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ نِكَالِ الْبِدْعِ
وَشَهْوَةِ الْأَهْوَاءِ، وَلَمْ يَظْهَرْ لَهُمْ بِنَاءُ الْقَصْرِ الْمَشِيدِ فَيَقْصِدُونَ هِدَايَتَهُ
وَيُفَارِقُونَ شِقَاوَةَ الْبِيدَاءِ، وَلَمْ يَسْمَعُوا قَوْلَ الْمُخْذَرِّ الْمُرْشِدِ فَيَنْتَهَوْنَ عَنْ
غَوَايَةِ بَعِيدَةٍ مِنَ الْانْقِيَادِ إِلَى حَقَائِقِ الْأَنْبَاءِ، بَلْ هُمْ أَحْلَامٌ بِهَائِمٍ ضَالَّةٍ فِي
خَلْقِ الْبَشَرِ، قَدْ خُيِّلَتْ لَشَهَوَاتِهِمُ الْفَاسِدَةِ وَقُلُوبِهِمُ الْقَاسِيَةِ مَا رَكِبَتْهُ
أَجْسَامُهُمُ الْعَاصِيَةُ بِلَحْظِ النَّظَرِ.

هذا وليس على أيدي السادة يدُ امرءٍ فيخافوه، ولا هم عندَ جميع
الأممِ بغيرِ دينِ التوحيدِ بالكفرِ مرجُومُونَ فَيَتَجَنَّبُوا إِذَاعَةَ هَذَا الْأَمْرِ
وَيَسْتُرُوهُ، وَلَا لَعْدُوهُ عَلَى بِلَدِهِمْ مَجَالٌ فَيُدَارُوهُ وَيَحْذَرُوهُ.

فما الذي أوجبَ رَدَّهُمْ لِسَمَاعِ حِكْمَةِ الْقَائِمِ وَهَذَا الَّذِي هُمْ وَالْأَسْلَافُ
عَلَى مَمَرِ الْأَزْمَانِ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ وَيَنْتَظِرُوهُ.

فإن كان السادة وحاشاهم قد تناسوا معالمَ التوحيدِ والإيمانِ،
وطالَ عليهم الْأَمَدُ لَتَكَرَّارِ الْعُصُورِ وَالْأَزْمَانِ، فَهَلَّا أُجْرِيَتْ الشَّيْخُ الشَّهِيدُ
مَجْرَى مَنْ وَصَلَ إِلَيْهِ رَسُولٌ مِنْ إِحْدَى سُلَاطِينِ الْبِلَادَانِ فَلَا بَدَّ مِنْ إِحْضَارِ
ذَلِكَ الرَّسُولِ إِلَيْهِ، أَوْ إِلَى أَكْبَرِ أَسْبَابِهِ إِذَا تَكَبَّرَ هُوَ عَنْهُ لِيَقِفَ مِنْهُ عَلَى جَمِيعِ
مَا أُرْسِلَ بِهِ لِيَجِيبَهُ عَلَيْهِ.

فهذه سياسةُ الدنيا لسلطينها المُتَرَفِّينِ.

وتالله إنَّ الْأَوَّلَى بِذَوِي الْأَقْدَارِ الْبَحْثُ عَنْ مَعَالِمِ الدِّينِ. أَللَّهُمَّ أَنْ يَكُونَ
هَذَا الزَّهْوُ وَالتَّكَبُّرُ، وَالْإِهْمَالُ لِلْوَاصِلِينَ إِلَى جِهَتِهِمُ وَالتَّجَبُّرُ، كَانَ لَضَعْفِ
مَعْلُومِ الْحِكْمَةِ الْمَنْصُوصَةِ فِي الرِّسَائِلِ، أَوْ لِقَلَّةِ جِزَالَةِ الْأَلْفَاظِ فِيهَا وَوَهْنِ
الْمَعَانِي وَالْمَقَاوِلِ، أَوْ لِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ إِقَامَةِ الْحُجَجِ الْمَوْجِبَةِ لَطَاعَةِ الْهَادِي

المنتظر بالبراهين والدلائل، أو يكونوا الوسائط تَخَلَّفُوا عن إيصال هذا الحال إليهم، فيألى ولي الأمر القائم المنتظر نتوسل في هدايتهم وإسبال نعمة التوحيد عليهم.

بل فَوَاسَفَاه على ملا من أهل الشرف تخلفوا عن هداية القائم بعد بيان الآيات لهم والحدود، ووقفوا عن طاعة القائم بعد الدعوة إليه والخنوع والسجود، وبعد حملهم لعداوات الأمم وحثهم على ممر الأزمان بكتب إمانه وأخذ عهد ينتظروه؛ فلمّا وردت معالم دينه صفواً إليهم من جهة حجته أهملوا رسوله وطردوه، بعد أن سلّم له عند سماع لفظه جماعة من المؤمنين وتحققوه وقبلوه، ومن قبل وصول الشيخ الرسول الطاهر إلى مقره انتقل على طاعة مولاه، ووصل ولده. وهذا بعض ما استدللنا به على بعض ما ذكره وحكاه. فأمن الناس واللّه في يوم الجزاء من قبل أوامر ولي الحق وسلّم، وتلقّى بالشكر ما أورد إليه من ماء الحياة وأنعم.

أيها السادة المكرّمون! فتنزّهوا بالفضائل عن التأسّي بأفاعيل الناس، وتميّزوا بشرف معالم القائم المنتظر عن أهل العناد لحدوده والشك فيهم والأياس. فقد ظهرت سرائر القلوب، وفلجت الحجة على أهل الظلم والحوب. فلکم أيها السادة المكرّمون قد فُتِحَ بابُ القصر المشيد، وترنمت فيه طيور الجنة بغرائب التسبيح ومعجز التوحيد، وفارت البئر المعطلة وجرت بالماء الرقيق الزلال، ونزحت البئر الزعقة المنسوبة إلى المسيح الدجال، المشوبة بالسقم الواردة على نفوس الجحدة بمعدي الأمراض، المخيلة لها جواهر الحقائق بمثابة الأعراض، الداخلة على جلائل المعلومات، الشريفة بعد وهن حاملها بالانحلال والانتقاض، الصادرة من أعداء المنتظر عن الخبث والبلادة وقلة الأرتياض، القاضي عليها بالعمى والصمم وبعد العلو بالانخفاض، الخالدة في قمص النجس بما اقترفته من اللد والنفاق،

وَاسْتَحْسَنَتْهُ فِي حُجَجٍ وَلِيَّ الْحَقِّ مِنَ الْكِذْبِ عَلَيْهِمُ وَالِاخْتِلَاقِ، وَاسْتَجَازَتْهُ
مِنَ الرَّدِّ لِأَوَامِرِهِمُ وَالْإِبَاقِ.

فَانْتَمَ أَيُّهَا السَّادَةُ الْمَكْرُمُونَ الْمُحِقُّونَ، غُرُرُ الْآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ، وَجَوَاهِرُ
الْغُصُونِ الْمُثْمِرَاتِ، وَالْخَلْفُ لِدَعَاةِ التَّوْحِيدِ الْمُنْفَرِدِينَ بِالطَّاعَاتِ، الْبَازِلِينَ
لِمَهْجِهِمْ فِي الْقَدَمِ صَوْنًا لَجَمَاعَةِ الْمُوَحِّدِينَ وَالْمُوَحَّدَاتِ، وَالْمُتَحَقِّقِينَ لِنَقْلِ
الْجَوَاهِرِ النَّفْسِيَّةِ عِنْدَ تَرَاجُعِهَا بَيْنَ اللِّسَانِ وَاللَّهْوَاتِ، الْوَارِدَةُ إِلَى الْمَلَأِ الرَّفِيعِ
عِنْدَ اسْتِكْمَالِهَا لَعُلَّ الدَّرَجَاتِ، الثَّابِتَةُ بِقُدْسِ الطَّهَارَةِ وَمَحَلِّ الْأَنْوَارِ، الظَّاهِرَةُ
بِظُهُورِ وَلِيِّ الْحَقِّ عِنْدَ تَمَامِ الْإِرَادَةِ وَكَمَالِ الْأَقْمَارِ، الْحَاضِرَةُ لِثَوَابِ الْمُحَقِّقِينَ
وَالشَّاهِدَةُ لِعِقَابِ الْفَسَقَةِ الْفَجَّارِ، جَزَاءً لِنِضَالِهِمْ عَنِ الْمُوَحِّدِينَ، وَتَبْرِئِهِمْ مِنْ
الْمِرْقَةِ الْجَاحِدِينَ، الَّذِينَ كَانُوا لَوْلِيِّ الْحَقِّ أَضْدَادًا، وَلِأَوْلِيَائِهِ أَعْدَاءً وَحُسَادًا.

أَيُّهَا السَّادَةُ الْمَكْرُمُونَ! فَالَا تَكُونُوا خَلْفًا لِأَسْلَافِكُمُ الطَّهْرَةَ فِيمَا أُتْعِبُوا
فِيهِ أَفْكَارَهُمْ وَارْثِينَ، وَلِلدَّعْوَةِ الْمَهْدِيَّةِ الْهَادِيَةِ مُذِيعِينَ مُطَهِّرِينَ، وَعَلَى رُؤُوسِ
الْأَشْهَادِ لِنَشْرِ مَعَالِمِهَا وَإِضَاحِهَا لِلْأُمَمِ مُتَعَاضِدِينَ، وَمِنْ مَعْدِنِهَا الطَّاهِرِ
بِفَيْضِ حِكْمَتِهَا وَأَنْوَارِ قُدْسِهَا مُمْتَرِينَ، وَبِشَعَارِهَا اقْتِدَاءً بِالسَّكْفِ الصَّالِحِ
قَابِلِينَ مَعْتَصِمِينَ، لَتَعْلُو كَلِمَةُ الْحَقِّ بِأَسْبَابِكُمْ، وَتَصَحَّ بِالْأَمَمِ الْهَادِيَةِ بِمَحَلِّ
الْقُدْسِ أَنْسَابُكُمْ.

فَانظُرُوا أَيُّهَا السَّادَةُ فِي مَآثِرِ السَّكْفِ لَتَعْلَمُوا مَا أَصَابَ الْأَمَمَ
الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنَ الْمِحْنِ عَلَى الْإِخْوَانِ، وَالْقَاعِدِينَ بَعْدَ الْإِنْذَارِ عَنِ التَّوْحِيدِ
وَالْإِيمَانِ، إِذْ هَذَا الْعَصْرُ لَيْسَ كَمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَزْمَانِ، بَلْ هَذَا الْعَصْرُ تُسَلَّبُ
أَعْدَاءُ الْقَائِمِ الْعِزُّ وَالنَّصْرُ، وَتَكُونُ الْأَمَمُ الْجَاحِدَةُ لِأَلَائِهِ تَحْتَ الذِّلِّ وَالْقَهْرِ.

فَاسْتَعِيدُوا أَيُّهَا الطَّهْرَةُ بَوْلِيِّ الْحَقِّ مِنْ لَوَاقِحِ الْاسْتِكْبَارِ، وَتَقَدَّسُوا
بِالْخُضُوعِ لِلْمَوْلَى إِلَهِ الْحَاكِمِ الْجَبَّارِ، قَبْلَ جَفَافِ الْأَقْلَامِ وَطِيِّ الصَّحَائِفِ،
وِظْهُورِ لَآلِ الْأَنْوَارِ الْمَحْرِقَةِ عَلَى الْمُبْطِلِينَ الْقَاعِدِينَ عَنِ التَّوْحِيدِ بِالصَّوَاعِقِ

والرواجف. فتكونوا بعد السَّبْقِ إلى أشرفِ المنازلِ وحاشا أهلَ الحقِّ بمسبوقين، وبعد القيام بحقائقِ الطاعة عن الحقِّ قاعدين.

وما أزيدُ السادةِ علماً بتحققهم أنَّهم إلى الهادي المهدي يُشيرون، وهم بعهدِ الإحرامِ ومألفِ الشرائعِ إليه يدعون، ومن عقابه وسَخَطه يُحذِّرون الأَمَمَ ويُنذِّرون.

والقائم الهادي، سلام الله على ذكره، منزَّه عن الشرِّع والظلم، متعالٍ عن الغشِّ والغشم، وهو الموسع للأُممِ حلماً وعلماً والذي اجتمعت الخليفة على تباينهم أنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً.

فكيف يصحُّ في معقول أهل العلم والفضل، أو يجوزُ أو يثبتُ في معنى الحقِّ وأحكام العدل، أنَّ الهادي القائم المنتظر يُطالبُ العوالم بتصحیح دينٍ لم يؤعِزْهُ إليهم فيعرِّقْوه، أو يُعاقِبْهُمْ على ما لم يَعْلَمُوهُ، وَيُنذِرْهُمْ به ويقيم به الحجَّةَ عليهم ويعيِّنه لهم ويفهموه.

وكيف تجوزُ الطاعةُ لمن لم يظهرْ إلى العالم فيُعرف، ويعيَّن عليه باسمه ونعته فيوصف، وتخرقُ أَسْمَاعُ العوالمِ أوامِرُهُ ونواهيه، وينتشرُ في الآفاق مذهبه ويُفصحُ به للعوالم ويقيم به الحجَّةَ على الأُمم حجَّه ودواعيه.

فعند ذلك تقومُ حجَّتُهُ على الأُمم، إذا عرِفَتْ أوامِرُهُ وزواجرُهُ وشاعتُ في العرب والعجم. هنالك يصحُّ ثوابه إذا ظهر، وشفاعته عند الباري لمن قبل أمره، وأطاعَ ورَضِيَ وسَلَّمَ، وَيُثَبِّتُ عِقَابَهُ وعذابه لمن خالف أمره وجحدَ وشكَّ وتلَوَّم.

فبهذه الدلالاتِ المحقَّقة بالبرهان، يَنفَسِدُ قولُ جميع الطوائفِ ممن ادَّعا طاعةَ قائمٍ أو هادٍ أو منتظرٍ لم يظهرْ إلى العالمِ وَيُثَبِّتُ عِلْمَهُ ودعوته فيهم بواضح البيان، وتقوم حجَّتُهُ بإشهارِ دعوته بأمره ونهيه على جميع أهل النحل والأديان.

وهذه الفرق من الأمم فهم: النُصْرانيَّة والمُسلميَّة واليهوديَّة والمجوسية، أعني الإبرهيمية الحشوية. ومن المذاهب كالتُصيرية والقُطعية، وأصحاب أسحق الأحمر وهم الحَمَراويَّة، والشَمطيَّة والكيسانيَّة والجَاروديَّة والزَيْديَّة والموسويَّة والكشكاوية، وجميع من لم تُسميه^(١). فقد بطلت دعاويهم لأنها تمويهات على الأمم، وغير جائزة إلا على أشباه البقر والغنم.

والعقل يَقْطَعُ، والحق يَدْفَعُ، وَيَمْنَعُ، صَحَّةٌ قول كلِّ أحدٍ من جميع مَنْ ادَّعَتْهُ هذه الفرقُ أَنَّهُ ظَهَرَ إِلَى الْعَالَمِ ودعاهم إلى دينٍ من الأديان، وأقام الحُجَّةَ عليهم بقولٍ أو فعلٍ يَصْحُحُ بالدلائل والبرهان، ثُمَّ غَابَ عَنِ الْعَالَمِ بَعْدَ ظُهُورِهِ غَيْبَةً ذُكِرَ أَنَّهَا غَيْبَةٌ اخْتِبَاءٍ وَامْتِحَانٍ.

فَإِنْ اعْتَرَضَ مَعْتَرِضٌ مِنْ أَحَدَى هَذِهِ الْفِرَقِ وَحَرَفَ، وَنَمَّقَ قَوْلًا صَنَّفَهُ وَزَخَرَفَ، وَنَاضَلَ بِالْبَهْتِ عَنْ أَصْحَابِهِ وَفَرَّقْتَهُ، وَقَالَ، بَلْ قَدْ دَعَا إِلَى الدِّينِ قَبْلَ غَيْبَتِهِ. يُقَالُ لَهُ لَا تَقُلْ قَبْلَ غَيْبَتِهِ، بَلْ قُلْ قَبْلَ وَفَاتِهِ وَمِيتَتِهِ. وَنَقُلْ أَيْضًا عَلَى قَوْلِهِ إِنْ كَانَ دَعَا فَإِنَّمَا دَعَا إِلَى الْعَدَمِ وَمَشْرُوعَاتِ النُّوَامِيسِ، وَإِلَى الشُّرْكِ بِالْبَارِي وَإِلَى الْغِشِّ وَالتَّدْلِيسِ.

وَأَمَّا قَائِمُ الْحَقِّ الْهَادِي الْمَهْدِي الْمُنْتَظَرُ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَى ذِكْرِهِ مَا دَجَا اللَّيْلُ وَبَرَقَ صُبْحُهُ وَأَسْفَرَ، فَقَدْ قَامَ فِي أَشْرَفِ الْمَقَامَاتِ وَأَوْجَبَ الْحُجَّةَ عَلَى الْعَوَالِمِ بِظُهُورِهِ بِالْبَرَاهِينِ وَالدَّلَالَاتِ، لِذَلِكَ قِيلَ لَهُ الْقَائِمُ وَدَعَا الْأُمَمَ بَعْدَ تَعْيِينِهِ بِاسْمِ الْإِمَامَةِ إِلَى تَوْحِيدِ الْمَوْلَى الْإِلَهِ الْحَاكِمِ مُبَدِعِ الْمُبْدَعَاتِ، وَالْإِلَهِ الْمَوْجُودِ جَبَّارِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، وَأَقَامَ عَلَى الْأُمَمِ حُجَّتَهُ وَبَيَّنَّاتِهِ، وَنَشَرَ دَعْوَةَ التَّوْحِيدِ فِي الْأَفَاقِ حُدُودَهُ وَدُعَاتِهِ، لِثَلَا يَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ، فَقَدْ جَاءَتْهُمْ النُّذُرُ، فَمَا آمَنَ مِنْهُمْ سِوَى الْمُدَّوْحِ الْيَسِيرِ.

(١) أنظر، لمعرفة هذه الفرق، «كتاب الممل والنحل» للشهرستاني، و«الفرق بني الفرق» للبيгдаي، وغيرهما.

ثُمَّ غَابَ سَلامُ اللَّهِ على ذِكرِهِ بعدَ إيجابِ الحِجَّةِ على العوالمِ في ملكوتِ باريهِ إلى أَجلٍ يُتِمُّهُ بِمعالمِ حِكمَتِهِ وَيُنْتَهِيهِ، إثباتاً لحِجِّهِ على العوالمِ، وَتَمييزاً للطائِعِ المَظلُومِ مِنَ المَرْتَدِّ الشَّاكِّ الظَّالِمِ، وإِقامةً لِلقِسْطِ وَالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، في يَومِ المَعادِ والقَضاءِ والفَصْلِ، بِأَمْرِ يَتَّصِلُ بِحِوْلِ باريهِ، وَيَتِمُّ بِبِرْكَتِهِ قائِمُهُ وهادِيهِ.

فأُصيخُوا أَسْماءُكم أَيُّها السَّادَةُ الكِرامُ، فلكمِ النَفُوسُ الزَكِيَّةُ والعُقُولُ الجَوهريَّةُ والشَرَفُ القَدِيمُ والأَحْلامُ، لداعي الإمامِ الهِدايِ القائِمِ المُنْتَظَرِ. وارْتَوُوا مِنْ مائَةِ الرِّيقِ الصَّافيِ مِنْ وَلَغِ الخِشاشِ وَالكَدَرِ، وَالزَمُوا نَفُوسَكم الطَّاهِرَةَ التَّوَاطِيَّ لِلْمُومِنِينَ السَّابِقِينَ، وَأخْفِضُوا أَجْنَحَتَكم لِلْمُوحِدِينَ الأَبْعَدِينَ، لَتَكُونُوا بِالطَّاعَةِ لِلإِمَامِ القائِمِ الهِدايِ مَتَمَسِّكِينَ، وَلِمِثاقِهِ وَحدودِهِ مراعِيينَ مَعْتَقِدِينَ، وَلَا تَهِنُوا عَنَ أَخْذِ النَّارِ بِدَماءِ المُوحِدِينَ المَظلُومِينَ.

فاجْعَلُوا الرِّضَى والتَّسْلِيمَ لجماعَتِكم كاسْلَافِ الطَّاهِرِ شِعاراً، وَوَسيلَةً بِالاِحتِذاءِ لفضائلِهِم إلى رَحْمَةِ المولى بولِيهِ وإِقراراً، يَصِفُ لَكم المَشْرَبُ بِماءِ الحِياةِ السَّلْسَالِ المَعِينِ، وَتَعُودُوا إلى العنصرِ الأَطْهَرِ الأَطْيَبِ بِقُدْسِ الإِمامَةِ مُخَلِّدِينَ، وَتَنْشُرُ الإِلفَةَ عَلَيْكم جَنَاحَ كَرَامَتِها إِذا اتَّحَدْتُمْ بِمَعْلُومِ الدِّينِ، وَتُسَبِّلُ العِظْمَةَ لَديكم جَدَاوِلَ النِّعَمِ، إِذا رَفَعْتُمْ راياتِ الحَقِّ والنَّصْرِ والقَهْرِ على مَنْ عانَدَ الحَقَّ مِنَ الأُمَمِ،

فَتَكُونُوا في ظِلِّ الوَلِيِّ بِسُلْطانِ قاهرٍ غالِبِ، وفي كَنَفِ عِزٍّ ثابتٍ نَاجِمِ آئِبِ، مُلوَكًا على رِقابِ العَرَبِ، وَجُكَّامًا فيهِم بِما تَقَدِّمُوهُ في التَّوْحِيدِ مِنْ كَرِيمِ النِّسَبِ. هَذا إِذا تَدَرَّعْتُمْ بِمَلايِسِ الطَّاعَةِ والانقيادِ، وَكُنْتُمْ يَدًا مُنْبَسِطَةً على أَهلِ الغِيِّ والعِنادِ، وَتَصافَيْتُمْ وَمَنْ سَبَقَكُمْ مِنَ آلِ التَّوْحِيدِ بِنَقْائِ السَّرائِرِ وَمَحْضِ الوِدادِ. فَاعْتَمِنُوا أَيُّها السَّادَةُ مَواعِظَ آياتِ التَّوْحِيدِ وَأوقاتِ السَّلامَةِ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ البَيقينِ قَبْلَ أَهْوالِ القِيامَةِ.

فقد أُسْفِرَتْ عن بَيضةِ الحَقِّ الحُجُب، وَأَنَّ ظهورُ مستورِ الكُتُب،
وقهقَهِتْ بالرعْدِ للكشفِ ثِقَالُ السُّحُب، وَسَنَتْ بروقُ الظهورِ للبعْثِ بهَوامي
الأمطار، وأينعتْ أشجارُ الحقائقِ وتهيَّأتْ للزَّهرِ والأثمار، وَلَمَعَتْ للعَرْضِ
في عناصرها جواهرُ الأنوار، وتألَّقتْ للفيضانِ وترشَّحتْ للتَّمامِ والإبدار،
وصبَّتْ الصَّبَا بأهلِ التَّصابي وَجَنَّبَتْ بأهلِ الغَيِّ الجُنُوبُ وتميَّزَتْ للجزاءِ
نفوسُ أهلِ الحَقِّ وعَرِفَ الطَّالِبُ والمطلوب.

فتأمَّلُوا أيَّها السادة المكرمون مضايقَ سُبُلِ المكذِّبين، وتغيَّيرَ ضمايرِ
الملبَّسين، وظهورَ سائرِ المموِّهين، لِيَتَسَالَمَ نفوسُ كافَّتكم على الحَقِّ اليقين،
وتنظروا بعينِ الحقيقةِ إلى معلومِ الدين، فيتضاءل بالإضافةِ إلى فضائلكم
زُخْرُفُ الفاسِقين، وتتعالى بصائرُكم بالتسامي طَلَبًا للاتحادِ بالجوهرِ
الثمين.

فقد فُتِّحَتْ لإقامةِ الحُجَّةِ والتَّوبَةِ على البريةِ الأبواب، وتَمَّتِ الأدوارُ
وبلَّغَ الأجلُ الكتاب. فَإِنَّا للمولى وبه مُعتصِمون، وبوعدهِ لأوليائه وإثقون،
ومن أصدادِ الحَقِّ وأعدائه متبرِّئون.

أيَّها السادة المكرمون! فتبيِّنوا ما ضَرَبْتُهُ لكم من الأمثال، وتحقِّقوا ما
لَخَصْتُهُ لكم من النصائحِ والأقوال. فوَحِّقُوا الحَقَّ إِنَّا لَحَكِّمٌ قد نَبَتْ عَمْدُهَا،
وبقيتْ هُنَيْهَةٌ لأممِ الشُّركِ قد تَقَارَبَ أَمْدُهَا.

فتنبَّهوا لهذهِ التذكُّرةِ والموعظةِ، وتدبِّروا ما أدرجْتُهُ لكم من الحَقِّ
والنصائحِ في هذهِ الإشاراتِ الموقِظةِ. فعَلِّمُوا الخفايا والغيوب، والمُطَّلِعُ على
ما تَكُنُّهُ ضمايرُ القلوب، يَعْلَمُ أَنَّنِي لم أَتَوَخَّ للسادةِ إهمالاً، ولا أَطَرَحْتُ
مكتابَتَهُم تَخَلُّفاً وإغفالاً، إِلَّا لِبُعْدِ المسافةِ وعظيمِ الأخطار، ولتَعَدُّرِ أَمِنْ
الموحِّدين واختلاطهم بأهلِ الخِلافِ في الحَضَر، فكيفَ في الأسفار.
والطريقُ السهلةُ فهي مع العَرَبِ، وقد كَثُرَ فيهم الغَدْرُ وَقِلَّةُ الوَفَاءِ بالدَّما مَات.

وقد أذلّوا جَارَهُمْ بَعْدَ الْعِزِّ، وَخَانُوا فِي الرَّفَائِقِ وَالْأَمَانَاتِ، وَأَهْلُ الدِّيَانَةِ مِنْهُمْ أَيْضاً فَهَمُ قَلِيلٌ، وَقَدْ شَسَعُوا عَنَّا لِتَغْيِيرِ الْأَزْمَانِ وَالْأَوْقَاتِ.

وَإِنَّمَا الشَّيْخُ الْمُنْتَقِلُ قَدَّسَ الْبَارِي رُوحَهُ، وَأُورِدَهَا بِقُدْسِ الْإِمَامَةِ وَمَحَلِّ الطَّاهِرَاتِ، فَحَصَّ عَنْ السَّبِيلِ إِلَى جِهَةِ السَّادَةِ بِمَحَلِّ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ الشَّابَّاشِ وَلَدِهِ سَلِيلِ الْبَرَكَاتِ وَزَيْرِي السَّيِّدِ الرَّئِيسِ ظَهِيرِ الدِّينِ، وَنَصِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَيْفِ الْمُوَحِّدِينَ، الصَّائِبِ فِيمَا نَهَى عَنْهُ وَأَمَرَ، وَالنَّاهِضِ بِأَعْيَابِ مَا حَمَلَ مِنْ طَاعَةِ الْإِمَامِ الْهَادِي الْقَائِمِ الْمُنْتَظَرِ، الْمَاحِقِ بِسَيْفِ الْحَقِّ لِمَنْ عَنَدَهُ عَنْهُ وَشَكٌّ فِيهِ وَكُفْرٌ، الْمَعْقُودَةُ أَلْوِيَّتُهُ وَبِنُودِهِ بِالْعِزِّ وَالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ.

وَإِنَّ الشَّيْخَ أَبَا الْحَسَنِ الشَّابَّاشِ الطَّاهَرَ، قَامَ لِتَنْشِيرِ مُحَاسِنِ السَّادَةِ الْمَكْرَمِينَ وَبَثَّ فُضَائِلَهُمْ خَطِيباً نَاشِراً، وَلَآلَتَهُمْ وَمُنَاقِبَهُمُ الشَّرِيفَةَ مَذِيَعاً ذَاكِراً، وَكَاتَفَ ذَلِكَ وَرَادَفَهُ مَا ثَبَّتَهُ وَأَمْضَاهُ نَصِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَيْفُ الْمُوَحِّدِينَ، مِنْ جَمِيلِ مَعْتَقَدِهِمْ فِي الْحَقِّ وَضَاعَفَهُ. فَتَسَهَّلَتْ بِمِيَامِنِ ظَهِيرِ الدِّينِ وَنَصِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيْفِ الْمُوَحِّدِينَ، السَّبِيلُ إِلَى جِهَتِهِمْ لِلْمُوَحِّدِينَ بَعْدَ امْتِنَاعِهَا وَتَصَعُّبِهَا، وَبَاخَتْ نِيرَانُ الشَّرِكِ بِمَقَرِّهِ بَعْدَ اضْطِرَامِهَا وَتَلْهِبِهَا.

وَصَدَرَ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّيْخُ الْمُنْتَقِلُ إِلَى مَحَلِّ السَّادَاتِ الْمَكْرَمِينَ، بِمَا أُورِدَ مِنَ الرِّسَائِلِ، وَعَادَ وَلَدُهُ بَعْدَ نُقْلَتِهِ، نَضَرَ اللَّهُ وَجْهَهُ، وَهُوَ مُوقِرٌ مِنَ الشُّكْرِ لِلدَّيْنَيْنِ الْأَمِيرَيْنِ الْجَلِيلَيْنِ، أَبِي مَنْصُورِ الْحُسَيْنِ ابْنِ جَعْفَرٍ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ ابْنِ الْغَيْثِ وَالشَّيْخِ الْفَاضِلِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ ابْنِ الْفَضْلِ، وَثَبَّتَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَحَامِدِ وَالْفَضَائِلِ.

وَتَصَوَّرْتُ أَنَّ الْإِرَادَةَ مِنَ السَّادَاتِ الْمَكْرَمِينَ فِي مَنْ يَتِمَكَّنُوا مَعَهُ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ مِنَ الْخِطَابِ، وَيَكُونُ عَالِماً بَعْدَ سُؤَالِهِمْ بِدَقِيقِ الْمَعَانِي مَلِيئاً بِرَدِّ الْجَوَابِ، فَبَادَرْتُ عَلَى الصَّعْبِ الشَّسِيعِ بِإِنْفَادِ ابْنَتِي سَارَةَ الطَّاهِرَةِ، لِتَحَقُّقِهَا بِجَزِيلِ ثَوَابِ قَائِمِ الْحَقِّ وَالْفَوْزِ فِي الْآخِرَةِ.

لِيَعْلَمَ السَّادَةُ الْمُكْرَمُونَ أَنَّهَا مِنْ أَوْعَفِ خَدَمِ الْقَائِمِ الْمُفَرِّقِ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ، وَيَنْظُرُوا بَعِينَ الْحَقِيقَةِ مَنْ تَرَقَّى فِي دَرَجِ الْعُلُوِّ عَلَى سُلَّمِ النِّجَاةِ، وَمَنْ مَعَهَا وَفِي صَحْبَتِهَا مِنَ الْإِخْوَةِ الطَّهَرَةِ النَّهْأَةِ، بِهَذَا السَّفَرِ وَالصَّحِيفَةِ اسْتِنَهَاضاً لِلْسَّادَةِ الْمُكْرَمِينَ قَبْلَ الْفَوَاتِ، لِيُغْتَنَمُوا جَزِيلَ الثَّوَابِ قَبْلَ حُلُولِ الْمِيقَاتِ.

وَالِى مَنْ تَجَالَلَ عَنِ الْحَدِّ وَالْوَهْمِ، وَتَقَدَّسَ عَنِ الْإِنْحِصَارِ فِي الْعِلْمِ، بِوَلِيِّهِ الْهَادِي الْمُنْتَظَرُ إِلَيْهِ ابْتِهَالٌ، وَبِالْصَّفْوَةِ حُدُودِهِ التَّابِعِينَ لِإِرَادَتِهِ وَمَقْصُودِهِ أَتَوْسَلْ، أَنْ يُلْهِمَ الدَّاعِيَيْنَ إِلَى التَّوْحِيدِ وَالْمَدْعِيَيْنَ إِلَيْهِ التَّقْوَى، وَأَنْ يَفِيَّاهُمْ بِهَمِّ وَبِجَمَاعَةِ الْمُوَحِّدِينَ إِلَى الْأَفْضَلِ الْأَشْرَفِ الْأَعْلَى، أَنَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ، وَبِأَجَابَةِ هَذَا الْقَسَمِ جَدِيرٌ.

وَالْحَمْدُ وَالْقُدْسُ لِلْمَوْلَى الْحَاكِمِ الْمُنَزَّهِ الْإِلَهِ، وَالْوَسِيلَةُ بِعَبْدِهِ الْمُنْتَظَرِ الْقَائِمِ الْهَادِي الْأَوَّاهِ، وَهُوَ حَسْبُ عَبْدِهِ الضَّعِيفِ الْمُقْتَنَى فِي يَوْمِ الْفَرَجِ عِنْدَ خَفَقَانِ الْقُلُوبِ وَتَقَلُّصِ الشِّفَاهِ.

وَكُتِبَ فِي شَهْرِ صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ سَنِينَ قَائِمِ الْحَقِّ وَهَادِي الْهَدَاهِ. وَمِنْ بَعْدِ كُتُبِ هَذَا السَّفَرِ عَرَضَتْ مُوَانِعُ قَطَعَتْ الطَّاهِرَةَ عَنِ السَّفَرِ، وَأَمَّا يَكُونُ ذَلِكَ بَعْدَ وَضُوحِ قَبُولِ السَّادَةِ لِمَعَالِمِ الْقَائِمِ الْمُنْتَظَرِ. وَقَدْ أُنْفِذَتْ الْإِخْوَةُ إِلَى مَقَرِّ السَّادَةِ وَهُمْ فِيمَا يَقِفُوا عَلَيْهِ مُخَيَّرُونَ، وَنَحْنُ لَمَّا يَرِدُ مِنْ طَيْبِ أَخْبَارِهِمْ مُنْتَظَرُونَ.

تَمَّتْ وَالْحَمْدُ لِمَوْلَانَا وَحْدَهُ، وَالشُّكْرُ لِقَائِمِ الزَّمَانِ عَبْدِهِ.

الكتاب الاسلامي وال عبد الله ليقول عليه والله
يخبرني ذلك بمده وكبره ولطفه والسلام تمت
الرسالة احصاة الى الجبل الانوار

بسم الله الرحمن الرحيم
حدود قائم الدين وصل كما بالحق والحق بالحق والحق بالحق
عن الطاعة بقاءه وادام حمداً ستك في دينك ودينك
على يد الاخ الخيري الحسن الحلي رفع الله ورجته
وفراها وفهمنا وسرحه ابو عبد الله وسدقنا
والحال نوال حضرة لست رفاة لخصبة حالنا وسعة
للسالك والبلد وشعث الحال ومراة الغني اللد
لقلة الثواب والسديني وعدم الجار الصالح والرفيق
وقد قدرت علينا الطرق والسالك ونحن من ههنا

على شفا جرف للصايب والمهايك ونحن نعددهم
لعلنا منهم بمنزلة المستغفر ومنزلة لئالك ولما
ذكرناك هذا لئلا تقول انت او غيرنا ان هذا
اهلنا حالك وما استدرناك ولم نشرح لنا في كتابك
نبا من حالنا لئلا تقول ولا ذكوت شيئا من رقبته
من مشورين لجماعة وقاهم عليه من الصباية والعدو
والفضل وقد كان وددنا من قبل هذا الا ان بان
جماعة ركبوا النهي وشقوا الغصاة وبانوا بالسفاه
والعصيان وعكفوا على الحركات ابتاعوا الداسم
الكيموس القيطان وتالوا الفقه من الكيفيل
اولاد القيصبار فاقرأ كتابي هذا على جماعة الشيوخ
الاخوان لئلا ملوا ما سطر فيه وبها يؤامن
اشتهر بالردة ومرق عن سائر اهل الديارات

رسائل المحكمة

الجزء الخامس

الرَّسَالَةُ الْمَوْسُومَةُ
بمعراج نجاه الموحدين
وسلم حياة الموقنين

تختلف هذه الرسالة عن سابقتها بكونها تبرهن على حقيقة مذهب التوحيد ببراهين فلسفية مأخوذة من الفلسفة اليونانية، ومعتمدة على المنطق بمفهومه الأرسطي. وهي من دون تاريخ.

توكلتُ على المولى الحاكم المنزه عن الإدراك والعدم. وشكرتُ عبده القائم إمام الأئمة وولي النعم. الكبرياء والحمد والعظمة والمجد، للمولى المليء لآل توحيدِه بكل موعود، والمُغني بأزَلِ جبروتِه عن كلٍّ موجود، الذي جعل توحيدِه عزاً لمن اعتقده وارتضاه، وسنداً لمن اعتمد عليه واقتناه. وجعل خلافَ وليه مذلةً لمن تمسك به وابتغاه، ومهواةً لمن أثره واجتناه، الناهج إلى توحيدِه في كلِّ دورٍ سبيلًا، والموجدِ عليه في رأس الكور وتمام الأدوار، بالقائم به برهانًا ودليلاً، حمداً يمتري تمام القدرة وظهورها، ويقتضي دوام النصره وكرورها.

وأشهدُ أن لا إله إلا المولى العلي الذي بهر نوره وبرهانه، وقهر أمره وسلطانه، وسلامه وتكرمه، على أفضل عقلٍ زكيٍّ وأشرف نورٍ عليٍّ، وأظهر

شخص تقي؛ أظهر مجرد التوحيد ودعى إليه، وبثّه في العالم وأشار إليه إمام الأئمة الأطهار، وقائم الكور بعد تقضي الأدوار.

أما بعد، فإن الواجب على المرء العاقل، والدين الفاضل، أن يكون بعقله المميز لنفسه ناصحاً، ولما رواه العقل مما لا تطرد به الحكمة على غير نظام التوحيد قالياً طارحاً. فإن من سأمح نفسه واتبع هواه أحرى أن لا يصح نصحه لسواه. فالأولى بكل ذي نصفة وعلم، والأجمل بكل ذي ديانة وفهم، أن يتأمل بفكره وبصيرته، ويروى في جهره وسريته، ما نطقت به حكماء الدين، وجرى على ألسن أهل الشرع المتقدمين، ما أشاروا به إلى التوحيد، ودعوا إليه، وأفصح عنه قسم الإمام في المسطور ودل عليه، وأوضحته المجالس المكرمة بما خفي عن روايتها وعينت عليه، وما لوحت به الأوامر العالية وأشارت إليه، ليتضح منار الحق للمرتاد الراغب، ويقف على حقيقة التوحيد المؤمن الطالب.

فأقول: إن الكافة على تفرقهم في الاعتقادات، وتباينهم في الإرادات، مقررون بالصانع، وإن اختلفت عقائدهم في صفاته، وقعدت بهم أعمالهم عن تحقيق معرفة ذاته، فإنما ذلك لنقص عقولهم وضعف بصائرهم عن التمييز بين المعنى الذي هو واجب الوجود لذاته، والمعنى الذي هو واجب الوجود بالإضافة إليه. وهذه مقدمات من أشارت الحكماء إلى التوحيد، ودلالة على التنزيه والتجريد، ولو ردوه إلى أولي الأمر لعلمه الذين يستنبطونه منهم.

وأنا بمنّة ولي الأمر، وتفضل إمام الزمان وقائم العصر، أوضح البيان وألخص البرهان في الدلالة على المعنى الذي هو لذاته واجب الوجود، لتزول الشبهة عن أهل البصائر بين الحد والمحدود، وأجعل ابتداء ذلك توقفاً لأهل الرياضة المتفلسفين، واحتجاجاً على أهل النظر المنطقيين، بما يتحققه

من متقدماتهم البديهية، ويتصوروه بالنتائج المعنوية، كلها أسماء حياشة^(١) إلى الدين، وذوداً للكافة إلى توحيد مولى الخلق أجمعين.

فأقول : إنَّ الحكماء المتقدمين، والسلف من شيوخنا الطهارة الديانين، والجمهور من أبناء الدعوة المتميزين، قد اتفقت عقائدهم على أنَّ الثواب الذي هو أفضل العطاء وأجزله، وأشرف الجزاء وأكملهُ هو درك المعلومات الإلهية، واقتناء الفضائل البرهانية. وإنَّها السعادة القصوى؛ وإنَّ هذه السعادة هي الغرض في وجود الإنسان وهي كماله الذي لا يبقى لنفسه شوقٌ إلى غيرها، ولا هي ممَّا يُطلَبُ لِيَنَالَ بها سِوَاهَا لأجل تمامها وكمالها، إذ غيرها إنما يشتاق لأجل غيره، كاليَسَّارِ فإنَّما يُشتاق بسبب اللذة والنفع للمستفيدين منه. وإذا كانت هذه السعادة لا تؤثر لأجل غيرها وهي الكمال الأخير للنفس الذي لا يمكن الزيادة عليه إذا وصل إليه. فعلى الحقيقة إنَّ المعنى الذي هو واجب الوجود لذاته لا لغيره هو العقل الذي أشارت إليه الحكماء المتقدمون.

فأقول : ذلك تنزيهاً للباري جلَّتْ قدرته عن هذين المعنيتين، أعني ما دون السعادة التي هي العقل وهو درك المعلومات الإلهية، فهي الواجب الوجود بالإضافة إلى العقل.

فإنَّ قال قائلٌ : إذا جعلت العقل لا يؤثر لأجل غيره فكيف يصحُّ أو يدرك توحيد الباري جلَّتْ قدرته؟ يُقالُ له : المعنى في ذلك أنَّ العقل لا يؤثر لأجل واسطة أخرى بينه وبين العالِّ للعلَّة الذي هو العقل، وهو العلَّة لجميع المعلومات، لأنَّ توحيد الباري جلَّتْ آلاؤه منزَّه عن الإدراكات، متعالياً عن الإضافات، وإنما حقيقة هذه المعلومات أنَّ تَوصِلَ إلى الاعتراف بالعجز عن دركه وإحاطته، والقصور عن وصفه وإضافته. وهذا هو حقيقة التوحيد

(١) حياشة تعني مجموعة (الدرر المضية).

بعد معرفة البرهان الدال على صحة الوجود، إذ لو كانت هذه المعلومات مضافة إليه جلت الآؤه للزمه شرط المضافين، إذ المضافات لا يثبت أحدهما إلا بثبت الآخر، كإضافة الابن إلى الأب، والأب إلى الابن، والعبد إلى المولى، والمولى إلى العبد، تقدس عن ذلك فيؤدي هذا الاعتقاد أن يكون الباري جل عن ذلك ثباته بثبت المعلومات، ويلزمه ما ذكرته من الإضافة إليه، بل هو جلت الآؤه متعال عن الإضافة والحد منزّه عن الشبه والنّد.

وقد ثبت في غرائز عقول الأنام، واتفقت عليه عقائد جميع أهل الأديان، أن المعلومات الالهية لا توجد معرفتها وتحصل إلا بالعقل وهي مضافة إليه، ومن جهته تظهر وتوجد في كل عصر وأوان، وهو من حيث الحق عبد مملوك معترف بالعجز لطاعة مولانا الحاكم على الدهور والأزمان، وقد أظهره موجوداً للعالم بالعيان، وأضاف إليه معلومات الأديان، وجميع ما يحيلوه هذه الطوائف على العدم ويموهوه وينظموه من الكذب ويخرقوه. فقد آن اضمحلاله وتلاشيه، وقرب تمزيق شبكات إبليس اللعين وهلاك دواعيه.

فقد صحّ واتضح أن المعنى الذي هو لذاته واجب الوجود، مقصور على الإمام القائم الهاد المؤيد لعبيده الحدود، وهم المضافون إليه للدلالة على حقيقة المعبود، ومولانا جلت الآؤه منزّه عن هذه الصفات، مقدس عن النعت والإضافات، بل هو ثابت في مجد الربوبية وسلطان الوجدانية والقدرة الفردانية.

وأيضاً أقول: إن الجمهور من الأمم قد أقرّوا أنه لا يصح التوحيد إلا بنفي الصفة والحد والنعت.

فأقول: إن هذه الأضرِب إنما يصح نفيها عن مثبت موجود، إذ نفي الصفة والحد والنعت عن المعدوم فهو حقيقة العدم.

فقد صحَّ أَنَّهُ جَلَّتْ أَلَاؤُهُ ثَابِتٌ مَوْجُودٌ، وَأَنْ لَا يَصِلَ إِلَى مَعْرِفَةِ تَوْحِيدِهِ إِلَّا مَنْ نَفَى عَنْهُ الصِّفَاتِ وَالْحُدُودَ، وَكَفَى بِالِدَّلَالَةِ عَلَيْهِ عَمُومُ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، فَقَدْ أُوْجِدَتْ الْمَعْنَى فِي التَّوْحِيدِ وَدَلَّلْتُ عَلَيْهِ، وَوَحَّدْتُ الْمَوْلَى جَلَّتْ أَلَاؤُهُ وَنَزَّهَتْهُ وَدَعَوْتُ إِلَيْهِ.

وَأَيْضاً فَإِنِّي أَقُولُ : إِنَّ الْبَارِي جَلَّتْ قُدْرَتُهُ لَوْ كَانَ مَعْدُوماً لَتَسَاوَتْ الْفِرْقُ كُلُّهَا فِي التَّنْزِيهِ وَالتَّجْرِيدِ، وَارْتَفَعَ التَّفَاوُتُ وَالتَّفَاضُلُ الْمُؤَدِّيَانِ إِلَى الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ بِحَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ.

وَكَذَلِكَ أَيْضاً أَقُولُ : إِنَّ الْبَارِي جَلَّتْ قُدْرَتُهُ لَوْ كَانَ مَوْجُوداً عَلَى صُورَةٍ مُخَالَفَةٍ لِبَرِيَّتِهِ، أَوْ ظَهَرَ إِلَيْهِمْ بِمَعْنَى يَلِيقُ لِعَظَمَةِ أُلُوهِيَّتِهِ، لَمْ يَشِكْ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ الْبَرِيَّةِ، وَارْتَفَعَ التَّفَاوُتُ وَالتَّفَاضُلُ، وَسَقَطَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ كَمَا تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهَا بِالْكَلِّيَّةِ، بَلْ هُوَ مَوْجُودٌ لِأَوَّلِيَّاتِهِ الْعَارِفِينَ، مَعْدُومٌ عِنْدَ أَضْدَادِهِمُ السَّهْوَةِ الْمُخَالَفِينَ. وَإِنَّمَا يَنْظُرُ النَّازِلُ إِلَى صُورَةٍ نَفْسِهِ إِذَا تَوَهَّمَ أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْمَشَارِ أَلَيْهِ، كَالنَّازِلِ إِلَى جَوْهَرٍ حَدِيدٍ الْمَرَاةِ. كُلَّمَا جَدَّدَ النَّظَرَ إِلَيْهِ، لَمْ يَجِدْ إِلَّا صُورَةَ نَفْسِهِ، وَيَرْجِعُ بِصَرِّهِ خَاسِئاً حَسِيراً إِلَيْهِ. وَقَدْ جَاءَ مِنْ قِسْمِ الْإِمَامِ فِي الْمَسْطُورِ : « لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ »^(٢)، وَلَوْلَا أَنَّهُ مَوْجُودٌ وَلَمْ تُدْرِكْهُ الْأَبْصَارُ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُعْجِزاً وَلَكَانَ هَذَا الْقَوْلُ سَفْهًا نَاقِصًا.

إِذَا أَحَدُنَا يَتَرَفَّعُ أَنْ يَقُولَ لِصَاحِبِهِ إِنَّكَ لَا تُدْرِكُ بِبَصْرِكَ مَا لَيْسَ بِمَوْجُودٍ، إِذْ هُوَ قَوْلٌ خَارِجٌ عَنْ نِظَامِ الْعَقْلِ، شَائِنٌ لِلْحَقِّ وَالْعَدْلِ، فَقَدْ صَحَّ أَنَّهُ جَلَّتْ أَلَاؤُهُ مَوْجُودٌ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، بَلْ أَقُولُ إِنَّ غَرَائِزَ عُقُولِ الْأَنَامِ تَحْصُرُ عَنْ إِدَارِكِ مَنْ خَلَقَهَا، وَتَقِفُ وَتَتَكَلَّمُ عَنِ الْاعْتِرَافِ وَالتَّصَوُّرِ لِمَنْ أُبْدَعَهَا. وَهَذَا يَطَابِقُ عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ مِمَّنْ أَنْصَفَ نَفْسَهُ، فَقَدْ بَطَلَ أَنْ تَعْتَوِرَهُ

مُبدَعَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ. وَهِيَ مَكَاشِفَةٌ لَا تَلِيْق بِمَجْدِهِ وَجَبْرُوتِهِ. وَكَيْفَ الَّتِي هِيَ
أَعْرَاضٌ لِاحِقَةٍ بِالْجَوَاهِرِ النَّاْقِصَةِ عَنْ قُدْسِهِ وَمَلَكُوتِهِ. بَلْ تَعَالَى عَنْهَا عُلُوًّا
كَبِيرًا.

وَأَيْضًا فَإِنِّي أَقُولُ : إِنَّ جَمِيعَ الْمُبْدَعَاتِ اللَّطِيفَةِ الرُّوحَانِيَّةِ، وَالْمَخْلُوقَاتِ
الْكثِيفَةِ الْجَرْمَانِيَّةِ وَالْجِسْمَانِيَّةِ، لَيْسَ فِي قُدْرَةِ أَحَدِهِمَا أَنْ يُبْدِعَ أَوْ يَخْلُقَ مِثْلَ
صُورَتِهِ، وَيَظْهَرُ بِهِ. فَلَا الْعَقْلُ الْكَلْبِيُّ يَقْدِرُ أَنْ يُبْدِعَ عَقْلًا آخَرَ جَرْمِيًّا مِثْلَهُ كَلْبِيًّا،
وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْمُدْبِرَاتِ الْجُرْمِيَّةِ يَقْدِرُ عَلَى خَلْقِ مِثْلِهِ آخَرَ جَرْمِيًّا. وَغَرَائِزُ
الْعُقُولِ تَشْهَدُ أَنَّ ذَلِكَ عَجْزٌ مِنْ جَمِيعِهَا لَمْ تَتَّسِعْ قُدْرَتُهَا إِلَيْهِ.

فَقَدْ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ وَجُودُ الْبَارِي جَلَّتْ قُدْرَتُهُ فِي مِثْلٍ مَا أَبْدَعَ وَخَلَقَ،
إِذْ كَانَ لَا يَعْجِزُهُ عَنْ ذَلِكَ مُعْجِزٌ وَالتَّوْحِيدُ دَالٌّ عَلَيْهِ، وَتَنْزِيَهُ لَهُ عَنْ نَقْصِ
الْمُبْدَعَاتِ وَالْمَخْلُوقَاتِ الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ. وَعَدَلُ فِي بَرِيَّتِهِ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ
وَلُطْفَ بِهِمْ فِي سَوَاقِ النِّعْمَةِ إِلَيْهِمْ، فَفِيمَا أوردتهُ مِنْ هَذِهِ الْمُقَدِّمَاتِ الْمُنْطَقِيَّةِ،
وَالْبِرَاهِينِ الْقَاطِعَةِ الْعَقْلِيَّةِ، مَا أَكْبَتَ الْمُنْطَقِيَّيْنَ الْخَارِجِينَ عَنِ الدِّيَانَةِ وَجَدُّ
أَثَلَتُهُمْ^(٣)، وَأَوْهَنَ كَيْدَ الْمُقْصِرِينَ، وَقَطَعَ حُجَّتَهُمْ.

فَأَمَّا مَعْتَقِدُو إِمَامَةِ الْبَارِي زَعَمُوا وَمُتَحَقِّقُوهَا، وَالْمُعْتَرِفُونَ بِصَحَّةِ
الْمَجَالِسِ وَمُسَدِّقُوهَا، فَفِيهَا مَا أَخْرَسَ أَلْسِنَتَهُمْ وَقَطَعَ دَابِرَهُمْ لِقَوْلِ مَوْلَانَا
الْمُعِزِّ لَدَيْنِ اللَّهِ سَلَامُ اللَّهِ عَلَى ذِكْرِهِ: ذَهَبَتْ أَشْخَاصٌ نَطَقَائِكُمْ وَظَهَرَتْ
أَشْخَاصُ الْبَاعِثِينَ لَهُمْ. وَقَالَ أَيْضًا: إِحْتَجَبْنَا عَنْ أَعْيُنِ الْخَزَرِ بِأَشْخَاصِنَا،
وَبَرَزْنَا إِلَيْهِمْ بِدُعَاوَاتِنَا وَإِخْلَاصِنَا، تَلَبَّسْنَا بِأَثَوَابِ رِعَاتِنَا، وَتَسَمَّيْنَا بِأَسْمَاءِ
دُعَاةِنَا. وَقَالَ أَيْضًا: مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ غَابَتْ عَنْكُمْ أَشْخَاصُ الْمُرْسَلِينَ
وَظَهَرَتْ لَكُمْ مَعَانِي الْمُرْسَلِينَ^(٤).

(٣) جَدُّ أَثَلَتُهُمْ : قَطَعَ أَصْلَهُمْ.

(٤) هَذَا الْكَلَامُ يَعْنِي: أَنَّ هَذَا الزَّمَانَ هُوَ زَمَانُ الْكُشْفِ. انْكَشَفَتْ فِيهِ حَقِيقَةُ الْأَنْبِيَاءِ

فأما ما أظهر المولى جلت قدرته إشارة إلى هذا الزمان، ودلالة على فطر التوحيد في هذا الاوان، بالقرافة سنة أربع وأربع مائة، فهو عباد الله إن الصوم قد تقرر وذهب، والفطر قد تعرض واقترب. فكم من مُصرٍ على المعاصي لم يتب، ومقيم على المآثم لم ياب!

أما ما جاء في المجلس الأربعين والمائتين مما قرأه مالك ابن سعيد، وهو لا تقنطوا من اليتامي المضافين إلى النسوان، اللاتي منعن ما كتب لهن في القرآن، مثل حجج الأئمة المستورين، أولى الفترات المنتظرين، لرفع التقية ووعد رب العالمين. ومن المكتوب لهن في الحكمة: ألستر في أوان الفترة والتقية، والإفصاح بالنصر في أوان الظهور والعزة. مع شدة الرغبة في الاستفادة لحكمتهم بمن ينقلها بإذنهم. فالطائفة التائهة المقصرة تزعم في إطفاء نور الباري بناءً والله موهيه. وتستر حقاً والله مظهره ومبديه.

ولقد شهدت مناظرة بعض الموهين، ممن أخذ دينه عن داع يدعي علم الفلسفة خرف، أو شيخ يضاهيه في المقالة كبير السن مهوس عجب، وإنه استشهد في ذكر المعاد، وأسهب أن النفس تتحد بمعلوماتها في معادها على الانفراد. وكان أنفس ما استشهد به مما أخذه عن داعيه الموه المحرف أو شيخه الخرف المزخرف. إن النفس تنفرد بأفعالها في المنام، وهذا هو دليله على غنيتها عن الاتحاد في معادها بالأجسام.

فرد عليه بعض الموحدين الشباب، وقال: لحاك الله! لقد جهلت مواقع الصواب. ألا تعلم أن من عدم في وقت ميلاده لبصره، فقد عدم التصوير لجميع الأشياء المراتية في يقظته، وفي المنام عند تناهيه وكبره. فقد صح أن النفس في منامها إنما تحكي صور المحسوسات لأنها لا تنفرد بفعل إلا بما تحكيه من تصور ما عهدته، وبمثل شكل ما في الجسم المتحدة به عايته.

فقد بطلَ استشهادهُ الشيخ لانفرادِ الأنفسِ بفعلِها في المنام، وثبتتْ عليه حجةُ الشابِّ أنها في معادِها لا تخرجُ عن الاتحادِ بالأجسامِ.

وأقولُ أيضاً فيما أوردتُ المعنى فيه من ذلك أنَّ كثيراً من فلاسفةِ عصرِنا، والقائلين بقول المتقدمين من نابتيةِ دهرِنا، يحكمُ ويقطعُ أنَّ الجرمَ الذي هو الأفلاكُ وما فيه من المدبراتِ أفضلُ من جميعِ الأجسامِ المبسوطةِ. وهذا مسطورٌ في كتبهم، ومشهورٌ من قولهم. ثم بعد ذلك، يُقرُّون ويحكمون أنَّه مُجبرٌ وحركتهُ قصريَّةٌ، وأنَّه يفعلُ ولا يعلمُ وهذا صحيحٌ وهو نقضٌ لقولهم الأوَّل في تفضيله.

وأنا أقولُ : إنَّ الجسمَ الطبيعي الذي هو الصورةُ الإنسانيَّةُ أفضلُ من الأجرامِ المُجبرةِ القصريَّةِ، لأنَّ الفضائلَ العقليةَ، والعلومَ الربانيَّةَ الإلهيةَ، لا تظْهرُ إلَّا به، أعني الجسمَ الإنساني، ولا يكونُ للإفادَةِ والاستفادةِ طريقةٌ إلَّا منه، ولا للعقلِ تمييزٌ إلَّا به، ولا للنفسِ تصوُّرٌ إلَّا من جهتهِ. فهي أبداً تحكي به صورةَ ما عهدتهُ، وتمثِّلُ الفضائلَ الجوهريةَ بما به عاينته. فهو أفضلُ الأشياءِ المرثيةِ، ولا وجودٌ من غيره للأُمورِ الإلهيةِ.

وقد أوردتُ في بعضِ فصولِ هذه الرِّسالةِ أنَّ جميعَ المبدعاتِ والمخلوقاتِ لم يكنْ لأحدهما قدرةٌ على أنْ يُبدعَ أو يخلُقَ مثلَ صورتهِ ويظهرَ به. وأنَّ ذلك عجزٌ من جميعِها لم تتسعَ قدرتها إليه. فأمكنَ أنْ يكونَ وجودُ الباري جلَّتْ آلاؤه في مثلِ ما أبدعَ وخلُقَ، إذ كانَ لا يُعجزُهُ عن ذلك معجزٌ والتَّوحيدُ دالٌّ عليه، إذ ليس للماهيةِ والكيفيةِ توجُّهاً إليه.

فأقولُ أيضاً بمنَّةِ المستفضِّلِ على عبيدهِ، المانِّ عليهم بقدرِهِ وتأييدهِ: إنَّ الباري جلَّتْ قدرتهُ لو خلَقَ الأرضَ والسمواتِ، وما فيها من المدبراتِ. ثمَّ أخلاها من المواليدِ والأمَّهاتِ، لم يتمَّ بها قصدُ غرضٍ وكانت ناقصةَ النظامِ قليلةَ الإلتئامِ، ولو أنَّه جلَّتْ آلاؤه عمَّرها بالمواليدِ الأمَّهاتِ، وجميعِ ما هو الآنَ

فيها من الحيوان الصامت وجميع الثمرات، وسائر النبات، ثم أخلاها من الحي الناطق الإنسان، لكانت أيضاً بيئة النقصان، مقللة النظام؛ فلما أوجد فيها الحي الناطق الإنسان، استخرج منافع المواليد التي من الأمهات، وغذى بما فيها من النبات والثمرات، واستخدم جميع ما فيها من الحيوانات، وكان جميع ما تقدمه من الخلفة مسخر له كالألات.

فعلم من له رأي سنيح، ولب صحيح، أن الحي الناطق الإنسان، هو المهيأ لعلم البيان، وهو لهذه العوالم التمام والكمال، وهو أشرف المخلوقات. ومن جهته تظهر الفضائل المبدعات، وله ومنه وبه تتم العبادات. وجميع ما أوردته من هذه التقسيمات البرهانية، والألفاظ المنطقية النورانية، لا يردّها إلا من ران على قلبه ما احتجب من الإثم، وعمي عن الحق فبعد من زمرة أهل الدين والعلم.

وأنا أشرح معاني ما أوردته في هذا الفصل، فأقول :

إن الشيء المتّمم ليس هو من جنس الفاعل. وذلك أن الفاعل للشيء غير مشابه لمفعوله. وإلى هذا ذهب من قال من أهل الحق في الباري إنه لا يشبه مفعوله. فأما تمامه فإنه قد يجوز أن يشبه ما هو تمامه. وأنا أضرب في ذلك مثلاً يقرب إلى فهم اللّحن المترتب، ولا يصعب على الفهم المتأدّب، وهو أن المهندس للبناء هو صاحب العقد والتقسيم والترتيب والتعليم، والتثقيف والتقويم، وإن من دونه وهو الفاعل للبناء أنما هو مستخدم بين يديه، مسخر له في فعله مقصور عليه.

فأقول : إن الصورة المنقوشة في نفس المهندس التي بها ثبتت القواعد والآلات، وبتهذيبه وتقسيمه تصوّرت تلك العقود والتقسيمات، فهو الكمال والتمام لما أشرنا إليه من هذه المعلومات، وهي شبيهة به إذ كانت منه قبلت حقيقة التأثيرات؛ والفاعل للبناء غير مشابه لمفعوله لأنه لم يعمل فيه ببصيرة ولا تفكر، ولا روي في فعله ولا تدبّر، وإنما هو آلة للفعل مسخر.

فهذه صفةُ المفعولاتِ الكائنةِ الفاسدةِ والفاعلاتِ بالحركاتِ: أفلاكُ المجبرةِ القصريّةِ، وصورةُ المتّمِّمِ للمبدعاتِ التّامةِ الباقيةِ في الصورةِ الإنسانيّةِ.

فقد وَضَحَ أَنَّ المتّمِّمَ للشيءِ ليس هو من جنسِ الفاعلِ له، ولا الفاعلُ للشيءِ يقدِرُ أن يتشبهَ بما فعَلَهُ. وكذلك قال الحكيمُ أفلاطون في كتابه المسمّى باسم تلميذه طيماؤس، تأكيداً لما أورده: إِنَّ العلةَ الأولى غيرُ فاعلةٍ من قَبْلِ، وإنَّ الشيءَ المتّمِّمَ ليس هو من جنسِ الفاعلِ، وذلك أَنَّ الفاعلَ للشيءِ غيرُ مشابهٍ لمفعوله. فأما تمامه فإنّه قد يجوزُ أن يُشبهَ ما هو تمامه.

ثم يقولُ بعد ذلك الحكيمُ الحيُّ المقدّسُ الإلهيُّ: إِنَّ الربوبيّةَ موجودةٌ في جزؤٍ من أجزاءِ العالمِ، أعني الإنسانَ الذي هو الحيُّ العاقلُ الناطقُ المشابهُ للباري بما فيه من الفضلِ والشرفِ والعفافِ. ويُشبهُ العقلَ بما فيه من علم الغيب والتفكيرِ، ويشبهُ النفسَ بما فيه من الحياة والحركة، ويشبهُ الهولي بما فيه من الجسمِ الثقيلِ الراسبِ القابلِ للصورةِ الوضيعةِ.

فلما تكاملتْ هذه الأصولُ في هذا العالمِ الصغيرِ أعني الإنسانَ، صحَّ ووضحَ لذوي الأبوابِ الصحيحةِ، أَنَّ الباريَ جَلَّتْ قدرتهُ يمكنُ أن يظهرَ من حيثِ العالمِ بالعلّةِ المتّمِّمةِ لا بالعلّةِ الفاعلةِ. والمتّمِّمُ للشيءِ يقدِرُ أن يتشبهَ بما تمّمه. ولا توجبُ السياسةُ من التصريحِ بتوحيدِ الباري جَلَّتْ قدرتهُ بأكثرَ ممّا أورده هذا الحكيمُ المقدّسُ الإلهيُّ، وكثيرٌ من القائلين بالفلسفة لم يتحقّقوها، ولا رجّعوا إلى من أوجبَ الباري جَلَّتْ قدرتهُ الرجوعَ إليه. فأوضحَ لهم حقائقِ المعاني فسدّقوها. بل من الكتبِ بآرائهم أخذوا، وعن وليِّ الحقِّ صدّقوا وعندوا. فهم يتبارزون في مضمارِ الضلالةِ، ويتهافتون في بحرِ الجّهالةِ، أمثالُ يهودِ هذه الملةِ الذين كانوا يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وأنكروه. فلعنّةُ الله على الكافرين^(٥).

فأقول أيضاً : إنّه لا يخرج القول في الدلالة على وجود البارئ جلّت قدرته من حيث نحنُ العالمُ، لا من حيث ألوهيته جلّ وعلا عن أربعة أقسام :

فالأول منها : إمّا أن ننفي عنه الوجود والصفة والحدّ والنعت، كما هو عند جميع الحشويّة. وإذا كان ذلك كذلك فقد تساوى الكلّ في توحيدِهِ وتنزيهِهِ، لأنّهم إنّما نزّوها غير موجود، وهذه صورة المعدوم. وإن ادّعى قوم أنّهم نزّوهو بعقولهم من غير وجود برهان، فهذه دعوى لا حقيقة لها، لأنّ جميع ما ينزّهون به المعدوم، فقد تساوى فيه. وعند تساويهم يسقط التفاضل. وإذا سقط التفاضل بطل الثواب والعقاب. وإذا بطل الثواب والعقاب فقد بطلت الحكمة. وإذا بطلت الحكمة كانت الأشياء عبثاً. وحاشى الله.

والثاني منها : إمّا أن يكون موجوداً على صورة مخالفة لجميع بريّته ولا يشكّ فيه أحد، فيتساوى الخلق في توحيدِهِ أيضاً، ويبطل التفاضل. وإذا بطل التفاضل بطل الثواب والعقاب، وإذا كان ذلك كذلك فقد بطلت الحكمة وعادت الأحوال سدى. وحاشى الله.

والثالث منها : أن يكون معطلاً والأمر سدى. وحاشى الله. وهذا غير صحيح في غرائز العقول، بل هو ثابت فيها وهي مقرّة به.

والرابع منها : إمّا أن يكون موجوداً وهو الحقّ من حيث بريّته، وداخلاً فيهم من حيث عظمته حكمته لتقوم الحجّة بالعدل على خليقته، وليؤحده الموجد على مقدار علمه وقوّته، وينزّهه بما اقتدر عليه بعد طلبته، وحرّصه من صفاء نيّته وبصيرته.

فبهذا ثبتّ التفاضل في الخليقة. ويصحّ الثواب والعقاب الموعودان لتمييز العوالم على الحقيقة. ويكون طلبه العلم على كلّ مؤمن ومؤمنة

فريضة من هذه الطريقة لتتابين في التوحيد منازل أهل الفضل، وتتواطئ على الإلحاد عقائد أهل التقصير والجهل.

وإذا بلغ العبد الناصح فيما أمّله ونواه الغرض، وتحقق أنه عاين الحق المفترض، فليقنع بما سهل له مولاه، وليرضى بما منحه وأعطاه.

الحمد الواجب، والمجد القاهر الغالب، على ما أمتن به من إلهام توحيده وتنزيهه. ولوليه الشكر على إمداده وتأيينه وتنبيهه.

تمت الرسالة. ومن ولي الحق نرجو العفو والمغفرة والإقالة.

٧.

الرسالة في ذكر المعاد

وَالرَّدُّ عَلَى مَنْ عَبَّرَ عَنْهُ بِالْغَلَطِ وَالْإِلْحَادِ

هذه الرسالة في كل نواحيها فلسفية : تبحث في النفس وأصلها وكيفية معرفتها ومعادها. فيها استشهادات من الفلسفة اليونانية ومن الفارابي الفيلسوف المسلم. وهي ترد على شيخ شيعي ضال في تعاليمه، من شيزر بالقرب من حلب. من دون تاريخ.

حروفُ بسم الله الرحمن الرحيم، حدود قائم الدين. الحمد لله الذي جعل لأوليائه دينه الفلج والغلب، وجعل دائرة السوء على من نكس على عقبيه وانقلب، وأوجب اللعن والخزي على من خالف الأمر وعن الحق نكب، وصلى الله على شمس الأنام، ومصباح الظلام، المنتظر لنجاة الأمم القائم الهادي الإمام. وسلامه على تراجم حكمته، جدوده المقربين، وعلى إشهاد الدين، رسله السفرة الميامين، الباب الأجناس والأنواع، وأولي الأجنحة مثني وثلاث ورباع.

أما بعد، فإنه ورد إلى مقدس الحضرة الطاهرة، ونزل بالقاهرة الزاهرة، شيخ زعم أنه من شيوخ الدين، وداع من دعاة المؤمنين، فهتف بالقول مع شباب انضوا إليه سادرا، وسرح بعلمه في المعاد فيهم ناهيا وأمرًا. قد سلك بهم في الجهل المسلك الوعر، وحملهم بتمويهه على مركب

غير ذي ظُهر، يتسكعُ بهم في العمى والضلال، ويزينُ لهم بزُخرفِهِ المَحَال. وإنه نَمى إليَّ ما ثَبَّتَهُ لِمَنْ استهواه وأوضحه، ووقفتُ على ما كاسرهم به زَعَمَ وصَحَّه، وهو في جميع ما أبدأ فيه وأعاد. يَنسَبُهُ ويزويه إلى الشيخ الجليلِ معدنِ الفضائلِ والسداد.

ولعمري إنه المعروفُ في مناظرةِ كلِّ امرؤ طراً من جهته، واعترفَ بفضلِهِ وتربيته، واغترفَ من بحرِهِ وارتوى من إفادته: إِنَّ النَّفْسَ إِذَا فَارَقَتْ هَذَا الْجِسْمَ الْمُتَّحِدَةَ بِهِ تَرْجِعُ إِلَى عَالَمِهَا لَطِيفَةً رُوحَانِيَّةً غَيْرَ مُحْتَاجَةٍ إِلَى جِسْمٍ. واستدلَّ على ذلك بأنَّها تنفردُ عن الجسمِ في المنام، وتذكر ما تشاهده وتخبِّرُ عنه في الأحلام.

وقد أشبعتُ المعنى في الردِّ على هذا القول في غير هذه الرِّسالة، وأوضحتهُ ببيانِ التوقيفِ وبرهانِ الدلالة. وأنا بمَنَّةِ صاحبِ رجعةِ الحقِّ ومُديِلِ الكَرَّةِ على الناكثين بالسِّدْقِ، أَهْتُكُ حُجْبَ صَاحِبِ هَذَا الْقَوْلِ وَأَسْتَارَهُ، وَأَدْمُغُ بِالْحَقِّ أَشْيَاعَهُ وَأَنْصَارَهُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّتْ أَلَاؤُهُ: «بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ، فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ»^(١).

فأقول في ذلك: إِنَّ النَّفْسَ لَا تَنْفَرِدُ بِفَعْلٍ وَهِيَ بَائِنَةٌ عَنْ شَخْصٍ مِنَ الْأَشْخَاصِ الْأَلْيَاتِ، لِأَنَّهُ إِذَا انْحَلَّ وَصَدَرَ عَنْهَا عَدِمَتِ الْأَلْفَاظُ الْمُنْطَقِيَّاتِ، وَإِنْ كَانَتْ أَيْضاً الْمَوَادُّ تَحْتَ صَوْرِهَا سَيَّالَةً فَإِنَّهَا لَا تَظْهَرُ عَنِ الصُّورَةِ وَلَا تَوْجَدُ إِلَّا بِهَا، وَإِنْ كَانَتْ أَعْنَى الْمَوَادِّ أَيْضاً مَرَكَّبَاتٍ.

وأما ما ذكره هذا القائلُ أعني الشَّيْزَرِيَّ^(٢) من انفردِها في المنام، فَإِنَّهَا إِنَّمَا تَحْكِي صُورَةَ الْمَحْسُوسَاتِ، وَتَمْتَدُّ أَيْضاً هَذِهِ النَّفْسُ مَعَ الْمَزَاجِ

(١) سورة الأنبياء ٢١/١٨.

(٢) من «شيزر» قرب حلب. هو من أكابر شيوخ التاويل، أي الشيعة...

قولهم هو عدلٌ لا يَجور. فيُقالُ لهم : عرّفونا سببَ تفاوتِ هذا العالمِ في منازلهم، وارتفاعِ درجاتهم، وفي شرفِ الأنفسِ وقبولِها للعلم، وضَعَتِها واختلافِ آلائهم.

فإن قالوا هو فيضٌ من الباري على مُبدعاتِهِ ومخلوقاتِهِ، كما قال المتقدمون: إنَّ كلَّ مَنْ أخذَ منه بِقَدْرِ قُوَّتِهِ واستطاعَتِهِ. أفكَلَمَّا قالَ المتأخرون هو بمشيئةِ الباري واختصاصِهِ لعبيدِهِ وإرادَتِهِ، فهذانِ القولانِ حقيقتُهُما الجورُ والظلم. وحاشا الله أن يجعلَ في بعضٍ قوَّةً واستطاعةً ويمنعَ البعضَ. وهكذا يجري الحالُ في شرفِ الأنفسِ وقبولِها للعلم وضَعَتِها، وفي الأرزاقِ بين العالمِ وقسمَتِها كلٌّ داعٍ إلى الجورِ والظلم.

فإن كان الموجدُ هذا العالمِ قد جادَ على بعضِهِ بالمعونة، وأحرَمَ البعضَ فهذا هو الجبرُ ولا ثوابَ للمُجادِ عليه، إذ هو مجبرٌ بما أفيضَ إليه، وجُعِلَ عنده من قوَّةِ القبولِ، ولا عقابَ على الذي بَخُلَ عليه، وأحرَمَهُ ما جادَ به على غيره، ذو المانةِ والطولِ، تعالى الله جَلَّتْ آلاؤُهُ عن ذلك علواً كبيراً. بل الأمرُ في ذلك ما يُوجبُهُ العدلُ، ويقضي به وَيَقْطَعُهُ العقلُ، فهو الجزاءُ بمقدِّماتِ الأعمالِ، بعد التخييرِ ومجازاةِ الأنفسِ بما كسبتْ، وتفضَّلَ عليها بما من التمييزِ اقتدرتْ عليه وأُعْطِيَتْ. فقد قامَ على هؤلاءِ شاهدُ العلمِ، واضطرَّهم إلى الجزاءِ واجبِ الحُكمِ. وأن يوجِدُونَا عدلَ الباري جَلَّتْ آلاؤُهُ ولا سبيلَ لهم إلى إيجادِ ذلك إلا على سبيلِ التخييرِ والجزاءِ بمقدِّماتِ الأعمالِ كما شرحناه وأُشْرِنَاهُ إليه، ولخَصَّنَاهُ في صدرِ هذه الرسالةِ وعيْنَا عليه .

وأيضاً فإن كانَ هذا العالمُ رَعَمَ أنَّ النفسَ أَهْبَطَتْ إلى هذا العالمِ طُلُساءَ لا عِلْمَ عندها لزلَّةٍ سَبَقَتْ منها في عالمِها الذي ذكروه، فأقول: إنَّ كانتْ أَهْبَطَتْ إلى هذا العالمِ تَتَزَكَّى فيه وبه تَطْهَرُ من دَنَسِ الزلَّةِ التي سَبَقَتْ

فتتصور ما شاهدته من المراثيات. وينفسد قول هذا القائل إذا صبر بضرب من الأمور العقلية، إذ المولود أعمى لا تقدر نفسه، كما زعم هذا العالم، على الانفراد، فتتصور في المنام شيئاً من المصنوعات، فضلاً عن الأمور الإلهيات، سوى ما عهدته من النكاح والمأكولات والمشروبات. فهذا نقض لهذا المقال، ودحض لاعتقاد هذا الحال. وأنا أحكم أن دقة النظر تستغرق معارف المؤهين، وتوضح فساد قول المخترعين، إذ البيان لصحة المعاني ما صدر عنها من الأفعال، كما أن صحة الألفاظ ما حَقَّقَتْهَا المعاني من الأقوال.

وأنا بمنّة الحاكم على الدهور والأزمان، ووليّه قائم العصر صاحب غيبة الاختبار والامتحان، ومقيم الحجة بأصفيائه على أهل النكث والطغيان، ألخص المعنى في الجنس والأنواع والأشخاص، لتقوم الدلالة بالبرهان على تصحيح المعاد ومعرفة القصاص.

فأقول: إن الأشخاص والأنواع والفصول والخواص الواردة على النفس أعني الجنس العالي الذي ليس فوقه شيء يعمّه، وهو الحاكم عليه وهي المحتاجة إليه، وهي ترتفع بارتفاعه وهو لا يرتفع بارتفاعها، لأنها هم الواردة عليه. والدليل على ذلك إننا لو رفَعْنَا كثيراً من الأشخاص والأنواع أي ضائراً للجنس الذي هو الحياة ذلك الارتفاع. وإذا رفَع الجنس بطل الأشخاص والفصول والخواص والأنواع. وإذا كان الكل يرتفع بارتفاع وهو لا يرتفع بارتفاع سواه، فقد صح أن الأشخاص واردة على النوع إذ البشرية، والنوع وارد على الجنس الذي هو النفس وهو الحياة الأبدية، يجد جسماً قائماً بغير نفس ولا روح، مجرداً من كثيف.

فأما القول الذي ذكره هذا القائل ومن تابعه عليه فهو إقناع لا في غرائز العقول، وهو داع إلى نسبة الباري جلّ ذكره إلى الجور والآن نسال هؤلاء القوم فنقول لهم: هل الباري عادل أم ظالم جائر؟ لا

منها في عالمها الذي ذكروه، فالعدلُ يوجبُ والحقُّ يشهدُ أنَّ الموضعَ الذي تنزَّلُ فيه النفسُ وتطهرُ هو أشرفُ من الموضعِ الذي تنزَّلُ فيه وتتنجسُ. وإنَّ كانتُ أهبطتُ إلى هذا العالمِ مجازاةً لزلَّتها وعقوبةً لما سبقَ منها، لتكونَ في موضعٍ يُشاكِلُ زلَّتها من النجسِ وعدمِ الشرفِ، فلا معنى للعبادةِ ولا فائدةَ في طلبِ العلمِ والإفادةِ، لأنَّها إنَّما أهبطتُ إلى هذا العالمِ للعذابِ والعقوبةِ، لتكونَ في الموضعِ الذي يُشاكِلُ دنسَها، ويليقُ بزلَّتها ونجسِها.

وأيضاً فإنِّي أقول: إنَّ موضعَ النجسِ ليسَ بمحلِّ العبادةِ، ولا يجبُ أن يكونَ فيه مَنْ يستحقُّ في ترتيبِ العلمِ منزلةَ الإفادةِ. فهل بعدَ هذا البيانِ والبرهانِ إلَّا اللَّدَدُ والهديانِ؟!

وأيضاً فإنِّي أقول: إنَّ قولهم هذا يوجبُ أنَّ النفسَ لا تخرجُ من هذا العالمِ إذ كانتُ إنَّما أهبطتُ إليه لزلَّةٍ سبقتُ منها في عالمها على قولهم إذ كلُّ نفسٍ زلَّتْ في هذا العالمِ لا ترجعُ إلى عالمها الذي ذكروه، لأنَّها من جهةِ الزلَّةِ أهبطتُ وما يتعرَّى أحدٌ من هذا العالمِ من الزللِ والخطأِ سوى المعصومين. وإذا كانَ ذلكَ كذلكَ فهي لا تخرجُ عنه. فإنَّ أقرَّوا أنَّها في هذا العالمِ زُكَّتْ وطُهرتْ، وبعدَ جهلها علَّمتْ، فقد صحَّ قولنا إنَّ الموضعَ الذي تنزَّلُ فيه النفسُ وتطهرُ أولى بمجاورتها من الموضعِ الذي تنزَّلُ فيه وتتنجسُ.

وأنا أقول ما يشهدُ به العقلُ، ويسدُّه كلُّ ذي ديانةٍ وفضلٍ: إنَّه لا ينساعُ في عقلٍ أحدٍ من العبادِ ممَّنْ أنصفَ نفسه أن يحكُمَ لنفسه أنَّها لم تنزلْ ولم تُخطئْ في هذا العالمِ. هذا متعذِّرٌ ممتنعٌ أن يحكُمَ به لنفسه بشر، أو يستجيزه أحدٌ من أهلِ العلمِ بدقَّةِ النظر. وأنا أشهدُ، بمعنى أقول: أنَّ الشيخَ نُصرةَ الدين لا يزوي إلى نفسه أنَّها لم تنزلْ في وقتٍ من الأوقات، إذ كانَ يعلمُ ويحكُمُ أنَّها علَّمتْ بعدَ جهلها. وإذا كانَ ذلكَ كذلكَ فقد صحَّ أنَّها، أعني

النفس في هذا العالم، لا تخرجُ منه ومعادُها إليه. ولم يصحْ لهؤلاءِ القومِ قولُ أنها تزكَّتْ ولم تزلْ فيَعُولُ عليه.

وأنا بمنَّةِ القائمِ لنسخِ الأديانِ، ومُحلِّلِ مَعَاقِدِ الأبَالِسَةِ ومُهْلِكِ أولادِ الشَّيْصِبَانِ، أَوْضِحُ الرَّدَّ في هذا المعنى على المَقْصِّرَةِ مِنَ الفلاسِفَةِ الخارجينِ عن سُنَنِ الحَقِّ، كما هو موجودٌ في كلِّ عصرٍ من لَدَدِ أبَالِسَةِ الأزمانِ، وهو الأصلُ الذي فَرَعَهُ هذا اللَّكْنُ وعُولَ عليه، واستَرْقَهُ من قولهم هذا الفَسْلُ ومَنْ انتما إليه. وأبَيَّنُّ عَجْزَ القاعِدينِ عن معرفةِ الحَقِّ من المتقدمينَ منهم والمتأخِّرينَ. وأعيِّنُ أَنَّهُمْ غَلِطُوا عن معاني العِلْمِ والدِّينِ، وخرجوا عن معالمِ الحَقِّ اليقينِ. وأنَّ مَقْصِّرَةَ الفلاسِفَةِ خَرَجُوا بجسمانيَّتِهِمْ عن معالمِ الأبْدَالِ الروحانيِّينَ، وقعدتْ بهم أعمالُهُمْ عن منازلِ الحكماءِ الموحِّدينَ،

وأنَّ فوثاغورسَ كان من روحانيَّتهِ يوعِزُّ إلى تلامذتهِ، ويشرحُ لهم التَّوْحِيدَ الغَضَّ، وأنَّه كان يعتقدُ ويقولُ إِنَّ الباريَ تنزَّهَ وتعالى موجودٌ نورٌ محضٌ، وإنَّه لا بَسَّ جَسَدًا ما يستترُّ به لئلا يَرَاهُ إِلَّا مَنْ استأهَلَ ذلكَ واستحقَّه، وقامَ في عبادتهِ بحقيقيَّةِ الفرضِ، وإنَّه كالذي يَلْبَسُ في هذا العالمِ جِلْدَ شاةٍ فإذا خلعه نظرَ إليه مَنْ يَقَعُ نظرُهُ عليه، وإذا لَبَسَهُ لم يَقْدِرْ أَحَدٌ على النظرِ إليه.

وكذلك قولُ أفلاطونِ الحكيمِ الأكبرِ، مملوكِ الإمامِ الناسخِ لجميعِ الشَّرْعِ والأديانِ، وهو معلِّمُ أرسطاطاليسَ وَمَنْ اتَّبَعَهُ وقال بقوله وأخذ عنه في عصرِهِ وفي هذا الأوانِ، وإنَّما مَرَقَ مَنْ خالفَ هذا الرَّأيَ الحَقَّ منهم كما مرقتْ عصاةُ الأمَمِ عن الحَقِّ والتَّوْحِيدِ في هذا الزمانِ، وتبعهم مِنْ نَابِئِيَّةِ الوقتِ مِمَّنْ انفردَ بقراءةِ كُتُبِ المَقْصِّرِينَ مِنَ الفلاسِفَةِ بغيرِ بَيِّنَةٍ ولا برهانِ.

وإذا كان هذا قولُ أكابرِ الحكماءِ إِنَّهُمْ يُوجِدُونَ الباريَ تعالى في هذا العالمِ وَيَنفُونَ العَدَمَ عنه وَيَنْزَهُونَهُ عن تحديدهِ خَلْقِهِ وبريَّتِهِ، فقد اتَّضَحَ

شرفُ عالمِ النفسِ بالحقيقةِ وعظمُ منزلتهِ، وبطلُ قولِ الشواذِّ منهم المقصِّرينَ إنَّ للنفسِ عالمَ غيرِ هذا تتحدُّ بهويَّتهِ، وترجعُ إليه لسموِّه ورفعةِ مرتبتهِ، مجاورةً للباري تعالى وإلحاداً فيه وحصرأً له وتحديدأً لباهرِ قدرتهِ، وإضافةً لعلوِّه وتنزُّهه إلى الأثيرِ إعظاماً لبُعدِ المسافةِ بنظرِ العينِ ورفعتهِ، ونظروا إلى غيرِ المعنى ولم يُفرِّقوا بين رفعةِ العالمِ الجرمانِي الجمادِ وجسمانيَّتهِ، وبين شرفِ جوهريةِ عالمِ النفسِ المطلعِ على المعقولاتِ والبدهيَّاتِ، المتعاليِ عن كَدْرِ عالمِ الجرمانِي ونعتهِ وصفتهِ.

فهذا ردُّ مُجهزٌ على عقائدِ الجميعِ. ونظرٌ بمنَّةِ المولى إلى العالمِ العليِّ الرفيعِ، وقد اعتمدَ كثيرٌ من نابيتيَّةِ هذا الوقتِ على كتبِ أبي نصر الفارابي لعلمهم أنَّه فرعها من الأصولِ، وأنَّه أخذَ جواهرَ أقوالهم وشرحها فصارتْ لعلومهم أعني المتقدمين كالعينِ المحصولِ، توهماً بأنَّه من جمليتهم. وحاشا الله. وإنما سلكَ مسلكَ ذي الفهم تبيناً لعلمه البديع عن منزلةِ الغمرِ الجهولِ. فمما ذكر الشيخُ الفارابي في الفصلِ الخامسِ من كتابه المعروف بـ «آراءِ المدينةِ الفاضلةِ»، وأطنبَ فيه من مفارقةِ الأنفسِ للأجسامِ.

وأنا أقولُ: إنَّ كانَ الشيخُ الفاضلُ أعنى بانفرادِ النفسِ عن المفارقةِ في ذاتها وإزائها وأفعالها وهيأتها، وأنَّ الأعراضَ ترتفعُ عنها في ذاتها وجوهرياتها، وهي موجودةٌ في هذا الجسمِ كالمالكةِ له والحاكمةِ عليه، أو يكونُ أعنى بمفارقةِها للأجسامِ أنَّها فارقتِ الرذائلِ والأفعالَ الطبيعيَّةَ التي من شأنها لا تظهرُ إلَّا من جسمٍ، أو يكونُ سلبَ عنها جميعَ الأفعالِ الجسميَّةِ مع إثباته لوجودها، أو يكونُ أعنى بقوله وتفهَّم هذا وتصوِّرها عسراً جداً غيرَ مُعتادٍ، أعنى به صعوبةُ تفهِّمِ نسبتِها إلى المفارقةِ وهي متحدةٌ بالجسمانيَّاتِ، أعنى مفارقةِها بجوهرها، ونزاهةِ أفعالها العلميَّةِ عن الهيوليَّاتِ، فإذا كانَ ذلك كذلك فقد زاد، تاللهُ، على الحكماءِ والمتقدمين، وأغرق في طلبِ معلومِ الدينِ.

وإن كان أعنى بذلك أنها تفارقُ الجسمَ المألَكةَ له والحاكمةَ عليه الذي لا تعرفُ أفعالها إلا منه، فقد أبطلَ رئيسُ المدينةِ الفاضلةِ هذا على ترتيبه الذي رتبَه وَبَنَّا قوله عليه: إنَّ الرئيسَ إذا بلغَ كمالَه الأخيرَ فارقَ هذا الجسمَ وهذا العالمَ.

فعلى ظاهر قوله هذا لم يبقَ في هذا العالمَ كاملٌ يفيضُ الكمالَ كما أفاضه هذا الرئيسُ المفارقُ لهذا الجسم. وهذا العالمُ فقد انقطعتْ إفاضةُ الكمالِ، لأنَّه جعله صاحبَ المعمورة. وإذا انقطعتْ إفاضةُ الكمالِ فقد صارَ العالمُ سُدًى، ولم يبلغْ فيه أحدٌ إلى الكمالِ الأخير. هذا على قوله وقولِ المتقدمين. وَوَجِبَ في العدلِ والقولِ أَنَّ الرئيسَ قد ظَلَمَ أهلَ مدينته، وجارَ عليهم، وحاشا الله، بل عدلُهُ قائمٌ فيهم.

وأنا أقولُ: إنَّ أَمَكْنَ أَنْ تَبْقَى نفسُ هذا الرئيسِ في هذا العالمَ بعدَ كمالها مدَّةً ما، فممكِنٌ أَنْ تَبْقَى مدَّةً أَكْثَر. وإذا أَمَكْنَ بقاءُ نفسِه في هذا العالمَ مدَّةً بعدَ كمالها، فالعدلُ يوجبُ والحقُّ يشهدُ أَنَّ نسبَتها إلى الكمالِ الأخير، وهي غِرْقَةٌ في الأمزجةِ الطبيعياتِ، أكملُ وأشرفُ من نسبَتها إلى الكمالِ بعدَ المفارقة، كما زعمَ هو والمتقدمون وصحبُهما إن كان من الروحانياتِ.

وأيضاً فقد أقرُّوا في وقولهم أَنَّ النفسَ تبلغُ كمالها الأخير، وهي متَّحدةٌ بالطبيعياتِ. فقد أوجبَ العدلُ والعقلُ في قولهم إنَّ كمالها، وهي متَّحدةٌ بالجسم الذي بلغتْ فيه كمالها الأخير، أشرفُ وألطفُ من كمالها بمفارقةِ الجسمانياتِ، لأنَّها تكون، وهي متَّحدةٌ بالجسم، مالكةٌ للعالمين مشرقةٌ منه على الأفقين. فتحكمُ بكمالها وقوَّةُ ذاتها على الطبيعياتِ، وتتقدُّ بأشعةِ أنوارها وصفاءِ جوهرها فتفعلُ الأفعالَ الروحانياتِ والعقلياتِ. فمَنْ ادَّعى غيرَ ذلك فليُثَبَّتْ لها فعلاً مجرداً، أعني النفسَ بعدَ المفارقةِ للمرئياتِ، ولا سبيلَ لهم إلى إيجادِ ذلك إلا بالبهتِ والتوهيمِ والخروجِ عن الأمورِ الإلهياتِ.

وأنا أشهد، بمعنى أقول: أن الشيخ نُصرة الدين لم يوقفهم على هذه القوانين التي رتبها، والمعاني التي برهنها من حيث هم ولخصها، إلا لقصور أفهامهم عن تحليلها، ونكلهم عن القدح فيها وعن تعليلها.

وأيضاً شهد الله فزعاً على نفسه من فجاجتهم وسوء نيّاتهم، وفرقاً يقتلوهُ لضعف بصائرهم وقلة أماناتهم. فهو يُقيّمهم وهم يُفعدون. وهو يوردُهم وهم يصدّرون. وهم في غمرة ساهون يتساءلون إيانَ يوم الدين، كأن لم يربوا بعلوم الدين والحكمة، ولم تُقرأ عليهم مجالس الرحمة. وإنما هي أعمالكم تُردُّ إليكم وكلُّ امرئ منكم يُجازى بعَمَلِهِ. ولم يقل يُجازى بعَمَلِهِ، كما قال في المستور المبين: «يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَاسْكِنِي جَنَّتِي»^(٣)، وكما قال للخاطئين: «وذلك بما قَدَمْتُ أَيْدِيَكُمْ وَمَا اللَّهُ بِظَلَّامٍ الْعَبِيد»^(٤).

وأيضاً فإن كان هؤلاء القوم يوجبون بقولهم هذا أن نفوس الأنبياء المُصْطَفِينَ وأنفس الأئمة الطاهرين، أنها، لزلّة سبقت منها في عالمها، أُهبطت إلى هذا العالم فقد أبطلوا طاعة الأنبياء والأئمة، وساؤوا في الزلّة بين نفوسهم ونفوس جميع الأمة؛ إذ مَنْ عليه حدٌّ لا يُقيم حداً، وعاصي لا يُطهر عاصياً. وقولهم هذا فهو خارجٌ عن سنن أهل الفضل، داخلٌ في الخرف والجهل.

وأنا أذكر قولاً يكمد قلوب المُخْتَرِصِينَ وَيَجْذُ أَكَلَةَ الْمِبَاهِتِينَ الموهّين، ويشحذُ بصائر المؤمنين، ولا يردّه إلا مَنْ رَانَ على قلبه ما احتقَبَ من الإثم، وعمي عن الحقِّ فأنكر مجالس الرحمة والعلم، وساوى بين نفسه ونفوس الأنبياء والأئمة في الزلّة والإثم. وهو ما تُلي في المجلس السابع عَشَرَ ممّا

(٣) سورة الفجر ٢٧/٨٩ - الأصل: ادخلي مكان أسكني.

(٤) سورة آل عمران ٣/١٨٢، وسورة الانفال ٨/٥١ وغيرها...

قرأه عبد العزيز من المائة الثانية، هو لا يدُ تمتدُّ لهم إلى حرام، ولا لسانٍ ينطقُ بخلٍّ ولا أثم، ولا قطيعةً تكونُ بحكمهم بين أولي الأرحام، بسلامة القلوب ونقاء السرائر، ورثهم الله شرفَ المقام، وجعلهم في الأدوارِ أكابرَ الحدودِ لكلِّ إمام. فقد، والله، أفصحَ لكم بذكرِ المعادِ وأقيمتِ الحجةُ على جميعِ العباد.

وأيضاً من التاسع والعشرين من المائة الثانية: أيضاً فخيرُ الأنفسِ نفسٌ لا تحوجُ إلى قولها يا حسرتاه على ما فرطتُ في جنبِ الله وإن كنتُ من الخاسرين. وشرُّها نفسٌ تقولُ ذلك وتُساقُ بعدَ قولها إلى العذابِ مع الظالمين. فالزاكياتُ منها القاطناتُ في الدين، الذين آمنوا وعملوا الصالحات. -والقطنون هو الإقامة-. فهل بعد هذا المُعترضِ مقال، أو إلى غيره لِرأجي البعثِ مرجعٌ ومآل؟

فإن كان هذا العاجزُ أعني الشيزري، قد تقولُ على الشيخِ نصره الدين هذا المحال، وحقَّقَ عليه هذا الشُّركَ العظيم والضلال، فمن الواجبِ عليه أن يُجذِّدَ لسانه، ويُقطعَ بنائه، ويُخلَا من الدعوة مكانه. وإن كان هذا، أعني الشيزري، صادقاً فيما رواه، ومثبتاً لدعواه، فقد تبوَّأ الشيخُ نصره الدين بهذا الاعتقادِ من النارِ مقعده ومثواه، وأهبطَ ما استحقَّ به هذه المنزلة في أولاه وأخراه، وعن قليل يُصرفُ عن الدعوة ويوَلَّى ما قد تولاه.

فنعوذُ بالله من زلةٍ تسلَّخُ من إيهابِ النعمة، وتُدنى من لبسِ جلبابِ النعمة. إنَّه على ذلك قدير، ولم أورد ما أثبتُّه في هذه الرسالة تعاطياً على المقصرين المخالفين، وإنما أوردته توبيخاً للقائلين بالتوحيد الملحدِين، وتعقباً على المختصرين في الدين المدَّعين. فبالله إني لا أدري أيَّ شيءٍ أعجبُ من ضعفِ بصائرهم، وطيشِ حلومهم، أو من عمه قلوبهم، وقلةِ علومهم! فهم مقرُّون ومعتقدون بأنَّ الباري جلَّتْ آلاؤه يظهر لهم من حيث هم في

الصورة الإنسانية، ويدعون لأنفسهم الوضيرة أنها لا ترضى بهذا المحل بل
تصير في معادها روحانية.

كذبوا العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً، ألا إن قولهم هذا مدخول،
واعتقادهم الذي أظهروه في التوحيد كذبٌ معلول. فيتبرأ منه فهم من هذا
التوبيخ مبرؤون، ومما أوردته في هذه الرسالة مقالون.

فذرهم يخوضون ويلعبون، حتى يلاقوا يومهم الذي كانوا به
يوعدون يوم هم بارزون، لا يخفى عن القائم على كل نفس بما كسبت منهم
شيئاً. لمن الملك اليوم لمولانا الحاكم القهار. اليوم تجزون ما كنتم تعملون.

هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق. إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون،
حتى «إذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم: أن الناس
كانوا بآياتنا لا يوقنون»^(٥).

والحمد للبار مولى العالمين، بوساطة وليه القائم لنجاة الموحدين،
وسلم إليه تسليمًا.

نجزت والحمد لمولى النعمة. وهو حسبي ونعم النصير المعين.

الموسومة برسالة التبيين والاستدراك

لبعض ما لم تُدرِكهُ العقولُ في كشفِ الكُفْرِ المحجوبِ
من الإلحادِ والإشراكِ.

كتبها بهاء الدين المقتنى سنة ٤٢٧ هـ. ينقض فيها بوضوح تام وصراحة كلية الوحي القرآني. ويبين كذب الأنبياء السابقين، وتحريف القرآن على أيدي الرواة. وينعت محمداً، بجرأة ما بعدها جرأة، بأنه «المسعود المعنوه»، و«المسرف الكذاب»، الذي «كذب على الخلق أجمعين». وما استشهداته الكثيرة بآيات القرآن الإلبيين تناقضها، ويظهر تعاليمها المليئة بالكذب والخداع والتدليس.

توكلتُ على المولى الإلهِ الحاكمِ مازل الأزل. وتوسلتُ إليه بوليِّه القائمِ الهادي علةِ العلل. من العبدِ الضعيفِ المُقتنى بحدودِ الوليِّ المنتظرِ إلى ملكوته في التوفيقِ يتوسَّل. وبجلالهم عنده يضرعُ في شفاعتهم لديه العبدُ المُقتنى المذنبُ ويبتهل، أن يجعلهُ في جملةِ مَنْ شملهم بعفوه ورضوانه، وتطولَ عليهم بمتَّهٍ وجزيلِ إحسانه.

قال العبدُ المُقتنى النصيح : ولما تَعَقَّبْتُ من شريعةِ الإبلِيسِ المواضعَ

البَيِّنَةُ الْخَلَلِ، الواضحة الخطأ والزلل، لم يَسْعُنِي لها الأهمال. وَتَحَقَّقْتُ أَنَّ
العناية في هذه الفترة لكشف عَوَارِ مَنْ دَلَّسَ فِي الدِّينِ أَرْبَحُ المتاجرِ وأشرفُ
الأعمال. أعدتُ النظرَ بعد تبليضي «التَّعَقُّبَ وكشفَ الكفرِ المحجوب»^(١).
وَتَفَكَّرْتُ في قوله عن الله في سورة المائدة، وما لَفَّقَهُ من الزُّورِ المكذوب:
«الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ، وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ
لَهُمْ، وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ. وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ
قَبْلُكُمْ»^(٢)، فأحلَّ ذلك لَهُمْ تحليلاً، وانتَهَكُوهُ بأمرِهِ زماناً طويلاً.

ثُمَّ إِنَّهُ رَجَعَ فَنَقَضَ الْوَحْيَ الَّذِي زَعَمَ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ لِيَتَّبِعِينَ لَأَهْلِ
الْحَقِّ مَا كَذَبَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَزَخَرَ عَلَيْهِ. فقال من البقرة أيضاً نقضاً لهذا
القول: «وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ. وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ
أَعْجَبَتْكُمْ. وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا. وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ
وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ. أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ، وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ.
وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ»^(٣).

فتناقضت الأقوال، وصارت هرجاً الأفعال.

ثُمَّ أَنَّهُ ذَكَرَ تَحْرِيمَ الْبَنَاتِ وَالْأُمَّهَاتِ إِلَى أَنْ قَالَ: «وَأِنْ تَجَمَّعُوا بَيْنَ
الْاِخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ. إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا. وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا
مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ. كِتَابُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»^(٤). فحرَّم جميع ما تقدّم القول عليه.

(١) عنوان رسالة رقم ٥٥، كتبها بهاء الدين طعناً بالنصارى والمسلمين. يذكر فيها أنه
قصر في «كشف كفر» عيسى ومحمد. لهذا، يعود الآن، في هذه الرسالة، ليستدرك ما
قصر فيه. فسمّاها «التبيين والاستدراك».

(٢) سورة المائدة ٥/٥.

(٣) سورة البقرة ٢/٢٢١.

(٤) سورة النساء ٤/٢٣ - ٢٤.

ثم قال: «وَأَجَلَ لَكُمْ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ. فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً»^(٥). وهذا فهو خارجٌ عن شروطِ النِّكَاحِ الذي حَكَمَ به في نصوصِ شرعته. وقد شَرَحَ هذا وَبَيَّنَّهُ عنه أَوَّلُو علمه ورواةُ بدعته ومُتَّفَقُو دينه وقضاةُ نحلتِه:

إِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِي الْإِمْرَأَةَ فَيُؤَافِقُهَا عَلَى شَهْوٍ مَعْلُومَةٍ بِدَرَاهِمٍ مَعْلُومَةٍ، وَيَجْعَلُ ذَلِكَ فَرِيضَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا، فَإِذَا تَمَّ ذَلِكَ الْأَجَلُ وَقَبِضَتْ تِلْكَ الْفَرِيضَةُ، فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَصْرِفَهَا أَصْرَفَهَا، وَإِنْ أَرَادَ جَدَّدَ لَهَا فَرِيضَةً أُخْرَى، وَأَقَامَتْ عِنْدَهُ، أَوْ تَأْتِيهِ إِلَى تَمَامِ تِلْكَ الْفَرِيضَةِ. وَذَلِكَ قَوْلُهُ: «وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ. إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا»^(٦).

فَقَدْ نَسَخَ لِهَذَا الْحُكْمِ، وَنَقَضَ جَمِيعَ شُرُوطِهِ فِي أَبْوَابِ النِّكَاحِ. وَكَأَنَّ أَمْرَ أُمَّتِهِ إِلَى الْهَرَجِ وَالْفِسْقِ وَالسِّفَاحِ. وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَكذلك فَقَدْ بَطَلَتْ مِنْ قُلُوبِ الْأَبَاءِ صِحَّةُ الْأَوْلَادِ، وَالتَّبَسُّتُ بِالْحَقِيقَةِ أَنْسَابُ الْعِبَادِ.

فَلَمَّا سَأَلَهُ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ وَأَنْكَرَهُ عَلَيْهِ الْأَتَقِيَاءُ مِنَ الْمُؤَحِّدِينَ، وَطَعَنُوا عَلَيْهِ وَهُمْ فِي كَهْفِهِمْ مُسْتَتَرِينَ، ذَكَرَ: «أَنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيْهِ»^(٧). تَوْبِيخًا لِمَنْ رَدَّ عَلَيْهِ: «أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ. وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ. وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ»^(٨). وَبِاللَّهِ لَقَدْ أُمِرَ بِإِذَاعَةِ الْحَقِّ فَسَتَرَهُ، وَخَالَفَ مَا أَخِذَ عَلَيْهِ مِيثَاقُهُ مِنَ التَّوْحِيدِ وَأَنْكَرَهُ.

(٥) سورة النساء ٤/٢٤ ب.

(٦) سورة النساء ٤/٢٤.

(٧) يرد هذا التعبير أكثر من ستين مرة.

(٨) سورة البقرة ٢/١٠٩.

وذلك قول مَنْ أَمَلَى عَلَيْهِ الْمَسْطُورَ^(٩) وَوَبَّخَهُ وَأَمَثَلَهُ عَلَى تَقْصِيرِهِمْ طويلاً: وهو أَنَّهُ «عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا - مِنْ جِهَةِ بَاطِنِ التَّوْحِيدِ - وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ وَأَمَثَلَهُ - مِنْ جِهَةِ ظَاهِرِ التَّنْمِيسِ وَالتَّلْحِيدِ - إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا»^(١٠). وهذا الشرحُ قد وَرَدَ فِي مَجَالِسِ الْحِكْمَةِ مُبَيَّنًا مَقُولًا.

وأيضاً لَمَّا عَمِيتْ بِصِيرَتُهُ عَنْ زُخْرَفٍ مَا يَأْمُرُهُمُ بِالصَّلَاةِ إِلَيْهِ: فَمَرَّةً يَأْمُرُهُمُ بِاسْتِقْبَالِ الْمَشْرِقِ، وَمَرَّةً يَأْمُرُهُمُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الْمَغْرِبِ لِضَيْقِ مَعْلُومِهِ عَلَيْهِ. زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ بِجَلَالِ قُدْرَتِهِ أَوْحَى إِلَيْهِ: «سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا؟ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ. يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^(١١).

ثُمَّ تَلَاهُ وَرَادَفَهُ بِقَوْلِهِ: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا»^(١٢).

فَبِاللَّهِ إِنَّ الْأَنْفُسَ وَمَنْ فِي الْأَفَاقِ، لِمَخَائِلِ الْإِبْلِيسِ، تُبْطِلُ وَتَدْفَعُ، وَالْعَقْلُ بِالْحَقِّ يَشْهَدُ وَيَقْطَعُ: أَنَّ الْأَكْثَرَ مِنْ أُمَّتِهِ، وَالْجَمُّ الْغَفِيرَ مِنْ رُؤَسَاءِ شِرْعَتِهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ أَمَانَةٌ عَلَى تَأْدِيَةِ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْعَدْلِ، أَوْ إِلَى أَهْلِ الْحَقِّ فِي تَسْلِيمِ حِزْمَةٍ مِنْ بَقْلِ. وَأَنْتَهُمْ فِي فَهْمِهِمْ لِلْحَقِّ وَالْحِكْمَةِ أَبْلَهُ مِنْ الْحِمَارِ وَالْبَغْلِ، فَكَيْفَ يَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ؟!

(٩) يَقُولُ الْمُوَحِّدُونَ إِنَّ الَّذِي أَمَلَى الْمَسْطُورَ، أَيِ الْقُرْآنِ، عَلَى مُحَمَّدٍ، هُوَ سَلْمَانُ الْفَارَسِيُّ، أَحَدُ الصَّحَابَةِ الْمَشْهُورِينَ. وَسَلْمَانُ هَذَا هُوَ نَفْسُهُ الْعَقْلُ الْكَلِّيُّ الَّذِي ظَهَرَ، بِهَذَا الْإِسْمِ، أَيَّامَ مُحَمَّدٍ، وَهُوَ نَفْسُهُ ظَهَرَ بِاسْمِ حَمْزَةِ أَيَّامِ الْحَاكِمِ.. لَقَدْ كَتَبَ سَلْمَانُ الْقُرْآنَ لِمُحَمَّدٍ، فَانْتَحَلَهُ مُحَمَّدٌ، وَحَرَّفَ فِيهِ وَبَدَّلَ، وَمَوَّهَ عَلَى النَّاسِ، وَكَذَّبَ عَلَى اللَّهِ.

(١٠) سُورَةُ الْأَحْزَابِ ٣٣/٧٢.

(١١) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢/١٤٢.

(١٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢/١٤٣.

فبالله العالِي المتعال، لقد أَفَكَ وَكَذَّبَ في هذا المقال. وهذا فهو نَقْضٌ لهذا التلبسِ والتمويه، وَدَحْضٌ لهذا الشُّرْكِ والتَّشْبِيهِ، وإنْ كان قومٌ بدَّعَتِهِ، وفراعنةُ شِرْعَتِهِ تأوَّلوا: «أَنَّ الأئمةَ شُهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ وهو شهيدٌ عليهم»^(١٣). فهذا أعظمُ إفْكِ، وأتمُّ كُفْرٍ وشُرْكِ، لأنَّ الإمامَ سلامُ الله على ذكره لا يأمُّه أحدٌ ولا يشهدُ عليه. وهو الشاهدُ علي جميعِ الخلائق، والأممُ كُلُّها مضافةٌ إليه.

وفي حَقِيقَةِ الدِّينِ أَنَّ الإمامَ في كُلِّ عصرٍ وزمانٍ هو مُرْسِلُ الرسل بأمانةِ التَّوْحِيدِ؛ لكنَّ أَكْثَرَهُمْ خَالَفُوا وَنَافَقُوا عليه. وهو أَمْرُ اللهِ النافذِ في العوالمِ تجالَلِ عن الشهادةِ، من نوحٍ وإبراهيمَ وموسى وعيسى ومحمد، ومن يَجْري مَجْراهمو فَإِنَّمَا هم حججُ الإيمانِ ودعاةُ إليه، يَظْهرون في الأدوارِ لتكذيبِ أصحابِ النُّواميسِ بأمانةِ التَّوْحِيدِ، وَيَدُلُّونَ عليه، لأنَّهم أصحابُ الأَعْمَالِ المُسْتَطَابَةِ، وأهلُ الحُكْمِ بِالآيَاتِ الباهرةِ، وسلطانُ اللهِ والدَّعَوَاتِ المُسْتَجَابَةِ.

وهذه قصصُهُمْ^(١٤) في المَسْطُورِ تدلُّ على جلالِ قُدْرِهِم عندَ اللهِ لعظيمِ آيَاتِهِم، وإهلاكِهِ لِمَن عاندَهُم، وإجابَتِهِ لدَعَوَاتِهِم:

فَمِنْ ذَلِكَ الحِكايةِ فِي المَسْطُورِ عَنِ صَالِحٍ^(١٥): «وَيَا قَوْمِ! هَذِهِ نَاقَةٌ لِلَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُّوْهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ، وَلَا تَمَسُّوْهَا بِسُوءٍ، فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ. فَعَقَرُوهَا. فَقَالَ: تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ. فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِيتَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا، وَمَنْ خَزِيَ يَوْمَئِذٍ

(١٣) سورة الحج ٢٢/٧٨.

(١٤) أي قصص «أنبياء السِّدْق»، أنبياء الدُّرُوزِ الصالحين،

(١٥) هو أحدُ الأنبياء الصالحين، وأحدُ تَجَلِّيَّاتِ العقلِ الأوَّلِ في زمنِ مُلْكِ ثمود. ورد

اسمه في القرآن ١١ مرَّة.

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ. وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ، فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ، كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا. إِلَّا أَنْ تَمُودَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ. أَلَا بَعْدَ لَلتَّمُودِ»^(١٦).

فتأملوا يا أولى العقول والنِّهايات، هل أَسَدَقُ من هذه النبوة وأوضحُ من هذه الآيات التي ليست كآيات أصحاب النواميس المُفترَيَات.

وأيضاً من سورة هُودٍ باقى قُصَّة لُوط^(١٧): «قالوا: يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ. فَاسْرُءْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ»^(١٨)، ثم قال: «فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودَةٍ مُسَوَّمَةٍ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ»^(١٩).

فهذه دعوات الأصفياء ومناقب البررة الأولياء.

وأيضاً من سورة هُودٍ باقى الحكاية عن شُعَيْبٍ^(٢٠): «ويا قوم اْعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ. إِنِّي عَامِلٌ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ، وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ فَارْتَقِبُوا. إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ. وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِيتْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ، كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا. أَلَا بَعْدَ لِمَدِينٍ كَمَا بَعُدَتْ تَمُودُ»^(٢١).

(١٦) سورة هود ١١/٦٤ - ٦٧.

(١٧) لوط هو أيضاً أحد أنبياء السدق، وهو أحد تجليات العقل الكلّي في زمن الطوفان. يرد اسمه في القرآن ٢٧ مرة.

(١٨) سورة هود ١١/٨١.

(١٩) سورة هود ١١/٨٢ - ٨٣.

(٢٠) أحد أنبياء السدق، وأحد تجليات العقل الأوّل. له مقام عظيم في فلسطين. يؤمّه الموحّدون ليُحيوا ذكره، نكايّة بموسى الذي ادّعى النبوة وناقق على شعيب وعلى الموحّدين في زمانه.

(٢١) سورة هود ١١/٩٣ - ٩٥.

وقد صَدَرَ الحَقُّ في الأسفار الصحيحة، أَنَّ شُعَيْبًا هو الذي اصْطَنَعَ موسى وأَفْضَى بِالْحَقِّ إِلَيْهِ، وهو مُرْسِلُهُ، ولقد خَالَفَهُ وَنَافَقَ عَلَيْهِ.

وأيضاً من سورة الْحَجْرِ في قِصَّةِ لُوطٍ: «وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ. وجاء أهل المدينة يَسْتَبْشِرُونَ. قال: إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُون. وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُون. قالوا: أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ! لَعْمَرِكَ إِنَّهُمْ فِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُون. فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ. فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا. وَامْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حَارَّةً مِنْ سِجِّيلٍ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُوقِنِينَ»^(٢٢).

فهذه قَصَصُ أَهْلِ الْحَقِّ السَّادِقِينَ، الَّذِينَ دَلَّتْ عَلَيْهِمْ شَرَفُ مَنْزِلِهِمْ وَإِجَابَةُ الْبَارِي لِدَعَوَاتِهِمْ فِي هَلَاكِ الْفَاسِقِينَ.

وهذه قِصَّةٌ مُجَمَّلَةٌ فِي تَوْبِيخِ أَصْحَابِ الشَّرَائِعِ الَّذِينَ جَبَرُوا أَمَمَهُمْ عَلَى الْأَعْمَالِ الْجِسْمِيَّةِ، وَقَعَدَتْ بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ عَنْ مَعَالِمِ الْأَمْرِ الْإِلَهِيَّةِ التَّوْحِيدِيَّةِ :

من سورة الْمَائِدَةِ يَعْنِي جَمَاعَتَهُمْ^(٢٣) قَوْلُهُ وَهُوَ: «لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً. وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ»^(٢٤). وقد شَهِدَ عَلَيْهِمْ وَصَحَّ أَنََّّهُمْ مُخْتَلِفُونَ. وَعَلِمَ كُلُّ ذِي لُبٍّ أَنَّ الاختلافَ لَيْسَ لِلْأَمَمِ. وَإِنَّمَا هُوَ لِأَصْحَابِ الشَّرَائِعِ، لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَمَرُ أُمَّتِهِ بِجِهَادِ الْأُمَّةِ الْأُخْرَى، وَقَتْلِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا. فَكَيْفَ يَكُونُ الاختلافُ إِلَّا كَذَلِكَ!؟

(٢٢) سورة الحجر ١٥/٦٦ - ٧٥.

(٢٣) أي جماعة أنبياء الكذب، وهم من اليهود والنصارى والمسلمين، سَنَّةٌ وَشِيعَةٌ.

(٢٤) سورة المائدة ٥/٤٨.

ناسخة لجميع المذاهب والانتحالات، وهي آخر العبادات، فقد بطل سراب المموهين، وانفسدت دعوى الملبسين.

وهكذا صورة الباري تعالى والإمام، لما ظهر، لا يكون بعد ظهوره إلا الجزء لجميع البشر. فهنيئاً لمن ختم له بالسعادة، وكان مقبولاً، وتباً لمن كان من أهل الشقاء وهو جهولاً.

فإن أجاب هذا المدعي عن معاني هذه السؤالات بجوابات شافية مختصرات، كنت أول من سارع إليه قاصداً نحوه فيمن يفد عليه، مفتقر لفوائده وعلمه، ومعرف بفضلِهِ وفهمِهِ، لأنني مقرُّ بالعجزِ والتقصير، وعلمُ الحقِّ واسعٌ كثير، لا يحوطُ به إلا صاحبُ الكمالِ والتَّمامِ، الذي هو للخلق هادي وإمام.

وأيضاً أنا مقرُّ أن الدار لا تخلوا من الفاضل، لتثبت به الحجة على العالم والجاهل، كما أن الأبصار محتاجة إلى مقابلة الأنوار الطبيعية، كذلك البصائر مضطرة إلى الأشخاص العلمية، لتستفيد منها الفوائد العقلية، كما أن الأنوار الطبيعية باقية سرمد، كذلك أنوار العقل موجودة لا تفقد.

السؤالات العشرة من التوراة :

كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى وَقَالَ لَهُ: قُلْ لِهَارُونَ كَانَ فِي رَجُلٍ مِنْ خَلْفِهِ أَوْ خَلْفِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَيْبٌ لَا يَدْنُو أَنْ يَقْرَبَ خَبَرَ اللَّهِ كَيْلَا يُنَجَّسَ الْقُدَّاسُ إِنْ كَانَ أَعْوَرُ أَوْ أَعْرَجَ أَوْ أَفْطَسَ أَوْ مَكْسُورَ الْيَدِ أَوْ مَكْسُورَ الرَّجْلِ أَوْ سَاقِطَ الْحَاجِبَيْنِ أَوْ أَحْوَلَ أَوْ فِي عَيْنِهِ خِيَالٌ أَوْ أَكْمَهَ أَوْ أَبْرَصَ.

فهذه عشرة عيوب معروفة ظاهرة في الأبدان، ومقابلها علل باطنة مختلفة في الأديان. فإن يكون أراد به ظاهر الخطاب وإنما نهاهم أن لا يقرب

برساله، ونصَّ عليه بعضُ ما أَلْفَهُ من عِلْمِهِ ومَقَالِهِ، ويُوْعِدُونِي أَنَّهُ يُقَرِّبُنِي إِلَيْهِ وَيُزِيدُنِي بَزْعُمِهِ وَيُقَوِّينِي مِمَّا أَنَا عَلَيْهِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى مَا أُشِيرُ إِلَيْهِ، فَرَأَيْتُ فِي قَوْلِهِ زِيَادَةً وَنُقْصَانًا، وَرَسُولُهُ يَنْطِقُ عَنْهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا بَيَانٍ، مُتَلَجِّجًا فِي أَقْوَالِهِ، فَاسْتَرْبَيْتُهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، فَذَكَرْتُ الْفَصْلَ مِنْ سِجْلٍ مُكْرَمٍ كُتِبَ لَصَالِحِ ابْنِ عَلِيٍّ، دَاعِيَا كَانَ بِجَزِيرَةِ الرِّيِّ، فِي قَوْلِهِ لِسَانُ الْحَقِّ أَبْلَجٌ وَضَّاحٌ، وَلِسَانُ الْبَاطِلِ مُلْجَجٌ قَضَّاحٌ.

فَرَأَيْتُ، وَبِمَوْلَانَا جَلَّ ذِكْرُهُ التَّوْفِيقِ، وَبَوَلِيَّهِ الْإِمَامِ الْهَادِي اهْتَدَيْتُ إِلَى أَوْضَحِ طَرِيقٍ، أَنْ أَعْلَمَ صَحَّةَ مَقَالَتِهِ، وَإِلَى أَيْنَ مُنْتَهَى رَأْيِهِ وَدَلَالَتِهِ، بِسُؤَالَاتٍ ذَكَرْتُهَا وَمِنْ الْكُتُبِ اخْتَرْتُهَا:

فَمِنْهَا عَشْرُ سُؤَالَاتٍ مِنَ التَّوْرَةِ، وَعَشْرَةٌ مِنَ الْإِنْجِيلِ، وَعَشْرَةٌ مِنَ التَّنْزِيلِ، وَعَشْرَةٌ مِنَ التَّأْوِيلِ، وَعَشْرَةٌ مِنَ الشَّرْعِ، وَعَشْرَةٌ مِنْ خَبَرِ الرَّسُولِ، وَعَشْرَةٌ مِمَّا نَهَى عَنْهُ مَوْلَانَا جَلَّ ذِكْرُهُ وَبَتَرَكِهَا أَمْرًا. وَحَادِي عَشَرَ مِنَ الْمَعْقُولِ^(٢)، لِأَنَّ بَعْضَ أَثَارِ الْعَلَّةِ مَوْجُودَةٌ فِي الْمَعْقُولِ. وَحَيْثُ الْقُدْرَةُ ثُمَّةُ الْقَادِرِ، وَمَوْضِعُ الْعِلْمِ يُوجَدُ الْخَبِيرُ الْعَالِمُ. وَالْعَالِمُ لِمَنْ تَقَدَّمَ وَسَبَقَهُ مِنْ أَهْلِ الْحَقَائِقِ، مُسَدِّقٌ وَلَهُ مُتَّبِعٌ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزِيدَ فِي تَقْنِينِهِ وَلَا يَنْقُصَ وَلَا يُبْتَدَعُ.

وَمَنْ أَتَى بِمَا يُخَالِفُ دَعْوَةَ التَّوْحِيدِ، وَزَادَ الْعَالَمَ إِلَى تَرْبِيَةِ وَعِلْمٍ جَدِيدٍ، بِخِلَافِ مَا رَتَّبَهُ الْإِمَامُ قَبْلَ غَيْبَتِهِ، وَشَرَحَهُ مِنْ مَكْنُونِ حَكْمَتِهِ، وَبَيَّنَّهُ لِأَهْلِ دَعْوَتِهِ، وَلَمْ يُطَابِقْ ظَاهِرُهُ مَا خَفِيَ مِنْ أَمْرِهِ، وَسَتَرَ وَلَمْ يَقْتَفِ مِنْهُ الْأَثَرَ، كَانَ كَالْمَلْبَسِ الْفِضَّةِ الصَّافِيَةِ عَلَى النُّحَاسِ لِيُجَوِّزَهَا عَلَى الْعَمِيِّ مِنَ النَّاسِ، أَوْ كَمَنْ لَبَسَ الْبَاطِلَ بِالْحَقِّ، حَتَّى أَضَلَّ بِهِ كَثِيرًا مِنَ الْخَلْقِ، فَمَا هَذَا هُوَ الْمُقَدَّمُ الْمُطَاعُ، وَلَا يَجِبُ عَلَى مُسْتَجِيبٍ لَهُ اتِّبَاعُ.

وَلَمَّا كَانَتْ دَعْوَةُ التَّوْحِيدِ آخِرَ الدَّعَوَاتِ، وَحُدُودُهَا آخِرُ الدَّعَاةِ، وَهِيَ

(٢) الْمَقْصُودُ: وَاحِدٌ مِنَ الْمَعْقُولِ.

خَبَرَ اللَّهُ، مَنْ بِهِ هَذِهِ الْعُيُوبُ الظَّاهِرَاتِ، وَهُمْ عِنْدَهُ بِهَا أَتَجَاسٌ لِقَوْلِهِ إِنَّهُمْ يُتَجَسَّوْنَ الْقُدَّاسَ فَقَدْ سَقَطَتْ عَنْهُمْ الْعِبَادَاتُ وَالْفُرُوضُ وَالْوَاجِبَاتُ، وَقَدْ جَارَ أَيْضاً عَلَيْهِمْ وَمَا عَدَلَ إِذَا جَعَلَهُمْ تَحْتَ الْمَعَائِبِ وَالْعِلَلِ، وَمَا قَلَّ مَنْ يَسْلَمُ مِنْهَا مِنَ الْبَشَرِ. وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْعِلَلُ دِينِيَّةً بَاطِنَةً خَفِيَّةً فَمَا مَعْنَى هَذِهِ الْعُيُوبِ الْمَذْكُورَةِ الْخَفِيَّةِ الْمَسْتُورَةِ؟

السُّؤَالَاتُ الْعَشْرَةُ مِنَ الْإِنْجِيلِ :

قال يسوع المسيح لتلاميذه : أن ليسَ شيءٌ خارجٌ عن الإنسان يدخلُ فيه يستطيعُ أن يُنجَّسَهُ، ولكن الذي يخرجُ مِنْهُ هو الذي ينجَّسُهُ، وهو الذي يخرجُ مِنَ الْقَلْبِ والأفكارِ السَّوِّءِ، وهو الزِّنَا والفِسْقُ والقَتْلُ والسَّرِقَةُ والرَّغْبَةُ والغِشُّ والحَمَقُ ^(١).

فهذه الشرورِ السبعةُ من داخلٍ تَخْرُجُ وتُنَجِّسُ الإنسانَ هي أفعالٌ بالجسمِ مفعولاتٌ في ظاهرِ العيانِ، والذي يَخْرُجُ مِنَ الْقَلْبِ فهو أقوالٌ باللسانِ. فما معنى هذه العُيُوبِ الْخَفِيَّاتِ. وَمَنْ هُمْ أَصْحَابُ هَذِهِ الْمَعَائِبِ الْمَذْكُورَاتِ الْمُعَيَّنَاتِ.

فإِنْ يَكُنْ نَهْيُهُ عَنْ ظَوَاهِرِهَا فَمَا أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُرُهَا وَلَا فَائِدَةَ فِي نَهْيِ رُوحِ اللَّهِ عَنْ مُسْتَقْبَحَاتٍ هِيَ فِي جِبَالَتِ الْعُقُولِ، وَقَدْ اتَّفَقَ عَلَى قُبْحِهَا الْعَالِمُ وَالْجَهْلُ. وَإِنْ يَكُنْ لَهَا حَقَائِقُ فِي الْعِبَارَاتِ فَيَجِبُ أَنْ يَتَدَاوُوا مِنْهَا أَهْلُ الدِّيَانَاتِ. فَمَا هِيَ بِجَوَابٍ صَحِيحٍ، وَلِسَانٍ فَصِيحٍ، يَكُونُ لِمَنْ يَسْمَعُهُ مُفِيدٌ، وَهُوَ بِهِ مُغْتَبِطٌ سَعِيدٌ.

وقال يسوع المسيح لتلاميذه: كُلُّ مَنْ شَكَّكَ مِنْ إِحْدَى هَؤُلَاءِ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي كَانَ خَيْرًا لَهُ أَنْ يُعَلَّقَ حَجَرُ الطَّاحُونِ فِي عُنُقِهِ وَيُلْقَى فِي الْبَحْرِ.

فَإِنْ شَكَّكَتْ يَدُكَ فَاقْطَعْهَا فَخَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخَلَ الْحَيَاةَ زَمَنًا مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ كِلْتَا يَدَيْكَ وَتَذْهَبَ إِلَى جَهَنَّمَ فِي النَّارِ الَّتِي لَا تُطْفَأُ وَحَيْثُ دُودُهُمْ لَا يَمُوتُ. وَرَجُلُكَ إِنْ شَكَّكَتْ فَاقْطَعْهَا فَخَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخَلَ الْحَيَاةَ أَعْرَجًا مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ كِلْتَا رِجْلَيْنِ وَتُلْقَا فِي جَهَنَّمَ فِي النَّارِ الَّتِي تُطْفَأُ وَحَيْثُ دُودُهُمْ لَا يَمُوتُ. وَعَيْنُكَ إِنْ شَكَّكَتْ فَأَقْلَعْهَا فَخَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخَلَ فِي مَلِكِ الْإِلَهِ بَعِينَ وَاحِدَةً مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ كِلْتَا عَيْنَيْنِ وَتَذْهَبَ إِلَى جَهَنَّمَ فِي النَّارِ الَّتِي لَا تُطْفَأُ وَحَيْثُ دُودُهُمْ لَا يَمُوتُ^(٢).

السُّؤَالَاتُ الْعَشْرَةُ مِنَ التَّنْزِيلِ :

قَوْلُهُ فِي الدُّسْتُورِ: «رَبَّنَا أَمَتْنَا ائْتَنَيْنِ، وَأَحْيَيْتَنَا ائْتَنَيْنِ، فَاغْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا، فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ»^(٣). مَا هَذِهِ الْمَوْتَتَيْنِ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاتَيْنِ، وَمَا هُوَ الْخُرُوجُ الَّذِي تَمْنُوهُ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ أَنْ أَحْيَاهُمْ مَرَّتَيْنِ؟

وَقَالَ: «شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ»^(٤). مَا هِيَ الشَّجَرَةُ، وَمَا هُوَ الْجَحِيمُ، وَمَا هُوَ طَلْعُهَا الَّذِي يُشَبِّهُ رُؤُوسَ الشَّيَاطِينِ؟

وَقَالَ فِي قِصَّةِ يُونُسَ: «فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ»^(٥). مَا هُوَ الْحُوتُ الَّذِي لِيُونُسَ، وَقَدْ ابْتَلَعَ، رَحِمَ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ وَلَا يَبْتَدِعُ.

وَقَالَ: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا»^(٦). مَا هَذَا السَّرَابُ الَّذِي يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً وَلَمْ يَكُنْ مَاءً مُنْقَعٌ، بَلْ يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، رَحِمَ اللَّهُ مَنْ سَمِعَ وَلَا يَبْتَدِعُ.

(٢) متى ٢٩/٥ - ٣٠.

(٣) سورة غافر ٤٠/١١.

(٤) سورة الصافات ٣٧/٦٤.

(٥) سورة الصافات ٣٧/١٤٢.

(٦) سورة النور ٢٤/٣٩.

السُّؤَالَاتُ الْعَشْرَةُ مِنَ التَّأْوِيلِ :

قالَ في المجلسِ الكريمِ : «يُوشِكُ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيُظْهَرَ الْجَهْلُ». ما الْعِلْمُ الَّذِي يُرْفَعُ، وما الْجَهْلُ الَّذِي يَظْهَرُ. فَإِنْ ظَهَرَ الْجَهْلُ عَلَى ظَاهِرِ الْخِطَابِ، فَأَيُّ حُجَّةٍ تَثْبُتُ عَلَى مَنْ لَا يَعْلَمُ إِذَا ضَلَّ وَجَهْلًا، إِذْ لَمْ يَجِدْ عِلْمًا يُرْشِدُهُ وَعَالِمًا يَهْدِيهِ وَيُسَدِّدُهُ، وَعَاقِبُهُ عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَهُ.

وقالَ في المجلسِ أيضاً : «مَنْ عَلَيْهِ حَدٌّ لَا يُقِيمُ حَدًّا، وَعَاصِي لَا يُطَهِّرُ عَاصِي». ما هَذَا الْحَدُّ الَّذِي لَا يَجِبُ أَنْ يُقِيمَ حَدًّا، وما هُوَ الْعَاصِي الَّذِي لَا يَجِبُ أَنْ يُطَهَّرَ عَاصِيًا، وهو محتاجٌ أَنْ يُطَهَّرَهُ؟

وقالَ في المجلسِ : «ذَهَبَتْ أَشْخَاصٌ نُطَقَاتِكُمْ وَظَهَرَتْ أَشْخَاصُ الْبَاغِثِينَ لَهُمْ. وَالنُّطَقَاءُ فَمَنْ آدَمَ إِلَى مُحَمَّدٍ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ». مَنْ هُمُ الْأَشْخَاصُ الْبَاغِثِينَ لَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُشِيرَ إِلَى مَعْبُودٍ جَلٍّ وَتَعَالَى عَنْ انْقِذَارِ الرُّسُلِ، بَلْ مُرْسَلِيهِمْ ظَاهِرِينَ، وَهُمْ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مَعْرُوفِينَ، قَبَّحَ اللَّهُ رَأْيَ الْمُدْلِّسِينَ الْمُدَّعِينَ.

وقالَ أيضاً في المجلسِ : «مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ أُطْلُبُوا مَا فَوْقَ الرُّوحَانِيِّينَ وَالْجِسْمَانِيِّينَ، وَأَطْلُبُوا غَايَةَ الْإِبْدَاعِ». مَنْ هُمُ الرُّوحَانِيُّونَ، وَمَنْ هُمُ الْجِسْمَانِيُّونَ، وما هو غَايَةُ الْإِبْدَاعِ.

وقالَ في المجلسِ : «الْيَمِينُ وَالشِّمَالُ مُضِلَّتَانِ وَالْوَسْطَى هِيَ الطَّرِيقُ إِلَى النِّجَاةِ». ما هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ الْيَمِينُ وَالشِّمَالُ الْمُضِلَّتَانِ، وما هِيَ الطَّرِيقُ الْوَسْطَى الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى النِّجَاةِ؟

السُّؤَالَاتُ الْعَشْرَةُ مِنَ الشَّرْعِ :

قالَ : «مَنْ التَّفَتَ فِي صَلَاتِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا، أَوْ طَمَحَ بِنَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ فَقَدْ قَطَعَهَا وَانْقَسَدَتْ عَلَيْهِ، بَلْ يَكُونُ نَظَرُ الْمُصَلِّي مَوْضِعَ سُجُودِهِ».

ما هي في الحقيقة الصلاة، وما هو الالتفات، وما هي اليمين، وما هي الشمال، وما هي السماء التي تُفسد صلاته إذا رفع رأسه إليها وأقبل نحوها، وما هو موضع السجود الذي لا تصح الصلاة إلا بالنظر إليه والأقبال عليه؟

وقال أيضاً: «يَوْمَ صَوْمُكُمْ يَوْمَ نَحْرُكُمْ». ما هو الصوم وما هو النحر، ومن يوم الصوم، ومن يوم النحر؟

وقال: «مَنْ نَظَرَ هِلَالَ شَهْرِ رَمَضَانَ فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْهِ صَوْمُهُ، وَمَنْ نَظَرَ هِلَالَ شَهْرِ شَوَّالٍ فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْهِ إِفْطَارُهُ». ما هو هلال شهر رمضان الذي حلل فيه الصوم، وحرّم فيه الإفطار، وما هو هلال شهر شوال الذي حلل فيه الإفطار وحلّل فيه الصوم؟

ولم سبق غسل الوجه في الطهر للصلاة قبل غسل اليدين لقوله: «إِذَا قُمْتُمْ لِلصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ»^(٧). كيف يُغسل الوجه قبل غسل اليد، وما هو غسل الوجه في الحقيقة، وما هو غسل اليد، بماذا يغتسلون، ولا يكون غسل إلا من نجس؟

السُّؤَالَاتُ الْعَشْرَةُ مِنْ خَبَرِ الرَّسُولِ :

قال الرسول: «إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدْعُ فِي أُمَّتِي فَلْيُظْهِرِ الْعَالِمُ عِلْمَهُ. فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ». ما هي البدع التي تظهر، ومن هو العالم الذي يظهر علمه؟

وقال: «رُفِعَ الْعِلْمُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ الْطِفْلِ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يُفَيِّقَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَفِيقَ». ما العلم، ومن الطفل، ومن المجنون، ومن النائم؟

وقال : « لَا تُؤْكَلُ ذَبِيحَةُ الْغُلَامِ حَتَّى يَحْتَلِمَ » . ما هي الذَّبِيحَةُ وَمَنْ هُوَ الْغُلَامُ ؟

وقال : « ثَلَاثَةٌ يُقْتَلُونَ فِي الْحَرَمِ : الْكَلْبُ الْعَقُورُ وَالْحَيَّةُ وَالْعَقْرَبُ » . مَنْ هُوَ الْكَلْبُ الْعَقُورُ ، وَمَنْ هِيَ الْحَيَّةُ ، وَمَنْ هُوَ الْعَقْرَبُ ؟

وقال : « ثَلَاثَةٌ يَقْطَعُونَ الصَّلَاةَ : الْإِمْرَأَةُ وَالْكَلْبُ وَالْحِمَارُ » . ما هي الصَّلَاةُ ، وما هي الْإِمْرَأَةُ ، وَمَنْ هُوَ الْكَلْبُ ، وَمَنْ هُوَ الْحِمَارُ الَّذِينَ يَقْطَعُونَ الصَّلَاةَ ؟

السُّؤالُ الْحَادِي عَشَرَ مِنَ الْمَعْقُولِ :

إِذَا كَانَ الْبَارِي تَعَالَى مُطَّلِعٌ عَلَى مَا فِي السَّرَائِرِ عَالِمٌ بِخَفِيِّ الضَّمَائِرِ ، فَمَا الْحَاجَةُ إِلَى إِنْفَازِ الْوَسَائِطِ بَعْدَهُ وَمِثَاقِهِ .

وَإِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا دَارَ عِبَادَةٍ ، فَلِمَ مَكَّنَ الْكَافِرُ مِنْ خَيْرِهَا وَمَنَعَ الْمُؤْمِنَ مِنْ نَيْلِهَا ، وَهُوَ مُضْطَرٌّ إِلَيْهَا ، وَبِهَا قِيَامُ أَوْدُهُ ، وَبِهَا يَسْتَعِينُ عَلَى قُوَّةِ صَوْرَتِهِ ، وَيَسْتَعْمَلُهَا فِي طَلَبِ دِينِهِ وَفَائِدَتِهِ ؟ فَإِنْ احْتَجَّ أَنَّهَا مِنْ فِعْلِ الْأَفْلَاقِ ، قِيلَ لَهُ : هَلْ هَذِهِ الْأَفْلَاقُ عَالِمَةٌ أَمْ جَاهِلَةٌ ؟ فَإِنْ قَالَ هِيَ جَاهِلَةٌ بِأَفْعَالِهَا ، قِيلَ لَهُ فَمَا يَزِيدُ دَوْرَانَهَا بِمَا يَحْدُثُ عَنْهَا وَيُظْهِرُ مِنْهَا تُصَيِّبُ عِنْدَ غَيْرِ عَارِفٍ مُجِيبٍ ، تَعْرِفُ عَلَيْهِ مِنْ بَرَكَاتِهَا ، وَتُقَيِّضُ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرَاتِهَا . فَإِنْ اعْتَرَفَ أَنَّ لَهَا مُحَرِّكًَ وَمُدَبِّرً وَهُوَ عَارِفٌ بِصُنْعَتِهِ وَخَبِيرٌ ، لَا يَدُورُ فَلَكَ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ ، وَلَا يَقِفُ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ ، فَلْيُقِيمْ هَذَا الْمَسْئُولُ فِي ذَلِكَ مَوْجِبَ الْإِنْصَافِ وَالْعَدْلِ ، وَإِلَّا فَلَا يَدْعِي مَنَزِلَةَ التَّمَامِ وَالْفُضْلِ ، بَلْ يَعْتَرِفُ بِالْاِفْتِقَارِ وَالنَّقْصِ وَالْجَهْلِ .

وَمَا الَّذِي أَوْجَبَ الْاِخْتِلَافَ بَيْنَ الرُّسُلِ ، وَمُرْسِلَهُمْ وَاحِدٌ ؟

وَمَا الَّذِي أَوْجَبَ التَّفَاوُتُ فِي الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ فِي كَافَّةِ الْخَلْقِ

والأنام؟ فإن يكن اختصاصاً بغير اجتهد في العلم والعمل، فقد بطل الحِرصُ ووقف الأمل.

هل الباري سبحانه محتاج إلى عبادة المخلوقين أم هو غني عن عبادتهم أجمعين؟ فإن قال هو غني عن جميع العالمين، قيل له فلم ظهر للأنام والبشر، و وحدوه بالصُّور من حيث تخيل النُّظر؟

وهل إبليس باقٍ في الصورة التي أغوى فيها آدم، أم هو في وقتنا هذا في صورة غيرها؟

وهل كيف نُقله المنتقل من الأجسام في وقت واحد، أم على تتابع الأوقات والأيام؟

وهل النفس الناطقة حالة في الأجسام؟ فإن أوجب حلولها، وإن فيه نُزولها قيل له: هل هي في جميعه وتملأه، أم هي في بعض أجزائه؟ فإن أوجب إنها تحل في جميعه، قيل له: فإذا قطع شيئاً من أعضائه، تنقص نفسه لنقص أجزائه؟ فهذا يُفسد دعواه. فإن قال مقلته وشهد أنها لا تحل فيه كحلول الأعراض، ولا تمازج صورة البلوغ والانتقاض، بل هي عليه مُشركة وبه حائطة كإشراق نور الشمس على جميع ما في الدار، لتنتفع بها العيون والأبصار. قيل له: كيف تتميز النفس الطائعة للثواب، وكيف تتميز النفس العاصية للهوان والعقاب. فهذا يبيته ويوقفه لأنه لم يسأل الإمام ولم يعرفه.

السُّؤالاتُ العشرة التي ذكرها مولانا جلّ ذكره في السجلات، ونهى عنها وحرّمها في تلك الأوقات، فمن ذلك :

والدليل من التوراة على ظهور المسيح، ودعوته لليهود والنصارى إلى التوحيد والدين الصحيح، قول التوراة: إِنَّهُ سَيَجِيءُ مِنْ سَاعِيرِ نُورٍ، مَنْ اتَّبَعَهُ نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ هَلَكَ وَغَوَى. وساعيرُ بالشرارة، وبها قرينة تُدعى ناصرة. ولذلك قيل لأمته النصارى. وخلافهم للمسيح، أعني النصارى، وجهلهم بمجيئه، وحنودهم عن أمره، وكفرهم لما جاء به أشد من كفر اليهود. وقد أشبعنا الرد عليهم في قُبْح مذهبهم وسخافة عقولهم، وِعوار مُعْتَقِدِهِمْ فِي التَّعَقُّبِ وَفِي الرِّسَالَةِ الْمَسِيحِيَّةِ^(٦).

وأما الدلالة على ظهور المسيح من التوراة فهو قول شعيا عن الله: هَا أَنَا إِذْنِ أَخْلَقُ سَمَاءً جَدِيدَةً، وَأَرْضاً جَدِيدَةً. وَلَيْسَ يَذْكُرُ الْأَوَّلَ، وَلَا يَقَعُّ بِقَلْبِ أَحَدٍ. وَقَالَ أَيْضاً شَعْيَا عَنْ اللَّهِ: أَنَا اللَّهُ وَهَذَا اسْمِي. وَلَا أُعْطِي جَلَالِي وَمَجْدِي لغيري. مَا كَانَ فِي الْقَدِيمِ قَدْ أَدْبَرَ، وَأَنَا مَبْشَرٌ بِالْجَدِيدِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ. فَعَرَفَهُمْ بِظُهُورِ الْمَسِيحِ عَيْسَى. وَقَالَ أَيْضاً شَعْيَا عَنْ اللَّهِ: لَا تَذْكُرُوا مَا مَضَى، وَلَا تَتَأَمَّلُوا مَا تَقَدَّمَ إِنِّي سَأَخْلُقُ جَدِيداً وَسَيَظْهَرُ فِيكُمْ فَتَقْتُلُوهُ.

وهذه نصوصات متعبداتكم أيها اليهود التي جرت على ألسن أنبيائكم الذي أنتم بهم مقرون وبنبوءتهم معترفون. وأنتم له بالبهت تكذبون. فإلى أي مذهب ترجعون، وبأي حجة تحتجون، وبأي دين تتدينون. وهل لكم حجة في غير التوراة إلا بما تكذبوه، وتصوروه لأنفسكم وتختلقوه. وتموه به روساء ضاللتكم على ضعفائكم ويحرفوه.

وقد بشر شعيا بمجيء المسيح فقال: سَأَجْعَلُ فِي الْفِيَا فِي طُرْقًا وَفِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي لَا يَمْشِي فِيهَا أَنْهَارًا تَسْقِي، ثُمَّ الْفُهْدُ وَالنَّعَابِينُ وَالنَّعَامُ. وَقَالَ: سَيَظْهَرُ مِنْ رُبُوبَةِ الْقُدْسِ أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ تَسْقِي شَرْقَ الْأَرْضِ وَغَرْبَهَا.

فدلَّ على ظهورٍ من يأتي بعده. ثمَّ قال: إنِّي جعلتُ الأرضَ وغربَهَا. فدلَّ على ظهورٍ من يأتي بعده. ثمَّ قال: إنِّي جعلتُ في الفياقي أنهاراً وأمياه حيثُ لم تكنْ لأسقي أمتي المتَّخيرة. والأمة التي أَخْلَصْتُ لنفسِي، وهي تَنطِقُ بِمَجْدِي وتُوحِدي. فأشار إلى قائمِ الحقِّ الظاهر في كلِّ عصرٍ بدعوة التَّوحيد. وأمرهم أن لا يَتَمَسَّكون بالتَّوراة، وأخبرهم أنه يُرسلُ رسالاً بما لا يَعْلَمُوه العالمُ من معادنٍ لم تكنْ قط من المعارفِ الدنيويَّة تَنطِقُ بِمَجْدِهِ وتُوحِده وَوصِفَهم بالقُفَّار.

فقد بَشَرَ بهذه الآيةِ بأئمةٍ يَنطِقُونَ عن اللَّهِ. وفضلُ الأمةِ الآخيرةِ التي هي أُمَّةُ قائمِ الحقِّ على الأممِ كُلِّها. وأضافَهَا إلى نفسه وَذَكَرَ أنها تَنطِقُ بِمَجْدِهِ وتُوحِده.

وأيضاً ما يُؤيِّد قولنا في الدلالةِ والبرهانِ على ظهورِ قائمِ الزمانِ، قوله: صوتُ منادٍ في القفارِ أَنْصِبُوا لِلَّهِ طَرَقاً، وأَقِيمُوا في الفياقي طَرَقَهُ. سَتَرَتِغِ الوَطْئَةُ وَتَنخَفِضُ الجِبَالُ والكُدَّاهُ، وتكونُ المعوجَّةُ مستقيمةً، والوعرةُ تكونُ طريقَها سهلةً، ويظهرُ جلالُ اللَّهِ. فهذا أعظمُ البيانِ. إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سِيرِدُ النُّبُوَّةِ في غيرِ الموضعِ الذي كانتُ فيه.

ومن الدلالةِ على ظهورِ قائمِ الحقِّ، فدلَّ داودُ في الزُّبورِ يَذْكُرُ قائمَ الحقِّ، سلامُ اللَّهِ على ذِكْرِهِ، وهو: قال السَّيِّدُ لِسَيِّدِي اجلسْ عن يميني حتَّى أَجْعَلَ عَدَدَ أَعْدَاكَ كَرَسِي رَجُلِيكَ. فعظَّمَهُ داودُ وَسَوَّدَهُ وأَقَرَّ به بالخنوعِ. ثم وصفَهُ أيضاً داودُ كيلاً يُخْفِي أَمْرَهُ فقال: سَبَّحُوا الرَّبَّ تَسْبِيحاً جَدِيداً. سَبَّحُوا الذي هيكَلُهُ الصَّالِحُونَ. لِيَفْرَحَ إِسْرَائِيلُ بِخَالِقِهِ ويموتُ صَهْيُونَ. من أَجْلِ أَنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَهُ أُمَّةً وَأَعْطَاهُم النِّصْرَ وَسَدَّدَ الصَّالِحِينَ منهم بالكرامة. يَسَبِّحُونَهُ على مضاجِعِهِمْ وَيُكَبِّرُونَ اللَّهَ، ويوَحِّدُونَهُ بأصواتٍ مُرتفعة. بأيديهم سيوفٌ ذاتُ شَفَرَتَيْنِ، به يَنْتَقِمُ اللَّهُ من الأُمَّةِ التي لا تَعْبُدُهُ وتوَحِّدُهُ.

وأيضاً دلّ داوودُ على ما دلّ عليه شعياً من ذكرِ القائمِ المنتظرِ سيّدِ الأولين والآخرين، إذ يقول: إِنَّ السَيِّدَ يَمْلِكُ جَمِيعَ الدُّنْيَا وَإِنَّهُ يَجُوزُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى لَدُنِ الْأَنْهَارِ إِلَى مُنْقَطِعِ الْأَرْضِ، وَإِنَّهُ الَّذِي تَخَرُّ الْجَبَارَةُ لَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبِهِمْ، وَتَجْلِسُ أَعْدَاؤُهُ عَلَى التَّرَابِ وَتَأْتِيهِ الْمُلُوكُ بِالْقِرَابِينَ، وَتَسْجُدُ لَهُ وَتَدِينُ الْأُمَمُ كُلُّهَا بِطَاعَتِهِ وَالْإِنْقِيَادَ لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ الْمَضْطَّهَدَ الْبَائِسَ مِمَّنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ، وَيَرْفُذُ الضَّعِيفَ الَّذِي لَا نَاصِرَ لَهُ، وَيَرُوفُ بِالضَّعْفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَيُصَلِّيُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ وَيُبَارِكُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيَدُومُ ذِكْرُهُ إِلَى الْأَبَدِ، مَا لَكَ الْجَمِيعُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمِثْلُهُ فِي التَّوْرَةِ بِرِيحِ شَفَافِيَّةٍ يَحْرِقُ الْخَبِيثَ.

فهذه صفات لا يدّعيها أحدٌ من الأنبياء، ومناقبٌ ليست تكون إلا لقائم الحق قائم القيامة سلام الله على ذكره، صاحب رجال الأعراف الأطهار، الذي أعذر العوالم وأنذر إليهم قبل غيبة الامتحان والاختبار.

وأنتم أيها اليهود وجميع أهل الشرع في سكرتكم تعمهون، وقد ظللتم عما كان الأسلاف المحقون له ينتظرون. وصح قول شعياً في القديم: إِنَّكُمْ لَشَكَّكُمْ لَا تَجِدُونَ مَا تَتَمَنُّونَ وَلَا تَوْفَّقُونَ.

فهذا قول شعياً لأسلافكم: إِنَّ الَّذِي تَرْتَقِبُونَهُ لَا تَجِدُونَهُ لَشَكَّكُمْ بَمَا فِي أَيْدِيكُمْ عَدِمْتُمُوهُ. وقال لهم شعياً عن الله أيضاً تعريفاً عنه: طَلَبْنِي مَنْ لَمْ يَجِدْنِي، وَوَجَدَنِي مَنْ لَيْسَ يَسْأَلُنِي عَنِّي. فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ اللَّهَ أَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَهُ لَتَمَسُّكِهِمْ بِالْخَلْقِ الْقَدِيمِ، وَأَنَّ غَيْرَهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ.

وقد وبّخهم أمليخيا آخر الأنبياء عندهم قبل غيبيته عنه لطغيانهم وجحدهم للحق وكفرهم به وتمسكهم بما معهم، ممّا قد نهىوا عنه، وتحريفهم كلام التوراة عن مواضعه، فلذلك أبعدهم أمليخيا وسخط عليهم، وقال لهم: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ آخُذَ مَعِيَ قَلَّةً فَخَارَ، وَأَحْضِرَ الْمَشَايخَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَكْسَرَهَا قُدَامَهُمْ، وَأَقُولَ لَهُمْ. هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ إِلَهُ الْحَقُّودِ، هَكَذَا

أَكْسَرُ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَهَذِهِ الْمَدِينَةَ كَمَا تُكْسِرُ آنِيَّةَ الْفَخَّارِ الَّتِي لَا تُجْبَرُ أَبَدًا. فَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِكَبْشٍ فَكَأَنَّمَا يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِكَلْبٍ. وَمَنْ ذَبَحَ لِي ثَوْرًا فَكَأَنَّمَا ذَبَحَ لِي خِنْزِيرًا. وَقَدْ بَغَضْتُكُمْ وَبَغَضْتُ قَرَابِيئَكُمْ. فَإِنْ رَجَعْتُمْ إِلَيَّ وَاتَّبَعْتُمْ أَمْرِي وَسَلَكْتُمْ سَبِيلِي وَحَفَظْتُمْ مِيثَاقَ قُبَّةِ الزَّمَانِ، رَجَعْتُ إِلَيْكُمْ بِالْمَغْفِرَةِ، وَتَلَقَّيْتُكُمْ بِالتَّوْبَةِ، وَأَنْقَذْتُكُمْ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِكُمْ.

فَلَوْ كُنْتُمْ يَا جَمَاعَةُ الْيَهُودِ رَجَعْتُمْ إِلَى الْبَارِي وَاتَّبَعْتُمْ هَادِيَهُ وَدَلِيلَهُ، وَقَبِلْتُمْ أَمْرَهُ وَسَلَكْتُمْ طَرِيقَ الْحَقِّ وَسَبِيلَهُ، وَحَفَظْتُمْ مِيثَاقَهُ الَّذِي وَاتَّقْتُمْ عَلَيْهِ وَسَلَّمْتُمْ لِمَنْ أَمَرْتُمْ بِالتَّسْلِيمِ إِلَيْهِ، لَرَجَعْتُ إِلَيْكُمْ بِالْمَغْفِرَةِ وَتَلَقَّيْتُكُمْ بِالتَّوْبَةِ وَأَنْقَذْتُكُمْ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِكُمْ. وَالْحَقُّ أَوْلَى أَنْكُمْ تَعْرِفُونَ، أَنْكُمْ تَحْتَ غَضَبِ الْبَارِي إِلَى يَوْمِ تَعَاقُبُونَ، وَتَحْتَ الْقَهْرِ وَأَدَاءِ الْجَزَاةِ وَالذَّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ، لَيْسَ لَكُمْ رَئِيسٌ تَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، وَلَا وَزِيرٌ تَتَكَلَّمُونَ فِي أَمْرِ دِينٍ وَلَا دُنْيَا عَلَيْهِ.

فَأَنْتُمْ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا أَذِلَّةٌ مَقْهُورِينَ، وَبِسَبَبِ الدِّينِ تَحْتَ سَخَطِ الْبَارِي بِخِلَافِكُمْ لِأَوْلِيَائِهِ مَلْعُونِينَ. وَالِدَلِيلِ عَلَى سَخَطِهِ عَلَيْكُمْ بَعْدَ أَنْ عَرَفْتُمْ مَنْزِلَتَكُمْ عِنْدَهُ بِقَوْلِهِ: مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِكَبْشٍ فَكَأَنَّمَا يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِكَلْبٍ. وَمَنْ ذَبَحَ لِي ثَوْرًا فَكَأَنَّمَا ذَبَحَ لِي خِنْزِيرًا.

ثُمَّ قَالَ لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ تَأْكِيدًا لِتَعْرِيفِ سَخَطِهِ عَلَيْكُمْ: إِنِّي سَأُعْهِدُ عَهْدًا جَدِيدًا، وَهُوَ مِيثَاقُ قُبَّةِ الزَّمَانِ، وَلَيْسَ هُوَ مِثْلُ الْعَهْدِ الَّذِي عَهَدْتُهُ إِلَى آبَائِكُمْ، وَلَكِنْ عَهْدًا جَدِيدًا.

فَقَدْ دُعِيتُمْ أَيُّهَا الْيَهُودُ إِلَى صَاحِبِ الْمِيثَاقِ الْمُتَنَظَّرِ فَجَحَدْتُمُوهُ، وَأَوْقَفْتُمْ عَلَيْهِ بَعْدَ دَلَالَتِهِ عَلَى نَفْسِهِ بِالْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ فَعَرَفْتُمُوهُ وَأَنْكَرْتُمُوهُ، كَمَا أَنْكَرُوا النَّصَارَى وَصِيَّةَ الْمَسِيحِ فِي ذِكْرِ الْمِيثَاقِ، اتَّبَاعًا لِأَسْلَافِكُمْ عَلَى الْبَلْسِ وَالْكَفْرِ وَالْجَحْدِ وَالْإِبَاقِ.

ولم تتأملوا ما جاء في آخر الفصل الذي يُتلا عليكم بعدد تسع ساعات من يوم الخميس الكبير، المؤذن للشرع المتقدم بالنسخ والتحليل والتغيير، لما اجتمع إلى السيد الحواريين، الذين أنتم لهم أيها اليهود وجميع النصارى جاحدين منكرين. فقل لهم إن وقتي قد دنا وقرب. وعرفهم أن يهوذا الأسخريوطي يسلمه إلى فراعنتكم، أعني اليهود المتزندقين.

وهذا الذي جعلكم إلى اليوم تحت سخط رب العالمين، لما أخذ السيد خبزاً فبارك عليه وكسره وناول تلامذته وقال لهم: خذوا هذا جسدي فكلوه. ثم أخذ كأساً فشرّب وناولهم وقال لهم: خذوا هذا دمي فاشربوه. وهو الميثاق الجديد الذي تُسفك عليه دماء كثيرة لمغفرة الخطايا والذنوب.

ثم قال لهم: حق أقول لكم إنني لست أشرب من عصير الكرّم من الآن إلى اليوم الذي أشربه جديداً في ملكوت أبي الله. فأشار إلى هذا الوقت الشريف الكريم، الدال على ظهور النبا العظيم الذين كان العوالم له ينتظرون. وإلى اليوم فيه يختلّفون.

والآن، فقد تسالمت قلوب الأمم على الإلحاد، وتساؤوا لأهل الحق في الضدادة والعناد. وأنتم أيها اليهود وجميع الأمم قد قامت عليكم حجة الولي المنتظر وأنتم في الإجابة مخيرون، وعن قليل ترون عين اليقين وتندمون، ومن حق كل مسد في مهنته، إذا بلغ غرضه، أن يمسك عن القول. وقد بلغت الغرض، وأديت حقيقة المفترض.

فلنحتم ذلك بالحمد للبار المنزه عن العدم، والشكر لوليّ هادي الأمم.

تمت بمِنَّة ولي الأمر.

الْحُوسَمَةُ بِأَحْرَ وَسَبْعِينَ سُؤَالًا

سُئِلَ بِهَا بِغَضِ الْمُدَّعِينَ الْجُهَالِ

وَإِثْمَةِ الْجَانِّ وَزِيَارَةِ الضَّلَالِ

كتب هذه الرسالة بهاء الدين، يرد فيها على واحد وسبعين سؤالاً: عشرة من التوراة، وعشرة من الإنجيل، وعشرة من القرآن، وعشرة من مجالس الشيعة، وعشرة من أهل السنة، وعشرة من سيرة محمد، وعشرة من العقل، وسؤال واحد من مذهب التوحيد. هي أسئلة طرحها بهاء الدين من دون أن يجيب عليها. ولكنها تظهر نيته ومقدرته في الدفاع عن مذهب التوحيد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، حُدُودِ قَائِمِ الدِّينِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَلْهَمَ بِهِ مِنْ شُكْرِ آيَاتِهِ وَنِعَمِهِ، حَمْدَ مَنْ عَرَفَ قَدْرَ مَوَاهِبِهِ وَتَوَاتَرَ مِنْنُهُ، فَلَهُ الْحَمْدُ الدَّائِمُ، وَالتَّائِبُ الْقَائِمُ. أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْمَوْجُودُ فِي كُلِّ أَوَانٍ، الدَّائِمُ فِي كُلِّ عَصْرِ وَزَمَانٍ. الْمَذْكُورُ بِكُلِّ لُغَةٍ وَلِسَانٍ، سُبْحَانَهُ لَا يَخْفَاةُ اسْتَتْرَافُهُ بِظُهُورِهِ كَظُهُورِ مَخْلُوقَاتِهِ ظَهَرَ، فَهُوَ مُسْتَوْرٌ بِنُورِهِ لظُهُورِهِ وَإِشْرَاقُهُ لِمَا وَجَدَ، وَظَاهِرُهُ فِي وُجُودِهِ لِمَا عُبِدَ. فَوُجُودُهُ لِإِثْبَاتِ الْحُجَّةِ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ، لَا كَوُجُودِهِ مَنْ تُدْرِكُهُ الْعُقُولُ وَتَحُوطُ بِهِ الْحَوَاسِ.

فلما استوعبت النفوس النصح من الدليل، وشاهدت من حيث هي العقول والأبصار معجزات العلوم والحكم، وثبتت حجة الحق على كل الأمم، وتجلّى للبشر من حيث تخييل النظر، احتجب بنوره عن خلقه فلم يقتف له أثر، واستتر لغيبته وليه الهادي النذير، وغاب لغيبته صفيه البشير، وخلقت في أوليائه ومجيبه، وفي أهل طاعته ومحببه، دعاة إلى ما دعاهم إليه يدعون، ولفضله وعلمه في الخلق ينشرون، وبرجعتهم يخبرون، وبثوابه يبشرون، ومن عقابه وبأسه يحذرون، ولحالله يحللون، ولما نهى عنه وحرّمه يحرمون. وهم بلسانه ينقطعون.

فمن خالف منهم ما به أمر، ولم يقتف منه الأثر، وجاد عن صراطه المستقيم، وعدل عن منهاجه القويم، وجعل لنفسه مقالة، ونشر دعوة وبسط برأيه علوماً وحكمة، بخلاف ما رتبته الإمام قبل غيبته، كي يرد من استفزه وعزه إلى طاعته، وعدل بهم عن دعوة الحق إلى دعوة التيه والضلال، وألقا من أجابه في دين الباطل والمحال، بما نمق لهم من المواعيد الكاذبة المزخرفة، والعلوم الفاسدة المحرفة، كان كمن أبق وفسق، ومن دعوة التوحيد خرج ومرتق.

فمن الواجب أنه لا يتبع، وعن طاعته يرتجع، إذ كان قد أبق عن أمر مولاه، وعن قليل يوليه ما قد تولاه، ويجعل النار مقره ومأواه، ولجميع من قد اتبعه وأغواه، أعادنا الله ولجميع إخواننا الثابتين من اتباع أهل الزيغ والبدع، وكفانا شر من صد عن الحق ومنع، ونسأله بوليّه المعونة والتبات، وأن يحجبنا في ظل صونه من مكر من قد ظهر في هذه الأوقات، من أشخاص قد شطنت وتجبرت، فأظهرت ما قد ادعت، فهلكت وأهلكت، وأفست وما أصلحت.

ومن الله نسأل الخلاص يوم العرض والقصاص، «يوم يعص الظالم على يديه ويقول: يا ليتني اتخدت مع الرسول سبيلاً، يا ليتني لم

اتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا. لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا»^(١)، يَعْنِي الشَّخْصَ الَّذِي قَدْ أَضَلَّهُ وَأَغْوَاهُ، وَعَكْسَهُ وَاسْتَهْوَاهُ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ دَعْوَةِ إِمَامِهِ وَمَوْلَاهُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَمَّا كَثُرَتِ الْمُدَّعِينَ فِي هَذَا الْأَوَانِ، وَعَمِيَتْ مَسَالِكُ الْحَقِّ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْإِخْوَانِ، كُلُّ مُدَّعٍ لَهُ أَشْرَاكٌ وَمَصَائِدُ وَشِبَاكٌ، يَصِيدُ بِهَا الْغُرَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَحِيدُ بِهِ عَنِ مَسْلِكِ الْحَقِّ وَالِدِّينِ، وَبَسَطَ كُلُّ مُدَّعٍ لَهُ عِلْمًا وَكِتَابًا، حَتَّى يَسْتَجْذِبَ لَهُ بِهَا أَتْبَاعًا وَأَصْحَابًا، فَوَقَعَ مَنْ وَقَعَ فِي أَشْرَاكِهِمْ، وَصَادَوْهُ بِمَصَائِدِهِمْ وَشِبَاكِهِمْ. وَظَنَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ يَدْعُوهُ، وَلِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ مَذْهَبٍ مَوْلَاهُ يُزِيدُونَهُ وَيُقَوُّونَهُ.

فَمِنَ الْمُسْتَجْبِيِّينَ مَنْ قَطِنَ لِحِيلِهِمْ وَتَلَبَّسَ بِهِمْ، وَنَظَرَ إِلَى مَكْرِهِمْ وَتَدَلَّيْسِهِمْ، فَخَرَجَ عَنْ طَاعَتِهِمْ، وَأُبْعِدَ مِنْ دَعْوَتِهِمْ. وَمِنْهُمْ مَنْ وَقَفَ بِحَيْثُ أَوْقَفُوهُ، وَارْتَبَطَ بِمَا أَلْفَوْهُ إِلَيْهِ وَعَرَفُوهُ، وَتَخَيَّلَ عَلَى عَقْلِهِ أَنَّ الْحَقَّ فِي يَدَاهُ، يَعْمُ بِمَعْرِفَتِهِ سِوَاهُ، وَيَكْفُرُ مَنْ لَمْ يُجِبْهُ إِلَى مَنْ اعْتَقَدَهُ لِنَفْسِهِ وَارْتِضَاهُ.

تَاللَّهِ، لَقَدْ عَدَلَ بِهِمْ إِلَى غَيْرِ الْمَقْصَدِ، وَتَرَكَ مَنْ اتَّبَعَهُ فِي عَذَابٍ سَرْمَدٍ، وَكُلُّ مَا نَصَحَهُمْ نَاصِحٌ اسْتَغْشَوْهُ، وَأُبْعَدُوا عَنْهُ وَكَفَرُوا، وَكَانَ الْحَقُّ فِي غَيْرِ مَا يَعْتَقِدُونَهُ.

وَعَنْ قَلِيلٍ تَرَاهُمْ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! إِنَّا أَطَعْنَا سَادَاتِنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ. وَيَقُولُونَ: رَبَّنَا! مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ. وَسَوْفَ يَنْدَمُونَ، وَبِطَاعَةٍ مَنْ قَدْ أَضَلَّهُمْ يَسْتَيْشِمُونَ، وَهُوَ يَوْمُ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ وَمَجْمَعُ الْخَلْقِ لِلْعَرْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِخْوَانَنَا الثَّابِتِينَ مِنَ الْمُقْبُولِينَ، وَلَا جَعَلَنَا مِنَ النَّادِمِينَ. إِنَّهُ رُؤُوفٌ مَنَّانٌ، مُتَطَوِّلٌ بِالْمِنَّةِ وَالْإِحْسَانِ. وَلَمَّا جَاءَنِي رَسُولٌ مِنْ بَعْضِ الْمُدَّعِينَ

٧٢

الرَّسَالَةُ الْخَامِسَةُ بِالْإِسْرَائِيلِيَّةِ

الدَّامِغَةُ لِأَهْلِ الْأَدَدِ وَالْجُحُودِ

أَعْنِي الْكُفْرَةَ مِنْ أَهْلِ شَرِيعَةِ الْيَهُودِ

كتب هذه الرسالة بهاء الدِّين. موضوعها الاساسي تكفير اليهود الذين لم يؤمنوا بمجيء المسيح المنتظر، الذي هو حمزة. يدل بهاء الدِّين على كفرهم باستشهاداته من النبي أشعيا وسفر المزامير والنبي ملاخيا. يذكر فيها بهاء الدِّين رسالتين سابقتين، ٥٤ و ٥٥، يدور الكلام فيهما على المسيحية، وهن عقائدها. من دون تاريخ.

تَوَكَّلْتُ عَلَى مَوْلَانَا الْحَاكِمِ وَحْدَهُ، وَتَوَسَّلْتُ إِلَيْهِ بِقَائِمِ الْحَقِّ عَبْدَهُ.
مِنَ الْعَبْدِ الْخَاضِعِ الدَّلِيلِ، وَالْمَمْلُوكِ لِقَائِمِ الْحَقِّ شَطْنِيلِ، حُجَّةً عَلَى بَقِيَّةٍ مِّنْ
تَخَلَّفَ عَنِ الْحَقِّ وَانْتَسَبَ إِلَى الْأَسْبَاطِ التِّسْعَةِ وَنِصْفٍ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلِ،
أَعْنِي: آلَ يَهُوذَا، وَآلَ سَاخِرٍ، وَآلَ زَبُولُونَ، وَآلَ إِفْرَائِيمَ، وَآلَ نَفْتَالِي، وَآلَ
رُؤْبِيلَ، وَآلَ جَادَ، وَآلَ بَنِيَامِينَ، وَآلَ مَنَشَا، وَنِصْفَ آلِ سَمُوئِيلَ الْخَارَجِينَ عَنِ
التَّوْحِيدِ الْيَقِينِ، وَالسَّبْطَيْنِ وَالنِّصْفِ الطَّيْرِ الْأَبَابِيلِ، الْبَرِيَّتَيْنِ مِنَ الْجَحْدِ
وَالنَّكَثِ وَالتَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ، وَالْعُدَّةَ لِهَلَاكِ الْأُمَمِ الطَّاغِيَةِ أَهْلِ الشُّكِّ وَالشِّرْكِ
وَالْتَّعْطِيلِ، الْمَنْصُوصَةَ أَنْبَاؤُهُمْ فِي أُسْفَارِ الْحَقِّ وَبِرَهَانِ التَّأْوِيلِ، فِي قَوْلِهِ
لِمَنْ مَرَّ مِنْ بَعْدِهِ، يَعْنِي فِرْعَوْنَ لِمَنْ قَبْلَ وَأَطَاعَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: «اسْكُنُوا

والخلل لخروجهم به عن مباني الدين! وكيف ينسأغ في عقل ذي لب أن كلام الله تعالى يفتقر إلى إصلاح المخلوقين! وهذا مما يبين فساد شرع المخترعين، ويوضح أنهم خالفوا أمر الباري وخرجوا عن سنن التوحيد والدين.

لكن خفي عن أمم الشرك كلام المعبود على معنى الحق، وجعلوا أمره النافذ في العالم باليوم الموعود، وتأيدوه بكلام الحق لعبيده الحدود، تنزيهاً للباري تعالى وتبييناً لحقيقة الوجود.

فقد ثبت بمنة الولي الحق، ودلت عليه، وعرفت مثالب من أضل العوالم وأشرت بالتعيين إليه. وقد بلغ العبد الناصح بعض الغرض، وأداً بجهد بعض ما يلزمه من الحق المفترض. فلنختم ذلك بالاعتراف بالتقصير.

والحمد للمولى والشكر لولي الزمان، الإمام العدل قائم القيامة وناسخ الأديان، فهو الوسيلة لجميع الأمم في الأدوار إلى باري المبروءات، والسبب الأعلى إلى عبادة المولى الإله الحاكم المنزه عن التحديد والأشارات. وهو حسب العبد الضعيف المقتنى لنجاته بمولاه قائم الحق في يوم الميقات.

وكتب في اليوم الثالث عشر من ذي القعدة من سنة أحد وعشرين من سنين قائم الدين، المنتقم من الناكثين، والمشركين والفاسقين والمتردين والمارقين، بسيف مولانا الحاكم وقوة سلطانه إله العالمين.

تمت بحمد الله ومنه.

الأَرْضَ حَتَّى إِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيقًا^(١)، أَي جَمِيعًا . وَهَذَا نَصُّهُ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا: «وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا»^(٢).

فَمَا قَبِلَ الْأَمْرَ وَسَكَنَ الْأَرْضَ سِوَى الطَّهَرَةِ النَّصْفِ وَالسِّبْطَيْنِ، وَهُمْ الَّذِينَ نَجَّاهُمُ اللَّهُ مِنْ عَدُوِّهِمْ وَجَاوَزَ بِهِمُ الْبَحْرَيْنِ، وَجَعَلَ الَّذِينَ قَعَدُوا عَنْهُمْ وَخَالَفُوهُمْ تَحْتَ الذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ وَهَلَكَ أَهْلُ الْمِصْرَيْنِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَالْحَمْدُ لِلْمَوْلَى الْحَاكِمِ الْمُنَزَّهِ عَنْ تَنْزِيهِ الْأَنَامِ، الْمُتَعَالِي عَنْ عِبَارَةِ الْأَلْسِنِ لِعَجْزِهَا عَنِ الْحَرَكَةِ بِمَعْنَى حَقِيقَةِ الْهَادِي الْإِمَامِ، الَّذِي أَبْدَعَ وَلِيَّهُ قَائِمَ الْحَقِّ لِلْكِبْرِيَاءِ وَالْعِظَمَةِ حِجَابًا، وَأَوْجَبَ لَهُ إِذْ هُوَ الْعَقْلُ بِالْعَدْلِ مَلِكِ الْجَوَاهِرِ النَّفْسِيَّةِ تَحْقِيقًا وَإِجَابًا.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ عَرَفَ مَقَادِيرَ الْأَزْمَانِ وَمَبَانِيهَا، وَوَقَفَ عَلَى رُمُوزَاتِ الْحِكْمَةِ وَمَعَانِيهَا، فَانْكَشَفَ لَهُ عَنْ عَوَارِ مُحَرِّفَاتِ الْأَدْيَانِ، وَتَبَايُنِ الْأَلْسُنِ عَرَبِيَّهَا وَعِبْرَانِيَّهَا، وَعَدَلَ عَلَى نَفْسِهِ وَدِينِهِ فِي الْخُطَابِ، وَأَصْغَى بِأُذُنٍ بِصِيرَتِهِ إِلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَسَلِمَ مِنَ الزَّهْوِ وَالتَّكَبُّرِ وَالْإِعْجَابِ، وَسَلِمَ لِتَحْقِيقِ الْمُتَنْظَرِ لِلْبَرَاهِينِ الْمُعْظَمَةِ عَنِ الْبَلَسِ وَالشَّكِّ وَالْارْتِيَابِ، الْقَائِمِ لِنَسْخِ الشَّرْعِ الشَّرِكِيِّ، وَوَضْعِ الْأَضْرَارِ وَقَكِّ الرِّقَابِ، الْمُتَفَضَّلِ عَلَى عِبْدِهِ الصَّغِيرِ الْحَقِيرِ، الْمُعْتَرِفِ بِالضَّعْفِ وَالتَّقْصِيرِ، بِعَوَاطِفِ تَوْفِيقِهِ وَتَسْدِيدِهِ، وَمَوَادِّ بَرَاهِينِهِ وَتَأْيِيدِهِ، لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ بِالْأَدْلَالِ وَالْبَرَهَانِ، عَلَى قَطْعِ نَحْلَةِ الْيَهُودِ وَأَوْلَادِ الشَّيْصَبَانِ، كَمَا قَطَعَ يُوشَعَ ابْنُ النَّوْنِ نَحْلَةَ الْبَرَاهِمَةِ وَكَلَّ كَنْعَانَ.

(١) سورة الإسراء ١٧/١٠٤.

(٢) سورة الإسراء ١٧/١٠٥.

فَمَنْ الْوَاجِبُ عَلَيْنَا أَهْلُ الْحَقِّ أَنْ نُرتَّبَ مُقَدِّمَاتٍ عَقْلِيَّةً، وَشَوَاهِدَ دِينِيَّةً، تَقْبَلُهَا الْعُقُولُ، وَيَنْتَفِعُ بِهَا إِذَا ذَكَرَهَا الْغَمْرُ الْجَهْلُ. وَهُوَ مَا هُمْ بِهِ مِنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ إِلَى حِينٍ مَجِيءٍ مُوسَى مُعْتَرِفُونَ، وَبِالْحَاجَةِ إِلَيْهِ مُقَرُّونَ.

فَأَقُولُ عَلَى رَأْيِ الْجُمْهُورِ مِنْ آلِ الْبِدْعِ، بِالْبِرْهَانِ اللَّازِمِ الْمُبِينِ لِتَحْلِيلِ الشَّرْعِ، إِنَّ الْعِلَّةَ الَّتِي أُوجِبَ لَهَا إِرْسَالُ مُوسَى وَمَنْ قَبْلَهُ لَا تَعْدُو أَنْ تَكُونَ قَائِمَةً فِي الْخَلْقِ مَوْجُودَةً فِيهِمْ، أَوْ ارْتَفَعَتْ عَنْهُمْ، فَإِنْ كَانَتْ الْعِلَّةُ الَّتِي لِأَجْلِهَا وَجِبَ إِرْسَالُ مُوسَى وَمَنْ قَبْلَهُ قَائِمَةً فِي الْخَلْقِ، مَوْجُودَةً فِيهِمْ، فَغَيْرُ مُمَكِّنٍ عَدَمَ الرُّسُلِ بَعْدَ مُوسَى. وَمَتَى أُوجِبَتْ لِلْيَهُودِ إِبْطَالُ الْعِلَّةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا أُرْسِلَ مُوسَى وَمَنْ قَبْلَهُ وَاسْتَغْنَوْا عَمَّنْ يَأْتِي بَعْدَ مُوسَى، فَقَدْ لَزِمَهُمْ حُجَّةٌ مَنْ أَظْهَرَ الْغِنَى عَنْ مُوسَى وَجَحَدَهُ وَكَفَّرَ بِمَا جَاءَ بِهِ وَوَجِبَ فِي الْحَقِّ أَنَّهُ لَمْ تَقُمْ حُجَّتُهُ عَلَى أَصْحَابِ نُوحٍ وَلَا عَلَى مَنْ أَقَرَّ بِإِبْرَاهِيمَ، وَأُنْكَرَ مُوسَى، وَالْعِلَّةُ الَّتِي أُوجِبَ لَهَا إِرْسَالُ الرُّسُلِ فَهِيَ جَهْلُ الْعَوَالِمِ بِمَعَالِمِ حَقِيقَةِ الدِّينِ، وَإِنْكَارِهِمْ لِتَوْحِيدِ الْبَارِي تَعَالَى فِي كُلِّ عَصَرٍ وَحِينٍ.

وَقَدْ عَلِمَ كُلُّ ذِي لُبٍّ أَنَّ أَصْحَابَ الشَّرَائِعِ قَدْ قَطَعَ كُلُّ مِنْهُمْ شَرِيعَةً مِنْ تَقَدُّمِ قَبْلِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ أَهْلَهَا لَمْ يُخَالِفُوا شَيْئًا مِمَّا فَرَضَهُ عَلَيْهِمْ صَاحِبُ شَرِيعَتِهِمْ، وَقَدْ حَلَّلُوا سَبْيَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَهَلَاكَهُمْ وَاسْتَنْصَالَ شَأْفَتَهُمْ. فَأَيْنَ الْعَدْلُ هَاهُنَا وَقَدْ تَسَاوَتْ شَرَائِعُهُمْ لِأَنَّهَا أَعْمَالُ جِسْمَانِيَّاتٍ، وَالنَّكَثُ فِي جِبَالَتِهِمْ، وَالْعَجْزُ عَمَّا أُدْرِجَ فِي شَرَائِعِهِمْ وَرُمِزَ لَهُمْ فِيهَا مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْمَعَانِي الرُّوحَانِيَّاتِ.

كَقَوْلِهِ: «عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»^(٣)، وَهُوَ «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ»^(٤)، وَإِنَّمَا أَعْنَى أَنَّ الْبَارِي يُظْهِرُ لَهُمْ مِنْ حَيْثُ

(٣) سورة العلق ٩٦/٥.

(٤) سورة البقرة ٢/٢٥٥.

هم وفي صُورِهِمْ. وَهُوَ مُنَزَّهٌ بَعْدَ وَجُودِهِ عَنِ الْحَدِّ وَالْمَحْدُودِ. وَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى وَجُودِ الْمَعْبُودِ. أَنْكَرَهَا أَهْلُ الشَّرِيعِ بِاللَّدَدِ وَالْجُحُودِ، وَإِنَّمَا يَجِبُ قَطْعُ الشَّرِيعِ وَنَسْخُهَا لِلْإِمَامِ الْعَدْلِ قَائِمِ الدِّينِ، الَّذِي أَشْهَرَ تَوْحِيدَ الْبَارِي بِأَمْرِهِ كَمَا أَلْفَهُ فِي الْأَدْوَارِ لَمَّا عَجَزَتْ عَنْهُ جَمِيعُ أَصْحَابِ الشَّرِيعِ الْمُتَقَدِّمِينَ.

كَقَوْلِ مَنْ نَصَبَ إِحْدَاهُمْ: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ»^(٩). فَمَا بَلَغَهَا كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بَلْ طَمَسَ مَعَالِمَهَا بِالظُّلْمِ وَالْإِبْلَاسِ. وَجَمِيعُ أَصْحَابِ الشَّرِيعِ فَعَلُوا هَذَا السَّنَنَ يَجْرُونَ، وَبِالْعِزِّ وَالْخِلَافِ لِلْبَارِي يَهْرَعُونَ.

كَقَوْلِهِ فِي التَّوْرَةِ مِنَ الْعَشْرِ آيَاتٍ: أَنَا اللَّهُ رَبُّكُمْ وَمِنْ أَرْضِ مِصْرَ أَخْرَجْتُكُمْ، وَإِلَيَّ قَرَبْتُكُمْ، فَلَا تَتَّخِذُوا إِلَهَ غَيْرِي فَتَعَصُونَ أَمْرِي، وَعَظَّمُوا إِسْمِي وَوَحَّدُونِي. وَالْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْأُمَمِ أَنَّ مُوسَى رَدَّهُمْ إِلَى أَرْضِ مِصْرَ وَمَا أَخْرَجَهُمْ مِنْهَا، وَإِنَّمَا الْمَعْنَى فِي خُرُوجِهِمْ إِلَى الْعَمَالِقَةِ فِي أَرْضِ الشَّامِ عِنْدَ دَعْوَةِ الْمَسِيحِ لَهُمْ إِلَى وَجُودِ الْبَارِ الْعَالَمِ. فَعَمَدُوا الْيَهُودَ إِلَى مَا أَمَرُوا بِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْوُجُودِ فَأَعْدَمُوهُ، إِلَى اسْمِ رُوحِ الْقُدُسِ فَكَذَّبُوهُ وَقَتَّلُوهُ، وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ صَلَّبُوهُ، وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا قَلِيلًا مِمَّا فَعَلُوهُ، مَعَمَا يَلْزَمُهُمْ مِنَ الْكُفْرِ بِمَا نَسَبُوهُ إِلَى الْبَارِي تَعَالَى مِنَ الدُّخُولِ فِي عِلْمِهِ عَلَى رَأْيِهِمْ وَحَظَرِهِمْ عَلَيْهِ، أَنْ لَا يَجْعَلُوا شَرِيعَةً غَيْرَ شَرِيعَةِ مُوسَى.

وَقَدْ عَلِمْنَا وَعَلِمَ كُلُّ ذِي عَقْلٍ مِمَّنْ أَنْصَفَ نَفْسَهُ أَنَّ الشَّرَائِعَ كُلَّهَا إِحْدَاثٌ مِنْ مُحَدَّثٍ لِمُوسَى وَغَيْرِهِ، أَعْنِي كُلَّ مَنْ شَرَعَ شَرِيعَةً فَهُمْ مُحَدَّثُونَ، وَمُوسَى مُحَدَّثٌ مَخْلُوقٌ، وَالْخَلْقُ الْمُفْتَرَضُ عَلَيْهِمْ تِلْكَ الشَّرَائِعُ مُحَدَّثُونَ، وَلَا يَشْكُ أَحَدٌ مِمَّنْ صَحَّ عَقْلُهُ أَنَّ الشَّارِعَ لِلشَّرِيعَةِ وَالْقَائِمَ بِهَا وَالْقَادِرَ عَلَيْهَا

أفضل من الشريعة والمشروعة له. إذ الشريعة لا تقوم بنفسها بل هي محتاجة إلى القائم بها، العالم الفاضل، وإذا كان واجب موجود رَفَع القائم بالشريعة وفناؤه وزواله، فممكّن إبطال الشريعة ورفعها، وجاهل من حَظَرَ على معبوده أن لا يفترض عليه إلا ما افترضه على آبائه، ولا يأمره إلا بما أَمَرَ به القرن الأول الذي كان قبله.

وقد علمنا وعلم كل ذي لب أن المتعبّدات الحقيقية مَحَن يَمْتَحِنُ الباري بها خلقه لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ فِي طَاعَتِهِ أَحْسَنُ قَبُولاً وَعَمَلًا، وما أصحاب الشرائع الناموسية مَوْهوا على الأمم في شرائعهم بمعاني الأمور الإلهية، فلذلك تم لهم ما أضلّوا به الأمم وأخرجوهم إلى العدم عن المعاني التوحيدية.

والحق أقول إن الباري جلّ مجده يَمْتَحِنُ خلقه في كل عصر وزمان بما أحب وأراد من ظهوره واستتاره لِبَرِيَّتِهِ غَيْرُ مَحْظُورٍ عليه. وهذا مُنافي لمباني الشرائع الناموسية، ومجهول عند الجم الغفير من أهل العقائد الشركية، وإنما الفرض الواجب والأمر اللازب الذي لا يزول ولا يَخْتَلِفُ فيه، هو فَرَضُ الطاعة للباري جلّ وعزّ في كل ما أَمَرَ به ونهى عنه إذ ليس للمأمور أن يَحْكُمَ على الأمر فيقول له لا أطيعك إلا فيما أَرَدْتُ. وأمر الباري تعالى هو الثابت في الخليفة. وهو الواجب دوامه ولا يجوز في حكمة الحكيم أن يُنسخ أمره بالترك لأمره.

والأمر فهو قائم الزمان الإمام الموجود القائم بدعوة التوحيد في كل عصر وأوان حُجّة الباري في جميع الأدوار على الخليفة، وأمره النافذ في العوالم بالحقيقة، وصفة الأمر وماهيته غير معلومة إلا من جهة القائم بأمر الله، العالم بمعرفة الله، إذ هو الأمر، لكن اشتبه على القائلين بالشرائع أمر الناسخ والمنسوخ، وعظم عليهم وقالوا يفعل الله أمراً ثم ينقضه ويبدله بغيره، ولو تدبّروا أصحاب الشرائع حالهم تدبّير حقيقة لعلموا أن الأمر

الذي لا يُنسخ ولا يتغير ولا يُرفع من العالم هو ما ذكرناه من راسخ الأمر، وهو الإمام القائم العالم، إذ رفع أمر الباري، وتركه وعدمه من العالم هو إهمال الخلق. ولو أهمل الخلق وتركهم طرفة عين لتلاشى واضمحل، ولم يكن للباري حجة عليهم وبطل الثواب والعقاب.

والدليل على أن أفعال الباري تنزهه عن المعارضة له والدخول عليه، منها ما يزول ويستحيل وهو فناء العالم واستحالة، ولو كان من الحكمة دوام جميع الأفعال لكان العالم دائماً البقاء غير فان ولا زائل. وفي وجودنا، الموت والفناء والنقض للمركبات دليل على أن ذلك كله حكمة فإذا لا يستعظم رفع الشرع وتغييرها ونسخها غيرها كما هو مألوف عندهم نسخ كل شرعة بما بعدها إذ لا يستعظم فناء العالم بالشرعة والقائم بها الذي هو أفضل من الشرعة والمشروعة له.

وأنتم أيها اليهود مقررون ومعترفون أن الرسول الذي ترتقبوه وتنتظرون الفرج على يده أنه أفضل من موسى ومن إبراهيم، وأنه يأتي بالبينات والبراهين، وأنه يدعو الخليفة إلى توحيد رب العالمين، وقد ظهر المنتظر وأقام حجة التوحيد على العوالم بالآيات والبراهين، فأنكروه وتبرأوا منه ومن حزبه اليهود والنصارى وجميع المسلمين، وقد قامت على الكل حجته، وعن قليل يظهر للجزاء ويحل لهم عذابه ونقمته.

ونرجع فنذكر حجة اليهود ونبين عوار مقالاتهم، ونقيم الحجة عليهم من أصول متعبداتهم، فنقول على أنهم قد أقرروا أن موسى قد استخلف وتواترت الأنبياء بعده. وهذه نصوص توراتهم :

فمنهم يوشع وشعيا وإرميا وحزقييل ومخائيل ودانيال وغيرهم ممن لم نسمة إلى زمان إملخيأ آخر الأنبياء عندهم، وفي زمان جهلوا أمر الرسل وأنكروهم وحادوا عن سننهم وجحدوهم، وجهلهم بذلك وشكهم فيه

يُوجِبُ عَلَيْهِمُ الْإِقْرَارُ بِكُلِّ مَنْ أَظْهَرَ الْآيَاتِ، وَدَلَّ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعْجَزَاتِ، الَّتِي بَمِثْلِهَا وَجِبَ الْقَبُولُ مِنْ مُوسَى، وَقَدْ كَانَ موجودًا مِنْ آدَمَ إِلَى نُوحٍ وَبَعْدَ إِبْرَاهِيمَ مُسْتَخْلَفِينَ، قَائِمِينَ بِأَمْرِ الْبَارِي مُكْتَتِمِينَ، يُؤْمِنُونَ بِهِمْ أَهْلُ الْحَقِّ، وَالْيَهُودُ يَتَحَقَّقُونَ مِنَ التَّوَارَةِ أَنَّ مُوسَى عَرَفَهُمْ وَبَشَّرَهُمْ بِمَجِيءِ الْمَسِيحِ عِيسَى وَدَلَّهُمْ عَلَيْهِ، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَبُولِ مِنْهُ.

وَقَدْ دَلَّتْهُمْ التَّوَارَةُ عَلَى ذَلِكَ، وَدَلَّهُمْ شَعْيَا وَإِرْمِيَا وَحَزَقِيلُ عَلَى طَاعَةِ الْأَنْبِيَاءِ النَّاطِقِينَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ فَجَحَدُوا ذَلِكَ وَعَمَّوْا عَنْهُ، وَأُنْكِرُوهُ وَتَبَرَّأُوا مِنْهُ، فَفَضَحَهُمْ أَمَلِيخِيَا وَسَقَّهَهُمْ وَعَرَّفَهُمْ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ اللَّهَ أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ لَهُمْ قَرَبَانًا، وَلَا لَهُمْ عِنْدَهُ مِقْدَارًا. وَلَعَنَهُمْ وَزَالَ عَنْهُمْ لاسْتِخْفَافِهِمْ بِأَمْرِ اللَّهِ وَأَخْفَى عَنْهُمْ نَفْسَهُ، وَسَتَرَ عَنْهُمْ أَهْلَ الْحَقِّ الْقَائِمِينَ بِدِينِ الْبَارِي وَتَوْحِيدِهِ وَأَسْلَمَهُمْ. فَهُمْ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ يَخَوْضُونَ وَيَمْرَحُونَ، وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ لَفَرَجِ الْمُنْتَظَرِ يَرْتَقِبُونَ، وَهُوَ الْمُهِلُكُ لَهُمْ وَالْمُنْتَقِمُ مِنْهُمْ بِمَا فَعَلُوهُ بِعِيسَى رُوحِ الْقُدُسِ.

وَنَحْنُ نُبَيِّنُ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِلْحَادِ وَالْبَلَسِ مِنَ التَّوَارَةِ الَّتِي زَعَمُوا أَنَّهُمْ يَتَعَبَّدُونَ بِأَوَامِرِهَا وَنَوَاهِيهَا الَّتِي لَا يَشْكُونَ أَنَّهَا عَلَى يَدِ مُوسَى ظَهَرَتْ، وَعَلَيْهِ أُنْزِلَتْ، وَأَنَّهَا دَلَّتْ عَلَى الْقَادِمِينَ بَعْدَ مُوسَى وَأَنْبَأَتْ وَذَكَرَتْ مَوَاضِعَهُمُ الَّتِي يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَعَيَّنَتْ، وَدَلَّتْ وَبَيَّنَّتْ عَلَى تَرْتِيبِ مَنَازِلِهِمْ عَلَى الشَّرَفِ وَمَا بِهِ تَبَايَنَتْ.

فَقَالَ فِي التَّوَارَةِ: جَاءَ الْأَوْهَامُ مِنْ سَيْنَا، يَعْنِي نُورَ اللَّهِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ، وَأَشْرَقَ مِنْ سَاعِيرِ الشَّرَاةِ، وَلَمَعَ مِنْ فَارَانَ، وَظَهَرَ مِنْ رُبُوبَةِ الْقُدُسِ، وَقَدْ عَلِمَ جَمِيعُ الْأُمَمِ أَنَّ ظُهُورَ مُوسَى مِنْ جَبَلِ طُورِ سَيْنَاءَ، وَأَنَّ سَاعِيرَ هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي ظَهَرَ مِنْهُ الْمَسِيحُ عِيسَى، وَفَارَانَ هُوَ جَبَلُ مَكَّةَ، وَمِنْهُ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ ذَكَرَ رُبُوبَةَ الْقُدُسِ فَشَرَّفَ أَمْرَهَا، وَعَظَّمَ قَدْرَهَا، وَفَضَّلَ صَاحِبَهَا عَلَى جَمِيعِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، وَنَسَبَ إِلَيْهِ النُّورَ وَالْقُدُسَ، وَأَنَّهُ الَّذِي يَحْرِقُ بِرِيحِ شِفَاقِيَةِ الْخَبِيثِ.

فإنِ اعترضَ مُعْتَرِضٌ مُبَاهِتٌ وقال: هذا القولُ هو للأُمِّ وليس هو لأصحابِ الشَّرْعِ، فقد حافَ وَحَيَّفَ وَكَذَبَ وَابْتَدَعَ، لَأَنَّهُ لو قال لكافَّةِ العالَمِ: «لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَاجًا»، لكان ذلك بُطْلَانًا لجميعِ الشرائعِ، وتكذيبًا لقولِ القائمين بها. فإذا كان هذا أَمْرٌ لجميعِ الأُمَمِ: «فاسْتَبِقُوا الخيراتِ إلى اللَّهِ مرجعكم جميعًا. فَيُنَبِّئُكُمْ بما كنتم فيه تَخْتَلِفُونَ»، ولو كان هذا تَخْيِيرًا للأُمَمِ في اتِّباعِ ما أَرادوا من أصحابِ الشَّرْعِ المُتَقَدِّمَةِ، لِبَطْلِ جَبْرِهِ لأصحابِ مِلَّتِهِ، وحظرِهِ على أُمَّتِهِ وتَحْرِيمِهِ عَلَيْهِمْ غَيْرَ شَرْعَتِهِ، وَقَطْعُ دَعَوَاتِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْهُمْ بِدَعْوَتِهِ. وإذا كان العالَمُ في الشَّرْعِ مَخْيَرُونَ فَقَدْ بَطَلَتْ شَرْعَتُهُ، إِذْ جُعِلَ التَّخْيِيرُ للأُمَمِ. وليس الأمرُ كَذَلِكَ^(٢٥)، لَأَنَّهُ هو وَوَصِيَّهُ^(٢٦) هَدَرَا دَمَ مَنْ رَجَعَ عَنْ رِعَتِهِ وَأَظْلَاهُ، وقالوا: لا يَنَظُرُ بِقَتْلِهِ أَحَدًا وَأَحْلَاهُ.

فقد صَحَّ أَنَّ هذا القولُ والتوبيخُ لأصحابِ الشرائعِ لا لغيرهم، لقوله وهو: «لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَاجًا. وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا أَتَاكُمْ»، أعني أصحابِ الشَّرْعِ. فهذا قَطْعٌ لِمَبَانِي شَرْعِهِمْ مِنَ الْأَسَاسِ. وَتَبْيِينٌ لِأَهْلِ الْحَقِّ أَنَّهُمْ أَهْلُ التَّلْبِيسِ وَالْإِبْلَاسِ.

وهذه أيضًا من بعضِ قَصَصِ صاحبِ شريعةِ الإسلامِ لَمَّا طَلَبَتْ أُمَّتُهُ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ، وَتَبْيِينِ الْبَرَاهِينِ وَالْآيَاتِ. وهذا جوابُهُ لَهُمْ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ أَنَّهُ أَمَرَ بِذَلِكَ: «قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي، كَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي بِالْحَقِّ، وَهُوَ خَيْرُ الْقَاضِينَ. لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ»^(٢٧). وهذا

(٢٥) أي: لو خَيرَ النَّاسِ فِي اتِّبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ لِمَا اتَّبَعَ مُحَمَّدًا أَحَدٌ مِنْهُمْ؛ وَلَكِنَّهُمْ، لَعَنَ مُحَمَّدٌ وَبَطَشَ سَيْفُهُ، أَجْبَرُوا عَلَى اتِّبَاعِهِ جَبْرًا.

(٢٦) الإمام علي بن أبي طالب، الذي هو وصيُّ مُحَمَّدٍ وَأَسَاسُهُ الَّذِي تَكْفُلُ بِشَرِيعَتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ.

(٢٧) سورة الأنعام ٥٧/٦.

بالإضافة إلى آيات من تقدم من رسل الحق، ولكن من قائله، ومبين لقلّة معلومه وعجزه، وتحقيق لباطله.

ومن الأنعام أيضاً لما طلبت أمته منه آية يخضعون لها ويطيعون، فقال: «وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ إِيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا. قُلْ إِنَّ الْآيَاتِ مِنْ عِنْدِ اللّهِ. وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا تُؤْمِنُونَ»^(٢٨).

فتأملوا لكن هذا المسعور المفتون في قوله: «وما يشعركم أنها إذا جاءت لا تؤمنون»، فأى مبهر هذا مما طلبوه من الآيات! وأي معظم لهذا القول من المعجزات! أبعد الله المباهتين وجذّ أكلة الغاصبين.

ومن سورة الأنفال أيضاً حكاية عن قول أمته وجوابه لهم بفيض حكمته إذ قالوا: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ وَآتِنَا عَذَابَ أَلِيمٍ». فكان جوابه لهم: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ. وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ». ثم ردّ على قوله، وقال: «وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ. إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُتَّقُونَ»^(٢٩). فهذا من مشهور قصصه مع أمته ومعجزاته.

وأيضاً من أكبر براهينه وآياته أضيفوها، أيها الغافلون، إلى ما تقدّم من فضائل حجج الإمام العدل في الأدوار، وإهلاك الباري لمن عاندته من المنافقين الفجّار:

وهذه قصة موسى وأخيه. من سورة الكهف، وبيان نقصه والضعف، لما لقي العبد الصالح^(٣٠) واعتراضه على ما يعلمه بجهله

(٢٨) سورة الأنعام ١٠٩/٦.

(٢٩) سورة الأنفال ٣٢/٨ - ٣٤.

(٣٠) أي يشوع بن نون الذي يسميه القرآن: العبد الصالح.

والسَخَف، قوله : « فَلَمَّا جَاوَزَ قَالَ لِفَتَاهُ : آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا. قَالَ : أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْبَحُوتَ. وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا. قَالَ هَذَا مَا كُنَّا نَبْغِي. فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا. فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا. قَالَ هَذَا مَا كُنَّا نَبْغِي. فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا. فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتِيَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا. قَالَ لَهُ مُوسَى : هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُلًا. قَالَ : إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا؟ قَالَ : سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا »^(٣١).

فَعَلِمَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَنَّ مُوسَى ضَعِيفُ الْعِلْمِ، لَا يَفْرُقُ بَيْنَ الظُّلْمِ، وَلَا يَعْلَمُ مَا أَفَاضَهُ الْمَوْلَى عَلَى عَبِيدِهِ مِنَ التَّأْيِيدِ وَسَادِقِ الْحُكْمِ. فَقَالَ لِمُوسَى : « فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا »^(٣٢). فَكَانَ مِنْ مُوسَى مَا قَدْ عُرِفَ وَتَدَاوَلَتْهُ الْأَلْسُنُ، وَتَبَيَّنَ فِي الْمَسْطُورِ مِنْ خَرَقِ السَّفِينَةِ، وَإِنْكَارِ مُوسَى عَلَيْهِ، وَاعْتِزَالِهِ بَعْدَ إِنْكَارِهِ.

وَذَكَرَ قَتْلَ الْغُلَامِ وَقَوْلَ مُوسَى : « أَقْتُلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ »^(٣٣)، فَشَهِدَ بِالزَّكَاةِ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ. وَبَعْدَ ذَلِكَ شَرَطَ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ إِنْ سَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا يُصَاحِبُهُ.

وَذَكَرَ إِقَامَةَ الْجِدَارِ، فَقَالَ لَهُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ : « هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ. وَأَنْبَأَهُ بِمَا لَا يَسْتَطِيعُ عَلَيْهِ صَبْرًا »^(٣٤). وَعَرَفَهُ حَقَائِقَ مَا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِ بِلَدِّهِ جَهْلًا وَخَيْرًا.

(٣١) سورة الكهف ١٨/٩٢ - ٦٩.

(٣٢) سورة الكهف ١٨/٧٠.

(٣٣) سورة الكهف ١٨/٧٤.

(٣٤) سورة الكهف ١٨/٧٨.

فهذه معالمُ أصحابِ النواميس، ومناقبُ كلِّ أفَّاكٍ وغُطريسٍ،
تتضاءلُ إلى الانحطاطِ والانسِفَالِ، إذا أُضِيفَتْ إلى فضائلِ آلِ التَّوْحِيدِ
الطَّهَرَةِ الأَبْدَالِ.

وتأملوا أيضاً من سورة...^(٣٥) قد أَفْلَحَ^(٣٦) القِصَّةَ المُبِينَةَ لظُلْمِهِمْ
واعتدائِهِمْ، إذ هي تُنبئُ بِذَمِّهِمْ واختلافِ ادِّعَائِهِمْ، وتَشْرَحُ ما هم عليه من
التَّلَبُّسِ بِاتِّبَاعِ أَهْوَائِهِمْ. قوله يَعْنِي أصحابَ الشَّرْعِ والتَّوْهِيمِ :

«يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاَعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
عَلِيمٌ. وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً -يَعْنِي أُمَّكُمْ-، وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ. فَتَقَطُّعُوا
أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْراً. كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ»^(٣٧). وقوله «زُبْراً» أي كُتِّبَا،
يَحْلُلُونَ فيها على الأُمَمِ مِنْ تَلَقُّاءِ أَنْفُسِهِمْ وَيُحَرِّمُونَ.

والدليلُ على صِحَّةِ ما أقوله إِنَّ الأُمَمَ ليس لهم «زُبْراً» إِلَّا ما تُمَوَّهَ به
أصحابُ الشَّرْعِ، وأَحْلَوْه لهم مِنْ قَتْلِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً، مِنْ سَبِيِ الْحَرِيمِ
وأَصْنَافِ الْبِدْعِ. فَعَرَّفَ الْعَالَمَ ما هم عليه مِنْ شَتَاتِ الآرَاءِ وَتَقَلُّبِ الْأَهْوَاءِ.
وَأَتَمَّ الْقَوْلَ بعد قوله: «كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» بقوله: «فَذَرَوْهُمْ فِي
غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ»^(٣٨). فتأملوا يا أَهْلَ الْغَفْلَةِ هل أَسَدَقُ بِالْحَقِّ مِنْ هَذَا
الْخُطَابِ! وَأَبَيِّنُ مِنْ هَذَا التَّوْقِيفِ لِكَشْفِ عَوَارِ مِنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ!

ثُمَّ انظُرُوا ما مَوَّهَ بِهِ صَاحِبُ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ، ما هُوَ بِاللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ
الشُّطْرَنِ وَالتَّلَبُّسِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ. فَقَالَ إِنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مَكَّةَ
إِلَى مَسْجِدِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَإِنَّهُ عُرِّجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَإِنَّهُ جَالِسَ

(٣٥) تنقص كلمة «المؤمنون».

(٣٦) أي: قد أصاب محمدٌ في ما قاله عن ظلم «أصحابِ النواميس» وكذبهم.

(٣٧) سورة المؤمنون ٢٣/ ٥١ - ٥٣.

(٣٨) سورة المؤمنون ٢٣/ ٥٤.

الملائكةَ وَسَمِعَ نداءَ الربِّ^(٣٩). ولم يكنْ له دينٌ ولا رِعةٌ يَزُجِرَاهُ عما لَفَّقَ من الزُّورِ والكذبِ.

فَعَظَّمَ هذا على جَماعةٍ قُرَيْشٍ وأنكروهُ عليه وكذَّبوه، وعَلِمُوا أَنَّهُ تَوْهِيمٌ منه كما أَلْفَوْه، إذ لم يَأْتِهِمْ قَبْلُ هذا بآيةٍ بَيِّنَةٍ فَيُسَدِّقُوهُ، وإنما يُحِيلُهُمْ على محالٍ بالقولِ لم يُشَاهِدُوهُ ويعاينُوهُ. وإنَّه احتجَّ على قوله الذي ردَّوه عليه، وقال: إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ بَرَاءَتَهُ، وأَوْحَى إِلَيْهِ: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا أَنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»^(٤٠).

وَذَكَرَ بَقِيَّةَ السُّورَةِ وَكَرَّرَ هذا على جماعةٍ قُرَيْشٍ الحاضِرِينَ. وانفَرَدَ لِمَنَظَرَتِهِ رَجُلٌ يَهُودِيٌّ وَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْتَفِعْ لَنَا عَنِ الْأَرْضِ ذَرَاعًا وَاحِدًا وَنَحْنُ نَوْمُنُ بِكَ وَلَا نَتَّبِعُ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ.

فَأُفْحِمَ الدَّعِيَّ عَنْ الْجَوَابِ وَالْقَوْلِ، وَتَبَيَّنَ لِلْجَمَاعَةِ كَذِبُهُ عَلَى ذِي الْمَانَةِ وَالطُّولِ. وَعَلِمُوا أَنَّهَا زَخَارِيفٌ لَيْسَتْ جَذِبَ بِهَا أَمْوَالُهُمْ، وَحِيلَ عَلَى الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ يَسْتَحِلُّ بِهَا حُرْمَتَهُمْ وَعِيَالَهُمْ.

كَقَوْلِهِ فِي سُورَةِ بَرَاءةٍ: إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيْهِ: «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ. هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْتُمْ تَكْنِزُونَ»^(٤١). ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ أَوْحَى إِلَيْهِ: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ سَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا. وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ

(٣٩) إشارة إلى ما جاء في سورة الإسراء ١٧/١.

(٤٠) سورة الإسراء ١٧/١.

(٤١) سورة التوبة ٩/٣٤ - ٣٥.

واللهُ سميعٌ عليمٌ»^(٤٢). فهذا من أعظم آياته ومن أكبر قلائد مُعْجَراتِهِ، كقوله ممَّا يُطابقُ ما تقدَّم من سورة الأحزاب، دلالةً على التَمْويه من كلِّ غُطْرَيْسٍ كذَّابٍ، قوله: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ. وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا»^(٤٣)

فَوَبَّخَهُ رَبُّهُ، أعني مُمْلِيهِ، على لسانِ نَفْسِهِ في إثْرِ هذه الآية: «وَإِنْ تَقُولُ لِدُنِيِّ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ، وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ. وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ. فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا - يَا مُحَمَّدٌ - لئَلَّا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا. وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا. مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ. وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا. الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ، وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ. وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا»^(٤٤). فَجَعَلَ ذِكْرَ امْرَأَةِ زَيْدٍ هُوَ الَّذِي يُحَاسِبُ اللَّهَ عِبَادَهُ عَلَيْهِ^(٤٥).

وهذا وأمثاله زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِهِ وَأَوْحَى إِلَيْهِ. وقد شَرَحْتُ هذا وَبَيَّنْتُ عَنْهُ في «كَشَفِ الْكُفْرِ الْمَحْجُوبِ وَفَسْخِ الشَّرْعِ وَالنَّامُوسِ الْمَكْذُوبِ»^(٤٦).

(٤٢) سورة التوبة ٩/١٠٣.

(٤٣) سورة الأحزاب ٣٣/٣٦.

(٤٤) سورة الأحزاب ٣٣/٣٧-٣٩.

(٤٥) ربَّما المقصود بهذه الجملة أَنَّ مُحَمَّدًا جَوَّزَ لِنَفْسِهِ مَا لَمْ يَجُوزْهُ لِغَيْرِهِ.

(٤٦) هي الرِّسالة نفسها التي نحن في صددها، وقد ذكرها بهاء الدِّين بعناوين مختلفة.

فتأملوا هذا وأضيفوه إلى مناقب السيد المسيح^(٤٧)، المخاطب من لدن الله بالكلمة والروح والقول الصحيح، في سورة المائدة «إذ قال الله: يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ! أذكرُ نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس، تكلم الناس في المهد وكهلاً، وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني، وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني، وإذ تخرج الموتى بإذني، وإذ كففت بني إسرائيل عنك، إذ جئتهم بالبينات، فقال الذين كفروا منهم: إن هذا إلا سحر مبين. وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي. قالوا: آمنا واشهد بأننا مسلمون»^(٤٨).

فهذه فضائل حجج الباري على الخلق، القائمين بالتوحيد والسدق.

وبالجملة إن صاحب هذا الناموس قد قرّر عند جميع الأمم أن هذا القرآن كلام الله وأنه منزل عليه، غير مخلوق ولا مجعول، «وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه»^(٤٩)، وقد طابق أصحابه وجميع هذه الأمة قد أجازوه ورضوه ولم ينكروه. وإن القراء السبعة^(٥٠) أصلحوه، وجعلوا له معاني وحروفاً بها يقرأوه. وانفرد كل واحد منهم بحرف ومعنى على سبيل التغالب والقوة كما ألفوه.

(٤٧) المسيح الحقيقي هو حمزة في زمن عيسى، وهو، لشدة ظلم شريعة عيسى، كان مستتراً بين تلاميذه، وهو الذي أملى الإنجيل على الإنجيليين الأربعة، الذين هم الحدود الأربعة في دين التوحيد. والمسيح الحقيقي، ظهر أيضاً في صورة العازر؛ والحواريون كناية عن الموحدين.

(٤٨) سورة المائدة ٥/ ١١٠ - ١١١.

(٤٩) سورة فصلت ٤١/ ٤٢.

(٥٠) في علم المسلمين أن القرآن نزل بسبعة أحرف، أجازها محمد جميعها. ولكل حرف قارئ مشهور. أسماء القراء الواردة في النص.

وهم: أبو عمرو ابن العلاء، وحمزة، والكسائي، وعاصم، ونافع، وابن كثير، وابن عامر، وإنهم جَعَلُوا لكل واحد منهم مَنْ يروي عنه وَيُبَيِّنُ قوله ويصحِّحُه مثل حَرْفِ أبي عمرو رواية الزَّيْدِي، وحَرْفُ نافع رواية وَرَش وغيرهما. والشواذُّ أربعون رجلاً.

والكلُّ من جميعهم قد اجْتَهَدَ في قوله وتَعَاطَى وأَعْرَبَ في ألفاظه وألغا، حتى إنهم أحالُوا كثيراً من ألفاظه عن معاني الحقِّ، واختَلَفُوا في الحروفِ والروايات، وخَرَجُوا عن السِّدْقِ، تعاطياً على مَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ أَنْزَلَ عليه بالكذبِ والمَذَقِ^(٥١).

فمما أجازوه في بعض الروايات يَلُؤْنُ به أَلَسِنَتَهُمْ لِيَا^(٥٢): «واللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً»^(٥٣). فرواه بعضهم بِـ«الظاء» و«الراء»، يَعْنِي: «مِنْ بَطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ»^(٥٤) لَغْياً وَغِيّاً. وَإِنَّ شُنْبُوذًا قرأ على ابن مُجَاهِدٍ، وابنُ مُجَاهِدٍ قرأ على ابن عَبَّاسٍ في تلك الأوقات. وَإِنَّ عَلَامَةَ المعروفِ بالشُّنْبُوذِي أَقرأ الناسَ بِمَكَّةَ، وَوَصَلَ إِلَى الشَّامِ، وَرَوَى جَمِيعَ القراءاتِ. والروايةُ عنه عند جميعهم أَصحُّ الرواياتِ^(٥٥).

فيا أهلَ البَلَهِ والتَّدْلِيسِ والتَّشْبِيهِ! كيف يكون قولُكم في الكلام الذي نَسَبْتُمُوهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ» سِدْقاً؟ وقد اعتَوَرَتْهُ لإصلاحِ فسادِهِ أَلْسُنُ النَّحْوِيِّينَ وَاللُّغَوِيِّينَ، ودَخَلَ عليه النقصُ

(٥١) المذق تعني غير المخلص (الدرر المضية).

(٥٢) يعطي بهاء الدين هنا أمثلة على اختلاف روايات القرآن.

(٥٣) سورة النحل ١٦/٧٨.

(٥٤) «بظر» يعني مهبل المرأة. والعرب تطلق هذه اللفظة في معرض الذمِّ (أنظر لسان العرب).

(٥٥) هؤلاء الرواة المذكورون في النص هم أصدق من روى عن محمد الأحاديث الصحيحة وحتى في عرف المسلمين أنفسهم.

أَنَّهُ «تَعَالَى أَمْرَ أَنْ لَا يَمْشِي خَلْفَهُ أَحَدٌ فِي مَوْكِبٍ وَلَا غَيْرُهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ». مَا الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ بِجَوَابٍ مَعْرُوفٍ بَيْنَ مَكْشُوفٍ، يَكُونُ لِمَنْ يَسْمَعُهُ مُفِيدٌ، وَهُوَ بِهِ مُغْتَبِطٌ سَعِيدٌ؟

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ «تَعَالَى أَمْرَ أَنْ لَا يُفْتَحَ خَلْفَهُ بَابُ دَرْبٍ لِأَحَدٍ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ بَعْدَ غُوبِهِ فِيهِ وَغَلْقِهِ». مَا هَذَا الْبَابُ الَّذِي أَمَرَ أَنْ لَا يُفْتَحَ خَلْفَهُ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ؟

أَجِبْ عَنْ صِحَّةِ ذَلِكَ بِجَوَابٍ نَافِعٍ، وَاحْتِجَاجٍ بَيْنَ قَاطِعٍ، يَقْطَعُ دَعْوَى الْمُدَّعِينَ، وَيُفْسِدُ رَأْيَ الْمُدَّلسِينَ، الَّذِينَ ظَهَرُوا بَعْدَ غَيْبَتِهِ، وَإِثْبَاتِ حُجَّتِهِ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ وَبَرِيَّتِهِ، يَدْعُونَ حَقَّهُ، وَيُضِلُّونَ خَلْقَهُ، وَيَفْتَحُونَ مَا أَمَرَ بِغَلْقِهِ. قَبِّحَ اللَّهُ رَأْيَ مَنْ لَا يَرْتَدِّعُ، وَعَنْ بَاطِلِهِ وَتَمْوِيهِهِ لَا يَرْتَجِعُ.

و«أَمَرَ أَنْ لَا يُفْتَحَ بِمَصْرَ طَاقَةٌ فِي جِدَارٍ بَعْدَ أَنْ أَمَرَ بِكُنْسِ الشَّوَارِعِ مِنَ الْأَوْسَاحِ وَالْأَقْدَارِ». مَا هَذِهِ الطَّاقَاتُ الَّتِي أَمَرَ بِغَلْقِهَا، وَمَا هِيَ الطَّرَقَاتُ الَّتِي أَمَرَ بِكُنْسِهَا، بِجَوَابٍ صَحِيحٍ الْعِبَارَةِ هَذَا إِنْ كُنْتَ تَعْرِفُ الْإِشَارَةَ؟

و«أَمَرَ أَيْضًا بِعَتَقِ جَمِيعِ الْمَمَالِكِ وَالْعَبِيدِ، بِسَجْلٍ كُتِبَ لَهُمْ مُطْلَقٌ، وَكِيدٌ مُشْبَعٌ. فِيهِ مِنَ النَّهْيِ وَالتَّشْدِيدِ، وَأَنْ لَا يَرُدَّهُمْ أَحَدٌ إِلَى مُلْكٍ جَدِيدٍ، وَلَا حُكْمَ الْحَدِّ عَلَيْهِمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ، وَكَانَ ذَلِكَ عَتَقٌ لَجَمِيعِ الْأَجْنَاسِ، وَأَنْ لَا يَعْتَرِضُونَ، وَلَا يَتَعَقَّبُ عَلَيْهِمْ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْادِيهِمْ. وَمَنْ خَالَفَ الْأَمْرَ فِيهِمْ فَهُوَ ظَالِمٌ مَلْعُونٌ». مَنْ هُمْ هَؤُلَاءِ الْعَبِيدِ الْمُعْتَقِينَ؟ إِنْ كُنْتَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ فَهَذَا يَقْطَعُ دَابِرَ الْمُدَّعِينَ، وَيُكْذِبُ أَقَاوِيلَ الْمُدَّلسِينَ، الَّذِينَ يَرُدُّونَ الْعَبِيدَ فِي رِقِّ التَّمْلِكِ. وَحَاشَا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي عِبِيدِهِ شَرِيكَ لَأَنَّ شَرْطَ السَّجْلِ أَنَّهُمْ لَوْجُهُ اللَّهِ مُعْتَقِينَ، وَعَنْ الْمَلِكِ لَغَيْرِهِ خَارِجِينَ. وَمَا هُوَ وَجْهُ اللَّهِ فِي الْحَقِيقَةِ إِنْ كُنْتَ سَلَكَتِ الْمَنْهَجَ وَالطَّرِيقَةَ. رَحِمَ اللَّهُ مَنْ لَوَجْهِهِ نَظَرَ، وَفِي هَذَا الْعَتَقِ افْتَكَّرَ، وَارْعَوَى وَتَذَكَّرَ.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَظْهَرَ «مَنْ تَحْرِيمِ الْمُسْكِرِ مِنَ الْخَمْرِ بِسَجَلٍ قُرِئَ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، فِي سَائِرِ الْمَوَاضِعِ وَالْبِلَادِ، وَنَهَى عَنْهُ وَحَرَّمَهُ، وَلَعَنَ مَنْ يَصْنَعُهُ وَيَشْرِبُهُ، وَيَحْمِلُهُ وَيَجْلِبُهُ». مَا هَذَا الْمُسْكِرُ مِنَ الشَّرَابِ، الَّذِي قَدْ خَامَرَ الْعُقُولَ وَالْأَلْبَابَ، وَحَادَّ بِهَا عَنْ مَسَالِكِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ؟ قَبَّحَ اللَّهُ رَأْيَ مَنْ يَصْنَعُ الْمُسْكِرَ مِنَ الْخُمُورِ، وَمَنْ يَشْرِبُهُ مِنْ أَهْلِ الْمَسَاكِينِ وَالِدُورِ، فَإِنَّهُ أَصْلُ الْمَعْصِيَةِ وَالْخِلَافِ وَالشُّرُورِ.

فَإِنْ أَجَابَ هَذَا الْمُدَّعِي الْعِلْمَ عَنْ مَعَانِي هَذِهِ السُّؤَالَاتِ، بِجَوَابَاتٍ صَحِيحَةٍ مَفِيدَاتٍ، بَغَيْرِ تَأْوِيلٍ بِالرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ، وَلَا هِيَ مُجْمَعَةٌ مِنْ عُلُومِ الْمُدَّعِينَ مِنَ النَّاسِ، الَّذِينَ لَبَّسُوا الْبَاطِلَ بِالْحَقِّ، حَتَّى أَضَلُّوا كَثِيرًا مِنَ الْخَلْقِ، بَلْ تَكُونُ جَوَابَاتٍ عَنْ أَصْلِ الْعِلْمِ وَالْدِّينِ، مِمَّا أَفَادُوهُ الْحُدُودُ الْعَالِيَيْنِ، وَهُوَ الْعِلْمُ الْمَمْتُونُ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ. فَإِنْ أَتَى بِمَا يُوَافِقُ الرِّشَادَ وَدِينَ الْحَقِّ، وَنَطَقَ بِالصَّوَابِ وَالسِّدْقِ، كَانَ أَحَقَّ أَنْ يُقْبَلَ قَوْلُهُ وَيَتَّبَعَ، وَيَسْعَى إِلَيْهِ وَعَنْهُ لَا يَنْقَطِعُ.

فَالدِّينُ اللَّبِيبُ الْعَاقِلُ لَا يَأْبَى سُؤَالَ الْعَالِمِ الْمُحَقِّقِ الْفَاضِلِ، وَيَحْسُنُ بِالْمُؤْمِنِ التَّعْلِيمُ وَالِانْتِبَاهُ، مَا حَسُنَتْ بِهِ الْحَيَاةُ؛ فَإِذَا عِلِمَ مَا الْحَاجَةُ إِلَيْهِ فَلْيَعْمَلْ بِهِ وَلَا يَنْسَاهُ، وَإِنْ نَطَقَ بِعُلُومِ مُزَخْرَفَةٍ وَبِجَوَابَاتٍ مَعَكُوسَةٍ مُحَرَّفَةٍ، وَبِأَلْفَاظٍ مُنَمَّقَةٍ مُؤَلَّفَةٍ، يُمَوِّهَ بِهَا عَلَى الْقَلِيلِ الْبَصِيرَةِ، إِنَّهَا تَخْرُجُ عَنْ نَفْسِ زَكِيَّةٍ خَبِيرَةٍ وَإِنَّهُ يُرْشِدُ مَنْ يُسَدِّقُهُ وَيَهْدِيهِ، وَمِنْ دِينِ اللَّهِ يُزِيدُهُ وَيُقَوِّيه، بَلْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَبْعُدُهُ وَيُقْصِيهِ، وَيُضِلُّهُ وَيَغْوِيهِ.

فَهُوَ كَمَا قَالَ فِيهِ وَفِي أَمْثَالِهِ الدَّسْتُورُ: «رَبَّنَا إِنَّا أِطْعَمْنَا سَادَاتِنَا وَكُتُبَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ»^(٨)؛ وَقَالَ: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيَعَةٍ

يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا^(٩)؛ كَذَلِكَ عَلِمَهُمْ مَفْسُودٌ،
وَالْقَائِلُ مِنْهُمْ لَعِينٌ مَبْعُودٌ. فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ جَوَابٌ، وَلَا يَأْتِي بِحَقٍّ وَلَا
صَوَابٍ، فَلْيَسْعَ إِلَى عَبْدٍ فَقِيرٍ، مَقْرَّبٍ بِفَضْلِ مَوْلَاهُ وَمُعْتَرِفٍ، وَمِنْ بَحَارِ عُلُومِهِ
يَغْتَرِفُ.

فَإِنَّهُ يُجِيبُهُ مِمَّا عَنْ مَوْلَاهُ أَفَادَهُ، وَأَدْخَرَهُ لِنَفْسِهِ عُدَّةً لِمِيعَادِهِ، وَمَا
وَقَفَتْ عَنْهُ قُوَّتُهُ، تَضَرَّعَ إِلَى مَوْلَاهُ يُجِيبُهُ بِرَحْمَتِهِ، وَيَتَفَضَّلُ عَلَيْهِ بِنِعْمَتِهِ.
فَنَهَايَةُ عِلْمِهِ لَا تُعْرِفُ، وَبِحَارُ فَوَائِدِهِ لَا تُنْزَفُ. يَجُودُ بِهَا عَلَى أَوْلِيَائِهِ،
وَيَمْنَعُهَا مِنْ أَعْدَائِهِمْ وَأَعْدَائِهِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ وَالْآثَاءُ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى تَتَابُعِ أَيْادِيهِ وَمِنْنِهِ
وَعَطَائِهِ. وَهُوَ حَسْبِي وَبِهِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ أَسْتَعِينُ.

تَمَّتْ بِحَمْدِ مَوْلَانَا وَمَنَّهُ.

٧٤

الْمُسَوِّمَةُ بِإِيضَاحِ التَّوْحِيدِ،

لَمَنْ تَنَبَّهَ مِنْ سُنَّةِ الْغَفْلَةِ وَعَرَفَ الْحَقَّ وَأَبْصَرَ،
وَأَثْبَاتِ الْحُجَّةِ بَيْرَهَانَ الدِّينِ، وَالرَّدِّ عَلَى مَنْ
أَشْرَكَ بِالْبَارِي وَشَكَّ فِيهِ وَجَحَدَ الْحَقَّ وَالْحَدَّ وَأَنْكَرَ

هي من أطول الرسائل، كتبها بهاء الدِّين سنة ٤٢٩ هـ . يوضح فيها
عقيدة التَّوحيد، وكيفية البرهان عليها. فيها يشير إلى مجالس الحكمة
وما فيها من تعاليم في التَّوحيد. وفيها أيضا الدعوة إلى التسرُّر،
والبراهين على وجوبه، وأنواع العذاب التي تعرَّض إليها الموحِّدون في
أوائل الدعوة. إنَّها من أهم الرسائل في مجموعة الحكمة.

تَوَكَّلْتُ عَلَى الْمَوْلَى الْإِلَهِ الْحَاكِمِ الَّذِي أَنْكَرَ وجودَهُ الْغَاصِبُونَ
الْمُفْتَرُونَ الشَّاكُّونَ الْمُلْحِدُونَ. وَتَوَسَّلْتُ إِلَيْهِ بِوَلِيِّ حَقِّهِ الْإِمَامِ السِّدِّيقِ الَّذِي
اهْتَدَى بِإِمَامَتِهِ الْعَارِفُونَ الْمُوَحِّدُونَ، وَعِنْدَ طَاعَتِهِ مَنْ أَوْبَقَتْهُ أَعْمَالُهُ
الْعَصَاةُ الْمَرْقَةُ الْجَا حِدُونَ الْمُلْحِدُونَ.

من العبدِ الأصغرِ الْمُقْتَنِي النَّصِيحِ، وَمَمْلُوكِ الْإِمَامِ الْهَادِي الْقَائِمِ
الْمَسِيحِ، إِلَى كُلِّ ذِي لِسَنِ وَنُطْقٍ فَصِيحٍ، إِحْتِجَاجًا عَلَى جَمِيعِ الْمَلَلِ وَالْأُمَمِ،
وَكَافَّةِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَرَدًّا لِمَقَالَاتِ الْأَفَكَةِ الْمُلْحِدِينَ، وَجَدًّا وَدَحْضًا لِعَقَائِدِ
النَّكَّةِ الْمُدَّعِينَ الْمُتَنَسِّبِينَ إِلَى الدِّينِ وَالْإِيمَانِ، وَالْمُنْكَرِينَ لظُهُورِ التَّوْحِيدِ

والتسديق والإيقان، الرادّين على الباري تعالى في إرادته ومشيتيه السائبين بالقذف للإمام المنتظر قائم القيامة صاحب الكشف ومبين توحيد الباري وقُدس ألوهيته، المجاهرين بعد معرفته، بجحد أموره وركوب معصيته، الخالعين ربقة ما حتمه من إشهار توحيد ومعرفة.

أما بعد، فالحمد للمولى الإله الحاكم الموجد للموجدات ليوجد، المتعالي عن تنزيه بريته ليعبد ويوحد، الجاعل لوليّه الإمام الحقّ الفضيلة بدعوة التوحيد، القائم بها إليه في كل عصر جديد، حجته على الأمم في مقدّمات الأعصار ولواء حمده وميزان قسطه في جميع الأدوار والأحوال، ومقيم بحجج حقه وحدوده فلجاً بالحجة على العوالم في أكناف الأرض ومطّان الأقطار.

قال العبد المقتنى المعترف بالضعف والتقصير، بالإضافة إلى من سبقه من الحدود العالية ذوات الشرف والتأثير: لما نظرت إلى فرق الإلحاد وضلالاتهم، وتفكرت في تشقيهم في الاعتقادات وتفرق مقالاتهم، فوجدت أقربهم رحماً وأقلهم بالنسبة إلى أهل التوحيد والحقّ فهماً وعِلماً، قوماً أقرأ بالتوحيد تقليداً بغير بينة واسطة ولا برهان، وقولاً بالسنتّم عرياً من التحقيق والتسديق والإيقان. وهم أشدّ الفرق عداوة للموحّدين، وأكثرهم لئداً وجحداً للإمام العدل قائم الدين. وقد اصلحت نفوسهم مع جميع المخالفين، على سبّ أهل التوحيد المحقّين.

وأعظم حجة جعلوها لهم مندوحة سباً لقذف الموحّدين، وتكذيباً لأمر إله العالمين، أنهم قالوا: إنكم أظهرتم التوحيد قبل أوانه، وكشفتم ما لم تؤمروا بكشفه في حينه وزمانه، وشهرتم كلمة الأخلاص في جميع الآفاق، ولم يكن لكم فيه قوة تمنع منكم مكائد أهل الإبلاس والنفاق.

وبعضهم يقرّ ويقول: إن الحقّ معكم وفيما قلتم، لكنكم ادعتموه في

غير وقته، واستعجلتم. ولما أمرتم بستره، كسفتُم، وأبديتُم صفحة الدين لأهل الخلاف وبايئتم.

فالجواب لأهل الغفلة الظالمين والجماعة المهينة المقصرين:

أما ما اعترفتم لنا به فيما فعلناه، وأنكرتموه علينا من الذي أظهرناه من توحيد المولى الحاكم وكشفناه، وصرحنا به على رؤوس الأشهاد وأدعنا، ففي هذا القول قد صدقتم، والحق أنطقكم بما نطقتم، غير أنكم ألدتم وأشركتم، وعن الحق والصدق عدلتم في تكفيركم وقذفكم لمن أطاع أمر الباري وما عصاه، وقبل إرادة الإمام المفترض الطاعة وما تعداه، إذ ليس قي قدرة المخلوق أن يرد أمر الخالق وإرادته، ولا للعبد أن يعترض على المعبود في إشهار توحيده وعبادته، فكيف يجوز في معقول أهل العلم، أو ينحصر في غرائز أهل الوعي والفهم، أن إرادة البشر تغلب إرادة الباري في كشف ما من التوحيد بينوه وكشفوه، وكيف يتُّم أن الباري تعالى أراد بستر شيء فغلبته عليه عبده وأظهره؟!

فيا أهل العدل انصفونا من قوم جحدوا أحكام الباري، وبالسفاه بايئوه، ودفعوا الحق عياناً وهم ينظروه. أفتناسيتُم أيها الغفلة من فصول دعائم الإسلام، ما أمرتم بحفظه والحض عليه، أن القرآن مثل لخاتم الأئمة صلوات الله عليه، الذي يجمع الله العباد على طاعته ويظهره على الدين كله؟ ومثله بشهر رمضان، وهو الشهر التاسع من السنة، وفي الشهر التاسع يكون وضع الحمل، وفي الشهر السابع تكمل قوة الجنين. ومثله ذلك في تأويل الحكمة: أن السابع من الأئمة تظهر فيه القوة والتأييد، وهو مولانا المعز سلام الله على ذكره، وأن ثالثة هو ثاني ثانیه يكون فيه وضع الحمل، وكمال الولادة بعد سابع الأسبوعين الذي لا أسبوع بعده، القائم صاحب الكشف ثاني ثانیه.

فيا أهل العدل! أَلَمْ يَقُلْ لَكُمْ إِنَّ مَوْلَانَا الْمَعَزَّ سَلَامٌ اللَّهُ عَلَى ذِكْرِهِ، وهو سابعُ الأسبوعين الذي لا أسبوعَ بعده؟ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْقَائِمَ صَاحِبَ الْكَشْفِ ثَانِي ثَانِيهِ؟ فَهَلْ بَقِيَ مِنْ وَرَاءِ قَوْلِهِ مَطْلُوبٌ لَذِي حِجْرِ سِوَى الرَّدِّ لِحِكْمَةِ الْبَارِي تَعَالَى وَالْخُرُوجِ عَنِ الْأَمْرِ؟ فَأُغْفِلْتُمْ عَنْ تَصَوُّرِ هَذِهِ الْحِكْمِ الْجَلِيلَةِ بِاللَّدَدِ وَالْجَحْدِ، وَأَلْهَاكُمْ الظُّلْمُ وَالْجَوْرُ عَنِ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ.

فيا أَيُّهَا الْغَفَلَةُ الظَّلَمَةُ لَأَنْفُسِهِمْ! لَوْ كَانَ الْكَشْفُ شَيْئًا يَقْدِرُوا الْعَوَالِمُ عَلَيْهِ فِي أَيِّ وَقْتٍ أَرَادُوهُ وَطَلَّبُوهُ، لَأَنْفَسَدَ نِظَامُ الدِّينِ وَكَانَ ذَلِكَ وَهْنًا وَعَجْزًا فِي قُدْرَةِ الْبَارِي. وَحَاشَاهُ إِذَا حَكَّمَ الْخُلُقَ فِي إِرَادَتِهِمْ فَيَمَّا تَعَبَّدُهُمْ بِهِ وَيَطْلُبُوهُ.

وَأَيْضًا يَبْطُلُ مَا حَكَّمَ بِهِ الْبَارِي وَأَجْرَاهُ عَلَى أَلْسِنِ عَبِيدِ حَقِّهِ مِمَّا رَتَّبُوهُ لِأَهْلِ الدِّينِ وَأَصْلَوْهُ: إِنَّ الزَّمَانَ عَلَى مَعْنَايَيْنِ: دَوْرٌ سِتْرٍ وَدَوْرٌ كَشْفٍ، لَا يَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الْمَعْنَايَيْنِ شَاءَ الْعَوَالِمُ ذَلِكَ أَمْ أَبُوهُ.

تَاللَّهِ، لَقَدْ طُمِسَ عَلَى قُلُوبِ هَذَا الْعَالَمِ وَبَصَائِرِهِمْ. وَالْعَدْلُ فَهُوَ الَّذِي كَشَفَ لِأَهْلِ الْحَقِّ عَنْ ضَمَائِرِهِمْ وَسِرَائِرِهِمْ. فَالْبَارِي يَكْشِفُ عَمَّنْ ظَلَمَ أَهْلَ السِّدْقِ، وَلَدَّ وَجَحَدَ وَرَجَعَ وَكَفَّرَ، وَيَرْفَعُ حُلْمَهُ عَمَّنْ شَكَّ فِي الْحَقِّ وَعَانَدَ أَهْلَهُ وَنَكَثَ وَغَدَرَ.

فيا أَيُّهَا الْغَفَلَةُ! أَمَا هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُوعَدُونَ؟ أَمَا هَذَا الَّذِي كَانُوا شَبِيحُ أَهْلِ الدِّينِ إِلَيْهِ يُشِيرُونَ، وَكَافَّةُ أَهْلِ الْحَقَائِقِ وَالْبَصَائِرِ وَذَوِي الْعُقُولِ لَهُ مُنْتَظَرُونَ؟

تَاللَّهِ لَقَدْ أَقْعَدَكُمْ عَنِ الْقِيَامِ بِحُقُوقِهِ خَبَائِثُ الْأَعْمَالِ، وَأَلْهَاكُمْ عَنِ الْكُونِ فِي جُمْلَةِ الْمُحَقِّينَ الْخَوْضُ مَعَ أَهْلِ النُّكْثِ وَالْخِلَافِ وَالضَّلَالِ. فَشَرِبْتُمْ بِالظُّلْمِ دِمَاءَ الْمُوَحِّدِينَ الْمَظْلُومِينَ نَهْلًا، وَسَفَكْتُمْ الدَّمَ الْحَرَامَ بِرِضَائِكُمْ لِمَنْ

أَطْلَهُ عَصِيَانًا لِلْحَقِّ وَزَلَلًا. فَإِنْ لَمْ تَتُوبُوا عَنْ هَذِهِ الْجَرَائِمِ فَسَيَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ قَبْلًا.

فَمَنْ حَيْثُ أَمِنَ أَهْلُ الْحَقِّ عَلَى نَفْسِهِمْ أَتَيْتُمُوهُمْ، وَبِأَسْلِحَتِهِمْ قَتَلْتُمُوهُمْ، وَمَنْ بَيَّوتَهُمْ وَمَقَاتِنَهُمْ أَزَعَجْتُمُوهُمْ، وَعَلَى صَبْرِهِمْ عَلَى الْبَلَايَا وَالْحَيْنِ وَبَخْتُمُوهُمْ، وَقُلْتُمْ لَوْ أَنَّكُمْ كَشَفْتُمْ مَا كَشَفْتُمُوهُ بِأَمْرِ حَقٍّ لَمَا سَفَكْتُ دِمَاؤَكُمْ فِي جَمِيعِ الْبِلَادِنِ، وَلَمَا هَتَكْتُ حَرِيمَكُمْ وَسَبَّيْتُ ذُرَارِيَكُمْ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ وَمَكَانٍ.

وَرَدَّتُمْ عَلَى الْبَارِيِّ تَنَزَّهَهُ وَتَعَالَى فِي حُكْمِهِ، وَدَخَلْتُمْ عَلَيْهِ تَعَالَى وَاعْتَرَضْتُمْ فِي عِلْمِهِ، وَسَاعَدْتُمْ جَمِيعَ مَنْ قَامَ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ فِي ظُلْمِهِ. وَنَسِيتُمْ قَوْلَ الْمَجْلِسِ الْمَكْرَمِ وَهُوَ أَنَّ الْقَائِمَ إِذَا ظَهَرَ يَظْهَرُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ؟ فَلَمَّا قَامَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ يَا أَهْلَ الْكُفْرِ أَنْكَرْتُمُوهُ، وَخَالَفْتُمْ مَا تَحَقَّقْتُمُوهُ وَعَلِمْتُمُوهُ وَجَحَدْتُمُوهُ، وَبَايَنْتُمْ بَرْدَ أَمْرِ الْبَارِيِّ وَقَتْلَ أَوْلِيَائِهِ كَمَا فِي الْأَعْصَرِ الْخَالِيَةِ أَلْفَتُمُوهُ.

وَقَوْلُ الْمَجْلِسِ الثَّامِنِ وَالثَّلَاثِينَ: فَأَوَّلُ الْفَرَضِ عَلَيْهِ مَعْرِفَةُ تَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ، وَنَفْيِ التَّشْبِيهِ عَنْهُ مِنْ جَمِيعِ الْمَعَانِي وَالْجِهَاتِ، وَمَعْرِفَةُ مَا تَقَرَّدَ بِهِ خَالِقُ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ.

فَأَوَّلُ حَدِّ التَّجْرِيدِ الْفَرْقُ بَيْنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ، وَبِمَعْرِفَةِ تَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ يَتِمُّ الرُّشْدُ وَالتَّأْيِيدُ، وَبِالتَّوْحِيدِ تُعْرَفُ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا لَا بِالْأَشْيَاءِ يُعْرَفُ التَّوْحِيدُ. فَجَعَلَ الْفَرَضَ عَلَى أَهْلِ الطَّاعَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ مَعْرِفَةَ تَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ، وَنَفْيِ التَّشْبِيهِ عَنْهُ مِنْ جَمِيعِ الْمَعَانِي وَالْجِهَاتِ.

فَكَيْفَ يَا أَهْلَ الْعَدْلِ نَنْفِي عَنْهُ التَّشْبِيهَ مِنْ جَمِيعِ الْمَعَانِي وَالْجِهَاتِ، إِلَّا بِنَفْيِ الْبَنُوَّةِ وَالْأَبُوَّةِ وَنَفْيِ الْأَزْوَاجِ وَالْأَوْلَادِ وَالْأُمَّهَاتِ، الَّتِي ظَهَرَ بِهَا فِي

دَوْرَ السِّرِّ من حيثِ الْعَالَمِ إِلَى حِينِ الْكَشْفِ وَتَمَامِ الْمِيقَاتِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى تَنَزَّهَ
عَنِ الْإِمَامَةِ الَّتِي هِيَ لِعَبْدِهِ الْقَائِمِ بِكَشْفِ دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ بِالْبَرَاهِينِ وَالذَّلَالَاتِ،
وظَهَرَ بِالْأُلُوْهِيَّةِ تَعَالَى عَنِ التَّشْبِيهِ وَالتَّحْدِيدِ وَجَمِيعِ الصِّفَاتِ. فَحَقَائِقُ
التَّوْحِيدِ وَالتَّنْزِيهِ وَالتَّأْلِيهِ هُوَ الَّذِي تَفَرَّدَ بِهِ الْمَوْلَى إِلَهُ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ.

ثُمَّ قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ حُدِّ التَّجْرِيدِ الْفَرْقُ بَيْنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ.

والمعرفة إنما هي لما شوهد وعُيِّنَ^(١)، حُجَّةٌ عَلَى الْعَوَالِمِ بِنَفْيِ الْعَدَمِ
وَإثْبَاتِ التَّنْزِيهِ لِذِي الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ. فَنفَى عَنِ جَلَالَتِهِ تَعَالَى مَا يُشَاهَدُ وَيُنْظَرُ.
وَأُثْبِتَ الْوُجُودَ لِمَا غَابَ وَتَنَزَّهَ عَنِ الْجِهَتَيْنِ بِمُوجِبِ التَّأْلِيهِ، وَحَقِيقَةِ الْحَكْمِ.
وَعَرَّفْنَا أَنَّهُ لَا يَتِمُّ الرُّشْدُ وَالتَّائِيدُ، إِلَّا بِتَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ، أَيْ نَفْيِ الْعَدَمِ وَتَنْزِيهِ
الْمَوْجُودِ عَنِ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ.

وفصولُ الْمَجَالِسِ وَمَأْثُورُ الدَّعْوَةِ قَدْ أَقَامَتِ الْحُجَّةَ عَلَى الْعَالَمِ، وَدَلَّتْ
عَلَى أَنَّ الْقَائِمَ هُوَ الَّذِي يَظْهَرُ بِالتَّوْحِيدِ، وَقَدْ رَدَدْتُمْ مَا سَمِعْتُمُوهُ وَأَمَرْتُمْ بِهِ،
وَأَخْلَدْتُمْ إِلَى الْكُفْرِ وَالْجَحْدِ وَالتَّلْحِيدِ.

فَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْجَدَّةُ! لَمْ تَتَحَقَّقُوا وَجُوبَ ظُهُورِ التَّوْحِيدِ. فَأَيْنَ لَكُمْ أَيُّهَا
الْهَلَكَةُ بِالْوُصُولِ إِلَى الْفَوْزِ بِمَعَانِي التَّنْزِيهِ وَالتَّجْرِيدِ؟ وَمَنْ رَدَّ ظُهُورَ
التَّوْحِيدِ وَقَامَ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ فِي شُرُوطِ الْقِيَامَةِ فَهُوَ أَحْسَنُ مَنْزِلَةً مِنْ أَهْلِ
التَّقْصِيرِ الَّذِينَ لَمْ تَرَقَّ عَقُولُهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَوَقَفُوا عِنْدَ مَنْزِلَةِ الْإِمَامَةِ.

وَأَنَا أَقُولُ: إِنَّ طَلَبَ التَّوْحِيدِ فَرِيضَةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْعَارِفِينَ.
وَالْفَرِيضَةُ الْقُصْوَى وَالشَّرَفُ الْأَطْوَلُ قَبُولُ أَمْرِ إِلَهِ الْعَالَمِينَ.

(١٠) من هنا لقب: بنو معروف للموحدين، أي: هم الذين عرفوا اللاهوتَ ظاهراً في
النَّاسوتِ؛ أي: هم الذين عرفوا اللَّهَ حَقَّ معرفته، وعرفوه واحداً في كينونته، مكشوفاً
أمام أعينهم، معروفاً بصفاته وأعماله.

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ فَرَضِ مَعْرِفَتِهِ وَتَعْيِينِ اسْمِهِ وَصِفَتِهِ أَنَّهُ عَرَفَ ذَلِكَ. فَالْفَرَضُ عَلَيْهِ مَعْرِفَةُ الْأَمْرِ النَّاهِي، وَأَنَّ لَهُ أَمْرًا وَنَاهِيًا، وَأَنَّهُ عَدْلٌ لَا يَجُورُ. وَلَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَطَاقَتَهَا. فَقَدْ فَرَضَ مَعْرِفَةَ الْأَمْرِ وَالنَّاهِي، وَعَرَفْنَا أَنَّهُ الْإِمَامُ الَّذِي قَامَ بِدَعْوَةِ التَّوْحِيدِ، وَأَعْلَمْنَا أَنَّهُ قَابِلٌ لِأَمْرِ الْبَارِي وَنَهْيِهِ جَلَّتْ أَلَاؤُهُ أَمْرًا بِالتَّقْدِيرِ وَالتَّمْجِيدِ.

وَقَدْ أَشْبَعْتُ الْمَعْنَى فِي الرَّدِّ عَلَى هَذِهِ الْفِرْقَةِ فِي رِسَالَةِ التَّنْبِيهِ^(١١)، وَشَرَحْتُ هَذَا الْفَصْلَ وَالَّذِي يَتْلُوهُ مِنْ ذِكْرِ إِظْهَارِ الْمَذَاهِبِ، وَفَهَمَهُ مَنْ أَدْعَنَ لِحَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ وَالتَّأْلِيهِ. وَإِنَّمَا ذَكَّرْنَا هَذِهِ الْجَدَاذَةَ^(١٢) عِظَّةً لِمَنْ أَثَّرَ الْخُرُوجَ مِنْ خِطَّةِ أَهْلِ الْإِلْحَادِ وَالتَّشْبِيهِ.

فَلْيَعْلَمْ هَؤُلَاءِ السَّهْوَةُ أَنَّ الْأَمْرَ النَّاهِي هُوَ إِمَامُ الْمُوَحِّدِينَ الْقَائِمُ فِي الْأَدْوَارِ، وَهُوَ أَمْرٌ إِلَهٍ الْعَالَمِينَ. وَهُوَ الَّذِي قَامَ بِأَمْرِ الْبَارِي بِكَشْفِ التَّوْحِيدِ. وَأَمَرَ بِهِ مَنْ أَطَاعَ وَقَبِلَ أَمْرَهُ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ الْمُحِقِّينَ، اتَّبَاعًا لِمَا خَرَجَ بِهِ السَّجِلُ الْمُكْرَّمُ، عَنْ أَمْرِ الْعَالِي الشَّرِيفِ الْمُعْظَمِ، فِي تَخْيِيرِ الْعَالَمِ فِي مَذَاهِبِهِمْ، وَكَشْفِ نَجَلِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ. وَهَذَا هُوَ أَصْحَحُ دَلِيلًا وَأَوْضَحُ بَرَهَانًا لِمَنْ سَدَّقَ فِي قَوْلِهِ: إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ.

وَمَنْ تَمَرَّدَ عَنْ قَبُولِ هَذَا الْأَمْرِ، وَلَجَأَ إِلَى اللَّدِّ وَالْإِنْكَارِ، وَاعْتَرَضَ فِيهِ وَاسْتَكْبَرَ عَنْهُ فَقَدْ رَدَّ أَمْرَ الْبَارِي وَخَرَجَ مِنْ جَمَلَةِ الْمُوَحِّدِينَ الْأَطْهَارِ، وَهُوَ أَمِيطُوا عَنْ نَفُوسِكُمْ مَوَارِدَ الْخَوْفِ وَالنَّفَارِ، وَأَزِيحُوا عَنْهَا فُسَادَ التَّخِيلِ وَالْأَسْتِشْعَارِ، وَتَحَقَّقُوا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَوْقَفَكُمْ مَوْقِفَ التَّخْيِيرِ، وَكَفَّاكُمْ فِي اعْتِقَادَاتِكُمْ مَوْوَنَةَ التَّخْفِيِّ وَالتَّسْتِيرِ، لِيُخْلَصَ كُلُّ مِنْكُمْ فِي الْعَمَلِ، وَلَا يَرْكَنَنَّ فِي الْعُدُولِ عَمَّا يَرَاهُ وَيَدِينُ بِهِ إِلَى أَسْبَابِ الْمَوَانِعِ وَالْعِلَلِ، فَقَدْ ضَيَّقَ

(١١) الرسالة، رقم ٤٢ من الجزء الثالث.

(١٢) معناها فضل الشيء على الشيء، والمراد بها رسالة الإيضاح بكمالها

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُدْرُهُ فِي ذَلِكَ بِتَبْلِيغِهِ إِيَّاهُ كُنْهَ مَرَادِهِ، وَحَضَّهُ عَلَى إِظْهَارِ
اعْتِقَادِهِ.

ثُمَّ كَانَ بَعْدَ قِرَاءَةِ هَذَا السِّجْلِ الْكَرِيمِ، مَا انْتَشَرَ بِأَمْرِ الْبَارِي تَعَالَى
مِنْ إِذَاعَةِ التَّوْحِيدِ وَالِدِّينِ الْقَوِيمِ. فَمَنْ أَظْهَرَ عَقِيدَتَهُ كَمَا أَمَرَهُ مَوْلَاهُ، وَأَطَاعَهُ
وَرَضِيَ بِحُكْمِهِ وَقَضَاهُ، وَلَمْ يَرْتَابْ بِمَا أَمَرَ بِهِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، أَظْهَرَ مَذْهَبَهُ
عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، وَكَشَفَ مَا أُمِرَ بِكَشْفِهِ عَلَى رَغْمِ أَنْوَافِ أَهْلِ الرَّدَّةِ
الْخَوْنَةِ الْأَضْدَادِ، وَأَشْهَرَ دِينَهُ طَاعَةً وَتَسْلِيمًا لِلْأَمْرِ النَّاهِي فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ
وَأَفَاقِ الْبِلَادِ.

فَأَجَابَ أَهْلَ الطَّاعَةِ وَأَقْبَلُوا إِلَى دَاعِي الْحَقِّ مُسَارِعِينَ، وَأَمَرَ الْمَوْلَى
تَعَالَى جَبَرُوتَهُ بِإِضْخَاحِ دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ وَبَثُّهَا فِي أَعْظَمِ مَوْضِعٍ فِي الْفُسْطَاطِ،
وَأَمَرَ بِالْإِخْلَاءِ لِعَبْدِهِ وَوَلِيِّهِ دَارَ الْأَنْمَاطِ، وَنَادَى الْمُنَادِي بِتَجْدِيدِ التَّوْحِيدِ
وَالسِّدْقِ، وَأَقْبَلَ مِنَ الْأَفَاقِ إِلَى الدَّعْوَةِ الْهَادِيَةِ مَنْ تَأَسَّسَ بِدِينِ التَّوْحِيدِ، وَقَبِلَ
أَمْرَ إِلَهِ الْخَلْقِ، وَأَخَذَ مِيثَاقَ التَّوْحِيدِ بِهَا عَلَى مَنْ رَغِبَ فِي دِينِ الْحَقِّ، وَرَفَعَتْ
أَحْكَامُ الْقَضَاةِ وَقُبِضَتْ أَيْدِي أَصْحَابِ الشَّرْطِ وَجَمِيعِ الْإِيَادِي السُّلْطَانِيَّةِ
عَمَّنْ أَجَابَ دَعْوَةَ الْقَائِمِ الْهَادِي، وَرَفَعَ قَدْرَهُمْ عَنْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ وَقَطَعَ الْمِيثَاقَ
الرِّقِّ، وَأَزَالَهُ عَنْ مَمَالِيكَ الدِّينِ. فَهَلْ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ وَالْإِيَادِي!

فِي أَهْلِ الدِّينِ! أَيْكُونُ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الْعَالِيِّ وَإِشْهَارِهِ لِلْخَاصِّ
وَالْعَامِّ بِشَهَادَةِ الْوَلِيِّ وَالْعَادِي، لَتَحْقِيقِ دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ، وَتَعْيِينِ الْقَائِمِ بِهَا
وَبَثِّ حُكْمَتِهِ فِي الْأَفَاقِ شِفَاءً لِقَلْبِ ذِي السَّعْبِ الصَّادِي، إِذْ عَالَمُ الطَّاعَةِ
مُقْطَرُونَ عَلَى طَاعَةِ الْإِمَامِ. وَفِي جِبَالَتِهِمُ التَّهْيِءُ وَالِاسْتِعْدَادُ لِهَذِهِ الْأَيَّامِ.
فَهُمْ لِحُكْمَتِهِ مُسَدِّقُونَ، وَلِعَهْدِهِ رَاعُونَ، وَلِمِيثَاقِهِ مُؤَفِّقُونَ، وَلِحُدُودِهِ حَافِظُونَ،
وَبِالشَّهِيرَةِ إِلَيْهِ دَاعُونَ، قَدْ سَلَّمُوا إِلَيْهِ أَنْفُسَهُمْ وَأَرْوَاحَهُمْ. فَكَيْفَ يَجْزَعُونَ
عَلَى الْأَجْسَامِ الْفَانِيَةِ وَفِي تَحْلِيلِهَا فَرَجَهُمْ وَصَلَاحَهُمْ؟ أَوْ يَأْسُونَ عَلَى قَذْفِ
الْفَاسِقِينَ، وَمَا صَنَعَتْهُ أَيْدِي الْغَاصِبِينَ؟!

والعدل يُوجبُ الطاعةَ للإمامِ العدلِ على ما ساءَ وسرَّ ونَفَعَ وَضُرَّ،
والباري جَلَّتْ أَلَاؤُهُ عادِلٌ غيرُ جائِرٍ، وَقَدْ كَانَتْ عُقُوبَتُهُ وَثَوَابُهُ لِلْأَنَامِ فِي
دَوْرِ السِّرِّ بعدَ عدْلِهِ على ما في القلوبِ وَمَكْنُونِ الضمائرِ. وهذا الوقتُ فهو
دورُ القيامةِ وفيه كَشَفُ المذاهبِ، شاءَ العوالمُ ذلكَ أم أبوه، وإظهارُ السرائرِ
ولو تأخَّرَ كَشَفُ التَّوْحِيدِ ما تأمَّرَ من المددِ والأزمانِ، لم يَكُنْ بداً لأهلِ
الْخِلَافِ والتَّقْصِيرِ والعَصْيَانِ، من الْقِيَامِ على أَهْلِ التَّوْحِيدِ والتَّسْديدِ
والإيقانِ، لأنَّهُ الفِطْرُ الذي كانوا الأُممَ به يُوعَدُونَ، وعن الْقِيَامِ بطاعةِ الإمامِ
القائمِ به يَسْأَلُونَ.

كما حَقَّقَ ذلكَ المَجْلِسُ الثالثُ من المائةِ الثانيةِ لأهلِ الحِفْظِ والخَبَرِ،
الذين عَمُوا عَنْهُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ أَهْلَ الجَحْدِ والكُفْرِ. وهو إذنُ يومُ الفِطْرِ، على
صاحبِ الكَشَفِ وَقَبْلَ الطُّهْرِ، وَقَتَ غَيْبَتِهِ، وَالآنَ لِلنُّجَبَاءِ أَنْ يُقِيمُوا الدَّعْوَةَ
بِاسْمِهِ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لذلكَ مِنْ بَرِيَّتِهِ، وبعدَ الظُّهْرِ بَعْدَ ظُهورِهِ، فصارتُ واجِبَةً
على المُجِيبِ فِي وَقْتِ الغَيْبَةِ في فِداءِ النَفْسِ مقبولةً منه، ومن أَجابَ بعدَ
ظُهورِهِ وَقَفَ فَكَاكُهُ، وَقَرَّتْ بَعْدَ الفَتْحِ لَهُ إِذَا اسْتَحَقَّ بِمِثْلِ الأُضْحِيَّةِ عَيْنُهُ، لَا
يَنْفَعُ نَفْسًا إيمانُها إِنْ لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خيراً على
معنَائِينَ تَأويلِيَّةٍ في قَوَاتِ الفِطْرِ وضُرُوبِ التَّطْهِيرِ، وتركَ قبولِ الأعمالِ عندَ
ظهورِ القائمِ ووُجُوبِ التَّغْيِيرِ. فَقَدْ حَقَّقَ المَجْلِسُ المَكْرَمُ أَنَّ يومَ الفِطْرِ على
صاحبِ الكَشَفِ.

أَفْتَقُولُونَ يَا أَهْلَ العَدْلِ وَوَفَاءِ الذِّمِّ إِنَّ الباري مولانا جَلَّ ذِكْرُهُ هو
صاحبُ الكَشَفِ والفِطْرِ تَعَالَى عن ذلكَ وتنَزَّهَ عن هذا التَّحْدِيدِ المؤذِنِ للعَمَى
والصَّمَمِ، بل هو عَبْدُهُ الإمامُ القائمُ الهادي الذي أَمَرَهُ الباري بِأَخْذِ المِيثَاقِ
والتَّوْحِيدِ على جَمِيعِ الأُممِ، وَجَاهَرَ بالتَّوْحِيدِ وبِإِثْنِ به جَمِيعِ الخَلْقِ
وأَخْرَجَهُم إلى الوجودِ مِنَ العَدَمِ.

وَقَوْلُهُ: «وَالآنَ لِلنُّجَبَاءِ أَنْ يُقِيمُوا الدَّعْوَةَ بِاسْمِهِ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لَذَلِكَ مِنْ بَرِيَّتِهِ»: أَفْتَقُولُونَ يَا أَهْلَ النَّصَفَةِ إِنَّ النُّجَبَاءَ يُقِيمُونَ الدَّعْوَةَ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ، أَمْ تَقُولُ أَنَّ الْبَارِيَّ تَعَالَى يُقِيمُ دَعْوَةَ التَّوْحِيدِ بِهَوِيَّتِهِ. فَإِنْ اعْتَقَدْتُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَقَدْ جَعَلْتُمُوهُ وَاسِطَةً يُقِيمُ الدَّعْوَةَ لِمَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُ تَعَالَى وَتَنْزَهُ عَنْ هَذَا الشَّرِكِ الْمُبَايِنِ لِلْحَقِّ بِكُلِّيَّتِهِ، بَلْ جَلَّ مَجْدُهُ وَتَقَدَّسَ عَنِ الْإِضَافَةِ إِلَيْهِ وَتَنْزَهُ عَنْ تَجْدِيدِهِ وَصِفَتِهِ.

فَقَدْ رَدَدْتُمْ فِي جَمِيعِ عَقَائِدِكُمْ حَقَائِقَ الدِّينِ، وَعَدَلْتُمْ عَنِ الْحَقِّ وَجُرُتُمْ عَلَى مَنْ قَبِلَ أَمْرَ الْبَارِ إِلَهِ الْعَالَمِينَ، وَلَمْ تُوقِنُوا، وَكَذَبْتُمْ بِمَا أَمَرَ بِهِ فِي الْمَجَالِسِ الْمُكْرَمَةِ الَّتِي هِيَ حُجَّةٌ عَلَى الْمَرْقَةِ الْجَاحِدِينَ.

وَقَدْ مَضَى الْفِطْرُ وَقَامَ بِهِ الْإِمَامُ الْهَادِي كَمَا هُوَ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ الْمُكْرَّمِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ مَكْتُوبٌ، وَلَا بُدَّ مِنْ وُرُودِ يَوْمِ النَّحْرِ لِلْأَمَمِ الْجَاحِدَةِ إِذْ هُوَ الْحَقُّ الْمَوْجُوبُ.

وَنَحْنُ نَشْفَعُهُ بِمَا ثَبَّتَ فِي فُصُولِ دَعَائِمِ الْإِسْلَامِ مِنْ ذِكْرِ الْمِيثَاقِ، وَتَعْيِينَ بَلَسٍ مِنْ آلِ أَمْرِهِ إِلَى النُّكْثِ وَالْإِرْتِدَادِ وَالْجَحْدِ وَالنِّفَاقِ، وَهُوَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ وَخُرُوجِ النَّاسِ إِلَى مَنْى وَفِيهِ يَرْتَوِي الْحَجَبِيُّ مِنَ الْمَاءِ وَيَقْدِرُوا عَلَيْهِ بَعْدَ عَدَمِهِ فِي طَرِيقِهِمْ وَتُرَوَّى بِهِائِثُهُمْ.

وَمَثَلُهُ مَثَلُ الْإِمَامِ السَّابِعِ مَوْلَانَا الْمُعِزِّ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِ ذَكَرَهُ الَّذِي كَمَلَتْ فِيهِ الْحِكْمَةُ وَرَوَى الْعَالَمُ بِالْعِلْمِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَهُوَ الَّذِي يُؤَلِّدُ لَوْلَاهُ خَاتِمُ الْأَئِمَّةِ قَائِمُ الْقِيَامَةِ صَاحِبُ الْمِيثَاقِ.

فِيَا أَهْلَ الثَّقَةِ وَالتَّوْحِيدِ، وَيَا شَيْوِخَ التَّنْزِيهِ وَالتَّجْرِيدِ، أَتَقُولُونَ إِنَّ الْبَارِيَّ وَلَدٌ أَمْ وَالِدٌ؟ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّهُ إِلَهٌ مَنْزَّهٌ وَاحِدٌ؟ فَلَا تَغْفُلُوا عَنْ تَأْمُلِ الْحَقِّ فَيُخْرِجَكُمُ السَّهْوُ وَالْبَلَّةُ إِلَى الْإِرْتِدَادِ وَالنِّفَاقِ.

وَعَلَّمُوا إِنَّمَا جَرَتْ الْعِبَارَةُ عَنْهُ بِالْوَلَدِ وَالْوَالِدِ، وَقَائِمِ الْقِيَامَةِ
وَصَاحِبِ الْمِيثَاقِ فَهُوَ كِنَايَةُ لَهُ مِنْ حَيْثُ الْعَالَمُ بِالْمَعْبُودِ عَنِ الْعَبْدِ، إِذْ كَانَ
الْبَارِي تَعَالَى مُنْزَهًا عَنِ الْفِعْلِ وَالصِّفَةِ وَالنَّعْتِ وَالْحَدِّ. وَإِنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ
الْعِبَارَةُ جَائِزَةً فِي دَوْرِ السِّتْرِ وَظُهُورِ الْبَارِي تَعَالَى بِاسْمِ الْإِمَامِ، وَهَذَا أَعْظَمُ
دَلِيلٍ وَأَوْكَدُ بُرْهَانٍ عَلَى شَرَفِ هَذَا الْأَسْمِ وَمَعْنَاهُ وَتَعْيِينُهُ بِالْإِجْلَالِ
وَالْإِعْظَامِ.

فَانْتَبِهُوا أَيُّهَا السَّهَوَةُ مِنْ هَذِهِ الْمَتِيهِةِ الْعَمِيَّةِ، وَلَا تَتَمَادَوْا فِي الْغَيِّ
بَعْدَ وَضُوحِ الْحَقِّ كَفَعْلِ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى. فَالْبَارِي يُعَجِّلُ فَرَجَ أَوْلِيَائِهِ
الْمُسْتَضْعَفِينَ بِقَائِمِ الْحَقِّ وَلِيِّهِ، وَيُدِيلُهُمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ وَعَدُوِّهِ.

وَبَعْدَ يَوْمِ التَّرْوِيَةِ، يَوْمَ عَرَفَةَ، وَفِيهِ يَكُونُ الْوُقُوفُ بِجِبَالِ عَرَفَةَ
لِانتِظَارِ الرَّحْمَةِ وَالْفَرَجِ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَهُوَ مِثْلُ الْإِمَامِ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ الْقَائِمِ
مَوْلَانَا الْعَزِيزِ عَلَى ذِكْرِهِ السَّلَامِ، وَمَنْهُ يَنْتَظِرُونَ قِيَامَ الْقَائِمِ سَلَامُ اللَّهِ عَلَى
ذِكْرِهِ بِالْفَرَجِ لِلْمُؤْمِنِينَ.

ثُمَّ نَشْفَعُهُ بِتَأْوِيلِ يَوْمِ النَّحْرِ، وَهُوَ يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ وَالتَّضَحِّيَةِ،
وَفِيهِ يَسْتَقَرُّ النَّاسُ بِمَنَى وَتُرَاقُ فِيهِ الدِّمَاءُ. وَهُوَ مِثْلُ لَخَاتِمِ الْأَئِمَّةِ عَبْدِ مَوْلَانَا
الْحَاكِمِ سَلَامُ اللَّهِ عَلَى ذِكْرِهِ، وَفِي وَقْتِهِ تُنْحَرُ الْمُخَالِفِينَ، وَتَشْمَلُ الرَّحْمَةُ
لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَجَمِيعُ مَا يَجْرِي مِنْ هَذِهِ الْأَلْفَافِ الْمُسَقَّدِمْ ذِكْرُهَا إِنَّمَا كَانَتْ جَائِزَةً فِي
دَوْرِ السِّتْرِ، وَإِنَّمَا حِينَ ظَهَرَ تَعَالَى بِالْأُلُوْهِيَّةِ فَقَدْ عَرَفَ حَقِيقَتَهَا مَنْ سَلَّمَ
لِلنَّهْيِ وَالْأَمْرِ.

وَقَدْ وَصَلَتْ هَذِهِ الْفُصُولُ إِلَى كَافَّةٍ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى الدِّينِ وَتَذَاكُرُوا
فِيهَا وَبِهَا جَمَاعَةُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَكَرَّرَتْ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ بِالْمَغْرِبِ وَظَهَرَتْ بِبَلَدِ

الْفَسْطَاطِ مُدَّةَ هَذَا الزَّمَنِ وَالسِّنِينَ. «فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ - وَأَنْكَرُوهُ - فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ»^(١٣). فما ازدادوا بها لُخْبَثِ أَعْمَالِهِمْ إِلَّا عَمَى فِي الْبَصَائِرِ وَالْأَبْصَارِ، وَرُجُوعًا إِلَى الْقَهْقَرَى، وَقِيَامًا عَلَى الْمُحَقِّقِينَ الْأَطْهَارِ، فَهَمُ بِهِذَا الْفِعْلِ الذَّمِيمِ أَنْجَسُ الْأَنْجَاسِ وَأَشْرُّ الْأَشْرَارِ.

والعدلُ هو الذي أَوْجَبَ إِظْهَارَ عِقَائِدِ هَؤُلَاءِ الْمُلَبَّسِينَ وَتَعْيِينَ مَا يُظْهِرُهُ عَالَمُ النَجَسِ وَأَهْلُ التَّقْصِيرِ وَالْمُرْتَدِّينَ، مِنَ الْكِذْبِ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ وَالنِّفَاقِ، وَالْفَتَكِ بِأَوْلِيَاءِ الدِّينِ، وَالنَّكَثِ عَلَى اللَّهِ وَوَلِيِّهِ وَالْإِبَاقِ، كَيْ يَفْرُقَ قَبْلَ الْقِيَامَةِ وَبَيْنَ الْمُقَرِّ وَالْجَاحِدِ، وَلِيَتَمَيَّزَ الْوَلِيُّ الطَّائِعُ مِنَ الشَّاكِّ الْمُعَانِدِ، لِيَكُونَ عِقَابُهُ جَلَّتْ أَلَاؤُهُ عَلَى بُرُوزِ الْأَعْمَالِ، وَتَعْيِينَ الْجَنَائِيَاتِ مِنْ أَهْلِ الْأُفُكِ وَالضَّلَالِ.

وأيضاً لو لم تَقُمْ الدَّعْوَةُ بِإِظْهَارِ التَّوْحِيدِ، كَيْفَ كَانَ يُعْرِفُ الْكَافِرُ الْعَاصِي مِنَ الْمُقَرِّ الطَّائِعِ؟ وَكَيْفَ يَتَبَيَّنُ الْخَبِيثُ الْمُرْتَدُّ مِنَ الْوَلِيِّ الْمُشَائِعِ؟ وَقَدْ سَأَلَ الْإِمَامُ إِلَيْهِ التَّسْلِيمَ وَمِنَ السَّلَامِ، عَنِ السَّاعَةِ مَتَى تَقُومُ فَقَالَ إِذْ لَمْ يَبْقَ فِي الْعَالَمِ شَرٌّ مَكْمُنٌ أَوْ يَظْهَرُ، وَأَنَّمَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَشْرِّ الْأُمَمِ بِخَيْرِ الْأُمَمِ وَأَشْرَفِ وَأَطْهَرِ، أُولَئِكَ أَعْرَافُ الْحَقِّ سَادَاتُ الْأُمَمِ، الرَّافِعُونَ الْحَقَّ عَلَى كُلِّ مَنَارٍ وَعِلْمٍ، الْآخِذُونَ بِثَأْرِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، الْمُقِيمُونَ الْحَدَّ بِأَمْرِ الْإِمَامِ الْعَدْلِ قَائِمِ الْحَقِّ عَلَى أَهْلِ الشَّكِّ وَالْكُفْرِ وَالتَّلْحِيدِ، جَزَاءً لَارْتِكَابِهِمْ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ الْعِظَامِ، وَاسْتِحْلَالِهِمْ مِنْهُمْ الْكِبَائِرَ وَالْمَآثِمَ، جَرَاءَةً عَلَى الْبَارِي تَعَالَى فِيمَا أَمَرَ بِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَكَشَفِ نِقَابِهِ، وَانْتِهَاكِ الْمَحَارِمِ وَوَفَاءِ بِذِمِّ الْإِبْلِيسِ وَشَيَاطِينِهِ وَأَتْرَابِهِ، الَّذِينَ اعْتَقَدُوا بِالْبَلَسِ إِمَامَةَ الْبَارِي وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ يُوَحِّدُونَهُ، فَجَعَلُوهُ مِنْ جِهَةٍ عَبْدًا مُفِيداً مَرْبُوباً وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى قَوْلِهِمْ يُنْزَهُوهُ وَيَعْبُدُونَهُ.

فكيف تَصِحُّ عقيدة هؤلاء الخونة الأذعياء، أو تَثْبُتُ في الحقِّ قاعدةٌ لهذه الجماعةِ الهلكةِ الأشقياء، إذ الحقُّ الذي يَعْتَقِدُونَهُ أهلُ العلمِ والتَّوحيدِ والدينِ أنَّ الإمامَ سلامُ اللهِ على ذِكْرِهِ هو المُمِدُّ والمُؤَيِّدُ لحججه وحدوده المنصوبين. وهو الدَّالُّ لكافَّتِهِمْ إلى توحيدِ ربِّ العالمين، وهم المُمِدُّونَ لدُعاةِ الجزائرِ والأقاليمِ المُتَفَرِّقين.

فإنِ اعتقدتُ هذه الطائفةُ التائهةُ أنَّ الباري تنزَّه وتعالى هو المُمِدُّ والمُؤَيِّدُ للحججِ والدُّعاةِ والحدود، فَقَدْ أَلْحَدُوا فيه وفي حدوده، وأشركوا بين العبدِ والمعبود. وإنِ أقرُّوا بَعْدَ فَسْخِنَا لِإِفْكِهِمْ أَنَّهُ إِلَهٌ مُقَدَّسٌ مُنَزَّهٌ عَنِ الْحَدِّ والمحدود، فلا بُدَّ من إثباتِ الإمامِ العَدْلِ صاحبِ الميثاقِ الدالِّ على التَّوحيدِ والتنزيهِ وحقيقتِهِ الوجود، الأخِذِ بِثَأْرِ أَوْلِيائِهِ الْمُتَمَحِّنِينَ الرُّكْعِ السُّجُود، مِنَ آلِ السَّفَهِ والفِسْقِ والجَهِلِ والجُحود، الذين رَفَعُوا بِالْبَلَسِ رؤوسَ الأَشْهادِ على رؤوسِ الرِّماح، وَسَقُّوهُمْ بِالْجَوْرِ والظُّلْمِ كَأَسِ الذَّبَاح، مع من أَعْرَقُوا في البحار، وأَحْرَقُوهُمْ بلهيبِ النار، وَذَرَوْهُمْ في الرياح، وَقَتَّلُوا الجَمَّ الغَفيرَ بسيوفِ الأضداد، بعد سَبْيِ النساءِ والأولاد، وَقَطَعَ قُلُوبَهُم والأكباد، وتعليقِ رؤوسِ الرجالِ المُوَحِّدين في أعناقِ أخواتِهِم وبناتِهِم، وَذَبَحِ الأَطْفالِ الرُّضْعِ في حُجُورِ أُمَّهَاتِهِم.

فَلَمْ يَرَعُوا لِأَحَدٍ فِي اللَّهِ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً فَيَرَحِمُوا صَغِيرًا لِصَبَوَتِهِ وَصِغَرِهِ. وَلَمْ يَعْفُوا عَنْ كَبِيرٍ لِشَيْخُوخَتِهِ وَهَرَمِهِ وَكِبَرِهِ، بَلْ أَجْرَوْهُمْ عَلَى حَدِّ السِّيُوفِ قَتْلًا وَصَلْبًا، وَفِي الشَّوَارِعِ شَقًّا لِبَطُونِهِمْ، وَجَرًّا بِأَرْجُلِهِمْ وَسَحَبًا، وَلَا مَوَالِهِمْ وَذَرَارِيَهُمْ سَبِيًّا وَنَهَبًا.

فَالَا أَجْرِيَتُهُمْ أَيْهَا الظَّالِمَةُ فِيمَا اعتقدتُمُوهُ بِأَخْذِ الْجِزْيَةِ مِنْهُمْ مَجْرَى الْفَرِيقَيْنِ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ، أَوْ تَفَكَّرْتُمْ فِيمَا أَمَرَ الْبَارِي بِأَخْذِهِ عَلَيْكُمْ فِي حِفْظِ أَوْلِيائِهِ قَبْلَ الْغِييَةِ مِنَ الْمَوَاتِيْقِ وَالْعُهُودِ، بَلْ ذَبَحْتُمُوهُمْ كَمَا تُذَبِّحُ

الْجُزُرُ وَالْغَنَمُ عداوةٌ لِلَّهِ، وَوَفَاءٌ لِلْفِرَاعِنَةِ بِالذَّمِّ. فإلى الباري تعالى وإلى
وليه المُسْتَغَاثُ وَالْمُسْتَكْتَى، وإلى رَحْمَتِهِ الْمَفْرَعُ وَالْمُلْتَجَا. فما أجزأ إلى مثلِ هذا
الكفرِ بعد الإنذارِ والتَّخْوِيفِ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ، وَلَا سَمِعَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْفَادِحَةِ فِي
الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ.

هذا بَعْدَ الْفِطْرِ وَإِشْهَارِ دِينِ التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ نَظَرِهِمْ فِيمَا يُظْهِرُهُ
الباري تعالى وإقامةِ الْحُجَّةِ عَلَى الْأَمَمِ بِأَمْرِ إِمَامِ الزَّمَانِ بِأَخْذِ الْمَوَاقِفِ عَلَى
أَهْلِ الطَّاعَةِ بِالتَّنْزِيهِ وَالتَّجْرِيدِ. وَبَعْدَ فَتْحِ بَابِ الدَّعْوَةِ بِالْفُسْطَاطِ وَحُضُورِ
الْجَمِّ الْغَفِيرِ لِسَمَاعِ حِكْمَةِ التَّقْدِيسِ وَالتَّمْجِيدِ، نَكَّتُوا بَعْدَ سَمَاعِ هَذِهِ الْحُكْمِ
وإقامةِ عِظَائِمِ الْحُجَجِ كَمَا فَعَلَ أَتْبَاعُ الْإِبْلِيسِ مِنْ قَبْلِهِمْ.

فَوَاسَفَاهُ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ وَعَلَى التَّخْلُفِ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَوَالْهَفَاهُ حَسْرَةً
وَاسْتَوْجَاعاً لِفَقْدِهِمْ. هَذَا مِنْ حَيْثُ التَّخْلِيقُ وَبَثُّ الصُّدُورِ فِي الْأَجْسَامِ، وَحَقُّ
الباري عِندَنَا وَعَدْلُهُ يُوجِبُ أَخْذَهُمْ بِثَأْرِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ أَوْلَادِ السِّفَاحِ وَالْحَرَامِ.

فَإِنْ قَالَ أَحَدٌ مِنَ الشَّاكِّينَ الْمُعْتَرِضِينَ، أَوْ بَعْضُ مَنْ تَمَرَّدَ عَنِ الْحَقِّ
طَاعَةً لِإِبْلِيسِ اللَّعِينِ: «لَوْ كَانَ حَقًّا مَا اعْتَقَدْتُمُوهُ، أَوْ كَانَ سِدْقًا مَا أَشْهَرْتُمُوهُ
وَأَدْعَيْتُمُوهُ، لَكِفَاكُمُ الْإِلَهَ الَّذِي وَحَدْتُمُوهُ، وَلَعَصَمَكُمُ مِنْ أَذِيَةٍ مِنْ خَانَ وَكَفَرَ،
وَلَمَنَعَ مِنْكُمْ مَنْ نَكَّتَ عَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ وَغَدَرَ»، يُقَالُ لَهُ: إِنْ كَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ
يَنْتَسِبُ إِلَى الدِّينِ وَاسْمَى نَفْسَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الطَّائِعِينَ، أَنَّ الْحُجَّةَ قَدْ ثَبَّتَتْ
عَلَيْهِ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَمْرِ الْعَالِيِّ مِنْ إِظْهَارِ الْمَذَاهِبِ وَعَرَفَ بِالطَّاعَةِ وَقَبُولِ
الْأَمْرِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَحَنِ السَّادِقِ مِنَ النَّاكِثِ الْكَاذِبِ. وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ أُمَّةٍ
مِنْ مِلَّةٍ مِنَ الْمِلَلِ، أَوْ فِرْقَةٍ أَوْ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالْجَدَلِ، يُقَالُ لَهُ: لَوْ
عَصِمُوا الْمُحَقِّقُونَ فِيمَا أَظْهَرُوهُ وَقَامُوا بِهِ مِنَ الْحَقِّ وَالتَّوْحِيدِ وَأَشْهَرُوهُ،
وَأَعْفَيُوا مِنْ أَذِيَةِ الْمُبْطِلِينَ، وَمَكَائِدِ الْأَضْدَادِ الْمُتَغَلِّبِينَ، لَصَارَ الْمُبْطَلُ بِالْجَبْرِ
مُحِقًّا لِنَظَرِهِ إِلَى عِصْمَةِ الْمُوَحِّدِينَ، وَكِفَايَتِهِمْ وَامْتِدَادِ أَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ

بالبطش والقولِ وغلَبَةِ الحقِّ للخلقِ أجمعين. فكانتْ تَلْتَبِسُ حينئذٍ الأمور، ولا يُعرَفُ الطائعُ من الناكثِ الكفور، ويكونوا مجبورين والعقابُ مرفوعٌ عن المكْرِه والمجبور.

وبهذا أيضا قام العدلُ والحُجَّةُ بالغيبة، فيما يظهرُ على الخليفة ليُعرفَ الموحدُ الطائعُ من الشاكِّ الناكثِ بالحقيقة، لأنَّه لو لم تكنِ الغيبةُ فيما يظهرُ وإقامة الحُجَّةِ بالإستار، وداموا الخلقَ على ما كانوا عليه من علوِّ الكلمة وقوَّةِ اليدِ على المخالفين والإستظهار، لأجابَ المخالفون من هذه الأمة وجميع أهلِ الشرعِ المتباينة في الأديان، خيفةً من غلبةِ السيفِ وقوَّةِ الحقِّ الزائدة على الفضلِ والرجحان، فيكونُ الله وحاشاهُ قد ظلمَ الخلقَ ولَبَسَ الأمورَ على الأمم، فيتساوى في قولِ الحقِّ أهلُ الدينِ والعدلِ وأشباهِ البقرِ والغنم. فلا يُفرَّقُ بينهم ويتساوى الخلقُ ويبطلُ التفاضل الذي هو في الثوابِ والعقابِ العدلِ والحُكم، ويكونُ الأممُ سُدًى مظلومين مُهمَلين، وتبطلُ حِكْمَةُ البارِي تعالى على قولِ المرتدِّين والمُكذِّبين المُخترِصين.

أما تتأملوا هذا القولَ الفصلَ يا أهلَ النظرِ في مباني الأديان، وتتحقَّقوا أنَّ المجالسَ المُكرَّمةَ إنَّما كانتْ مُقيمةً الحُجَّةَ على العالمِ بحكمتها ومُشيَّرةً إلى إظهارِ التَّوحيدِ ومعرفةِ العالمِ قيامِ القائمِ إمامِ الزمان، لأنَّ بظهورِ القائمِ عبدِ مولانا ودعوته إلى التَّوحيدِ تنزَّهَ البارِي وتعالى مولانا عما يُشارُ إليه ويُعبَّرُ بالقولِ واللفظِ عن منزلةِ عبده الإمام، وهذا هو العدلُ اللازم بالبرهانِ لأهلِ التَّوحيدِ والإيقانِ والإستسلام. فقد صحَّ أمرُ البارِي لعبده قائمِ الحقِّ بإشهارِ التَّوحيدِ المُخرِجِ إلى الوجودِ من الجهلِ والإعدام.

وأيضا لو لم يلحقِ الموحِّدين ما يُوجبُ الاحتسابَ والرَّضى والصبرَ على المحنِّ ومَحْثُومِ القضاء، لما فضَّلُوا في يومِ القيامةِ عليَ البشر. ولم تكن طاعتهم مذكورةً في التواريخِ والسِّير. فباختيارِ الأممِ للجحدِ والإنكارِ يُعاقبون، وباختيارِ أهلِ الحقِّ والطاعةِ والصبرِ على المحنِّ يُثابون.

فالطائفتان مُتَهَيَّئَتَانِ للاختيار، غيرُ مُثَابِنِ ولا مُعَاقِبَيْنِ بالإكراه والإجبار، ولم يَكُنْ غَرَضُنَا مَصْرُوفاً إِلَى الرَّدِّ عَلَى جَمِيعِ الْمَذَاهِبِ وَالنَّحْلِ، لَأَنْ قَدْ أَفْرَدْنَا الرَّدَّ عَلَى كُلِّ أُمَّةٍ وَفِرْقَةٍ بِمَا يَقْطَعُ أَوْصَالَهُمْ وَيَهْتِكُ أَسْتَارَهُمْ مِنْ بَرَاهِينِ الْحَقِّ وَفَوَاصِلِ قَوَانِينِ الْجَدَلِ. وَذَلِكَ بِمِنَّةِ مَوْلَايَ الْإِمَامِ الْهَادِي الْقَائِمِ بِأَمْرِ الْبَارِي الْعَالِ لِأَمْرِهِ عَلَّةِ الْعِلَلِ، وَإِنَّمَا أَرَدْنَا بِهَذِهِ الْجَدَاذَةِ ذِكْرَ مَنْ انْتَسَبَ إِلَى الدِّينِ وَمَا أَجْرُوا إِلَيْهِ مِنَ الرَّدَّةِ وَعَظِيمِ الزَّلَلِ، وَفَعَلَهُمْ مَا فَعَلَتْهُ الْأُمَمُ الْمُخْتَلِفَةُ الْمُتَبَايِنَةُ، وَاخْتِلَاطُهُمْ بِالْفِرَقِ الْمَذْمُومَةِ النَّجِسَةِ الْمُتْلَاعِنَةِ، وَتَحَمُّلُهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءِ الْحَقِّ الْوِزَرَ وَاصْتِلَاحَهُمْ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَبَالِسَةِ وَالْفِرَاعِنَةِ وَتَتَبُّعُهُمْ إِلَى الْيَوْمِ دُونَ الْأُمَمِ لِأَوْلِيَاءِ الدِّينِ بِالْقَذْفِ وَالْغُمَزِ وَالسَّبِّ، وَاخْتِلَاقُهُمْ عَلَى أَهْلِ الطَّاهَرَةِ الْفَحْشَاءِ بِالزُّورِ وَالْكَذِبِ.

فَقَدْ زَادُوا فِي النِّكَثِ وَالسَّفَةِ عَلَى أَهْلِ الْخِلَافِ وَالنَّصَبِ، وَاسْتَحْلَوْا مِنَ الْمُوَحِّدِينَ أَضْعَافَ مَا زَعَمُوا أَنَّهُ فَعَلَ بِأَهْلِ الْمَشْرِقِ فِي بَلَدِ الشَّرْقِ وَأَهْلِ الْمَغْرِبِ فِي بَلَدِ الْغَرْبِ.

فَأَيْنَ تَسْمِيَّتُهُمْ لَأَنْفُسِهِمْ بِالْمُوَحِّدِينَ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَيْنَ قَوْلُهُمْ إِنَّهُمْ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَعْدَ الْقَتْلِ وَالزَّعْجِ هَارِبِينَ؟ فَهَلْ يَجُوزُ فِي عِلْمِهِمْ وَمَا حَفِظُوهُ أَنْ يَنْتَسِبَ إِلَى الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ إِلَّا مَنْ شَكَّ فِي الْحَقِّ وَارْتَدَّ وَنَكَثَ وَقَامَ عَلَى الْمُوَحِّدِينَ، وَبَايَنَ بِالسَّبِّ وَالْقَذْفِ لِلْقَائِمِ بِالتَّوْحِيدِ بِأَمْرِ الْبَارِي عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، وَحُضُورِ الْجَمِّ الْغَفِيرِ وَسَمَاعِهِمْ مَا يَظْهَرُ فِي الْمَشْهَدِ كَمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْمَوَاقِفِ وَالْعُهُودِ، إِقَامَةَ الْحُجَّةِ عَلَى أَهْلِ الرَّدَّةِ وَالْعِنَادِ.

فَبِهَذَا نَطَقَتْ صَحَفُ الْحِكْمَةِ وَمُؤَلَّفَاتُ الْأَسْفَارِ بِاجْتِمَاعِ فِرْقِ الشُّكِّ وَالْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ وَالْإِصْرَارِ، عَلَى قَتْلِ الْفِرْقَةِ الْوَاحِدَةِ النَّاجِيَةِ أَلِ التَّوْحِيدِ وَالتَّنْزِيهِ وَالتَّأْلِيهِ وَالْإِقْرَارِ، لَظُنُونِ تَخْتَرِصُهَا هَذِهِ الْفِرْقَةُ عَلَى أَهْلِ الدِّينِ، وَمُكَايِدِ يَظُنُّونَهَا فِي نَفُوسِهِمْ لِلْمُوَحِّدِينَ، لَمَا نَظَرُوا أَهْلَ الْحَقِّ إِلَى مَا عَمِيَتْ

عنه بصائرهم واحتجبَ عن الأبصار، وتحققوا ما أُحْجِمَتْ عنه هذه الطائفةُ
المُهَيِّنَةُ بِاللَّدَدِ وَالْإِنْكَارِ، وَرَدَّهُمْ لِمَجْلِسِ السِّتِينَ عَنْوَدًا لِلْحَقِّ بِالْبَهْتِ
وَالِاسْتِكْبَارِ، وَمَا ثَبَّتَ فِي مَجْلِسِ الثَّلَاثِينَ دَحْضًا لِبَاطِلِهِمْ بِالْحَقِّ الْجَلِيِّ،
وَأَنْهَمَا عِبْدَانِ مُسْتَعْدِمَانِ تَحْتَ طَاعَةِ الْمَوْلَى إِلَهِ الْحَاكِمِ الْمُنْزَهِ الْعَلِيِّ.

فِيَا أَهْلَ الْعَدْلِ كَيْفَ يَقَعُ الْمُعَانِدُ الْجَاوِدُ لِلْمَشَايِعِ الْوَلِيِّ، فِيمَا جَعَلَ
اللَّهُ بَيْنَهُمَا مِنَ الْامْتِزَاجِ وَالْقُوَّةِ بَيْنَ النَّبِيِّ وَالْوَصِيِّ، وَلَا مُنْفَرِدٍ بِالْوَحْدَانِيَّةِ
غَيْرِ خَالِقِ الْمُزْدَوِجَاتِ الدَّاحِي سَبْعًا مِهَادًا، وَالرَّافِعُ عَلَيْهِمَا عُمْدًا شَدَادًا.

فِيَا أَهْلَ الْعَدْلِ تَفَكَّرُوا فِيمَا جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا، أَعْنِي النَّبِيَّ وَالْوَصِيَّ،
مِنَ الْمَسَاوَةِ وَالْامْتِزَاجِ، وَاجْعَلُوا الرِّضَى وَالتَّسْلِيمَ لِلْمُنْفَرِدِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ خَالِقِ
الْأَفْرَادِ وَالْأَزْوَاجِ، وَاسْتَخْضُوا بِأَنْوَارِ مَعَالِمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى
الدِّينِ مِنْ ظُلْمَةِ هَذِهِ الْفِتْرَةِ بِالْقَمَرِ الْمُنِيرِ وَالسِّرَاجِ الْوَهَّاجِ، مِنْ قَبْلُ أَنْ تَقُولَ
كُلُّ نَفْسٍ وَأَحْسَرَتَاهُ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي سَبَبِ الدِّينِ وَحَقِيقَةِ الْمِعْرَاجِ.

اللَّهُمَّ سَهِّلِ الْحَقَّ لِمَنْ تَنَبَّهَ بِالْوَعْظِ وَسَدَقَ لِأَهْلِهِ وَمُبْتَغِيهِ، وَالْهَمُّ
الصَّبْرُ لِأَهْلِ الْحَقِّ عَلَى هَرَجِ الشَّيْطَانِ وَمُتَّبِعِيهِ.

وَمِنَ السَّابِعِ مِمَّا قَرَأَهُ مَالِكُ ابْنِ سَعِيدٍ، مِمَّا بُنِيَ عَلَى الْوَعْظِ وَالزَّجْرِ
وَالْتَهْدِيدِ: فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامَ الْحَذَرُ يَنْجِعُ وَالطَّاعَةُ تَنْفَعُ،
وَالظَّاهِرُ يُقْبَلُ فَيُثَابُ عَلَيْهِ، وَالْبَاطِنُ مَوْجُودٌ لِمَنْ طَلَبَهُ وَرَغِبَ إِلَيْهِ، إِذْ أَنْتُمْ بَيْنَ
بَاطِنٍ يَظْهَرُ وَحِكْمَةٍ أُخْرَى يُشَارُ إِلَيْهَا وَتُسْتَرُّ.

فِيَا أَهْلَ الْعَدْلِ أَمَا شَاهَدْتُمْ الْبَاطِنَ قَدْ انْكَشَفَ وَظَهَرَ، وَقَامَ بِحِكْمَةِ
التَّوْحِيدِ وَكَشَفَ الْبَاطِنَ مَنْ أَمَرَ بِأَخْذِ الْمِيثَاقِ عَلَى الْأَمَمِ وَبَعْدَ ذَلِكَ اسْتَتَرَ؟
فَهَلْ يَكُونُ أَعْظَمُ مِنْ قِيَامِ هَذِهِ الْحُجَّةِ عَلَى مَنْ كَفَرَ الْحَقَّ وَنَكَثَ وَعَدَرَ؟

وَمِنَ السَّابِعِ أَيْضًا دَحْضًا لِبَاطِلِ مَنْ مَرَّقَ عَنِ الْحَقِّ وَمَنِ الْحِكْمَةِ
تَعَرًّا. فَاعْمَلُوا بِالظَّاهِرِ مَا دَامَ نَفْعُهُ مُسْتَمِرًّا، وَحُكْمُهُ مُسْتَقَرًّا، وَاطْلُبُوا الْبَاطِنَ

ما دام مُشارٌ إلى مَسْتَوْرِهِ الْخَفِيِّ، وطالِبُهُ عندَ اللَّهِ بِعَيْنِ الطَّائِعِ الْمُرْضِيِّ، والعملُ بهما مَقْبُولًا، والثوابُ عليهما مأمولًا، حَتَّى يَقُومَ بِالتَّوْحِيدِ آخِرُ قَائِمٍ من الأئمة الطاهرين المهديين الذي هو صاحبُ القيامة، وإليه انتهت أدوارُ الإمامة، فَيَكْشِفُ الْبَاطِنَ كُلَّهُ، وَيَفُوزُ بِالْعَمَلِ مَنْ قَدَّمَهُ، وَيَنْدُمُ عَلَيْهِ مَنْ ضَيَّعَهُ، وَيَهُمُّ بِهِ فَلَا يَسْتَطِيعُهُ.

فيا أهلَ النِّصْفَةِ! أليسَ قَدْ أَمَرْنَا فِي الزَّمَنِ الْمَاضِي بِطَلْبَةِ الْبَاطِنِ مَا دَامَ مُشارٌ إلى مَسْتَوْرِهِ الْخَفِيِّ، وطالِبُهُ عندَ اللَّهِ بِعَيْنِ الطَّائِعِ الْمُرْضِيِّ، فَقَدْ عَرَفْنَا وَأَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَيْنَا أَنَّ طَالِبَهُ بَعْدَ كَشْفِ التَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ كَانَ الْمَسْتَوْرُ الْخَفِيُّ أَنَّهُ يَكُونُ بَعْدَ الْكَشْفِ غَيْرَ مَقْبُولٍ، والثوابُ عليهما غَيْرَ مَأْمُولٍ، إِذْ قَامَ بِالتَّوْحِيدِ آخِرُ قَائِمٍ من الأئمة الطاهرين المهديين، وَعَرَفْنَا أَنَّ صَاحِبَ الْكَشْفِ هُوَ صَاحِبُ الْقِيَامَةِ، وإليه انتهت أدوارُ الإمامة الذي ظَهَرَ فِيهَا لِلْعَالَمِ بِالْإِلَهِيَّةِ وَالتَّوْحِيدِ، أَنَّهُ قَدْ فَرَعَ الدَّوْرَ الَّذِي تَسْمَى فِيهِ بِالْإِمَامِ لِفِرَاقِ زَمَنِ الشَّرِكِ وَالتَّلْحِيدِ، وَأَنَّ الْإِمَامَ هُوَ عَبْدُهُ الَّذِي كَشَفَ بَعْلِمِهِ الْبَاطِنَ كُلَّهُ وَدَعَى الْخَلْقَ إِلَى حَقِيقَةِ التَّنْزِيهِ وَالتَّجْرِيدِ.

وعن قليلٍ يَفُوزُ بِالْعَمَلِ مَنْ قَدَّمَهُ وَقَبِلَ الْحَقَّ وَأَطَاعَ قَائِمَ الْقِيَامَةِ وَيَنْدُمُ عَلَيْهِ تَخَلَّفَ عَنْهُ وَضَيَّعَهُ وَيَهُمُّ بِهِ بَعْدَ قِيَامِ الْقَائِمِ فَلَا يَسْتَطِيعُهُ وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ لِرُدِّهِ لِلْحَقِّ وَوَلِيهِ وَنَقُضُ دِمَامَةِ.

فهذه فصولٌ يَجِبُ ذِكْرُهَا لِلْمُسْتَرَشِدِينَ وَأَهْلِ الْإِيمَانِ.

وهذا فصلٌ من المجلسِ العاشرِ من البيانِ والأذانِ مَثْنَى مَثْنَى دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ كُلَّمَا مَضَى سَلَفٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ خَلْفٌ. وَالْقَائِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَقُومُ بَعْدَهُ غَيْرُهُ لِأَنَّهُ تَمَّامُ الْأَدْوَارِ وَنَهَائَتُهَا.

ومن المجلسِ العاشرِ من المائةِ الثَّانِيَةِ مِمَّا قَرَأَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَالْوَسْطِيُّ مِنْهُمْ أَعْنَى صَلَاةِ الْعَصْرِ هِيَ الَّتِي لَا نَافِلَةَ بَعْدَهَا لِمَتَطَوُّعِ زَائِدٍ فِي عَمَلِهِ أَخْبَرَ

أَنَّ الْقَائِمَ مِنْهُ عَلَى جَمِيعِهِمْ لِقِيَامِ السَّاعَةِ عَلَيْهِ لَا خَلْفَ لَهُ لَا نَقْطَاعَ أَمْرٍ الدُّنْيَا
يَكُونُ مِنْ نَسْلِهِ. وَمَنْ وَفَا بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ أَمِنْ عَذَابِهِ لَتَنْزِيهِهِ عَمَّا أَلْفَوْهُ الْعَالَمُ
مِنَ الْأَحْوَالِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

فِيَا أَهْلَ الْفَهْمِ إِنَّمَا قَطَعَ أَمْرَ الدُّنْيَا لظُهُورِهِ لِلْعَالَمِ بِالْإِلَهِيَّةِ، وَأَمَرَ
بِكَشْفِ التَّوْحِيدِ وَتَنْزَهُ عَنِ الزَّوْجِ وَالْوَلَدِ وَالْوَالِدِ بِالْكُلِّيَّةِ، لِأَنَّ الدُّنْيَا إِنَّمَا كَانَ
مَثَلُهَا مَثَلُ ظَوَاهِرِ الْأُمُورِ وَالْآخِرَةِ فَهِيَ عَلَى الْبَاطِنِ، وَالتَّوْحِيدِ فَهُوَ بَاطِنُ
الْبَاطِنِ الَّذِي كَانَ بِالْحَقِيقَةِ الْمُسْتَوْرَ فَعَرَفَ الْعَالَمُ أَنَّ لَا خَلْفَ لَهُ، ثُمَّ حَدَّرَ
الْعَالَمَ مِمَّنْ تَعَدَّى أَمْرَهُ وَعَرَفَهُمْ بِأَهْلِ الطَّاعَةِ وَالنَّجَابَةِ. فَقَالَ وَمَنْ وَفَى بِمَا
أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ أَمِنْ عَذَابِهِ، لَتَنْزِيهِهِ عَمَّا أَلْفَوْهُ الْعَالَمُ مِنَ الْأَحْوَالِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

فِيَا أَهْلَ الْعَدْلِ! إِفْهَمُوا هَذَا الْمَقَالَ، وَلَا يَمِيلَنَّ بِكُمْ الْهَوَى وَالْجَوْرُ
وَالظُّلْمُ إِلَى التَّفْرِيطِ وَالضَّلَالِ، وَاعْتَنِمُوا زَمَنًا تُقْبَلُ فِيهِ الْإِقَالَةُ لِمَنْ اسْتَقَالَ،
وَانصَفُوا نَفُوسَكُمْ فِي هَذَا الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَلَا تَخْرُجُوا إِلَى اللَّدْدِ وَالْبَهْتِ عَنِ
الْحَقِّ وَالْعَدْلِ. فَمَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ فَهُوَ آخَرَى أَنْ يَجُورَ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَمَنْ حَادَّ
عَنِ الْحَقِّ فَمَا أَحْسَنَ أَدْعَايَ عَقْلُهُ وَهُوَ يَنْظُرُ. وَاللَّهُ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ.

فَإِنْ كَانَ لَكُمْ عَقُولٌ فَاطْلُبُوا الْحَقَّ وَاعْتَنِمُوا مَهْلَ الزَّمَانِ، وَنَزَّهُوا
الْبَارِيَّ عَنِ الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ وَاسْدُقُوا الْحِكْمَةَ أَنْ لَا خَلْفَ لَهُ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِ
التَّحْقِيقِ وَالْإِيقَانِ. وَالْحِكْمَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ فَقَدْ حَقَّقَتْ هَذِهِ الْمَعَانِي وَقَطَعَتْ مَعَاذِيرَ
أَهْلِ الشَّكِّ وَالنَّكَثِ وَالطُّغْيَانِ.

وَأَيْضًا مَا يُؤَيِّدُ ذَلِكَ وَيُثَبِّتُهُ عِلْمُ الْكَافَّةِ أَنَّ مَوْلَانَا سَلَامُ اللَّهِ عَلَى ذِكْرِهِ
حَظَرَ عَلَى الْأَمَمِ أَنْ يَقُولَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَبَائِهِ الْأَكْرَمِينَ، وَلَمْ يُخَالَفْ هَذَا الْأَمْرَ
إِلَّا مَنْ بَايَنَ بِالرَّدَّةِ وَالْخُرُوجِ عَنِ الدِّينِ، وَنَهَى أَنْ يُكْتَبَ بِذَلِكَ فِي السِّجَلَاتِ
وَالرَّقَاعِ وَجَمِيعِ الْمُكَاتَبَاتِ، وَقَدْ فَهِمَ ذَلِكَ جَمِيعُ النَّاسِ، وَقَبْلَ ذَلِكَ الْوَقْتِ كُتِبَ
السِّجْلُ الْمَشْهُورُ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحِيمِ خَلِيفَتِي فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ وَفَاتِي، يَعْنِي عَبْدَ

الرحيم ابن الياس، وقبلَ ذلك الوقتِ جعلَهُ وليَّ عَهْدِ المُسلمين، كما جعلَ العباسَ ابنُ شُعيبٍ وليَّ عَهْدِ المؤمنين.

ومعنى القولِ بعد وفاتي ما ذَكَرَهُ في سِجْلِهِ أعني وليَّ عَهْدِ المُسلمين، وهو هذا عهدُ أميرِ المؤمنين، إليك قد وفَّكَ حَقَّهُ، وأَدَّى إلى المؤمنين شَرْطَهُ وَطَوَّقَكَ الأمانَةَ، ولم يَلِيكَ ولا إِيَّاهُم نَصِيحَةً ولا طَرَحَها سَامَةً. وقوله: وإنَّ قومًا خَصَّهم أميرُ المؤمنين بِمَنِّهِ فَحَقِّيقُونَ بِشُكْرِهِ والثناءِ على من بدأَ لهم من جميلِ نَظَرِهِ وشَريفِ ذِكْرِهِ، إذ كان قد فَرَّغَ به إليهم مِن حَقِّهم واستوجبَ بِمَنِّهِ عليهم مَحْضَ شُكْرِهِم.

فبيَّنَ تعالى أَنَّهُ قد وفَّاَ العالمَ قِسْطَهُم وأوجبَ عليهم بِمَنِّهِ عليهم مَحْضَ شُكْرِهِم، وَكَتَبَ بخلافاتِ وليَّ عَهْدِ المُسلمين السِّجالات، وَكَتَبَ اسمَهُ بما ذكرناه في العَهْدِ والسِّكَّةِ والطرازِ والخُطْبَةِ وجميعِ المَكاتِبات.. وهذا هو أعظمُ النصوصات، وإنَّه تعالى جعلَ هذا وليًّا لعهدِ المُسلمين، وهذا وليًّا لعهدِ المؤمنين، ولم يَمْتَدَّ لهما الزمان، ولا كان لهما في هذا الوقتِ قدرةٌ ولا إمكان، أن يَقوماَ بحقوقِ الإسلامِ والإيمانِ، وإنَّما عَرَفْنَا جَلَّ جلالُهُ أَنَّهُما اللذانِ كانا في القَديم: وليَّ عَهْدِ المُسلمين، ووليَّ عَهْدِ المؤمنين، وإنَّما فَرَّغَ زمانُهُما، وانْقَطَعَ فعْلُهُما بظهورِ القائِمِ الهادي وليِّ ميثاقِ الموحِّدين، وذلك تَبَيُّنٌ ولُطْفٌ لجميعِ الموحِّدين والمُوحِّدات، وتنزيهٌ للمولى تعالى وتَقَدُّسٌ عن البُؤَّةِ والأبُوءَةِ، ودَحْضٌ لما تَخْتَرِصُهُ الأفاكُونُ من نِسْبَتِهِ إلى المُركَباتِ، وعِلْمٌ أنَّ وليَّ عَهْدِ المُسلمين لم يَتِمَّ له أمرٌ لتمامِ أدوارِ الشَّرْعِ ونهايَتِها، وظُّهورِ الكَشْفِ بالدورِ السَّعيدِ الجَديدِ، ولِفراغِ زَمَنِ التَّنْزِيلِ والتَّوِيلِ، وتَعْفِيَةٍ لِرَمَنِ الكُفْرِ والشِّرْكِ والتَّلْحيدِ، وإظهارِ ما كانتِ نفوسُ أهلِ الحَقائِقِ مُتَطَلِّعَةً إليه من التَّأْلِيهِ والتَّنْزِيهِ والتَّوْحِيدِ.

وهذا فهو تَبَيُّنٌ وإقامةُ الحُجَّةِ وإيضاحُ الحَقِّ لمن لم يَجِرْ على نفسه في الحُكْمِ، وَخَرَجَ من جُمْلَةِ أَهْلِ الرَّدَّةِ والجَحْدِ والظُّلْمِ.

كما صَحَّحَ ذلك المجلسُ الواحدُ والسبعون من المائة الثانية، وهو: كثيرٌ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ عندَ اللَّهِ وعندهُمْ على حُلُولِ من الحَرَمِ وَقُرْبٍ من السَّرِيرِ، فكانوا الشهداءَ بالظُّلْمِ في غَدِّ عليهم وَعَدَلَتْ بهم أَعْمَالُهُمْ إلى جَهَنَّمَ وَيَبُثُّ المَصِيرُ.

فهذه حقائقُ الحِكْمَةِ عندَ أهلِ التَّوْحِيدِ والإيمانِ وجواهرُ العِلْمِ المُحَقِّقِ بالدلائلِ والبُرْهانِ، كما جاءَ في تَأْوِيلِ دَعَائِمِ الإسلامِ^(١٤). وما شَفَا اللَّهُ الخَلْقَ بِأَجَلٍ من العِلْمِ، ولا طَهَّرَهُمْ بِأَكْثَرٍ من مُبَاعَدَةِ الظُّلْمِ، ولا هَدَاهُمْ فيمَا يَرْمُزُ لَهُمُ إِلَّا بِالشَّمْسِ والبَدْرِ والنَّجْمِ.

فهل بَعْدَ هذا الإيضاح والإرشادِ والتَّبْيِينِ سوى الرَّدِّ لِأَمْرِ الباري تعالى والحَسَدِ لِأَهْلِ الحَقِّ بِالْبَلَسِ والمُقَاوَمَةِ لِأَهْلِ الدِّينِ، إذا الكلامُ الجَزَلُ الحَقُّ والبُرْهانُ القاطعُ السَدِيقُ أَنْ يَسْتَشْهَدَ على كُلِّ أُمَّةٍ وفرقةٍ بما يَعتقدُوه، ويُخاطِبُوا بما هم مُشْتَهَرُونَ بِدِرَاسَتِهِ والتَّدْيِينِ بِهِ وَيَحْفَظُوه، وعندَ أهلِ النَّظَرِ وعلماءِ الحَقِّ وأهلِ الجَدَلِ فيمَا جَعَلُوهُ مِيزَانًا وفَصْلًا للقولِ ورَتْبُوه، إذ كان الرَّدُّ على المِلَّةِ والمَذْهَبِ من نصوصَاتِهِ ونَسْخِ أَصْلِهِ معما يُؤَيِّدُهُ من بُرْهانِ الحَقِّ وشاهدٍ عَدْلِهِ. فقد فَلَجَتِ الحُجَّةُ على مُعْتَقِدِيهِ وَأَهْلِهِ.

فانِ اعْتَرَضَ مُعْتَرِضٌ بعدَ ذِكْرِ نُصوصَاتِ الحَقِّ فَإِنَّمَا يُحَرِّكُهُ سوءُ التَّمْيِيزِ لِيبَيِّنَ لِسَانُهُ عن جَهْلِهِ، فَإِنَّ الطائِفَةَ التَّائِهَةَ تَزْعُمُ بِنَاءَ وَاللَّهِ مَوْهِيهِ. فهذه حَقًّا وَاللَّهُ مُتَّبِعُهُ وَمُقَوِّيه.

ومما ثَبَّتَ في المجلسِ الخامسِ والعشرين من المائة الثانية ممَّا قَرَأَهُ عبد العزيزِ إشارةً إلى التَّوْحِيدِ، ودلالةً إلى الحَقِّ للطائِعِ الرَّشِيدِ، وهو استمرُّ

(١٤) إشارة إلى رسالة باسم «الكتاب المعروف بالنقض الخفي»، رقم ٦، لحمزة، حيث ينقض دعائم الإسلام واحدةً تلو واحدة.

العارضُ فيمنَ وَجَّهَ الإختيارَ صاحبُ الكَشْفِ وَحَدَّ الإختبارَ بأخذهم على العَرَضِ والوصفِ حتى ظَهَرَ ثلاثَةُ من ذوي النَجَابَةِ والكافِثينَ عن المَغِيبِ في الخَلْفَةِ والنِّيَابَةِ، وبلغُوا النهايةَ في العطا، وجَعَلَ لَهُم فَكَّ ما كان الرُّبُطاً، وسارُوا بالغَيْثِ مُتَوَجِّهينَ، والرحمةُ بين أيديهم مُقَدِّمينَ.

وقد شاهدُوا الأَمَمَ قَوْلَ الثلاثةِ وَسَمِعْتُمُ دَعْوَتَهُم إلى التَّوْحِيدِ، وأَحْصَوْا كما أَمَرُوا مَنْ زَكَّا وَتَحَصَّلَ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ لمولاهم الحَكِيمُ الحميدُ، بعد بذلِهِم للنفوسِ الطاهرةِ والأجسامِ، وتحملِهِم في خلاصِ الأَمَمِ الأمورَ العِظامَ، ومُجاهرتِهِم بِكَشْفِ التَّوْحِيدِ طاعةً للباري تعالى، ونصوصاً وتصريحاً به عَطْفاً على الخاصِّ والعامِ، وطَرَحاً لأنفسِهِم الكريمةَ دونَ مَنْ دَعُوهُ وصَبَرًا على ما رَأَيْتُمُوهُ مِنْ فِعْلِ الغَاصِبِينَ الطُّغَامِ، إقامةَ الحُجَّةِ على الأَمَمِ والعوالمِ، وإيضاحِ المُحَجَّةِ للطائِعِ الدِّينِ العالمِ. فأيُّ فَلَجٍ عليكم أعْظَمُ، وأيُّ حُجَّةٍ أَقْطَعُ للظُّهورِ وأَقْطَمُ، من الفَلَجِ بما تعرفُوهُ مِنْ هذا الدَّرِّ المُنْظَمِ؟!

ومن المجلسِ السادسِ والعشرينِ ممَّا يُخْرِسُ أَلْسُنَ المَبَاهِتِينَ، وَيَجِدُّ أَكْلَةَ المُعَانِدِينَ. وهو عند استقْرارِ الدارِ بالثلاثةِ المُتَوَجِّهِينَ كَشَفُوا ما تَقَدَّمَ العملُ بِهِ وأَحْصَوْا مَنْ زَكَّا وَتَحَصَّلَ لمولاهم من المُؤْمِنِينَ، وزادَ بِهِمْ ما حلَّ مِنَ الضِّيَاءِ والإشراقِ، وَعَمِلُوا فِي الْبَيْتِ مُجَاهِرَتَهُمْ لِأَهْلِ النِّفَاقِ، وقامُوا على الاستِثْذانِ إلى أَنْ يَرِدَ إِلَيْهِمْ ظاهِرُ الأمرِ، ومَتَقَدَّمَهُ بما تَقَرُّ بِهِ الْعَيْنُ وَيَتَلَجُّ الصدرُ. وقد تَكَرَّرَتِ الأوامرُ العالِيَةُ بالكَشْفِ والشَّهادَةِ لَهُمْ بِمُجَاهَرَةِ أَهْلِ النِّفَاقِ والخُفِّ، وَأَنَّهُ جَعَلَ لَهُم فَكَّ مَنْ كَانَ الأَبالِسَةُ قَدْ أَزَالُوهُ عَنِ الْحَقِّ وَرَبَّطُوهُ، وَأَنَّهُمْ بَلَّغُوا النِّهَايَةَ فِي إعْطاءِ الْحَقِّ لِأَهْلِهِ وما مَنَعُوهُ. وَصَحَّتْ لَهُمْ شَهادَةُ مَنْ تَنَزَّهَ عَنِ الجَوْرِ والظُّلْمِ أَنَّهُمْ باخْتِيارِهِ وأَمْرِهِ أَدَّعَوْا الْحَقَّ مِنْ تَوْحِيدِهِ وَكَشَفُوهُ.

فيا أَهْلَ الرِّدَّةِ والبَلَسِ فِي القِدَمِ والشَّطَنِ، ويا قَتَلَةَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ فِي كُلِّ دَوْرٍ وَزَمَنٍ، أَمَا تَرْتَدُّعُونَ يا أَهْلَ السَّفَةِ فِي العُصُورِ الخالِيَةِ والعُصَيانِ،

ويا سِرْقَةَ الدِّينِ والحقُّ، ويا عِبْدَةَ الأوثان، أما تَتَحَقَّقُونَ أَنَّ هذا العِلْمَ قَبْلَ ظُهُورٍ من ظَهَرَ به أَوْعَزَ به إليكم، وهو مَسْطُورٌ عندكم إقامَةَ الحُجَّةِ بشهادةِ أنفُسِكُمْ عليكم. فلو كانتْ لكم أَعْمَالٌ صالحةٌ في القِدَمِ لما رَدَدْتُمْ الحقَّ والعَدْلَ في دَوْرِ الكَشْفِ، ولما قَتَلْتُمْ أهلَ الدِّينِ برضايتكم لِدَدِ والسَفَهِ والنِّفاقِ والخُلْفِ.

فتأملُوا أفعالكم في آخِرِ الأدوار، فأين تَذْهَبُونَ وقد أضلَّكم عَصْرُ القيامةِ من أليمِ العقابِ والمَسْحِ يا أَشَرَّ الأشرار! فهذه نفوسٌ قد امتزجتْ وغُدِّيتْ بغذاءِ الأبالسة، فهي لا تَقْبَلُ الحقَّ لِإِلْفِ النِّفاقِ والتكرار، وهي لَحُبُّهَا لا تَنْزَجِرُ وتَرْتَدُّعُ بالتخويفِ والتذكُّار، بل قد نكَلَّتْ بالحصْرِ عن السلوكِ في مجاري الذهنِ والأفكار، وتَبَلَّدَتْ عن قَبُولِ الحقِّ لِدَنَسِ الأفعالِ وَرُكُونِها إلى العنادِ والاستكبار، وَرُجُوعِها إلى الأماكنِ النَّجِسةِ بالخروجِ عن العَدْلِ والأسرار، فهي لا تَنْتَبِهُ من سِنَةِ الغَفْلَةِ لِعَلَقِها بمكائِدِ الجحْدَةِ والكُفَّار.

فطائِفَةُ الضلالِ والرَّدَّةِ والانعكاس، لا تَفَرِّقُ بين حُدُودِ الكَشْفِ والطاعةِ وبين حُدُودِ الشَّطَنِ والإِبلاس، كما جاءَ في المجلسِ السادس والخمسين والمائة: فكم بَيْنَ القَوِيِّ والقَوِيِّ في التَّبَايُنِ مِنْ خَلْقٍ خَلِقُوا جُمْلَةً فَتَحَ بهم وكَشَفَ نَهْضَ الواحدِ منهم بما لو اجْتَمَعَتْ أُمَّةٌ من الأُمَّمِ لما قَدِرَتْ على مِثْلِ مَقْدَرَتِهِ مع الاجتهادِ منها والتعاونِ. وفي ذلك تَبْيِينٌ قُدْرَةِ الخالِقِ، وما فَضَّلَ به الواحدِ المُنْبَئِهُ المَطْلُوقُ على كثيرٍ من الأُمَّمِ والخلائق.

ومن الواحدِ والسبعين والمائة تَوْبِيخٌ للأُمَّمِ على أفعالِهِم، وتَبْيِينٌ ما أَجْرُوا إليه من نَكِثِهِم وضلالِهِم، وهو فما أَحَسَّنُوا الصُّحْبَةَ لِمَنْ أَبَانَ حِكْمَتَهُ إمامٌ من الأئِمَّةِ فيه البركةُ بالظهورِ والتأثيرِ.

فالحسدُ حَسَدَانِ: حَسَدُ الشَّيْطَانِ لِأَدَمَ عليه السلام على مَنْزِلَتِهِ، وَحَسَدُ قابيلَ لهابيلَ عل ما رَفَعَ اللَّهُ من دَرَجَتِهِ. حَسَدٌ ضَعِيفٌ بالسَّعَايَةِ

لَيَنَالَ ذَلِكَ الْمُدْمَرُّ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْحِطَامِ فِي بُلُوغِ شَهْوَتِهِ، «وعذابُ الله أكبرُ لو كانوا يَعْلَمُونَ»^(١٥).

ومن الفصل الذي تَلَوْنَاهُ قَبْلَهُ فِي سِدْقِ ذَلِكَ وَأَشْبَاهِهِ عِنْدَ إِيرَادِهِ وَكَانَ قَوْلُ اللَّهِ أَسْدَقَ الْقَائِلِينَ. قَالَ وَاهِبٌ بِذَلِكَ الْجُودَ وَأَعْطَى وَأَنَالَ أَنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فَإِنْ تَتَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ، وَلَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ.

فَقَدْ بَلَغْتُ الْغَرَضَ فِيمَا أَشْرْتُ إِلَيْهِ مِنْ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى الْغَفَلَةِ الْجَا حِدِينَ.

فَلَنَخْتُمُ ذَلِكَ بِالْحَمْدِ لِلْمَوْلَى الْحَاكِمِ الْمُنَزَّهِ إِلَهِ الْعَالَمِينَ. وَالشُّكْرُ لَوْلِيهِ قَائِمِ الْحَقِّ، الْمُنتَقِمِ بِسَيْفِ الْمَوْلَى مِنَ الْمُرْتَدِّينَ وَالْمَارِقِينَ وَالْقَاسِطِينَ، وَهُوَ حَسْبُ عَبْدِهِ الضَّعِيفِ الْمُقْتَنَى فِي يَوْمِ عَرُضِ الْخَلَائِقِ وَتَعَلُّقِ الْمَظْلُومِينَ بِالظَّالِمِينَ.

وَكُتِبَ فِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ مِنْ سَنِينَ قَائِمِ الزَّمَانِ، الْآخِذِ الْحَقِّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْجَا حِدِينَ وَأَهْلِ النِّفَاقِ وَالطُّغْيَانِ.

نَجِزْتُ بِمِنَّةٍ وَلِيَّ الْأَمْرِ. قُوبِلَتْ وَصَحَّتْ.

فَكَرُّ الرُّوحِ عَلَى أَهْلِ التَّأْوِيلِ

الَّذِينَ يُوجِبُونَ تَكَرُّرَ الْإِلَهِ فِي الْأَقْمِصَةِ الْمُخْتَلِفَةِ

تتناول هذه الرسالة موضوعَ تَقَمُّصِ الْإِلَهِ فِي صُورٍ بَشَرِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَتَقَمُّصِ النُّفُوسِ فِي أَجْسَادٍ بَشَرِيَّةٍ عَدِيدَةٍ. فِيهَا اعْتِرَاضَاتٌ عَلَى هَذَا الْمَوْضُوعِ، يُجِيبُ عَلَيْهَا بِهَاءُ الدِّينِ وَاحِدَةً فَوَاحِدَةً. بِدَايَتِهَا لَيْسَتْ كِبْدَايَاتِ سَائِرِ الرِّسَالِ، وَلَا نِهَائِهَا أَيْضًا. إِلَّا أَنَّ اسْلُوبَهَا لَا يَخْتَلِفُ عَنْهَا وَلَا الْفَافِظُهَا. مِنْ دُونِ تَارِيخٍ.

يُقَالُ لَهُمْ: هَلِ الْإِلَهُ عَادِلٌ أَمْ جَائِرٌ ظَالِمٌ؟ فَمِنْ قَوْلِهِمْ إِنَّهُ عَادِلٌ يُقَالُ لَهُمْ: كَيْفَ يُوجِبُ تَوْحِيدَهُ عَلَى جَمِيعِ بَرِيَّتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ؛ وَيَخْتَلِفُ عَلَيْهِمْ فِي الْأَقْمِصَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَالْأَشْخَاصِ الْجَسْمَانِيَّةِ؟

وَهَذَا هُوَ الْجَوْرُ بَعِينُهُ، أَنْ يَنْصَبَ الدَّعَاةَ إِلَيْهِ، وَيَجْعَلَهُمْ أَدْلَاءَ عَلَيْهِ، وَيَفْرِضُ عَلَى الْخَلْقِ طَاعَتَهُمْ فَيُجِيبُهُمْ مَنْ يُجِيبُهُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَيَعْرِفُونَهُ فِي الشَّخْصِ الَّذِي دُعِيَوا إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَتَجْرِيدِهِ. وَيَكُونُ كَامِلًا كَبِيرًا فِي نَظَرِ الْعِيَانِ، وَفِي قَرِيبٍ يَرْجِعُ لَهُمْ فِي حَدِّ الطُّفُولِيَّةِ، وَيَرُدُّ الْعَالَمَ فِي مَعْرِفَتِهِ إِلَى حَدِّ التَّرْبِيَةِ، وَيُكْفِّرُونَ مَنْ لَا يُجِيبُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ فِي الشَّخْصِ الثَّانِي وَيُوجِبُونَ أَنَّ الْبَارِي ثَالِثٌ وَرَابِعٌ وَخَامِسٌ. وَهَذَا أَمْرٌ لَا نَفَادَ لَهُ، وَأَمْدٌ لَا آخِرَ لَهُ.

كيف يتكرر الباري سبحانه في الأقمصة المختلفة وأنتم تدفعون مذهب التناسخ من الأديان وتوجدون على قولكم الباري سبحانه، ولئلا يكون ذلك، ثم إنكم توجبون في حين النقلة على أرواحكم تجريد النفس من الكتائف، وتنقل الأرواح واللطائف، وترغمون أن الأجر والحسنات تلحق أرواحكم بأصلها، والسيئات تمنعها من الوصول إلى معدنها، وتوجبون أن لا ثواب لها إلا بالعلم، ولا عقاب لها إلا بالجهل.

يا سهوة! كيف ينال العلم من عدم آله الجرمية؟ ويا غفلة! كيف يتصل الجهل بمن فارق قوته الحسية؟ ويا بلسة! كيف تثبت اللطائف بذاتها، وكيف تستقر عند أصلها وتنال عيشها ولذاتها؟

فإن أوجبتم أنها تنظر ما تشاهده بالمنام، وتخبر عنه من الأحلام، فما رأيتم تنظر الأشياء إلا بالآلة جرمية، وقوالب طبيعية، مع ما أن الحيوان ينظر في منامه ما يراه الإنسان. فيا لها من عقول خاوية وحجج واهية!

وأنتم أيضاً توجبون أن الدار لا تخلو من العالم، وأنهم فيها سرمدة أبداً. كلما ذهب عالم نشأ عوضه آخرون.

وأنتم تدفعون مذهب التناسخ والذهريّة، الذين يوجبون أن العالم في هذه الدنيا مثل النبات، كلما مضى عالم منه نشأ غيره آخرون. أليس هذا مما يدفع المعاد، ويضل العباد، ويجري بسماعه إلى الفساد؟

عرفوني يا شيوخ التجريد هذه القوى التي تفارق الأجسام، أين مستقرها وأين يكون ثباتها؟ فإن قلتم فيما بين الأرض والسماء، فهي لكثرة النشوء تسد ما بين العالمين، وتخالط الهواء، وتأتي عليها الطبايع، ويدخل عليها النضاد، والفساد ما يدخل على غيرها. وإن أوجبتم أن ثباتها فوق السماء فهي تملأ الأفق.

خبروني كيف تكون وقت تصاعدها إلى فوق السماء قبل أن تكون؟ هل تكون جوهرًا أو هواء؟ وما الذي يمسكها ويضبطها؟ فإن قلت ما تحتاج إلى ماسك وضابط، بل هي واقفة عند أصلها، ناظرة لمعبودها، متلذذة بعالمها، قيل لكم: فما الذي أحوج الفرع أن يفارق أصله، وقد علم أن لا لذة تصل إليه، ولا مخررة تدخل عليه، إلا من جهة أصله. فلم يفارق أصله وشارك الطبيعة وضعتها إذا كان لا ثواب له ولا زيادة تدخل عليه إلا من جهة عالمه. فدلونا ما الذي أحوج به إلى فراق عالمه، ورجع يطلب الرجوع إليه والاتحاد به؟!

وإن أوجبتم أن الأرواح من عالم الطبيعة تتجهر بالعلوم وتتشرّف بالقبول، مثل الحديد الصّقل وأشباهه؛ قيل لكم: فالجواهر من الحديد الصّقل وأشباهه لا يفارق أصله، ولا يقوم بذاته، بلا كثافة تضبط جوهريته ولطافته، وما رأينا جوهراً يقوم بذاته فقط. لقد بعد عليكم التشبيه، وتمكن في أنفسكم الباطل والتمويه،

فيا مثلة البهائم، ويا سلكة العزائم! كيف تكررون المعبود سبحانه في القمصان، على ممرّ السنين والأزمان؟ وكيف توجبون إيجاده في القوالب والآلات، وإنها أعني أرواحكم مستغنية عن القوالب الجرميات، أوجبتم الباري سبحانه إلى الصورة يا خرصة! وثبتتم بقاء الأنفس وغناها عن الأقمصة؟

أليس في قولكم إن الباري سبحانه لا تخلو الدار من وجوده طرفة عين، ولو خلّت الأرض منه لزال الحجة عن الخلق في تيك اللحظة. وقد أضفتم الباري سبحانه على ما تقولون إلى الآلات، وأغنيتم الأنفس عنها وثبتتموها بعد الوجود في صور معدومات. أليس في قولكم إن النفس تكسب العلم في مجريها من عالمها.

فأبينوا لنا يا ظلمة! وأنى لكم بالبيّنة كيف تكسب العلم بغير آلة؟
 فإن قلتم: ما تحتاج إلى آلة. قيل لكم: فلم فارقت أصلها وشاركت الطبيعة
 وضعتها؟ فإن قلتم: لتكسب المعلومات. بطل قولكم ودعواكم. إنها انبجست
 عن عالم الخلق لأن أصلها، لو كان عالماً، لما ظهرت عنه جاهلة. هذا على
 قولكم. وإن قلتم: إنها لا تنصرف من هذه الدار إلا وهي غنية ما تحتاج إلى
 زيادة تعليم؛ فقد ساويت بينها وبين أصلها. وإذا تساوى الجزؤ وأصله فقد
 حاط بجميع علمه، وقد ساوه في العلم بإضافات لذة تكون عنده. وقد
 أوجبتم أن لذتها نظرها إلى عالمها، ومعرفتها بأصلها، لأن اللذة تواصل
 الخيرات إليها، وإفاضة البركات عليها، وإن كانت غنية عنه غير محتاجة إليه،
 فلا لذة لها عند أصلها.

فدلونا يا أهل النصفة، بأي الوجهين تعملون، وعلى أي القولين
 تعملون. وأنتم أيضاً توجبون أن أرواح العصاة الجهل إذا فارقت أجسامها
 تنصاعد تطلب مبدعها فيمنعها الفلك، فتراجع تطلب آلتها فلا تجدها فتبقى
 بين الأرض والسماء، فيأخذها حر الشمس وبرد الليل، وبهذا يكون عقابها.
 لقد ادعيت البهتان، وسلكتم طريق العدوان. فإذا كانت النفس من غير عالم
 الطبيعة فأي مضرّة تدخل منها عليها، وأي مسرّة تصل منها إليها؟

وإن أوجبتم أن النفس تتأذى بحر الشمس وبرد الليل، فالأصل
 يتأذى أكثر لقربه من قوة الحرارة والبرودة، لأنكم توجبون أن الأصل الذي
 انبجست عنه الأنفس فوق الفلك.

وإن أوجبتم أن الأصل لا ينضر بحرارة ولا ببرودة، فقد أوجبتم
 للفرع مثل ما للأصل بزوال مضرّة الحرارة والبرودة عنه. وبطل قولكم
 ودعواكم أن عذاب الأنفس العصاة الجهال بالحرارة والبرودة.

فدلونا بما تثاب الأنفس الطائعة، وتُعاقب الأنفس العاصية، إن كنتم

تَعْلَمُونَ؟ فَإِنْ بَعْدَ عَلَيْكُمُ الْجَوَابُ، وَغَابَ عَنْكُمُ الصَّوَابُ، فَادْعُوا بِالْجَهْلِ وَلَا تَدْعُوا بِالْعِلْمِ. فكلُّ مَدْعٍ بِلَا بَيِّنَةٍ إِنَّمَا يَهْلِكُ نَفْسَهُ، وَيُتَّبَعُ حِسَّهُ، وَمَا يَحْصُلُ عَلَى طَائِلٍ وَلَا يَنْلُ مِنْ تَعَبٍ نَائِلٍ، إِذِ الْحَقُّ لَا يَكُونُ فِي جِهَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ مُتَضَادَّةٍ، بَلْ هُوَ فِي جِهَةٍ وَاحِدَةٍ. لِسَانُهُ فَصِيحٌ. وَعِلْمُهُ مَنِيحٌ. يَهْدِي الطَّالِبَ، وَيَكْشِفُ الْمُدَّعِيَّ الْكَاذِبَ. فَالْحَقُّ ثَابِتٌ حُجَّتُهُ، بَيِّنَةٌ نَافِعَةٌ فَائِدَتُهُ، وَالْبَاطِلُ وَاهِيَةٌ حُجَّتُهُ، مُهْلِكَةٌ مَحْجَّتُهُ، مَكْذُوبَةٌ كَلِمَتُهُ، وَالْحَقُّ مَا أَشْرَقَ بَرَاهَانُهُ، وَاتَّضَحَ بَيَانُهُ.

فَاتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا، وَتَجَنَّبُوا خَطَوَاتِ الشَّيَاطِينِ. وَلَا تَسْلُكُوا مَسَالِكَ الْفِرَاعَةِ الْجَبَّارِينَ.

فَمَنْ أَخَذَ دِينَهُ بِالْمُقَاسِيسَةِ، وَاتَّبَعَ الْأَضْدَادَ وَالْأَبَالِسَةَ، طَرَحُوهُ فِي الْمَهَالِكِ، وَضَيِّقُوا عَلَيْهِ الْمَقَالَاتِ عِنْدَ سِعَةِ الْمَسَالِكِ. وَدُهُمُ أَبَدًا مَعْدُومٌ، وَيَتَّبَعُهُ كُلُّ أَتِيمٍ مُلُومٌ.

فَإِنْ أَرَدْتُمْ النِّجَاةَ، وَمَعَدَنَ الْحَيَاةَ، فَعَلَيْكُمْ بِالطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، وَالذَّلِيلِ النَّاصِحِ، مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ مُجَازَاةً، وَلَا فِي هِدَايَتِكُمْ مِنْكُمْ مَكَافَاةً، بَلْ يُؤَدِّي إِلَيْكُمْ الْأَمَانَةَ، وَيُبَلِّغُكُمْ الرِّسَالَةَ. خَلَقَهُ بَارِيهِ بَابًا لِلرَّاغِبِينَ، وَهَادِيًا لِلْمُسْتَجِيبِينَ، إِلَى تَوْحِيدِ مَوْلَى الْعَالَمِينَ، مُيَقِّظًا لِلْغَافِلِينَ، وَإِمَامًا لِلْعَارِفِينَ. مَنْ عَرَفَهُ نَالَ الْخَيْرَاتِ، وَاتَّصَلَتْ بِهِ الْفَوَائِدُ الْعَقْلِيَّاتِ، وَزَالَ عَنْ قَلْبِهِ الْعُلُومُ الْوَهْمِيَّاتِ، الْمُفْسِدَةُ لِلصُّورِ الرُّوحَانِيَّاتِ، وَالْمُلْحِقَةُ لَهُ بِعَالَمِ الْحَيَوَانَاتِ.

لَوْلَا نَا نَسْأَلُ، وَعَلَى رَحْمَتِهِ نَعُولُ أَنْ يُجَنَّبَنَا مِنْ أَفْعَالِ الْخَاطِئِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، بِقُدْرَتِهِ، وَهُوَ الْمُوسِعُ لِلْأَمَمِ حِلْمًا وَعِلْمًا. وَهُوَ حَسْبِي وَثِقَتِي بِالْقَائِمِ وَكَفَى.

رسائل الحكمة

الجزء السادس

توبيخ ابن البربرية

الرَّسَالَةُ الْمَوْسُومَةُ بِالْأَمِغَةِ لِلْفَاسِقِ النَّجَسِ
الْقَاضِحَةِ لِاتِّبَاعِهِ أَهْلَ الرُّدَّةِ وَالْبَلَسِ

إبن البربرية هو «المعتوه، الشيطان، النجس، النفل، الفاسق، المدعي..
قصته أن رجلاً اسمه خمّار استرقه، وكان يُلوط به ويزني بأمه، وكان
يأجر نفسه بفعل الفاحشة، وعاد أنعى منزلة الإمام، ونصب له
حدوداً، وهو آخر الأشقياء المدعين في الدنيا بعد النّجال (ال خليفة علي
الظاهر) وأول الفراعنة الهالكين في القيامة، (الدرر المضية).

بسم الإله الحق ومولى الخلق. ألسلام على جماعة الإخوان المحققين،
أهل البصائر واليقين، المتمسكين بحدود ولي الدين، وسكان الحرم الأمين.

من العبد الضعيف المملوك الرّق، الخاضع لطاعة الإمام القايّم لإعزاز
دين الحق، الموضح لكشف دين التوحيد بأمر المولى الإله الحاكم المنزه
بلغات جميع الخلق، خاصاً للموحّدين المهاجرين، الذين هَجَرُوا أَهْلَ الرُّدَّةِ
وَسَكَمُوا مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيَاطِينِ الْمَدْعِينَ.

وأنا مُحْتَسِبٌ صَابِرٌ عَلَى الْأَذَى وَالضَّرَرِ مِنَ الْغَافِلِينَ الْمُعْتَدِينَ مِنْ
بَقَايَا لَيْلَةٍ بَقِيَتْ مِنْ جَمَادَى الْآخِرَةِ. وَأَنَا مُتَغَرِّبٌ بَعْدَ الْهَجْرَةِ بِالْإِضْطِرَارِ عَنْ

الحضرة الطاهرة، متوجهة عنها إلى بلاد أنا والله لها قال باغظ، ووحق الحق ماقت لأهل الخلاف من أهلها، رافض لما اشتملت عليه من عظام الفتن، واعتورها من الخوف والخراب والمحن.

فالإله العادل الحاكم الآخذ الحق للضعيف المظلوم من الجائر الظالم، يُعجل خزي أهل الردة والنفاق، ويَجثُّ أناجم المدعين الفساق، ولا يتوب على الذين أحوجونا إلى التغرب بعد الهجرة عن الحضرة الطاهرة، ومنعونا التبرك بتراب حرم الميمونة القاهرة. والباري يَمُنُّ على جميع من سمع نداء الحق بالتوبة والغفران.

ووصلني وفهمت الكتاب بما أَلَمَّ بالأطهار الإخوان، ووقفت على ما شكوه من تحرس المعتوه الشيطان، وأدعائه لمنزلة المسيح الإمام، وأجابته من أجاب كذبه من أهل سبسطاص الأجلاف والأغتام، تنكباً للحق وهم يعلمون، ورجوعاً إلى ما ألفوه من النجس يهرعون. فطال عليهم الأمد فقصت قلوبهم وكثير منهم فاسقون. فذرهم يخوضون ويلعبون حتى يلاقوا يومهم الذي كانوا به يوعدون.

فقد تميزت لقرب الساعة فرق الضلال والإلحاد، وعصفت بهم ريح الخبال، فعكفوا على البلس والعناد. وأنا بفضيلة فيض الإمام القائم الهاد، مليء بتلخيص ما عدده الإخوان من إفك هذا النجس وشرحوه، وقوي على تبين فسقه ومروق أتباعه الذي ذكروه وأوضحوه؛ وهذا حين ابتداء بذكرهم. فتأملوا يا جماعة أهل الدين وعوه وتفهموه.

وأنا بمنة الإله الحاكم القدوس، على ولي قائم الحق ولي الحرم المأنوس، أشهر فضائح الخلق المعكوس، وأبين المسوخية من أهل الردة في الأرواح والأخلاق والنفوس، فعميت بصائرهم لجحد الإمامة الأزلية، واستولى على عقولهم الرآن ليتبينوا بالضدية، فشكوا فيما عينه الباري جل

وَعَزَّ وَرَجَعُوا إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى، إِصْغَاءً إِلَى زُخْرَفِ النَّغْلِ الشَّيْطَانِ ابْنِ
الْبَرْبَرِيَّةِ، وَرَجوعًا إِلَى مَا أَلْفَوْهُ مِنْ عِبَادَةِ الْعَجَلِ بِالنَّكْبِ وَالْبَهْتَانِ، السَّارِقِ
عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ لِخَاتَمِ سُلَيْمَانَ، وَالْمُحَرَّفِ لِمَا سَرَقَ بِالْبَلَسِ وَالطُّغْيَانِ،
وَالْمُشِيدِ لِمَا بَنَاهُ فِرْعَوْنُ وَهَامَانَ، آخِرُ فِرَاعِنَةِ دُورِ السُّتْرِ، وَأَوَّلُ مَنْ ادَّعَى فِي
دُورِ الْكُشْفِ مَنْزِلَةً وَلِيَّ الْأَمْرِ.

فَمِنْ الْوَاجِبِ عَلَيْنَا مَعَشَرَ دَعَاةِ الرَّشَادِ، الْمُتَمَسِّكِينَ بِإِمَامَةِ قَائِمِ الْحَقِّ
الْهَادِ، الْبَرِيثِينَ مِنْ أَهْلِ الشُّكِّ وَالْجَحْدِ وَالْعِنَادِ، أَنْ تُنْهِيَ عَنِ الْغَيِّ وَالْعَيْثِ
وَالْفُسَادِ، وَنَعِينُ بَلَسَ هَذَا الْمَعْتَوَهُ، وَنَجَسَ عُصْبَتَهُ الْغَافِلَةَ الْعَمِيَّةَ، وَإِشْهَارَ
نِحْلَتِهِمُ الزَّائِدَةِ بِالنَّجَسِ عَلَى الْيَهُودِيَّةِ وَالْمَجُوسِيَّةِ، وَذَكَرَ مَا ظَهَرَ وَشَنَعَ مِنْ
كَذِبِ مَوَاعِيدِ شَيْطَانِهِمُ الْمَعْتَوَةِ الْفَاسِقِ، وَلَعِبُهُ مِنْهُمْ بِعَقْلِ كُلِّ وَتَحِ مِفْتَونٍ
مَارِقٍ، مِمَّا شُهِرَ وَتَنَازَلَتْ الرِّوَايَةُ عَنْ كُلِّ ثِقَةٍ مُوَحِّدٍ سَادِقٍ، وَنَصَّ عَنْهُمْ
وَعَنْ شَيْخِهِمْ عَبْدِ الْعَزِيزِ ابْنِ بِيَّاشِ الْخَرَفِ الْأَبْقَى، لِمَا تَأَثَّرَ عَنْ سُنَنِ أَيْمَةِ
الْهُدَى فِي قَوْلِهِمْ: إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدْعُ فِي أُمَّتِي وَلَمْ يُظْهِرِ الْعَالَمُ عِلْمَهُ فَقَدْ أَفَكَ
وَأَعْتَدَى.

وَمِنْ الصَّحِيحِ عَنْ حُجَّةِ وَلِيِّ الْحَقِّ أَنَّهُ قَالَ -يَعْنِي جَمِيعَ الْخَلْقِ-:
مَنْ سَتَرَ عَلَى صَاحِبِ بِدْعَةٍ بِدْعَتَهُ فَقَدْ خَانَ قَائِمَ الْحَقِّ فِي دَعْوَتِهِ. وَمَنْ قَوْلِ
حُجَّةِ الْحَقِّ: مَنْ بَاتَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ لَيْلَةً وَاحِدَةً فَقَدْ تَلَمَّ مِنَ الدِّينِ تُلْمَةً
وَهَدَمَ مِنْهُ قَاعِدَةً. وَقَدْ أَمَرَ وَلِيُّ الْحَقِّ بِكُشْفِ أَهْلِ الْبِدْعِ، وَإِشْهَارِ دُورِ
الشَّيْطَانَةِ وَالْبَلَسِ وَالْخِدْعِ، لِيُخْزِيَهُمْ وَيُلْعَنَهُمُ الْمُوَحِّدُ الْعَارِفُ، وَيَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ
الشَّاكُّ الْوَاقِفُ.

وَأَنَا أَذْكَرُ كَذِبَ هَذَا الْمَعْتَوِهِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْخَائِبَةِ وَمَخَازِيهِ، وَأُعَدِّدُ
زُخْرَفَهُ لَهُمْ وَمَسَاوِيَهُ، بَعْدَ نَصِّ مَا حَذَّرَ الْعَالَمُ مِنْ إِفْكِهِ قَائِمُ الْحَقِّ قَبْلَ غَيْبَتِهِ،
وَوَصَلَ إِلَى الْأَصْفِيَاءِ تَنْبِيهًا لِهَذَا الْعَالَمِ النَّجَسِ مِنْ غِيَّهِ وَغَفْلَتِهِ، وَتَعْرِيفًا
لِأَهْلِ الدِّينِ رَجوعًا مَنْ يَرْجِعُ وَبَلَسَ مِنْ يَبْلِسُ وَتَحْقِيقَ أَوْبَتِهِ.

فمن صحيح قوله ورأفته ولطفه بأهل الحق وتطوَّله عليهم ومُنَّته، قوله في «رسالة الإعذار والإنذار الشافية من المرض والاختيار»^(١): إحدروا أن تستفزكم الألسن الكاذبة، أو تتخطفكم الأمة الخائبة. فيا أهل الحق هل أكذب من لسان هذا المعتوه المدَّعي لمنزلة الإمام المسيح، أو أخيب من أمة بدلت بالكذب والبهتان الدين الصحيح، فقد قطع الإمام العدل قائم الحق معاذير جميع الخلق بدمه لمن غير ونكث، وتبين عوار من نقض ميثاقه وحنث.

فقال: واعلموا أن غيبتني عنكم غيبة امتحان لكم ولجميع أهل الأديان، فمن وفا منكم بما وثقَ عليه ولم ينكص على عقيبهِ فسأوتيهِ أجرًا عظيمًا وأنيله مقامًا كريمًا. ثم عرفنا ما يؤولُ إليه حال هذه الأمة الخائبة، ومن انعكس وارتكس، وصدَّ عن الحق وأبلس، وأصغى إلى الشيطان لما زُخرفَ ووسوس.

أدخل تحت الجزية، وأوقع به الذمَّة والخزية، جزاء بما احتقَبَ وانقلب إلى شرٍّ منقلب، ذلك لما عاند وكذب، ثم أكَّد ذلك وعيَّنه وقال: لا تميلوا إلى ما زخرفَ الشيطان، ولا ترغبوا في الزور والبهتان.

فعرَّفَ العالم لا بدَّ من ظهور شيطان يزخرفُ لحزبه ويوسوس، ولا بدَّ من الأمة الخائبة التي تصدُّ عن الحق وتبلس، وإنها تصغي إلى المعتوه الشيطان، وتقبل إلى الزور والبهتان.

فيا أيها الصمُّ عن سماعِ سديقِ الناصح، العميُّون عن نهجِ الطريقِ الواضح، البائعون الدينَ لحساستِهِم بأقلِّ المأكَلِ وأنتنِ المناكِح، المشتغلون على أعظمِ الذنوبِ وأفحشِ القبائح، تتحقَّقون أنَّ الباري عادلٌ حاكم، أم تقولون إنه جائرٌ ظالم؟ حاشى لله يا أهل الرِّدةِ الأغتنام.

أَتَقُولُونَ إِنَّ الْبَارِي ظَلَمَ كَافَّةَ الْأَنَامِ، وَأَهْمَلَ الْأُمَمَ وَسَتَرَ الْإِمَامَ عَنْهُمْ وَجَارَ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ وَعَدَلَ فِي حُكْمِهِ وَاخْتَصَّ بِظُهُورِ الْإِمَامِ أَهْلُ سَبْطَاسَ، كَذَبْتُمْ يَا كَذَرَ الْأُمَمِ وَيَا بَقِيَّةَ عَبْدَةِ الْعَجَلِ وَالصَّنَمِ.

فَالْحَقُّ يَشْهَدُ بِمَا أَنْتُمْ عَنْهُ عَمَهُونَ، وَفِي عَذَابِهِ مَوْقُوفُونَ وَعَنْهُ مَسْئُولُونَ. إِنَّ جَمِيعَ الْأُمَمِ يَعْلَمُونَ وَيَتَحَقَّقُونَ أَنَّ دَعْوَةَ الْكُشْفِ، أُعْنِيَ حُجَّةَ قَائِمِ الزَّمَانِ، قَدْ قَامَتْ عَلَى كَافَّةِ الْأُمَمِ وَتَنَاهَتْ إِلَى جَمِيعِ الْأَفَاقِ وَالْبِلَادِ، وَتَجَاوَزَتْ بِلَدَ السِّنْدِ إِلَى هِنْدِسْتَانِ، وَطَبَّقَتْ بِأَمْرِ الْبَارِي أَقْطَارَ الْأَرْضِ إِلَى أَقْصَى مَكَانٍ. وَمَوْعِدُ جَمِيعِ الْأُمَمِ بِالْفَرَجِ عَنْهُمْ مِنْ حَيْثُ هُمْ، أُعْنِيَ سَائِرُ الْأَدْيَانِ، ظُهُورُ قَائِمِ الْحَقِّ بَعْدَ غَيْبَةِ الْإِخْتِبَارِ وَالْإِمْتِحَانِ.

فَإِنْ كَانَ هَذَا الْمَعْتُوهُ كَمَا زَعَمَ وَقَبِلْتُمُوهُ، هُوَ الْإِمَامُ الْمُنْتَظَرُ وَهُوَ الَّذِي غَابَ عَنِ الْأُمَمِ وَقَدْ آنَ وَقْتُهُ عِنْدَكُمْ وَظَهَرَ، فَكَذَّبَ الْمَعْتُوهُ الْخَائِبُ الْخِيَابَ، وَهُوَ بِالْحَقِيقَةِ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ، لِأَنَّ الْقَائِمَ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَى ذِكْرِهِ، بَعْدَ غَيْبَتِهِ، لَا يَظْهَرُ لِأَحَدٍ إِلَّا بَعْدَ كَمَالِ الْعِدَّةِ. وَسَيُفْهِ مُشْهَرٌ قَائِمٌ بِهِ عَلَى الْجَحْدَةِ الْفُسَاقِ، فِي جَمِيعِ الْأَقْطَارِ وَالْأَفَاقِ.

فَيَا أَوْبَاشَ الْأُمَّةِ، وَيَا آخِرَ فِرَاعِنَةِ الْفَتْرَةِ وَالْغُمَّةِ! أَيْنَ آيَاتُ قَائِمِكُمْ وَمُعْجَزَاتُهُ، وَأَيْنَ بُرَاهِينُهُ وَأَيَّاتُهُ، وَأَيْنَ رَايَاتُهُ وَبَنُودُهُ، وَأَيْنَ عَسَاكِرُهُ وَجُنُودُهُ. فَحَقًّا لَكُمْ يَا أَهْلَ الْبَلَسِ وَالْعِنَادِ، وَبُؤْسًا لَكُمْ يَا أَهْلَ تُبَاعِ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ، الَّذِينَ طَفَعُوا بِرِدَّتِهِمْ فِي الْبِلَادِ. فَكَثُرُوا بِالْفِسْقِ وَالْعِيْثِ فِيهَا الْفُسَادُ، وَاسْتَزَلَّاهُمْ الشَّيْطَانُ بِزُخْرِفِهِ، وَاسْتَخَفَّ عَقُولَهُمْ وَأَزَالَهُمْ عَنِ دِينِ الْحَقِّ بِشَيْطَنِيَّتِهِ، وَقَلَعَ مِنْهُ أَصُولَهُمْ وَلَيْسَ لِهَذَا النَّجَسِ وَلَا لِاتِّبَاعِهِ مِنَ الْقَدَرِ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ وَإِنَّمَا ذَكَّرْنَا هَذِهِ الْجَذَاذَةَ دَوْدًا لِلضَّعِيفِ عَنِ الْإِصْغَاءِ إِلَيْهِمْ، وَأَيْضًا إِشْهَارًا لِهَؤُلَاءِ الْفَسَقَةِ الْكَفَرَةِ، وَأَكْثَرْنَا عَنْ السَّلَفِ الطَّهَرَةِ الْبَرَّةِ: أَنَّهُ مَنْ سَتَرَ عَلَى صَاحِبٍ بَدْعَةً بِدْعَتَهُ فَقَدْ خَانَ قَائِمَ الْحَقِّ فِي دَعْوَتِهِ.

فأول ما لعب هذا النجسُ بعقول هذه الأمة الخائبة، وابتدأهم به في سنة عشرين من المواعيد المختلفة الكاذبة، أنه قال هذا الخائب الذي غلب عليه خبثه وشقاه، واستطنعه هذا المعتوه زعم لنفسه وأذخره واقتناه، بشر أبالهة وجماعته في هذه السنة برفع الخراج، فكذب المعتوه بل وزنته جماعتهم بالعنف والهوان والازعاج، وبعد ذلك ذكر لهم في الأول من الجمادين أن القمح يغلو حتى لا يوجد ولا يرى بعين، ويقع الجوع حتى لا يرجى لأحد سلامة، وبعده في بشنس أعني جمادى الآخرة تقوم القيامة.

فكذب المعتوه الشيطان في قوله ولعن، وما في جماعتهم إلا من سلب عقله وغبن، ثم رجع عن هذا القول الخسيء وحدد لهم أن القيامة تقوم إلى أربعة شهور آخرها أول أيام الشتاء. فكذب الشيطان المعتوه في قوله وخزي. ثم رجع عن هذا المقال، وأوعدهم أن القيامة تقوم في خمسة أيام مضت من شوال، فكذب نفسه الملعون المنجوس، ولحق لهؤلاء الأوباش في شهر رجب أن العروس تلتقيها العروس، واستدعاهم لاستماع ما زخرقه وهو الزور والكذب الملبوس.

وذكر أيضاً تلك وقعات هائلات في رجب، وأيضاً ذكر ربحاً تهب وتمنع المسافرة في البر والبحر وتوردتهم العطب. فمضى ذلك ولم يكن، وخزي المأبون وافتضح، ووقف حاله وحال أوباشه على الرضى بالهزل والفسق والوثع.

وذكر بعد ذلك أنه تموت أبناء الأث عشر سنة في شهر شعبان، ولم يبق فيه من عمره دون ذلك إلا هلك من جميع الأطفال والولدان. فكذب الملعون الفاسق الدهاش، وإنما قبل هذا القول منه الأشقياء الفسقة الأغباش.

وذكر أيضاً هذا النجس لأتباعه أشباه البقر والغنم، أنه في شهر رمضان تموت أبناء حام، يعني جميع السودان والخدم. فما أوقح وأقبح

وجهُ هذا المارقِ البهات، وأعظمُ شقاءٍ هؤلاءِ الأشباحِ الأموات. فَمِنْ أعظمِ بَلِّهِ المعتوهِ وحيرتهِ، وعمى أتباعه وشقاءِ عصبته، أنه لا يميّزُ ما يتعقّبُ عليه من الكذب، ولا هم ينتبهون لما يُوعدهم من الهزلِ واللّعب.

وأيضاً هو يُوعدهم في أيّامِ الشتاءِ بقيامِ القيامة، وظهوره لهم بالفرَجِ والعلامة؛ ويصف لهم تمامَ البحرِ بعد ذلك، أعني لأوليائه وكمالهِ في النّيروز؛ ثم يرجع في ليلته ناقصاً غائراً بمائه ثم يدوّدُ ويتلاشى إلى أبعدِ نهاية.

فلأ بظهوره في الوقتِ الذي حدّدَ بالفرَجِ والنعمة، ولا بما يلقّوه من الحِصارِ والعطشِ والنقمة. وإنّ المعتوهَ عملَ شعراً وذكرَ هذا التوقيفَ في قصيدته، وأقسم لهم أن جميعَ ذلك بامرِ المولى عزّ ذكره عن هذا المارقِ وتحديده وصفته.

وهذه روايةُ شيخهم عبدِ العزيزِ ابنِ بيّاشٍ مع يمينه وأمانته للشيخين السّادقين. والكلُّ منهما يشهدُ على شهادته ولم ندفعَ قيامَ الإمامِ الحقِّ وذكرَ الظهور، وإنّما ردّدنا على كذبِ هذا النّجسِ المبتور، الشيطانِ المُختَرَصِ الإفكِ والزور، المُدّعي لعلمِ الغيبِ وتَحديده بالكذبِ لجميعِ هذه الأمور.

وقد نما إليه أنّه لما تشيطنَ واستوعبَ شقاه، وكَتَبَ الميثاقَ المختَرَصَ لنفسه على من أضلَّهُ واستهواه، زعم أنّه نَزّه الباري عن التشبيهِ والتحديد، وذكرَ أن الأمورَ كلّها منصرفةٌ إلى الإمام، يعني نفسه، وتسمّى بإلهِ المواعيد، ولَعَمري إنّهُ المواعيدِ الكفريّةِ المختلّقة، وسلالةُ الكفرِ والشركِ والزندقة، آخرُ الأشقياءِ المدّعين، وأوّلُ الفراعنةِ الهالكين.

والحقُّ قولنا إنّ الباري جلّ ذكره عن ذكرِ هذا المارقِ البهات، مُنَزّه عنِ الأسماءِ والصفات، وعزّ عن الحصرِ تحتِ الأزمانِ والأوقات، ومَتَعَالِي

عن تَوَهُّمِ بصائر الأنظار، مُعْظَمُ مَنْزَرَةٍ عن ذكرِ الغيبةِ والاستتار، وإنما الغيبةُ والاستتارُ للمولى حُجَّةٌ على هذهِ العوالمِ للإمامِ الشديد، صاحبِ حَقِيقَةِ النصِّ الوكيد، المنتشرةُ دعوتهُ في آفاقِ الأرضِ والبرهانِ والتأييد، المُجَازِي لِلأَمَمِ بما أسلفتُ والقائمُ على كُلِّ نفسٍ بما كسبتُ، المؤيَّدُ بِصَادِقِ مَقَالِهِ، السَادِقُ في وَعْدِهِ وَفَعَالِهِ؛ فَعَلَهُ بالتأييدِ فعلاً جَزَماً، وأمرُهُ بالتَّوْحِيدِ أمراً حتماً، لا يُظْهَرُ على غيبِهِ وَقْتَ ظُهورِهِ أَحْداً، ولا لَدَعِيٍّ أو شاكٍّ معه أو مُشْرِكٍ به يومَ الْقِيَامَةِ مَلْجأً وَلَا مُلْتَحِداً، ولا يُنْتَظَرُ ظُهوراً لأحد، وإنما هو الظاهرُ لِإِعْزَازِ الدِّينِ، وهو المنتظرُ في أَقْطارِ الأرضِ بِالْفَرَجِ لِجَمِيعِ الموحِّدين.

فَهَذَا المَعْتَوَهُ إِنْ كَانَ يَنْتَظَرُ ظُهورَ المولى تَنَزُّهَ عن ذَلِكَ فَقَدْ أَلْحَدَ في التَّنْزِيهِ وَحَدَّدَ وَكَفَّرَ، وَإِنْ كَانَ يَنْتَظَرُ شَيْئاً آخَرَ فَهُوَ لَا شَكَّ الإِمَامُ المنتظرُ، فَقَدْ بَطَلَ دَعْوَى هَذَا النِّجَسِ بَانْتِظَارِهِ لِسِوَاهُ، وَوَضَحَ الْحَقُّ بَانْتِظَارِ الإِمَامِ واشْتَهَرَ، وَلَا حُجَّةَ على هَذَا المَعْتَوَهُ أَوْكُودٌ مِنْ إِقْرَارِهِ بَانْتِظَارِهِ لِسِوَاهُ، وَيَشْهَدُ بِذَلِكَ عَلَيْهِ مَنْ اتَّخَمَ بِهِ مِنْ أَهْلِ النِّجَسِ وَاسْتَهْوَاهُ، انْقَطَعَتْ مَعَاذِيرُ مَنْ سَمِعَ هَذَا التَّنْكِيبَ وَالتَّوْقِيفَ، وَوَقَفَ حَالُهُ على الزُّورِ وَالتَّسْوِيفِ.

وَالْإِمَامُ مَنْزَرَةٌ فِي نَفُوسِ أَهْلِ الْحَقِّ عن ذكرِ هَذَا المَعْتَوَهُ الْمُسَمَّى بِالْمَسِيحِ الْكَذَّابِ، صَاحِبِ وَعْدِ الْإِفْكِ وَالسَّرَابِ، الْمُحَرِّفِ لِكُتُبِ وَلِيِّ الْحَقِّ بِكَذِبِهِ، الْمُخْتَرِعِ الْبَاطِلِ لِسَخَافَةِ عُقُولِ أَتْبَاعِهِ وَخُبْثِ مُرْكَبِهِ.

فَالْأَوَّلَى بِهِ أَنْ يَرْعَوِي وَيَرْجِعَ عن دَعْوَى مَرْتَبَةِ الإِمَامِ، وَيَتَفَكَّرَ في نَفْسِهِ وَأَنْ سَقَرَهُ وَهُوَ مَرُوشاً لِأَجْنَادِ الشَّامِ، وَسَيِّدُهُ ابْنُ أَبِي حُمَارٍ يَنْزُوهُ، وَأَيُّوبُ أَيْضاً يَعْلُو أُمَّهُ مَرِيْمُ الْعَدَوِيَّةِ وَيَعْلُوهُ، وَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْفَسَقَةِ الْقَائِلِينَ بِإِمَامَتِهِ، الْمَنْصُوبِينَ لِبَثِّ دَعْوَتِهِ، عَارِفُونَ بِمَوَارِدِ وَجَارَتِهِ مَعَهُمُ وَالْمَصَادِرِ، وَكَانُوا يَتَحَقَّقُونَ قَبْلَ الرَّدِّ أَنَّ الإِمَامَةَ مُحَرَّمَةٌ عَلَى أَهْلِ الْبَغَاءِ وَأَوْلَادِ الْعَوَاهِرِ، فَتَسَوَّاهُ ذَلِكَ مَيْلاً إِلَى مَا أَلْفُوهُ مِنَ النِّجَسِ وَالبَهِيمِيَّةِ، وَتَحْقِيقاً لِلْعَدْلِ بِنُقُلَتِهِمْ فِي الْمَعَادِ إِلَى الْمَسْخُوحَةِ.

ونحنُ أهلُ الحقِّ بِمَنَّةٍ مَوْلى الخلقِ مُنْزَهُونَ عَنِ النَّجَسِ وَالسَّخَفِ،
لَمَّا تَأَثَّرَ فِينَا مِنْ فَضَائِلِ الإِمَامِ الْقَائِمِ الْقَاهِرِ، لَأَنَّ السَّخَفَ وَالنَّجَسَ يَلِيقَانِ
بِفَاعِلِيهِمَا لَا بِالْمُؤَبِّخِ بِهِمَا الذَّاكِرِ، وَإِنَّمَا تَقَوَّهْتُ بِذَلِكَ حُجَّةً عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَعْمَارِ
الْأَجْلَافِ، الَّذِينَ مَرَقُوا عَنْ وَلِيِّ الْحَقِّ بِالنَّفَاقِ وَالْخِلَافِ، فَعَبَدُوا الْأَشْقِيَاءَ
عِجْلاً جَسَداً، وَهُمْ يَعْرِفُونَهُ، وَإِنَّمَا جَمَعْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ عَاهَةً النَّجَسِ وَالنَّكَثِ
فِيمَا مِنَ الْأَزْمِنَةِ الْفَوِّهِ. فَمِنْ أَكْبَرِ عِلَامَاتِ إِمَامَتِهِ عِنْدَ أَتْبَاعِهِ، وَأَكْبَرِ مُعْجَزَاتِهِ
أَنَّهُ أَبْدَعَ لَهُمْ جِبَالَ الرَّحْمَةِ وَمَطِيَّةَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَكْبَرِ آيَاتِهِ. فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِمَّا
يَرْتَفِعُ عَنْ ذِكْرِهِ الَّذِي جَمَعَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْأَنْجَاسِ، وَأَخْرَجَهُمْ إِلَى الرَّدَّةِ
وَالانْسِفَالِ وَالانْعِكَاسِ.

فالحذر الحذر يا جماعة مَنْ تَمَسَّكَ بِحُجْرَةِ الْوَلِيِّ الْهَادِي الْإِمَامِ،
صَاحِبِ الرَّاجِفَةِ وَالانْتِقَامِ، أَنْ يَتَلَبَّسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِأَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَجْلَافِ
الْأَغْتَامِ، الْمُرَقَّةِ عَنِ الْحَقِّ عِبْدَةَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، السَّائِلَةَ نَفُوسُهُمْ أَسْفًا عَلَى
الْبَهِيمِيَّةِ وَالْحِطَامِ، الَّذِينَ سَمِعُوا خَوَارَ الْعِجْلِ الْجَسَدِ فَعَبَدُوهُ، وَتَوَلَّوْا عَنْ
الْحَقِّ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَنَبَذُوهُ، مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ هُدًى وَلِيَّهُ وَعَرَفُوهُ.

فهذا العدلُ والحقُّ قد أَظْهَرَ الْإِبْلِيسَ وَمَنْ ادَّعَى لَهُ مَنْزِلَةَ الْأُلُوْهِيَّةِ فِي
دَوْرِ الْقِيَامَةِ، وَقَامَ الْمَعْتَوَةُ الشَّيْطَانُ مُوَازِيًا لَهُ بِدَعْوَى مَرْتَبَةِ الْإِمَامَةِ. فَقَدْ
تَمَيَّزَتْ فِرْقُ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، وَبَانَ أَهْلُ الْحَقِّ مِنَ الْأَنْجَاسِ الْجَهَالِ، وَقَدْ أَعْدَرَ
مَنْ أَنْذَرَ، وَنَصَحَ وَبَصَّرَ وَأَخْبَرَ، وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ، وَعَلَى مَنْ فَهِمَ
الْقَبُولَ وَالسَّمَاعَ. وَالْحَمْدُ لِمَنْ لَا تَحْدُهُ الْأَلْفَاظُ وَالْأَفْكَارُ وَالْأَسْمَاعُ، وَالشُّكْرُ
لِلْمَوْلَى الْهَادِي الْإِمَامِ الْقَائِمِ الْمَطَاعِ.

تَمَّتْ بِمَنَّةٍ وَلِيِّ الْأَمْرِ.

توبيخ لاحق

أنظر في شأن لاحق الشيخ المختار مقدّمة الرسالة رقم ٤٥ وهي في تقليد لاحق مرتبته الدينيّة. إلّا أنّ لاحق لم يبقَ على إيمانه بالتّوحيد؛ بل راح يدّعي الألوهيّة، وبأنّ روح الله حلت فيه. فبعث بهاء الدّين بهذا التوبيخ المشين.

باسمك اللهم إلى الطليق الخائب الناكث العاق، العاجز عن حميد الطاعة إلى العصيان والإباق، المخترص بالكذب والخلاف والشقاق، والسالك لسبيل أهل النكث والبأس والنفاق.

أيها الخائب قد أوبقتك بعد الإمهال ذنوبك، وتكشفت لطول الفترة عيوبك، فأظهرت الحكمة ما أكنّه ضميرك من العقوق، وأبدت شروط القيامة ما استجنّ في قلبك الدغل من الغلّ والفسوق. وأبانت عقيدتك المخدولة ما استتر فيها من الجحد للإمام والمروق، فجحدت نعمة من جعلك بعد لاش شيئاً مذكوراً، ونسيّت اسمك وأنت من هذه الحجّة التي تدّعي ظهور فعلك بها مقدوفاً طريداً مدحوراً، وأغفلت نفسك حين أخرجاك منها حميد وعسكر ذليلاً حقيراً، ترفل في أثواب الخبل والجهل، وأنت صريع الزلّة بصور تتبيّن بها بغير معلوم ترجع إليه ولا أصل. وقد أسنخا عيناك وأذلّاك، ومن جميع المواضع دحضاك وطرداك، وأبكيا عيناك وأخرجاك، مقطوع الظهر

والتين، مسلوب العزيمة والدين. ليس لك ملجأ ترجع إليه، ولا وزير معقل
تُعول عليه. فرجعت إليّ مستصرخاً فأصرخُكَ، وذليلاً فأجركُ ونصرتُكَ،
وجاهلاً فسددتُكَ وأرشدتُكَ، وعمياً ففتحتُ عيناك وبصرتُكَ.

فلما أظهرتَ إليه رغبتَكَ جبرتُ كسرَكَ وأجبتُ نِداك، وأرشتُ
جَنَاحَكَ ولَبَّيتُ دُعَاكَ، وأنعمتُ عليك من فضلِ الذي أنعمَ عليّ وليُّ الدينِ في
أولاك وأخراك، وبلغتُكَ ما لم تتوهمهُ وفوقَ مُنَاكَ، وقلدتُكَ خطابَ العشائرِ
والقبائلِ، ونوّهتُ باسمِكَ في المكاتباتِ والرسائلِ، ولقبتُكَ بالكوكبِ السَّيَّارِ،
إِعْلَاءً لقدرتِكَ إلى أعظمِ الرُّتَبِ وأشرفِ المنازلِ، وأمددتُكَ من فيضِ الحقِّ
المنعمِ به عليّ من أطهرِ العناصرِ، وأقمتُ عليك الحِجَّةَ في وقتِ ظهورهِ
طاعتكَ بما ان تُبَيَّنَتْ على ذوي الألبابِ والبصائرِ، وأطلقتُكَ كما أمرني وليُّ
الحقِّ بالإطلاقِ سَيَّاراً فيما أمددتُكَ قوَّةً من الأقاليمِ والجزائرِ. ومهدتُ لك
بقوَّةِ وليِّ الحقِّ جميعَ البلدانِ، وجعلتُ لك بعظمةِ وليِّ النعمةِ التي جرتُ على
يَدَي قوَّةِ اليَدِ واللِّسانِ.

فَقَعَدَ بِكَ عن الخِدْمَةِ في السَّيَّارَةِ ضعفُ النفسِ وخبيثُ العملِ،
وأعجزَكَ عن النهوضِ فيها فسادُ النِّيَّةِ وقديمُ الرُّزْلِ، فاغتَنَمْتَ الراحةَ
والإباحةَ وابتدعتَ فيها كما ابتدَعَ الشَّيْطَانُ، ومرقتَ عن الحقِّ واختلقتَ كما
اختلقَ المفردُ الإنسانِ، ورجعتَ إلى العنصرِ الخَطَلِ الخبيثِ، ونهضَ بك
عَمَلُكَ في وقتِ التَّمْيِيزِ إلى ما أَلْفَتَهُ نَفْسُكَ الوَضِرَةُ بالزَّعْجِ الحثيثِ، فجحدتَ
حقَّ النِّعْمَةِ المُنْعَمِ بتفويضِها إليك، وهي عدلٌ سادِقٌ تشهدُ بمخالفتِكَ لها
عليك.

فقابلتَ أيُّها الخائبُ أنوارها بظلمةِ الكذبِ والبهتانِ، ورجعتَ إلى
اعتقادِ إمامةِ الدَّعيِّ المُحْمَلِّقِ المعتوهِ وأنكرتَ قائمَ الزَّمانِ، وقطعتَ ما أمر
الباري بصلتِهِ بالنُّكْرِ والفُسوقِ والجورِ والعُدوانِ. وأردتَ إطفاءَ نورٍ قد

أُخْمِدَ نواميسَ أهلِ الكذبِ والبَلَسِ والطُّغَيانِ، وهدمَ أركانَ الأبالسةِ بموادِّ قائمِ الزمانِ، والدهورِ ومحققِ الأديانِ. فخرَّتْ للمولى متناكصَةً على الجباهِ والأذقانِ، وكسرَ أصنامَ المِرْقَةِ أشباهك المرتدِّين، وأرغمَ بحقِّه أنوفَ أمثالكَ الخونةِ الجاحدين.

فأنتَ أيُّها الخائبُ لم تحفظَ من حكمةِ الوليِّ ومعجزاته، إلَّا ما أقامَ به الحجةَ عليك بكذبِكَ على حدودِهِ الأطهارِ وآيَاتِهِ، وهو حَفَظَكَ من قولِ الوليِّ في رسالةِ الغَيَّارِ، الدامغةِ لأهلِ الكذبِ والعصيانِ والإصرارِ^(١): ولو علمتُم ما أَلْزِمْتُم بِهِ من سَدَقِ اللِّسانِ وحَفَظِ الإخوانِ، لَبَانَ لَكُمْ الحقُّ من الباطلِ والجحودُ من الإيمانِ، والإيمانُ في لغةِ العربِ هو التسديق. فمَن لم يكنْ صادقًا بلسانِهِ فهو بالقلبِ أكْذَبُ وأضعفُ يقيناً وأكثرُ نفاقاً.

واعلموا أنَّ السدقَ هو الإيمانُ بكمالِهِ، والكذبُ هو الشركُ والضلالةُ فمن كذبَ على أخيه المؤمنِ فقد كَذَبَ على داعِيهِ، ومن كذبَ على داعِيهِ فقد كذبَ على إمامِهِ. ومن كَذَبَ على إمامِهِ فقد كَذَبَ على مولانا جَلَّ ذِكْرُهُ وَجَحَدَ نِعَمَهُ واستوجبَ سَخَطَهُ. ومن قال في أخيه المؤمنِ ما ليسَ فيه أو حرَّفَ عليه قوله، أو حَلَّلَ له شيئاً ممَّا حرَّمَهُ عليه إمامُ زمانِهِ، أو قال في مولانا جَلَّ ذِكْرُهُ ما لا يجوزُ أنْ يُقالَ في عبْدِهِ، فقد جَحَدَ الفضلَ والإيمانَ، وتظاهرَ بالكفرِ والطغيانِ. ومَن خالفَ عبْدَ مولانا جَلَّ ذِكْرُهُ قائمَ الزمانِ، فقد عَصَى مولانا سبحانهَ وأشركَ به غيرَهُ، وإنْ كانَ يعتقِدُ عبادةَ مولانا جَلَّ ذِكْرُهُ. وإنْ كَذَبَ على إمامِهِ أو على حدٍّ من الحدودِ، وقالَ إنَّ مولانا جَلَّ ذِكْرُهُ لا يعلمُ بذلكَ فقد خَرَجَ من جملةِ الموحِّدينَ وصارَ مِنَ الكافرينَ بنعمتِهِ الجاحدينَ لِعَظَمَتِهِ.

(١) [استشهادٌ من الرسالة رقم ٤١، واسمها «الجزء الثالث من السبعة أجزاء».

فهذا أيها الخائبُ حِفْظُكَ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ لَفْظُكَ، إقامةُ الحُجَّةِ بِالْعَدْلِ الْفَائِضِ إِلَيْكَ، وشهادةُ السَّادِقِينَ بِجُودِكَ لِلْحَقِّ وَتَكْذِيبِكَ لِمَنْ أَوْجَدَكَ هَذَا الْعِلْمَ وَمَنْ بِهِ عَلَيْكَ.

فوحقُّ الحقِّ لقد كَذِبْتَ عَلَى دَاعِيكَ، الَّذِي أُلْزِمْتَ لَهُ بِسَدْقِ اللِّسَانِ، وَدَلَّسْتَ بِكَذِبِكَ عَلَى أَهْلِ الدِّينِ وَضَيَّعْتَ حَقُوقَ الْإِخْوَانِ، فَقَدْ بَانَ الْحَقُّ مِنْ الْبَاطِلِ لِبَصَائِرِ الْمُوَحِّدِينَ، وَعُيِّنَ أَهْلُ الْإِيمَانِ مِنْ أَهْلِ الْجُحُودِ لَشَهْرَتِكَ وَأَشْبَاهِكَ بِالرَّدَّةِ وَالْكَذِبِ بَيْنَ أَهْلِ الدِّينِ، وَلَمْ تَكُنْ سَادِقًا بِلِسَانِكَ فِيمَا قَلْتَهُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ وَفَاقًا: فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ وَلِيُّ الْحَقِّ بِالْقَلْبِ أَكْذَبُ وَأَضْعَفُ يَقِينًا وَأَكْثَرُ نِفَاقًا، فَقَدْ خَرَجْتَ يَا مَارِقُ مِنْ جَمَلَةِ أَهْلِ السَّدْقِ الَّذِي هُوَ الْإِيمَانُ بِكَمَالِهِ، وَدَخَلْتَ يَا خَائِبُ فِي حَزْبِ أَهْلِ الْكَذِبِ وَالشَّرِكِ وَالضَّلَالَةِ، بِكَذِبِكَ عَلَى دَاعِيكَ فَضْلًا عَلَى أَخِيكَ، وَتَقَهَّقْتَ فِي دَرَجِ الْإِنْسِفَالِ لِبَلَّسِكَ فِي تَعْدِيكَ.

فَقَدْ صَحَّ كَذِبُكَ عَلَى إِمَامِكَ وَبَارِيكَ لِجَحْدِكَ لِفَائِضِ النِّعْمَةِ، فَاسْتَوْجِبْتَ مِنَ الْبَارِي أَلِيمَ السَّخَطِ وَعَظِيمَ النِّقْمَةِ، بِتَحْرِيفِكَ وَكَذِبِكَ عَلَى وَلِيِّ الزَّمَانِ، وَاتِّخَاذِكَ عُرْفَاءَ وَأَنْصَارًا وَقِضَاءَةً فِي دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ النَّاسِخَةِ الشَّرْعِ وَالْأَدْيَانِ.

فَابْتَدَعْتَ أَيُّهَا الْخَائِبُ مَنْ وَلِيَّتَ عَلَيْهِمْ بِفَسْقِكَ مَذْهَبَ الْإِبَاحَةِ وَالْكَذِبِ وَالتَّحْرِيفِ، وَأَوْضَحْتَ لَهُمُ الطَّرِيقَ إِلَى الْفَسْقِ بِالْأَلِيفَةِ وَالْأَلِيفِ، وَتَعَقَّتْ فِيهِمُ بِالْعَيْثِ وَالْخَبَالِ وَالْإِفْسَادِ، وَأَمَرْتَهُمْ بِانْتِهَاكِ الْمَحَارِمِ وَقَتْلِ الْأَوْلَادِ، وَأَطْلَقْتَ عَلَيْهِمْ سِيُوفَ الْأُمَمِ أَهْلَ الشَّرِكِ الْحَاضِرِ مِنْهُمْ وَالْبَادِ.

وَلَمْ يَكْفِيكَ مَا ابْتَدَعْتَهُ مِنَ الْمَحَارِمِ، تَجَرُّيًا عَلَى اللَّهِ وَقَطْعًا لِأَمَانَتِهِ، وَاعْتِدَاءً عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ. فَاللَّهُ يَكْشِفُ عَنْكَ وَعَنْ أَتْبَاعِكَ وَأَمْثَالِكَ سِتُورَ صَيَانَتِهِ، حَتَّى رَجَعْتَ إِلَى هَذَا الْمُنْكَرِ بِتَمْوِيهِكَ لِتَبَيِّنَ بِفَسْقِكَ فِسْقُ مَنْ رَجَعَ عَنِ الْحَقِّ وَخَانَ فِي دِيَانَتِهِ.

وقد علموا الكافّة أنّ المقتنّى أصرفك وأخويك الخبيّة وأعزلكم. فمن بعده يا نكّة أطلق لكم الكلام ونصبكم؟ فأنت وهما يا مرقّة أولاد الحرام الخونة الأدعياء، وأولادك يا جاحد وأولادهما بالحقيقة أولاد الخبث والزنا، وأنتم غطارسة الأزمان لإلف نفسكم الخبيثة لمساهمة أهل النكث والارتباب، ولنجسها أمهلت في أخس الهياكل لخدمة المسيح الكذاب.

فاخدم أيّها الخائب وهما في نجس دعوته كما ألفتكم في قديم الأدوار، وارم أنت وهما بسهام النجس والبلس مقاتل الموحدين الأطهار. فما يكون لك أن تتكبر فيها. أخرج وهما باللّعن من دعوة وليّ الحق بالرجم والإشهار. فما أنت وهما إلا «كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض فما لها من قرار»^(٢). فقد ابتدعت الباطل وجحدت الإيمان، وتظاهرت بالردة والكذب والكفر والطغيان، وخالفت بفسقك قائم الزمان، بذهاب عقلك، وصغر خدك، ولوم أصلك وتعس جدك، وخروجك عن الحق وخلافك لحداك.

فهذا الفصل من أوله إلى آخره أيّها الخائب يوضح مخازيك ويبيّن للكافّة انتكاسك وترديك. ثم ولم يكفيك هذا الفسق العظيم، وأكل السحت وشرب الحميم، حتّى رجعت بسّم نجسك إلى القوم الذين عنهم أصرفت، عن سياستك الخبيثة فيهم أسكت. تُزخرف لهم آياتك المكدوبة المخترصة، وتبيّن لهم فضائلك المافوكة المنتقصة، مثل قولك لهم: إنك دخلت على قائم الزمان وولده جالس منه على اليمين، وأيضاً أخبرهم بكذبك أنك دخلت على الرضى سفير القدرة وبشير المؤمنين، وبعد ذلك أخذت معهم في إظهار معجزاتك، وتبيّن براهينك وآياتك، وتعرفهم أنك مبين آيات الفترة وتحقق عندهم أنك أحرفت على دين التوحيد اثنا عشر مرة.

وأيضاً مثلما ما أرسلت إلى الإخوان تعرفهم منازلهم في قديم

الأدوار، وتقول لولا الشفقة عليكم لعرفتكم منازلكم في هذا العصر المُستقبل وفي سائر الأعصار. وجميعهم يتبرؤون منك وممن يُنسب إليك، وَيَسْتَعْدُونَ إلى الباري وإلى وليه عليك، بما ألَهَبَتْهُمُ بنارِ بَلْسِكِ وشَيْطَانِكَ، وأحرقَتْهم بوهجِ كَذِبِكَ وضلالِكَ.

فيا أيها الخائبُ الدَّعيُّ المنكوسُ الشقيُّ الذي أعدمَ هُداة، واتَّبَعَ لشيطنته هَواه، واستعبده أخسُّ أَعْضَاه. فملا اذي أضْلُكَ وأنكسَكَ وأشْقاكَ، وأعمى قلبَكَ وأخيبَ مسعاك. لقد خَسِرْتَ أولاك وأخراك. أترى لِضَعْفِ المعلومِ الذي وَصَلَ إِلَيْكَ نافقتَ وشككتَ، بل لِخَبْثِ العقيدةِ التي أظهرها دورُ الكشفِ عليك عميتُ بصيرتُكَ فهلكتُ!

فما مثْلُكَ ومثْلُ أَخَوَيْكَ الْخَبِيْثَةِ فيما بَلَغْتُمُوهُ بالسنتِكم من الدِّينِ إلى الإخوانِ الأطهار، كَمِثْلِ الْأَعْجَفِ الحمار، المكدودِ في الدولابِ لِسَقْيِ الثمار، أو كالبغلِ المُستخدَمِ في الرَّحَى. فكلاهما يدورانِ للسعيِ إلى قَدَامٍ، وسيرُهُما إلى خَلْفٍ وإلى وراءٍ، فهما مُستخدَمانِ في أَلَذِّ الْأَغْذِيَةِ وأطيبِ الثمار، وغذاءُهُما بالتِّبَنِ والشَّعِيرِ، بعد التَّعَبِ والكَدِّ بِاللَّيْلِ وأطرافِ النَّهَارِ.

فهذا المَثَلُ أَيُّهَا الْخَائِبُ لِمَنِ انْتَكَسَ مِثْلُكَ وَهَمًا، وشكَّ في الحقِّ وخَانَ أهلَ الدِّينِ وعميتُ بصيرتُهُ، وخرَجَ عن أهلِ السَّدَقِ والكذبِ على الحدودِ الطاهرين.

والآن فقد أخذتُ رسالةَ التوبيخِ على أهلِ الشُّطَنِ والخلافِ والكذبِ والعصيانِ، بقسطِ العدلِ من مَوْجِبِ الزَّمانِ، وَخَبَرَكَ عِنْدَ مَنْ لَا يَرْهَقُكَ بتثريبٍ ولا امتنان. فالأولى بك أَيُّهَا الْخَائِبُ التَّائِبُ أَنْ تَتَوَبَّعَ عَنْ هَذَا الشُّطَنِ وتُتْلَعَ وتستغفرَ من هذه الخزايا وترجعَ ما دامَ سِتْرُ وَلِيِّ الْحَقِّ عَلَيْكَ مُسْبِلٌ والإِنابةَ مِنْكَ تُسْمَعُ وتُقْبَلُ، قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ بِوَجْهِكَ الْأَبْوَابُ الْحَقُّ، وتصيرَ مُضْغَةً وَنَكَالاً عَلَى أَلْسِنِ جَمِيعِ الْخَلْقِ.

ونكتبُ إلى جميع البلدانِ بردَّتكَ ومخازيكَ، وَيَشْمَتُ بِكَ مَنْ كَانَ
يُضَاهِيكَ وَيُمَارِيكَ، وَيَتَبَرَّأُ مِنْكَ مَنْ كَانَ يَتَعَبَّدُكَ وَيُؤَالِيكَ، وَتُكْشَفُ عَنْكَ
ستورُ الصيانة، وتُحْسَبُ في جملةٍ من شَطَنٍ ومِرْقٍ عن الحقِّ وخانٍ في
الأمانة، فتندمُ حيثُ لا ينفعُكَ الندَمُ، ولا يَنْبُتُ لَكَ بعدَ هذا الزَّلَلِ الفاضِحِ قَدَمٌ.

والأحسنُ بحالكِ الإصغاءُ إلى حكمةِ العبدِ السادِقِ النَّصِيحِ، وأنْ
تتأدَّبَ بِمَا يَبِ مَمْلُوكِ الإمامِ القائمِ الهادي المسيحِ، وتَنْزَعَ عَنْكَ أَثْوَابَ الكَذِبِ
والتَّكْبَرِ، وَتَرْمِ لِقِمَصِ النِّفَاقِ والتَّجَبُّرِ؛ فَقَدْ أَخَذْتُ عَلَيْكَ بِفَضْلِ الحِلْمِ،
وصبرتُ على جهلكِ بمقتضى حقِّ العلمِ.

فإنْ سَلِمْتَ إلى وليِّ الحقِّ وَتُبْتَ عَنْ رِدَّتِكَ وَرَجَعْتَ؛ وَعَنْ عَظِيمِ
زَلَلِكَ وَأَيِّبَاكَ واعترفتَ بها واقلعتَ، فَلَيْسَ أَلِ الْعَبْدِ مَوْلَاهُ فِي التَّجَاوُزِ عَنْ
جُرْمِكَ وَذُنُوبِكَ، وَيَبْتَهِلُ إِلَيْهِ فِي الْعَفْوِ عَنْ قَرِطِكَ وَسِتْرِ عُيُوبِكَ. فَهُوَ الْطَفُّ
بِكَ مِنْ نَفْسِكَ الْمُصَوَّرَةِ لَكَ مَخَائِلَ الْبَاطِلِ، وَأَنْصَفُ لَكَ وَأَعْطَفُ عَلَيْكَ وَأَرَأَفُ
بِكَ مِنَ الْآبِ وَالْأُمِّ بِجَمِيعِ الْأَنْحَاءِ وَالْأَقَاوِيلِ.

وإنْ أَبْنَتَ إِلَى اللَّدِّ والكُفْرِ والعُصْيَانِ، وَالتَّمَادِي عَلَى الشَّطَنِ
وَالْعُقُوقِ وَالطُّغْيَانِ، فَمَا أَوْهَنَ مَسْعَاكَ وَأَضْلَّ مَقِيلِكَ وَمَثْوَاكَ. وَلَكِ يَوْمٌ لَا يَدْ
تَلْقَاهُ، وَجَزَاءٌ لَا شَكَّ تَتَوَقَّاهُ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مُضْعِفُ كَيْدِ الْخَوْنَةِ الْفَسَّاقِ، وَمُخْزِي أَهْلِ الْبَلَسِ
وَالْجُحُودِ وَالنِّفَاقِ، وَمُبَيِّنُ مَا فِي صُدُورِهِمْ فِي وَقْتِ التَّمْيِيزِ قَبْلَ شَدِّ الْخِنَاقِ.
وَالسَّلَامُ عَلَى عَقْلِ الْعَوَالِمِ، وَهَادِي الْأُمَمِ، إِمَامِ الْعَدْلِ قَائِمِ الدِّينِ، وَصَاحِبِ
الْمِيثَاقِ، الْمُنْتَقِمِ بَسِيفِ الْعَالِ مِنَ الْمُرْتَدِّينَ وَالْمَارِقِينَ وَأَهْلِ الشِّقَاقِ. وَحَسْبِي
ثَقَّتِي بِقَائِمِ الدِّينِ، صَاحِبِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْإِطْلَاقِ.

تَمَّ التَّوْبِيخُ. وَالْحَمْدُ لِمَوْلَانَا وَحَدَّهِ. وَالشُّكْرُ لِقَائِمِ الزَّمَانِ عَبْدِهِ.

توبيخ الخائب العاجز سكين

أصبح سكين أخطر أعداء الدعوة وأهمهم، بعد ما كان داعياً نشيطاً يبشّر بالتوحيد. إسمه مسعود، لقبه ابن الكردي. ورد خبره في مقدمة الرسالة رقم ٤٦ المسماة «مرسوم تقليد سكين». كتب بهاء الدين هذا التوبيخ والألم فيها من أعمال سكين يحزّه حزاً. فبسبب سكين وأمثاله أغلق المقتنى أبواب الدعوة، وغاب، كما أشار إلى ذلك في «رسالة الغيبة»، رقم ١١١، الأخيرة من مجموعة رسائل الحكمة.

بسم الله الرحمن الرحيم.

وَصَلِّ كِتَابُ الشَّيْخِ الْفَاضِلِ وَالْجَمَاعَةِ، ثَبَّتَهُمُ اللَّهُ عَلَى طَاعَةِ وَلِيِّ الدِّينِ، وَكَفَاهُمُ الدِّخُولَ فِيمَا اسْتَحْسَنَتْهُ يَهُودُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْأَنْجَاسِ الْمَرْقَّةِ الْمُرْتَدِّينَ. وَقَرَأْتُهُ وَفَهِمْتُهُ وَتَعَجَّبْتُ مِنْ اجْتِمَاعِكُمْ عَلَى السُّؤَالِ فِي فَلَانٍ أَوْ بَقَّةِ اللَّهِ بِأَعْمَالِهِ، وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَيْسَ عِنْدَكُمْ مِنْهُ خَبَرٌ، وَلَا اجْتِمَعْتُمْ مَعَهُ. وَكَذَلِكَ أَيْضًا مَا اجْتِمَعْتُمْ مَعَ الَّذِي تَقُولُوا إِنَّهُ أَطْلَقَ عَلَيْهِ الذِّمَّ. وَهَذَا الْحَالُ يَا إِخْوَةَ قَبِيحٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا بِمَنْزِلَةِ مَنْ تَكُونُ الْأَشْيَاءُ عِنْدَكُمْ خَرَافَاتٍ مَهْمَلَةً.

فَاللَّهُ يَلْعَنُ مَنْ يُطْلَقَ الذِّمُّ، عَلَى غَيْرِ الْمُسْتَحَقِّ الذِّمَّ، وَلَا يَوْجَدُ شَفَاعَةٌ مَنْ يَرْجُو شَفَاعَتَهُ. وَلَكِنْ مَا نُوَاخِذُكُمْ بِمَا يُشْتَبَهُ عَلَيْكُمْ مِنْ أَعْمَالِ الْمَدْعِينَ.

فَإِنْ كُنْتُمْ تَخَافُونَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَعْتَرِفُونَ بِالْحَقِّ وَأَهْلِهِ فَانْصَفُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَجُورُوا عَلَيْهَا بِالمُسَاعَدَةِ لِجَهْلِ الْكَذَّابِينَ.

فإن كنتم تعتقدون أن هذه الضيعة مُحَبَّسَةٌ على الذي تقولوا إنها إطلاقاً على هذا المذموم، مكتوبة له بخط مالِكها، وإنها له مُلْكاً وفي قبضته مُحَبَّسَةٌ عليه، يأمرُ فيها وَيَنْهِي كما أوصاه مَوْلَاهُ الذي حَبَّسَهَا عليه، وَشَرَطَ عليه أَنَّهُ لَا يُحَدِّثُ فِيهَا حَادِثاً رَدِيئاً وَلَا يُفَرِّطُ فِي عَمَارَتِهَا مَا وَجَدَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً. ومتى ما استخدمَ فيها مَنْ يُفَرِّطُ فِيهَا عَزْلَهُ، وَيُنْفِقُ مِنْ مَالِهِ الَّذِي لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ فِيهَا عَلَى جَمِيعِ مَنْ وَصَّاهُ مَوْلَاهُ بِالنَّفَقَةِ عَلَيْهِ فِي الْمَدَّةِ الَّتِي رَسَمَ لَهُ.

فإن كَانَ هَذَا عِنْدَكُمْ صَحِيحاً فَيَجِبُ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّهُ هُوَ الَّذِي ضَمِنَ هَذِهِ الضَّيْعَةَ. وَهَذِهِ الْحِصَصُ لَيْسَتْ لِمَسْعُودٍ وَلَا لِغَيْرِهِ مِنَ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ اعْتَرَضَهُمْ وَذَكَرَهُمْ، وَكُتِبَ عَلَيْهِمُ الْوُثَائِقُ بِشَهَادَةِ الْعَدُولِ. وَشَرَطَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَا يَخُونُوا وَلَا يُحَدِّثُوا فِيهَا حَادِثاً إِلَّا بِأَمْرِهِ، وَقَدْ صَحَّ هَذَا عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَقْلِ. وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَشْكُونُ فِي شَيْءٍ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ لَكُمْ.

وَأَمَّا دُخُولُكُمْ بِالْغَرَضِ فِي ذِكْرِ الثَّلَاثَةِ وَذِكْرِ الْإِثْنَيْنِ، فَهُوَ مَحْمُولٌ عِنْدَكُمْ لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يُنَاطِرُ عَنْهُمْ.

وَأَمَّا حَالُ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي سَأَلْتُمْ فِيهِ بِغَيْرِ حَقٍّ تَفْهَمُوهُ، فَهَذَا اعْتِرَاضٌ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ.

فَاللَّهُ لَا يُوَاخِذُ مَنْ عَمِلَ مَا لَا يَعْلَمُ. وَنَحْنُ بِكُلِّ الْحَالِ إِلَى عَقُولِكُمْ أَخْبَرُ. وَنَشْهَدُ عَلَى ضَمَائِرِ قُلُوبِكُمْ وَنُشْرَحُ لَكُمْ وَلِجَمِيعِ مَنْ قُرِئَ هَذَا الْكِتَابُ عَلَيْهِ لِيَتَحَقَّقُوا خِلَافَهُ وَفِسْقَهُ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ؛ وَإِنْ كَانَ هَذَا مَا خَفِيَ عَلَى أَهْلِ الْعَقْلِ، وَمَنْ يَرْجِعُ إِلَى دِينِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ.

فَبِاللَّهِ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَتَبْتُمْ تَسْأَلُونَ فِيهِ لَقَدْ أَخْلَفَ الظَّنَّ الَّذِي فِيهِ وَأَفْسَدَ الضِّيَاعَ وَلَمْ يَعْمَرْهَا. وَأَبَاحَ أَهْلَهَا مِنَ الْقَبَائِحِ وَالْمَنَازِكِ مَا لَمْ يُسْمَعْ

عندنا وقد عَلِمَ أَنَّنَا نَنْهَى عَنْهُ حَتَّى انْتَشَرَ عَنْهُمْ عِنْدَ الْعَالَمِ بِأَنَّهُمْ اسْتَبَاحُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ.

فَاللَّهُ يَثْبُتُهُمْ عَلَى ذَلِكَ لِأَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ نِظَامِ الدِّينِ، وَأَفْعَالِ أَهْلِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ أَفْسَدَ الْحَالَ فِيمَنْ وُلِّيَ عَلَيْهِمْ، وَأَطْلَقَ لَهُمْ أَخْذَ أَمْوَالِ النَّاسِ، وَقَاسَمَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَقَتْلَ مَنْ وَجَدُوا مِنَ الْمَجَاوِرِينَ.

فَاللَّهُ يَلْعَنُ مَنْ أَمَرَ بِهَذَا وَاسْتَحْسَنَهُ، وَيَعْجَلُ خَزَيْهَ. وَكُلُّ هَذَا مُسْتَوْرٌ عَنْ صَاحِبِ الضَّيْعَةِ حَتَّى آلَ أَمْرُهُمْ إِلَى الْهَلَاكِ الَّذِي عَرَفْتُمُوهُ أَنْتُمْ وَغَيْرُكُمْ، وَأَنَّهُ كَانَ يَفْرِضُ عَلَى الْفَلَاحِينَ أَعْمَالًا يُؤَدُّوهَا إِلَيْهِ، وَيَقُولُ لَهُمْ أَنَا أَحْمِلُهُ لِصَاحِبِ الضَّيْعَةِ.

وَبِاللَّهِ لَقَدْ كَذَّبَ. وَإِنَّمَا أَصْلُ أَمْرِهِ كُلُّهُ الْحِيَلَةُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ. وَمَا يَصِلُ إِلَى صَاحِبِ الضَّيْعَةِ مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا شَيْءٌ.

فَاللَّهُ يَعْجَلُ جَزَاءَهُ عَلَى ذَلِكَ.

فَكَانَ يَكْتُبُ إِلَيْنَا أَنَّ الْفَلَاحِينَ قَدْ ضَاعَتْ أَمْوَالُهُمْ. وَيَصِفُ أَحْوَالًا شَتَّى، فَنَنْفِذُ إِلَيْهِ النِّفَقَاتِ الْكَثِيرَةَ مَعَ الْفَاسِقِ وَغَيْرِهِ دَفْعَاتٍ بكَثْرَةٍ. وَنَأْمُرُهُ يُنْفِقُهَا عَلَى أَهْلِ الضَّيْعَةِ، فَيَأْخُذُهَا لِنَفْسِهِ وَيُوجِّهُ إِلَيْنَا يَقُولُ إِنَّهُ قَدْ أَنْفَقَهَا عَلَيْهِمْ. وَهَذَا كُلُّهُ مُسْتَوْرٌ عَنَّا لَا نَعْلَمُ بِهِ حَتَّى جَاءَ بَعْضُ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَهُ الثَّقَاتُ عَلَى سِرِّهِ خَشِيَةً مِنَ اللَّهِ فَعَرَّفُونَا جَمِيعَ أَفْعَالِهِ بَعْدَ فَوَاتِ الْأُمُورِ وَالْمَحَنِ.

ثُمَّ إِنَّهُ أَرْسَلَ يَرِيدُ الدَّخُولَ إِلَيْنَا إِلَى إِسْكَانْدَرِيَّةَ إِلَى عِنْدِنَا، فَأَنْفَذْنَا لَهُ وَلِمَنْ يَصِلُ مَعَهُ نَفَقَاتٍ كَثِيرَةً. فَلَمَّا وَصَلَ أَفْضَلَ عَلَيْهِ وَعَلَى الْجَمَاعَةِ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ بِمَا لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَى غَيْرِكُمْ مِمَّنْ كَانَ يَصِلُ إِلَيْنَا. وَلَمْ نَذْكُرْ أَحْوَالَ الدُّنْيَا مَنَّا بِهَا وَلَا أَسْفَاً عَلَيْهَا. وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا لَكُمْ هَذَا نَعْرِفُكُمْ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ

غرضاً في غير الدنيا، ونعرفكم أنه لا يعرف الآخرة ولا الدنيا، ولا يشكر على شيء منها.

ثم إنه، وهو عندنا في الموضع، أخذ يفعل أفعال الشياطين، ويذكر للجماعة التي ذكرها إلى أبي المشرف عندك، ويحتال بذلك علينا، حتى تصح له الدعوة التي ادعاهما أنه الرضى. فتحققنا أنه الذي أصل هذا عند الجماعة والذي سمعهم منهم أبو المشرف وأذاعه من غير معرفة بفساد الحال فيه. فلما أتتنا الأخبار بذلك وعلم أنها تنشر عنه فواجه بذلك، وواقف عليه، وكابر الحق، وقال: أنا ما أرجع عن هذا الحال الذي لعن الله من أصله واعتقده.

وهذا كله من حيلته على أحوال الدنيا وتسديق قوله الذي تقدم لهم أن الرضى، فوعظ على ذلك ورُفِقَ به، فما وجدنا فيه حيلة لأنه قد وجه بذلك الفاسق إلى الجماعة، فخشي أن يكذب نفسه، لأنه كتب إليهم يقول: إن هذا عن أمر مولا. فلعن الله مولا الذي أمره بذلك. فما أمره إلا عقله السخيف.

فلما تعذر عليه ذلك مما يريد وهو ساكن معنا في الموضع، وقد وجه نحوهم يعرفهم ما بنى عليه أمره من الخلاف والفسق، عزم على الخروج من عندنا من الموضع، وسأل في ذلك لينفرد بما يريد، وانتقل من عندنا إلى موضع آخر وأنفذ الفاسق كما ذكر في الأول يعرفهم تثبيت الذي ذكره إلى أبي المشرف، وأنه ما خرج عن أمرنا. فلعن الله من أمره به.

فلما تحققنا ذكر ذلك منه ووصل حسن ابن المعلا إلينا فعرفنا ما وصل إليه بعد خروجه من البلد من الخلاف بكلام الفاسق خذله الله.

ثم جاء بعد ذلك قيس فذكر حال الفاسق وما أذاعه من الكتاب الذي وصل معه من هذا الفاسق الذي كتبتم سألتم فيه، وتاب عندنا عن جميع ذلك بعد أن أقر بجميع ما ذكره الفاسق لعنه الله. وما إن علم بذلك كتب إلى

الجماعة يقتلوا قيسًا. فلما إن سَمِعْنَا بِذَلِكَ كَتَبْنَا مَعَ قَيْسٍ كِتَابًا وَوَجَّهْنَاهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ: لَا تَقْتُلُوا قَيْسًا.

وبعد ذلك وصل إليها مُنْجًا من عندكم فذكر لنا هلاك الجماعة وجميع المواضع بما ذكره الفاسق، فكتبنا مع مُنْجًا كتابًا نَذْمُ فِيهِ مَنْ فَعَلَ هَذَا، وَنَلَعْنُ مَنْ رَضِيَ بِهِ وَتَمَادَى حَالُهُ عَلَى الْخِلَافِ وَاللَّعْنَةِ.

وجاءه ابنُ الكرديّ وأنفذَ بمثل ذلك، وفعل من القبائح ما الله يجازيه عليه.

فلما تحققت أنه قد أفسد المواضع وأخربها بهذا الذي لعن الله من اعتقده، كَتَبْنَا الرِّسَالَةَ إِلَى الْجَمَاعَةِ، وَأَنْفَذْتُ بِهَا عَمَّارًا إِلَى أَصْحَابِ الضَّيْعَةِ لِنُعْرِفَهُمْ قُبْحَ هَذَا الرَّأْيِ وَنَذْمَ مَنْ اسْتَحْسَنَهُ. فلما عرف هذا النَّجْسُ بِخُرُوجِ عَمَّارٍ وَقَدْ جَرَى فِي ذَلِكَ مَخَاطَبُهُ مَعَهُ وَمَعَ الشَّيْخِ الْمَلْعُونِ، أَبَى رَئِيسُهُمْ. لَعَنَ اللَّهُ الْجَمِيعَ إِذْ كَانَ مَا فَعَلَ عَنْ رَأْيِهِمْ. فَقَالَ هَذَا حَسَنٌ مَا يَصْلُحُ لِلْقَوْمِ حَالًا إِلَّا أَنْ تُوجَّهَ إِلَيْهِمْ هُوَ رَجُلًا غَرِيبًا لَيْسَ مِنْهُمْ يَعْرِفُهُمُ الصَّحِيحَ وَالْإِثْمَ فَمَا يَصْلُحُ لِلْقَوْمِ حَالًا.

فلما عرف هذا النَّجْسُ بِذَلِكَ أَنْفَذَ إِلَى بَنِي تَمِيمٍ فَجُوهٌ، وَخَرَجَ مَعَ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ. فلما علمتُ بِذَلِكَ كَتَبْتُ إِلَى عَمَّارٍ كِتَابًا ثَانِيًا نَشْرَحُ فِيهِ حَالَ الْجَمَاعَةِ كَمَا ذُكِرَ لَنَا عَنْهُ. وَإِنْ اجْتَمَعُوا الْجَمَاعَةُ عَلَى قَتْلِ عَمَّارٍ حَتَّى لَا يَصِلَ إِلَيْنَا يُعْرِفُنَا أحوالهم.

وبالله ما قُتِلَ عَمَّارٌ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَّا بِأَمْرِهِ، فَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَمَرَ بِذَلِكَ وَخَزَاهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَوْقَفَ أَعْمَالَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ.

وقد جاء إلينا من مدّة شهرٍ مَنْ قَالَ إِنَّهُمْ قَتَلُوا عَمَّارًا وَتَقَاسَمُوا ثِيَابَهُ. وَقَبْلَ ذَلِكَ قِيلَ إِنَّهُ، لَمَّا قَرَأَ عَلَيْهِمُ الرِّسَالَةَ أَوْقَعُوا بِهِ وَجَرَّحُوهُ، ثُمَّ مَسَكُوهُ عَنْهُ.

بعضهم بعض، وقالوا: أتركوه حتّى يخرج عن أرضكم وتتبعوه يقتلوه. وهذا الذي قد صحّ عندنا وأنه قد ظهر سيفه عند ابن جندل وأقرّ بذلك. وقال هو وديعته عندي، وعندنا من مواضع كثيرة معروفة خمسة عشر كتاباً كلّها تشرح حال عمّار، وإن هؤلاء الأنجاس قتلوه عن أمر هذا المرتدّ الملعون أوبقه الله بجريّته. وهذه القبائح هي أفعال القوم بأمر هذا الكافر.

فإن كان هذا عندكم جميلاً فقد أخطأنا في مجاوبتكم. وقد نصحتكم يا شيوخ وما أخفينا عنكم شيئاً من أفعال هذا الفاسق التي لا تليق بأهل الحقّ وعجبنا من إهمالكم لذكر عمّار وما جرى عليه، وتحقّقكم أن الرجل بعد أن جرّحوه أخذوا ماله بأمر ابن الكردي. فلما بعد عن أرضهم عمل على قتله رجال منهم اتبعوه وقتلوه. فأهملتم هذا الحال وسألتم في الباطل الذي لا تعرفوا الحقّ فيه، ويعزّ علينا أن تكونوا بهذا الحال.

يا إخوة! إن من يعتقد أن الله حقاً ووليه حقاً، يتحقّق أنّه لا يستخلف على العالم إلاّ عادلاً منصفاً، منزّه عن الجور والظلم، وأنتم قد نسبتموه إلى الجور والظلم، بسوء أعمالكم فيما لا تعلموه، وتعاطيتم على أهل الحقّ قي قولكم. فلا تكونوا مثل اللبّد إن جاءه ماء طاهر قبله، وإن جاءه ماء نجس قبله. فأنتم ما عرفتم الماء الطاهر وأين معدّته، ولا الماء النجس وكيف موضعه.

يا إخوة! أتراكم جعلتم الرسالة التي أنفدناها إليكم بدّم من فسق عن الحقّ وادّعى الباطل ونكث النعمة هي الماء النجس الذي قبله اللبّد، أو ما أوعزه فلان ممّا يليق به هو الماء الطاهر؟ وأنا أعرفكم أن من كان هذا قوله وعقيدته لا يجب أن يردّ عليه جواباً.

والآن نحن نعدّركم لعلّه الذي سألكم في هذه المكاتبّة أو بعض أسبابه، ولم تعلموا من أفعاله القبيحة ما علمناه وأنتم عندنا معذرون.

وأما أبو عبد الله وأبو جُمعة وأمثالهم فهم أصحابُ هذا الرجلِ وهو الذي جعلهم لأنهم ظلمةٌ ينسبون إلينا ما لا نفعله، وقد بلغ إلينا ما ذكره لكم أبو تميم مما يُشبهه ولم نأمره بذلك، وهو ثقتُه وصاحبُ سيفه، وقد اتفقا بالمسامحة بالكذب والمخرقة.

وأما قولكم إنكم تحفظون من جرتِ النعمة على يده فقد كذبتُم على هذا القول، لأن من يعرفُ صاحبَ النعمة فيرجعُ في جميعِ أموره إليه، ويعرفُ صاحبَ البدعة والنقمة فيتبرأ منه ويستكتم اللهَ ووليُّه عليه، فما حفظتم صاحبَ النعمة بل ضيعتموه، وعمدتم إلى صاحبِ البدعة والنقمة فقبلتم قوله وأطعتموه. وحاشى أهلَ الحق من نزغاتِ الشياطين.

فإن كنتم يا إخوة، رجالُ الدين، وتطلبون النجاة لأنفسكم من الله تعالى فانصفوا أنفسكم بالتفكير في الحق ومعرفة أهله، وما يليقُ بأهلِ الحق من النزاهة والنظافة واللياقة والصبر والاحتمال، وحسن الأخلاق وجميل الأفعال، إلى جماعة الأهل، وتفكروا في الأدعياء كيف يستحسنون الفسق والقبائح وقتل النفس التي حرمها الله تعالى، وأخذ أموال الناس وهلاك أبناء الجنس، ظلماً وطلباً لأحوال الدنيا، وإلا فأي ذنب أذنبه عمارة رضي الله عنه إلى هؤلاء الأجلافِ الأغتام حتى قتلوه؟!

والذي يوجبُه العدلُ نصحاً لكم وإقامة الحجة عليكم إننا نعرفكم أن هذا الوقتَ وقتَ الفترة الكبرى، وما يقدرُ أحدٌ في هذا الوقتِ يسترُ شيئاً مما في نفسه، لأنه وقتُ تمييزِ الخلائق. فمن الواجب على كلِّ عاقلٍ له دينٌ أن يقبضَ على ما في يده، ويحفظَ ما صحَّ عنده من الحق، ولا يلتفتَ إلى ما وصلَ إليه من دعاة الباطل، ويعتمدُ على ما صحَّ عنده من الأصل، مما ثبتَ في رسائلِ الحجة الذي هو عبدُ وليِّ الزمانِ مما يطابقُ قولَ وليِّ الزمان، وإنما قلنا: يكونُ عندكم ونكاتُ بهذه البدعة له وكيف يكونُ الحالُ وقد

عَرَفْنَا أَنَّ قَائِلًا قَالَ: إِنَّ وَصَلَ أَبُو الْمُشَرَّفِ فَاقْتُلُوهُ. فَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَمَرَ بِهَذَا وَمَنْ حَكَاهُ، وَلَعَنَهُ وَخَزَاهُ.

وَقَدْ بَلَّغْنَا قَوْلَ أَبِي جُمُعَةَ فِي وَسْطِ السَّافِرِيَّةِ فَقَالَ: قَدْ وَقَفَ كِتَابُهُ عِنْدِي خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا وَمَا أَخْرَجَنَاهُ. وَأَشْرُ شَيْئًا يَقْدِرُوا عَلَيْهِ يَفْعَلُوهُ، يَعْنِي كِتَابَ عَمَّارٍ، وَإِنَّمَا فَعَلَ هَذَا وَفَاءً لِفُلَانٍ الَّذِي أَطْلَقَ لَهُ أَمْرَاتُهُ وَخَمْسَةَ عَشَرَ مَعَهَا الَّذِي هُوَ النَّاهِي عَنِ الْفِسْقِ وَالْقَبَائِحِ وَالرَّذَائِلِ، وَالْأَفْهَلُ الْحَقُّ هُمُ الْمُنْزَهُونَ عَنِ الْأَفْعَالِ الْخَبِيثَةِ.

وَالَّذِي أَقُولُهُ لَكُمْ وَأُوَعِّزُهُ إِلَيْكُمْ أَنَّهُ لَا يَلْتَقِثُ أَحَدٌ مِنْكُمْ فِي هَذَا الْوَقْتِ إِلَى قَوْلِ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِ، لَا إِلَى سَيْفٍ وَلَا إِلَى مَسْعُودٍ، لَا حَفِظَهُمَا اللَّهُ، وَلَا إِلَى أَبِي جُمُعَةَ وَلَا إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَلَا غَيْرِهِمْ مِمَّنْ ادَّعَى هَذَا الْحَالَ فِي هَذَا الْوَقْتِ فَإِنَّهُ وَقْتُ فَاسِدٍ.

فَهَؤُلَاءِ دَعَاةُ الْفِتْرَِةِ وَالْمِحْنَةِ لَيْسَ هُمْ دَعَاةُ الْحَقِّ لِأَنَّ أَغْرَاضَهُمْ وَأَفْعَالَهُمْ بَيِّنَتُهُمْ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمُؤْمِنَ الثِّقَّةَ الْمُقْبِلَ عَلَى صِيَامِهِ وَصَلَاتِهِ، السَّاتِرَ لِنَفْسِهِ، أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ دَاعٍ فِي هَذَا الْوَقْتِ لِأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ قَدْ خَانُوا وَكَذَبُوا وَكَفَرُوا وَفَسَقُوا عَنْ طَاعَةِ مَنْ أَمَرُوا بِطَاعَتِهِ وَأَخْرَجُوا النَّاسَ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ.

فَمَا بَقِيَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ طَاعَةٌ وَلَا أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ. فَهَذَا أَمْرٌ مَنِيَّ إِلَيْكُمْ، وَحُجَّةٌ لَكُمْ عَلَيَّ وَحُجَّةٌ لِي عَلَيْكُمْ بِمَا بَلَّغْتُمْ.

فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ تَحْتَ الطَّاعَةِ وَجَعَلَ نَفْسَهُ وَاحِدًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَتَنَزَّهَ بِنَفْسِهِ الشُّفَافَةَ عَنِ الْقَبَائِحِ لَا يَجْعَلُ لِنَفْسِهِ مِيزَةً عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ فِي هَذَا الْوَقْتِ. وَكُلُّهُمْ وَاحِدٌ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ. وَإِنَّمَا تَتَفَاضَلُ أَهْلُ الدِّينِ فِي هَذَا الْوَقْتِ بِمَا حَفِظُوهُ مِنَ الْحِكْمَةِ وَعَمِلُوا بِهِ وَبِأَفْعَالِهِمُ الْجَمِيلَةِ إِلَى إِخْوَانِهِمْ وَالطَّاعَةِ لِمَنْ أَمَرَهُمْ بِطَاعَةِ وَلِيِّ زَمَانِهِمْ.

فَمَنْ كَانَ مِنْ جِهَةِ الْعَبْدِ الْمُقْتَنَى مِنْ جَمِيعِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ
مَنْصُوبِينَ مَعَكُمْ وَلَا يَقُولُونَ إِنَّ لَهُ عَلَى أَحَدٍ أَمْرًا وَلَا فَضْلًا وَلَا مِيزَةً وَلَا نَهْيًا
فَهُوَ أَخٌ مِنْ إِخْوَانِكُمْ.

وَمَنْ لَمْ يَقْبَلْ هَذَا الشَّرْطَ وَلَا يَدْخُلْ تَحْتَ هَذَا الْأَمْرِ فَهُوَ مُخَالِفٌ
مَلْعُونٌ، وَأَكْثَرُهُمْ إِنَّمَا دِينُهُمْ كُلُّهُ طَلَبُ الْفِسْقِ وَالْإِبَاحَةِ. فَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَمَرَهُمْ
بِذَلِكَ وَلَعَنَ مَنْ أَصْلَهُ لَهُمْ وَرَضِيَهُ مِنْهُمْ.

فَهَؤُلَاءِ دَعَاءُ الْفِتْرِ وَالتَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِالْبُعْدِ مِنْهُمْ، وَالتَّبَرُّي إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى مِنْهُمْ وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ. وَمَنْ يَقُولُ بِقَوْلِهِمْ، فَهَؤُلَاءِ أَبْوَابُ السُّخْطِ وَلَيْسُوا
هُمْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ، لِأَنَّهُمْ فَسَقَةٌ وَهُمْ الَّذِينَ قَتَلُوا الْحَقَّ وَأَهْلَهُ.

وَقَدْ قَدِّمْتُ لَكُمْ فِي بَعْضِ سَنِينَ ذِكْرَ هَذَا الْوَقْتِ فِي الرِّسَالَةِ الْمَعْرُوفَةِ
بِالْحَقَائِقِ^(١)، وَهِيَ عِنْدَ جَمَاعَةٍ مِنْكُمْ، وَتَارِيخُهَا مَشْهُورٌ. فَانظُرُوا تَجِدُوا فِيهَا
صِفَةً هَذَا الْوَقْتِ وَصِفَةَ أَهْلِهِ. وَهَذَا بَعْضُ مَا ضَمَّنْتُهُ فِي آخِرِهَا، وَهُوَ:

أَيُّهَا الْإِخْوَانُ فَاعْتَنِمُوا زَمَانَ الْإِمْهَالِ، وَتَقَرَّبُوا إِلَى وَلِيِّكُمْ بِصَالِحِ
الْأَعْمَالِ، قَبْلَ طِيِّ الصَّحَائِفِ وَجَفَافِ الْأَقْلَامِ، وَغَلَقِ أَبْوَابِ الرَّحْمَةِ وَخَتْمِ
الْأَفْوَاهِ وَقَطْعِ الْكَلَامِ، وَقَبْلَ فَتْحِ أَبْوَابِ السُّخْطِ عَلَى مَنْ بَارَزَ بِالْعِنَادِ
وَالنَّتِيقَامِ. فَهَذِهِ أَوَائِلُ الْعَلَامَاتِ لِقِيَامِ الْحَافِظِينَ الْأَشْهَادِ، وَأَبْوَابِ الْآيَاتِ لظُهُورِ
النَّبَأِ الْعَظِيمِ الْهَادِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَانُ قَدْ أْبْلَغْتُ لَكُمْ فِي الْمَوْعِظَةِ وَالنَّصِيحَةِ، وَبَيَّنْتُ وَأُرَشِدْتُ
بِالْبُرَاهِينِ الْمُقْنَعَةِ الصَّحِيحَةِ، وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ. وَالتَّوَكَّلْ عَلَى
وَلِيِّ الْحَقِّ وَبِهِ أَسْتَعِينُ.

وهذا الكتاب فهو إنذارٌ لكم أيّها الإخوانُ ولجميعٍ مَنْ قُرئَ عليه ممّنْ يطلبُ مسلكَ الحقِّ، وإقامةَ الحجّةِ على مَنْ سَمِعَ هذا البيانَ وأُرقيَ إليه معناه من جميعِ الخلقِ. فلا يُحِلُّ لكم الدّعيُّ ويقولُ إنّ فلانَ قد هلكَ وانتقلَ.

واعلموا أنّ الذي سَوَّغَ لكم قَتْلَ أهلِ الحقِّ هو هذا المارقِ الكذابُ، وهو وهم يهودُ هذه الأُمّةِ، لأنّ النواصبَ^(٢) خيرٌ منهم، لأنّ النواصبَ قَتَلُوا بالجهلِ للمؤمنينَ، وهؤلاءِ الأنجاسِ قَتَلُوا بالمعرفةِ للموحّدين، ولم أذكرْ لكم أنّه لم يبقَ لأحدٍ أمرٌ غيره والمؤمنونَ يتفاضلونَ بأعمالِهِم، وما أفاضوه من الخيرِ إلى إخوانِهِم. فلا اعترضَ معترضٌ ويقولُ كيفَ يَبقى العالمُ بغيرِ أمرٍ ولا مأمورٍ.

فهذا الوقتُ الذي قيلَ فيه يكونُ القابضُ على دينِهِ كالقابضِ على الجَمَرِ ويُفَرُّ المؤمنُ بدينِهِ من شَاهِقٍ إلى شَاهِقٍ، ومن داعٍ إلى داعي، وأيُّ داعٍ في ذلكَ الوقتِ سادِقٌ. ولم يُقالَ هذا من عَوَزِ أشخاصٍ هؤلاءِ المدّعينَ، وإنما قيلَ هذا لِقَلّةِ السادقينَ، وكثرةِ العصاةِ المارقينَ. وهو هذا الوقتُ.

وفي نصوصاتِ الحقِّ أنّ القائمَ إذا ظهرَ، أوّلَ ما يَقْتُلُ القائلينَ به قبلَ المخالفينَ لأوامرِهِ، وهم هؤلاءِ الفسقةِ القائلينَ به بالسنتِهم المخالفينَ لأوامرِهِ التي جَرَتْ على لسانِ حدّهم وقبليّتهم

واعلموا أنّ اللهَ تباركَ وتعالى قد أقامَ عليكم حجّةَ العيانِ، إذ لم يُعِدْكُمْ مَنْ يُعَرِّفُكُمْ مجاريَ الزمانِ وأوقاتِ الفراغةِ الأوباشِ الطُغيانِ، وما بقيَ لكم عندنا مكاتبَةٌ ولا أمرٌ آخرٌ سوى ما هو مدروّجٌ في هذا الكتابِ، إلّا أنّ يحدّثَ مِنْ صاحبِ الأمرِ حالٌ فيكونُ ذلكَ خارجاً عن كلامِ المخلوقينَ بعدَ أن جَرى على الشيخِ الفاضلِ مِنَ الغيبةِ وعلى الإخوانِ، وإنما العتبُ في ذلكَ

الوقت على أولاد الحرام الأوباش الاغتام، الذين يُجازيهم عليه الله وأحلّ اللعن عليهم في كل أدوار الأيام، ولمن أصل لهم هذا الحال، وجميع من يتبعه على الجهل والضلال. فارتفعوا معنى هذا الكتاب لكل من ذكر أنه يطلب نجاة نفسه في ستر من الثقات لئلا يقوم عليكم من يرى أن له أمراً ونهياً.

فقد بيضت لكم القول فيه وطرحنا الإعراب فيه والتسجيع وجعلناه كحديث بعضكم لبعض، لئلا يقول قائل إنه لم يفهمه وليس في الدين إكراه ولا إجبار وإنما هو عرض على الأمم واختيار.

واعلموا أن الله إذا أراد بقوم سوءاً فلا مرد له، وإذا أراد الله هلاك قرية وأمر مترفيها ففسقوا فحق عليهم العذاب^(٣). وهؤلاء الفسقة إنما أراد الله تعالى كشف عوارهم بإظهار قتل عمّار، رحمه الله ما كانوا يستروه من خبث اعتقاداتهم النجسة ليبيّنوا بالفسق والظلم، فيكونوا على ألسن جميع الأمم ملعونين، وليعرف إنذارهم قبل يوم القيامة لجميع المؤمنين، وليعلموا أن الله لا يظلمهم فيما جرى، وليتحققوا الكافراً أنهم في جميع ما أظهره من القول ملبسين.

وقد وصل إلينا من جهات كثيرة أن الخائب، لا أوجده الله رحمة، أنفذ ابن تميم، لعنه الله ولعن من أرسله، إلى الضيعة يأمر بقتل عمّار، رضي الله عنه. والأخبار من دمشق وجميع الجهات مقنعة على أنه أوبقه الله بأعماله هو الذي أمر بقتله. وبالله ما قتله وإنما قتل من أرسله لو وجد إلى ذلك سبيلاً.

فهذا وأمثاله أخبث من ولى على أهل الحق لأنه لا دين له ولا فهم.

ولا حق يُعرف ولا علم. وكذا من معه وبناحيته، كلهم يعرفوا فدأمته^(٤)، وإن مُصعَبُ المتقدم عليه، وكان يُجرَّعُهُ غَصَصَ الشَّجَا، وما حضروا في موضع إلا وكان مُصعَبُ المتقدم عليه وهو اللَّكْنُ من وراء. فلَمَّا شكا إلي ذلك كاتبتُ مُصعَبَ وأضعفتُ قِوَاهُ، وسَلَّتُ عليه سَيْفَ العَدْلِ فارعوى للحق لما قهره بما سمِعَهُ ورآه. وأيُّ قَدْرٍ لهذا الفاجر وهذا المارق المرتاب الكذاب. وإنما يقتل الشيخ الطاهر ذي النفس الزكية يحقُّ عليه النكال والعذاب، والبراءة إلى الله وإلى وليه من هذا النجس ومن كل من يتبعه ويهوى هواه. فلعنهُ الله عليه وعلى أشباهه وأسبابه ما عكف ظلام الليل وبرق صبحُ النهار وارتفع ضحاه.

واعلموا أن هذا الوقت لا يستتر على أحد مَقَالاً، ولو اجتهد في ستره وأخفاه، ولم يزل محمد العكاوي لعجزه متمسكاً بمكاتبتة طول أيامه، ثم أتى بالكذب في جميع منطقته وكلامه، جرياً على مشاكلة الخائب بالذي يُشبهه، وفضائحِهِ وذِمَامِهِ.

وأما أبو جُمعة فهو الفسل الأول والرذل الأَرذل. قد نصَبَ نفسه للغواية واللهو في الدين بشهادة الكذب والزور، ولم يفهم من سيده سوى القبيح الذي يشاكله في الفسق والفجور. وهذا هو العلم الذي أخذه هو وأمثاله عن رئيسهم الضال اللعين المبتور. فالله يلعن فاعل ذلك والأمر به ولا يوجده رحمة يوم العرض والنشور.

واعلموا أيها الإخوة أن الحق باب ظاهر قاصد وسبيل واضح وإخوان، والباطل طريق خشن وعرة وأبالسة وشياطين وأعوان. فاخترُوا لنفوسكم ما أردتم من الجهتين، وكونوا مع من اخترتم من الفئتين.

(٤) من القدم هو «الغبي الثقيل القليل الفهم الاحمق الجافي الغلط» (الدرر المضية).

وأنا استودعُ الشيخَ وجميعَ الإخوة الأطهار لله، واختصُّهم بأتمِّ التحيَّة وأطيبِ السلام. وأنا إلى وقتي هذا مقيمٌ بشاطئِ البحرِ المالح. وأنا في يومي هذا راكبًا إلى أنطاكية هاربًا من سِمَاعِ هذه الفضائح. والحمدُ لله كما هو أهله، وصلواته على رسوله، السَّادِقِ الأمين، وسلامه على أهله الطاهرين. وهو حسبي ونعمَ النصيرُ المعين.

ووصلَ هذا الفصلُ بعدَ أنُ كتبتُ هذا الكتابَ بِفَيْحٍ قاصِدٍ، وهو يا إخوة، إن كنتم في قديمِ أمرِكُم تتحقَّقونَ أنَّ طاعتكم لمسعودٍ طاعةٌ حقٌّ ودينٌ حقٌّ، وأنَّه جاءكم عن أصلٍ حقٍّ، وأنَّ الذي نَصَبَه لم يَخْتَرِصْ باطلاً، وأنَّ دينكم خالصٌ لله وحده لا شريكَ له ولولِيَّه، وأنَّ مسعودَ واسِطَةً بينكم وبينَ مَنْ أرسله إليكم، وليسَ هو من قِبَلِ نفسِه ولا من قِبَلِ أحدٍ غيرِه ممَّن تَعْرِفُونَه وتَعْلَمُونَه.

فيجبُ عليكم أن تَعْلَمُوا أنَّ طاعتكم له في هذا الوقتِ بعدَ عصيانه الَّذي تَتَحَقَّقونَ أنَّه نَصَبَه وجعلَه عليكم خِلافًا ومعصيةً لله تبارك وتعالى لأنكم تَعْلَمُونَ أنَّ الذي نَصَبَه لو أراد أن يَنْصِبَ غيرَه من قِبَلِه لفعلَ ذلك، ولم يكنْ لأبي مسعودٍ ولا لغيرِه أن يعترضَ فيمَن نَصَبَهُ.

فقد ثَبَّتَ أنَّه متى طَلَبَ الطاعةَ له بغيرِ أمرٍ ممَّن نَصَبَهُ فقد خَرَجَ عن الحقِّ. ومتى ما أطعتموه فقد خَرَجْتُم عن الحقِّ، وليسَ الدِّينُ بالمُغَالَبَةِ ولا بالمُكَايَرَةِ ولا بالعصبيَّة. وهذا عندنا عاصٍ معلون، وأنتم فيه مخيرون. ونحنُ منه ومن جميعِ مَنْ يَتَّبِعُه بريئون.

وجميعُ ما كتبناه وذكرناه في هذا الخائبِ فليسَ هو بتبليغٍ جاءنا عنه من غيرِه، وإنما ذكرنا لكم ما وافقَ هو عليه بشهادة الجماعةِ الحضور.

وَأَمَّا مَا بَلَّغْنَا عَنْهُ فَهُوَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى مِنْ إِقْطَاعِهِ لِأَصْحَابِهِ
الضِّيَاعِ وَالْمَدَنِ وَدَوْرَ النَّاسِ وَأَصْحَابِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَأَنَّهَا ثَابِتَةٌ لَهُمْ. وَهَذَا
شَيْءٌ خَارِجٌ عَنْ أَحْوَالِ الدِّينِ. وَقَبِيحٌ ذِكْرُ هَذَا وَأَمْثَالِهِ وَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. وَإِنْ
أَنْتُمْ رَدَدْتُمْ فِي هَذَا الْقَوْلِ إِنَّمَا تُغَالِطُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَظْلُمُونَهَا .

وَقَدْ أَعَذَّرَ مَنْ أَعَذَّرَ وَأَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ مَخِيرُونَ، وَمَا عَلَى الرَّسُولِ
الْنَّاصِحِ سِوَى الْبَلَاغِ الْمُبِينِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَبِهِ اسْتَعِينُ.

تَمَّ تَوْبِيخُ الْخَائِبِ، وَالْحَمْدُ لِمَوْلَانَا وَحْدَهُ، وَالشُّكْرُ لَوْلِيهِ عِبْدِهِ.

توبيخ ابن أبي حصية

إبن أبي حصية هو أخو الشيخ أبي المعالي من أمه، أصله من عيحاء. مال عن أخيه نحو غنّام جارّه، وحمل معه أوزارّه. ومال إلى بدعة سكّين وإباحة محلاً، فاختلف مع أخيه، ورحل إلى مكان بين عيحاء وكفرقوق، وهو يظنّ بأنّ جماعة تتعصب معه، ولكنّ أحداً لم يبال به، فعاد إلى كفرقوق ومات فيها. وله فيها مزارٌ وجماعة تُنسب إليه وتسمّى بالحصوية (عن الدرر المضية). كتب هذا التوبيخ بهاء الدين، وموضوعه تحذير الموحّدين من المنكرات التي حرّمها حمزة والمقتنّى في الرّسالتين: القاصعة للفرعون الدّعيّ رقم ٦٤، وأبي اليقظان رقم ٦٥. يبدو بهاء الدين هنا طبيباً ملماً بالأمراض والأدوية...

بسم الإله المُمضي لأمره وإرادته، إذا أحبّ بمشيئته وكلمته، أطال الله بقاء الشيوخ الحفظة الأطهار، والجماعة الفاضلة الأخيار. قد اتّصل بنا عن الجماعة المنتسبين إلى الدين والإيمان، ما هم عليه من الاستكبار والخلاف والنقص البين الرّجحان، وما قد اجتمعوا عليه وأوثغوا به الدين من الإباحة والفسق في جميع البلدان، وردّهم لما تكرّر القول بالنهاي عن هذه القبائح اللاتقة بأهل العناد والطغيان، وإهمالهم للقاصعة للفرعون الدّعيّ وما صدر من الثّلب لمنّ أهمل كتاب الشيخ الثّقة الشهيد أبي اليقظان وما كرّره ابن أبي حصية المارق أبعد الله، ودكّر به في هذا الوقت جميع مقاطن

آل عبد الله وآل سليمان، وما هم يسبّحون فيه من الضلال والخلاف والفساد اللاتق بمثله من الكذبة الأجلاف الأوغاد.

وقد اشتهر أنه جعل أهل البستان وغيرهم إفرأقا وأشياعا، وملاء أوعيتهم بنجسه شكًا وجعلهم للأبالسة أصحابًا وأتباعًا، وأنه ينفرد بمن استهواه من الطهرة المؤمنين مثل فرج ابن سعد الله وأمثاله من الأخيار الطاهرين، ويؤمّوهم عليهم أنه يفتح لهم ما لم يصلوا إليه من الدين، ويزخرف لهم الكفر الخارج عن الحق مما قد ثبت إبطاله في القاصعة للفراغة المدعين، ويستغنى عن ذكره هاهنا بالبرهان، الذي أحرص السنة الاغتنام المباحيتين، وقد جعل ذلك المارق سلماً للفسق ونيل الحطام، إجترأً على الباري تعالى ودحضاً لمعالم القائم الهادي الإمام. فاعرفوا فسقه فقد ظهرت أفعاله ومخازيه، والله يجعل فضيحة أعداء الحق ويجازيهم على قبيح ما ارتكبوه ويجازيه.

وهذه الصحيفة التي أصدرت إلى الجبل نهياً للشرذمة عما من القبائح ركبوه، وتضليلاً لأفعالهم وأفعال من تأسّم بها فيما اختلقوه على أهل الحق وتكّبوه. وقد أصدرتها إليكم، وهي لازمة بجميع ما اشتملت عليه من البعد واللّعن لكل من تأسّم بهذا الدين إن استجازوا شيئاً مما أترفت فيه هذه الشرذمة من القبائح واستحلّوه، اتّباعاً لسُنن فراغة الأدوار، وأتباعهم الغلاة المارقين، وجرياً على ما أثرهم لإضلال العالمين. وقد أصدرتها إلى جميع شيوخ أهل البستان، عظة لهم وحجة عليهم وعلى جميع آل عبد الله وآل سليمان. وهي:

باسمك اللهم مالك الأمر، الإمام العدل قائم الزمان والعصر، إلى العُصبة الجاحدة المنكرة العمية عن الحق بعد المعرفة والتبصرة، الذين عكستهم إلى المسوخية مقدمات الأعمال، والفيئة المهينة الخارجة عن الحق

والعدل بعد العلو إلى الانخفاض والانسفال، الذين عَمِهَتْ قُلُوبُهُمْ فهِمَ عَنْ الْحَقِّ مُعْرِضُونَ، وَعَنْ مُوبَقَاتِ الرِّذَائِلِ لَا يَنْزَجِرُونَ، اتِّبَاعًا لِنَعَقَةِ شَيَاطِينِ الْفِتْرِ لِمَيِّزِ الْبَاطِلِ مِنَ الْحَقِّ، وَأُوبَاشِ الْأَمَمِ وَعُكُورَاتِ هَذَا الْخَلْقِ، الَّذِينَ سَوَّلَتْ لَهُمْ نَفُوسُهُمْ مَا أَلْفَتَهُ فِي الْقَدَمِ مِنَ النَّفَاقِ وَالْعُنُودِ وَالْفِسْقِ، فَهِمَ لَا يَرْتَدِعُونَ بِمَوَاعِظِ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَلَا يَنْزَجِرُونَ عَنْ مَقَابِحِ الْأَدْعِيَاءِ لِمَمَازِجَةِ نَفُوسِهِمِ لِلنَّجَسِ وَالْفِعْلِ الذَّمِيمِ.

فهي كَلِيلَةٌ عَنْ حَمَلِ الْحَقِّ لِمَرَضِهَا وَإِبْطَاقِهَا، تَتَصَوَّرُ بِهَوِيَّتِهَا مَا انْغَمَطَتْ فِيهِ فِي الْأَزْمَانِ الْغَابِرَةِ مِنْ مَقَابِحِ نَجَسِهَا وَنَقُصِ مِثَاقِهَا، قَدْ أَلْفَتْ لِبَاسِهَا مُقَارَنَةَ شَيَاطِينِ الْأَدْوَارِ، وَامْتَزَجَتْ أُرُوحُهُمُ بِالشَّطَنِ عُنُودًا لِأُثْمَةِ الْأَعْصَارِ، فَهِمَ لَا يَرْجُونَ آخِرَةَ وَلَا ثَوَابًا، وَلَا يَتَحَقَّقُونَ لِلْحَقِّ رَجْعَةً وَلَا إِيَابًا، قَدْ سَلَبَتْهُمْ الْفِتْرَةُ عَقُولَهُمُ وَالْبَابَهُمْ، وَأَنْسَتْهُمْ طَاعَةُ الْأَبَالِسَةِ حُدُودَهُمْ وَأَبْوَابَهُمْ.

فيا أَيُّهَا الْعُصْبَةُ الضَّالَّةُ، أَمَا لَكُمْ فِيمَا وَصَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ مُعْجَزِ حِكْمَةِ وَلِيِّ الزَّمَانِ عَلَى يَدِ عَبْدِهِ مُعْتَبَرٍ؟! يَا وَيْكُمْ أَقَمَّا أَنْعَضْتُمْ بِمَا حَفِظْتُمُوهُ مِنْ مُحْكَمِ آيَاتِ التَّوْحِيدِ وَأَسْفَارِ الزَّبْرِ، فَيَا هَؤُلَاءِ! أَيْنَ عَنِ الْحَقِّ تَذْهَبُونَ؟ وَبِأَيِّ دِينٍ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ عَلَى الْقَبَائِحِ تَتَدَيَّنُونَ؟ لَمْ يَأْتِكُمْ صَاحِبُ عِلْمٍ وَفَهْمٍ غَلَبَكُمْ بِقَوْلِهِ فَيُطْغِيَكُمْ، وَلَا وَصَلَ إِلَيْكُمْ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِمَّا عَلِمْتُمُوهُ فَيُخْذِعُكُمْ بِعِلْمِهِ وَيُرْدِيكُمْ، وَلَا جَاءَكُمْ صَاحِبُ دُنْيَا فَيُلْهِيكُمْ بِهَا وَيُغْوِيَكُمْ. فَانْتُمْ نَسِيتُمْ أَصْحَابَ أَبِي جَوْفٍ وَقَدْ رَجَعَتْ أَسَافُكُمْ أَعَالِيَكُمْ.

فَانظُرُوا مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَيْسَ لَكُمْ فِيهِ عِلَّةٌ سِوَى الْإِفِّ نَفُوسِكُمْ لِأَوَامِرِ الشَّيَاطِينِ، وَانْصِبَاغِهَا بِالْجَهْلِ وَالْخِلَافِ لِتَشْتَهَرَ بِمَا انْفَرَدَتْ بِهِ مِنَ الْفِسْقِ فِي يَوْمِ الْعَرْضِ وَالْدِّينِ، وَإِلَّا فَبِأَيِّ حُجَّةٍ تَحْتَجُّونَ. وَفِي أَيِّ مَعْلُومٍ وَصَلَ إِلَيْكُمْ تَشْكُونُ. قَاتَلَكُمُ اللَّهُ فَانْتُمْ الظَّالِمُونَ.

وقد اتَّصلَ بنا أنَّ مُحَلًّا هو السَّبَبُ في هذه البدعةِ والشَّناعةِ الكبرى، فلا أَعْلَا للهِ لَهُ قَدْرًا ولا أَنْفَذَ لَهُ أَمْرًا، ولا طَوَّلَ لَهُ عَمْرًا، إِلَّا لِلْعَذَابِ والخِزْيِ والنِّكَالِ، وجعلَه في جُمْلَةٍ من استَفَزَّوه عن الحقِّ من الأَدعياءِ الفَسَقَةِ الأرذالِ.

فما بقيَ لكم عندنا يا أوباشَ الأممِ بعد هذه مَوْعِظَةٌ ولا كِتَابٌ، وقد تَقَطَّعتْ بيننا وبينكم الوصائلُ والأنسابُ. أَجْرَيْتُمْ إلى هذه القَبائِحِ بعد وقوفِكُمْ على ما خَرَجَ به النِّهيُّ عَمَّا أَحَدَثْتُهُ المرتدُّونَ لجميعِ الشَّيَاطِينِ في الكِتَابِ المنفَذِ إلى قَسِيمِ التَّوْحِيدِ والتَّسْديدِ، الثِّقَةِ الأَمِينِ، وبعد وقوفِكُمْ على القاصعةِ للفراعنةِ المدَّعينِ تناسَيْتُمْ معالِمَ الصِّيَانَةِ والدِّينِ المَحْمُودِ، ووقفتُمْ على العصيانِ والكُفْرِ واللَّدِّ والجُحُودِ. فَأَيُّ مَسَلِكٍ لِلْفِسْقِ وجدْتُمْ فَادْخُلُوا، وَأَيُّ حُرْمَةٍ لِلدِّينِ أَصَبْتُمْ فافْعَلُوا. فقد أَظهَرْتُمْ عِنَادَ أَهْلِ الدِّينِ والحقِّ، وشهَرْتُمْ سيوفَ الباطلِ على جميعِ الخلقِ.

فافهموا ما جاءَ في حِكْمَةِ القائِمِ الإمامِ، سلامُ اللهِ على ذِكْرِهِ، يعني مَنْ رَكِبَ أَفْعَالَكُمْ في ذِكْرِ المَسْوَخِيَّةِ في التَّذْكِيرِ والتَّسْنِيثِ، وَشَرَحَ حَالَ مَنْ يَدْعُو إلى حَلِيلَتِهِ غَيْرِهِ وهو الجَرِيثُ^(١). فَقَالَ والجَرِيثُ مِنْ دِيَانَتِهِ^(٢) وَوَسَاخَةَ نَفْسِهِ يَدْعُو غَيْرَهُ إلى حَلِيلَتِهِ لِضَعَةِ نَفْسِهِ لِيُسَاوِيَهَا في نَجْسِهِ وَقُبْحِ رَذِيلَتِهِ، فَالِدِّيَّاتُ فَضَائِحُ في العَوَالِمِ، وَمُقَنَّنُونَ في العَاجِلِ بِمَلَابِسِ العَارِ وتَنكِيسِ العِمَائِمِ، وفي الأَجَلِ خَزَايَا مَعَذِّبُونَ، بما احتَقَبُوهُ من عَظِيمِ المَأْثَمِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ في ذِكْرِ العَوَاهِرِ المتَبَرِّجَاتِ اللواتي أَطْعَنَ أَهْلَ الفِسْقِ والخِيَانَاتِ، اللواتي خَرَجْنَ عَن حَقَائِقِ الدِّيَانَاتِ، اللواتي قَدْ مُسِّخُنَ وَهَنَ

(١) حَلِيلَةُ: الزَّوْجَةُ. الجَرِيثُ: صَنَفٌ مِنَ السَّمَكِ النُّهْرِيِّ شَبِيهِ بِالْحَنْكَلِيسِ.

(٢) الدِّيُوثُ هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي لَا غَيْرَةَ لَهُ وَتَدْخُلُ الرِّجَالُ عَلَى حَرَمَتِهِ وَيَرَاهُمْ ...

غافلات، فهو. وأما الأرنبُ فامرأةٌ تعمَّدتْ بعَلَّها بالخيانةِ والبَلَسِ، فهي،
لوسخِ نفسِها وعظيمِ محنتِها، لا تَطْهَرُ مِنَ الْحَيْضِ وَالنَّجَسِ، وتدخلُ بيوتَ
اللهِ بِاللَّعْنَةِ وَقَذَارَةِ النَّفْسِ.

فهذه في الحكمةِ صفاتُ الفَسَقَةِ الْمُلْحِدِينَ الخارجين، عن الحقِّ
وحقيقيَّةِ الدِّينِ، والحقُّ أَعْفَى للأولياءِ المسلمين، والسَّفَهُ أُولَى بأهلِ الرِّدَّةِ
الفَسَقَةِ الغاصبين.

وأما مَنْ كَانَ مِنَ الزُّمَرَةِ الْمُحِقِّينَ الطَّائِعِينَ، وفي جملةِ مَنْ أَخْلَصَ مِنَ
المُوحِّدِينَ الطَّهَرَةِ الموقنين، المعترفين بتوحيدِ المولى الإلهِ الحاكمِ الجَبَّارِ،
المنتقمِ بوليِّه الهادي من أَهْلِ الْخِلَافِ والعنادِ والإصرارِ، المتدينين بِإِمَامَةِ
الهادي القائمِ لنجاةِ الأُمِّ في الأدوارِ والأكوارِ، المتحقِّقين أَنَّ المقتنى عبْدَهُ
الضعيفُ الصغيرُ بِالإضافةِ إِلَى مَنْ سَبَقَهُ مِنَ الحدودِ العالِيَةِ ذِوَاتِ الشَّرَفِ
وَالْأَنْوَارِ.

فليكرِّمُ نفسَه بِالإنكارِ لقبائحِ هؤلاءِ الأَجْلَافِ الطُّغَامِ، وليتبرَّأَ مِنْهُمْ
وَيُلْزِمُهَا المَحَافِظَةَ عَلَى حِكْمَةِ الْقَائِمِ الهادي الإِمَامِ، وَيَتَمَيَّزُ بِلُطْفِ نَفْسِهِ عَنْ
أَهْلِ الْفُسُوقِ وَمَسْوَخِ أَحْلَامِ الْأَنْعَامِ، وَلَا يَخْتَلِطُ بِهِمْ فِي قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ. فهذه
العِصَابَةُ وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِمْ أَهْلُ النَّجَسِ وَالنِّفَاقِ وَالسَّفَهُ وَالْجَهْلِ، قَدْ طَمَسُوا
مَعَالِمَ الدِّينِ بِالْوَسَاخَةِ وَالْقَبَاحَةِ وَالْفَسَادِ وَالْخُرُوجِ عَنِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ. فَاللَّهُ
يُقْصِيهِمْ وَيَلْعَنُهُمْ كَمَا اخْتَلَقُوا فِي الدِّينِ مَا لَيْسَ فِيهِ، وَأَقَامُوا الْفِتْنَ بَنَجَسِهِمْ
عَلَى أَهْلِ الطَّهَارَةِ حَدُودِهِ وَأَهْلِيهِ. وَأَضَافُوا إِلَيْهِ نَجَسَ أَهْلِ الرِّدَّةِ أَضْدَادِ الْحَقِّ
جَدَّةِ حِكْمَتِهِ وَأَعَادِيهِ.

وَأَنَا اسْتَوْدِعُ أَهْلَ الْوَرَعِ وَالطَّاعَةِ وَالصِّيَانَةِ وَمَنْ تَابَ وَاعْتَرَفَ
بذَنْبِهِ لِلَّهِ الْقَاضِي لَوْلِيَّهِ بِالْغَلَبِ وَالْفَلَجِ، وَمُنَّجِي أَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ
وَمُخْرِجُهُمْ مِنْ ضَيْقِ الْإِبَالِسَةِ إِلَى سِعَةِ الْعَدْلِ وَالْفَرَجِ، وَهُوَ حَسْبُ عَبْدِهِ

الضعيفِ المقتنى السالكِ طريقَ الحقِّ السهلةِ الدَرَجِ، وهو المُخزي لمن مالَ إلى الباطلِ الطريقِ الصعبةِ العِوَجِ.

وقد عَلِمَ اللَّهُ تعالى في ملكوته وَعِزُّ جبروته أَنِّي أُوثِرُ لإخوتي الشيوخ، ثَبَّتَهُمُ اللَّهُ على الطاعة، وجماعةِ شيوخِ آلِ عبدِ اللَّهِ، أَفْضَلَ المنازلِ، وَأَتَوْسَلُّ إلى وليِّ الحقِّ أَن لا يُبْعِدَهُم عن المحلِّ القريبِ وَيُسَهِّلَ عليهم أَلْفَ المراحلِ، أَعْنِي الشَّيْخَ الطَّاهِرَ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، وسلامةَ ابنِ حَسَنَ، وحمزةَ ابنِ مُحَمَّدٍ، وحَسَنَ وَوَلَدَهُ حُسَيْنَ، وجماعتَهُم أَهْلَ السِّدْقِ والوفاءِ بالحقِّ والتواصلِ، وشيوخِ آلِ عبدِ اللَّهِ الطَّهْرَةِ: رَجَا وإِبْرَاهِيمَ وعبدَ اللَّهِ وحسينَ وإِبْرَاهِيمَ أيضاً، وَمَنْ بحوزَتِهِم وينتمي إليهم من أَهْلِ السِّدْقِ والدينِ والفضائلِ.

وَأَنَا أُعَلِّمُ جماعتَهُم، أَكْمَدَ اللَّهُ أَعْدَاءَ الحقِّ، أَنَّ العالَمَ على سَفَرٍ قد حَثَّ مُجِدِّونَ، وهم غافلونَ، وعلى شَفَا جُرْفٍ مِنْ أَعْمَالِهِم وهم في سكرتهم يعمهونَ؛ وهذه التذكرةُ فهي لجماعةِ الشبابِ الذينَ قد مَرَدُّوا عن الحقِّ وهم لا يفقهونَ. وقد صَحَّتْ عندنا أَنسابُهُم بالعصيانِ والأسماءِ والصفاتِ، وهم بمعزلٍ عن الحقِّ بالباطلِ مُغْرَمُونَ، لأنَّ لم ينتهِ المُرجِفُونَ والمنافِقُونَ عن إخافةِ سبيلِ اللَّهِ الحرامِ، وَجَرَّ المِحْنَ على أوليائِهِم بالعَيْثِ اجتراءً على المناكرِ والأثامِ، وتجهُّماً على سَخَطِ الباري بالإقبالِ على العصيانِ والإقدامِ.

فَلَنَدْعُوَنَّ الباري عليهم لِظُلْمِهِم لِحُجَجِهِ وَبَيِّنَاتِهِ، ونبتهلُ إلى جبروته بحدودِ دينِهِ وآيَاتِهِ، أَن يَقْصِمَهُمْ كما قَصَمَ جبابرةَ عادِ المترفينَ، وَأَن يُلْحِقَهُم بأعمالِهِم مَعَ مَنْ خَرَجَ عن الطاعةِ من أبالسةِ الدينِ، وَمَنْ عادَ فلينتقمِ اللَّهُ منه كما أَنَّهُ لا يُضِيعُ أَجْرَ المحسنينَ.

وَأَمَّا ما ذَكَرَهُ الشَّيْخُ الطَّاهِرُ من انتزاعِهِ عن موطنِهِ ومقرِّهِ، فَإِن كان فَعَلَ ذلك اعتفاءً مِمَّنْ تقدَّمَ ذَكَرُهُ مِمَّنْ سَهَى عن الحقِّ واكتفاءً لشرِّهِ، فاكتبْ

إلى جهننا في الترتيب بأسماء من مَرَدَ على النفاق، وبَيْنَ بالسفَه والخلاف والشقاق، لِنُضَيِّفَهُمْ إلى أسماء هؤلاء المترفين، أعني الأشقياء: بركات وموسى ومزاحم والشمالي ونصر ومظفر الشاك الظالم، فقد ثَبَّتْ أسماءهم مع من أَفَكَ مِنَ المتمردين واستولى الشيطانُ على قلبه ولُبِّه، وخرج من جملة المؤمنين، ليحلَّ عليهم العذابُ مع الغاصبين.

وأما ما ذكره الشيخ الطاهر من أمر ولده كَلَاهُ الله وهَبَ عافيته، فقد يَحْتَاجُ إلى معرفة مَطْعَمِهِ ومشْرَبِهِ، وهل الخلطُ واغْلُ في تجويف المَعْدَةِ أو في الخَمْلِ^(٣) ويحتاجُ أيضاً إلى مشاهدة العيان لِيَسْمَعَ قوله فيما يَجِدُهُ ليعطى الدواء المُنْجِعُ في تمام الفصل. فلو جَعَلَهُ زائراً لنا مع ثِقَةٍ لَكَفَلْنَاهُ. والله بِمَوْضِعِهِ يُسَهِّلُ عَافِيَتَهُ ويقدمُ له وللجماعة الخيرة فيما له ولكافئهم أردناه.

وأما ما ذكره الشيخ الطاهر وشيوخ آل عبد الله الطَّهْرَةَ من إثبات الحساب فلم يُعَيِّنَاهُ الإخوانُ في رسالة موصوفة، وإنَّ ذلك اشتَبَهَ عليهما ولم يؤدِّيا عنه صفة معروفة، وقد كُنَّا أَنْفَذْنَا حِسَاباً إلى بعض المواضع النائية الشاسعة، ما لم يَخْرُجْ مِنَ الْقُوَّةِ إلى الفعلِ إِلَّا مِنْ بَعْدِ الْعَشْرَةِ والسنة والتاسعة، وقد أثبتناه من نَسَخَتَيْنِ لآلِ عَبْدِ اللَّهِ وآلِ سُلَيْمَانَ مَتَّفَقَاتٍ، وجعلناه قُلْعاً لمباني المختَرِصَاتِ، وحُسَاماً مُجَهَّزاً على نفوسِ العوالمِ بأعظم البراهين والدلالات.

وأنا أَخَصَّ الشيوخَ الطَّهْرَةَ أعني آلَ عَبْدِ اللَّهِ وآلِ سُلَيْمَانَ بِأَتَمِّ التَّحِيَّةِ، وَمَنْ بحوزَتِهِم من الصغير والكبير بالنعمة المرضية. وإنما جمعتهما أعني الجماعتين في نُسخة مُفْرَدَةٍ لِأَنِّي جمعتُهما في الطاعة وأفعال الخير

(٣) واغل: داخل. الخمل: الضعف عامة.

كنفسٍ واحدة. ولا تنسَ الشيوخُ الشيخَ الطاهرَ أبا الدرعِ ومَن بحوزتِهِ
فليسَ سَهْمًا من النعمةِ يُمنُّ بهِ على من أنسَ خيرَهُ ويكونَ عندهُ وفي
خاصَّتِهِ.

وأنا أَسْتودِعُ الجماعةَ لِلَّهِ العالمِ بسرائِرِ خليفَتِهِ، المُمضي أمرُهُ
بإرادتِهِ ومشيتَتِهِ. والحمدُ لِلَّهِ مُظهِرِ حَقِّهِ ولو كرهَ المشركونَ، ومُمضي أمرُهُ
وإنْ أباهِ الخَوَنَةُ المرتدُّونَ. وهو حَسْبُ العبدِ الضعيفِ المقتنئِ البريءِ من
تحديدِ القولِ بكانَ أو يكونُ.

تمَّ التوبيخُ والحمدُ لمولانا وحدهُ والشكرُ لوليِّهِ عبدهُ.

٨.

توبيخ سهل

كُتِبَ بهاءُ الدين هذا التوبيخُ لرجلٍ اسمُهُ سَهْلٌ، كَانَ يَسُبُّ وَالَّذِي
المُقْتَنَى ويفتري عليهما، وبعضُ هذه الرسالة شِعْرٌ، وبعضُهُ الآخر نثر.
كُتِبَتْ في ظروفٍ نجعلُها. وقد لا يكونُ لها فائدةٌ بالنسبةِ إلى العقيدة
التَّوْحِيدِيَّةِ.

وَصَلَ كِتَابُ الشَّيْخِ الْفَاضِلِ الثَّقَةِ الْأَمِينِ الْمُفْصَحِ عَنْ عِلْمِهِ وَفَضَائِلِهِ،
الدَّالُّ بِمُضْمُونِ مَقَاوِلِهِ، عَلَى صَحَّةِ مَخَائِلِهِ، أَطَالَ اللَّهُ فِيمَا هُوَ عَلَيْهِ بِقَاهِ،
وَأَدَامَ فِي دَرَجِ الْإِنْسِفَالِ عُلَاهِ.

وَوَقَفْتُ عَلَى جَمِيعِهِ وَتَحَقَّقْتُ لِسُرْعَةِ إِجَابَتِهِ، وَبَدِيعِ إِصَابَتِهِ وَخَبَثِ
سَرِيرَتِهِ لِأَهْلِ الْحَقِّ وَثَاقِبِ بَصِيرَتِهِ، وَأَخْمَدْتُ يَدَاهُ دِيَانَتَهُ، وَشَكَرْتُ اللَّهَ عَلَى
مَا أَخْلَقَنِي فِيهِ مِنَ الْمَالِ وَالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ بَعْدَ وَصِيَّتِي إِيَّاهُ بِحِفْظِهِ وَرِعَايَتِهِ.
فَوَجَدْتُهُ مَنْطَوِيًّا عَلَى غَلٍّ كَانَ فِي الْأَكْنَانِ مُسْتَوْرًا، وَنَكَّثَ صَارَ لِعِيَانٍ مُتَّكِلًا
بَعْدَ الطَّيِّ مَنْشُورًا.

فِيَا سُبْحَانَ اللَّهِ أَوْبُخُكَ سِرًّا عَلَى قَبِيحِ مَا اسْتَحْسَنْتَهُ، أَلَوْمُكَ وَأَنَا
مُسْتَقَرٌّ فِي قَوْلِي عَلَى عَظِيمِ مَا ارْتَكَبْتَهُ، أَتَخَاطَبُنِي بِالْعَاجِزِ وَالسَّفِيهِ، وَأُمَثَالِ
ذَلِكَ مِمَّا يَشْبَهُكَ وَمِمَّا تَخْتَرِصُهُ وَتَفْتَرِيهِ، فَمَا حُمِلْتُ فَصَبَرْتُ، وَلَا أُكْرِمْتُ
فَاعْتَدَرْتُ، فَأَكُونُ أَوْلَى مَنْ غَفَرَ، وَأَحَقُّ مَنْ عَفَى وَسَتَرَ، بَلْ تَجَاهَلْتَ طَلَبًا

لتصويبِ مَقَالِكَ، وَخَرَصًا عَلَيَّ يُعَقِّبُهُ بَاطِلُكَ وَمَحَالُّكَ، وَلَمْ تَعْلَمْ لِضَيْقِ عَطْنِكَ
وَبُعْدِ الْخَيْرِ مِنْ قَطْنِكَ. إِنَّكَ حَصِيدٌ مَا كَسَبْتَ يَدَاكَ، وَصَرِيحٌ مَا تَحَرَّكَتْ مِنْ
الْخُطَابِ شَفَقَتَاكَ.

فَمِنْ أَعْظَمِ الْحَيْنِ وَاللَّهِ وَأُطْرَفِهَا طَعْنُ ذَوِي الْفَدَامَةِ وَالْفَهَامَةِ عَلَى
ذَوِي الْبَرَاعَةِ وَالْفَصَاحَةِ، ابْتِغَاءً لِقَمِيصٍ. فَأَعْلَمُ فَقَدْ طَارَتْ عَنْكَ وَعَنْ أُمَثَالِكَ
مَرْقَاً، وَرَدُّهَا مَنْ كَانَتْ فِي يَدِهِ بِالْعُنْفِ سَرَقَاً.

فَيَا أَيُّهَا الْغَافِلُ أَتَرَكَ تَقْدِيرُ أَنْ تَقُولَ بِحَضْرَةِ مَنْ يُنَزِّهُ نَفْسَهُ عَنِ
الْجَوْرِ وَالْمُحَالِ، وَيَتَوَخَّى سِدْقَ الْكَلَامِ فِي الْمَقَالِ، إِنَّكَ أَوْدَعْتَنِي عِنْدَ هِجْرَتِكَ
شَيْئًا مِنْ مَالِكَ وَأُتَمَنِّتَنِي عَلَى أَهْلِكَ وَعِيَالِكَ، فَاعْتَدَيْتَ عَلَيْهِمْ كَمَا اعْتَدَيْتَ
وَأَتَيْتَ إِلَيْهِمْ قَبِيحٌ مَا أَتَيْتَ.

فَيَا سُبْحَانَ اللَّهِ! أَهْذِهِ دَلَائِلُ طَهَارَةِ الْأَعْرَاقِ، وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، الَّتِي
تَصَحَّ بِالْأَنْسَابِ، وَتَثَبَّتْ بِهَا الْأَحْسَابُ، كَمَا ذَكَرْتَ فِي كِتَابِكَ أَيُّهَا الْمَاجِلُ؟ فَمَا
عُذْرُكَ إِذَا تَدَاوَلَتْكَ بِالْحَضْرَةِ الطَّاهِرَةِ أَلْسُنُ ذَوِي السِّدْقِ، وَتَعَاوَرَتْكَ سِيُوفُ
أَهْلِ الْحَقِّ، عِنْدَ وَقُوفِكَ عَلَى تَظْلِيمِكَ إِيَّايَ وَأَنْتَ الظَّالِمُ، وَتَخْوِينِكَ إِيَّايَ وَأَنْتَ
الْخَائِنُ الْغَاشِمُ؟

فَيَا سُبْحَانَ اللَّهِ! أَعَاتَبْتُكَ عَتَبَ الْإِخْوَانِ عَلَى قَبِيحٍ مَا ارْتَكَبْتَهُ، وَأَوْبَحُّكَ
شُحًّا عَلَيْكَ فِيمَا ذَاغَ فِي بِلَدِكَ وَنَاحِيَّتِكَ عَنْكَ مِمَّا انْتَهَكْتَهُ، وَحِلَّتِ الْمَعْنَى إِلَى
ذِكْرِ مَا لَمْ أَحْفَلِ بِهِ فِي الْكِتَابِ، وَرَدَدْتَ عَلَيَّ غَيْرَ الْجَوَابِ، تَلَبَّسًا عَلَى زَلَلِكَ
الَّذِي زَلَلْتَهُ وَتَمْوِيهَاً عَلَى بَاطِلِكَ الَّذِي تَأَوَّلْتَهُ.

فَفِيكَ أَقُولُ :

وَكَيْفَ حَلَلْتَ عَقْدَ الْوَدِّ سَهْلًا وَأَفْسَدْتَ الدِّيَانَةَ يَا خَوْوُنُ
وَجَاهَرْتَ الْعِنَادَ بِغَيْرِ جُرْمٍ وَسَاءَتْ مِنْكَ بِالنَّدْبِ الظُّنُونُ

وقلتُ مسابقًا بقبيح لفظٍ
غدوتُ ترومُ قُرمَ العُربِ
ومنَ ذا يلقُ نورُ شهابِ نارٍ
جهلتُ على عليمٍ ذي وقارٍ
أما يكفيكَ خُنتُ العهدَ حتَّى
وتزعمُ أَنني رُبيتُ رُضعا
وما تَدري بأنَّ العِلْمَ مِنِّي
وإنِّي داعيُ الرَحْمَنِ حَقًّا
خلافُ دَجالٍ سَلَبتُ عُقولا
ففيما أنكرتُ حَقِّي يا خَليلي
كلانا نرتقي شَرَفَ المعالي
فأَقْتَنَكَ الزمانُ ولم تراعي
فإنَّ تُغْضِي على حَقْدٍ وظلمٍ
وفي عصرِ الجِزاءِ لَنَا معادٌ
فكنْ مِنْهُ على حَذَرٍ وخوفٍ

لسانُ الغدرِ مِنْهُ مُستَبِينُ
حَرْبًا وَحَدَّ حُسَامِهِ فِيهِ المُنُونُ
بِبَرَقِ شُعَاعِهِ تَعْمَى العيونُ
وَهَاجَ وَلَا أَشْكُ بِكَ الجُنُونُ
تُسَفَّهُ فِي الخُطابِ وَتَسْتَحِينُ
بِتَدْيِكَ يَا سَخِينُ يَا سَخِينُ
تَأَثَّرَ فِي الخَلِيقَةِ وَهِيَ طِينُ
بَدَوِ الكَشْفِ وَالتَّوْحِيدِ دِينُ
مَحَاها الكُورُ مَذْقُوعَ القَرِينُ
وقد عَهدتُ مودَّتُنَا تَزِينُ
ونحنُ لَهَا مُشْرِفَةٌ زَبُونُ
وَدَادِي حِينَ غَيْرَكَ الفُتُونُ
فبِاللَّهِ المُهِيمِ اسْتَغِينُ
خَفِيٌّ لَيْسَ تَعْلَمُ أَوْ يَكُونُ
فَنَفْسُكَ فِيهِ لَيْسَ لَهَا قُطُونُ.

وأما ما ذكره وأدعاه مِنْ فَتْحِهِ عَلَيَّ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَإِنْ كَانَ لَفْظُهَا
حَقًّا فَلَسْتُ مُسْتَعْمِلَهَا فِي دَعْوَى الْحَقِّ لِيَشْتَهَرَ بِهَا فِي خِطَابِ النُّصَيْرِيَّةِ
وَأُظَنُّهُ بِأَنَّ حَقَّ بِهِمْ بَلْ بِفِعْلِهِ اقْتَدَا، وَلَأَثَارِهِمْ فِيما شَتَّعَنِي بِهِ اقْتَفَا

فإنِّي لَهُ بَفَتْحِ بَابِ هُوَ وَاللَّهِ دُونَهُ مُرْتَجِّحٌ، وَهُوَ بِاللَّهِ إِلَى الْفَتْحِ عَلَيْهِ
فِي هَذَا الْوَقْتِ أَحْوجُ. فَرَضُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى شَيْخِنَا الطَّاهِرِ أَبِي الْفَضْلِ أَيُّوبَ ابْنِ
عَلِيٍّ الدَّاعِي، لَقَدْ أَجْرَعَتْهُ بِهَذَا التَّمْوِيهِ غَصَصَ الشَّجَا، وَأَحْوجَتْهُ إِلَى الْهَرَبِ
وَالْجَلَاءِ حَتَّى شَتَّتَهُ عَنِ الْإِخْوَانِ، وَسَعَيْتَ فِيهِ إِلَى السُّلْطَانِ، وَنَصَبْتَ لَهُ
الْحَبَائِلَ وَطَلَبْتَ مِنْهُ الْمَقَاتِلَ، وَهُوَ دَاعِيٌّ وَدَاعِيكَ وَمَغْذِيكَ وَمَرْبِيكَ، وَمِنْ
حُضْنِهِ دَرَجَتْ، وَمِنْ بَيْتِهِ خَرَجْتَ. فَمَا رَاعَيْتَ لَهُ حُرْمَةً، وَلَا رَاقَبْتَ فِيهِ إِلَّا وَلَا

ذِمَّةٌ. فما عسى أن تقولَ فيمن لا يمتَ إليك بهذه الخِلالِ؟ ولذا أُوْبِخَكَ على اليسيرِ من المالِ، وفيما أتمنتكَ عليه من الأهلِ والعيالِ.

فهذه روايةُ الجمهورِ من أهلِ بلدِكَ وإخوانِكَ، وشهادةُ الجَمِّ الغفيرِ من مصاحبِكَ وجيرانِكَ، فأطربْتَ نفسَكَ فيما أذعَّتَه فيَّ من الذمِّ والسبِّ، وقاطعتَ اللهَ وولِيهَ بغيرِ جُرْحَةٍ ولا ذنبٍ، طلباً للتنميقِ والتسجيعِ، ودخولاً زعمتَ على صناعةِ أهلِ النظمِ والترصيعِ. فهيئاتِ مَنَّتَكَ نفسُكَ لقلَّةِ علمِها خبيثِ الأمانِي. وإنَّما تصحُّ الألفاظُ إذا كانتَ مطابقةً للمعاني. وإنَّما السفسافُ والرُعاعُ، فهما لمثلِكَ إخوانٌ وتُبَّاعٌ، يَستَحسِنونَ ما تنكرُهُ أهلُ الأدبِ ويدفعُهُ العقلُ، ويسوِّغونَ مثلكَ لنقصِ أفهامِهِم ما تختصرُهُ من الكذبِ والجهلِ.

وأنا مُبَيِّنٌ بعضُ نقصِكَ فيما شَنَعْتَنِي به من ذكرِ أبي وعمِّي، وأسَهبتُ فيه من سبِّهما وذمِّي، وزويتُ إليَّ خِلافَهُما فيما زعمتَ على الأئمةِ الطاهرينَ، وأطنبتُ في إضافتِكَ إليَّ مِنْهُما ما يحاسبُكَ عليه إلهُ العالمينَ.

فباللهِ لقد عاشَا حميدَيْنِ، وماتَا فقيدَيْنِ، آلُ السَترِ والعفافِ والصيانةِ، ومعدنُ العدالةِ والأمانةِ. هما وآباؤُهُما خطباءُ البلدِ وقُضاتُهُ، ومتفقُهُوهُ على صفةٍ في مذهبِهِم وروائِهِ. وحسابُهُما إلى اللهِ تعالى الذي لا يتعاضلُهُ ذنبٌ، وإنْ بَعُدَتْ بالكفرِ غاياتُهُ.

وبالجملةِ لو كانَ فيكَ أدنى مُسَكَّةٍ من عَلمٍ، أو صيانةٍ من نظَرٍ أو فهمٍ. يَظُنُّكَ على ما يتوجَّهُ عليك من المعائبِ في هذا المقالِ، ويصدِّاك عن الطعنِ على الأنبياءِ الكرامِ. وردَّ كتابِ اللهِ ذي العزَّةِ والجلالِ، لكانَ تركُهُ أجملَ لحالكِ، وأرعى لبالكِ. وهو قولُهُ جَلَّتْ آلاؤُهُ في تكذيبِ مقالِكَ ودحضِ باطلِكَ ومُحالكِ: «كلُّ نفسٍ بما كسبتُ رهينةٌ»^(١)، وقوله: «يومَ لا يُجزي والدٌ

عن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا»^(٢).

فهذا بيانُ رَدِّكَ لكتابِ ربِّ العالمين.

وَأَمَّا طَعْنُكَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ الطَّاهِرِينَ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ، وَعَظْمَتِهِ لِأَبِيهِ عَلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، كَقَوْلِهِ: «يَا أَبَتِي لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا»^(٣).

وَأَمَّا مَا طَعَنْتَ بِهِ عَلَى سَيِّدِ الرِّسَالِ وَالْأُثْمَةِ فِي ذِكْرِ أَبِي لَهَبٍ عَمَّهُ، وَالرَّوَايَةَ الصَّحِيحَةَ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ بَايَعَنِي النَّاسُ عَلَى مَا فِي نَفْسِهِمْ، وَبَايَعَنِي مُحَمَّدٌ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى مَا فِي نَفْسِي فَمَا نَجَسَ اللَّهُ جِلَّتْ أَلَاؤُهُ بِالْأَنْبِيَاءِ الطَّاهِرِينَ لِلْبَشَرِ بِمَنْ ارْتَدَّ عَنْ طَاعَتِهِمْ مِنْ أَهْلِهِمْ وَكَفَرُوا.

فَكَيْفَ أَوَاخِذُ أَنَا بِإِفْتِرَاءِ مِثْلِكَ عَلَى الْوَالِدِ وَالْعَمِّ. وَاللَّهُ جِلَّتْ أَلَاؤُهُ مُتَعَالٍ عَنِ الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ، وَإِنَّمَا حَدَاكَ عَلَى مَا أَجْرَيْتَ إِلَيْهِ يَا قَلِيلَ الْعِلْمِ شَيْئَانِ: أَحَدُهُمَا أَنْ تَجْعَلَ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مَدْخَلًا لِلطَّعْنِ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، وَسَبَبًا لِنَقْصِ الْأَنْبِيَاءِ الْكَرَامِ، وَالْآخَرُ رَكَكَةُ عَقْلِكَ وَغَلْظُ فَهْمِكَ عَمَّا يَتَعَقَّبُ عَلَيْكَ مِنَ الْمَعَايِبِ فِي هَذَا الْمَقَالِ.

وَفِي أَحَدَى هَذِهِ الْجَرَائِمِ مَا يُوْجِبُ قَطْعَ بَنَانِكَ، وَجَذُّ لِسَانِكَ، وَهَدْمُ أَرْكَانِكَ لَكِنْ غَلَبَ الرَّأْيُ عَلَى قَلْبِكَ، وَاسْتَوْلَى الشَّيْطَانُ عَلَى فِكْرِكَ وَلَبَّكَ، فَأَعْمَى عَيْنَكَ، وَأَدْنَى حَايِنِكَ، فَأَظْهَرْتَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُكَ مِنَ الْغُلِّ الدَّفِينِ، وَأَبْدَيْتَ مَا سَيَقِفُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَأَنْتَ حَسِيرٌ بَيْنَ يَدَيِ دِيَّانِ يَوْمِ الدِّينِ.

وَأَنَا الْقَائِلُ فَيْكَ:

(٢) سورة لقمان ٣١/٣٣.

(٣) سورة مريم ١٩/٤٤.

خرجت بما قد كان فيك مكمنا
 وباينت خلّ الودّ خونا لعهدّه
 وخاطبته بالنقص منك سفاهة
 وقلت وقول الغمر أسدق شاهدا
 بأنّ هيوّلانا وصورتنا الأولى
 فهل أنت تدري يا عمي شقاوة
 ومن صاحب الأكوار والدور وحده
 وسابقه الثاني مع التالي الذي
 ومن هو خضر الصالحين ولم حيي
 وأين قديم الدهر بل كيف وحده
 وكيف ثواب النفس وهي لطفية
 فلسست مجيباً عن سؤال بحكمة
 لأنّي عليم أنّ بهتان من مضى
 وأنت وهم جمعاً أخلاء باطل
 وكيف توازي من له شرف العلا
 وتثلبه ثلب الجحود لفضله
 لقد خسرت كفاك ما لو علمته
 لأنّ له في البعث نفس عليمه
 وصرعه أهل البغي تأتي بغته
 وأبديت ذنباً لا اعتذار لجرمه
 وبارزت فيه الكبرياء بظلمه
 وجهلاً عليه وهو مالك حلمه
 عليه بأنّ البدر في حدّ تمّه
 بنفسك صارت في المعاد برسمه
 بكيفية الدهر الأخير وعظمه
 وناطقه الداعي بتعيين اسمه
 يبين قول الحق من بعد كتمه
 وقد نعتوه فوق كرسي حكمه
 بعالمها بعد الكثيف وعدمه
 يؤيّدّها برهان حق بحزمه
 يقصر عن تحقيق هذا وعلمه
 لحارت دور الستر خدام نجمه
 ومن خرّق العلياء بصحة عزمه
 وتعلم أنّ الدرّ سلك لنظمه
 لقد كنت تخشى أن تبوح بإثمه
 تصير إلى الفردوس حضرة خصمه
 فمن كان منهم يستعد لقصمه.

نجزت بمنة ولي الآخرة.

تمّ توبيخ سهل، والحمد لمولانا وحده، والشكر للإمام الهادي عبده.

توبيخ حسن ابن معلاً

حسنُ ابنُ معلاً من عين حرشا، كان في زمن طاعته لأوامر الدعوة من أهل المعالي، وهو الشيخ حسن الكبير. إلا أنه مال إلى سكين وأفعاله، وحاد عن نصر وأمثاله. وحمل حسن لبهاء الدين كتاب سكين مزوراً عن لسان نصر وعمار وجماعة الوادي (عن الدرر المضية).

وصل كتاب الشيخ الفاضل أطلال الله بقاءه، وأدام تأييده وحراسته ونعماءه، وسررنا بسلامته وكمال كفايته، والحمد لله على ذلك كثيراً وصلواته على رسوله وآله وسلم.

أعلم الشيخ أنه وصل حسن ابن معلاً ومعه آخر - فلا أحسن الله جزاءه. فما في هذا العالم أوثق منه ولا أقل دين، وهو موفر من الكذب والتمويهات الباطلة. ومعه كتاب يزعم أنه من عند الجماعة، ويذكر في أوله أن نصرًا أوصل إلى الشيخ عمار جميع ما أنفذ إليه من النفاة والتقوية وجميع الآلة، وأنه سلم ذلك إلى الشيخ عمار بعد أن جمع جميع أهل الضيعة عن بكرة أبيهم، فقصوا ما أوصل إليهم وأوقفهم عمار عليه وكتب به الوثائق عليهم وخرج من عندهم فرحاً مسروراً مما جدد الله على يده من العمارة.

وفي آخر الكتاب أن نصر لم يوصل إلى الشيخ عمار شيئاً مما وُجه إليه معه ولا عرفه بشيء من ذلك، وأن عمار سمع بالكتاب فجحد ذلك

وأخفاه عنه، وأنه أخافه بشيء ذكره له، فخرج من البلد، وإن نَصَرَ جَمْعَهُمْ سِرًّا عن عَمَّارٍ وأعطاهم جميع ما كان معه وقال لهم: خذوا هذا وامضوا به إلى الكردي فهو صاحبي، وأنهم وبَّخُوهُ على ذلك وقالوا له: كَانَ حَقُّكَ أَنْ تُوصِلَ هذا إلى الذي وَجَّهَ إليه، يَعْنُونَ بِذَلِكَ عَمَّار. فقل لهم: ما كنتُ بأول مَنْ أَرَمِي في صاحبي خِشْيَةً. وَخَتَمَ الْكِتَابَ وَقَالَ لَنَا: خذوه أَنْفِذُوهُ إِلَيْهِ. فامتنعنا من ذلك. فَأَخَذَهُ خَتَمَهُ وَحَلَفَ بِاللَّهِ أَنْ لَا يَقُكُّ هَذَا الْخَتَمَ إِلَّا صَاحِبِي فلان، يعني الكردي.

وَكَذَبَ كَثِيرٌ يَقْبَحُ ذِكْرُهُ وَإِعَادَتُهُ.

فلما رأينا الكتابَ يَنْقُضُ بَعْضُهُ بَعْضًا عَلِمْنَا أَنَّهُ مِنْ حِيلِ الْكَرْدِيِّ، وَتَلَاوَتِهِ بِمَعْرِفَتِنَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ فَهْمٌ يَعْلَمُ مَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ، وَأَنْ لَيْسَ لَهُ فِي ذَلِكَ غَيْرُ الْإِسْمِ لَا غَيْرَ، وَأَنَّهُ لَمَّا دَقَّقَ حِيلَهُ لَعَنَهُ اللَّهُ خَرَجَ إِلَى فَضِيحَةِ الْكَذِبِ، وَأَنَّهُ كَتَبَ هَذِهِ النِّسْخَةَ يَرِيدُ الْحِيلَةَ بِذَلِكَ عَلَى فَسَادِ الضَّيْعَةِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِفَسَادِ الْحَالِ، وَأَنْتَنِي مُضِيَتْ بِالْكِتَابِ وَالرَّجُلَيْنِ إِلَى عِنْدِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمَزَارِعِينَ يَتَّقُ بِهِمْ مَوْلَايَ قَبْلَ غَيْبَتِهِ، وَأَخَذْتُ مَعِيَ حَسَنَ وَصَاحِبَهُ إِلَى عِنْدِ الْجَمَاعَةِ وَقَرَأْتُ الْكِتَابَ عَلَيْهِمْ، وَهُمَا حُضُورٌ عِنْدَ الْجَمَاعَةِ فَكَانَ لَهُمَا مِنَ الْفَضِيحَةِ وَالْخِزْيِ مَا اللَّهُ يَكْفِي أَهْلَ الْخَيْرِ وَالسَّدَقِ مِثْلُ ذَلِكَ الْمَقَامِ.

وَنَظَرُوا فِيهِ مِنْ بَيَانِ الْكَذِبِ وَالتَّحْرِيفِ وَالْحِيلَةِ وَقَلَّةِ الدِّينِ وَالْعَقْلِ، مَا بَهَرَهُمْ وَتَعَجَّبُوا مِنْ سَخَافَةٍ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَحُوشَ ذَلِكَ عَلَى مَوْلَايَ وَعَجِبُوا مِنْ ذَلِكَ وَتَحَقَّقُوا الْجَمَاعَةَ كَذِبَهُمْ وَكَذَبَ مَنْ كَتَبَ لَهُمُ النِّسْخَةَ وَعَلِمُوا أَنَّهَا مِنْ حِيلِ الْكَرْدِيِّ، وَقَالُوا: هَذَا الْكَذِبُ يَدُلُّ عَلَى صَحَّةِ قَتْلِهِمْ لِعَمَّارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَعَنَ مَنْ ظَلَمَهُ، وَقَدْ قَالَ مَوْلَايَ قَبْلَ خُرُوجِهِ: أَنَا مَا بَقِيَ لِي مَعَ أَحَدٍ كَلَامٌ.

فَمَنْ أَرَادَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةِ الَّذِينَ جَاءَ حَسَنٌ بِكِتَابِهِمْ يَزْرَعُ فِي الضَّيْعَةِ وَيَكُونُ فِي الْجُمْلَةِ، فَلْيَمْضِ إِلَى الشُّيُوخِ الثَّلَاثَةِ: أَبِي الْمَعَالِي وَأَبِي

الخير وأبي الفضل، ويؤفوا ما عليهم، ويقرروا عندهم وعند الجماعة ما فعل
بعمار، فإن لم يفعلوا ذلك، فما بيننا وبينهم مزارعة، لأن الكتاب الذي وصل
منهم فهو على سبيل الحيلة. ومع الحيلة لا يكون عقبى خير ولا اتفاق، وإن
حسنًا هذا قال: إن أبو الخير مضى إلى علي ومشي إليه واعتذر منه، وإن
علي قال لعمار، وهما حضور عند الجماعة: والله لوما ولولا لأمرت من يجر
برجلك في البلد كله، ورضي بذلك أبو الخير، وقد غمنا ذلك أن يجري مثل
هذا القبيح على رجل هو أبعد عنه وهو رسول الجماعة الأخيار، ولكن نحن
نرجو أن يكون قوله هذا كله كذب يشاكل ما تحققناه في الكتاب.

ولا يؤخر الشيخ الجواب بما عنده من جميع ما شرحناه وذكر
عمار، وما ذكر عن الشيخ أبي الخير ومرضاته بذلك. وإن قدرت على
إيصاله إلى الجماعة فافعل ليجيء الجواب بما عندهم في ذلك. ونحن
نخصك وجميع من قبلك بأتم السلام. وكذلك من عندنا يخصوك بأتم
التحية.

والحمد لله رب العالمين، وصلواته على رسوله وآله الطاهرين،
وتعرف الجماعة أننا لو وجدنا من ننفذ معه الكتاب لأنفذناه. ولولا الخشية
من التفريط فيه أنفذناه في الترتيب. والسلام.

تمت بحمد الله وحده.

توبيخ الخائب محلاً

إِسْمُهُ عَثْمَانُ. وَسُمِّيَ مُحَلًّا لِلْبَيْسَةِ الْحَلِيِّ، وَاسْمُ امْرَأَتِهِ زَيْنُ الْعَرَبِ، وَهِيَ مَشْبَهُةٌ بِالْأَرْثَبِ. أَصْلُهُ مِنْ مَرْتَحَوَانَ. كُنْيَتُهُ أَبُو الْخَيْرِ، وَمِنْ أَكَابِرِ قَرِيَّتِهِ. اسْتَجَابَ لِلدَّعْوَةِ وَصَارَ مِنْ مَشَائِخِ الْبَلَدِ. وَصَبَرَ عَلَى الْمَحَنَةِ وَتَحَمَّلَ الْمَكَارِهِ وَالصَّعُوبَاتِ. ثُمَّ بَطَرَ النِّعْمَةَ وَمَالَ إِلَى الشَّهَوَاتِ وَحُبِّ الزِّيْنَاتِ. أَتَاهُ يَوْمًا الشَّيْخُ مُسْلِمُهُ وَرَأَاهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ يَسْكُرُ وَرِفَاقَهُ، ثُمَّ ذَهَبَ مُسْلِمُهُ وَأَخْبَرَ بِهِاءَ الدِّينِ فِي مِصْرَ. وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ جَاءَ مُحَلًّا إِلَى مِصْرَ وَظَنَّ أَنَّ أَخْبَارَهُ مُسْتَوْرَةٌ عَلَى بِهِاءِ الدِّينِ. فَلَمَّا عَادَ إِلَى بِلَادِهِ، أَرْسَلَ بِهِاءَ الدِّينِ لَهُ هَذَا التَّوْبِيخَ مَعَ رَجُلَيْنِ مِنْ خُدَمِهِ وَلَكِنَّهُ أَبَى تَسْلَمَهُ، فَتَنَفَّى إِلَى الْكَفْرِ وَمَاتَ بِهَا. وَعَمَّرُوا عَلَيْهِ قَبَّةً (عَنِ الدَّررِ الْمُضْيَةِ).

الرسالة الصادرة إلى الجماعة بسم الإله الحاكم المورث مقاليد السموات والأرض، لمن جعله إماماً هادياً قائماً على النفوس في يوم الحساب والعرض.

قد لطفنا بكم من الزمن الطويل في مُحْكَمِ الآياتِ يَا أَهْلَ الشَّطْنِ وَالْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ، فَأَبَتْ نَفُوسُكُمْ قَبُولَ الْحَقِّ وَالسِّدْقِ لِمَا أَلْفَتَهُ فِي الْقَدَمِ مِنَ الْبَلَسِ وَالرَّدَّةِ وَرَبِيتُ عَلَيْهِ مِنْ سَمَاعِ الْكَذِبِ وَالْكَرْوِ. فَأَنْتُمْ تَزْدَادُونَ بِمَرَامِ الْحِكْمَةِ شُكًّا وَإِبْلَاسًا وَعُنُودًا وَنِفَاقًا، وَبِالْمَوْعِظَةِ الصَّائِبَةِ كُفْرًا وَجُحُودًا وَإِيْبَاقًا.

وقد أصدرنا إليكم هذه المكاتبه مع ابن الثقه واليهودي، وهما عندنا
مُترعان إبلاسا وعنودا وشقاقا، خدَم مُحلاً الدعي الخائن الفاسق وتبع
المجوسي المرتد الطريد السارق، حجة عليهما وعليكم طلباً لانتبаш من أنكر
ما أنتم عليه من السفه واتعظ بما هو واصل إليكم. وها هي قد أصدرتها مع
من كان عندنا ثقة أميناً، وقد جعلته أعماله ظنيئاً مبيناً، بالتخلف عن قصد
معلوم الحق، ومباينة لسمه التسليم والخروج عما سفر فيه من الصبر
والصدق.

فليقرأها على الجماعات في مظانهم ممن غار وأنف الدين من
وساخة أهل النجس والكذب والبهتان، وليحملها طاعة للحق من تأسم
بهداية الكشف لعوار من مرد إلى من أنس رُشدَه من جميع أهل البلدان. فقد
أقمنا عليكم حجج الله من مدة سبعة عشر سنة بقواطع براهينه وبيئاته،
وأوردنا إليكم قوارع حكم الولي ورواياته، فما ازددتم لعظام الآيات إلا
كفراً وطفياناً وبمراسم الحكمة إلا صدوقاً عنها وعصياناً.

فما بقي لكم عندنا يا أجلاف الأمم موعظة ولا كتاب، وقد تقطعت
بيننا وبينكم الوسائل والأنساب، بعد هذه الصحيفة الصادرة إليكم. وهي :

«باسمك اللهم مالك الأمر، الإمام العدل قائم الزمان والعصر، إلى
العصبة الجاحدة المنكرة، العمية عن الحق بعد المعرفة والتبصرة، الذين عكستهم
إلى المسوخية مقدمات الأعمال، والفية المهيئة الخارجة عن الحق والعدل بعد
العلو إلى الانخفاض والانسفال، الذين عمهت قلوبهم، فهم عن الحق معرضون،
وعن موبقات الرذائل لا ينزجرون، إتباعاً لنعة شياطين الفترة لتمييز الباطل من
الحق، وأوباش الأمم وعكورات هذا الخلق، الذين سولت لهم نفوسهم ما ألفت في
القدم من النفاق والعنود والفسق. فهم لا يرتدعون بمواعظ الآيات والذكر
الحكيم، ولا ينزجرون عن مقابح الأدعياء لممازجة نفوسهم للنجس والفعل
الذميم.

فهي كليلَةٌ عن حَمَلِ الْحَقِّ لِمَرَضِهَا وَإِيْيَاقِهَا، تَتَصَوَّرُ بِهَوِيَّتِهَا مَا انْغَمَطَتْ فِيهِ فِي الْأَزْمَانِ الْغَابِرَةِ مِنْ مَقَابِحِ نَجْسِهَا وَنَقْصِ مِثْقَالِهَا. قَدْ أَلْفَتْ لِبَاسَهَا مَقَارِنَةَ شَيَاطِينِ الْأَدْوَارِ، وَامْتَزَجَتْ أَرْوَاحُهُمْ بِالشَّطَنِ عُنُودًا لِأَثَمَةِ الْأَعْصَارِ، فَهُمْ لَا يَرْجُونَ آخِرَةَ وَلَا ثَوَابًا، وَلَا يَتَحَقَّقُونَ لِلْحَقِّ رَجْعَةً وَلَا إِيَابًا. قَدْ سَلَبَتْهُمْ الْفِتْرَةُ عُقُولَهُمْ وَأَلْبَابَهُمْ، وَأَنْسَتْهُمْ طَاعَةَ الْأَبَالِسَةِ حُدُودَهُمْ وَأَبْوَابَهُمْ.

فَيَا أَيُّهَا الْعَصْبَةُ الضَّالَّةُ! أَمَّا لَكُمْ فِيمَا وَصَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ مُعْجَزِ حِكْمَةِ وَلِيِّ الزَّمَانِ عَلَى يَدِ عَبْدِهِ مُعْتَبَرٍ، يَا وَيْلَكُمْ أَفَمَا اتَّعَظُمْ بِمَا حَفِظْتُمُوهُ مِنْ مُحْكَمِ آيَاتِ التَّوْحِيدِ وَأَسْفَارِ الزُّبُرِ؟ فَيَا هَؤُلَاءِ أَيْنَ عَنِ الْحَقِّ تَذَهَبُونَ، وَبِأَيِّ دِينٍ أَنْتُمْ عَاكِفُونَ عَلَى الْقَبَائِحِ تَتَدَيَّنُونَ؟ لَمْ يَأْتِكُمْ صَاحِبُ عِلْمٍ وَفَهُمْ غَلَبَكُمْ بِقَوْلِهِ فَيُطْفِئُكُمْ، وَلَا وَصَلَ إِلَيْكُمْ مَعَهُ مِنَ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِمَّا عَلَّمْتُمُوهُ فَيُخَدِّعُكُمْ بِعِلْمِهِ وَيُرِيدُكُمْ، وَلَا جَاءَكُمْ صَاحِبُ دُنْيَا فَيُلْهِيكُمْ بِهَا وَيُغْوِيَكُمْ فَأَنْتُمْ نَسِيتُمْ أَصْحَابَ أَبِي جَوْفٍ وَقَدْ رَجَعَتْ أَسَافِلُكُمْ أَعَالِيَكُمْ.

فَانظُرُوا مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَيْسَ لَكُمْ فِيهِ عِلَّةٌ سِوَى إِلْفِ نَفُوسِكُمْ لِأَوَامِرِ الشَّيَاطِينِ، وَانْصَبَاغِهَا بِالْجَهْلِ وَالْخِلَافِ لِتَشْتَهَرَ بِأَنْفَرَدَتْ بِهِ مِنَ الْفِسْقِ فِي يَوْمِ الْعَرْضِ وَالِدَيْنِ. وَإِلَّا فَبِأَيِّ حِجَّةٍ تَحْتَجُّونَ، وَفِي أَيِّ مَعْلُومٍ وَصَلَ إِلَيْكُمْ تَشْكُونُ؟ قَاتِلُكُمْ اللَّهُ فَأَنْتُمْ الظَّالِمُونَ.

وَقَدْ اتَّصَلَ بِنَا أَنْ مُحَلًّا هُوَ السَّبَبُ فِي هَذِهِ الْبِدْعَةِ وَالشَّنَاعَةِ الْكَبْرَى فَلَا أَعْلَا لِلَّهِ لَهُ قَدْرًا، وَلَا أَنْفَذَ لَهُ أَمْرًا وَلَا طَوَّلَ لَهُ عُمْرًا إِلَّا لِلْعَذَابِ وَالْخِزْيِ وَالنَّكَالِ، وَجَعَلَهُ فِي جُمْلَةٍ مَنْ اسْتَفْرَوْهُ عَنِ الْحَقِّ مِنَ الْأَدْعِيَاءِ الْفَسَقَةِ الْأَرْدَالِ.

فَمَا بَقِيَ لَكُمْ عِنْدَنَا يَا أَوْبَاشَ الْأُمَمِ بَعْدَ هَذَا، مَوْعِظَةٌ وَلَا كِتَابٌ، وَقَدْ تَقَطَّعَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْوَسَائِلُ وَالْأَنْسَابُ. أَجْرِيْتُمْ إِلَى هَذِهِ الْقَبَائِحِ بَعْدَ وَقُوفِكُمْ عَلَى مَا خَرَجَ بِهِ النَّهْيُ عَمَّا أَحَدَّثْتُهُ الْمُرْتَدُّونَ لِجَمِيعِ الشَّيَاطِينِ، فِي الْكِتَابِ الْمُنْفَذِ إِلَى قَسِيمِ الدِّينِ وَالتَّوْحِيدِ وَالتَّسْيِيدِ الثَّقَةِ الْأَمِينِ، وَبَعْدَ وَقُوفِكُمْ عَلَى الْقَاصِعَةِ لِلْفِرَاعِنَةِ الْمَدْعِينَ تَنَاسَيْتُمْ مَعَالِمَ الصِّيَانَةِ وَالدِّينِ الْمَحْمُودِ، وَوَقَفْتُمْ عَلَى الْعِصْيَانِ وَالْكَفْرِ وَاللَّدِّ وَالْجُحُودِ. فَأَيُّ مَسْلَكٍ لِلْفِسْقِ وَجَدْتُمْ فَادْخُلُوا، وَأَيُّ حُرْمَةٍ لِلدِّينِ

أصبتم فافعلوا. فقد أظهروا العناد أهل الدين والحق، وشهروا سيوف البطل على جميع الخلق.

فافهموا ما جاء في حكمة الإمام سلام الله على ذكره، يعني من ركب أفعالكم في ذكر المسوخية في التذكير والتأنيث، وشرح حال من يدعو إلى حليته غيره وهو الجريث. فقال: والجريث من دياثته، وساخة نفسه يدعو غيره إلى حليته لضعفه نفسه ليساويها في نجسه وقبيح رذيلته. فالدياثة فضائح في العوالم، ومقنعون في العاجل بملابس العار وتنكيس العمائم، وفي الآجل خزايا معدبون بما احتقبوه من عظيم المآثم.

وأما قوله في ذكر العواهر المتبرجات، اللواتي أطعن أهل الفسق والخيانات، اللواتي خرجن عن حقائق الديانات، اللواتي قد مسخن وهن غافلات. فهو. وأما الأرنب فامرأة سوء تعمدت بعلها بالخيانة والبس. فهي لوسخ نفسها وعظيم محنتها لا تطهر من الحيض والنجس، وتدخل بيوت الله باللعة وقدارة النفس.

فهذه في الحكمة صفات الفسقة الملحدين، الخارجين عن الحق وحقيقة الدين. والحق أعفى للأولياء المسلمين، والسفة أولى بأهل الردة الفسقة الغاصبين.

وأما من كان من الزمرة المحققين الطائعين، وفي جملة من أخلص من الموحدن الطهرة الموقنين، المعترفين بتوحيد المولى الإله الحاكم الجبار، المنتقم بوليّه الهادي من أهل الخلاف والعناد والإصرار، المتدينين بإمامة الهادي القائم لنجاة الأمم في الأدوار والأكوار، المتحققين أن المقتنى عبده الضعيف الصغير بالإضافة لمن سبقه من الحدود العالية ذوات الشرف والأنوار.

فلْيُكْرَمْ نفسه بالإنكار لقبائح هؤلاء الأجلاف الطغام، وليتبرأ منهم ويلزمهم المحافظة على حكمة القائم الهادي الإمام، ويتميز بلطف نفسه عن أهل الفسوق ومسوخ أحلام الأنعام، ولا يختلط بهم في قول أو فعل.

فهذه العصابةُ ومن قال بقولهم أهل النجس والنفاق والسفَه والجهل،
وقد طمسوا معالم الدين بالوساخة والقباحة والفساد والخروج عن الحق والعدل.
فالله يقصهم ويلعنهم كما اختلقوا في الدين ما ليس فيه، وأقاموا الفتنة بنجسهم
على أهل الطاهرة حدوده وأهليه، وأضافوا إليه نجس أهل الردة أضداد الحق
جحدة حكمته وأعاديه.

وأنا أستودع أهل الورع والطاعة والصيانة، ومن تاب واعترف بدينه لله
القاضي لوليّه بالغلب والفلاح، ومنجّي أوليائه وأهل طاعته، ومخرجهم من ضيق
الآبالسة إلى سعة العدل والفرج. وهو حسب عبده الضعيف المقتنى السالك طريق
الحق السهلة الدرج، وهو المخزي لمن إلى الباطل الطريق الصعبة العوج»^(١).

فمن تاب بحضرة الإخوان عن هذه البدعة وأشهد الباري ووليّه
على نفسه أنّه مستقيلٌ من غلظه، إقبلوا توبته ولَبُّوا دعوته على قدر ما
تروّنه من حسن نيّته، وقبوله للحق وطاعته، إلّا الخائب الناكث أوبقه الله
بجريرته أعني محلاً الجاحد لنعمته، فما يتأتّى بهذه البدعة في مثل هذه
الأوقات الألى على يد شيطان رجيم، همّاز مشاء بنميم. فمن أطاع فلنفسه
أسعد، ومن عصى فلنفسه أذلّ وأبعد.

تمّت المكاتبة الصادرة إلى الجماعة. والحمد لله وبه أستعين، وهو
نعم النصير المعين.

(١) راجع توبيخ ابن أبي حصية، رقم ٧٩، فهي نفسها، وقد أشرنا إليها بين مزدوجين

رسالة البنات الكبيرة

يقول كتاب الدرر المضيئة : «الراجح أنهم (البنات) كانوا من سكان قصور الخلافة، أجابوا إلى التوحيد. ثم تخلّفوا عنه». يوصي بهاء الدين المقتنى البنات بـ «حفظ الحكمة»، ويذكّرهن بما كتب لهن في رسائل سابقة، ويحرّم عليهن مصاحبة العاهرات.

بسمِ إلهِ الحقِّ، وعبدِهِ الإمامِ الهادي عِلَّةِ الخلقِ،

بَلَّغَنِي أَيَّتُهَا الْبَنَاتُ الصَّالِحَاتُ الْمُؤْمِنَاتُ الصَّيِّنَاتُ، ثَبَّتَكُنَّ الْبَارِي عَلَى طَاعَةِ وَلِيِّهِ، وَأَدَامَ لَكُنَّ فِي الدِّينِ السَّلَامَةَ الْمَرْضِيَّةَ. إِنَّكُنَّ أَصْغِيئَتُنَّ إِلَى كَلَامِ الْمُسْتَزِيدَةِ الرَّنْدِيقَةِ الْمَارِقَةِ، وَاشْتَغَلْتُ قُلُوبُكُنَّ بِكَذِبِ الْوَقِحَةِ الْفَاسِقَةِ، وَانْقَطَعْتُنَّ لِلْعَاهِرَةِ عَنِ الْجَوَابِ، وَأَفْحَمْتُنَّ عَنْ حَقِيقَةِ الصَّوَابِ، وَذَلِكَ لَضَعْفِ بَصَائِرِكُنَّ وَقَلَّةِ الْإِهْتِمَامِ، وَتَشَاغُلِكُنَّ بِاللَّهْوِ وَالْمَرَحِ عَنْ حِفْظِ مَعْلُومَاتِ السَّيِّدِ الْإِمَامِ، فَدَخَلْتُ عَلَيْكُنَّ لِقَلَّةِ الْعِلْمِ الشَّبْهَةِ فِي الدِّينِ، وَالتَّبَسُّعِ عَلَيْكُنَّ الْحَقُّ لَغَفْلَتِكُنَّ عَنْ هِمَمِ الْمُوحِدِينَ، الْحَافِظِينَ لِمُرَاتِبِ الْحُدُودِ الْعَارِفِينَ بِالْيَقِينِ، الشَّاهِدِ وَالْمَشْهُودِ، خِيَفَةً مِنَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ الْمَوْعُودِ. فَهَمَّ بِحِفْظِ عُلُومِ الْحَقَائِقِ مُغْرَمُونَ شَاهِدُونَ، وَلِقَوْلِ الْبَاطِلِ بِالْحَقِّ دَامِغُونَ.

وَأَنْتُنَّ بِالنَّعِيمِ الزَّائِلِ وَاللَّذَّةِ الْمُنْقَرِضَةِ فَرِحَاتٌ غَافِلَاتُ، قَدْ تَأَسَّيْتُنَّ فِي التَّمَادِي بِأَهْلِ الْخِلَافِ وَالشُّتَاتِ، وَوَقَفَ حَالِكُنَّ عَلَى الْهَزْلِ وَالسَّرِقِ

والمخالفات، ولقد نهيتُكُنَّ عن مخالطة هذه العاهرة، وعن الأخرى الملعونة الكافرة. فما انزجرتُنَّ ورددتُنَّ عليَّ قولي في أتباع المارقين وما اتعظتُنَّ. فالباري لجماعتكُنَّ بعد التوبة يغفر، وعنكُنَّ يعفو. فهو الجواد بالمائة بعد إقلاع من يغفل ويسهو.

فإلى متى هذه الغفلة والبطالة، وإلى كم تتأسسين بأهل التخلف والجهالة؟ أما تستحين إذا وقفتن يوم الحساب والعرض، وسؤلتن عما يجب عليكن للمولى من حقيقة الفرض؟ فأجاب أهل العلم الحافظون، وأفحمتن أنتن وأمثالكن فلا تنطقون. فيتعالى بحفظ العلم رفيع الدرجات، وتنخفض درجات المتخلفين عن حفظ الحكمة إلى أبعد الغايات.

قد تقصت من الفترة الأعوام والدهور، وبقيت الأيام والشهور، أفلا تنتبهن أيتها المؤمنات، وتحفظن ما فيه نجاتكن يوم الحرّة على ما فرط من الطاعات، وتندمن من حيث لا ينفعن الندم، إذا فاز بأعلى المنازل من حفظ وعلم.

ألم أقم عليكن الحجة برسالة الإعذار والإنذار^(١)، وبشرح الحدود وهو ابتداء الخلقة لذوي العقول والاستبصار، وبالتقديس الشافي من المرض والاحتيار^(٢)، وبالدهاء المستجاب للعارفين الأطاهر^(٣)، وبالمناجاة المحللة لربط الباطل^(٤) بكشف ضمائر أهل البأس والإصرار، معماً وصل إليكن من الرسائل المكرّمات في الحث على حفظ الحكمة بالرموز والإشارات، فنبتتُنَّ هذه الحكمة وراء ظهوركن، وهي شهادة عليكن

(١) رسالة رقم ٥٧، وهي لإسماعيل التميمي.

(٢) رسالة رقم ٥٨، وهي لإسماعيل التميمي أيضاً.

(٣) رسالة رقم ٣٠، وهي لحمزة بن علي.

(٤) قد تكون رسالة رقم ٢٩ لحمزة أيضاً.

بالتخلف يومَ حضورِكُنَّ، ورضيْتُنَّ بالقولِ أَتُكُنَّ مؤمنات، ولم تعلمنَ أَنَّ
الثوابَ وحسنَ الجزاءِ بحفظِ العلومِ والحقائقِ الإلهياتِ.

فانتبهنَ أيتها الطائشاتُ الأحلامِ، واعلمنَ أنما تَسْقُطُ مكلفاتُ الشرعِ
عن الجوارحِ والأجسامِ، إذا عَمِلَ المؤمنُ بكفره في حفظِ العلومِ والحقائقِ
الإلهيةِ المؤديةِ الي التَّوحيدِ وهي عِلْمُ الإمامِ، لتميَّزَ الفنوسُ الطاهرةُ بحفظِها
للعلومِ من نفوسِ المتخلفينَ الأجلافِ الأغتامِ.

فانتنَّ في شبَكَةِ إبليسِ مُصَفِّدَاتٍ، ولأوامره طائعات، ولزخرفه
قابلاتٌ منتبهات، وعن الحقِّ خارجات، ولأهله عاصيات، باتباعِكُنَّ للشهواتِ
البهيميةِ، وَتَخْلُفِكُنَّ لِغَلْبَةِ طِبَائِعِكُنَّ عن حفظِ العلومِ والحقائقِ الإلهيةِ،
وارتكابِكُنَّ للنهي في تقريبِ النَجَسَةِ الدَّعيةِ، خَدِيمَةِ المسيحِ الكَذابِ، وخِيفَةُ
من الدَّعيِّ المعتوهِ المارقِ المرتابِ.

فيا سبحانَ اللَّهِ أما تستحيينَ من هذا التوبيخِ لأنفسِكُنَّ، وتتيقَّظنَ من
رَقَدَتِكُنَّ، وَتَقْلَعْنَ عن سَهْوَتِكُنَّ، وتتأملنَ ما تُلَيِّ عليْكُنَّ في رسالةِ الإِعدارِ
الإِنذارِ، وهو: أَقبلوا على دعاةِ الرحمنِ، واجتَنُوا من ثمراتِ الحكمةِ
والبرهانِ، تَنَالُوا الفوزَ والغفرانِ. ويقولُ فيها: فتمسَّكوا بالحدودِ، وكابدوا
الأمرَ بكلِّ مجهودٍ، واحذروا لهم المخالفةَ، وأديموا لهم المناصحةَ والمؤالفةَ،
وارتبطوا بهم ارتباطًا، واغتبطوا بما أَلْقَوْه إليْكم فَرَحًا واغتباطًا. فأَيُّ مجهودٍ
في الدِّينِ كابدتموه، ومتى أُمِرْتُنَّ بشيءٍ لم تُخالِفُوهُ وقبلتموه، ومتى
ارْتَبَطْتُنَّ بهم ارتباطًا، ومتى اغْتَبَطْتُنَّ بما أَلْقَوْه إليْكم فَرَحًا واغتباطًا. واللَّهِ
إِنَّكُنَّ على الطريقِ المستقيمِ، ولكنَّ التخلفَ عن حفظِ الحكمةِ هو الذنبُ
العظيمُ.

فبحفظِ الحكمةِ والعلمِ ترتفعُ درجاتُ المحقِّينَ، وبإهمالِها تُعرفُ
الكَذِبَةُ مِنَ السَّادِقِينَ.

فَتَفَهَّمْنَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ أَيَّتُهَا الْبَنَاتُ، وَاجْعَلْنَهَا لِعُقُولِكُنَّ أَمَمًا، وَاجْتَهِدْنَ فِي حِفْظِ الْحِكْمَةِ، فَتَرُكُهَا يَعْقُبُ عَقُوبَةً وَنَدَمًا. وَاجْعَلْنَ لَهَا سَهْمًا فِيمَا تَتَرَنَّمْنَ بِهِ مِنَ الْأَغَانِي، وَحَفِظْنَ فِي قُلُوبِكُنَّ كَبَعْضِ حِطِّ مَعْرِفَتِكُنَّ بِالْمَثَالِثِ وَالْمَثَانِي.

فهذه الرسالة حجة على جميع من سمعها من أهل القصرين، وبلاغ للرجال والنساء من جميع أهل المصرين.

فَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْ حِفْظِ مَا أُوتِيَهُ، وَاطَّرَحَ مَا أُنْعِمَ بِهِ عَلَيْهِ وَأَعْطِيَهُ، تَشَاغُلًا بِاللَّذَةِ الْمُنْقَرِضَةِ، وَتَهَاوُنًا بِالطَّاعَةِ الْمَفْتَرِضَةِ، فَقَدْ خَرَجَ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ وَالْأَوَامِرِ وَطَاعَةِ الْإِمَامِ، وَلَا حُجَّةَ لَهُ عَلَى دَعَاةِ الْحَقِّ يَوْمَ السُّؤَالِ وَالْخِصَامِ.

فبِحِفْظِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ تَتَمَيَّزُ الْأَخْيَارُ مِنَ الْأَشْرَارِ، وَتَتَبَيَّنُ أَهْلُ التَّلْبِيسِ الْمُشْتَغَلِينَ بِلَذَّتِهِمْ مِنَ الْأَتْقِيَاءِ الْأَطْهَارِ. فَقَدْ انْقَطَعَتْ مَعَاذِيرُكُنَّ، وَبَطَلَتْ بَعْدَ الْيَوْمِ حُجَّتُكُنَّ. فَمَا تَقْدِرُ إِحْدَاكُنَّ أَنْ تَقُولَ بَعْدَ هَذِهِ الْمَوْعِظَةِ إِنَّهَا لَمْ تَوْعِظْ وَتُذَكِّرْ، وَإِنَّهَا لَمْ تُؤْمَرْ بِحِفْظِ مَا هِيَ مُطَالَبَةٌ بِحِفْظِهِ وَتُحَذَّرْ.

وَقَدْ أَعْذَرَ مَنْ أُنْذِرَ، وَنَصَحَ مَنْ عَرَفَ وَبَصَرَ، وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ. وَالْحَمْدُ لَوْلِي الدِّينِ الْمُؤَدِّيَةِ طَاعَتُهُ إِلَى طَاعَةِ إِلَهِ الْعَالَمِينَ. وَلَعْنَةُ الْبَارِي عَلَى مَنْ قَرَأَهَا بَيْنَ يَدَيِّ شَاكٍّ فِيهَا، أَوْ مُخَالَفٍ لَهَا، أَوْ أَذَاعَهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا. وَلَوْ عَلِمْتَ بِحَالِ الْوَقْتِ لَا مَتْنَعْتَنَ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْمَنَامِ.

تَمَّتِ الرِّسَالَةُ بِحَمْدِ مَوْلَانَا سُبْحَانَهُ وَالشُّكْرِ لَوْلِيهِ الْهَادِي الْإِمَامِ.

رسالة البنات الصغيرة

لهذه الرسالة صلة مباشرة بالرسالة السابقة، فهي تكملها وتتناول الموضوع نفسه.

توكلتُ على مولانا الإله الحاكم المنزه المعبود، وشكرتُ عبده القائم باليوم الموعود.

أيّتها البنات الغافلات، الناسيات للحقّ المدعيّات. فقد وعظتُكنّ من الزمن الطويل بقوارع الحُجَجِ البالغات، وخوّفتُكنّ من حلول يوم الميقات، ومُساءلة كلِّ نفسٍ عمّا أسلفت وما هوأت. والله فقد تميّزت بالطاعة النفوس الطاهرات، من النفوس الكدرة في الهياكل النجسات، وفرّغ زمن الإمهال لأهل الغي والضلال والإلتفات.

فانتبهنّ من هذه السنّة أيّتها المعاقبات، فقد جاء الفطر لتَقْضِي الصوم، وجَهَلْتُنَّ ما قيلَ لَكُنَّ أَمْسٍ كما جهَلْتُنَّ ما بعدَ اليوم، وَنَكَنْتُنَّ فِرْوَصَ التوحيد، ولم ينجحْ فيكُنَّ الزَّجْرُ والوعدُ والتهديد، ولم ينفعْ فيكُنَّ الرِّفْقُ والوعظُ والتسديد، حتى جاء أمرُ الباري وَغُلِّقَتِ الأبوابُ عن كلِّ ضدٍّ عنيد.

فالبراءةُ إلى الباري وإلى وليّه من كلِّ مَنْ عَقَدَ الحقَّ على نفسه وَنَكَثَ. والفرقةُ والبُعدُ من كلِّ نَجَسٍ أَقْسَمَ الباري مِنْكُنَّ فَكَذَّبَ وَحَنَثَ.

يَا وَيْلَكَنَّ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْكَ مِيثَاقُ وَلِيِّ الزَّمَانِ، وَتَبَرَّيْتَنَّ مِنَ الْإِبَالَسَةِ
وَالطَّغْيَانِ، وَأَمَرْتَنَّ بِسَدْقِ اللِّسَانِ، وَحَفِظَ الْأَخْوَاتِ وَالْإِخْوَانَ. فَخَالَفْتَنَّ هَذَا
الْمَقَالَ، وَتَأَسَّيْتَنَّ بِقَبَائِحِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَاتَّخَذْتَنَّ لِنَفْسِكَ كَفَرَةَ الْخَدَمِ
وَالْعَهْرَةِ النَّوَاصِبِ فِي الْمُنْكَرِ الْمَفْعُولِ، كَمَا اتَّخَذَ الْعَجَلُ لِنَفْسِهِ الْأَعْلَاجَ
وَالْفُحُولَ، وَتَتَمَنَّيْنَّ لِنَفْسِكَ النِّجَاةَ بَعْدَ هَذَا الْعَصْيَانِ يَمَا سَيَزْهَقُ وَيَزُولُ.

فَالْبَارِي يَشْهَدُ عَلَى بَرَاءَتِي مِنْ كُلِّ مَنْ اسْتَحْسَنَ لِنَفْسِهِ مِنْكَ هَذَا
الْحَالَ، وَمِنْ كُلِّ مَنْ لَاوَمَ الْمُخَالِفِينَ مِنْ أَهْلِهِ أَوْ غَيْرِهِمْ فَاتَّخَذَهُمْ لِنَفْسِهِ إِخْوَانًا
مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ. فَلَعْنَةُ الْبَارِي تَقْرَأُ عَلَى مَنْ سَمِعَ هَذَا الْقَوْلَ فَرَفَضَهُ
وَأَنْكَرَهُ، وَسَخَطَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ الَّذِي أودَعَ فِيهِ وَغَيْرَهُ.

فهذا إِفْرَاقٌ بَيْنَ أَهْلِ الْحَقِّ وَبَيْنَ الْفَسَقَةِ الْمُدْعِينَ، وَتَمْيِيزٌ لِمَنَازِلِ
الطَّائِعِينَ الْمُسَدِّقِينَ، وَحُجَّةٌ بِالْعَهْدِ عَلَى الْمَكْذِبِينَ النَّاكِثِينَ. وَلَعْمَرِي إِنَّ الشَّفَقَةَ
وَاللُّطْفَ وَالْعَطْفَ وَالرَّأْفَةَ بِجَمِيعِ الْخَلْقِ، وَالصَّبْرَ وَالنَّصْفَةَ أَجْدَرُ وَأَوْلَى
بِأَوْلِيَاءِ وَلِيِّ الْحَقِّ.

وَالْآنَ فَمَنْ اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ وَتَابَ، فَبَابُ التَّوْبَةِ لَهُ إِلَى سَبْعِ لَيَالٍ خَلَتْ
مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ مَفْتُوحٍ، وَمَنْ تَخَلَّفَ وَنَكَثَ وَكَذَّبَ فَهُوَ مُلْعَوْنٌ عَلَى أَلْسِنِ
أَوْلِيَاءِ الْحَقِّ مُقْدُوفٌ مُقْبُوحٌ.

فَلْيُبْلَغْ ذَلِكَ مَنْ سَمِعَهُ مِنْكَ لِمَنْ غَابَ، لِتَقُومَ الْحُجَّةُ عَلَى الْمَكْذِبِينَ
وَالْمُنَافِقِينَ، وَيَحِلَّ الْعَذَابُ وَالسَّخَطُ عَلَى النَّاكِثِينَ وَالْمُبَاهِتِينَ. وَمَا عَلَى
الرَّسُولِ السَّادِقِ سِوَى الْبَلَاغِ الْمُبِينِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَالَمِينَ، وَالشُّكْرُ لَوْلِيهِ الْقَائِمِ بِحَقِيقَةِ الدِّينِ، الْمُنْتَقِمِ
بَسِيفِ الْحَقِّ مِنَ الْجَا حِدِينَ وَالنَّاكِثِينَ وَالْمَارِقِينَ.

تَمَّتِ الرِّسَالَةُ. وَالْحَمْدُ لِمَوْلَانَا وَحْدَهُ، وَالشُّكْرُ لَوْلِيِّ عِبْدِهِ.

المقالة في الرد على المنجمين

كتب هذه المقالة بهاء الدين المقتنى، وهو يرد على سخافات المنجمين ويذحض أباطيلهم. مختصر موضوعها ما جاء فيها أن بهاء الدين يذكر «حُلَّ عَقْلٍ مَنْ جَعَلَ لِلنَّجُومِ الْجَمَادَاتِ أَحْكَامًا، وَأَنَّ لَهَا فِي أَرْزَاقِ النَّاسِ تَدْبِيرًا وَتَأْثِيرًا».

على البار المنزه عن الحدِّ والعدمِ توكلت، وبالهادي القائم اعتصمت وتوسلت. قال العبدُ المقتنى الممتحنُ بفراغة الدين، والمبتلى بالخشاش والمرقة المرتدين: الذي حداني على إثبات هذه المقالة وإفرادها في غير مُصنَّفٍ جامعٍ ولا رسالةٍ ما أفاض فيه من لا قدر له ممن ادعى الديانة، وباين بالعناد والمروق والجهالة.

وأيضاً عجز أهل العلم في زمن السِترِ قبلَ ظهورِ قائمِ الدين، وتصويغهم لضعفهم، ونكلهم عما اتخذوه لهم مذهباً وقانوناً للردِّ على أهل الحقِّ جماعةً من فرق الجدليين والمتفلسفين، وأنهم طابقوا أهل الحقِّ في قولهم إن النفس جوهرٌ لطيفٌ شفافٌ متسرمدٌ بالبقاء لتمام جوهريته. ثم حكموا أن هذا الجوهر هو الحامل للعرض في ذاته وهويته، ثم جعلوا جميع العلم عرضاً حملته نفوس العوالم، ولم يفرقوا بين نفس الموحِّد السادق الزكي الطائع العالم، وبين نفس المرتد الخبيث الخين الجائر الظالم.

فكأنهم رَمَقُوا الحَقَّ ببصائرٍ قَدْ أَلْفَتْ نفوسُها التكرارَ في البَلَسِ
والضِدِّيَّةِ، وكذلك لم يَفْرِقُوا بَيْنَ النفوسِ المتجوهرَةِ بضياءِ العقلِ وأنوارِهِ
القدسيَّةِ، وبين النفوسِ الكَدِرَةِ لِنَكِبِها عن الحَقِّ في المعالمِ الرذِلَةِ والظَلَمِ
الطبيعيَّةِ.

وهذه النفوسُ فهي التي رَجَعَتْ عن توحيدِ الباري وَشَكَّتْ في الإمامِ
الهادي القائمِ العدلِ، فصارتُ علومُها أَعْرَاضاً لِمُصَدِّقِها عن الحَقِّ وخلوها
من العقلِ، وَعَلَّقَها بمراسمِ الأبالسةِ والشياطينِ، وخروجِها عن الحَقِّ بِالْفَرَعِ
والأصلِ، لا كَمَنْ جَعَلَ لها عقولَ مَنْ بَايَنَ بالسَّفَهِ والمعاندَةِ والمُرُوقِ والجهلِ،
رَدّاً لِمُعْجِزِ حكمةِ القائمِ الهادي المنتظرِ إمامِ الموحِّدينَ، فيما بَيَّنَّهُ من المُعْجِزِ في
دورِ القيامةِ، وإيضاحِ ما استترَ عن العوالمِ من مقابحِ الضدِّ اللعينِ، وأَنَّهُ
لطيفٌ شَفَّافٌ تَجَرَّى قوَّتُهُ مجاريِ الدمِ، وأَنَّهُ ظَلَمَةٌ عند نورِ العقلِ نورٌ عند
غيرهِ من أتباعهِ المِرْقَةِ الجاحِدينَ، كَتِيفٌ عند لطافةِ العقلِ لطيفٌ شَفَّافٌ عند
كثافةِ عَالَمِهِ الخَوْنَةِ المُدَّعِينِ، وكيف يكونُ لهم عقولٌ وقد استولتْ عليهم
بالجهلِ طبائعُ الضدِّ المذمومةِ التي هي المعصِيَّةُ والظَلَمَةُ والاستكبارُ والجهلُ
والمعاندَةُ!

فهذه طبائعُ العقابِ وهي الشَّيْمُ المَبَايِنَةُ للحقِّ المذمومةِ، كما اشتمَلَتْ
على أهلِ التَّوْحِيدِ والحَقِّ طبائعُ العقلِ المحمودَةِ المفهومةِ، التي هي حرارةُ
العقلِ وقوَّةُ النورِ وسكونُ التواضعِ وبرودةُ الحلمِ وليونةُ الهيوليِ الداخلِ
في الطبائعِ الخارجِ منهم. فهذه طبائعُ العقلِ المحمودَةِ المعلومَةِ. وليس لعالمِ
الضدِّ عقولٌ وأنما لهم قوَّةٌ مُمَيَّزَةٌ يَفْهَمُونَ بها الباطلَ من الحَقِّ. وبهذه القوَّةِ
والتَّخْيِيرِ قد قامتِ الحُجَّةُ لِلثَّوَابِ والعقابِ على جميعِ الخلقِ.

ونفوسُ أهلِ الحَقِّ لِشَرَفِها متجوهرَةٌ بجوهرِيَّةِ طبائعِ العقلِ.
ونفوسُ الفِرَقِ الجاحِدَةِ لِكَدَرِها مُتَّحِدَةٌ بطبائعِ الضدِّ المذمومةِ الزائدةِ على
الْبَلَادَةِ والخُبْثِ والشَطَنِ والْجَهْلِ.

ولو كانت نفوسهم، أعني عالم الضدّ متحدةً بالعقل لوجب لها التفاضل مع نفوس الموحدين. وكان الخلق سدى وهذا هو الهرج لامتزاج الحق والعدل بالظلم والجور والهزل. بل ما وجد في نفوس بعضهم، أعني عالم الضدّ، من الأدب والخلق السّمح والسّمت الجميل وضرب المعلومات اللائقة بمذهب التوحيد والحق والعدل، وإنما هي نفوس رجعت بعد المعرفة عن دين التوحيد والحق والعدل، وبقي عليها حلا النفس الشريفة لبعض عمّل صالح قدّمته إلى أهل الحق في البدا والأصل.

وليس كل من حفظ شيئاً من المعلومات الدينية، وإن أكثر منها، كانت نفسه متحدةً بالعقل. اذا جعل ذلك للرياء والسّمة وسبب التلبّس والتكسّب والتكبر على أهل الدين والفضل.

فهذه الخلال توجب خلّوهم من الطبائع المحمودة وفروض التوحيد التي هي أدب الدين من قبل الدين التي هي الفضائل العفيفة بكمالها التي جعلها البارئ تعالى أصلاً وأساساً لدين التوحيد والحق والعدل. كما جعل الطبائع الفلكية هي الأمّهات، أصلاً وأساساً لتنمية الأجسام وتمايم الخلقة وبقاء النسل. فمتى عدمت إحدى هذه الطبائع الفلكية التي هي الأمّهات وخلا منها هذا العالم لم تتم تربية الأجسام، ولا جميع النباتات واختلط ترتيب الخلقة وخرجت عن نظام الحكمة وخالفت هيئة الشكل.

وكذلك النفس الجوهرية التي كمالها بالاتحاد بفروض التوحيد وبالطبائع النفسانية المحمودة التي هي طبائع الثواب التي بها يتوصل إلى الاتحاد بما أفاضه العقل. فمتى ما عدمت النفس طبيعة واحدة من المذكورة النفسانية المحمودة التي هي الكمال للنفس، اختلطت معارفها وعميت عن التوحيد وانفسد نظامها وصارت أصول معارفها ناقصة وعلومها بغير

تحصيل، مختلطة بالجدّ والهزل، واستولت عليها الطبائع المذمومة الخارجة عن الحق والعدل، إلى الخُبث بالجور والظلم والجهل.

والشاهد الصحيح أن بقاء هذا الجسم بأعضائه الخمسة التي هي طبائعه المُقيّمة له والمُتمّمة لبقائه، وهي القلب والكبد والمرارة والطحال والرئة. فمتى ما عُدِم أحد هذه الأعضاء تلاشى وانمحق وانسفل، وخرَجَ عن السمت الصحيح والمثل.

وليس لهذا الغافل من القدر أن يُردّ عليه فيكون من جملة المعروفين، وإنما جعلنا قوله طريقة وسبباً للرد على من جعل العلم عرضاً من جملة المنطقيين والمتفلسفين، وأنهم لم يفرقوا بين الجوهر النفساني المتحد بالعقل الحامل لجوهريته، وبين الجوهر الجرمي الكدر الحامل للعرض بفساد ذاتيته.

وأنا بمشيئة البار أذكرُ خلل عقل من جعل للنجوم الجمادات أحكاماً بتقدير، وسعداً أو نحساً، وأن لها في أرزاق العالم وقسمتها تدبيراً وتأثير. إلا إن قائل هذا قد باين بالرد على الباري تعالى في إبطال علم النجامة، وجاهر ببكسه بما قد عرّف النهي عنه من قبل الأوامر العالية وسلك في الطاعة سبيل السلامة، لا كمن باين بالردة وقاوم الحق بالباطل وجحد أعلام الإمامة، إذ جاوز أحكام النجوم وتصحيح فعلها في أرزاق العالم وأقسامهم، وفي صحة المرضي على غير تغيير الغذاء والهواء وعلمهم وأسقامهم، وفي سعادات النفوس ونحوسها على ما ذكروه في كروهم ومخائل كلامهم، إبطالاً للمجازات بالأعمال، وسقوط الثواب والعقاب كاعتقاد المعطلين الجهال، ويكونوا العالم معذورين في جميع ما من المذمومات فعلوه، لأنه بتقدير سماوي من فعل النجوم جرى على قولهم فيما ثبتوه وأصلوه.

ويبطل على قولهم، أعني الفلاسفة والمنجمين، تمييزاً لنفوس المتحدّة بالعقل وأوامره في العبادات الواجبات، وينفسد نظام العوالم إذا حكمت على المعقولات والنفسانيات، الخالية من العقل والنفس والتصوير، أعني الأفلاك والنجوم الجمادات، ولا يكون في الردّ عليهم أعظم من تحقّق العالم أنّهم قد خرجوا عن جميع أحكام المتعبدات. فمن رضي بقولهم أو بشيء منه سوى فعلها في تنمية الأجسام الكثيفة بالأهوية والنبات، وأنّ الأهوية تمد الطبائع التي هي الأمهات. فمن جعل لها فعلاً غير هذا فقد أشرك بباري المبروءات، وبريء من إله الأرض والسموات.

وفي هذا كفاية لمن تدبّر معاني الحق، وأنصف نفسه وكان من جملة أهل الإيمان والصدق. والحمد للمولى الإله الحاكم المنزه عن الفعل والصفة والحدّ والنعته والقول. والشكر لوليه وعبيده الهادي إلى دين الحق ذي المنّ والفضل والطول. وهو حسب عبده الأسير المقتنى الضعيف القوة الآبه والحول.

تمت بمِنَّة ولي الأمر.

الرَّسَالَةُ الْمَوْسُومَةُ بِبِرِّ الْخَلْقِ

يعالجُ بهاءُ الدِّينِ في هذه الرسالة جملة أمورٍ تتعلّقُ بأصلِ النفس وماهيّتها ومصيرها. والرسالةُ جوابٌ على أسئلةٍ طرحها أحدُ الموحّدين على بهاء الدِّين. وفي نهايتها يذكرُ المقتنى القابهِ وأسماءه ودوره في دعوة التّوحيد التي أضفاها عليه قائمُ الزّمان.

بسمِ إله الحقِّ ومبدعِ علّةِ الخلق.

إنَّ أحسنَ ما أبْتَدِئَ به حمدَ البارِ المنزّه عن الأزلِ والأزليّة، الذي احتجَبَ بما خلَقَه عن خلقه بحكمته العليّة، العالُّ لعلّةِ العللِ العليّة، ومكوّنِ الأكوارِ، ومديرِ الأدوارِ، ومبدعِ محرّكِ الحركةِ الدائِمة، ومنشيِ الأنفسِ الباقيّةِ العالِمة، الواحد لا من عدد، والدائم بلا أمد؛ والشهادة له بما شهدت به ملائكتُه وأولو عِلْمِه بالإخلاصِ أنّه إله الآلهة ومبدعُ إمامِ الأئمةِ الهاديّةِ العارِفة.

سألتَ أيّها الأخُ الشفيقُ والدِّينُ الحقيقُ، أن أبينَ لك في الابتداءِ بيانًا شافيًا ترجعُ إليه وتعتدُّ في جمهورٍ مُعْتَقِدِكَ عليه، فأَجَبْتُكَ إلى ذلك بمعرفتي بسدقِ نيتِكَ، وجميلِ طويّتك، فقَدِّمْتُ توحيدَ الباري سبحانه أمامي، واستعنتُ بوليّه القائمِ في جميعِ كلامي.

وأما ما سألت عنه من خلق النفس، الشريف عنصرها، واختلاف الحركات بها، مع اختلاف الأجرام التي تحلها، وكيف بدو خلقها وإنشائها.

وأنا أذكر من ذلك ما يصح به البيان، ويتضح فيه البرهان، من إنشاء النفس وإبداع العقل والبيئة عليه وملاوئمتها لها وإنزال طبيعتها منازلها. وأذكر ما هيئتها، وكيف حلولها في العالم، واختلاف الصور، واتفاق النفس واتفاق الأجرام، واختلاف الحركات، بقدر استطاعة عبد مقرر بالتقصير، معتمد على ما يطرقه من ولي زمانه من التأييد والتأثير.

إعلم وفقك المولى لكل مكرمة، وهداك إلى كل عارفة ومعلمة، ومنحك سبيل الهدى، وأعاذك من الغي والهوى، أن الباري سبحانه هو الإله العال الذي كل شيء معلول بعلمه، وعلمه فهو المبدع الحق والعقل السدق. والعال هو الذي وقفت العقول حسراً عن إدراك لاهوتيته، والذي هو مبدعه فهو الجوهر العظيم في أزليته، وهو محرك الحركة بلا محرك سواه. ولم تزل هي به كما لم يزل هو بها، وهو المسمى عالم العقل، السابق لكل فعل ومفعول، ثم انفعّل الفعل ففعل فعلاً هو دونه فكان ذلك الفعل عالم النفس الشريف المتحرك بالمحرك القائم بالحركة، الثابت بالعظمة.

أعني بالعظمة عالم العقل، لأنه أبسط الأنوار، وأطفها وعالم النفس دونه. فبذلك تباينا، وبالجنسية تمازجا، ولم يزا لامتازجين، أعني العالمين، ومتحركين، أعني العنصرين القديمين، اللذين أحدهما دائر على الآخر. وهما أول محرك ومتحرك بالإلهية، العال لجميع المعلولات. وذلك أن الأصلين القديمين لهما الكلمة البسيطة، والنور البسيط، والحكمة اللطيفة، فصارت أربع جوانب ونقطة في وسطها.

فهذه أصول العالم الروحاني، على الاختصار بشرح الألفاظ ودقيق

المعاني.

وأما الجسماني فهي الطبيعة وهي بدو حركة وسكون لأنها متحركة من قبل ذاتها، وذاتها إضافتها إلى عالم النفس، لأنه الحاوي لها والحاكم عليها، وهي مجبرة من تحته، أعني الطبيعة، وهي بدو حركة لكل ما ليس له، متحرك من ذاته. والطبيعة إنما تتم أفعالها بالحركة ليتم كل ما ليس له بتمام. ويخرج كل ما هو بالقوة إلى الفعل بالحركة.

فإذا تمت فعلها من نحو ذلك الشيء سكن فعلها في ذلك الشيء. فدل بذلك أنها بدو حركة وسكون. فتكون من الحركة حرارة ومن السكون برودة. وتولد بينهما رطوبة ويبوسة فترتبت كل واسطة بين حاشيتين. فتكون منهما استقصات، فتولد من الحرارة واليبوسة النار، وتولد من البرودة واليبوسة الأرض، وتولد من الرطوبة والبرودة الماء وتولد من الحرارة والرطوبة الهواء.

فلما تفاعلت الأصول العلوية، أعني العقلية والنفسية، جاز فعلهما اللذان أحدهما دائر على الآخر، ودخل فعلهما في الجسم لقوة صفائهما ومجانستهما للجسم، ومن حيث العقل تفاعلت الأجسام كلها تشبها بالأوائل اللطيفة الروحانية.

فارتفعت بقوة الحركة النفسانية والأنوار الطبيعية عالية من جميع جهاتها فتكونت أفلاك متسامية ذات بروج عالية، وأسكنها مدبرات نيرة سائرة متحركة لتمام الحكمة والتقدير، وإخراج ما في القوة إلى الفعل بالتدبير، فدارت الأفلاك، ودبرت وعملت الأمهات وظهرت الاستقصات، واختلط اللطيف بالكثيف، والكثيف باللطيف، وتكونت الجمادات، والنبات والحيوان والمعادن، والإنسان الناطق الفاضل، فتم خلقه من نفس عاقلة، وجسد صنعة فاضلة. قد بلغ من أحكامها أنه لم يكن على حال أحسن ولا أجود مما هو عليه. فهو متكون من لطيف روحاني، وكثيف جسماني.

فما لَطُفَ فإلى عالم العقل يَرَقَى، وما كَثُفَ ففي عالم الطبيعة يَبْقَى.
وقد ارتبطَ ما يَبِيدُ وَيَفْنَى، بما لا يَبِيدُ ولا يَفْنَى، لأنَّ اللطيفَ من بدايةٍ وليس له
نهايةٌ والكثيفَ من بدايةٍ، وليس له نهايةٌ، وهو آخِرُ فَعْلِ الطبيعةِ وإخراجِ ما
في القوَّةِ الي الفعلِ بالحركةِ.

فقد بلغتُ الغَرَضَ، فيما قصدتُ. فلنختُمَ هذا الكتابَ بالحمدِ للمُنعمِ
الفردِ الصَّمَدِ، والشكرِ للملهمِ المنزَّه عن العددِ. وصلواته على صفِيهِ الذي
احتَجَّبَ به عن خَلْقِهِ، وهو حَسْبُنَا وبه نستعينُ في جميعِ الأمورِ، ونِعَمَ المعينُ
النصير.

تَمَّتِ الرسالةُ الموسومةُ ببدءِ الخلقِ، بتأييدِ وليِّ الحقِّ على لسانِ
عبيده بهاءِ الدِّينِ، ولسانِ المؤمنينِ، الناصِحِ لكافةِ الخلقِ أجمعينِ، أَلْجَنَاحِ
الْأَيْسَرِ، والحدِّ الرابعِ الأصغرِ والسلام.

الموسومة بالموعظة

كتب بهاء الدين هذه الرسالة بأسلوب عظة، يشدّد الموحدين المؤمنين
في دعوتهم، وينصحهم بترك كل كافر ضالّ. تاريخ الرسالة من سنة
٤٣٠ هـ.

توكّلت على من أنكر وجوده الشاكون الملحدون، وشكرت عبده قائم
الحق الذي عند عنه المرتدون الجاحدون.

من العبد الممتحن بأبالسة الدين وطغاة الأدوار، إلى جميع من تأسّم
بِسْمَةِ التَّوْحِيدِ بهذا الصقع وجميع من بالآفاق والأقطار، وتَنَسَّمَ أَرْيَاحَ
الْقِيَامَةِ وسَلِمَ مِنَ الْحَيْفِ وَالزَّهْوِ وَالِاسْتِكْبَارِ. أَلَسْلَامُ عَلَى مَنْ سَمِعَ وَأَبْصَرَ
مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ الْمُوَحِّدِينَ الْأَطْهَارِ، وَنَصَّتْ لَوْعِظِ دَاعِي الْحَقِّ فَاتَّضَحَتْ لَهُ
مَعَالِمُ التَّنْزِيهِ وَالتَّجْرِيدِ لِلْمَوْلَى الْإِلَهِ الْهَاجِمِ الْجَبَّارِ، وَاعْتَصَمَ بِحُجْرَةِ وَلِيِّهِ
قَائِمِ الْحَقِّ الْهَادِي إِلَى دَارِ الْقَرَارِ.

إِعْلَمُوا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَمَيِّزُونَ وَالْجَمَاعَةُ النَّاجِيُونَ
الْمُوَحِّدُونَ، سَهَّلَ اللَّهُ لَكُمْ نَيْلَ الْفَضَائِلِ الْجَوْهَرِيَّةِ، وَكَفَاكُمْ فِي اعْتِقَادَاتِكُمْ
عَوَارِضَ الْأَمْرَاضِ الْمَعْدِيَّةِ، وَالْعِلَلِ الْوَبَائِيَّةِ.

إِنَّ هَذِهِ أَشْرَاطُ الْقِيَامَةِ وَأَزْمَتُهَا، تُوجِبُ لَأَنْفُسِ الْأَوْلِيَاءِ الْمُحَقِّقِينَ
وَالطَّهَرَةِ الْمُوَحِّدِينَ السَّادِقِينَ، الْمَسَالِمَةَ وَالتَّالِفَ وَالتَّحَالَفَ وَالْمُوَاطَاةَ. وَيُسَهِّلُ

عليها امتزاجها بشرفِ معلومِ الحكمة نيلَ الفضائلِ العَفِيَّةِ ومكارِمِ الأخلاقِ
والمؤاساة، ويمنعُها عن استحسانِ الرذائلِ، ويقلِّلُ عندها الزهيدَ الفاني
الزائلِ، ويصدُّها عن التكالبِ عليه والمماراة.

فَمَنْ أَتَيْتُمُوهُ مَدْعِيًّا لِلدِّيانَةِ مُبائِنًا لِهَذِهِ الْأَوْصافِ، وَمُواطِنًا لِأَهْلِ
الْفَسْقِ وَالنُّكْثِ وَالْارْتِدَادِ وَالْانْحِرَافِ، وَخَارِجًا بِالْكَذِبِ عَلَى إِخْوَانِهِ بِالْجَوْرِ
وَالظَلَمِ عَنِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ، فَتَيَقَّنُوا أَنَّ نَفْسَهُ إِنَّمَا أَظْهَرَتْ أَخْلَاقَ أَشْكَالِهَا،
وَأَبَدَتْ عَقِيدَةَ مَوَالِفِهَا وَأُمُثَالِهَا.

فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ نَسَبِكُمْ وَظَهَرَتْ مِنْهُ إِحْدَى هَذِهِ الْخِلَالِ فَأَعْتَبُوهُ
وَعَظُّوهُ، وَإِنْ تَمَادَى عَلَى سَنَنِهِ فَلَوْمُوهُ وَعَنْفُوهُ وَإِنْ طَالَ بِهِ السَّقَمُ وَاللَّدَدُ
فَاهْجَرُوهُ، وَإِنْ دَامَ عَلَى غِيَّةٍ فَتَبَرَّأُوا مِنْهُ وَأَبْعَدُوهُ.

وَالْحَقُّ أَقُولُ فَهَكَذَا نَفُوسُ أَهْلِ الْغِيِّ وَالضَّلَالِ، وَأَنْهَا تَتَوَاطَأُ وَتَتَأَلَفُ
عَلَى الْارْتِدَادِ وَالْهَزْلِ وَالْمُحَالِ، وَتَمْتَزِجُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْأَقْوَالِ
وَالْأَفْعَالِ.

فَاغْتَمُوا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الطَّهْرَةَ مَوَاعِظَ النَّاصِحِ الْحَدِّبِ الشَّفِيقِ، وَلَا
تَسْتَحْسِنُوا مَقَابِحَ الْأَدْعِيَاءِ وَتُضْيِفُوهَا إِلَى الدِّينِ الْحَقِيقِ، فَقَدْ ضَاقَ الزَّمَانُ
عَنِ الْإِمْهَالِ، وَحَصَلْتُمْ عَلَى حَصَائِدِ قُلُوبِكُمْ فِي طَاعَةِ وَلِيِّ الْحَقِّ بِاللَّدَدِ
وَالْإِحْجَامِ عَنْهَا وَالنُّكْلِ وَالْإِغْفَالِ، وَقَدْ أَنْصَفْتُكُمْ وَلِجَمِيعِ الْأُمَمِ بِمَا سَيَّرْتُهُ مِنْ
الْبَيَانِ مُدْرَجًا فِي رِسَالَةِ التَّمْيِيزِ^(١). وَاللَّهُ يَضَاعِفُ بِصَائِرِ أَهْلِ الْحَقِّ وَيَأْخُذُ
بِنَوَاصِي مُقْصِرِينَهِمْ إِلَيْهِ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُنْزَهَ عَنْ مَتَصَوِّرَاتِ مِظَانِ الْعُقُولِ بَعْدَ إِضَاءَةِ مَقَاصِدِهَا
وَاسْتِنَارَةِ مَعَالِمِ أَسْرَارِهَا. وَسَلَامُهُ عَلَى وَلِيِّهِ قَائِمِ الدِّينِ مَوْقَتٍ مُقَادِيرِ

الأعصارِ على تباينِها وتكرارِها، وموفي كلِّ أمةٍ أجلِّها بعدَ إقامةِ الحجِّ على
نفوسِ أشخاصِها عندَ الوجودِ الكافي في إيرادِها وإصدارِها.

حسبي ثقتي بالقائمِ على كلِّ نفسٍ بما كسبتُ في دارِ المعادِ بعدَ
حصريها وإنكارِها.

وَكُتِبَ في يومِ السبتِ لأربعِ مضتْ منْ جمادى الأولى سنةَ أحدَ
وعشرين من سنينِ قائمِ الزمانِ وصاحبِ الدارِ الآخرةِ.

تمتُ والحمدُ لمولانا وحدهُ والشكرُ لقائمِ الحقِّ عبدهُ.

المواجهة

يُطَلَّبُ بهاءُ الدِّين من الإمامِ رضاهُ ونعمتهُ، ويتمنَّى عليه أن تكونَ
المراسلاتُ والسجلاتُ والمقالاتُ التي أرسلها إلى الدَّعاةِ مجلبةً خيرٍ
وسلامٍ عليه. وهو يُقرُّ بأنَّها كُلُّها من موادِّ قائمِ الزمانِ.

السلامُ على الإمامِ الدالِّ على اللهِ حقًّا حقًّا. السلامُ على أمينِ البارِ
وغايةِ أُولي النُّهى. السلامُ على قائمِ الحقِّ المنتقمِ ممَّن كَفَرَ وأدَّعى. السلامُ
على القائمِ على كلِّ نفسٍ بما كسبتُ وجَنى.

عبيدُهُ الزائرونَ لحرَمِهِ، المُنتَجِعُونَ لفيضِ أياديهِ وَكَرَمِهِ، رُسُلُ العبدِ
الذليلِ الأصغرِّ، المقتنَى الجناحِ الأيسرِ، التسليمُ والتقديسُ والتنزيهُ،
والتَّوْحِيدُ والتَّعْظِيمُ والتَّأْلِيهِ، للمولَى البارِي الحاكِمِ. والشُّكْرُ لعبدِهِ الإمامِ
الهاديِ القائمِ. العبدُ المملوكُ الخاضعُ الأصغرِّ، المقتنَى الجناحِ الأيسرِ،
يَخْضَعُ بحُضرةِ القدسِ والتَّأييدِ، وَيَبْتَهِلُ بدُوحَةِ الحقِّ ومَجَرى كَلِمَةِ
التَّوْحِيدِ، إلى مالِكِهِ ومولاهُ في العَفْوِ عن زَلَلِهِ وَخُطَاهُ، وفي التَّجاوُزِ عَمَّا فُرِطَ
منهُ وَهَفَاهُ.

وهذا مَقَامُ الذليلِ الحَقِيرِ ومَوْقفُ العائِذِ المُستجيرِ، وعنايةِ الشَّيخِ
الأسيرِ، اللَّائِذِ بِالْحَرَمِ الأَمِينِ، المُستشفِعِ إلى مالِكِهِ ومولاهُ بِحدودِهِ المُقَرَّبِينَ،

وبالسادة صفوته المنتجبين، أن يجعله في جملة من شملهم بالرضى والعفو، وتطول عليهم بالمسامحة من الغلط والسهو، في صحائف في التوحيد، نظمها العبد بتأييد مولاه وألفها، ورسائل إلى دعاة الحق ثناها على التنزيه وعطفها.

فما كان يا مولاي في هذه الصحائف والمراسلات والكتب والمُلطّفات التي سيرها العبد من خطاب جزل، ومنطق صائب وقول فصل، فهو من مئة إمام العصر ومواد قائم الزمان، وما كان فيها من خطأ وخطأ فهو منسوب إلى العبد الأصغر الملهوف الظمآن. يتوسل في الإقالة من تقصيره إلى لطف مولاه، ويرغب إلى كرمه في العفو عما اجترحه وجناه.

فها أنا متذلّل بالضرع يا مولاي إليك، ومُقرّ بما جنته يداي بين يديك، فأمّنْ على عبدك بما مننت به بالعفو عن المسيئين، وتجاوز عن زلله وخطئه معما تجاوزت عنه من زلل المذنبين.

فليس للعبد عمل يتوكّل في يوم القيامة عليه، ولا ملجأ للعبد الضعيف من سخط مولاه إلا إليه. فجد بعفوك يا مولاي على العبد البائس الفقير. فانت نعم المولى ونعم العفو القدير.

مكاتبة الشيخ أبي الكتائب

انظر مقدمة «التقليد» رقم ٤٧، فيها قصة الشيخ أبي الكتائب. أما هذه
الـ «مكاتبة» فمناسبتها هي عندما تولى الشيخ أحكام الموحدين في
الصعيد ومصر عامة «واستعجز نفسه من هذا الحمل الخطير»، كتب
بهاء الدين له قائلاً: إن أردت الانفساح وراحة القلب فعليك ببلاد
الشام، وإن أردت الخدمة فشوابها على قائم الزمان. ثم تواضع الشيخ
وما برأ نفسه من الخطأ والزلل. وهذه المكاتبة شددت عزيمة الشيخ
في الجهاد بمصر.

إِعْلَمْ يَا أَخِي أَنَّ عَمَلِي وَعَمَلَك يَنْظُرُ فِيهِ مَنْ لَا يَحِيفُ وَلَا يَجُورُ.

أَمَّا تَتَحَقَّقُ أَنَّ مَوْلَى الْخَلْقِ هُوَ الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
وَالْمَجَازِي لَهَا بِمَا أَسَرَّتْ وَأَعْلَنْتْ، وَأَنَا وَأَنْتَ يَا أَخِي، وَالْخَلْقُ عَلَيْهِ مَعْرُضُونَ
وَعَمَّا نَجْتَرِحُهُ مَسْئُولُونَ، وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي مِنَ الْخَطَا وَالزَّلَلِ، وَأَنَا اسْتَشْفَعُ
بِالتَضَرُّعِ وَالتَّجَاوُزِ وَالْعَفْوِ إِلَى عِلَّةِ الْعَلَلِ.

فَهُوَ الَّذِي لَا يَتَعَاظَمُهُ ذَنْبٌ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ مِنْ غَلَطٍ إِيْجَابٌ وَلَا سَلْبٌ.
فَاصْلِحْ مِنْ نَفْسِكَ وَارْجِعْ فِي مَهْمَاتِكَ إِلَيْهِ. وَكَيْفَ يَجْزَعُ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ لَهُ وَلِيًّا
يَلْطَفُ بِهِ وَيُنْصِفُهُ وَلَا يَحِيفُ عَلَيْهِ. فَأَنْتَ مِنْ قَبْلِي فِي سِعَةٍ وَفِي حُلٍّ بِطِيبِ
نَفْسٍ طَاهِرَةٍ مِنَ الدَّغْلِ وَالْغِلِّ. فَانْزِعْ مِنْ قَلْبِكَ جُلْبَابَ التَّفَكُّرِ، وَخُذْ لِنَفْسِكَ

بالوعظ لها والتذكّر. فالعاقل، يا أخي، مَنْ أَصْلَحَ مَثْوَاهُ، وَلَمْ يَبِعْ آخِرَتَهُ
بِدُنْيَاهُ. وَكُنْ عَلَى نَفْسِكَ بِنَفْسِكَ رَقِيبًا، وَلَا تَجْعَلْ لِلظُّلَمِ مِنْ نَفْسِكَ سَهْمًا وَلَا
نَصِيبًا.

وانظر فيما أعرضته إليك، وامنض فيه وسهّل بعد القُدرة عليك.

فَإِنْ كَانَ الْمَوْضِعُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ يَصْلُحُ لِلسِّرَةِ فَلِإِقَامٍ، وَإِنْ أَرَدْتَ
الْإِنْفِسَاحَ وَرَاحَةَ الْقَلْبِ فَعَلَيْكَ بِبِلَادِ الشَّامِ. وَإِنْ أَرَدْتَ الْخِدْمَةَ كَمَا ذَكَرْتُ لَكَ
فَتَوَابَّهَا عَلَى الْقَائِمِ الْهَادِي الْإِمَامِ. فَطِيبْ نَفْسَكَ، وَاجْعَلِ التَّقْوَى زَادَكَ
وَأُنْسَكَ. وَلَا تَجْعَلْ فِكْرَ الرَّدَا لِنَفْسِكَ فَائِدًا وَدَلِيلًا.

وأنا استودعك لمن ودائعهُ محفوظة لا تُضَيِّعُ، فَهُوَ نِعَمُ الْمَوْلَى وَنِعَمُ
الْحَمِيدِ السَّمِيعِ. وَالْحَمْدُ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ نَعْتُ وَلَا حَدٌّ. وَالشُّكْرُ لَوْلِيهِ السَّادِقُ
بِالْوَعْدِ.

تَمَّتْ وَالْحَمْدُ لِمَوْلَانَا وَحْدَهُ، وَالشُّكْرُ لَوْلِيهِ عَبْدُهُ.

٩٠

منشور الى آل عبد الله

جاء في كتاب عمدة العارفين، ص ٩٩، عن شيوخ آل عبد الله ما يلي:
«ولما أرسل (المقتنى) إلى آل عبد الله هذا المنشور، تعذر لهم من هذه
الأمور، وأوصاهم فيه بعد عتابه لهم عن التشتت الحادث فيهم،
والنفور. وذكّرهم بقرب الوقت وظهور صاحب البعث والنشور،
والتمسك بدينهم، واتفاق كلمتهم واجتماع شملهم... ولم يطلب منهم
الجواب لضيق الامر، بل قال: فلتشرقنا السادة بقبول العذر. هؤلاء
الشيوخ هم من حروف السدق، آمنوا بالتوحد.

بسم الله الرحمن الرحيم. كتابنا إليكم أيها الإخوان الأطهار،
والسفرة الأبرار، الموحدين الأزهار، أطال الله قي ظل رحمة بقاكم، وأدام
بنعمة وليه تأييدكم ونعمائكم، وحرس بظل ملكوته نفوسكم الشريفة
وعلاكم، وعصمكم بحسن الطاعة من فراعنة الأدوار وكلائكم، وفتح أذهانكم
لمعالم الحكمة الجلية وأسناكم، ومن علم وليه الهادي غداكم وأرواكم.

من المستقر بالحضرة الطاهرة الشريفة، عشية يوم الجمعة الرابع
عشر من ذي القعدة، أسعدكم المولى بطاعة عبده، وعرفكم من يأتي بعده.

وأحوالنا أيها الإخوان المحروسة نياتهم في السر والإعلان،
المجبولون على طاعة ولي الزمان، الباذلون نفوسهم وأموالهم في السر

والجَدَّانِ، مستقيمةً لولا مُنْفَاةُ أَشْخَاصِكُمْ، وعلى الإرادةِ مستبينةً لو ضارَعَهَا اجتماعُكُمْ وقُرْبُكُمْ.

وأما شوقنا إليكم وتأسُّفنا على القربِ منكم كشوقِ الظمانِ إلى الماءِ الشَّيْمِ، أو الدَّاعِرِ إلى إتيانِ الظَّلَمِ.

ولولا أنَّنا نُصَبِّرُ نفوسنا ونوعِدُ قلوبنا بالاجتماعِ عند ظهورِ وليِّ الحقِّ وجسومنا لكانتِ الحسراتُ تغلبُ، والهمومُ تُنهكُ وتُتعبُ. وإلى مَنْ أَلَفَ بين الضمائرِ والقلوبِ التوسُّلُ في الاجتماعِ على أمرٍ مطلوبٍ بمنهٍ وكرمه.

وكان قد وصلَ أيُّها السادةُ الإخوانُ من جهتكم إلينا أخوان: أحدهما رايحٌ، والآخر مُفَرِّجٌ. واتَّفَقَ وصولُهما في أصعبِ الأوقاتِ، وأحدِ الأزمنةِ والساعاتِ، وأعظمِ الفتراتِ. وبلغنا أنَّ مُفَرِّجَ عداً على بعضِ الإخوانِ فنقلَ صورتهُ فَعَظُمَ ذلك علينا، ولم يكلمهما أحداً منا. وأقاما مدةً وخرجا. وعرفنا بعد ذلك أنَّه بريٌّ ممَّا اتُّهمَ به وقُذِفَ.

فباللَّهِ لقد غَمَّنا تَخَلُّفُنا عن قَضَاءِ حقوقِهما، والقيامِ بما يجبُ علينا لثُلُمهما، وأردنا مبادرةَ المكاتبةِ إليكم بذلك فلم نَجِدْ مَنْ يَحْمِلُ كتابنا إليكم، حتي اتَّفَقَ الأخُ أبو عبد الله محمد السِنْدِي حَرَسَهُ اللَّهُ وأَعْلَا دَرَجَتَهُ، فاغتنمنا إنفاذَ الكتابِ على يده إلى جهتكم لِمَا بَلَّغْنَا من الشَّتتِ الذي حَدَثَ فيكم والنفورِ الذي أنتم بسبيله.

فما الذي أوجبَ أيُّها الأخوةُ هذا النفورَ، النفوسُ واحدةٌ، والكلمةُ ملتئمةٌ، والنعمةُ بمنَّةِ الوليِّ شاملةٌ، وأنتم على شَقَا جُرْفِ القيامةِ، وقد لاحَتْ دلائِلُ الإمامِ والعلامةِ، وظهورُ بدوِ الفعلِ المنتظرِ من تُهامةٍ، وشاعتْ أخبارُهُ في جميعِ الآفاقِ والبلدانِ، وتباشرتْ بها كافةُ الموحدينِ الإخوانِ، وهجمَتْ تالَّةُ الليلةِ التي نحنُ سائرون في ظلامِها ننتظرُ الصُّباحَ. فكانَ باللَّهِ قد أبدَرَ

ولاح وأشرق ضياؤه كالصباح، وفاز من ثبّت على دينه ومعتقده، وخاب من أوبقته أعماله فشك في توحيده ومذهبه.

فالتمسك أيها الإخوان الأطهار بما في أيديكم وإن حمي لمسه، وصعب لحدّة الزمان مسكه، ولتكن كلمتكم واحدة وشملكم مجتمعا، وقولكم مؤتلفا. فالإختلاف يورث الفشل، وقلة المذاكرة في الدين تهبط قديم العمل.

ونحن وإياكم في فترات القيامة ويوم الجزاء، ولم يبق لنا ولكم إلا محافظة الإخوان وحسن الولاء. ولو أمكن لشرحنا ما هو أكثر. غير أن فيما ذكرناه بلوغ الغرض لمثلكم، وصفاء أذهانكم، وجودة علومكم، وحسن معتقدكم.

ونحن نستودع جميعكم لمن لا تخيب لديه ودائع الموحدين، ولا يظلم مثقال ذرة يوم الحق المبين. وجماعتنا تخلص جماعتكم الصغير والكبير والبعيد والقريب، بأتم التحية والسلام. ولو أمكن لطلبنا الجواب فلتشرّفنا المسأقي بقبول العذر، فالزمان قد ضاق عن طلبه بلوغ نهاية الأمر. والحمد لله على إنعام ما أولاه بعد الكشف من الستر.

تمت والحمد لمولانا وحده، والشكر لولي الزمان عبده.

جواب كتاب السادة

السادة هم ستة دكانوا ملوكاً بالأحساء وأعمالها ... أرسل المقتنى إليهم رسائل، يفكّهم بها من عهد التأويل (لأنهم كانوا من القرامطة) ويدعوهم بها إلى التوحيد... فأرسل لهم رسالة السفر، يأمرهم وينهاهم (رقمها ٦٨)، وهكذا تبادلت الرسائل بين السادة وبهاء الدين إلى أن كان هذا الجواب على «كتاب كريم في غاية من المحاسن في النثر والنظم». ويشيد بهاء الدين بهذا الكتاب في جوابه عليه، ويعتبره سطره في شفاهاة، كالرشم «عمدة العارفين (١١١)

لو كانت الأدوات تُبلِّغُ الإرادات، أطالَ المولى بقاءَ السادةِ الإخوانِ، المتمسكينَ بطاعةِ الوليِّ الديانِ، أطالةً يسمو نعيمُها، ويزكو في خيرِ التوحيدِ ثمرُها، وينمو غرسُها ومنبتُها، وأدامَ سعادتهم إدامةً تتضاعفُ أمنيَّتُها ويتكاثفُ أمنُها، لعكفنا على كتابهم الجليلِ عندنا الشهيِّ إلى نفوسنا بالتقبيلِ واللثمِ، حتى تصيرَ سطرُوه في شفاهاةِ كالرشمِ، وجعلناه لنا كالمنارِ نفتدي به في الظلمةِ كالأنوارِ، لكنِ التوسلُ إلى وليِّ المننِ باجتماعِ الإلفةِ وتحقيقِ الظننِ.

وقرأه جماعتنا فائلاجَ صدوراً بالبُعادِ حميَّةً، وأروى نفوساً بالتناثي ضميمةً، وتنزهنّا في حسنِ نظمهِ ونثرهِ، وبديعِ نواحيهِ وأمرهِ، ولم تذكرِ السادةُ الإخوانُ شيئاً من الشوقِ إلينا، والتأسفِ علينا إلا والجُرعةُ ممّا

تَقْذِفُهُ الْقُلُوبُ، والدمعة النَّزْرَةُ مِمَّا تَذْرِفُهُ الْعَيُونُ مِنَ الْمَاءِ الْمَسْكُوبِ، تَزِيدُ عَلَيْهِ وَلَوْ كَانَتْ أَنْهَارًا، وَتَغْمُرُهُ وَلَوْ كَانَ التَّكْرِيرُ بَحَارًا.

ووافق وصوله في وقت غيبي عن كافة الأمم، إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ الْبَارِي عَنْ الْخَطْلِ وَأَنَارَ لَدَيْهِ الظُّلَمَ، فَأَوْجِبَ الْوَقْتُ عَلَى الْمُوَحِّدِ الْعَارِفِ الْقَبْضَ عَلَى دِينِهِ كَالْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ الْمَضْرَمِ لَغِيْبَةِ الْحَجَّةِ، وَانْطِمَاسِ الْحَجَّةِ.

فَالْتَمَسْتُ أَيُّهَا الْإِخْوَانُ الْأَطْهَارُ، وَالسَّادَةُ الْأَبْرَارُ، بِمَا عَرَفْتُ بِهِ نَفُوسَكُمْ، وَتَبَيَّنَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُكُمْ وَلِحُومُكُمْ وَدِمَاؤُكُمْ، فَكَأَنَّكُمْ وَاللَّهِ بِالْكَائِنِ قَدْ كَانَ، وَالْخَفِيُّ قَدْ ظَهَرَ إِلَى الْإِعْلَانِ، وَقَدْ اشْتَهَرَ فِي جَمِيعِ الْأَفَاقِ وَالْبِلَادِ، بِظُهُورِ قَائِمِ الزَّمَانِ، بِالْيَمَنِ الْأَقْصَى، وَقَرَّبَ مَا كَانَ نَائِيًا.

وَقَدْ تَأَدَّى إِلَيْنَا وَإِلَيْكُمْ مِنَ الْحِكْمَةِ مَا يُحْفَظُ أَيْسَرُهَا أَنَّهُ مَا دَامَ عَلَى حَسَنِ الْإِتِّلَافِ وَقَبُولِ النِّعْمَةِ وَقَدْ عَرَفْنَا الْحَجَّةَ بِمَا قَامَتْ عَلَيْنَا بِهِ الْحَجَّةُ.

فَلْتَكُونِ، أَيُّهَا الْإِخْوَانُ، الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً وَالْإِلْفَةُ مَجْتَمِعَةً، وَالْمَذَاكِرَةُ دَائِمَةً. فَمَنْ نَسِيَ وَلِيَ الْحَقُّ كَانَ الْحَقُّ لَهُ نَاسِيًا مَاحِقًا، وَبِمَا جَنَاهُ عَلَى نَفْسِهِ فِي غَدٍ شَاهِدًا نَاطِقًا.

فَلَمَثَلِ وَقَبْلِكُمْ هَذَا كُنْتُمْ تُوعِدُونَ، وَتَحْفَظُونَ الْحِكْمَةَ وَتَعْتَدُونَ. فَكَأَنَّكُمْ وَاللَّهِ بِضِيَاءِ لَيْلِكُمْ قَدْ أَبَدَرُ، وَبَصْبَحِهِ قَدْ أَسْفَرَ، وَبِكُوكِبِهِ الدَّرِّيَّ قَدْ أَزْهَرَ. فَيَقُولُ الْمَنَافِقُ الْمُرْتَدُّ: «أَيْنَ الْمَقَرُّ؟ كَلَّا لَا وَزَّ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ»^(٢).

وَفِي بَعْضِ هَذَا أَيُّهَا الْإِخْوَانُ كِفَايَةً لِمَنْ نَظَرَ وَتَدَبَّرَ، وَعَلِمَ وَأَفْكَرَ، وَكَشَفَ عَنْ بَصِيرَتِهِ وَأَبْصَرَ.

ونحن نستودعُ جماعتكم لمن لا تَخيبُ الودائعُ في أوليائه، ولا يَغفلُ
 عن إنصافكم من أعدائكم وأعدائه. وجماعتنا تخصُّ جماعتكم ممَّن نأى
 وقربَ بأنتم التحية والسلام. وقد ضاقَ الزمانُ عن المكاتبةِ والجواب،
 وانقطعَ لحدِّته القولُ والخطاب.

تَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ.

الكتاب المنفذ على يد سرايا

لعله الشيخ أبو السرايا من أكابر شيوخ آل أبي تراب. نعت بهاء الدين بالخير الأمين وبالسراج. أصله من يركا من أعمال ساحل عكا ومات فيها. هذا كتاب فيه من الرموز والمثولات الشيء الكثير. فالتجارة والبضاعة هما رمزان للدعوة والتوحيد. ولا علاقة له بالتجارة المعروفة لدينا.

أطال الله بقاء الشيخ الخير الفاضل، وأدام تأييده ونعمته، وحرس من الغير ثقته ونيتته. وقد علم آدم الله سعادته، أنه خرج من عندنا بالبضاعة التي خرجت معه ونحن به واثقون، ولما يفعله فيها مطمئنون. فما رأينا بحمد الله حالاً يوجب عتياً ولا استقلالاً، وقد وصل إلينا ما سهل الله من الربح ورأس المال ولم نعتب عليه في شيء مما بقي لأنه عندنا ثقة تقي، وكذلك الجماعة أصدقائنا قبله.

وقد علم الشيخ أيده الله أن التجارة بمصر قد كسدت لما فيها من ضيق السعر، ولم يبق في كل بلدة غير السمات القديمة والذكر، فعملت على إنفاذ هذه البضاعة مع الشيخ أبي الفتح، حفظه الله، وفي صحبت الشيخ أبو الفضل العجمي، كلاًه الله لمعرفتي بثقتي وأنها لا يستحسنان كذباً في البيع والشراء، ولا يختزلان شيئاً من البضائع، ولا يطابقا غير ثقة من

جميع الورى. وأنفذت معهم الصبي يحيى يخدمهم، وأيضاً فإنه قد سلك تلك الطريق مع الشيخ الماضي، رحمه الله، ولو كان يحيى عندنا ثقة لما تخلفنا عن إنفاذ هذه البضاعة على يده إلى حين وصول الشيخ أبي الفتح، وهي عندنا مخرومة من الزمن الطويل.

وقد وصل إلينا أن الصبي يحيى قد تغلب على شيء منها فباعه في غير موضعه وطرحه، وأنه أتلّف كثيراً من رأس المال مع جميع ما ربحه، وساعده على ذلك من ساعده من الشيوخ التجار، وزينوا له مقاومته أعني الشيخ أبي الفتح، وهذا شيء لا يليق بالتجار، وقد كان ذلك أيضاً سبباً لتعويقهم عن الزيادة.

والشيخ الخير أدام الله سعادته، فما وصل إلينا أحد من جهته فمنعناه شيئاً مما طلبه واختاره. وهذا الصبي فهو جاهل، وإنما أنفذناه رجياً أن ينصلح فيكون فيه خير المعونة للشيخين في السفر، ولا ينفرد في فعل ولا يخرج عن رأي الشيخ أبي الفتح فيما أمر. وإذا سهل الله رجوعه فعرفوه أنه قد بلغنا خيائته وتعديه، وأنه غير ثقة فيما أئمن عليه وأعطيه.

وما وصل إلينا شيء من بضائع الجماعة الشيوخ، ففرطنا فيه ولا أضعنا، ولا حملنا لأحد خيانة في أموالهم ولا أطعناه. والله يجازينا على ما فعلنا معه وأردناه. وإذا فعل ما هو شبيه له فنحن نتكله على الله مجازينا ومجازيه. وإنما تعجبنا من فعل من ساعده من الشيوخ على بيع ما لا يملكه وقد عرف تعديه.

والشيخ الفاضل أدام الله حراسته ينتبه لهذا الحال، ويفعل فيها إذا سهل الله رجوعهم من الزيارة إلى ما قبله أحسن الأفعال. وهذا الصبي صبي العقل، ولا يؤمن عليه لغرته من الجهل. وبالله ما أنفذته في صحبتيهما

إِلَّا رَجِيَّةً أَنْ يَكُونَ ثَقَّةً أَمِينًا، وَمَا أُعْطِيَ اللَّهُ غَيْبَهُ لِأَحَدٍ فَكُنَّا أَهْمَلُنَاهُ وَعَرَفْنَاهُ
حَيِّنًا مُبِينًا.

فَإِنْ رَأَى الشَّيْخُ أَنْ يَفْعَلَ فِي ذَلِكَ هُوَ وَالْجَمَاعَةُ مَا يَشَاكِلُ ثَقَّتَهُمْ
وَدِيَانَتَهُمْ، وَلَا يَجُوزُوا عَلَى نَفُوسِهِمْ مَا يُوثِقُ أَعْرَاضَهُمْ، وَيُشْكَلُ الْغَيْرَ فِي
أَمَانَتِهِمْ، وَمَا كَانَ لِلشَّيْخِ الْفَاضِلِ مِنْ حَاجَةٍ فَإِنَّا نُسَرُّ بِهَا وَنُؤَثِّرُ قَضَاهَا.

وَقَدْ أَنْفَذْنَا مَعَ الْمَغْرِبِيِّ وَالْبَدَوِيِّ بِضَاعَةً فَإِذَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ
أَعْنَى بِبَيْعِهَا وَاقْتَضَاهَا.

وَأَنَا أَخُصُّهُ وَالْجَمَاعَةُ الشُّيُوخَ قَبْلَهُ بِأَتَمِّ التَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ. وَكَذَلِكَ
أَخُصُّ جَمِيعَ أَسْدِقَائِنَا بِأَتَمِّ السَّلَامِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَسَلَامُهُ عَلَى
رَسُولِهِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، الْأَثَمَةِ الْمَرْضِيِّينَ. وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ
الْوَكِيلُ النَّصِيرُ الْمَعِينُ. وَنَحْنُ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى أَفْضَلِ أَحْوَالِ السَّلَامَةِ. وَقَدْ
أَرْخَتِ الْأَسْعَارُ بِالْفُسْطَاطِ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَالْمَاءُ فَمُشْرِفٌ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ مِنَ
الزِّيَادَةِ وَالْبَرَكَةِ وَالْأَمْنِ. وَقَدْ وَصَلَ إِلَيْنَا أَنَّ صِقْلِيَّةً أَخَذُوهَا الرُّومُ. فَاللَّهُ
يُبْطِلُ ذَلِكَ وَلَا يَجْعَلُهُ مِنْ صَحِيحٍ. وَالسَّلَامُ.

مكاتبة تذكرة

إنها مكاتبة رمزية. المقصود بـ «الوكيل المؤمن» الذي ادعى أن عمارة الضياع «ملكاً له وجميع ما فيها من الأموال والمتاع»، هو ضد الدعوة التوحيدية، «فأبعده ... إنه من شياطين الفترة».

كتابي إلى أهلي وإخواني البررة السادقين، والأصفياء الطهرة المحقين، إذكراً لمن تذكر ودعا، ومحجة لمن أفا إلى الحق واهتدى، وحجة على من أنكر وتولى، ونهياً عن اتباع من عاند الحق ورجع إلى القهقري، وزجراً لمن خالف الأمر، وكذب أهله واخترص وادعى، وإعلاماً للكافة أن الوكيل المؤمن كان على عمارة الضياع، وأنه ادعى أنها ملكاً له وجميع ما فيها من الأموال والمتاع، وأنه قصر في الخير عن اللحاق، ورضي لنفسه الخبيثة بالسرق والعصيان والإباق، وساعده على هذا الفسق أبو النقص الكامل في السرقة والكذب والبهتان والنفاق، وقد شهد قول الخائب وما لفظ به من العقوق والإباق، وسمع قول من وافقه على ما أخذه من الخلاف والشقاق، وقد ستر عنكم ذلك الإبلاس بما زخرقه لكم ورواه، وساعده من عاند الحق وركب هواه.

فأبعده عنكم، أبعده الله ولعن من قرّبه وأدناه، فقد بان أنه من شياطين الفترة المعينين، لدخضه الحق بالباطل وتدليس الكذب على

السابقين. فتيقنوا أنه قد آن فطام أولاد الحلال من نجس الأدياء المتدينين،
وبأن حزب الطاعة من الأشقياء الناكثين.

واعلموا أنه قد تساوى الخلق بالأقدام، وتباينوا في درج الافتراق
والالتئام، لغلبة الشياطين.

واعلموا إنه لا شيخ لكم ولا رئيس عليكم ولا أمر لأحد من الأنام، إلا
بما يطابق الحق. واستدللتكم على صحة الألفاظ المعروفة التي لا تشتبها
بغيرها والخط المشهور الذي ألفتتموه على غابر الأيام، وتحققوا أنه لا ميزة
لأحد على أحد إلا بما علمه من الحكمة واعتقده لأهل الدين ونواه، ولا فضيلة
إلا بمواصله أهل الحق في الحق والبراءة ممن عند عنه وأباه، ولا رفعة في
المعاد إلا لمن صدق لسانه وقيل من أوامر من وجبت طاعته واهتدى بهداه.

واحذروا من التحاسد والاختلاف، وكونوا على قبول من الحق
والوفاء والإنصاف. وأنتم فيما أدرج لكم مخيرون، وما على الرسول إلا
البلاغ المبين، وبنا وبكم مستقر وسوف تعلمون.

وأنا أستودع كافتكم لله والجماعة الحافظين. وهو حسبي ونعم
النصير المعين، وسلامه وصلواته على رسوله السابق الأمين، إلى جميع
الأمم وعلى آله الطاهرين معادين الخير وسبل النعيم.

والسلام والحمد لمولانا وحده والشكر لوليّه الهادي عبده.

مكتبة نصر ابن فتوح

أبو القاسم نصر ابن فتوح من الميدانية هاجر إلى مصر عند المقتنى
يمتد منه ويستفيد. بعدما عزل سكين، أخذ نصر مكانه في رئاسة أهل
البستان. ثم انتقل إلى دمشق وتولى أمر الدعوة فيها. اتهم بالفحش
ولكنه تبرأ منه فيما بعد. ولما مات جميع الحدود الروحانيين تسلم
الشيخ نصر أمر الدعوة، وكان مرجعها الأول، فكان بالتالي أول شيخ
عقل عند الموحدين. وكان ذلك سنة ٤٣٥ هـ.

وَصَلَّ كِتَابُ الشَّيْخِ الْفَاضِلِ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاةَ، وَأَدَامَ تَأْيِيدَهُ وَنِعْمَاهُ،
وَوَقَفْنَا عَلَيْهِ وَفَهَمْنَا جَمِيعَ مَا ذَكَرَهُ وَحَمَدْنَا اللَّهَ عَلَى سَلَامَتِهِ وَشُكْرَنَاهُ عَلَى
ذَلِكَ. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُهُ مِنْ جِهَةٍ غَيْرِكَ مِمَّنْ يُعْنَى بِهَذَا الْحَالِ، فَلَمَّا عَرَفَ
الشَّرِيفُ أَعَزَّهُ اللَّهُ بِذَلِكَ وَكَانَ عَلَى غَايَةِ مَنْ مَرَضِ الْجِسْمِ، قَالَ: إِنَّمَا
تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْمَوَاضِعُ بِسَبَبِ الْحِصَصِ الْمُلْكِ^(١) الَّذِي لِي بِقَرَبِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ،
وَأَيْضًا بِسَبَبِ الْجَمَاعَةِ الْأَصْدِقَاءِ الْأَخْيَارِ الَّذِينَ وَصَفُوا لَنَا هَذِهِ الْمَوَاضِعِ.
وَإِذَا كَانَ الْقَوْمُ قَدْ جَرَى مِنْهُمْ هَذَا التَّخَلُّفُ عَمَّا يَلْزَمُهُمْ بِهِ مِنَ الْحَثِّ عَلَى

(١) ما في هذه الرسالة من كلام في «الحصص»، و«الضيعة»، و«الضمان»،
و«المواضع»، و«العمارة»، و«الوكيل»، و«الفلاح»... ما هي إلا رموز لدعوة التوحيد
ولما حدث للموحدين في مصر.

العمارة ولم يقبلوا من الوكيل الذي أنفذناه إليهم، ورأوا أن الوكيل الأول هو صاحبهم ولا يريدون به بدلاً، فهذا دليل على خيانة الجميع، لأن الفلاح إذا استلح مع الوكيل فهو دليل على هلاك مال المالك.

وقد رأيت سيدي الشريف قد عزم على حل الضمان، أعني ضمان هذه الضياع، ويقنع بالحصص الملك الذي له، وقد بلغنا ما فعلاً هذين الرجلين من الجميل، وأداء ما بقي عليهما، وعرضهما لما عندهما. فنحن نشكرهما على ذلك ونميزهما عن غيرهما. والله يحسن لهما الجزاء.

وقد رأيت سيدي الشريف وقد عزم على حل الضمان، أعني ضمان هذه الضياع، ويقنع بالحصص الملك الذي له، وهو ينقل إليها هذين الرجلين الثقتين، إذ قد بين الزمان حال البقية وكشف سرائرهم بقلّة تمييزهم.

فما سمعوا الناس بأعجب من أهل ضيعة يحكمون على صاحبها فيمن يؤكّله عليها. فلو كانوا هؤلاء ثقات والوكيل ثقة لما اتفقوا على هلاك مال المالك وهو منصف لهم، غير جائر عليهم، وإنما عرضة صلاحهم.

وأعجب من ذلك أن الوكيل عندنا يقرّ على نفسه بما اختزل وسرق هو ومشرّف لا حفظهما الله. والجماعة تشهد عليهما بذلك ويقولون الفلاحون إنه ثقة ما نريد غيره.

فقد قال الشريف: نحن نبين أمر أفعاله وأفعالهم؛ وما كان لنا عندهم أخذنا منهم ما اتفق وأن دفعونا عن شيء مما عندهم احتسبناه عند الله وتخلصنا منهم ومن سعيهم. وقد سأل الشريف بعض رؤساء الدولة، ومن له دالة على الديوان، في حل هذا الضمان، فأجابه إلى ذلك وهو يحرص في حله في هذه الأيام، ويوجه يحمل ماله في الضياع من الآلة إلى موضع آخر، إلى أن يسهل الله ما هو أفضل.

وإذا كان الأمر على هذا الحال فَتَنْفِذْ إِلَى عَمَّارٍ لَا يُقِيمُ عِنْدَ الْقَوْمِ سَاعَةً وَاحِدَةً، ويرجع إلى بعضِ المواضعِ الذي ذكرناه له وأمرناه بالانتزاح إليها، ويكاتِبُنَا بِذَلِكَ لِنَذْكُرَ لَهُ مَا يَعْمَلُ عَلَيْهِ وَأَنْتَ مَحْمُودًا مَشْكُورًا عَلَى فِعْلِكَ، قُدِّمُ عَلَيْهِ، وَمِنْ اللَّهِ التَّوْفِيقُ.

وما وَصَلَ مِنَ الْكُتَّانِ^(٢) فَتَحَرَّصَ فِي إِنْفَاقِهِ وَقَبْضِ الثَّمَنِ، إِنْ اشْتَرَيْتَ بِهِ زَيْتًا^(٣) مِنْ عَمَلِ فَلَسْطِينَ فهو أَفْضَلُ، وَتُعَرِّفُنَا حَالَ عَيْسَى وَحَرْبٍ وَكَيْفَ جَرَى الْأَمْرُ فِي تِجَارَتِهِمَا، وَإِنْ أُرِدْتَ إِنْفَادَ الْكِتَابِ لِيُقْرَأَ عَلَى الشَّيْخِ، فَافْعَلْ ذَلِكَ وَلَا تُعَاوِذْهُمْ فِيهِ.

وأيضاً فقد كان الشيخُ حَسَنَ الْكَبِيرِ عِنْدَنَا وَمُشَاهِدَ لْجَمِيعِ خِيَانَةِ مَسْعُودٍ وَأَفْعَالِهِ الرَّدِيَّةِ. وَبِاللَّهِ لَقَدْ وَبَّخْتُهُ عَلَى قَبُولِ ذَلِكَ وَنَهْيَتُهُ عَنْهُ، وَقُلْتُ لَهُ: أَنْتَ تَمْضِي إِلَى الضَّيْعَةِ وَأَنْ لَمْ تَشْهَدْ بِمَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ مِنْ خِيَانَةِ هَذَا الْكَذَّابِ، وَإِلَّا فَاللَّهُ يَعْقِبُكَ لِأَنَّكَ مُدَلِّسٌ، وَبِاللَّهِ لَقَدْ أَمَرْتُهُ بِالْكَوْنِ عِنْدِي، فَمَنْعَهُ الْخَائِبُ عَنْ ذَلِكَ وَمَضَى عَلَى أَنَّهُ يَرْجِعُ يَكُونُ عِنْدِي إِلَى حِينَ خُرُوجِهِ، فَمَضَى وَأَقَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَجَاءَنِي بَعْدَ ذَلِكَ وَقَالَ تَهْتُ عَنْ الْمَوْضِعِ.

وبِاللَّهِ الْعَظِيمِ لَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْمَوْضِعِ وَرَجَعَ إِلَيْهِ قَبْلَ هَذَا الْقَوْلِ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ دَفْعَاتٍ، فَمَا اسْتَحَى مِنَ الْمَحَالِ وَإِنَّمَا كَانَ يَمْنَعُهُ وَيَمْنَعُ غَيْرَهُ مِنَ الْوَصُولِ إِلَيْنَا كَيْ لَا يَفْتَضِحَ بِذَلِكَ، عِنْدَ الْأَنْصَارِ وَغَيْرِهِمْ.

وَأَمَّا عَلَيَّ أَخُو الْغَزَالِ لَقَدْ أَهْلَكَ هَذَا الرَّجُلُ عُمُرَهُ مِمَّا يَكْلِفُهُ الدُّلْسَةُ وَالْكَذِبُ فِي الدِّينِ فِي كُلِّ وَقْتٍ حَتَّى أَخْرَجَهُ عَنِ الثِّقَةِ. فَكَتَبْتُ إِلَيْهِمْ: إِذَا

(٢) جاء في الدرر المضيئة: الكُتَّان يرمز على الرسائل العارية من الرمز مثل النقض (رقم ٦٦) وحقائق الهزل (رقم ١١) وغيرهم الخالية من الرمز كما قال: «وَأَمَّا الْكُتَّانُ فهو غالٍ ثَقِيلُ الْمَحْمَلِ مُضِرٌّ بِالتَّاجِرِ لِكثْرَةِ مَوْنَتِهِ وَثَقَلِهِ».

(٣) الزَّيْتُ، كما جاء في الدرر المضيئة، ممثلٌ حكمة السيد المسيح». وهو أيضاً: «رمزٌ عن الرسل»، أي رسل الدعوة التوحيدية.

جاءهم هذا علي من قبله بأمرٍ ويقولُ هذا من أمر الضامن فلا يقبلوا منه، ولا يُسلموا إليه شيئاً مما عندهم. فهو يحتال بهذا وأمثاله.

فنحن نُسْتَرُ هذا الحالَ حتى نتخلص من هؤلاء القوم على جميل. وإن منعونا ما عندهم من الدين وبقية التجارة استعنا عليهم بالله، وإن كان لنا بعد هذا قدرة على شيء فعلناه، إذا آل امرهم إلى المناكرة. وأنا أخصك بأتم السلام وكذلك الجماعة يخصوك ولن عندك بأتم السلام. والحمد لله رب العالمين وصلواته على أفضل النبيين، وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فالله لا تترك عمار يقعد عندهم ساعة واحدة لئلا يحتال عليه بحيلة فإن الناس قد فسدوا؛ وكاتبني بوصوله إلى أي موضع اتفق. وأحرص في إنفاذ من تثق إليه لیسیر إلى جهة أبي جمعة، وكاتبني بوصوله، وتعرفني إن كان جاءه أحد من جهة أهله، وأي شيء سمع من جهة أخبار حسن المغربي وأهله، وتساءل عن تجارتِه إن كان وصل منهما شيء إلى جهة طرابلس^(٤)، وتشرح لي ذلك وجميع ما تفعله في جواب هذا الكتاب سرعة، وتتأكد على الكتبي في سرعة الجواب إن شاء الله وبه التوفيق. فصل من كتاب.

وأعظم من هذا أن أخي عمار تاجر كما يتاجروا الناس بأموالهم من بلد إلى بلد، وأن أهل الضيعة احتالوا عليه وأخذوا ماله ولا أدري حي هو أو ميت. فأي قيمة لما كان مع هذا الرجل حتى يقتل عليه! لعن الله النفوس الخبيثة. فلا تذكر حال عمارة الضيعة. فقد فك ضمان الضيعة وقد وهب ما فيها من الآلة، وما تبقى فيها لمن يقوى على مطالبتهم، ولا يظلمهم. والسلام.

(٤) المقصود بها طرابلس الغرب، على ما جاء في الدرر.

السَّجَلُ الْوَارِدُ إِلَى نَصْرٍ

هو نفسه نصر الوارد اسمه في «المكاتبة»، الرسالة السابقة. موضوع السَّجَلُ لا يختلف عن موضوع المكاتبة. والاسلوب الرمزي أيضاً هو نفسه. هذا ويذكرنا السَّجَلُ بتوبيخ ابن معلا، رقم ٨١.

وصل كتابُ سيدي الشيخ الفاضلِ أطالَ اللهُ بقاءه، وأدامَ تأييده ونُعماه. ووقفتُ على جميعه وحمدتُ اللهَ على كمالِ سلامته، وشمولِ عافيته. والحمدُ لله على ذلك كثيرًا، وصلواته على رسله السادقين وسلّم.

وأما ما ذكرته من أحوالِ الحصص^(١) ومسارعة مَنْ سارَعَ إلى وفاء ما عليه، فنحنُ نَعْلَمُ أَنَّ اللهَ تعالى يفعلُ ذلكَ مع مَنْ أرادَ به خيراً، ومَنْ أنكرَ وظلمَ وأخفى ما عليه، فاللهُ يجازيه على ذلك. ونحنُ لا يَنْقُصُ من أرزاقنا شيءٌ^(٢).

وأما ما ذكرته من قول ابنِ مَعْلَا وتَقْوِيلِهِ الباطلِ عليكَ فما هو ثَقَّةٌ يُقْبَلُ قوله فيما مَنْ هو عندنا أبرُّ منه وأَنْقَى. وحاشا اللهَ أَنْ يَتَخِيلَ ذلكَ.

(١) الحصص: هم المستجيبون للدعوة، في قوله أيضاً: «وجميع الشيوخ رؤساء الحصص»...

(٢) الرِّزْق هو التوحيد، وبابُ الرِّزْق والأرزاق باب التَّوْحِيد.

وَأَمَّا طَرَادُ خَزَاهُ اللَّهُ فَلَهُ مَنْ يُجَازِيهِ عَلَى أَفْعَالِهِ وَيُخْزِيهِ بِهَا. وَأَنْتَ
تَعْلَمُ أَنَّ الْحَقَّ أَوْلَى مَا اتَّبَعَ. فَاللَّهُ يَلْعَنُ مَنْ يَرِيدُ ظَلَمَ الْآخَرِ. فَيَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ
تَحْرُسَ نَفْسَكَ لئَلَّا يَتَطَرَّقُ عَلَيْكَ بِنَقْصٍ وَيُضَافُ إِلَيْكَ أَمْثَالُهُ.

وَلَمْ تَذْكُرْ لِي شَيْئًا مِنْ حَالِ الشَّيْخِ أَبِي الْمَعَالِي وَالشَّيْخَيْنِ سَلَامَةَ
وَحَمْزَةَ أَدَامَ اللَّهُ حِرَاسَتَهُمَا وَلَا كَيْفَ قَبُولُهُمَا لِلضَّمَانِ،

وَلَا حَالِ ابْنِ وَهَبٍ إِنْ كَانَ وَقَا شَيْئًا مِمَّا عَلَيْهِ،

وَلَا ذَكَرْتَ شَيْئًا مِنْ حَالِ حُرُوشِ صَاحِبِ التَّلِّ وَعَيْسَى، وَلَا كَيْفَ
جَرَتْ أُمُورُهُمْ فِيمَا هُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِهِ.

فَلَا تَتْرَكْنَا مِنْ ذِكْرِ جَمِيعِ ذَلِكَ. وَنَحْنُ نَخْصُكَ بِأَتَمِّ السَّلَامِ، وَكَذَلِكَ
الْجَمَاعَةُ يَخْصُوكَ بِأَيْمَنِهِ وَأَطْيَبِيهِ. فَلَا تَجْعَلْ عَلَى قَلْبِكَ ثِقَلًا مِنْ أَمْرِ ابْنِ مَعْلَا
فَلَا بَدَّ يَبْلُغُكَ بِمَا يَحْفَلُ بِهِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ. وَصَلَوَاتُهُ عَلَى رَسُولِهِ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ. وَهُوَ
حَسْبُنَا، وَنِعْمَ النَّصِيرُ الْمَعِينُ.

منشور الشيخ أبي المعالي الطاهر

كتب بهاء الدين للشيخ أبي المعالي يحذره من جملة أشخاص تركوا
الدعوة، وخص منهم «غنام» الكاذب الخائن الذي خدع بهاء الدين،
وخان في الكتب المنقذة معه إلى الشيخ أبي القاسم والشيخ أبي
المعالي.

بسم الإله القادر وَمَنْ قَرَّبَ أَجَلَ النَّاكِثِ الْكَافِرِ، أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ
الْفَاضِلِ، وَقَدْ اتَّسَعَتْ طَرُقُ الْمَظَالِمِ لَوْ سَخَّ أَنْفُسِ الْمَوْهِينَ، وَكَثُرَ الْعَيْثُ لِقُرْبِ
هَلَاكِ الْفَسَقَةِ الْمُتَرَدِّينَ، وَقَدْ بَلَغَ حَالُهُمْ إِلَى التَّخَرُّصِ عَلَيْنَا بِمَا يُقَرَّبُ
حَسَابُهُمْ عَلَيْهِ إِلَهُ الْعَالَمِينَ.

وقد قَطَعَ غَنَامُ الشَّهَادَةِ عَلَى نَصْرِ بِشَهَادَةِ جَمَاعَةٍ مِنْ شُيُوخِ آلِ عَبْدِ
اللَّهِ الثَّقَاتِ الْمَخْلُصِينَ. وَلَوْ أَرَادَ، أَعْنِي غَنَامُ، أَبْعَدَهُ اللَّهُ، لَقَطَعَ هَذَا الْقَوْلُ
بِشَهَادَتِهِ عِنْدَنَا خِلَافَ مَا شَهِدَ بِهِ الْكَذَّابُ الْمُهِينُ، وَرَابِحٌ فَهُوَ يَعِيدُ مَا يَرْتَفِعُ
عَنْ ذِكْرِهِ فِي كِتَابٍ مِمَّا يُخْزِي اللَّهَ فَاعِلُهُ وَمَخْتَرِصُهُ مِنَ الْخَوْنَةِ الْأَفَاكِينِ.

فليجرد الشيخ العناية في الفحص عن قول الخائب المبين، وينفذ ثقته
لأخذ شهادات الجماعة من آل عبد الله بما ذكر غنام عن نصر وإبطال قوله
ليحسب أحدهما من المرفقة المعتدين. فهؤلاء النكثة قد قطعوا وصائل الرافة
من قلوب العالمين.

وبالله ما للشيخ الطاهر عندي جُرْحَةٌ إِلَّا استلامه لغَنَامٍ بعد ما فعله
بالكُتُبِ المنفَذَةِ معه ممَّا هو خارجٌ عن الحقِّ والدينِ. وحاشاه عندي. وإنما
فعلَ ذلك لِثِقَتِهِ وطهارةِ نفسه وَسَبَبًا أيضًا لبيانِ الخيبةِ الملبِّسينَ.

فلا يَضْجَعِ الشيخُ في إنفاذِ كتابٍ في الترتيبِ في قولٍ مُغْلَقٍ
بتصحيحِ الفَلَجِ على مَنْ بَانَ بِاللَّعْنِ من هؤلاءِ الملحدِينَ.

وأنا أخصُّ الجماعةَ بِأتمِّ التحيَّةِ والسلامِ.

واللهُ يعجِّلُ مجازاةَ هؤلاءِ الطغامِ، وهو المنتقمُ ممَّنْ عادَ في قوله
وحرَّفَ، وجعلَ الباطلَ بدلًا من الحقِّ وزخرفَ.

والحمدُ للهِ الألهِ الفردِ الصمدِ، المهلكِ بوليِّهِ لمن اختَرَصَ وألحدَ.
وسلامُهُ على وليِّهِ القائِمِ بالجزاءِ لمن اختلقَ الباطلَ عن اللهِ وأضلَّ. وهو
المنتقمُ ممَّنْ بَانَ مِنَ الْخَرَصَةِ المدَّعينِ. ويصلُّ بقربِ الجامعِ الأزهرِ.

والحمدُ لمولانا وحدهُ ، والشكرُ لقائِمِ الزَّمانِ عبدهُ.

منشور إلى جماعة أبي تراب

وشيوخ المواضع من الأهل والأصحاب

جماعة آل أبي تراب مسكنهم ما بين صفد وعكا. كُتِبَ إليهم بهاء الدين
لاختلاف جرى بينهم، واستمر الخلاف إلى أن أرسل المقتنى لهم
المنشور على يد الشيخ أبي الشبل الموصوف بالشيخ السادق. فلأنه
عضد وقوة.

بسم الله الرحمن الرحيم، أطال الله بقاء إخوتي الشيوخ الطهرة
وحسن نياتهم وتوفيقيهم، وأوضح إلى المعالي بميمنون تمام الطاعة نهجهم
وطريقهم، وثبت بمعالم الهداية عقائدهم وتحقيقهم، والحال بحمد الله عن
سلامة شاملة كافية، ونعمة مترادفة ورحمة كاملة صافية.

وقد علم الله تعالى تطلعي إلى ميمون غرر الشيوخ الديانين،
وابتهاجي بما يتجدد من صلاح شؤونهم في كل وقت وحين، أعني الشيخ
أبا السريا، وأبا محمد، وأبا عروس، وأبا عبد الله، وأبا جمعة، وأبا محمد،
أيضاً ومن بحوزتهم من الإخوة الطهرة المؤمنين، وجميع شيوخ المواضع
الطهرة المحققين.

كتابي هذا يصل إلى جميعهم من يد أخي الشيخ الخير أبي الشبل
أصف فيه ما من الله تعالى من الألاء علينا وعلى أهل الطاعات من المنن

والفضل، وأحمدُه بفيضِ محامِده التي لا يُعرَفُ أدناه إلا بالاعترافِ
بالضعفِ والتقصيرِ والتصورِ لفيضِ ميامنِ العقلِ. والشيخُ الطاهرُ أبو
الشبلُ فهو عضدٌ وقوَّةٌ لإخوته المؤمنين، ومن أكابرِ مَنْ رَبَّى عندنا من
الشيوخِ الموحِّدين.

فليحفظوا الجماعةُ حقوقَه القديمةَ ومساعديه، ويعرفوا بَوادي الطاعةِ
من أفعاله وتواليه. فقد فَرَعَ زَمَانُ الموافقةِ والتونيبِ، وَمَنْ تابَ من الإخوةِ
المؤمنينَ بعدَ الإشهادِ على نفسه بالبراءةِ من الخبثِ فليسَ عليه تَثريبٌ،
وليس هو كالذين كفَرُوا نعمةَ الباري ووليِّه وجحدوه، ودَلَّسُوا بالبَلَسِ على
أهلِ الحقِّ وبأءوا لأهلِه وعاندوه.

فاللَّهُ لا يظلمهم بل يَحْكُمُ عليهم بما على المؤمنين أَجْرُوهُ وحَكْمُوهُ.

والحمدُ لِلَّهِ الذي جَعَلَ أوليائه سبباً لتمييزِ العوالمِ، وقِسْطاً لإقامةِ
الحجَّةِ للطائعِ الخيرِ، كما جعلهم حجَّةً على الجائرِ الخيِّنِ الظالمِ. والسلامُ
على وليِّهِ المنتقمِ من أبالسةِ الأدوارِ بسيفِ العدلِ الإمامِ الهادي القائمِ. وهو
حسبُ عبده الضعيفِ المقتنى في يومِ الشرقِ بالرَّيقِ وحزِّ الغلاصِمِ^(١).

وليُعرفوا الجماعةُ الشيوخُ ما الشيخُ أبي الشبلِ عليه من الديانةِ
والفضلِ، ويُعلمُ الشيخُ أبا عروسِ أدامَ اللَّهُ حِرَاسَتَه إجابتي لسؤاله،
ولتسديقي لصحيحِ مقالِه، ويكونُ مع الشيخِ أبي الشبلِ على أحسنِ ما تقدَّم
من أفعاله. لكنْ يكونَ هذا الكتابُ مُقَرَّراً في يدِ الشيخِ أبي الشبلِ.

والحمدُ لِلَّهِ وحده وهو حَسْبِي ونعمِ النَّصيرُ المعين.

(١) الغلاصم هي اللحم بين الرأس والعنق. وهي، توحيدياً، كناية عن سادة القوم
الكافرين.

رِسَالَةُ جَبَلِ السَّمَاقِ

جَبَلُ السَّمَاقِ بِالْقَرْبِ مِنْ حَلَبٍ، يَشْتَمِلُ عَلَى مَدِينٍ وَقَرْيَ تَدِينُ بَدِينِ التَّوْحِيدِ. وَلِكثَرَةِ الْإِيمَانِ وَالْمُؤْمِنِينَ السَّاكِنِينَ فِيهِ وَصَفَهُ الْمُقْتَنَى بِالْجَبَلِ الْأَنْوَرِ، وَالْجَبَلِ الطَّاهِرِ، وَجَبَلِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالسَّدَقِ وَالْوَفَاءِ، وَمَعَاقِدِ الْعَزِّ وَالصَّبْرِ وَالصَّفَا. «سَمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَنْبُتُ السَّمَاقُ مِنْ غَيْرِ غَرْسٍ» (الدَّرَرِ الْمُضْيَةِ). فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ يَحْذَرُ بِهَاءِ الدِّينِ مِنْ مَزْجِ التَّوْحِيدِ بِالضَّلَالَاتِ وَالْمُنْكَرَاتِ. وَيَحْضَرُهُمْ عَلَى الْاجْتِمَاعَاتِ السَّرِّيَّةِ فِي أَمَاكِنَ سَرِّيَّةٍ بِأَعْدَادٍ قَلِيلَةٍ بَيْنَ السَّبْعَةِ وَالتَّسْعَةِ فَقَطْ. كَمَا يُوصِيهِمْ بِأَنْ لَا يَنْسُوا ضَوَاحِي الْجَبَلِ كـ «الرَّقَّتَيْنِ، وَنَاحِيَةِ الْفَرَاتِ، وَبِالسَّ»، وَغَيْرَهَا. وَلَشِدَّةِ حِمَاسِ الْمُقْتَنَى كَانَ أَمْلُهُ بِظُهُورِ حِمْزَةِ إِمَامِ الزَّمَانِ وَشَيْكَأ. كَتَبَتْ سَنَةَ ٤٣٠ هـ

تَوَكَّلْتُ عَلَى مَوْلَانَا الْحَاكِمِ جَلَّ ذِكْرُهُ، وَشَكَرْتُ قَائِمَ الْحَقِّ أَمْرَهُ.

مِنَ الْعَبْدِ الْمُقْتَنَى النَّاصِحِ لِمَنْ سَمِعَ وَأَبْصَرَ، إِلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْحَقِّ بِالْجَبَلِ الطَّاهِرِ الْأَنْوَرِ، أُعْنِي جَبَلِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالسَّدَقِ وَالْوَفَاءِ، جَبَلِ السَّمَاقِ وَمَعَاقِدِ الْعَزِّ وَالصَّبْرِ وَالصَّفَا. أَلْسَلَامٌ عَلَى مَنْ سَلِمَ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيَاطِينِ بِالتَّسْلِيمِ لِإِمَامِهِ الْهَادِي الْقَائِمِ، وَتَنَزَّهَ عَنْ مُنَاسِمَةِ ذَوِي الزَّيْغِ وَالْإِلْحَادِ وَبَرِيءٌ مِنْ جَمِيعِ التَّبَعَاتِ فِي الدِّينِ وَالْمَظَالِمِ.

إِخْوَانِي! قَدْ أَزِفَ هَجُومُ السَّاعَةِ وَتَمَّ التَّمَامُ، وَبَرَقَ صَبْحُ الْحَقِّ وَكَسِفَتْ شُمُوسُ الْبَاطِلِ وَتَغَشَّاهَا الْغَبَشُ وَالظَّلَامُ، وَفَازُوا أَهْلُ الطَّاعَةِ بِالصَّبْرِ وَالسَّدَقِ وَخَسِرُوا الْمُرْتَدُّونَ الْأَجْلَافُ الْأَعْتَامُ.

فتذكروا أيّها الإخوة خِصائصَ الحكمة، وابنؤا أمرَكم عليها،
وتميِّزوا ممَّن شكَّ في حقائقها وأضافَ وسَخَ نفسه وكِذْبَهُ إليها، واجتمعوا
على كلمةِ الإخلاصِ والتَّوحيدِ، وأثبتوا أسماءَ أهلِ التجريدِ والتنزيه
والتمجيد. وليتولَّى ذلك سبعةُ نَفَرٍ أو تسعةُ من تسعِ مواضعٍ في السِّترِ
ممن يَرْضَى سِدْقُهُمْ ونِزَاهَتُهُمْ على أهلِ الوَرَعِ والتَّسديدِ. ولا يَأْخُذْكُمْ فِي
الحقِّ لَوْمَةٌ لَأَئِمِّ خَارِجٍ عَنْ أَهْلِ التَّشْبِيهِ والتَّجْسِيدِ.

ولا تُهْمِلُوا أَهْلَ الطَّاعَةِ والْفَضْلِ مِنْ أَهْلِ الْوَادِعَيْنِ، وَلَا أَهْلَ الْخَيْرِ مِنْ
أَهْلِ بَالِسٍ وَأَرْضِ الْفُرَاتِ وَالرَّقَّتَيْنِ، وتعاونوا على التَّقْوَى والإصلاحِ والبرِّ،
وكونوا مِنْ أَهْلِ السَّبْقِ كما وُصِفْتُمْ بِدَحْضِ الْعَجَلَةِ وَالْحَقْدِ بِسُكُونِ النُّفُوسِ
وَكِتْمَانِ هَذَا السَّرِّ. فَقَدْ فَرَعَ زَمَانُ الْإِمْهَالِ وَفَاتَ وَقْتُ الاسْتِقَالَةِ وَقَبُولِ
العذرِ. فارْعُوا بِالرَّافَةِ حَقُوقَ بَعْضِكُمْ بَعْضَ، واجتهدوا فِي أَدَاءِ السَّنَنِ
وَالْفَرْضِ.

إخواني! قَدْ تَمَيَّزَ الْخَلْقُ وَحَصَّصَ الْحَقُّ. وَالْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا
كَسَبَتْ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْكَذْبُ وَالْمَذَقُ^(١). فارْعُوا حَقُوقَ أَنْفُسِكُمْ بِالسَّدَقِ
وَالصَّبْرِ وَالْوَفَاءِ وَالطَّهَارَةِ، واجتنبوا أَهْلَ الزَّيْغِ وَالْإِفْكِ الَّذِينَ بَاءُوا بَعْدَ
الطَّاعَةِ وَالرَّيْبِ إِلَى الْعَصِيَانِ وَالْخَسَارَةِ. فَقَدْ نَصَحْتُكُمْ كَمَا يَجِبُ عَلَى الدَّعَاةِ
الْأَبْرَارِ لِإِخْوَانِهِمُ الْمُوَحِّدِينَ الْأَطْهَارِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُنْزَهُ عَمَّا يُعْبَرُ بِالْبَصَائِرِ
وَالْأَفْكَارِ، وَالشُّكْرُ لَوْلِيِّهِ جَامِعِ الْخَلْقِ وَمُجَازِيهِمْ عَلَى الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ
فِي الْأَكْوَارِ وَالْأَدْوَارِ. وَهُوَ حَسْبِي وَوَسِيلَتِي إِلَى السَّكْنَى فِي دَارِ الْقَرَارِ.

وَكُتِبَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنَ السَّنِينَ
المباركة.

تَمَّتِ الرِّسَالَةُ وَالسَّلَامُ.

(١) المذق، أي: غير الخلوص بالود.

منشور إلى آل عبد الله وآل سليمان

تكلّمنا على آل عبد الله في مقدّمة «منشور إلى آل عبد الله»، رقم ٩٠. وأما آل سليمان فهو اسم جامع لجماعة الوادي، وشيوخه على الجملة أعلى مشايخ البلدان من بعد الشيخ نصر، أوّل شيخ عقل عند الموحّدين بعد بهاء الدّين. الوادي هنا هو وادي التّيم. في هذه الرسالة يكتب بهاء الدّين للموحّدين يثبّتهم في دعوتهم. كتب سنة ٤٣١ هـ

توكّلت على المولى المنزّه عن الفكر والتّحديد، وتوسّلت إليه بالإمام القائم بالوعْد والوعيد. من العبدِ المقتنى الناصح لجميع آل التّوحيد والإيمان، والإمام السّادق بالقول الثّابت عن قائم الحقِّ ومسيح الأزمان، إلى الإخوان الطّاهرة من آل عبد الله وآل سليمان.

السلام على من أزمع ببصيرته إلى التّوحيد والإخلاص، وبرئ من نجس أبالسة الأديار وتفكّر في عواقب العرْض والقِصاص، وتميّز بنفسه الشّفافَةِ من خَرَص الكذّبة المدّعين، وتحقّق قيام الإمام القائم بالحقِّ لمجازات العالمين، وأذعن لمراسم حقّه الجارية على السنّ حدوده الطّاهرين.

أيّها الإخوان المحقّقون! قد تقصّصت أيام الفراعنة الخونة الأدعياء، ونهَض سديق الأعراف للأذان والنداء بأسماء الطّهرة الأولياء، وقد صاح

الصائِحُ وانحجَزَتِ البُغَاثُ والضَّوَابِحُ^(١). وَتَعَنَّجَرَ شَوْبُوبُ الْمَاءِ الطَّاهِرِ الْعَذْبِ وَنَضَبَ الزَّعَقُ الْمَالِحُ^(٢)

فَتَيْقِظُوا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ مِنْ رِقَادِ الرِّيعَانِ، وَلَا تَلْتَبِسُوا بِقَوْلِ الْمَرْقَةِ الْأَدْعِيَاءِ أَهْلِ اللَّدَدِ وَالْخُسْرَانِ. فَقَدْ مُنِعَ مِنَ الْإِسْتِقَالَةِ بَعْدَ هَذَا الْوَقْتِ وَالتَّوْبَةِ لَطُلُوعِ الْكَيَّوَانِ^(٣). فَتَعَاوَنُوا عَلَى التَّقْوَى وَالْبِرِّ وَالْإِصْلَاحِ، وَاسْتَدِيمُوا بِالسُّتْرِ لِمَا أَوْعَزَنَاهُ إِلَيْكُمْ عَوَاطِفَ الرَّشَادِ وَالْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ.

وَلِيَتَدَبَّرَ الشَّيْخُ الطَّاهِرُ الرَّزِينُ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الشُّيُوخِ الطَّاهِرَةِ الْمُتَمَيِّزِينَ، بِالسُّتْرِ لِإِثْبَاتِ أَسْمَاءِ الْمُعَامِلِينَ، وَلِيُنْفِذُوا، فِي سِتْرِ وَخَفِيَةٍ، إِلَى شَيُوخِ آلِ عَبْدِ اللَّهِ، نُسْخَةَ هَذَا الْكِتَابِ وَهُوَ مَعَ الثِّقَةِ الْأَمِينِ، أَعْنِي مَنْ رَضِيَّتَهُ لَذَلِكَ وَكَانَ عِنْدَهُ وَعِنْدَ الشُّيُوخِ مِنَ الْحَفَظَةِ الْمُحَقِّقِينَ. وَيُنْفِذُ أَيْضًا الْعَامِلُ مَا حَصَلَ عِنْدَهُ وَعِنْدَ آلِ عَبْدِ اللَّهِ مَعَ الثِّقَةِ إِلَى جِهَةِ الشَّيْخِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ شَيُوخِ الْبَسْتَانِ. وَإِنْ تَعَذَّرَ عَلَيْهِمْ مَنْ يَنْهَضُ بِذَلِكَ فَلْيَقْدِّمُوا إِنْفَازَهَا مَعَمَّا عِنْدَهُمْ إِلَى آلِ أَبِي تُرَابٍ مِنْ غَيْرِ تَلَوُّمٍ وَلَا تَوَّانٍ.

أَيُّهَا الْإِخْوَانُ! قَدْ أَعَذَّرْتُ إِلَيْكُمْ وَنَصَحْتُ وَبَيَّنْتُ لَكُمْ الْحَقَّ، وَعَنهُ أَفْصَحْتُ. فَانْتَبِهُوا لِمَوَاعِظِ النَّذِيرِ، وَافْهَمُوا رَمُوزَاتِ السَّادِقِ الْبَشِيرِ. فَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ بِالرِّفْقِ وَالْمَوْعِظَةُ وَالنَّصِيحَةُ، وَعَلَى الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمُ الْفَهْمُ وَالْقَبُولُ بِالطَّاعَةِ الصَّحِيحَةِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُنْزَهِ عَمَّا يَخْتَلِجُ فِي النُّفُوسِ وَالْأَفْكَارِ. وَالسَّلَامُ عَلَى وَلِيِّهِ الْمَجَازِيِّ عَلَيْهَا وَالْهَادِي إِلَى دَارِ الْقَرَارِ. وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ النَّصْرُ الْمَعِينُ عَلَى مَكَائِدِ الْأَشْرَارِ وَالْكَفَّارِ.

(١) البغاث طائر بطيء الطيران، الضوايح خيل مصوَّتة. وهما ممثولا محمد وعلي.

(٢) الزعق: الماء المالح الغليظ المر.

(٣) الكيوان: اسم زحل بالفارسية؛ كناية عن قائم الزمان.

وَكُتِبَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ إِثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ مِنَ السَّنِينَ
الْمُبَارَكَةِ إِلَى آلِ عَبْدِ اللَّهِ وَآلِ سُلَيْمَانَ.

فصل: وَلَمَّا وَرَدَ الشَّيْخُ أَبُو الْقَاسِمِ وَالشَّيْخُ أَبُو الْمَعَالِي إِلَى الْبَسْتَانِ،
وَاجْتَمَعَ مَعَ نَصَرٍ وَقَضِيًّا مَعَهُ مَا وَرَدَ مِنْ جِهَتِهِ إِلَيْهِ وَمُضِيًّا، وَرَدَ إِلَيْهِ كِتَابُ
سُكَّينَ بِخَطِّ يَدَيْهِ، يَذْكُرُ فِيهِ: وَقَدْ جَعَلْتُ لَكَ النَّظَرَ فِي جَمِيعِ الْأَمْلاكِ وَمَطَالِبَةِ
مَنْ عَلَيْهِ دَيْنٌ وَاقْتِضَاهُ.

تَمَّتْ وَالْحَمْدُ لِمَوْلَانَا وَحْدَهُ، وَالشُّكْرُ لَوْلِيَّهِ عَبْدُهُ.

منشور أبي علي

أبو علي بن وهب من ميمس. نشأ بها. كان من مشايخ البلاد، وممن عليه الاعتماد. فلما جاهر سكين بالارتداد، توقف أبو علي عن شرح حاله للجماعة، ومشى في حماية سكين، فجرى عليه بذلك ملام. ثم رجع إلى نفسه فرجع إلى الحق، فأرسل إليه بهاء الدين هذا المنشور يدعو له بطول البقاء.

وصل كتابك يا أخي والعزيرُ عليَّ وعندِي أطالَ اللهُ بقاءَكَ وأدامَ عزَّكَ ونُعمَكَ. ووقفتُ عليه وشكرتُ مَنْ لا يَخيبُ شكرُهُ. فهذا يا أخي كُلُّهُ شيءٌ قد فات وفرغ، وما بقي لإعادة الكلام فيه وجه، ويجبُ أنْ تعلمَ أنْ بينَكَ وبينَ مولاي الشريف محافظةً وسدقةً فيجبُ أنْ تدومَ عليها، وما قدرتُ عليه من جميع ما بقيَ له عندَ مَنْ أقرَّ بما عليه من غيرِ إكراهٍ ولا استعانةٍ بيدِ غالبَةٍ فخذْهُ ممَّنْ أقرَّ به على جميل. ومَنْ أنكرَ وظلمَ وأخفى ما عليه فلا تُطالبْهُ بشيءٍ، ولا يكونُ بينَكَ وبينَ أحدٍ إلَّا الخير.

فقد علمتُ أنْ ابنَ تميمٍ وابنَ سَكينةَ ما خَرَجَا إلَّا على سَبِّ مولاي الشريف. وبعدَ هذا أوقعُوا فيه بالقبيح، فأنكرَ عليهم مثلَ ذلك. ولكَ به أسوة. وبعدَ هذا فقد فكَّ مولاي الشريف ضمانَ هذه الضيعة، وما بقيَ له حاجةٌ إليها لأنَّ ما لهُ فيها فائدةٌ كبعضِ ما يَخسرُ عليها. وبعدَ الخسارة سَماع ما لا يجب. ولو تناهيتُ في مكاتبةِ الفصولِ من الكتبِ الواردةِ إليه،

لَمَّا وَسَعَهُ كِتَابٌ، وَلَكِنْ الْاِقْتِصَارُ فِيهِ كِفَايَةٌ لَذَوِي الْعُقُولِ وَأُولِي الْأَلْبَابِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

فَلْيَعْلَمُوا إِخْوَانِي الشُّيُوخُ الطَّهَرَةُ صَانَهُمُ اللَّهُ وَتَوَلَّاهُمْ، أَنَّ الشَّيْخَ الطَّاهَرَ ابْنَ وَهَبٍ، أَبَا عَلِيٍّ، مَعْرُوفٌ بِالثَّقَةِ وَالصِّيَانَةِ وَالتَّسَدِيقِ بِالْوَلِيِّ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذَنْبٌ سِوَى تَوْقِفِهِ عَنْ شَرْحِ الْحَالِ لِلْجَمَاعَةِ، وَقَدْ شَاهَدَ الْأَمْرَ وَعَايَنَهُ، وَمَشَى فِي حِمَايَةِ الْخَائِبِ مِمَّا نَاقَضَ بِهِ الْحَقَّ وَبَايَنَهُ.

فَلَمَّا أَفَاءَ إِلَيْهِ لُبَّهُ، وَرَجَعَ إِلَى الْحَقِّ كَمَا أَلَفَهُ مِنْهُ عَقْلُهُ وَقَلْبُهُ، شَرَحَ لِلْجَمَاعَةِ أَفْعَالَهُ وَمَخَازِيهَ. وَاللَّهُ يَكْفِي كُلَّ أَحَدٍ عَلَى نِيَّتِهِ وَيُجَازِيهِ. وَبِاللَّهِ، إِنَّهُ عِنْدِي السَّادِقُ الثَّقَةُ الدِّينَ الْبَرُّورَ. وَاللَّهُ لَمَنْ تَابَ فَهُوَ الْعَفْوُ الْغَفُورُ.

فَلْتَعْرِفُ الْجَمَاعَةُ حَقَّهُ وَمَوْضِعَهُ بِغَيْرِ تَثْرِيْبٍ، وَمَا جَرَى مِنْ ذِكْرِهِ فِي الرِّسَالَةِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ التَّوْبِيخِ وَالتَّأْنِيْبِ. وَلَا يَقْدَحُ فِي نِيَّاتِ أَهْلِ الْحَقِّ مَا أَسْدَى بِهِ الشَّفِيقُ النَّاصِحُ مِنَ التَّعْنِيفِ وَالتَّأْدِيبِ. وَأَنَا أَخْصُهُ بِأَتَمِّ التَّحِيَّةِ وَاللِّجْمَاعَةِ بِالصَّحَّةِ الْمَرْضِيَّةِ.

وَأَمَّا أَخِي، حَفَظَهُ اللَّهُ وَتَوَلَّاهُ، فَقَدْ شَاهَدْتُ سِدْقَهُ عِنْدَ الْجَمَاعَةِ وَحَقَّقْتُ وَفَاهُ، وَمَا جَرَى مِنْهُ مِنْ رِيْبٍ وَعَجَلَةٍ فَالشَّيْخُ الثَّقَةُ الدِّينُ لَا يَعْتَمِدُهُ وَعَفَاهُ. وَاللَّهُ يَتِمُّ لَهُ وَاللِّجْمَاعَةُ مَا تَضَمَّنَتْهُ فِيهِمْ مِنَ الْفَضَائِلِ وَأَوْفَاهُ.

وَأَمَّا إِخْوَتِي شُيُوخُ آلِ عَبْدِ اللَّهِ الطَّهَرَةُ، أَهْلُ الصَّبْرِ وَالْفَخْرِ وَالْإِنَانَةِ، فَاللَّهُ يَكْفِينَا فِيهِمْ وَفِي الْجَمَاعَةِ مَا نَحَازِرُهُ وَنَتَوَقَّاهُ. وَأَخْبَارُهُمْ تَرُدُّ إِلَيْنَا بِالنِّثَاءِ الْجَمِيلِ وَالْحَمْدِ. وَمَنَازِلُهُمْ تَتَرَقَّى عِنْدَ اللَّهِ وَوَلِيَّهُ بِالْعُلُوِّ وَالْمَجْدِ.

وَذَكَرَ أَخِي حَالَ الْكِسَاءِ وَالْقَمِيصِ الَّذِي خَلَفَهُمَا الشَّيْخُ الْمَظْلُومُ الزَّائِدُ فِي الثَّقَةِ عَلَى الثَّقَاتِ، فَلْيُبْعَ ذَلِكَ وَيُفَرَّقْ مَا يَحْصُلُ مِنْهُ عَلَى الضَّعْفَاءِ مِنَ الْأَهْلِ وَالْبَنَاتِ.

وأما السيفُ الذي عندَ أخي أبي الخيرِ فهو أحقُّ به على جميعِ
الحالات. والشرَاءُ فما هو لحاجةٍ إليه، وما أخلصَ في خفيةٍ وسترٍ. واللهُ،
الخليفةُ على الجماعة، مالكُ الحمدِ والشكر. وهو حسبي ووليُّهُ المنتقمُ من
أهلِ الغدرِ والنكر. والسلامُ لألِ عبدِ الله وآلِ سليمان.

تمتُ بمِنَّةٍ وليِّ الأمر.

منشور رمز لابي الخير سلامه

أبو الخير سلامه ابنُ حسن، ابنُ جندل الدِّين النفيس. لقبه حقيقُ الدِّين. قريته بكيفًا. نسبته إلى بني برغشه. كان كبيرَ شيوخ وادي التَّيم في الدِّين والعمر. ذكره المقتنى في عدَّة مواضع. وهو الذي نزل عنده لما جاء الشام. وهو من مشايخ آل سليمان. في هذا المنشور رموز كثيرة : ظاهرها تجارة وبضاعة وأرباح وخسارة، وباطنها: الدَّعوة والتَّوحيد والرسائل والحدود والمقامات، وغيرها.

بسم الله الرحمن الرحيم.

كتبْتُ أطلالَ الله بقاءَ أخي الشيخ أبي الخير سلامه، وأدامَ تأييده وحراسته، وتوفيَّقه ونعمته. مِنَ الْمُسْتَقَرِّ بالإسكندرية في شهر شعبان ختمه الله بالسَّعادة، وسهَّلَ لَهُ في مَالِهِ وتجارته النُّموَّ والزيادة، عن سلامة لا زالت شاملةً لأهلِ النِّقَّة أمثاله، ضافيةً عليهم لظهرِ أذْيالهم وأذْياله. والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلواته على رسوله أَفْضَلُ النَّبِيِّينَ، وعلى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّهْرَةِ الميامين.

قد اتَّصلَ بنا يا أخي ما بِنَاحِيَتِكُمْ من تغييرِ أحوالِ التجارات، وما آلَ إليه أمرُ الذين كانوا عندنا من الطَّهْرَةِ الثِّقَات، حتَّى صاروا إلى الخِيَانَةِ في بَيْعِهِم والخروجِ عن الطَّاعات، فَلَزِمُهُم بِرُكَاكَةِ عَقُولِهِم أعظمُ الخسارات.

وَأَمَّا مَا كُنْتَ أَنْتَ حَمَلْتَهُ فِي الْعَامِ الْمَاضِي مِنَ الْقُطْنِ^(١) الَّذِي قَطَعُوا عَلَيْهِ التَّدْمِيرِيُونَ، فَأَمْرُهُ قَدْ فَاتَ. وَقَدْ أَخْلَفَ اللَّهُ فِي تِجَارَتِكَ الَّذِي قَبْلَنَا، وَجَعَلَ لَكَ فِيهَا أَعْظَمَ الْبَرَكَاتِ. فَدُمَّ عَلَى ثِقَتِكَ وَطَهَارَةِ نَفْسِكَ، وَثِقَةِ رَوْحِكَ. وَلَا تَخْلُطْ بِضَاعَتِكَ بِبِضَاعَةِ رِدْيَةٍ. فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ مَنْ تَاجَرَ بِمَالِنَا وَخَانَ فِيهِ الْأَمْرَاضَ الْمَعْدِيَّةَ، وَالْعِلَالَ الْوَبَائِيَّةَ. وَلَا يَجْعَلُ لَهُ ثَمَرَةً فِي جَمِيعِ مَا تَقَلَّبَ فِيهِ مِنْ تِجَارَتِهِ، وَعَاقِبُهُ عَلَى ذَلِكَ وَرَفَعَ عَنْهُ جَمِيعَ بَرَكَاتِهِ.

قَدْ كُنَّا أَنْفَذْنَا إِلَى جِهَةِ الشَّيْخِ أَبِي الْفَتْحِ، كَلَّاهُ اللَّهُ، شَيْئًا مِنَ الدَّبِيقِ^(٢) وَالشَّرْبِ صَالِحٍ فِي النَّعْمِ^(٣)، وَمَحْزُومَةً فِيهَا أُرْدِيَةُ عَدْنِيَّةٌ وَبُرْدٌ مِنْ أَفْخَرِ أَعْمَالِ الصِّينِ^(٤)، وَالتَّقَدُّمُ بِبَيْعِهَا بِمَا سَهَّلَ اللَّهُ وَرَزَقَ. وَلَا يَعْتَلُ بَعْلَةٌ بِبَيْعِهَا، وَلَوْ بِالْجَزِيرَةِ. وَلَا يُقَالُ هَذَا كَسَدٌ وَهَذَا نَفَقٌ.

وَقَدْ اتَّصَلَ بِنَا عَنْ أَبِي الْحُلِيِّ، لَا أَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَهُ، وَعَجَّلَ عِقَابَهُ فِي دُنْيَاهُ قَبْلَ أَخْرَافِهِ. أَنَّهُ أَهْمَلَ مَا كَتَبْنَاهُ إِلَى عَمَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَنْفَذْنَاهُ، وَأَوْثَقْنَا حَزْمَهُ أَيْضًا إِلَى الْوَكِيلِ وَشَدَدْنَاهُ. وَتَأَكَّدْنَا عَلَيْهِ فِي تَقْدِيمِهِ الْبَيْعِ وَأَمْرِنَاهُ. وَأَنَّهُ الْغَافِلُ أَمَرَ بِتَقْدِيمِ الْخَسِيسِ مِنْ تِجَارَاتِ السُّفُلِ، وَأَخْلَطَ مَا مَعَهُ مِنَ الْمُتَجَرِّعِ الرَّابِعِ بِمُقَابِحِ الْخَوْنَةِ أَصْحَابِ الزُّغَلِ، وَرَجَعَ إِلَى مَا اعْتَقَدَ وَإِلْفَهُ مِنَ الْخِيَانَةِ مَعَ الْوَكِيلِ وَحُلَفَائِهِ الْأَوَّلِ.

فَاللَّهُ يَكْشِفُ سِتْرَهُ عَنْ مَنْ خَانَ رَوْحَهُ وَأَفْسَدَ الْمُعَامِلِينَ، وَرَفَعَ عَنْهُ حِلْمَهُ وَأَطْلَقَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَمْثَالِهِ سَيُوفَ مَنْ جَاوَرَهُمْ مِنَ الرُّومِ الْخَوْنَةِ الْمُشْرِكِينَ.

(١) ممثل رسائل التوايخ التي منع وصولها شِرْذِمَةٌ مِنَ الْكَافِرِينَ.

(٢) هي مَثَوَلَاتُ الرِّسَالَةِ الْمَرْمُوزَةِ. الدَّبِيقُ : بلد بمصر .

وكذلك بلغنا كتاب المدير الناكث حسن الساكن بكفتين، وما شنع نفسه بمقايح من هو أخس أن يذكر الشيطان السندي الذي رجع إلى ما ألفه من شياطين أهل الخلاف المدعين. وعرفت أنه ذكر أنه داوود الأصغر الملحد الفاسق الخين العاهر. فلعن الله قوماً يجوزون على أنفسهم باطل المقال. ولولا أنها نفوس نجسة أظهر الله فضائحها بالنجس للعالم السفلة الأرذال، لم يخذعوا في أموالهم لوضيع كذاب فقير من الثروة والمال. فيكفيهم ما بتجارتهم عليه من الضعف والانسفال والخسران. وعقاب الله أقرب، وارد إلى الخونة مع عذاب النيران.

وقد كنا أنفذنا إلى جهة الشيخ أبي الفتح حفظه الله ما حزمنا مع أعدل الكتان فليحطأ على بيعه من غير تضجيع ولا توان^(٣). فهو عندنا الطاهر الثقة المأمون. ومن باع غير بيعه، أو رد قوله، فهو الغادر الخين ملعون.

وأما حرماش أوبقه الله بجريته فقد خان لقلته ثقته ووضاعة نفسه في الرسالة. فلا أوجد الله الخونة وهم يعلمون الرحمة ولا أمكنهم من الأقالة.

وأما الشزب والديبقي فهو على غاية من حسن العاقبة في حمله.

وأما الكتان فهو غال ثقل المحمل مضرب بالتاجر لكثرة مؤونته وثقله.

وأما الهليجات والقرفة والزنجبيل وجميع البهارات^(٤) فقد انقطعت

(٣) أي على توزيع الرسائل غير المرموزة بتان وتحفظ وتستتر.

(٤) هي ممثل الرسائل العارية من الرمز وفيها الحقائق والمفترضات وذكر الحدود

السُّبُلُ بِتَاجِرِهِ وَوَقَعَ عَلَيْهِ إِعْسَارٌ فَلَا تَذْكُرُهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَكَاتِبَاتِ.

وَاحْرَصْ يَا أَخِي أَبُو الْخَيْرِ فِي إِيْصَالِ هَذَا الْكِتَابِ إِلَى أَبِي الْحَلِيِّ
فَلَعَلَّهُ يَرْجِعُ عَمَّا اعْتَمَدَهُ مِنَ الْخِيَانَةِ وَالرِّذَائِلِ وَالْإِسْتِكْبَارِ. وَمَا قَبْلَكُمْ مِنَ
الْبِضَائِعِ فَقَدْ أَغْنَى اللَّهُ عَنْهُ وَلَهُ الْحَمْدُ لِسَعَةِ مَا لَنَا فِي جَمِيعِ الْأَقْطَارِ. وَقَدْ
أَيَسَّنَّا مِنْهُ وَأَسْتَخْلَفْنَاهُ عِنْدَ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ. فَهُوَ الْمُنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَاءِ الدِّينِ
الْخَوْنَةِ الْفَجَّارِ.

فَمَا سَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَرَجَعَ فَاللَّهُ أَعْطَاهُ. وَمَا كَسَرُوهُ وَكَلَاءُ
الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ فَاللَّهُ يُهْلِكُهُمْ وَيُعَجِّلُ لِمَنْ ظَلَمَ خَزْيَهُ وَجَزَاهُ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مَهْلِكِ الْخَوْنَةِ وَمُمِيزِ أَعْمَالِهِمْ، وَمُعَجِّلِ خَزْيِهِمْ عَلَى مَا
اِحْتَقَبُوهُ، وَمَقْرِبِ فَضِيحَتِهِمْ قَبْلَ وَرُودِ آجَالِهِمْ.

تَمَّتْ وَالْحَمْدُ لِمَوْلَانَا وَحْدَهُ، وَالشُّكْرُ لِقَائِمِ الزَّمَانِ عَبْدِهِ.

١٠٢

منشور الشرط والبط

هذا المنشور هو رسالة في الرد على شيوخ أنقصوا من الاحترام الواجب عليهم نحو بهاء الدين المقتنى. ولكي يبرر بهاء الدين عنقه وردّه، عاد إلى رسالة الموعظة يستشهد بها، ويوجب على الشيوخ: الشرط، والبط، والقَطْع، والكي، أي: العتب، والتعنيف، والهجرة، والتبرّي.. هذه الفاظ من الطب، تُشير ما لبهاء الدين من معرفة بالطب.

بسم الله الرحمن الرحيم حدود قائم الدين.

أيها الشيوخ الطهّرة! قد أعدّ نذير الآخرة، وأوجب الحجة على الأمم بالحكم المعجزة والبراهين الباهرة، وقد استسلم بمعاني الحق أهله وذوي النفوس المميّزة والعقول الساكنة الطاهرة. فَمَنْ لَحَقَهُ الشكُّ في نفسه فليعلمها بما جناها وشاهده. وَمَنْ كانت نفسه بريئة من الشكوك ولا يرتاب بما عني به غيره لما من الشرف عاينته.

وأما ما ذكره الشيوخ من اشتغال قلوبهم بالوعد والوعيد، وإشفاقهم من الوعد والزجر والتهديد، فلقد، بالله، أَلَمَنِي ما ذكره، وَفَجَعَنِي ما تخيلوه وتصوروه، إذ خفي عنه أن حكمة القائم، سلام الله على ذكره، الجارية على لسان حجته وعبيده، يأخذ منها كل ذي حد من حده، ويبلغ بمعاني حقها إلى ربه وقصده. وكيف يُظلم بالتونيب الولي الطائع الناصح. وكيف يجري مجرى الخيانة الفاضل الراجح. ومن ذا الذي في

العالم يرفع نفسه عن الأمر والنهي والوعظ والزجر. ومن ذا الذي قبل الحقّ وسلم في السراء والضراء لولي الأمر. لله إنهم في هذه الجزيرة لقليلون العدد، منقطعون الأصل والمدد.

وأما ما ذكره الشيوخ من الجفا وضرب الأمثال بمن لا يثبت له في الحق قاعدة ولا مقال، فحاشى الله من هذا القول البين المحال، إذ الجفاء وضع الحق في غير موضعه وأصله، والرمي بالباطل لغير مستحقه وأهله، وقد برأنا، والله الحمد، من هذا الفعل، وارتبط بمن أورقت فروعه منه وكان له كالضياء والأصل.

وأيضاً فأى حق يثبت لمن كذب على أهل الحق، وأى قول صح لمن قام بالباطل على أهل السدق. وكتاب الشيوخ ورد إليّ ببراءة نصراً، مما شنع به ابن أبي حصية وغنام. وقد كتبت به خطاً عندنا بما قالوه من الاختلاف والكذب والمذق، وتعيين من لا وهم بإحالة القول. وهذا من أعظم النجس والفسق.

فإن كانوا الشيوخ أعنوا بأننا جفونا عليهم وبهذا القول عيناهم، فقد تصوّر في نفوسهم غير تصوّر أهل الحق، وبنوا رأيهم في هذه المكاتبه على غير الرشد والسدق. وهذا وحاشى أهل الدين أن يكونوا بعلى قد أزمئت، وأداء قد تمكنت، واشتبهت أجوبتهم بفجاجة الكردي، وما به تباينت.

وإن كانوا أنفوا من العتب لمن باء بالكذب ومن الوعظ والتوبيخ، وخشأت نفوسهم من الزجر لمن هذا بسبيله والتأديب والتهذيب، فما أنا عليهم بحسيب وقد قصر الزمان عن تكرار هذا الخطاب. وأنا أرجو أن يكون هذا من طغيان القلم أو غلط من كاتب الكتاب، أو جرى على غير إرادة، أو غفلة بلا اعتقاد. فالله لا يتبعهم بالغلط وزراً، ولا يضع لهم عند أهل الحق قدراً ولا ذكراً.

وقد قرأتُ في بعضِ سِجَلَاتِ الحَضْرَةِ الطَاهِرَةِ إِلَى بَعْضِ دَعَاةِ
الْجَزَائِرِ أَنَّ أَعْضَفَ الْأَدْوِيَةِ الْمُسْكِّنَاتِ، وَأَقْلَاهَا نَفْعًا الْمُطْفِئَاتِ، وَأَنَّ الْمُنْفَعَةَ فِي
الْعَقَاقِيرِ الْبَشِيعَةِ وَالشَّرْطِ وَالْبَطِّ وَالْقَطْعِ وَالْكِي^(١).

وقد ثَبَّتُ فِيمَا بَيَّضْتُ مِنْ مَكَاتِبَتَيْنِ أَصْدَرْتُهُمَا عَلَى يَدِ سَعْدِ الْحَلْبِيِّ
وَالشَّيْخِ أَبِي الشَّيْبِلِ أَنْ تَقْبَلَ شَيُوخُ الْمَوَاضِعِ إِقَالَةَ مَنْ اسْتَقَالَ، وَتَوْبَةً مَنْ تَابَ
بِحَضْرَتِهِمْ بَعْدَ الْهَفْوَةِ مِنَ الْأَصْحَابِ وَالْإِخْوَةِ وَالْأَهْلِ. وَمَنْ تَعَرَّضَ لَشَيْءٍ
مِنَ الرِّذَائِلِ وَالْقَبَائِحِ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِقَالَةِ وَوَكَيْدِ الْإِيمَانِ، أُبْعِدَ مِنَ الْجَمْلَةِ
وَعُرِفَ بِالْخُبْثِ وَالنَّكَثِ وَالطُّغْيَانِ. وَأَنَا مُؤَكِّدُهُ فِيمَا بَعْدَ الْيَوْمِ وَفِي هَذَا
الْأَوَانِ.

وقد وصل إلى هذا العالم من حكمة الولي على يد عبده أكثر مما
يستحقُّوه. وما بقي لأحدٍ منهم على الله ووليِّه حجةٌ ولا حقٌّ فيطلبوه.

فليرجعوا إلى تصوُّرِ ما عندهم تُحَصَّلُ مِنَ الْمَعَالِمِ الْمُبْهَرَاتِ، وَتُفْهَمُ
مَا صَدَرَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْبَرَاهِينِ وَالْآيَاتِ. وَلَا يَكُونُوا كَمَنْ هُوَ عَنْهُ بِمُعْزَلٍ مِنْ أَهْلِ
الْأَرْتِدَادِ وَالشُّكِّ وَالشُّتَاتِ. وَيَتَحَقَّقُوا بِالْعِلْمِ وَرُودِ يَوْمِ الْمِيقَاتِ، وَيَغْتَنِمُوا
نَصِيحَةَ مَنْ لَا يَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا وَلَا يَحْمِلُهُمْ فِي النَّدَاءِ عَلَيْهِ وَالْإِنْكَارِ لِحَقِّهِ
إِنَّمَا وَلَا وَزَرَ.

وَأَمَّا الْفَصْلُ الَّذِي ذَكَرَ فِيهِ الْوَارِدُونَ مِنْ بَلَدِ الشَّمَالِ، فَإِنَّهُ وَرَدَ إِلَيْنَا
بَعْضُ مَا أَحْدَثُوهُ مِنْ مَقَابِحِ الْأَفْعَالِ، وَكَذِبِهِمْ عَلَى اللَّهِ وَوَلِيِّهِ بِالْغُدُوِّ

(١) جاء معنى هذه الالفاظ ومدلولها في رسالة الموعظة رقم ٨٧ : الشرط: مثل قوله في
الموعظة : فاعتبوه وعظوه، والبط: لوموه وعنفوه، والقطع: إن طال به السفه واللدد
فاهجره، والكي: إن دام على غيِّه فتبرأوا منه وأبعدوه. فالشرط إذاً هو العتب،
والبط هو التعنيف، والقطع هو الهجران، والكي هو التبري. هذه هي مواقف الداعي
إزاء من ارتد عن دعوة الحق، دين التوحيد.

والأصَال، ورجوعهم عن الحقِّ والاعتدال، فكتبْنَا إليكم فيهم ما كتبْنَاه، وأمرْنَاكم بالبراءة مِمَّن استحسنَ في الدينِ المقايحِ اللائقة بغير أهلهِ وأوليَّائه من المقتِ والسَخَطِ ما قد تَوَلَّاه.

وأما أبو سليمان داوود فما رأينا منه إلا خيراً وبه عَرَفْنَاه. وبالله إنَّ له عليَّ لحقوْقاً وَخَدَمًا لم يخدمهما غيره إلا القليل ممن شاهدناه. وما له عندي إلا الأكلُ الأجلُّ، والأبرُّ الأحسنُ الأفضلُ. وأنا شاكرٌ للجماعةِ على شكره وثنائه، وداعٍ إلى الله في توفيقهم لطاعةِ وليِّه وأوليَّائه.

وقد وصلَ إلى جهتِنَا حَسَنُ أخو أبو سليمان فشاهدوا الجماعةُ ما بهرهم من حُتُوهِ عليهم وإشفاقِهِ. وَأَلَمَتْ قُلُوبُ الجماعةِ لألمِ قلبِهِ واحتراقِهِ. وقد خَرَجَ مُحَمَّدٌ إلى جهته لِيُنْهَضَ معه، ويسرَّنَا بقدمِهِ ويبردَّ حرارةَ قلبِ أخيه وَيُبْلُ بعضَ أشواقِهِ.

والحمدُ لله المنزَّه بجبروتِهِ وعلائِهِ، الذي لا يغيِّرُ نعمتَهُ ما استسلمَ أهلُها إلى وليِّ حقِّهِ وأوليَّائِهِ، ولا يقطعُ رجاءَ من لجأَ إليه وَبَرى من أعدائِهِم وأعدائِهِ. وصلواتُهُ على الإمامِ العدلِ المنتظرِ، ومقيمِ الحجةِ على العوالمِ بحدودِهِ من حيثُ العالمِ، وتحياَّتُهُ وهو حسبُ عبده الضعيفِ المقتنى في يومٍ يندمُ فيه المبطلونَ والشَّاكُّونَ، الذين آيسُوا من رجعتِهِ ولقائِهِ، وقيامِهِ بسيفِ الحقِّ والعدلِ على من أَفَكَ عنه بجحدِ حقِّهِ وآلائِهِ.

تمَّت بحمدِ وليِّ النُّعمة.

١٠٣

مَكاتِبَةُ الشُّيُوخِ الأوَّابِين

هؤلاء الشيوخ الأوَّابُون، أي التائبون، هم من آل عبد الله. كتب إليهم بهاء الدِّين هذه المكاتبة يهنئهم بتركهم ضلالات المضلِّين، ويحذِّرهم من بعض المؤمنين المرتدِّين عن دعوة التَّوحيد، ويبشِّرهم بأنَّ زمن انتصار دين التَّوحيد قريب.

بسم الله الرحمن الرحيم حدود قائم الدِّين. أحسن الله عونَ الشيوخ الطهرة الأوَّابِين، وسهَّلَ لهم سُبُلَ الرُّشاد، وأطرفَ عنهم أعينَ الخونةِ الملحدِينِ الأضداد.

أيها الإخوان! قد فرغتُ من عددِ الحقِّ أزمنةَ المِرْقَةِ الجاحدين، وتَقَضَّتْ أيامُ الغَطَّارِسةِ المدَّعين، الذين أوردوكم حياضَ الإباحةِ والفُسُوقِ، وسَقَّوكم كأسَ المذلةِ والعقوقِ، وأطلقوا عليكم بانتهاكِ المحارِمِ سيوفَ جميعِ الأممِ، وأوثقوا أعراضكم وجعلوكم عند الكافَّةِ كالْبَقَرِ السائِمةِ والغنمِ. فالله يعجلُ استئصالهم واجتثاثِ أصولهم، ويمنعُهم الرحمةَ كما شاركوا أهلَ الورعِ بالبَلَسِ في نفوسِهِم وعقولِهِم.

وقد منَّ اللهُ والحمدُ بورودِ محمَّدِ السندي الخيِّرِ يشرحُ له ما شاهدهُ من شريفِ أفعالكم، وما أنتم عليه من العفافِ والصيانةِ والطاعةِ والطهارةِ في جميعِ أحوالكم.

فبالله لقد كشف الغمة والألم عن قلب اتسع لكشف مبهمات الأمور،
وضلوا أسفاً عليكم بما فرطتم فيه من صيانة النفوس في طاعة ذوي
الفسوق والفجور. وحمدت ذا العزة والمجد والجلال والتنزيه، على ما وهب
من كبت أبالسة الدين وأعان عليه من الرشد والتنبيه. وتوسلت إليه بوليّه
القائم المنتظر لتمييز العوالم ومخرجهم من خطّة أهل الإشراك والتشبيه، أن
يفي بجماعتكم إلى الأخص الأرفع من نزاهة العقول والنفوس، ومجانبة من
سوّلت لهم نفوسهم النجسة استحلال الرذائل وأفعال المجوس.

فكونوا أيّها الإخوة حفظة ورقباء على من أوثّع أعراضكم بنجسه
ومخائل مُحالهِ، واستزلّكم عن الطهارة ودين الحق بباطله وضلاله.
واستأنفوا في الطاعة من قبل تغيير الزمان وورود يوم لا تقبل فيه معذرة
ولا تُقال فيه عثرة لأحد من الإنس والجأن.

فقد والله قرب ما بعد وشسع، ولعن وخاب من اختلق وابتدع، وقد
سيرت المكاتبات إلى شيوخ جميع الأصقاع، ومن في المدن والضياح، أن
يقبلوا إقاله من خرج عن العدل ثم تاب إلى الله ووليّه واستقال، وإنابة من
أناب إلى الحق بالطهارة والاعتدال.

فمن رجّع بعد الاستقالة والتوبة إلى المروق والعصيان، وباينَ
بالسّفه والردة والإفك والعدوان، أقصّي وأبعد من جملة المؤمنين، ومنع
الكلام وحرّم النعمة الممنون بها على الموحدين. والذي يجب على أهل الطاعة
والدين من جميع الإخوان، ويُميط عنهم نجس الأبالسة المفرّعين الشك
والشرك في أصول الأديان، أن تجتمع أهل كل موضع مع شيوخهم في
مُعزل مُحصّن بالستر والكتمان، ويشهدون الباري على نفوسهم وولي
الزمان، ويبتهلون بالتوبة والاستقالة هم وشيوخهم ممّا فرطوا بالبراءة من
الأبالسة والشياطين المفسدين النفوس والأديان، ويسئروا حالهم بالعقل

والسكونِ والفعلِ الجميلِ والرزانَةِ والرجحانِ، ويتألفوا على العفافِ
والصيانةِ والطاعةِ والطهارةِ ومكارمِ الأخلاقِ، ويتبرأوا ممَّن مرَدَّ وشكَّ
ونافقَ وخرجَ إلى العصيانِ والإباقِ.

فَوَحِّقْ الحقَّ أيُّها الإخوة! لقد نصحتكم أفضلَ من نصيحةِ الأخِ
لأخيه الشقيقِ، واجتهدتُ في استنقاذكم من الهلاكِ وأنهجتُ لكم سُبُلَ
السِّدْقِ والحقِّ وسددتُ ممَّا يلي الباطلِ دونكم الطريقَ. وما على الرسولِ
الناصحِ سوى الاجتهادِ والإبلاغِ ومِن القائمِ على النفوسِ المعونةُ في
التوفيقِ.

أيُّها الإخوة! قد فرغَ زمانُ التوبيخِ والتأنيبِ والإمهالِ، وحَصَّصَ
الحقُّ ودحضتُ كواذِبَ الأقوالِ والأفعالِ. واللَّهُ الشاهدُ ببذلي النصيحةَ بما
أقدرني عليه للكافةِ، والمتولِّي لمن أكرَّ خروجَه من خطَةِ الأبالسةِ بالرحمةِ
والرافةِ.

والحمدُ لله الذي تنزَّهَ بعجزِ العقولِ عن كُنْهِه وليَّه فتأله وتقدَّسَ،
والشُّكْرُ لوليِّه القائمِ الذي ألهمَ أوليائه الصبرَ على مَنْ لَدَّ في البطلِ ولنفسه
أوبقَ وأسا. وهو حسبُ عبده الضعيفِ المقتنى في يومٍ تزلُّ فيه الأقدامُ،
ويقومُ القائمُ بسيفِ العدلِ على مَنْ ارتدَّ وتنكَّسَ.

تمَّت والحمدُ لمولانا وحده، والشُّكْرُ لوليِّه الهادي عبده.

منشور في ذكر إقالة سعد

هو سعد الحلبي أتى مهاجراً من حلب إلى الوادي في أول الدعوة. فلما ظهرت البدع من الشرذمة مال معهم مدة، ثم تنصل، وسأل المشايخ في قبول توبته. فلما أرسل المشايخ للمقتنى بعض المكاتبات عرضوا اسمه. فكتب في جوابهم منشوراً في ذكر إقالة سعد ودعا له وختم له بالسعادة (عن الدرر المضية).

بسم الله الرحمن الرحيم حدود قوائم الدين.

كتبت أطل بقاء إخوتي أهل السعادة والصفاء، المميزين بالأمانة والصدق والوفاء، عن آلاء بحمد الله متظاهرة، ونعمة بعد المائة والشكر مترادفة متواترة. وصلت مكاتبة جميعهم، كنفهم الله بحرر صيانتهم، وحماتهم من الأعراض الموبقة لمن دلّس في دينه وأمانته، وأتى بالمقتى والسخط بعد وضوح خيانتهم وفهمتها على تباين درجاتهم وأصقاعهم، وحمدت الله تعالى وسألته مزيدهم من معالم السعادة في نفوسهم ومتاعهم.

ووقفت على ما ذكروه من حال سعد وأوضحوه في كتبهم ورقاعهم، من توبته عن الشك العظيم والغى والكفر الذي تقلده، والله يتوب على من رجع عن باطله الذي أوله من مرق عن الحق وخانه بالبأس

واعتمده، وأن يجعله في جملة من نحا نحوه ممن تذكر بالفكر الصحيح وتاب، واهتدى بهداية قائم الحق إمام العدل صاحب العرض والحساب.

وأنا فولي الزمان وحدوده يشهدون على صحة براءتي من كل قدم^(٢) أبله من أهل الخرص والشك والأرتياب. ومن تاب فالله يعلم سره وفحواه، وهو يؤله بالعدل ما قد تولاه.

وأما ما ذكره الشيخ الطاهر محمد ابن إبراهيم وأخواه الشيخان الخيران، من حال محمد وجراح، وقد ذكر نصر استقالتهما. ومن أكر الحق على الباطل ممن هفا من الإخوان، فقد أصدرت جواب كتبهم مع جوشن بما يجلي الغشا عن نظري ذي السبل ويروي ذي الكظة العطشان^(٣).

وأنا أجدد القول كي يمثله أهل السدق والصيانة من جميع شيوخ البستان والبلدان، فيمن هفا وخرج عن العدل، إذا رجع إلى الحق والتوحيد والإيمان، وأشهد على نفسه ثقات أهل الدين بالبراءة من أهل الغدر والفسق والطغيان. فهذا لئلا يكون لأحد على الله حجة بعد إرسال الرسل، ولئلا يقولوا نحن معذورين لغيبة الوسائط وانقطاع الطرق والسبل. فهذا فلج على أهل هذه الأصقاع في أوقات السلامة، وإقامة الحجة عليهم قبل أهوال القيامة.

وأما ما أفاض فيه الإخوة الشيوخ الطهرة من آل عبد الله وآل سليمان، وآل أبي تراب وآل البستان، من ذكر نصر وما هو عليه من السدق والديانة، فبالله ما خرج من عندي إلا وهو على غاية من الورع والعفاف

(٢) القدم: الأحق الغليظ الدم.

(٣) الكظة: البطننة، أي ما يعترى الإنسان عند الامتلاء من الطعام.

والصيانة، وأنه بريء إلى الله وإلى وليه مما أحدثوه في منزل حسين ابن شبيب بأمر من ابتدع الباطل وبأين بالسفه والخيانة.

وقد صح عند ذي كل عقل أن ابن أبي حُصَيَّةَ وغَنَامَ هما اللذان بالباطل صبغاه، وشنَّعا عليه بهذا الزور ومرثًا عَرْضَهُ وأوثقاه، وإنما شهدا عليه عندنا بمحضر من المؤمنين الثقات، وأنَّ الجمَّ الغفير من آل عبد الله قَطَعُوا الشهادة على ما قَدَفَا به نصرَ وذكرَاه. وأبطلَ كذُبُهُما بالسّدق بما فحص عنه الشيخُ الطاهرُ محمدُ ابنُ إبراهيم وعَيْنُهُ في مكاتبته أن آلَ عبد الله تبرّأوا من هذه الشهادة ولم يشهد بها سوى رجل وامرأة غير ثقتين. هكذا ذَكَرَ في الكتابِ الأوّلِ وحكاه. ومن قطع الشهادة على أهل الحق بالباطل فقد أَخْزَى في أولاه وأخراه، وتبوّأ من النار مَقْعَدَهُ ومثواه، وقد تبينَ إبطالُ هذا الكذب. والله يجازي من اخترصه وسواه.

فلتكرّم الجماعةُ الشيوخَ لأبي القاسمِ نصرَ، ويحفظوا ذمّته وأخاه، ولتكن الجماعةُ مساهمةً له من شؤونهِ فيما ساءَ وسرَّ، ولا تثريبَ لأحدٍ عليه فله خدمةٌ يحفظُ لها حقوقه إذ لا يجبُ في العدلِ أن يخرج السادقُ بكذبٍ من بَانَ فسقُهُ ومروقُهُ.

وهذا الكتابُ فليكن مقررَّ في يدِ نصرٍ لتحقَّ منزلتُهُ عند إخوانه وأهله. ومن أراد من الجماعةِ الخيرَ في نسخهِ فهو مُخَيَّرٌ فيه.

اللَّهُمَّ إِنّ التحقُّقَ لعلمِكَ بضمائرِ الخلقِ يؤمِّنُ أهلَ السّدقِ والطاعة من الحيرة والسخطِ. وجهلُ أهلِ الأدعَاءِ بمعاني حكمتِكَ وألائكِ بعد التخييرِ يُوقِفُهُم تحتَ الخيبةِ والشكِّ والقنطِ.

اللَّهُمَّ اجمعْ شملَ أهلِ الحقِّ إيقانًا وتسديقًا، وتحقيقًا وتثبيتًا. واجعلْ دائرةَ السوءِ على مَنْ شَنَّعَ أهلَ الحقِّ بالباطلِ لَعْنًا وخزيًا واجتئانًا وتشيتيًا.

والحمد لله المنزه عن عبارة الفاظ ذوي الكمال المتألهين، الذي تجالل
 وليه يقطع حقه وعدله عن المحققين المسترشدين. فجعل ملكه في إقليم عبدا
 يقيم به الحجة على من الحد في آياته وشك فيه من الخونة الظالمين. وهو
 حسب عبده الضعيف المقتنى في يوم حشر الخلائق وقيام الأشهاد لفضائح
 الكذبة المدعين، يوم يعرض الظالم على يديه ويقول: يا ليتني كنت من المتقين
 الطائعين.

ويُنسخ لسعد بعد تقريره عند الشيخ أبا القاسم نصر، ليحدث الله
 المائنة والشكر.

تمت والحمد لمولانا وحده. والشكر لولي عبده.

مكاتبة رمز إلى الشيخ أبي المعالي

عن الشيخ أبي المعالي أنظر مقدمة «منشور الشيخ أبي المعالي الطاهر»
رقم ٩٦ . كتب بهاء الدين هذه المكاتبة بأسلوب رمزي للغاية لا يدرك
كنهه الا المتبحرون بالباطن ومعنياته. يحذر فيها من الذين مزقوا
سجلات المستجيبين وارتدوا على الدعوة بالباطل.

وَصَلَتْ مَكَاتِبُهُ الشَّيْخِ الطَّاهِرِ الزَّكِيِّ، ذِي النَّفْسِ السَّائِكَةِ وَالْعَقْلِ
الزَّاهِرِ الْأَبِيِّ. وَوَقَفْتُ عَلَى مَضْمُونِ فُصُولِهَا، وَتَصَفَّحْتُ مَبَانِي آرَائِهِ
بِمَشْرُوعِ الْفُرُوعِ وَأُصُولِهَا. وَكَانَتْ، شَهِدَ اللَّهُ، كَالْمَاءِ الْبَارِدِ عَلَى قَلْبِ ذِي
الْكُظَلَّةِ الظَّمْآنِ، أَوْ كَالْبُرِّ مِنْ السُّقْمِ الْمَزْمَنِ الدَّاءِ. وَحَمَدْتُ ذَا الْعِزَّةِ وَالطَّوْلِ
وَالْمَانَّةِ وَالنُّوْلِ عَلَى مَا وَهَبَنِيهِ مِنْ جَمِيلِ الْكِفَايَةِ فِيهِ، وَفِي جَمَاعَةِ الْفَلَاحِينَ
إِخْوَتِهِ وَبَنِي عَمِّهِ وَذَوِيهِ، وَشَكَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا أَلْهَمَهُ مِنَ الْعَطْفِ
وَاللُّطْفِ وَالْإِمْهَالِ عَلَى الْمَزَارِعِينَ، مِنَ اللَّطْفِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْقَوْلِ الْحَمِيدِ. فَكُلُّ
جَانِبِكَ لَهُمْ بِسَجَايَاكَ النَّفِيسَةِ وَأَمْرُ الْجَمَاعَةِ بِمَثَلِ ذَلِكَ لِيَعْرِفُوا بِالْقَوْلِ
السَّادِقِ وَالْفِعْلِ الرَّشِيدِ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَهُ مِنَ الْأَحْدَاثِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ وَالِاخْتِلَالِ، وَمَا
هَجَسَ فِي نَفُوسِ بَعْضِ الْفَلَاحِينَ مِنَ الْوَنَاءِ وَالْفَشَلِ فِي الْعِمَارَةِ وَالْعَزْمِ عَلَى
الْإِرْتِجَالِ، فَلَا تَحْمِلْ عَلَى قَلْبِكَ وَقُلُوبِ إِخْوَتِكَ وَبَنِي عَمِّكَ ثِقَلًا مِنْ هَذَا الْحَالِ.

فهذه الحُصَصُ قد أوقفَها مالِكُها لإصلاحِ حِياضِ الماءِ السَّبيلِ،
وعِمارةِ المساجِدِ. فَمَنْ خانَ فيها فَعَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَدَّى الأمانةَ فَلِلَّهِ العليِّ
الواحدِ^(١).

وأما ما ذكرته من سوءِ تأثيرِ الوكيلِ الذي مَضَى فَحَالُ هذا وأمثاله
قد اندرسَ وانقضى. وإنما هذه جولةُ الشياطين. وبعد هنيهةٍ يَفْرَحُ مَنْ اتَّسَعَ
في العِمارةِ، وكَثُرَ مِنَ البِذارِ من المزارعين، وَمَنْ صَبَرَ على بردِ القَرِّ نَالَ
خُضْرَةَ الرَّبِيعِ. وَمَنْ تَهَجَّمَ على أَخَذِ مالِ الأجناسِ في سبيلِ الله، فليس له
غَدٌّ من شَفِيعٍ^(٢).

وأما ما وَصَلَ إلينا من حالِ الوكيلِ الخَيِّنِ وَمِنْ أمرِهِ بتمزيقِ جرائدِ
الحسابِ^(٣)، فنحنُ نَضْرِبُ عن هذا صفحاً ونُرجِّئُه ليومِ الجَزاءِ والمآبِ. وليس
هذا ممَّا يَضُرُّ المالكِ. وفي الله تعالى عِوَضاً من كلِّ هالكٍ. وقد أوصلَ
مُوصِلُها جميعَ المُوسومات. وأنا أقولُ إِنَّ الصَّبْرَ في جميعِ الأمورِ مطيَّةٌ لا
تَكبو بأهلِ الدياناتِ.

وَذَكَرَ حالَ انقطاعِ الكُتُبِ فلا بدَّ من ذلك لعِظَمِ حِدَّةِ هذه الأوقاتِ.
وَمَنْ لم يَدْخُرْ لِعِيالِهِ وَكِسُوهُ، فيوشِكُ أَنْ يَلْحَقَهُمُ أَلَمُ السَّغْبِ وبردُ الشتاءِ.
وَمَنْ عَرَفَ مجاري الأَزمِنَةِ لم يَأْخُذْهُ في الطَّلَبِ الفُشلُ والوَناءُ.

وقد كان الواجبُ على الشيخِ أبي الحَسَنِ علي أَنْ يُبَيِّنَ للجماعةِ ما

(١) «الحُصَصُ» هم المستجيبون. «حِياضِ الماءِ»: مجالس الذكر. «عِمارة المساجد»:
«العمارة» هي دعوة التوحيد، و«المساجد» هي المجالس أيضاً ومعناها مجالس الذكر
حيث يتعلَّم المستجيبون دعوة التوحيد عن يد أحد الدعاة.

(٢) «الوكيل» هو: الخائب سكين. «العمارة»: التوحيد. «بزار المزارعين» تعني الزخاريف
الفاسدة والأفعال القبيحة. «برد القَرِّ»: الضلال والشك. إلخ.

(٣) الوكيل الخَيِّن: الخائب سكين. جرائد الحساب: الموائيق.

شاهدَه من خلاف الدَّعيِّ وعائِنَه. وما كانَ عليه في كلِّ أفعاله من الخلِّ والمباينَه.

فلا يَضْجَعُ الشَّيْخُ الخَيْرُ فيما أَمَرَهُ من المراءاتِ لإخوته وبني عمِّه المزارعين، وَيَذُبُّ بِنَفْسِهِ في السِّياسَةِ الشَّافِيَةِ لكافةِ المجاورين، ويوضِّحُ لي الشَّيْخُ الفاضِلُ مجاري أمورِ آلِ عبدِ اللَّهِ وشيوخِهِم وما هم عليه من صِحَّةِ اليقين. وتَخُصُّ نَفْسَكَ العزِيزَةَ عليَّ، وجميعَ أَهْلِكَ وبني عمِّكَ بأتمِّ التَّحِيَّةِ.

وأما الجَرْمَقِيُّ، خِزاهُ اللَّهِ، فما لنا منه عِلْمٌ، ولا عندنا منه خبرٌ إلا شاذ. فمتى وردَ إليكم فأبعِدُوهُ. فَلَعَنَ اللَّهُ من أَصَلَ له هذا وأقصاه.

ويجبُ الاقتصارُ بعدَ هذا في المكاتبةِ بعدَما تقدَّمَ من فصلِ القِسْمَةِ والمحاسبةِ^(٤)

والحمدُ لِلَّهِ كما هو أَهْلُهُ وصلواتُهُ على رسولِهِ وآلِهِ، وسلِّم تسليماً. وحسبنا اللَّهُ ونعمَ الوكيل.

(٤) المحاسبة اي قسمة المخلصين من المتلبسين (الدرر).

١٠٦

منشور إلى المحلّ الأزهر الشريف

«المحلّ الأزهر الشريف هي الدعوة، وأين ما انقادت الدعوة بالذاكرة على قوانين الدين» (كتاب الدرر). فالمحلّ هنا يعني شخصاً لا مكاناً. وجه بهاء الدين هذه الرسالة «نصيحةً للأبرار الموحدين»، ضدّ الأفاكين الضالّين المخالفين. وسجّل فيها أسماء الشيوخ الطهرة، إسماعلاً في ديوان السعادة، ولدى اكتمال لائحة الأسماء يرسلها إلى «ديوان المشيئة ومحلّ الإرادة». ومن المعلوم أنّ الإرادة كناية عن حمزة، والشيئة كناية عن اسمعيل التميمي، ممّا يدلّ على بقائهما في قيد الحياة، ولكّتهما غائبان، يعرف المقتنى مكانهما.

توكّلتُ على مولانا الغفورِ البارِ إلهِ العالمين، وتوسّلتُ إليه بوليّه المنتقمِ من أعداءِ الدين.

من العبدِ المملوكِ لوليّ الزمانِ والدهور، ألقائمٍ لجزاءِ الأنام وصاحبِ البعثِ والنشور، إلى جماعةِ شيوخِ الديانةِ بالمحلّ الأزهر الشريف، المتبرّئين من أهلِ الشطّانِ والتبديلِ والتحريف. ألسلامُ على مَنْ نظرَ إلى حقائقِ الحكمةِ بعينِ بصيرتِه، وأنّعظَ وارعوى واعتصمَ بحُجْزَةِ الهادي وليّ زمانِه واهتدى، وتنزّه عن التمسكِ بعصمةِ مَنْ ضلَّ عن دينِه وانسفلَ بعد علوّه وارتنى، وكانَ له من نفسه زاجراً عمّنْ جحدَ النعمةَ ومَرَقَ عن الحقِّ وغَوَى.

أما بعدُ فالحمدُ للمولى الإلهِ الحاكمِ البارِ، المنزهِ عن القِدَمِ والعَدَمِ
وعَمَّا يَخْتَلِجُ في الضمائرِ والأسرارِ، الذي أوجَدَ كافَّةَ بَرِيَّتِهِ مُهْتَدِيَةً لِلْمَصَالِحِ
وَالْمَضَارِ، فَلَجَأَ بِالْحُجَّةِ عَلَى الْحَيِّ النَاطِقِ الْإِنْسَانِ بما يَجِدُهُ فِي الْحَيَوَانِ
الصَّامِتِ الْمَكْتُوبِ، وَتَنْبِيهًا لَهُ بِمَا يَرَاهُ فِيهَا لَا عَقْلَ لَهُ لِنَقُومِ الْحُجَّةَ بِالْعَدْلِ
عَلَى الْعَاصِي وَالطَّائِعِ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ الْمَوْجُوبِ.

وسلامُهُ عَلَى وَلِيِّهِ هَادِي الْأُمَمِ، عِلَّةِ الْعِلَلِ الْمَوْجُودَاتِ، وَمَالِكِ جَزَاءِ
النَّفُوسِ عَلَى السَّيِّئَاتِ وَالْحَسَنَاتِ. وسلامُهُ وَصَلَوَاتُهُ وَرِضْوَانُهُ عَلَى حُدُودِ
دِينِهِ وَأَتْبَاعِهِمُ الْمَجَاهِدِينَ لآلِ الْبَلَّسِ فِي أَعْظَمِ الْفَتَرَاتِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَانُ الطَّهْرَةُ! فَقَدْ تَقَضَّتْ مَدَّةُ الظُّلْمَةِ الْغَاصِبِينَ، وَظَهَرَ مِنْ
الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ مَا اسْتَنْتَرَّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمَرْقَةِ الْمُدْعِينَ، وَبَاءُوا بِالسَّخَطِ بِمَا
أَحْدَثُوهُ مِنَ النِّكَثِ فِي الدِّينِ.

فَتَنَبَّهُوا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ مِنْ سِنَةِ النَّوَامِ، وَلَا تَتَأَسَّسُوا بِأَرْجَافِ الْمَرْقَةِ
الطُّغَامِ. فَهَمُّ أَوْغَادِ الْأَنَامِ، وَأَوْلَادُ الْحَرَامِ، أَشْيَاعُ الْمُرُوقِ وَالْجَهَالَةِ، وَأَتْبَاعُ مَا
سَوَّلَتْ لَهُمْ نَفُوسُهُمْ مِنَ الْعُقُوقِ وَالضَّلَالَةِ.

فَهَمُ وَاللَّهِ، أَعْنِي يَالثَّلَاثَةَ أُسَاسُ الْعَيْثِ وَالْفَسَادِ^(١)، وَبَاهُائِهِمْ وَمَهْنِهِمْ
الْخَبِيثَةِ تَخَبُّتُ نِيَّاتُ النَّفُوسِ بِالْخُلْفِ وَالْعِنَادِ، الْمُورِثَةُ لِنُقْصَانِ الْمَنَازِلِ وَتَغْيِيرِ
الصُّوَرِ فِي يَوْمِ الْجَزَاءِ وَالْمَعَادِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَانُ! فَلَا تُبْطِلُوا مُقَدِّمَاتِ طَاعَتِكُمْ بِزَخَارِيفِ الْمَوَاهِينِ، وَلَا
تَنْكَلُوا عَنْ صَحِيحِ الْحَقِّ لِانْعِكَاسِ مَنْ شَرَّدَ مِنْ مِبَانِي الدِّينِ. فَقَدْ وَرَدَتْ
مَكَاتِبَاتُ الْإِخْوَةِ آلِ سُلَيْمَانَ وَآلِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَتَقِيَاءِ، بِالتَّبَرِّيِّ مِمَّنْ نَكَّثَ عَنْ دِينِهِ
وَخَرَجَ عَنِ الْحَقِّ مِنَ السَّهْوَةِ الْأَشْقِيَاءِ. وَشَكَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى لَمْ شَمِلِهِمْ

(١) الثَّلَاثَةُ هُمْ، بِحَسَبِ الدَّرَجِ الْمَضِيَّةِ، لِاحِقٍ وَسُكِينٍ وَمُصْنَبٍ.

وتألّف القلوب، وسكنتُ، شَهِدَ اللهُ، إلى مفهوميها، وتحقّقتُ لسدقهم في الشهادة، حطّ الأوزارِ ومَحَقَ الذُّنُوبَ. وكاتفَ ذلك ما حدّاني ممّا شرحاه الشيخُ المبرهنُ السادِقُ صفّي الدين، والأخُ أبو السَّرَايَا، غنائمُ ابنُ محمّد الخيّرُ الأمينُ، وحققاه عندي من حُسنِ طاعةِ الجماعةِ بعدَ النَّفَارِ والشَّيْفِ^(٢)، وأطراحِ الإحْنِ وسلامةِ النفوسِ من الحَيْفِ.

فبِاللّهِ لَقَدْ قَامَا لَبِثَ مَا يُرْجَى خَطِيبَانِ، وَلِنَشْرِحَ مُحَاسِنِ الْجَمَاعَةِ مِنْ آلِ عَبْدِ اللَّهِ وَآلِ سُلَيْمَانَ، وَلِفَضَائِلِهِمْ بِالسَّدَقِ مُذِيعَانِ. وَلَقَدْ مَثَّلَ لِي مَا لَحِقَ بَنَاتِي وَإِخْوَتِي مِنْ أَلْفَافِ الرِّسَالِ مِنَ الْأَلَمِ وَالْهَلَكِ. فبِاللّهِ لَقَدْ أَلَمَ قَلْبِي ذَلِكَ وَفَاضَتْ عَيْنَايَ بِوَاكِفِ الدَّمُوعِ الرُّسُلِ، أَسْفَا عَلَى مَا بِسَاحَتِهِمْ مِنَ الْخَرَصِ أَجْرِي إِلَيْهِ. وَمِنَ الْغَلَطِ وَالتَّحْرِيفِ مَا لَمْ أَطَّلِعْ عَلَيْهِ.

وَأَنَا مُحْتَسِبٌ عَلَى مَا أَوْثَقَ أَعْرَاضَهُمْ بِالتَّحْرِيفِ وَالْإِرْتِيَادِ، وَسَاسَهُمْ بِسِيَاسَةِ الْغَرَضِ وَالْفُسَادِ. وَأَنَا ضَارِعٌ إِلَى مَنْ لَا يَخِيْبُ ضَرْعُ مَنْ أَخْلَصَ فِي دَعَائِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَأَتَوَسَّلُ بُولِيِّ الدِّينِ إِلَى الْمَوْلَى الْمُتَعَالِي عَنْ تَنْزِيهِ خَلْقِهِ وَعَبِيدِهِ، أَنْ يُكَبِّتَ عَلَى الطَّاعَةِ جَمَاعَتَكُمْ بِالتَّسْلِيمِ لَوْلِيهِ وَالرُّضَى، وَأَنْ يَأْخُذَ بِمَضَانِ نِيَّاتِهِمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْأَقْصَدِ وَالسَّبِيلِ الْأَوْسَعِ الْفَضَا، وَيَارِي الْمَبْرُؤَاتِ، وَجِبَارِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَتَصَوَّرْ لِأَحَدٍ مِنَ الْجَمَاعَةِ حَقِيقَةَ ذَنْبٍ فِي جَمِيعِ هَذَا الْخَلَلِ، وَأَنَّ ذَلِكَ مُنَاطًا بِمَنْ عَوَّلَ عَلَيْهِ فِي رَأْيِ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ وَتَسْدِيدِهِمْ عَنِ الزَّلَلِ، فَتَكَلَّ عَنِ اللَّحَاقِ وَقَعَدَ بِهِ عَنْ تَصَوُّرِ الْحَقِّ خَبِيثِ الْعَمَلِ. وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَالتَّوْبَةُ قَبْلَ يَوْمِ الْجَزَاءِ تُمَحِّصُ مَا تَقَدَّمَ لَهُمْ مِنَ الْأَوْزَارِ، وَالتَّكَلُّفُ عَلَى التَّصَافِي فِي الدِّينِ يُبْعِدُهُمْ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ. وَإِخْوَتِي وَشِيوخِي يَتَحَقَّقُونَ ذَلِكَ.

(٢) النَّفَارُ: الْبُعدُ وَالتَّفَرُّقُ وَالصَّدُودُ، وَالشَّيْفُ: الْبُغْضُ.

معما أني أقول إن الشيخ أبو الحسن عليّ ابن الحسين الرئيس، لم يأمر بما فعل في عمارة رضي الله عنه إلا قضاءً لِدِمَامٍ مَنْ حَقَّقَ عنده النُقْلَةَ والتأسيس، لرجوع الخائب إلى أُرْدَالِ العُمَرِ بالانسفال والتلبيس. فلا لوم عليه إذا تنصّل ممّا اخترصه وتاب، ورجع إلى الحقّ واعترف بوليّه قائم العرض والحساب. فاقروا عليه وعلى مَنْ معه كتابي هذا وامشوا به إكراما للحقّ والطاعة إليه، لنقوم الحجة على مَنْ فعل معظم هذا الذنب، وإنْ تخلف عليّ فعليه.

وقد وقفتُ على جميع الرِقَاعِ والأسماءِ والمكاتباتِ، من جميع الشيوخ الطهرة البريئين من الشكوك والتبعات، و حَدَّانِي، شهد الله، حضورُ الشيخِ الدِّينِ أبي المعالي حليفِ الثقة والطهارات، وتكاملتُ بتألفه مع الشيخين السيِّدين أبي الخير سلامة بن جندل، حقيق الدين النفيس، وأبي الفضل حمزة ابن أبي منصور نصير الحق الشريف الفخر والتأسيس، وتبرَّيهم ومَنْ ضامَّهم من حويطة مَنْ عفا عن الحقّ بالخُبث والتدليس.

ووقفتُ على مكاتبة أخي مشرّف أخو نصير الحقّ فقبلتُ دعاءه، وشكرتُ مسعاه، وكذلك أبو الحسن أخو حقيق الدين، والشيخ الخير فريجُ ابن سُرور، والحسن جراح ابن تميم، والحسن ابن البطمي، وقسّام ابن عيسى، ومَنْ يجري مجراهم من الكافة المجاورين، وجميع الطهرة المحقّين.

ووقفتُ أيضاً على ما ورد إلى الشيخ المبرهن السادق صفّي الدين، أعني مكاتبات الخلف الطاهر من عشيرتي وأهل الوفاء والأمانة القاضيين، لديون الأسلاف من أسرتي رجاء ابن يونس كفيل المؤمنين، ومُصَبِّح ابن الحسن شداد الموحدين، وأبو طالب غزّي العلم والدين، وإبراهيم ابن محمد، وحسين ابن عبد الرحمن، وأبي الفوارس نجاء، وإبراهيم أيضاً، وبقية الجماعة ممّن لم نُسَمِّهِ. فجميعهم إخوتي آل الطهارة والسيادة الموقنين.

ووقفت أيضاً على جميع ما ورد من مكاتبات الشيخين السيدين أبي الدرغ جوشن وأبي اللقا ثابت أليفي التوفيق، وقسمي التسديد والتحقيق، ومن بحوزتهما من الجماعة الموحدين، وتحققت سديهم في البراءة ممن نكث في الدين.

ووقفت أيضاً على مكاتبات الشيخ الطاهر المبرهن صفي الدين، وما شرحه وبينه من طاعة الشيوخ السادة الدمشقيين، وبعد أن كان ذكر لي أسماءهم وأنسابهم فشاهدت سديهم فيهم بالوجود والتعيين، وعرفني دخول الحيلة كتب شهادته في المحاضر المكذوبة للشقي المهين، وعرفني تنصل الأخ حسن المحاملي فقبلت. والله يجمع على كلمة الحق نفوس المحقين.

وقد كتبت جميع أسماء الطهرة وأثبتتها في ديوان السعادة، وعند تكامل بقية أشكالهم بالبراءة ممن خرج عن الطاعة تنقل إلى ديوان المشية ومحل الإرادة. وإني بلغت عن أبي الحسن أنه ذكر في بعض ما يقول، أنه إذا فسدت الفروع فسدت الأصول.

وقد أسهب المسكين في هذا المقال، ونظر من حيث هو يتوهم المحال. وأنا أجعل في هذا لأهل الحق أصلاً يبرئ من السقم والأغلال، وأقول على الاختصار إن أصول النفوس في بعض مقدمات الحكمة هو مازجتها للأعمال، لأنها تثاب بمراسم الحق وتعاقب بمعالم الخلاف والضلال.

وقد صح أن أهل الحق ليس يتساووا بأصول من خرج عن حقائق الديانات، ولا تشبه فروع الدين وأصوله بالفروع والأصول الطبيعية.

إعلموا أيها الإخوة أن الخلق مخيرون وموقوفون بعد هنيهة للعرض والحساب والجزاء، وسيندم من اختلق الباطل على أهل الحق وادعأ.

فأصيخوا أسمعكم أيّها الطهرّة، فهذا وقتُ التمييزِ لسماعكم للآياتِ
المحكماتِ، وتطهّروا بالصدق والسّدقات، وتنبّهوا لقوارعِ الحُكَم المعجزاتِ.
فقد اتّصحتِ المحجّةُ لعالمِ التخليق، وفلّجتِ الحجّةُ على الأممِ بتعيينِ الجواهرِ
المبدّعاتِ.

فأينَ يذهبُ مَنْ استصرخَ في الفترةِ بشياطينِ الأحزاب، وركضَ
بخيلِ الأبالسةِ على معالمِ الحدودِ والأبوابِ.

وقد كتبتُ هذا الكتابَ تخييراً ونصيحةً للأبرارِ الموحّدين، وخروجاً
إليهم كما يجبُ لهم على أهلِ الحقِّ من تعيينِ المِرَقّةِ الأفّاكين، وإقامةِ الحجّةِ
على تخلفِ المباهتينِ المعاندين.

والحمدُ لله المنزّه عن الغايات، والشكرُ لولِيّه وارثِ مقاليدِ الأرضِ
والسمواتِ، وقاصِمِ فراعنةِ الدّينِ ومُهَلِّكِ جبابرةِ الفتراتِ.

وأنا أَسْتودِعُ جماعةَ إخواني لِمَنْ الودائعُ في حفظه لا تُبّاح، وهو
حسبي وبه أَسْتَعِينُ وهو نِعَم النصيرُ الفُتّاح.

تَمَّتْ والحمدُ لمولانا وحده. والشكرُ لولِيّه الهادي عبده.

١٠٧

” . . . ”
 منشور نصر ابن فتوح

راجع في نصر قصته في مقدمة مكاتبة نصر ابن فتوح، ورقم ٩٤. يظهر من هذا الـ «منشور» أن المقتنى كان يكتب نصرًا بطريقة مستمرة، ويظهر أيضاً أن نصرًا كان يسكن في البستان، وكان للمقتنى في نصر ثقة عظيمة. وكان يكتبه بالرُموز، ويوصيه بحفظ السر والتستر والسكوت وإجمال الحال، لأن أمر الدعوة أصبح، على ما يبدو، عسيراً للغاية.

وصلت مكاتبات الشيخ الخير الدين أطل الله في سمو منزلته بقاءه، وأحسن عن حميد طاعته واجتهاده جزاه.

ووقفت على ما سهل منها، وقبضت على ما حملته من جهة أصحاب الديون، وقابلتها بما تقدم فوجدتها صحيحة الكيل والوزن والعيون. فحمدت الله تعالى على جزيل نعمائه، وتوسلت إليه، بإمام بريته وأجل أسمائه، أن يكفيك والجماعة قبلك بحفظه وصيانته وجميل آلائه.

وأما ما ذكرته وسألت فيه من الحث على إدمان المراسلة والكتب، فإنها تقوي قلوب الكافة وتكون عندهم كالغيث الهائل من السحب. فقد سدت في ذلك وما زلت سادقاً باراً، لكن الشيطان قد نصب حباله لمن في قلبه المرض سرًا واجهارًا، وألقت أشراكه على ما في صدورهم والأعناق، وأظهر زمن التمييز ما أخفوه من السرقة والإباق.

فقد جعلَ الباري سبحانه لخدمِ ولِيهِ عُدْرًا يعتمدون به بعدَ الإجتِهادِ في الطاعةِ عليه، وسببًا مُوجبًا على كلِّ أحدٍ من أهلِ الحقِّ التَّفَكُّرِ فيما حَفِظَهُ ووصلَ من النعمةِ إليه، وتحقيقًا لإحكامِ الفترةِ لظهور ما بقيَ من نياتِ نَجَسِ أهلِ العقائدِ والمذاهبِ، ليُخْرِجَ من القوةِ إلى الفعلِ ما استترَ في الأكْنانِ لوجوبِ التمييزِ بينَ أهلِ الحقِّ وبينَ الخَوَنةِ الغواصِبِ. فاسترَ نفسَكَ وامسُكْ لسانَكَ، ومَنْ بحوزَتِكَ عن الكلامِ الخارجِ عن أَهْلِكَ وإخوانِكَ فما لك حاجةٌ تدعوكَ إلى مناسمةٍ غيرِهِم في سرِّكَ وإعلانِكَ.

وقد أنفدتُ إليك المكاتبةَ الواردةَ من عليٍّ أبي الحَسَنِ على يدِ أبي السَّرايا السَّراجِ، فإنْ كانتَ وَصَلَتَكَ وإلَّا فاكتبْ إليه بما ذَكَرْناه فلعلَّهُ يرجِعُ إلى السبيلِ الاقصدِ وحقيقةِ المنهاجِ. وكاتبِ الشيوخَ الطهرةَ آلَ عبدِ اللَّهِ وآلَ سليمان، وعرفْهُم حميدَ مساعِيهِم، ليتحقَّقُوا ما لهم من جزيلِ الثوابِ وفائضِ الامتنانِ.

وقد كتبتُ فيما حبَّسَ غَنَامُ عن الشيخِ الطاهرِ أبي المعالي، فَعِظُهُ فَمَا لَهُ عِنْدَنَا عِظَةٌ فيما حبَّسَهُ عنه فقد ثَبَّتَتْ الحِجَّةُ بالأواثِلِ على التواني، وعَرَّفْنِي حالَ غَنَامٍ وما الذي دَعاه إلى التعرُّضِ لمن لا يُوازِيهِ، لِسَهْوَةِ عُرْضَتِ لَهُ أم لَشَيْطَانٍ نَفَثَ في أذْنِهِ فبانتْ مَخَازِيهِ.

وَبَلَغَ الشيوخَ الطهرةَ الثَّلَاثَةَ، أعني: أبو الخَيْرِ وأبو المعالي وأبو الفضل، وآلَ عبدِ اللَّهِ ومَنْ بِحوزَتِهِم من الأخيارِ الأَعالمِ، وعَرَّفْنِي أخبارَ الشَّيْخَيْنِ السَّيِّدَيْنِ أبي الدَّرْعِ وأخيه ثابتٍ ومن بحوزَتِهِم من أهلِ الحِمَى وما هم عليه من التضامِنِ والالتئامِ.

وكذلك تَخُصُّ نفسَكَ بالتحيةِ وجميعَ مَنْ بالبستانِ، من الشيوخِ الطهرةِ الإخوانِ، وعَرَّفْنِي مجاريِ أمورِكَ وأمورِهِم، ولا تُخْلِينِي من ذِكْرِ آلِ عبدِ اللَّهِ وآلِ سليمان، وشؤونِهِم فَإِنِّي أُرَاعِي ذلكَ اهتمامًا لما هم عليه، فاللَّهُ

يُطْلَعُنِي مِنْ أُمُورِ الْجَمَاعَةِ عَلَى مَا أُسْرُّ بِهِ وَأَسْكُنُ إِلَيْهِ. إِنَّهُ وَلِيَّ الْأَجَابَةِ فِي ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مُحَقِّقُ الْحَقِّ عَلَى رَغَمِ أَنْوَفِ الْجَدَّةِ الْمُنْكَرِينَ، وَمَاحِقُ الْبَاطِلِ بِمَعَالِمِ حَدُودِ الدِّينِ. وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَحَسْبِي وَثِقَتِي بِهِ عَوْنًا عَلَى الشَّاكِّينَ الْمَلْحِدِينَ، وَقَدْ كُنْتُ ذَكَرْتُ لِلشَّيْخِ زَهْرَ الْبِنْفَسِجِ فَلَا يَنْسَاهُ كَلَاهُ اللَّهُ.

وَبَعْدَ أَنْ كَتَبْتُ هَذَا الْكِتَابَ وَصَلَ كِتَابُ الشَّيْخِ بِوَصُولِ الْكُتُبِ، وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَقِيَ مِنَ الْكُتُبِ. فَإِنْ كَانَتْ وَصَلَتْ إِلَيْهِ الْمَكَاتِبَةُ الَّتِي أَنْفَذَهَا عَلَيَّ ابْنُ الْحُسَيْنِ لِيَسْتَقِيلَ فِيهَا الْكِذْبَ وَالْمُنْكَرَ فَعَرَّفْنَا. وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَهَا مِمَّنْ تَقْدِمُ فَعَرَّفْنَا.

وَالَّذِي أَذْكُرُهُ لَكَ فِي بَابِ الضِّيَاعِ وَالْحِصَصِ فَلَا يَكُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَحَدٍ لَا خَطَابًا وَلَا مِمَارَاةً وَلَا مَقَاوَلَةً. وَيَكُونُوا بِأَجْمَعِهِمْ، أَعْنِي الشَّيُوخَ، وَلَا يَنْزَعُجُونَ لِأَمْرٍ وَلَا يُكَافِؤْنَ أَحَدًا عَلَى قَبِيحٍ وَيَلْزَمُوا الصَّبْرَ وَالْإِحْتِمَالَ. فَلَيْسَ هَذَا الْوَقْتُ كَمَا تَقْدِمُ مِنَ الزَّمَانِ. وَقَدْ وَصَلَ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ مِنَ النِّعْمَةِ مَا يُفْهِمُ بِهِ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ وَالْهُدَى مِنَ الضَّلَالِ. فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا. وَقَدْ سُرِّرْتُ بِحَالِ الشَّيْخِ حَسَنَ وَوَلَدِهِ وَانْتَقَالِهِ مِنْ جِهَةِ عَلَيٍّ إِلَى الْحِصَصِ وَمَا بَقِيَ وَقْتُ تَكُونُ الْمَكَاتِبَةُ فِيهِ عَلَى التَّرْتِيبِ فَقَدْ فُطِنَ بِالْكِتَابِ.

فَاللَّهُ فَالَلَهُ أَنْ تَكْتُبَ فِي التَّرْتِيبِ شَيْئًا مِمَّا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ فَقَدْ أَنْكَرَ النَّاسُ وَالْوَرَّاقِينَ ذَكَرَ الضِّيَاعِ وَأَمْثَالَ ذَلِكَ. فَكُنْتُ الْجَمَاعَةَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ عَلَى السُّتْرِ وَإِجْمَالِ الْحَالِ، وَتَرَكْتُ الْكَلَامَ، وَالْمَنَازَعَةَ، وَيَكُونُوا عَلَى الصَّبْرِ وَالْإِحْتِمَالَ، وَلَا يُوَاقِفُوا أَحَدًا لَا بِقَوْلٍ وَلَا بِفِعْلٍ، بَلْ يَكُونُ أَعْظَمُ مَا عِنْدَهُمُ الصَّبْرُ وَالسَّكُوتُ وَالسُّتْرَةُ.

وَتَكْتُبُ بِهِذَا إِلَى جَمِيعِ الْمَوَاضِعِ وَتَعْرِفُ صُنْعَ اللَّهِ تَعَالَى. إِنَّا كَتَبْنَا بِمَا يُوَافِقُ مِنْ قَبْلِ وَصُولِ كِتَابِكَ. وَإِنَّمَا كَتَبْتُ هَذَا عَلَى الطَّرِيقِ، وَقَدْ مَسِيرِ

أبي جُمعة إلى جهة الشيخ حرسه الله. ولولا وصول أبي جُمعة ما قدرنا
نكتب إليكم كتابًا. وأمّا طرادُ فاصليح حاله بما سأله واستثوبه بين يدي
الشيخ الأطهار. وأمّا كاملٌ فقد مات وبه أهلك الله من تمسك به، وأذية
كامل للجماعة في بلده فهي شيء لا يتلافاه. فمتى يتضح له بعض كلام
مضى فشناه، وأفسد المواضع لأنه لس له صنعة غير الكذب. فلا تنعم له
بشيء من هذا الحال.

فألله الله! لا يكن لأحد من الجماعة كلامٌ مع أحد. واستروا نفوسكم
ووجه إلى جميع المواضع بإجمال حالهم، وعرفهم ثواب الصبر والاحتمال.
وفي دون ما كتبت كفاية.

فألله الله! لا تترك هذا الكتاب من يدك، أو تكتب إلى جميع المواضع
بالستر وإجمال الذكر.

وأنا أتوسل إلى الله في صيانتهم وجميل كفايتهم. وهو حسبي
مستعان به وعليه التوك. وقرأ كتابي هذا على جميع الإخوان، وعرفهم أن
هذه المكاتبة من قبل وصول كتابك، ليعرفوا منه ولي الزمان، ويتأدبوا بما
هو آت وبما قد كان.

تمت بمنة ولي الحق.

١٠٨

مكاتبة رمز إلى آل أبي تراب

ورد ذكر آل أبي تراب في المنشور المرسل إليهم رقم ٩٧، حيث بعض من قصصهم. كتب المقتنى هذه المكاتبة بأسلوب رمزي، يسأل عن أحوال الموحدين بعد كثرة الاضطهادات التي حلت بهم بسبب الكردي والجرمقي تلميذه ومن لف لفهما.

بسم الله الرحمن الرحيم. وصلت مكاتبة الشيوخ إخوتي أطال الله بقاهم، وأدام توفيقهم وعلاهم. ووقفت على مضمونها وتصفحتها واستشرحت غوامض علمها على يد أخي أبي الحسن أعزه الله تعالى، فوجدتها تنبيء عن ضمائر طاهرة، ونفوس بارّة خيرة زاهرة، تضحك عن غرة أسباب الدهر الجديد، وملاقات الأحاب بالطلع السعيد. ولم يذكروا شيئاً من أشواقهم إلّا والذي عندي يشهد الله أضعافه، وما يتسع الزمان بشرح بعض أوصافه. وإلى الله أرغب في وهوب الاجتماع على أحب المسرات بمنه وكرمه.

وأما ما ذكروه الشيوخ آل أبي تراب من اتفاق كلمتهم واجتماع شملهم، على بيع هذه التجارة، واشتمالهم على تحصيلها، ونأمن النقص والخسارة. فالله يمدّهم بمواد توفيقه، ويأخذ بهم في الصواب والخير إلى أنهج طريقه.

وقد قبلتُ جميعَ ما ذكروه الشيوخُ وتحققتُ سِدْقَهُم في المَقالِ،
وقولِ الشيخِ أبي السرايا وتحكيمِهِ لِلَّهِ العَلِيِّ المتعالِ، فهو وهُم في حِلٍّ وفي
سِعَةٍ من جميعِ ما ذكروه، ومسامحُون بجميعِ ما فرطوا فيه من هذه الغَلَّةِ
بغيرِ علمٍ وأغفلوه، فيكونوا أَيْدَهُم اللَّهُ على جُمْلَتِهِم وتَعَبِهِم. فاللَّهُ يُحسِنُ لَهُم
الْجَزَاءَ وَالْمَعُونَةَ بِمَنِّهِ.

وأما الشيخُ أبو القاسمِ صاحبُ البستانِ أعزَّهُ اللَّهُ وما ذَكَرَهُ عنه
وعن آلِ عبدِ اللَّهِ وآلِ سليمان والجماعةِ وما فَرَّقُوا مِنْهُ وَعَظَمَ عَلَيْهِمْ من
الإيمانِ فلا يَأْبُوا ذلكَ إذا أَلْزَمُوا بِهِ.

فالإيمانُ السادقُ تسبيحٌ وتمجيدٌ، ومتى ما لم يَحْلِفِ الْمُتَنَهَّمُ أَوْجَبَ
على نَفْسِهِ غَرَمَ المَالِ وَحَصَلَ لَهُ التَّغَرُّبُ والتَّشْرِيدُ. وَاللَّهُ لِكُلِّ أَحَدٍ بِحَيْثُ
عَقِيدَتِهِ، وَمُواخِذُهُ بِنَيْتِهِ.

وكذلك أبو القاسمِ ذَكَرَ عن الجَرْمَقِيِّ لعَنَهُ اللَّهُ. فَبِاللَّهِ ما رأيناه بل قد
قِيلَ لَنَا أَنَّهُ عندَ الكرديِّ وأصحابِهِ في مِصرَ لا يَفارِقُهُم، وجميعُ ما يَقُولُهُ فهو
من فِعْلِ الكرديِّ، وهو الَّذِي أَصَلَ لَهُ ذلكَ وَلغِيرِهِ في الأوَّلِ وفي هذا الوقتِ،
وهو من قِبَلِهِ.

فاللَّهُ اللَّهُ! أَنْ يَتَمَّ لَهُ سَكَنٌ في إحدى مواضعِكَ فهو مُفْسِدٌ ملعونٌ،
وهذا من قِبَلِ أفعالِ الكرديِّ وهو عِنْدَنَا قد خَبِطَ الْبَلَدَ أَكْثَرَ مِمَّا فَعَلَ بالشامِ.
فاللَّهُ لا يُمَهِّلُهُ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا.

وأما حالُ الشَّيْخَيْنِ مِنْ آلِ عبدِ اللَّهِ، أعني الشيخَ إبراهيمَ وأبي
الفوارسِ حُسَيْنِ ابنِ عبدِ الرحمنِ، أَيْدَهُمَا اللَّهُ، فَقَدْ ذَكَرَ لِي قَوَّتُهُمَا على
الْفِلاحَةِ، وتَعَبُهُمَا في المِزارَعَةِ، وجميعِ المَقْتَدِمِينَ مِنْ بَنِي عَمِّهِمْ. فَكَاتِبُهُمْ عَنِّي
بالوَعْدِ الجميلِ وإِنَّا نَقْوِيهِمْ وَجميعَ بَنِي عَمِّهِمْ بما لا يُحْسَبُ عَلَيْهِمْ، وما
أَرادوا بعدَ ذلكَ بما لا يُكْتَبُ عَلَيْهِمْ بهِ الوثائقُ لَمْ يُمنَعُوا مِنْهُ.

وكذلك أبو الدُّرْع وأبو اللِّقَّا أَيَّدَهُمَا اللَّهُ، فَكَاتِبُهُمَا بِجَمِيعِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ الْوَعْدِ الْجَمِيلِ.

وَتُنْفِذُ هَذَا الْكِتَابَ إِلَى الشَّيْخِ ضَامِنِ الْبِسْتَانِ فِي دَرَجِ كِتَابِ الشَّيْخِ أَبِي السَّرَايَا مَعَ ثِقَةٍ وَلِتَنْهَضَ فِي إِيْصَالِهِ بِغَيْرِ تَلَوُّمٍ فِي ذَلِكَ. وَلِتَعْرِفَ بِذَلِكَ شَيْوُخُ آلِ عَبْدِ اللَّهِ وَآلِ سُلَيْمَانَ، وَتَحْكُمَ طَرَادَ الْجَرْمَقِيِّ الْكَذَّابِ، لَعْنَهُ اللَّهُ وَلَعَنَ مَنْ أَمَرَهُ بِذَلِكَ مِنْ هَلَاقِ الْمَوَاضِعِ وَخَرَابِهَا.

وَجَمِيعُ الشَّيْوُخِ رُؤَسَاءِ الْحِصَصِ يَحْكُمُونَ الْأَمْرَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَيُوعِدُونَ أَهْلَهُمْ مِنَ الْجَمِيلِ وَالتَّقْوِيَّةِ بِمَا لَا يُحَاسِبُوا بِهِ، وَإِنَّ الشَّرِيفَ قَدْ أَخْرَجَ شَيْئًا مِنْ مَالِهِ قَدْ رَسَمَهُ لِعِمَارَةِ الْحِصَصِ، وَيَعْفُونَ مَنْ جِيعَ مَا أَفْسَدَهُ الْجَرَادُ^(١) وَإِنْ عُطِفَ مِنَ الثَّمَرِ شَيْئًا أَطْلَقَ لَهُمْ عِوْضَهُ وَلَمْ يُحَاسِبُوا بِهِ.

فَاللَّهُ اللَّهُ أَنْ يَتَوَانُوا الشَّيْوُخُ فِي إِيْصَالِ هَذَا الْكِتَابِ إِلَى الشَّيْخِ ضَامِنِ الْبِسْتَانِ أَبِي الْقَاسِمِ أَيَّدَهُ اللَّهُ، وَيَتَوَلَّى ذَلِكَ الشَّيْخُ أَبُو السَّرَايَا وَمَنْ يَنْهَضُ مَعَهُ مِنَ الشَّيْوُخِ وَلَا يُهْمِلُوهُ، فَمَا تَمَكَّنَ الْمَكَاتِبَةُ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا.

فَاللَّهُ اللَّهُ تَمْتَثِلْ طَرْدَ الْجَرْمَقِيِّ الْمَلْعُونِ فَضَحَهُ اللَّهُ وَعَجَّلْ خِزْيَ مَنْ قَوَّاهُ عَلَى هَذَا الْحَالِ، وَتُعْرِقُونَا خَبَرَ الزَّيْتُونِ وَالكَرْمِ وَجَمِيعِ الثَّمَرِ. فَقَدْ عَرَفْنَا الشَّيْخَ أَبُو الْحَسَنِ أَنَّ الزَّيْتُونَ وَالكَرْمَ وَالتِّينَ بَعْدَ أَنْ أَكَلَهُ الْجَرَادُ رَجَعَ حَمَلٌ حَمَلًا جَيِّدًا.

وَلَا يُؤَخَّرُ عَنَّا الْجَوَابُ بِوَصُولِ هَذَا الْحَالِ، وَبِحَالِ هَذِهِ الثَّمَرَةِ^(٢)، هَلْ صَحَّتْ كَثْمَرَةُ كُلِّ سَنَةٍ بَعْدَ أَكْلِ الْجَرَادِ لَهَا؟ وَلَا يُؤَخَّرُوا عَنَّا الْجَوَابَ بِذَلِكَ.

(١) الجراد : ممثلوه الدعاة الفاسدون .

(٢) الثمرة : هي دعوة التوحيد.

وأنا والجماعة نَخُصُّ جميعَ الشيوخِ آلِ أبي ترابٍ بِأَتَمِّ التَّحِيَةِ.
وكذلكَ شيوخَ آلِ عبدِ اللَّهِ وآلِ سليمانَ، وجميعَ مَنْ بالحمراءِ وشيوخَ
البستانِ. وكذلكَ مَنْ بالحضرةِ وجميعَ مَنْ بالحِصَصِ بِأَتَمِّ التَّحِيَةِ.

والحمدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وصلواتُهُ على رَسولِهِ إلى الخَلْقِ أَجْمَعِينَ،
وسَلَامٍ. وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ النَّصِيرُ الْمُعِينُ.

وَتُنْفِذُ هَذَا الْكِتَابَ إِلَى آلِ سُلَيْمَانَ وَآلِ عَبْدِ اللَّهِ لِيَقْفُوا عَلَيْهِ. وَاللَّهُ
يُخَيِّرُ فِي ذَلِكَ بَيْنَهُ وَكَرَمِهِ وَلُطْفِهِ. وَالسَّلَامُ.

تَمَّتْ

الرَّسَالَةُ الْوَالِدَةُ إِلَى الْجَبَلِ الْأَنْوَرِ

الجبل الأنور هو جبل السَّمَّاق، لا جبل لبنان، كما يعتبره دي ساسي في كتابه صفحة ٥١٣ من المقدمة. وقد ورد معنا ذكر هذا الجبل في رسالة «جبل السَّمَّاق»، رقم ٩٨. كتب بهاء الدِّين هذه الرسالة ضدَّ الذين أفسدوا دعوة التَّوْحِيد بتعاليمهم وتصرفاتهم. إنَّها من سنة ٤٣٣ هـ ويظهر منها عناء بهاء الدِّين، وهو على عناء وقنوط وضيق و«مرارة العيش النكد»، وعلى وشك إغلاق باب الدعوة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، حدودِ قائمِ الدِّينِ.

وَصَلِّ كِتَابُكَ يَا أَخِي وَالْعَزِيزُ عَلَيَّ أَطَالَ اللَّهُ فِي عِزِّ الطَّاعَةِ بِقَاكَ، وَأَدَامَ حِرَاسَتَكَ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ، عَلَى يَدِ الْأَخِ الْخَيْرِ أَبِي الْحَسَنِ الْمُحَلِّي رَفَعَ اللَّهُ دَرَجَتَهُ. وَقَرَأْنَاهُ وَفَهَمْنَاهُ، وَشَرَحَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَسَدَّقْنَاهُ. وَالْحَالُ لَوْلَا حُضُورُهُ لَسْتَرْنَاهُ، لَضِيقَةِ حَالِنَا وَسِعَةِ الْمَسَالِكِ وَالْبَلَدِ، وَشَعَثِ الْحَالِ وَمَرَارَةِ الْعَيْشِ النَّكَدِ، لِقَلَّةِ الْمُؤَاذِرِ وَالسَّدِيقِ، وَعَدَمِ الْجَارِ الصَّالِحِ وَالرَّفِيقِ، وَقَدْ تَعَذَّرْتُ عَلَيْنَا الطَّرِيقُ وَالْمَسَالِكُ وَنَحْنُ مِنْ أَهْلِنَا عَلَى شَفَا جَرَفِ الْمَصَائِبِ وَالْمِهَالِكِ. وَنَحْنُ نَعْذُرُهُمْ لِعِلْمِنَا مِنْهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْمُسْتَعِيرِ وَمَنْزِلَةِ الْمَالِكِ، وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا لَكَ هَذَا لِئَلَّا تَقُولَ أَنْتَ أَوْ غَيْرُكَ إِنَّا أَبْعَدْنَاكَ وَأَهْمَلْنَا حَالَكَ وَمَا أَسْتَزِرُّنَاكَ.

ولم تشرحُ لنا في كتابك نبأ من حالِ القرابةِ والأهلِ، ولا ذكرت شيئاً مما نرتقبه من شؤونِ الجماعةِ وما هم عليه من الصيانةِ والدعةِ والفضلِ.

وقد كان ورد إلينا من قبلِ هذا الأوانِ بأن جماعةً ركبوا النهيَ وشقُّوا العصاهَ وباينوا بالسفهِ والعصيانِ، وعكفوا على المحرماتِ اتباعاً لمراسمِ الطيْمُوسِ والشيطانِ، وتألَّفوا لِمَا أَلْفَوْه من الغيِّ كفعلِ أولادِ الشيصبانِ.

فاقرأ كتابي هذا على جماعةِ الشيوخِ والإخوانِ، ليتأملوا ما سطرَ فيه ويُبَيِّنُوا مَنْ اشتهرَ بالردةِ ومَرَقَ عن سننِ أهلِ الدياناتِ. فأعلمُهم بالاعتقادِ، وأعرِفُهم بالسَّماتِ، فقد فرغَ زمانُ أهلِ الشطنِ الأدعياءِ، وخرَّ سقْفُ الباطلِ على المردةِ الأشقياءِ.

فأين يُتَّاهُ بهم، بل أين يذهبون أهلُ الكَرَّةِ الخاسرةِ. فقد زَجَرَ زاجرُ البعثِ وأشرقتْ بأهوالِها الآخرةُ، لِفَضائِحِ أهلِ الغيِّ والنكثِ والعنادِ، ومُجازاتهم على ما في صدورهم من الغلِّ والغشِّ المُتَمادِ، أولئك أوغادُ الأممِ في سائرِ الأوقاتِ، الذين احتقَبوا المآثمَ في زمنِ القيامةِ وأوتغُوا الدينَ ورجعُوا عن الحقِّ بعد وقوفهم على حقائقِ الأماناتِ. وهم الذين يُضَاعَفُ لهم الجزاءُ والنكالُ على أخسِّ الأعمالِ وأبعدِ الغاياتِ.

فاللَّهُ يُوبِقُهُم بأعمالِهِم، ويكشفُ سِتْرَ صَوْنِهِ عنهم كما أوهمُوا العالمَ وكذبُوا على أهلِ الدينِ ووسموهُم بأقبحِ السَّماتِ. فاللَّهُ يعدلُ فيهم ولا يُوجدُهُم رحمةً لا منه ولا مئاً، كما جعلُوا لأهلِ السفِّ طريقاً على أهلِ الحقِّ بما اخترصُوهُ من أفعالِهِم وإباحةِ المنكراتِ.

فمن اعترفَ منكم منهم بولدٍ أو والدٍ أو أخٍ ذَكَرًا وأنثى فهو ملعونٌ ناكثٌ للدينِ بريءٌ من عظامِ الحجِّ والآياتِ. فاعرِفُوهم يا أهلَ السِتْرِ

والصيانة، وباينوهم في المحيا والممات. فقد فرغ زمانُ أهلِ الدّعاءِ
وافترضتْ مصائدُهم لأهلِ الحقِّ بتزييهم للمحرّمات. وثبتتْ حجةَ الحقِّ
على الفريقين، وفازوا أهلُ الحقِّ بطاعتهم وتميّزوا أهلُ النكثِ بما غشتْ
قلوبُهم من الغلِّ والغشِّ في الدّين.

أفما تعتبرون يا أهلَ الغدر والنكث، أفما ترتدّعون يا أهلَ الرّدةِ
وأولادِ الخُبث؟ فكم تفرّغ قلوبُكم بقوارعِ الحججِ والآيات، وهي كالصمِّ
الصّلاب، أو كالأرضِ السّبخةِ العاجزةِ عن طيبِ النبات.

فوأسفا على مَنْ رجَعَ بعدَ بيانِ الحقِّ وحفَظَ الحكمة، وبعدَ الاتّصالِ
بالبَيْتِ المعمورِ والدخولِ من بابِ الرحمة، عكستُهم أهلُ الادّعاءِ المُضلةِ،
وسلكوا بهم في طريقِ المَنائِه وَغِيهِبِ الظُّلْمَةِ. فقلوبُهم أُسودتْ من اللَّيْلِ البهيمِ
وأصلبُ من الجَلَمَدِ الصّلد، فهي لا تَنَدُّ بِماءِ النّيلِ ولا تَجِدُ لَذائِدَ البَرَدِ،
وأذانبُهم صمٌّ عن الحقِّ فهي لا تسمعُ نِداءه ولا تَحِسُ بصوتِ الرعد، وأعينُهم
في غطاءٍ عن الذِّكرِ قد عميتْ لحلولِ النّحسِ وغيبَةِ السَّعْدِ.

أيّها الناسُ قد أَعَذَّرَ نَذِيرُ الْقِيَامَةِ وَصَرَّحَ بِالْحَقِّ، وَأَوْجَبَ الْحُجَّةَ
الإمامَ الأعظمَ على جميعِ الخلق. فيا أيّها الجماعةُ المُشْتَتُّونَ والفرقةُ
الجاحِدونَ النّاكثونَ إنّما جَمَعَ بَيْننا وَبَيْنَكم خِصْلَتان: التَّوْحِيدُ لِلْبَارِي
سُبْحانَه، والطاعةُ لوليِّ الزّمانِ بِحَقِيقَةِ الإِيْمان. فنحنُ بهذَيْنِ الخِصْلَتَيْنِ
نَدْبُ في خلاصِكم واستخلاصِكم من حَبائِلِ الشَّيْطان. فمتى ما رَجَعْتُمْ عَنْ
مَراسِمِ القائِمِ الهادي الإمام، فَقَدْ نَكَنْتُمُ التَّوْحِيدَ الَّذِي ادَّعَيْتُمُوهُ، إِذْ لا توحيدَ
إِلّا بالطاعةِ لأوامرِ قائِمِ الزّمان. فما أنتم لنا بعدَ هذا النكثِ عن الحقِّ لا بأولادِ
ولا بإخوان.

فإلى متى هذا التّصرُّمُ والاعتلال، فما بعدَ الهدايةِ سوى الشُّركِ
والضلال، فقد دعوناكم إلى الحقِّ ودَعَيْنَا لَكُمْ فما استجبْتُمْ إِلَيْهِ. فاللّهُ يجعلُ

النَّكَّةُ أعداءُ الدِّينِ حَصِيدًا لسيوفِ أوليائه المنعكفينَ على طاعتهِ المعتمدينَ في السَّراءِ والضَّراءِ عليه. وقد كنَّا جعلنا لأكابِرِ الشَّيوخِ في البلدانِ، أهلَ القوَّةِ في الدِّينِ والرِّزَانَةِ والرجحانِ، قَبُولَ الإقالةِ لمن أذعنَ بالتَّوبَةِ واستقالَ، وأقرَّ على نفسه بالخروجِ عن الإباحةِ والفُسوقِ والضلالِ. كلُّ ذلكِ إثباتُ الحِجَّةِ على العوالمِ، وقطعُ لسانِ المخالفِ الجائرِ الظالمِ، لئلاَّ يقولوا: ما جاءنا نذيرٌ ولا رسولٌ، ولا عَرَفْنَا للحقِّ دليلاً ولا مدلولَ.

فقدُ بالحِجَّةِ تقطعتْ معاذيرُ الأنامِ، وقَرُبَ الفطرُ وزالَ شهرُ الصَّيامِ، وأُشرقتِ الأرضُ بنورِ القائمِ الهادي الإمامِ. فلا يقولُ قائلٌ منكم هذا قولُكم في كلِّ وقتٍ وعامٍ. فالمعنى الإبداعي: ظهوره كغيبتهِ وغيبته كظهوره، لا سيَّما وقد ظهرتْ دلالاتُ شَرَفِ المَقامِ. فقد أبلغتُ لكم في الإعذارِ والمُعذرة^(١)، وأوجزتُ لكم في الموعظة^(٢) والتذكرة^(٣)، وما على الرَّسولِ السَّادِقِ سوى البلاغِ في الاجتهادِ. واللَّه الموقِّعُ لمن رضيَ وسلمَ ليومَ الجَزاءِ والمَعَادِ.

والحمدُ لله العالِّ مدهرِ الدهورِ ومؤزِّلِ الأزلِ، ومبدعِ العقلِ القديمِ علَّةِ العللِ. والسلامُ على عقلِ العوالمِ وإمامِ الورى الداعي إلى خيرِ العملِ، والقائمِ على النفوسِ بمكتسباتِها وناسخِ الشرائعِ والمِللِ. وهو حسبُ عبده الضعيفِ المقتنى في اليومِ الذي لا عصمةَ فيه إلَّا لمن اعتصمَ بالقائمِ الهادي الإمامِ مصحِّحِ الأديانِ ومُديلِ الدُّولِ، المنتقمِ ممَّن أشركَ وقسَّطَ ومالَ عن الحقِّ وعدلَ. وكُتِبَ في شهرِ رَمَضانَ من السَّنةِ السَّادِسَةِ والعشرينِ لتمامِ ما قيلَ والسلام.

تَمَّتْ والحمدُ لمولانا وحده، ولاشكرُ لقائمِ الزمانِ عبده.

(١) رسالة رقم ٣٤، وهي لقائمِ الزمانِ.

(٢) رسالة رقم ٨٧.

(٣) رسالة رقم ٩٣.

١١٠

مكتبة الشيخ أبي المعالي

ورد ذكر أبي المعالي في الـ «منشور» رقم ٩٦. أمّا هنا فيبهاء الدّين، الذي كتب سنة ٤٣٤ هـ، يردّ على رسالة وردته من الشيخ الطاهر، ويعتذر له لعدم جراته للذهاب لمقابلته، نظراً لـ «كثرة اللصوص»، أي أعداء الدعوة. وهو يعترف بأنّه لا رجاء، بعدّ عنده، إلّا من الله، ولا اعتماد إلّا عليه تعالى. وهو يخشى المرتدّين عن الدعوة أكثر ممّا يخشى النّواصب، أي أهل السنّة.

بسم الله الرحمن الرحيم، حدود قائم الدّين.

كتبت أطلّ الله بقاء الشيخ الخير وإخوته بحفظ مساعي الدّين ومعاليمه، وجعل القرّة إلى أهله أجلّ مكتسباته وأشرف مغانيمه، وأدام له ولهم نزاهة النفوس عمّا ولغّ فيه من أمراض قلبه نفث الشيطان بدغله وسمائمه، وأعادّه وهم ممّا أوغّ أعراض من رضي بمنزلة العالم المكبّوب في أفعاله ومراسمه، وجنبه وهم مهاوي من طمس الشيطان على قلبه وتمكّن من عنانه وقبض شكائمه.

وصل كتابه أدام الله كلايته مبين عن طهارة نفسه ومكونه، فشقى الغلّة بمعاني سلامته، وبنو عمّه كثّرهم الله بمضمونه، وشكرت ذا العزّة الوهاب، ومالك العرض والحساب، على ما وهبني في جماعتهم من جميل

الكفاية والصيانة. ودعوته ضارعاً مُخْبِتاً لمن أَمَّ سبيلَ النجاةِ بحفظِ مناسِكَ
الدينِ المفترَضاتِ وتأديةِ الأمانة.

وأما ما ذكره أدامَ الله كُلايَتَهُ مِنْ أَلَمِ المشاهدةِ والحضورِ، فنحنُ
بِحمدِ الله نتناجى بِقَرَبِ النفوسِ وصَحَّةِ النِّيَّاتِ على البعدِ بما تَجَنُّهُ القلوبُ
والصدورُ، إذ كانَ الزمانُ قد مَنَعَنَا ذلكَ لما نكايَدهُ مِنَ الثَّمَرَةِ اللَّصُوصِ
والخِشَّاشِ المحذورِ. فنحنُ منهم كُلِّ يومٍ على شَفَا جَلَاءٍ وَسَبِّ منظورِ.

فما لنا في حالِ سِتْرَةٍ مَنْ نَعُولُ عليه، ولا ملجأَ إلَّا إلى اللهِ والرضى
والتسليمِ إليه. فالنَّوَاصِبُ بنا أَلْطَفُ وأَرْحَمُ، والمُؤْمِنُونَ لنا أَغْشَى وأَظْلَمُ.
ونحنُ بَيْنَ أَهْلِ الخِلافِ آمِنُونَ مطمئِنُونَ، وَبَيْنَ المدَّعِينَ الإِيْمَانَ وَجُلُودِ
خائِفُونَ، وهم عن أنفُسِهِم معذورُونَ، ونحنُ نَعذُرُهُم على صِفَةٍ وهم عند
أهلِ الحقِّ مُلامُونَ.

فليُوطِئِ الشَّيْخُ الطَّاهِرُ ذَهَنَهُ لِفِكرَتِهِ، لَتَنبَحِسَ يَنابِيعُ خَاطِرِهِ بِفِيضِ
حِكمَتِهِ، وَتَرْجِعَ فِكرَتُهُ إِلَيْهِ لِيُشْرِفَ بِهَا على خَفِيَّاتِ المُسَاعَدِ في بَدَايَتِهِ
وآخِرَتِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا انْصَدَّتْ يَنابِيعُ خَاطِرِهِ وَلَمْ يُوَطِّئِ ذَهَنَهُ لِرُكُوبِ الفِكرِيَّاتِ،
أَتَتْ الفِكرَةُ بالقولِ المُتَناقِضِ وبِما لَمْ تَشْهَدْ به المَعقُولاتِ، وَصارَ ما يُتَرَجَّمُ
عنها مِنَ الكلامِ خَارجاً عَنِ النَفْسِ المَلِكِيَّةِ وَمائلاً إلى الطَّبِيعِيَّاتِ، وَهذا مَأْدِبُهُ
لِغَيرِهِ، وَمُعْنَى بِهِ مِنْ تَشَدُّبٍ عَنِ أوامِرِ الحقِّ وَرَضَى لِنَفْسِهِ بِمِهاالِكَ
الوَضِيعِيَّاتِ.

فليَذْكُرِ الشَّيْخُ الطَّاهِرُ بِهذهِ المَباحِثِ قُلُوبَ بَنِي عَمِّهِ وَأَهْلِيهِ، وَيَذُوْدُهُمْ
عَنِ حِيَاضِ السَّفَةِ لِمَا يَأْمُلُهُ مِنْ شِفاعَةِ هادِي الأُمَمِ وَيَرْتَجِيهِ.

وليعْمَلِ الشَّيْخُ الطَّاهِرُ تَمَامَ إِشْراقِ النُجُومِ البابانِيَّةِ، وَكَمالَ شَرْفِها
بِالأنوارِ الشَّعْشَعانِيَّةِ، وَتَأَلَّفَها لِلظُّهورِ بِمُساعَدِ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَمَناحِسِ أَهْلِ

الردّة القزمانية، وقد هبت أرياحها وبرقت بوارقها، وتحققت للمطالع والخروج مغاربها ومشارقها.

وقد برح الخفا وتسعرت نيران العقاب. فأين يتاه بظلمة أهل الكتاب؟ وأين فرارهم من يوم العرض والحساب؟ وقد أرحلت قلاص البعث^(١)، وحدى بها الحادي^(٢) وطلعت أقمار القيامة^(٣)، مستمدة بشمس الإمام القائم الهادي. وعمّا قليل، والله ليوقفن الأمم على الجحيم، وليسلن يومئذ عمّا فرطوا فيه من نصائح آيات الحق وعن الطريق المستقيم.

أما في هذا الأنباء مزدجر لذي حجر فيتميز بنفسه الشفافة عمن أزعه البلس عن قبول النهي والأمر، وحال بينه وبين أرواح الحياة مراض عقله وقلة الصبر. أفما ينتبه من مرد عن الحق قبل كشف الستور وظهور ليلة القدر، وآيس من ولي الحق إمام الزمان والدر، وقبل أن يفتضح من شطن وأدعى الباطل وخسر دينه ودنياه بما أول في نفسه من الغل والغش والغدر. فهو يوعد من أحاده عن الحق بمخائل الكذب والبهت والزجر، ويمنيهم بخرصه بما سيزهق ويبور، شبيه عجل بني إسرائيل في السلف، وما هو بدونه في السرقة والخلف، قد احتقب من الأمة مآثم من فتن بزخرفه عن الحق وبناره أحرقتها، وعكس بصائرهم عن الحق وفي بحر ضلالاته أغرقها. أفما تنيقظ الهلكة المزعجون، وينتبهوا لما قد أشرف عليهم، وهم إليه صائرون.

فأبح هذه النصيحة أيها الشيخ الفاضل لمن استنصحك في دينه، وأقل من أثر الإقالة عند تحققك لسدق لسانه ويقينه. والطف بالكافة في

(١) النوق الطويلة القوائم.

(٢) سائق الإبل، وهو قائم الزمان.

(٣) هم الحدود التوحيدية.

القول والخطاب، وألن جانبك لهم بعد مَحْضِ الحق والصواب، ولا تَقُلْ ما هكذا سَطَّرَ في الكتاب. فلحدود ولي الأمر والحق القطع والوصل والكسر والجبر وفك الرقاب. وقولهم يَهْتِكُ حُجَابَ الباطل بمَحْضِ الحق وتبيين المآب، وكلامهم أَحَدٌ مِنْ شُقَرِ المُرْهَفَاتِ لِضَرْبِ الأعناق وقطع الهضاب. فكن سعيداً أيها الشيخ الطاهر بما صدر إلى ساحتك وفنائك، واغتنم فرصة الزمان الشاهد بنعم ولي الحق عند المحصي لفضائح أعدائهم واعدائك. والسلام عليك وعلى إخواني إخوتك وبنو عمك وإقربائك.

والحمد لله الذي تجالّل عن تنزيه المخلوقات والمبدعات، المقدّس عن الوصول إذا حجبَ عظمته بمعنى أن تتوهّمه العوالم من لطائف العبادات، سوى الاعتراف بالعجز والرضى والتسليم بعد الطاعة لعقل العوالم ولي الزمان وحدوده المفترضات. والشكر للولي العقل القائم المنصوص عليه على رؤوس الأشهاد من حيث العوالم بالأمر والنهي في حقائق الديانات. وهو حسب عبده الضعيف المقتنى في يوم تنقطع فيه وصائل أنساب المدّعين ويصحّ الفلج لأهل السدق والأمانات.

وكتب في السنة السادسة والعشرين من سنين القائم على النفوس بالجرائم المكتسبات. وقد بُعدت عنا معارف آل عبد الله وخفيت أسماؤهم وأخبارهم. وسلّوا عن ذكرنا ونحن نتوكّف أنباؤهم وآثارهم. فالله يديم لهم عاقبة الثبات، ولا ينسأهم من رحمته يوم العرض والميقات. ويجعل منهم خلقاً لمن تقدّم من الشيوخ أهل التسليم والطاعات. ويجب أن يعرفونا من منهم اليوم على السنن القويم ومن منهم مؤثّر بحفظ الحكمة ومتمسك بحقائق الديانات. ونحن ومن عندنا نخصكم بالسلام التام وأطيب التحيات.

تمت والحمد لمولانا وحده. والشكر لقائم الزمان عبده.

منشور الغيبة

هي الرسالة الأخيرة من مجموعة «رسائل الحكمة»، كتبها بهاء الدين السنة ٢٦ من سنِّي حمزة أي ٤٣٣ هـ. بهذه الرسالة استعفى بهاء الدين من إدارة الموحدين، لعذاباته الكثيرة وعنايته. وهو يوصي الموحدين بالإيمان، وبالحفاظ على ما علمهم إياه، ويذكرهم برسائل عديدة من رسائله، أخصها «إلى أبي اليقظان»، رقم ٦٥. ويبدو في منشور الغيبة يأس بهاء الدين وقنوطه، فعزم، بعد طول عناء، على الاختفاء والغيبة، كما اختفى من قبله المولى والولي وجميع الحدود. وبغيبة بهاء الدين انتهت مجموعة الرسائل، وأُغلق باب الدعوة، وطُويت الصحف، وجُفَّت الأقلام.

بسم الله الرحمن الرحيم، حدود قائم الدين،

إلى أهل الرضى والتسليم أهل الطهارة والتقى والسلامة، المعترفين بولي الدين قائم القيامة. ألسلام على من رضى وسلم لإمامه، وكان مراقباً لراياته وأعلامه، ونظر فيما وصل إليه من موضحات حكمته ومسايق كلامه. فاحفظوا إخوان الدين معالم التوحيد والإيمان. وتأملوا ما أدرج لكم من النهي عن المحرمات في الحقائق^(١)، والقاصعة^(٢)، والتمييز^(٣)، وكتاب

(١) رسالة رقم ٥٧.

(٢) رسالة رقم ٦٤.

الشهيد الطاهر أبي اليقظان^(٤).

فأنا العبدُ الضعيفُ بريءٌ مما اخترصه مَنْ اخترصَ من جميع
القبائح ونسبه إلى الدين والإيمان. والباري يشهدُ بما أذعته من النهي عما
أحدثه لاحقٌ وسكينٌ ومُصعبٌ وأمثالهم من المحرّمات. وذلك أولُ ما أمرني
بإقامة الدّعوة بالأمرِ العالي وليّ الزمانِ وصاحبُ الظهورات.

فَمَنْ حَفِظَ منكم الحكمة، وطهرَ نفسه من التلبّسِ بأهلِ الرّدّة
والقبائح والإباحات، وكان منتظراً بما يهجمُ من يومِ الجزاءِ والميقات، حافظاً
لإخوانِ الدّين، صابراً على عظيم ما هو آت، فهو المرجوُّ له النجاةُ من جميع
الموبقات، في يومٍ تجدُ كلُّ نفسٍ ما عملتْ مستوراً من الحسناتِ والسيئات.

وَتَحَقَّقُوا أَيُّهَا الإخْوَانُ أَنْكُمْ فِي أعظمِ الفترات، وقد نادى ووصلَ إلى
جميعِ البلدانِ والأطرافِ والأقطار، ما لا يفي بعشرِ معشارِهِ ولو كانت مدّاهُ
زواجرَ البحار، وقد قامتْ به الحجةُ على جميعِ المللِ والأممِ ونادى إليهم في
الإعلانِ والأسرار. ولم يجدِ العبدُ الناصحُ أحداً منكم ولا من جميعِ الأممِ مَنْ
يَتَقَرَّبُ إلى الباري بسريرته عن مكائدِ الأضدادِ والأشرار.

والعبدُ الخاضع فقد أوجب الحجةُ على المللِ والأممِ وهو مسلّمٌ
لمولاه، ظاعنٌ إلى الغيبة والاستتار.

وهو يستودعُ جميعَ أهلِ الحقِّ مَنْ قَرَّبَ منهم وَمَنْ نأى لأمرِ المولى
الإلهِ الحاكمِ المنزهِ الجبار.

فَمَنْ وقعتْ بهِ منكم محنةٌ وطلبَ منكم سبباً هذا العبدِ فتَبَرَّأوا منه

(٣) رسالة رقم ٦٦.

(٤) رسالة رقم ٦٥.

وسُبُوهُ. وَإِنْ طَلِبَ مِنْكُمْ لَعْنَتُهُ فَالْعَنُوهُ. هَذَا عِنْدَ الْإِضْرَارِ^(٥). وَاللَّهُ الْعَالِمُ بِمَا تُظْهِرُوهُ وَتَكْتُمُوهُ.

فَقَدْ تَجَدَّدَ مِنْ شَهَادَاتِ الزُّورِ وَالْإِفْكِ مَا الْبَارِي مُقَرَّبُ جَزَاءِ مَنْ فَعَلَ مَا شَهِدَ بِهِ وَمَنْ شَهِدَ بِالْكَذِبِ، وَمَنْ قَبْلَ مَا اخْتَرَصُوهُ الْأَفَاكُونَ وَمَوْهُوهُ وَيَقَرَّبُ جَزَاءَ فَاعِلِهِ وَقَاتِلِهِ وَقَابِلِهِ، وَيُوقِفُ هَذِهِ الشَّهَادَةَ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ عَنْ قَرِيبٍ وَلَا يُوجِدُهُمْ رَحْمَةً فِيمَا قَدْ أُوثِّغُوا بِهِ الْحَقَّ وَاخْتَلَفُوهُ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُنْزَهُ الْمَثَانِ عَلَى أَوْلِيَاءِ حَقِّهِ بِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ وَالْعَذْرِ، وَمُؤْنِسُهُمْ عِنْدَ جَوْلَةِ الْأَضْدَادِ وَشَيَاطِينِ الْفِتْرِ فِي الْغُرْبَةِ وَبِلَادِ الْقَفْرِ، كَمَا أَحْرَمَهُمْ مَنْ يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِأَبْوَابِ سَبِّهَا أَيْسَاءَ مِنَ الظُّهُورِ وَالْعِزِّ وَالنَّصْرِ.

وَالسَّلَامُ عَلَى وَلِيِّ الْقِيَامَةِ الْقَائِمِ بِمَوْجِبَاتِ الْبَعْثِ وَالنَّشْرِ.

وَهُوَ حَسَبُ عَبْدِهِ الضَّعِيفِ الرَّاجِي لِرَحْمَتِهِ، فِي يَوْمٍ تَنْقَطِعُ فِيهِ وَصَائِلُ الْأَنْسَابِ، وَتَتَحَلَّلُ مَعَاقِدُ الْعُذْرِ.

تَمَّ الْمَنْشُورُ وَالْحَمْدُ لِمَوْلَانَا وَحْدَهُ. وَالشُّكْرُ لَوْلِيَّهِ عَبْدِهِ.